الدكتور جواد علي

أبحاث في تاريخ العرب قبل الإسلام

الجزء الثاني

دراسة ومراجعة:
الدكتور نصير الكعبي





المركز الأكاديمي للأبحاث



الدكتور جواد علي

1987 - 1907

- حصل على الدكتوراه من جامعة هامبورغ الألمانية ١٩٣٩.
- عمل أميناً في المجمع العلمي العراقي منذ تأسيسه واستاذاً في جامعة بغداد وجامعة هارفرد.

من مؤلفاته:
- التاريخ العام عام ١٩٢٧.
- تاريخ العرب قبل الإسلام (٨ أجزاء) ١٩٦٠.
- تاريخ العرب في الإسلام ١٩٦٣.
- أصنام العرب ١٩٦٧.

تاريخ الصلاة في الإسلام ١٩٦٨.

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (١٠أجزاء) ١٩٧٤.

أبحاث في التأريخ الإسلامي

الدكتور جواد علي

أبحاث في التأريخ الإسلامي

الجزء الثاني

المركز الأكاديمي للأبحاث



الدكتور جواد علي

أبحاث في التأريخ الإسلامي

دراسة ومراجعة: **الدكتور نصير الكعبي**

الطبعة الأولى ٢٠١١

http:\\www.academyc2010.com\
E. Mail- Book@academyc 2010.com

نقال: ٠٠٩٦٤٧٨١٠٧٢٦٤٢٩

كافة منشورات المركز تطلب من:
منشورات الجمل، بغداد - بيروت، ٢٠١١
ص.ب: ٥٤٣٨ - ١١٣، بيروت - لبنان
تلفاكس: ٠١٣٥٣٣٠٤ (٠٠٩٦١)
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

الفهرس

الموضوع	الصفحة

أولاً

محور موارد التاريخ الإسلامي

موارد تاريخ الطبري(*)

إن مسألة المصادر في تدوين التاريخ عند العرب لما تحل حلا علميا نهائيا، ولما تدرس دراسة كافية[1] على الرغم من الجهود التي بذلها نفر من المستشرقين مثل «وستنلفد»[2] لتدوين تأريخ «علم التأريخ» عند العرب، وبيان الاتجاهات التي سار عليها المؤرخون، وتعيين صلات بعضهم ببعض. وإذا كان الموضوع واضحاً كما يخيل لمن يريد الكتابة في تطور علم التاريخ عند العرب من القرن الرابع للهجرة فما بعد فان هذا الوضوح لا يمكن أن يدرك بالنسبة للقرون الثلاثة الأولى للهجرة ولاسيما للقرن الأول والثاني، لأننا لا نستطيع حقاً أن نميز بين التاريخ الصرف والمواد التي كانت تروى وتقص على أنها مادة صالحة من مواد التاريخ، وهي في الواقع شيء من الأساطير الشعبية والقصص المنقول بالتواتر عن العرب في العهد الجاهلي، وشيء أخذ من هنا وهناك ومزج مزجا فكان نواة لمادة التاريخ العلمي الذي بدأ يظهر في القرن الثاني للهجرة.

(*) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي العدد ١ لسنة ١٩٥٠ ص ١٤٣-٢٣١.

(١) راجع دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) ص٤٨٣، والنص الانكليزي ٤/ ٦٧٢ وسأرمز إلى الترجمة العربية بكلمة «دائرة».

(٢) Ferdinand Wustenfeld, Die gesebaehtschre iber der Arabewrnd ihre ibre werke in: Abhanhandlungen der Akadmie der wissenschaften zu gottingen. Bd. 28 und 29. 1881. 1882. كذلك

vergleichs - Tabelien der Muh ammad und Christilichen Zeitrechung. Leipzing 1854.

وليس هذا بدعاً جاءت به العقلية العربية، لأن ما تحدثنا عنه من ارتباك ومن صعوبة التمييز بين المواد التاريخية الأصلية والمواد شبه التاريخية قد مر على كل الأمم المثقفة التي شعرت بحاجتها إلى تدوين سيرها، فلما شرعت في التدوين صدمتها هذه العقبة عقبة التمييز بين المادة التي يبنى عليها المؤرخ أحكامه التاريخية والمواد التي ابتدعتها العاطفة واختلقها واقتضتها الأحوال التي مرت بها تلك الأمة، أعنى بها هذه الروايات التي تجمعت على مرور السنين وكانت تتكيف كلما تقادم بها العهد من شعر ونثر، تلك التي كان أساسها الشعر الحماسي لسهولة حفظه، ثم النثر الذي كان من مستلزمات هذا الشعر لشرحه ولتوضيحه وكان يختلف طولا وقصرا باختلاف عمره، وحملته هم الرواة الذين كانوا يقصون ذلك على الناس شعراً أو نثراً، ونسمى هذه المادة القصص والأساطير. وهو مبدأ تاريخ كل أمة. وانه ان لم يفدنا فائدة من الناحية التأريخية فانه يفيدنا في ناحية دراستنا لعقليات الأمم ونفسياتها، فهي لذلك مادة مهمة في علم الموازنات والمقايسات. به بدأ تأريخ اليونان وتأريخ الفرس وتأريخ الرومان، ونجده في شعر «هوميروس» و«فرجيل» و«الفردوسي».

ومن هذا القبيل التاريخ المأثور عن عهود ما قبل الإسلام، ولاسيما التاريخ المنقول بالسماع والرواية لشبه جزيرة العرب في العهد الجاهلي. ذلك الذي يتألف من قصص وأساطير رواها معدودون يمكن عدهم ويحتل الشعر فيها مكانة بارزة، فلا تكاد تخلو قصة منه وان لم تكن هنالك مناسبة قوية، فهي قد وضعت على طراز روايات الرواة في أيام العرب يعوزها الإبداع وتدقيق التفكير وبعد النظر، وقد ذهبت بين الناس على أنها تاريخ تلك الحقبة، وقبلتها الأجيال التالية لجيل رواتها، وسجلها المؤرخون والكتاب دون اعتراض أحياناً، وبشيء من الاعتراض في بعض الأحايين[1].

وإذا كان هذا الحادث مقبولاً بالنسبة إلى حالة نجد أو الحجاز أو تهامة قبيل الإسلام، فإننا لم نكن نأمل حدوثه بالنسبة إلى أهل اليمن الذين كانت لهم حضارة وثقافة، وكانوا قد تمتعوا بنعمة الاستقرار والارتباط بالأرض قبل زمن ينيف على (١٥٠٠) سنة قبل المسيح. أولئك الذين دونوا لنا حوادثهم منذ هذا العهد إلى ما بعد المسيح بأحرف هجائية كاملة وبمهارة فنية. نعم، كنا نأمل على العكس قيام أهل اليمن، بل قيام أهل مكة و«يثرب» أيضاً والطائف، لوجود عدد من الكتاب في هذه

---

(١) دائرة ص٤٨٤.

المدن، بتدوين تأريخ ما قبل الإسلام وتأريخ ظهور الإسلام وانتشاره في شبه الجزيرة وما عقب ذلك من حوادث وانقلابات سياسية وفكرية واجتماعية وما شاكلها، فلم يتحقق هذا الأمل يا للأسف، وإذا تأريخ اليمن ضرب من النمط الذي نتحدث عنه، أكثر مادته التهويل والمبالغات من نثر وشعر مصوغ بلهجة أهل مكة، زعم الرواة أنهم أخذوه من رواة أقدم عهدا منهم وأنهم كانوا في كل ما يروونه عنهم صادقين مؤتمنين.

واغرب من ذلك إن حملة لواء الأساطير والقصص رجال من أهل اليمن، ادعوا العلم والمعرفة والوقوف ليس على تاريخ اليمن وحده، بل على أخبار الأمم السالفة وكتب الله المنزلة واللغات والكتابات القديمة أيضاً. ولم يأت هؤلاء بأي دليل كان يؤيد صحة دعواهم، بل قد برهن ما قالوه على إن هؤلاء كانوا تعوزهم قوة الإبداع وفهم الحقائق والنقد السليم وإمعان النظر حتى فيما يختص بأمور عصرهم[١]. وان رجلاً مثل وهب بن منبه ملأ الكتب بقصص وأساطير منتزعة من الحكايات الإسرائيلية مؤرخة بأساطير عربية في بعض الأحيان كان يعوزه العلم الصحيح بأصل تلك الحكايات على الرغم من تلك الدعاوى الطويلة العريضة التي بثها هو لنفسه أو أبناء ابنته وأسرته والصنعانيون. ثم انه لم يكن على ما يظهر من الروايات المنسوبة إليه يتورع من التلفيق ليثبت أنه كان صاحب علم بأحوال الماضين وبما سيكون، شأنه في ذلك شأن زميله كعب الأحبار، أو ابن سلام الذي يليهما بالمنزلة، أقول ذلك على الرغم من تلك الصورة التي رسمها نفر من المحدثين له وأحيطت بها هالة من التبجيل والاحترام وعلى الرغم من تلك النعوت التي جاد بها عليه نفر من أصحاب كتب الرجال على حين كانوا يبخلون يمنح بعضها أناساً أوثق منهم وأصدق بمراتب ودرجات[٢].

قد يكون من باب الشطط أن نقول ان الرواة الذين عنوا بجمع تاريخ اليمن مثل عبيد بن شرية أو وهب بن منبه أو الشعبي أو محمد بن كعب القرظي وهشام بن محمد بن السائب الكلبي كانوا يحسنون قراءة الحروف المعينية، وهي الحروف التي عرفت عند المستشرقين خطأ باسم «الحروف الحميرية» ويطلق عليها العرب اسم «خط المسند»[٣].

---

(١) دائرة ص٤٨٤.

(٢) «عنده من علم أهل الكتاب شيء كثير». كان يتبجح فيقول: «يقولون عبدالله بن سلام أعلم أهل زمانه، وكعب أعلم أهل زمانه، أفرأيت من جمع علمهما يعنى نفسه» تذكرة الحفاظ ١/ ٩٥.

(٣) Corpus Inseriptionum Semiticarmn. Bars IV Baris. 18889.

وقد يكون من باب الغلو والمكابرة كذلك أن نقول ان غيرهم كانوا يقرؤون هذا المسند ويفهمونه فهما صحيحاً، ولو كانت هناك أدلة تدل من دون شك على أن أناسا كانوا يعرفون أشكال الحروف، بل كانوا يعرفون الكتابة، كالذي جاء في كتاب «جمهرة النسب» المروي عن محمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٥ للهجرة[١]، أو في «الفهرست» لابن النديم، وغير ذلك. ثم انه ليس من المعقول اختفاء هذه الكتابة اختفاء تاماً في صدر الإسلام بعد إن كان أهل اليمن يدونون إخبارهم بهذه الحروف وباللهجة الحميرية إلى زمن ليس ببعيد عن ظهور الإسلام، ولم يكن تاريخ النص الذي دونه «أبرهة» حاكم اليمن الحبشي بهذه الحروف ذلك الذي يعود عهده إلى سنة ٥٤٣ للميلاد، ولا النص الذي عثر عليه الرحالة «كلاسر» ويعود إلى سنة ٥٦٥ للميلاد ببعيد في الواقع عن الإسلام[٢] حتى نقول: إن أهل اليمن كانوا قد تركوا الكتابة بالمسند، فلما ظهر الإسلام لم يكن عندهم أحد يحسن الكتابة بها والقراءة. كما أنه ليس من المعقول اختفاء اللهجة الحميرية اختفاء تاماً في هذا الوقت حتى يضطر الرواة إلى الاكتفاء بروايات القصص الشعبي والأساطير، وترك تلك النصوص المدونة التي لايمكن أن يتطرق إلى صحتها شك مع ما بين العدنانيين والقطحانيين من نزاع وخصومة وتنافس ألجأ رواة الطرفين إلى اختلاق شعر وقصص لتفضيل شعب على شعب آخر، لا يعقل أعراض رواة اليمن عن هذه النصوص المدونة لو لم تكن هنالك أسباب لا تدخل في موضوعنا هذا.

دعا النظام القبلي الذي كان أساس النظام الاجتماعي والسياسي في شبه جزيرة العرب إلى العناية برواية التاريخ قبيلة وتاريخ القبائل التي ترتبط معها بحلف أو نسب، والعناية بصورة خاصة بحوادث «الأيام» وما ورد فيها من مفاخرة ومدائح ومثالب في الخصم. وقد كان الشعر هو المادة الأساسية في رواية الأيام، تتخلل كل رواية أبيات أو قصائد قد يكون لها مناسبة مع الحادث وربما لا يكون لها مناسبة، وقد يكون دخوله لأسباب ثانوية كأن يكون شرحا أو تقرير لفرع من فروع الأصل. وأياً كان الأمر فقد كان وجوده ضرورياً في عرف رواة «الأيام» وقد يكون وجوده هو السبب في بقاء الرواية برمتها حتى أنه إذا نسيت الأشعار اندثرت الروايات القديمة باندثارها[٣].

---

(١) راجع ما كتبته في أمر هذه المخطوطة في موضع آخر من المجلة.

(٢) E. Glaser. Mittelungen der Vorderasiatischen Gesellschaft. Birlin. 1897. pp. 390. ef. Corpus Inscriptionum Semiticarum pars iv. T. i. pp. 15 - 19.

(٣) دائرة ص٤٨٤.

مع أن أشعارا جديدة أو أبياتاً ربما يصل علمها إلى الرواة وهم لا علم لهم بها، وقد تضطرهم إلى خلق شرح حادثة لتفسير هذا الشعر وتلك الأبيات، ووضع قصص وحكايات تذهب بين الناس كل مذهب وتنتقل بالسماع وتدخل كتب التأريخ. وتلك ميزة تميزت بها كتب التاريخ عند العرب قلما تكون في كتب التأريخ عند الأمم الأخرى.

كان للرواة القدماء ولع خاص بتضمين رواياتهم مادة سمينة من الشعر يمكن إدراك سعته من إلقاء نظرة خاطفة على كتاب من الكتب القديمة التي ألفت في هذا التأريخ، مثل كتاب «التيجان في ملوك حمير» رواية أبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المتوفى سنة ٢٣١ أو ٢١٨ للهجرة[١]، أو كتاب «أخبار عبيد بن شرية الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها»[٢]، أو كتاب «نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب» لعبد الملك بن قريب الأصمعي[٣] وهو رجل مقتصد بعض الاقتصاد في استعمال الشعر في الرواية بالنسبة لمن تقدمه من الإخباريين والأدباء، أو كتاب «السيرة النبوية» لابن هشام الذي ترك جانباً كبيراً من الشعر الذي ورد في سيرة ابن إسحاق، وهي التي بنى عليها ابن هشام سيرته، ومع هذا بلغ مقدار ما بقى من الشعر في هذه السيرة خمس مادة الكتاب[٤]. حتى الطبري الذي ضمن العهد المدني للرسول «٣١٤» بيتا من الشعر[٥] مع أنه كتاب في التأريخ العام.

وبالنظر إلى تجدد ظهور العصبيات في العصر الأموي لقى علم الأنساب عناية خاصة أدى إلى ازدهاره في القرن الثاني في الأخص، فقد تمكن المتخصصون به من تدوين محصوله في كتب ومن تنسيق علمهم وتبويبه في فصول وأبواب تحمل طابع العلم

---

(١) طبع بمدينة حيدر آباد دكن بالهند سنة ١٣٤٧هـ، وفي ذيله «أخبار عبيد» من ص ٣١١ إلى ٤٨٩.

(٢) «كتاب الملوك وأخبار الماضين» وقد حاز شهرة واسعة، وكان معروفاً في أيام المسعودي، وذكره ابن النديم في الفهرست ص١٣٢ من الطبعة المصرية ص٨٩ طبعة «flugel» .hitti 244

(٣) مخطوطة في المتحف البريطاني رقمه ٩٠٤، ١٢٧٣ وتوجد قطعة منها في مدينة «Gotha» بألمانية، برقم ٣٩. وفي المجمع العلمي العراقي صورة فوتغرافية لمخطوطة المتحف البريطاني.
Brockelmnam. Suppl. Vol. 1. p. 164.

(٤) Noldeeke - Sehwally. vol. . p. 188.
راجع ابن هشام «طبعة وستنفلد» Wustenfeld.

(٥) المصدر نفسه.

وعلى رأس هؤلاء النسابة الكوفي محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ١٤٦[١] للهجرة الذي اعتمد عليه أكثر من جاء بعده من علماء الأنساب بالرواية والنقل من كتبه التي ذهبت بعد ذلك يا أسفاه، وولده هشام بن محمد بن السائب المتوفى سنة ٢٠٤هـ الذي عنى عناية خاصة بتنظيم بحوث والده وتنسيقها وتوسيع نطاقها وإخراجها للناس[٢]، كما عنى بتنظيم روايات من تقدمه ومن عاصره من العلماء مثل أبي مخنف لوط بن يحيى بن سعيد الذي تخصص بالأنساب وبالأحداث ولاسيما أحداث العراق والفتوح[٣]، وعوانة بن الحكم الكلبي المتوفى سنة ١٤٧ للهجرة[٤]، من علماء الكوفة البارزين وهو الذي كان بحكم اتصاله بأقربائه من «كلب» النازلين في الشام المقربين من الأمويين على علم بأخبار الأمويين وصاحب رأي ان لم يكن مع الأمويين فانه لم يكن عليهم فهو من الثقات في سيرة معاوية وبني أمية[٥].

وقد فاق هشام والده في ميله إلى الرجوع إلى المصادر الأصلية والأخذ من الوثائق المكتوبة ولاسيما تأريخ الحيرة وأسرتها المالكة وبتأريخ الفرس، وربما كان يحسن اللغة الفارسية أيضاً. فانه أظهر بذلك براعة وقابلية تقدر في فهم المعنى العلمي لواجب المؤرخ، وهو وان كان نفسه لم يسلم من المطاعن والتهم التي سلطها عليه أصحاب الحديث خاصة فاتهموه بالتزوير والكذب في الرواية فان البحوث الحديثة تدل على أن خصومه لم يكونوا على حق بصورة عامة فيما ذهبوا إليه وانه كان موفقا في تحرياته وانه خطا خطوات واسعة نحو التأليف التأريخي القائم على أساس العلم[٦].

---

(١) الفهرست من ص ١٣٦ - ١٣٧، طبقات ابن سعد ٦/ ٢٤٩، تاريخ بغداد ١٤/ ٤٥، الإرشاد ٧/ ٢٥٠، تذكرة الحفاظ ١/ ٢١٤، التهذيب ٩/ ٢٦٦. Brockelmann, suppl. Vol. I. p. 211.

(٢) ٢٠٦هـ ابن خلكان وفياة ٢/ ١٩٥، الفهرست ٩٥، جرجي زيدان كتاب تأريخ آداب اللغة العربية ٢/ ١٤٩.

Brockmann. G.A.L.vol. 1, p. 139. Suppl. 1. p. 211. Wustenfeld. 26. 42. Goldziher. Muh. Stud. Vol. 1. p. 186.

(٣) الفهرست ٩٣ فوات ٢ - ١٤٠، التهذيب ٤ - ٢٩٥. Brockmann, G,A,L,1. p. 65. Suppl. Vol. 1. p.213.

(٤) الفهرست ١٣٤، وقد روى عن عبدالله بن المعتز عن الحسن بن عليل العنزي عن عوانة بن الحكم انه كان عثمانياً نكان يضع الأخبار لبني أمية مات سنة ثمان وخمسين ومئة، «لسان الميزان ٤/ ٣٨٦».

(٥) له «كتاب سيرة معاوية وبني أمية» الفهرست ١٣٤.

Wellhausen. Das Aarabische Reich und sein Sturz. Berlin. 1902. p. vl.

(٦) دائرة المعارف الإسلامية ص٤٨٥.

وساهم رواة الشعر وعلماء اللغة مساهمة فعلية في تدوين حقل التأريخ، ولما كان الشعر ديوان العرب، صاحب الشعر دراسة المناسبات التي قيل من أجلها وإيضاح غوامضه والتعرض للأيام والرجال وما يستلزم ذلك، كما صاحب الدراسة اللغوية والبحوث عن الكلمات الغريبة أو الأمثال أو اللهجات دراسة الأمكنة والقبائل والأيام والرجال وغير ذلك.

فتكونت من هذه الدراسات ثروة تاريخية عظيمة لا تقدر بثمن أفادت المؤرخ فائدة كبيرة حتى كاد يكون من الصعب فصل التأريخ عن الأدب أو التمييز بين رواة الأدب ورواة التأريخ، ورجال مثل أبي عبيدة المتوفى سنة ٢٠٩[١] أو الهيثم بن عدي[٢] المتوفى سنة ٢٠٩ أو محمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٠ للهجرة[٣] أو الأصمعي عبد الملك بن قريب المتوفى سنة ٢١٦هـ[٤] أو السكرى ابن سعيد المتوفى سنة ٢٧٥[٥] أو غيرهم، كانوا يعدون حلقة اتصال بين الأدب والتأريخ، ولم تفصم عرا هذه الحلقة التي تكونت بين الأدب والتاريخ حتى اليوم فما زال أكثر رجال الأدب يكتبون في التاريخ.

وتضافرت مواد أخرى على نماء «التأريخ» وتطوره، منها علم «التفسير» الذي أوجد أكثر مادة ما قبل الإسلام، أي «المبتدأ» كما اصطلح القدماء عليه، وهو القسم الذي يسبق السيرة وينتهي بابتدائها. وغالبية قصص الرسل والأنبياء والشعوب التي جاؤوا بالرسالة إليها، كتبها المفسرون شرحاً لما جاء في القرآن الكريم وجيزاً، وقد تجمعت المادة الأولى من هذه القصص في الحجاز ولاسيما المدينة، ثم أضيف إليها ما حصل عليه المفسرون في العراق، ولما كانت معارف أهل الكتاب من اليهود والنصارى واسعة في هذه القصص ظهرت «جماعة من العلماء المتطلعين إلى النظر، الذين أرادوا أن يملئوا هذه الثغرات بما هو موجود عند اليهود والنصارى، فأكملوا من

---

(١) 213 - 208. Brockmann, Suppl, 1.p. 162..
الإرشاد ٧ - ١٦٤. زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ٢/ ١٠٠.

(٢) ٢٠٦ - ٢٠٩ هـ الإرشاد ٧ - ٢٦٠. الخطيب تأريخ بغداد ١٤ - ٥٠، الصفدي الوافي ١ - ٥١، اليافعي مرآة ٢ - ٣٢.
Brockmann, G,A,L1. p. 140 suppl. 1. p. 213.

(٣) الفهرست ١٠٦، الإرشاد ٦ - ٤٧٣، السيوطي: البغية ٢٩ G,A.L,1p. 106 suppl. 1p. 165.

(٤) زيدان تأريخ آداب اللغة العربية ٢/ ١٠١ (٢١٤هـ) G,A,L, 1. P. 104. f. suppl. 1. p.163.

(٥) أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري، الفهرست ٧٨، الخطيب ٧ - ٢٩٦ السيوطي: البغية ٢٠٨.
G.A.L.vol. 1.p. 108. suppl.1.p.168.

خيالهم ما وجدوه من نقص، مما هو - في الغالب - من قبيل القصص المتناقض غير المقبول في صورته، ووضعوا ذلك كله تفسيرا للقرآن»(١). وقد تناول تلك القصص جماعة من الأتقياء فاتخذوها موضوعاً لوعظ العامة وزجرهم، غير أن عنصر الخيال دخل فيها فتوسعت مادتها وتشعبت فروعها وتناولت ناحية المغازى والحروب والمستقبل والتنبؤات والملاحم وهي القصص التي تدور حول التنبؤات المتعلقة بانقضاء العالم(٢) وقد أثارت هذه المادة شغف العامة في الأخص فكانوا يذهبون بشوق إلى هؤلاء القصاص الذين اتخذوا المساجد والجوامع والشوارع أحياناً موضعاً لقصصهم الذي تجاوز في كثير من الأوقات حد المعقول، فآل إلى غضب السلطات على القصاص ونهى العلماء عنه. حتى لقد روي إن الإمام أحمد بن حنبل قال: «ثلاثة أشياء لا أصل لها: التفسير والملاحم والمغازي»(٣). ومقصد الإمام من التفسير ولا شك هو التفسير الذي من هذا القبيل والتفسير بالرأي، وهو تفسير كان لا يرتاح له الصحابة فكانوا يجتنبوه بل ينهون عنه.

ولما كان الرسول خاتم الأنبياء والمرسلين كان من الطبيعي لمعرفة تأريخ الرسالة وسيرة الرسول دراسة أحوال الرسل والأنبياء الذين جاؤوا من قبله ونوع رسالتهم والأقوام الذين اتبعوا الرسالة أو رفضوها، فتوسع مجال التاريخ بذلك وارتباط بالتاريخ العام، وأصبحت هذه الدراسة مقدمة لدراسة تاريخ الرسول والرسالة أو «السيرة» كما يقال لها عند العلماء، ويمكن أن يقال عنها أنها «بداية» السيرة، ولذلك قيل لها «المبتدأ» أو «المبدأ»(٤) وتبدأ بتاريخ آدم في العادة، ثم تستمر إلى أن تصل إلى «السيرة»

---

(١) المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن لاكتس كولد ت زهير «Lgnatx Golkiber» ترجمة على حسن عبدالقادر، الطبعة الأولى القاهرة، سنة ١٩٤٤ ص ٥٥ - ٥٦ وسأرمز إليه بـ«المذاهب».

(٢) المذاهب ص٥٥، وقد انتشرت كتب الملاحم في عصور تدهور السياسة العربية والدول العربية في الا خص، وقد تعض لها ابن خلدون في مقدمته فذكر أن كتبا كثيرة ألفت في حدثان الدول نثراً ونظماً، وللملاحم علاقة شديدة بعلم الجفر، راجع عن الملاحم دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الانكليزية) ٣/ ص ١٨٨ - ١٨٩.

De sacy. Chrestomast hie Arabe. Vol. 2. p. 208 - 302.

(٣) السيوطي: الإتقان ٢/ ٢٢٠، الطبري، التأريخ ٢/ ٦٠٧ (طبعة أوربا) س٨.

Goldzider Muhammedanische studin. Hello. 1888 = 1890. vol. 2.p. D.h. Muller. Burgen und Schlosser 1.p. 67. 75.

(٤) ألفت كتب عدة قيل لها «المبدأ» أو «المبتدأ» وهي في قصص الأنبياء.

التي تبتدئ بالنسب أي نسب الرسول، ثم صار العرف أن يلحق بالسيرة قسم آخر يمكن أن يقال له «المغازي»، وهو القسم الثالث والخاتمة.

لقد دل هذا الربط بين السيرة وتأريخ العالم منذ الخليقة إلى المبعث على تطور مهم جداً في الفكرة التاريخية وفي المفهوم التاريخي، دل على شعور المؤرخين بأن التاريخ العربي صفحة من صفحات كثيرة مطوية تكون منها التاريخ العالمي، وأن هذا التاريخ لا يمكن أن يبقى بمعزل عن تأريخ الشعوب الأخرى، وقد تطورت هذه النظرية في القرن الثالث بظهور المؤلفات الواسعة التي أحسنت فأفضت في القسم الثالث فذيلته بتأريخ الخلفاء وبتأريخ الشعوب الإسلامية والأمم غير المسلمة مثل الروم، وان كنا لا نستطيع في الواقع أن نتكلم على تدوين تاريخي منظم منتظم لها، لأسباب قد تكون مقبولة بالقياس إلى عرف ذلك الوقت وعقليته مثل بعد المسافة والاختلاف في الدين والحروب التي باعدت بين الطرفين.

أننا لا نستطيع في الواقع أن نتكهن باسم أول من اتبع هذا الأسلوب ودونه في كتاب، فأما محمد بن إسحاق بن يسار المتوفى سنة ١٥١ للهجرة (٧٦٨م) صاحب السيرة الذي سار في مؤلفه على هذا التقسيم الثلاث «المبتدأ» و«المبعث» و«المغازي» وعده المستشرق «جب» «Giab» أبعد أفقا وأوسع نطاقاً من تفكير سابقيه ومعاصريه، لأنه نزع فيه لا إلى تدوين تأريخ النبي حسب بل إلى تأريخ النبوة نفسها أيضاً، وكان في هذا الأسلوب المبتكر يشمل أقساما ثلاثة «المبتدأ» وهو تأريخ العصر الجاهلي منذ الخليقة وقد استمد أكثره من وهب بن منبه ومن المصادر العبرية، ثم «المبعث» وهو تاريخ سيرة النبي حتى السنة الأولى للهجرة، ثم «المغازي»، وتناول هذا التأريخ إلى وفاة النبي، فانه لا يمكن أن يكون مبتكر هذا الأسلوب في نظري، لأنه سبق أن استعان بمؤلفات «وهب بن منبه» الذي اتبع هو نفسه هذا الأسلوب الثلاثي وتحدث عن تأريخ الرسل والأنبياء بعده إياه مقدمة لازمة للسيرة وتسلسلاً طبيعياً لرسالة الرسول التي جاءت خاتمة الرسالات.

فمن الكتب التي ألفها وهب بن منبه أو أملاها «كتاب المبتدأ»[1] أو «المبدأ»[2]،

---

(١) الفهرست ص١٣٨.

(٢) Ency. Of Islam. vol. 4. p. 1084.

أو «كتاب المبتدأ والسيرة»[1] أو «مبتدأ الخلق»[2]. وقد استعان به الثعلبي في كتابه «قصص الأنبياء»، وهو رواية عبد المنعم بن إدريس بن سنان ابن ابنة وهب ابن منبه المتوفى سنة (٢٢٨) للهجرة[3] وكتاب «السير» ثم «المغازي»[4]، وقد اقتبس الطبري من «المبتدأ»[5]. وربما كان اقتباسه عن طريق سيرة ابن إسحاق، أما «المبعث»، فلم يأخذ منه ابن إسحاق، ولا بد أن يكون ذلك لسبب معقول، هو أنه لم يكن معتمدا عليه في هذه الناحية أو إن العلماء لم يطمئنوا إليه على الرغم من اطمئنانهم إليه في الجملة، ولكن ذلك لا يكفى في الحكم أيضاً فلا بد من التتبع والاستقصاء، فلعل هنالك من سبق وهب بن منبه إلى هذه الفكرة، ولعل هذه الأقسام أخذت أسماءها من سيرة ابن إسحاق، وضعها عبد المنعم بن إدريس أو غيره ممن سنتحدث عنهم. ثم لا بد من البحث عما دونه عروة بن الزبير بن العوام المتوفى بين سنة (٩١) وسنة (١٠١) للهجرة[6] وأبان بن الخليفة عثمان بن عفان المتوفى سنة ١٠٥ للهجرة[7] وشرحبيل ابن سعد المتوفى سنة ١٢٣ للهجرة[8]. وعاصم بن عمر بن قتادة المتوفى بين سنة ١١٩ وسنة ١٢٩[9] ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٢٤ للهجرة[10] وموسى بن عقبة المتوفى سنة ١٤١ للهجرة[11]. فقد ألف هؤلاء في السيرة والمغازي كتباً ذهب الزمن بها ولم يبق منها غير الاقتباسات التي وردت في الكتب التي اعتمدت عليها ونتف مخطوطة في الكراريس والأوراق مثل قطعة محفوظة في مكتبة برلين رأي المستشرق «سخاو» «Sachau» أنها جزء من سيرة موسى بن عقبة[12]. وقيل للذي أخذ

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) ابن قتيبة، المعارف، ص٤، وورد «البدء».

(٣) الفهرست ص١٣٨.

(٤) Ency. Of islam. vol. 4. p. 1.84.

(٥) المصدر نفسه ص١٠٨٥.

(٦) تذكرة الحفاظ حـ١ ص ذكر أنه توفي سنة ٩٤.

(٧) Ency. Of islam. vol. 4. p. 441.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) تذكرة الحفاظ ١/ ١٦٠.

(١٠) Horovitz. The earliest Biographies of the Prophet and their Authors. Isi. Culture 1927. 1. 535 - 59. 1928, II. 22, 164, 82 - 415 - 526.

(١١) Sechau. Des Berliner fragment des m. b. u. ABBa. 1904. x I.

(١٢) Sehwally. Vol. 2. p. 129.

يمارس السيرة ويؤلف فيها ويرويها انه من أصحاب المغازي أو انه من أصحاب السير والمغازي أو من أصحاب السير. وذلك لتمييزهم عن غيرهم من النسابين والإخباريين وأصحاب الأحداث. وحملت أكثر كتبهم أسماء تلك المصطلحات الثلاثة فقيل انه له كتاباً في المبتدأ أو في السيرة أو في المغازي.

لقد كان من الأمور الطبيعية نشوء علم السيرة في المدينة، لأنها الموطن الأصلي للدعوة الإسلامية ومنها انتشر الإسلام فاكتسبت السيرة ثوباً مدنياً، وطبعت بالطابع الذي تميز به أهل الحجاز، وهو ميلهم إلى الحديث، فاتخذت شكل الرواية المجردة من النقد، واستعمال النظر، غير إن هذا الاحتكار وان دام طوال عهد الخلفاء الراشدين وأيام الأمويين بصورة عامة، لم يتمكن من المحافظة على مركزه في العهد العباسي، فتضعضع في أيام الخليفة المنصور بهجرة محمد بن إسحاق أو قبل ذلك بقليل، وظهر منافسون لعلماء السيرة المدنيين، ظهروا في بغداد والكوفة والبصرة، بل في مصر كذلك، وهم وان كانوا قد تأثروا بسيرة ابن إسحاق المستمدة من روحية أهل المدينة، فان الأمور سرعان ما تبدلت عندهم وظهرت روح العراق الميالة إلى النقد والإيجاز وتحكيم العقل بجلاء في الروايات المأثورة عن علماء هذه المدن المدونة في كتب التأريخ.

عمل محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عملاً عظيماً جداً كان له أثر جليل في تطور المغازي والتاريخ فهو أول من قابل بين الأحاديث المختلفة المصادر فوفق فيما بينها وسعى لإدماجها في حديث واحد. وهذا العمل وحده خطوة تقدم جريئة في العرض التاريخي استخدمه المؤرخون في غربلة الروايات التاريخية ووضع خلاصتها في قالب واحد. وان كان هذا العمل قد فتح للعابثين الذين لا يوثق بروايتهم باباً من أبواب العبث[1]. على أن الحوادث قد برهنت فيما بعد على أنه مهماً قيل في هذه الطريقة من نقد ومهما اعترض عليها المعترضون وفي طليعتهم أهل الحديث، فإنها كانت خطوة لا بد منها، إذ ثبت بالتجارب أنه لا يمكن الاستمرار إلى الأبد على عرض التاريخ في أسلوب أهل الحديث وتجزئة الحادثة إلى أجزاء وأشلاء متنافرة بحيث يكون كل جزء من الرواية في مكان، أو بتكديس عدد كبير من النصوص دون ترتيب أو تنظيم أو مناقشة أو إبداء رأي، وهو ما يتطلبه علم التاريخ من المؤرخ الحصيف. وشهد القرن الثاني

---

(١) دائرة ص٤٨٦.

للهجرة توسعاً آخر في البحوث التاريخية بظهور فكرة تدوين تأريخ الخلافة والخلفاء، بعد أن سبق هذا الفرع ظهور مؤلفات كثيرة في «الأحداث» هيأت للمؤرخين الذين دونوا تأريخ الخلافة مادة متينة كانت ضرورية لتدوين التأريخ العام، ووضعت بين أيديهم عدد من الوثائق النادرة التي أخذت من شهود عيان أو من رجال كانوا على اتصال بهم. وعندما اختمرت فكرة التدوين في رؤوس الإخباريين والمتعقبين للأحداث أخذ جماعة منهم في تسجيل مشاهداتهم ومسموعاتهم في صحف وكراريس على مضض، لما كان يوصم به أمثال هؤلاء من الضعف في الحافظة والجهل إذ كان من دواعي الفخر عندهم الاعتماد على الحافظة وحدها في كل وقت ومكان وعدم اللجوء إلى المدونات وعدم الاشتغال بالتدوين[1].

ويكاد العراق يحتل المكانة الأولى بين الأقطار الإسلامية في تدوين كتب الأحداث وكتب تاريخ الخلافة في العهد الأموي، لا ينازعه على ذلك قطر من الأقطار، ويبدو ذلك غريباً، فهو لم يتمتع بمركز الخلافة ألا مدة قصيرة، ولم ينظر إليه الأمويون بارتياح، وقد كان خليقاً بأهل العاصمة تدوين هذا التاريخ، لأنهم أقرب الناس من دائرة الحكم واعرف الناس بأسرار الأمور، وقد كان على أهل الشام أن يكونوا كأهل المدينة في الأقل أولئك الذين خسروا العاصمة ومع ذلك لم يقطعوا صلتهم بتأريخ الخلافة وظل رواتها على اتصال بالأحداث وان كانوا قد اقتصروا في الغالب على ما له علاقة بالحجاز والحجازيين وبالخلافة من حيث علاقتها بالأقطار التي لها صلة بالحجاز عامة. ولذلك كانت مدارسها التاريخية لا تحفل بأمر الشام ألا بقدر ما لهذا الأمر من علاقة بالحجاز، والرواية المدنية رواية لم تكن حقاً في جانب أهل الشام.

كانت المدينة قلب المجتمع الإسلامي النابض، والمكان الذي تبنى الإسلام وحاطه، ولذلك كان لها أهمية خاصة في التأريخ، وطبعت بحكم هذا المركز بطابع خاص في الحديث والرواية، وعرفت بالتدقيق والمحافظة، وظلت محافظة على مركزها هذا إلى ما بعد انتقال الحكم إلى الشام، ولم تكن مقر الطبقة الارستقراطية من قريش حسب، بل ظلت أيضاً المركز الروحي للثقافة الإسلامية إلى أن نازعتها على الرئاسة

---

(١) كان الشعبي يفتخر بعدم اشتغاله بالتدوين. وهناك أمثلة عدة تدل على نفرة العلماء من التدوين. «قال معمر عن هشام «ابن عروة»: «إن أباه كان حرق كتبا فيها فقه». ثم قال: «لوددت أني كنت فديتها بأهلي ومال». تهذيب التهذيب ٧/ ١٨٢ - ١٨٣.

مدينة أخرى هي بغداد، فأخذت مكانها حتى في رواية السيرة والمغازي التي كانت من خصائص المدينة، ثم الحديث.

لفت تاريخ الخلفاء أنظار أهل المدينة بصورة مستمرة على الرغم من عدم اتفاقهم مع الحكومة، كيف وقد كان مستقبل زعمائها مرتبطاً بالسياسة العامة التي كانت توجه الخلافة من الشام، وقد كانوا كما قلنا أكثر اهتماماً بأمور الشام من كل قطر آخر كالعراق أو خراسان. فلما تحولت الخلافة إلى العراق، توجهت أنظارهم نحو هذا المكان، وحلت ديار الشام في المنزلة الثانية عند الرواة. ويظهر من المؤلفات التي اعتمدت على رواة المدينة، أو التي ألفت بتأثير هذه المدرسة، مثل سيرة ا بن إسحاق أو مؤلفات أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن صاحب كتاب المغازي المتوفى سنة ١٧٠ للهجرة[١]. والواقدي وغيرهم أن أهل المدينة كانت عندهم مادة غزيرة في تأريخ الخلفاء، وكانت عندهم وثائق مخطوطة اتخذها هؤلاء وأمثالهم مراجع رجعوا إليها، وأنهم كانوا قد رتبوا أنباء الخلفاء والولاة وحكام الولايات الكبرى وغزو الروم وغير ذلك على صورة حوليات متقنة الصنع رتبت ترتيباً زمنياً عاماً فعاماً[٢].

اقتصر ما ذكرناه على دوائر معينة وانحصر في الخطوط الأساسية الكبرى. فأما في الصورة الاعتيادية، فان رغبة علماء أهل المدينة كانت متجهة نحو الموضوعات المجردة، والأبحاث العامة، فهي لا تميل إلى التفاصيل، ولا إلى الاشتراك الذاتي في الرواية.

كان، ولا شك، بين أهل الشام رواة دونوا تأريخ الفتوحات وتأريخ الأمويين في الشام وتأريخ الإحداث التي وقعت بين لأمويين وخصومهم، وقد تضافرت الدلائل على وجود وثائق في العصر الأموي بدمشق والعراق[٣]. ومن المحتمل أن يكون المصنفون المتأخرون قد اعتمدوا عليها غير أنها فقدت مأسوفا عليها. ولعل للسياسة دخلاً في ذلك ونصيباً، فلم يتسع صدرها، فأصابها الإهمال. ويمكن العثور على آثارها في

---

(١) «أبو معشر له مكان في العلم والتأريخ، وتأريخه احتج به الأئمة، وضعفوه في الحديث». تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٢٢، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبدالحي بن العماد المتوفى سنة ١٠٨٩ جـ ١ ص٢٧٨.

(٢) دائرة ص٤٨٨.

(٣) دائرة ص٤٨٨.

Grohmann. Algemeine Eeinfuhrung in die arabischen papyrie. 1924. p. 27.

مصنفات البلاذري، وعوانة الكلبي الذي عاش في الكوفة ولكنه كان على اتصال دائم بأهل الشام، وكثيراً ما ينقل الطبري عنه في الأمور التي تتعلق بأهل الشام، وكان بها بصيراً، وطالما وازن الطبري بين رواياته وروايات هشام الكلبي الذي يمثل وجهة نظر آهل العراق. ونجد أثر الروايات الشامية حتى في مؤلفات ابن هشام الكلبي عن طريق عوانة خاصة، فان له نزعة ظاهرة في تحزبه على علي مع أهل الشام(١).

والظاهرة البارزة التي نراها على المؤرخين القدماء أن أغلبهم كانوا من أصحاب الحديث، فكانوا يتبعون في تدوينهم وفي معالجتهم للتاريخ أسلوب المحدثين، فظلت طريقة «الإسناد» مرعية رعاية تامة إلى نهاية القرن الثالث، وقد جرح جماعة من المحدثين قسماً من أصحاب التواريخ مثل ابن إسحاق لأنه تساهل في الأسانيد(٢).

وقد سلك المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ للهجرة «٨٤٠» م، وهو من زعماء رواة البصرة، طريقاً وسطاً بين أبي مخنف وجماعته من رواة الكوفة ورواة المدينة الذين عرفوا بشدتهم وصلابتهم في الحديث واستمرارهم على الجاده، فأخذ الروايات العراقية وتناولها بأساليب النقد الذي يتمشى مع مذاهب أهل المدينة، وغدا بذلك المرجع المهم لمصنفات المؤرخين الذين جاؤوا من بعده(٣). وكان للمدائني ولع خاص بتأريخ البصرة وخراسان، ولذلك اعتمد عليه الطبري في كل ما رواه عن هذين المكاني. ويجب أن لا ننسى أنه كان متأثراً بوجهة نظر العباسيين، وتحت هذا المؤثر كتب في سقوط الدولة الأموية ومجئ الدولة العباسية(٤). وقد تأثرت البصرة بمذهب المدائني وبمذهب أهل المدينة، ولوجود علاقات تجارية بينها وبين اليمن تأثرت بآراء الصنعانيين الذين عرفوا بروايتهم الأساطير والإسرائيليات، وهي على الجملة أخف حده من الكوفة، وقرب من الكوفيين إلى مذاهب المحدثين، وأقل تعصباً على الأمويين.

إن التشابه الذي نجده بين طريقة أهل الحديث وطريقة أهل الإخبار والتأريخ في الرواية، دفع جماعة من المستشرقين الذين عنوا بكيفية نشوء علم التأريخ عند العرب

---

(١) دائرة ص٤٨٩.

(٢) دائرة ص٤٩٠.

(٣) ولهوزن: «الدولة العربية»، المقدمة، عن المدائني: تأريخ بغداد للخطيب ١٢/ ٥٤، ياقوت: الإرشاد ٥/ ٣٠٩.

(٤) Wellhausen. The Arab kingdom and its fall. Pp. vii. Ff.

إلى أن يقولوا إن التأريخ وليد علم الحديث، وجماعة آخرين إلى أن يقولوا أن التأريخ وليد علم السيرة والمغازي، وقد ظهرت كتب السيرة والمغازي بعد كتب الحديث، وهي باب من أبواب الحديث. ولذلك كان علم التأريخ وليد علم الحديث، وحجتهم في ذلك أن كتب التأريخ أنما ظهرت بعد كتب الحديث، وأن العرب كانوا في حال من البداوة لا تسمح لهم بالانتباه إلى تدوين مدونات في التاريخ.

وسنرى من خلال دراستنا لمصادر تأريخ الطبري أن هذا الرأي لا يستند إلى حجة، وأن تشابه الحديث والتأريخ في طريقة الرواية لا يمكن أن يكون دليلا على تفرع التأريخ من الحديث، وسنرى أن التأريخ كان قديماً قدم الحديث، وان الناس كانوا يدونون الحوادث ويعنون بتأريخ الماضين، وأن الخلفاء كانوا يعنون به عنايتهم بالحديث، وأن كتباً ألفت في هذا الباب فقدت مأسوفاً عليها كما فقدت أكثر الكتب التي ألفت في الحديث في العهد الأموي، وسنرى أيضاً أن الرواية التي جردت العرب من الترجمة والتصنيف والتأليف في صدر الإسلام وجعلت صدر الدولة العباسية مبدأ العلم والثقافة عند العرب، رواية أملتها السياسة، ووضعتها الدعاية، ولعل هذه الدعاية هي المسؤولة عن ضياع كتب التأريخ التي ألفت قبل ظهور هذه الدولة.

وسنرى أن كتباً ألفت في الإحداث التي وقعت في الإسلام، وكتبا ألفت في الدولة الأموية والأمويين، وكتباً ألفت بأمر من الخلفاء الأمويين، وكتباً ألفت برغبة من عدة من الأسر للإشادة بذكر أسرهم، جرى كل ذلك كما يجري عند سائر الناس وعند سائر الأمم، وأن الذين يحاولون فهم التاريخ العربي على غير هذه الصورة هم على خطأ فيما ذهبوا إليه. فان الإنسان إنسان، وتأريخه تأريخ إنسان لا اقل من ذلك ولا أكثر.

نبغ في القرن الثالث للهجرة عدد من المؤرخين حققوا تلك الفكرة التي جاشت في الرؤوس، وهي تدوين تأريخ عام للعالم استناداً إلى المواد المتقدمة وإلى مواد أخرى سنتحدث عنها حين ندخل في صلب الموضوع، أعنى موضوع موارد تأريخ الطبري، وظهرت مؤلفات في التاريخ العام بدأت بالخليقة، ثم أوجزت في تأريخ الشعوب الأخرى ولا سيما في تاريخ الروم والرومان ولكن الدهر أتى على أكثرها، ولم تكن معلومات المؤرخين في هذا الباب كافية، ولم يدل هذا القسم على قابلية حقيقية لفهم التأريخ، كما أن ما دون باعتداده تاريخاً للعالم لم يكن تاريخاً للكون بالمعنى المفهوم

من التاريخ، ثم ان هذا التاريخ لا يكاد يهتم بتأريخ سائر الشعوب، بل حصر المؤرخون كل انتباههم في تأريخ الإسلام[1].

ومن خيرة المؤلفات التي مكنت من مجالدة الزمان، ووفقت بين المواد المستمدة من التفسير والحديث واللغة والأدب والسيرة وتأريخ الإحداث وتواريخ الخلفاء، فجمعتها في صعيد واحد، وحفظت لنا نماذج من الكتب التي أتى عليها الدهر، كتاب «تأريخ الأمم والملوك»[2] أو «تأريخ الرسل والملوك» أو «أخبار الرسل والملوك» للطبري أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب المتوفى سنة ٣١٠ للهجرة[3]، وقد عرض المؤلف الروايات التاريخية المختلفة ببراعة عرضاً نزيهاً، ناسباً كل رواية إلى صاحبها، تاركاً أمر التعليق عليها إلى القارئ يحكم لها أو عليها بما يشاء.

وقد اعتمد الطبري في كل فصل من فصول كتابه على مراجع منها شفهية أخذها سماعاً من مشايخه، ومنها مؤلفات أجيز برواياتها فأخذ مها، وقد جمع كتابه من مصادر كثيرة فأظهر مقدرة فائقة في الجمع بين المصادر والإطلاع على الكتب التي ألفت قبله، كما أظهر في كتبه الأخرى مثل تفسيره المسمى «جامع البيان في تفسير القرآن» وهو

---

(١) دائرة المعارف ٤٩١، من هؤلاء أحمد بن أبي يعقوب بن واضح العباسي المعروف باليعقوبي المتوفى سنة ٢٧٨ للهجرة. طبع تاريخه المستشرق «هوتسما» Houtsma بعنوان:
Ibn - wadhih qui diaitur al - Jaqubi historiae, 2 vol. Leiden 1883.وطبع في النجف.

(٢) دائرة ص٤٩١.
Ency of Islam vol. 4. p. 579. Brocklmamm G,A,L. vol.1. p. 142. Supplement vol. 1. p. 217. Wensinck Handworterbuch des Islam p. 710.

(٣) راجع عن الطبري: ياقوت، الإرشاد حـ ص ٤٢٣ فما بعد. السبكي: الطبقات ٢/ ١٣٥ فما بعد. الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢/ ٢٥١ فما بعد. الخطيب: تأريخ بغداد ٢/ ١٦٢ فما بعد. السمعاني: كتاب الأنساب ورقة ٣٦٧. ابن خلكان: الوفيات ٢/ ٥٧٧. الفهرست: طبعة flugel ص٢٣٤، ص٣٢٦، (طبعة المطبعة الرحمانية).
Goldziber, Die Literarische Tatigkeit des Tabari nach Ibn Asakir, w, Z,K,M,ix, 1895 p. 359. ff, Th. Noldeke, Geschichte der Perser und Araber zur Zeit der Sasaniden aus der Arab, Chronik des Tabari ubersetzt und mit ausfuhrl. Erlautungen und Erganzungen Verschen, Leiden 1879. Brockelmann, Das verhaltnis Von Ibn el = atris Kamil fi - Ta rih zu Tabaris Ahbar er - Rusul wal Muluk. Strassburg 1890, Goldzher. die Richtungen der Islamschen Koranauslegug, Leiden 1920. pp. 85 f.

كتاب ضخم في ثلاثين جزءا[١]، وفي كتابه «كتاب اختلاف الفقهاء»[٢] مثل هذه المقدرة التي تدل على تمكنه من العلوم وعلى سعة معارفه ومبلغ صبره على العمل. وقد كانت هذه المزايا من جملة الأسباب التي جعلت العلماء ينظرون إلى كتبه نظرة تبجيل وتقدير.

وتفسير الطبري دائرة معارف غنية تتحدث بعلم الرجل وفضله، وقد سار في تأليفه على طريقة التفسير بالعلم[٣]، وبعبارة أخرى بالرجوع إلى أقوال الصحابة والتابعين وما صح وروده عنهم، وهذا في نظره علامة التفسير الصحيح[٤]، فأما التفسير بالرأي فكان يتجنبه وينحى باللائمة على قائله، لذلك كان تفسيره سلسلة أسانيد وروايات رويت عن العلماء اقتنع بإمكان روايتها فدونها في تفسيره[٥]. وقد كان يبدي رأيه فيها فيعلق عليها بصراحة حتى في روايات ابن عباس[٦].

كان الطبري يلاحظ المعنى الظاهر للآية فإذا كان واضحاً لا يعدل عنه إلى التفسير فما إذا كان غامضاً بحيث يستدعى ذلك تفسيرا، رجع إلى الروايات القديمة وما ورد عن السالف فيها[٧]. وإلى اللغة يستعين بها على إيضاح ذلك الغموض. فيورد من شواهد الشعر القديم ومن الأمثلة على نحو ما فعل ابن عباس[٨]، لذلك حوى تفسير الطبري

---

(١) «جامع البيان في تأويل القرآن» القاهرة ١٣٢١ هـ» المطبعة الميمنية، «الميمونية» ١٣٢١ - ١٣٣٠ هـ (المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق)، وأحياناً «جامع البيان في تفسير القرآن» القاهرة ١٣٣١ هـ.
H,Hausleter, Register Zum qorankmt, des Tabari, Strassburg 1912. o. Lotts Tabaris Korankom ZDMG. 35, p. 588 - (1881) 628 Noldecke, Cesch, des Qoran, vol. 2, p, 171.
وقد ترجم إلى الفارسية بأمر منصور بن نوح الساماني.
Grundriss der Iran, Philo. Vol. 2, p, 366, Storey, pers. Liter, 1. ff.
المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن ص٨٤ فما بعدها.

(٢) القاهرة ١٣٢٠ هـ ١٩٠٢م. F, Kern, Kern in ZDMG, 55. pp. 61 -95.4

(٣) المذاهب الإسلامية ص٨٦، جـ ١/ ١٣٢، (أهل العلم) الخلاف بين أهل العلم ومن يفسر القرآن برأيه، ١٢/ ١٢٩، ١٠٣.

(٤) المذاهب الإسلامية ص٨٦، جا/ ٤٣، ٩٧، ١٢٠، جـ٢/ ٤٢.

(٥) Goldezder, die Richtungen der Islamischen Koranusnlegung. Ung. Leiden 1920. p. 85 - 98. المذاهب الإسلامية ص٨٦.

(٦) المذاهب الإسلامية ص٨٧. قال في مجاهد من الرواة عن ابن عباس: إن رأيه «يخالف إجماع الذين لا يمكن نسبتهم إلى الكذب «وما ذكر هنا عن مجاهد لا معنى له وفساد رأيه لا شك فيه».

(٧) المذاهب الإسلامية ص٨٨، جـ ١/ ٥٩، ١١٢، ٣٠٦، ٣٠٧، جـ ٢/ ٢٠٩ جـ ٢٥ ص١٢ سورة الشورى، الآية: ٤٥.

(٨) المذاهب الإسلامية ص٩١، جا/ ١٢٤، ياقوت: الإرشاد ٦/ ٤٣٢.

جملة كبيرة من المسائل اللغوية على اختلاف مذاهب النحويين واللغويين، وأمثله مهمة نادرة من أمثلة الخلاف الذي كان بين البصريين والكوفيين[١].

لقد حصل التفسير على شهرة واسعة عند العلماء حتى قيل ان أبا حامد الاسفراييني المتوفى سنة ٤٠٦ للهجرة قال: «لو سافر رجل إلى أقصى الصين حتى يحصل تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيراً»[٢]. وتكاد تكون هذه الشهرة في مرتبة الإجماع أو شبه الا جماع. فالكتاب سمين المادة، غنى في المصادر، حوى معارف كثيرة، وضمن مراجع لم تتوافر في كتاب آخر، ما في ذلك شك، ألا أن هذا لا يمنعنا أن نقول إن العرض فيه أقوى من الابتكار، والمادة فيه أغنى من الرأي، ويعوزه النقد الايجابي وروحية المجتهد الذي ينفذ إلى أعماق المسائل[٣].

وحقق الطبري في كتابه «اختلاف الفقهاء»[٤] هذا الرأي أيضاً، إذ أورد فيه أقوال الفقهاء إيراداً يدل على شدة حرصه في الجمع، وعلى سعة علمه في الفقه، وذلك مما يندر العثور على أمثاله في الكتب الأخرى، ولكنه لم يتمسك فيه بطريقة الإسناد، ولم يتقيد بقواعد الرواية تقيداً تاماً، فكان يدخل إلى القول رأساً بعد ذكر اسم صاحب القول، كأن يقول «وقال أبو ثور» أو «وقال الأوزاعي» أو «وقال مالك بن أنس» ثم يشير في نهاية القول إلى راويه كأن يقول: «حدثني بذلك العباس عن أبيه عنه» أو «حدثت بذلك عن معاوية عن أبي إسحاق عنه» أو «حدثنا بذلك الربيع» ولم يتتبع هذه الطريقة بالنسبة لأقوال الإمام أبي حنيفة وأصحابه[٥]. فأما بالنسبة لأقوال «أبي ثور»[٦] فانه لم

---

(١) المذاهب الإسلامية ص٩٢.

(٢) ياقوت: الإرشاد ٦/ ٤٢٤، لسان الميزان ٥/ ١٠٢.

(٣) Ency, of Islam. Vol. 4. p. 578.

(٤) «كتاب اختلاف الفقهاء» القاهرة سنة ١٣٢٠ هـ = ١٩٠٢م. طبعة (Kern) نشر المستشرق «يوسف شخت» كتاب الجهاد وكتاب الجزية وأحكام المحاربين من كتاب اختلاف الفقهاء» أخذه من مخطوطة الأستانة، سنة ١٩٣٣ بمدينة ليدن بواسطة مكتبة «بريل». راجع تعليق المستشرق «كيرن» Kern عن كتاب «اختلاف الفقهاء» في «مجلة الجمعية الشرقية الألمانية» سنة ١٩٠١. ZDMG, 1901 p. 61, ff.

كذلك بحث «يوسف شخت» في الأكاديمية البروسية لسنة ١٩٢٨.

Abh, Preuss, Akad. 1926, Phill. Hist. Klasse, nr, 8, nr, 22.

(٥) كتاب الجهاد: مقدمة شخت ص xxii. xvlll Leiden, 1993. Wensinck, p. 410.

(٦) مقدمة ص xviii.

يتقيد بالإسناد قط[1]. ويعد هذا العمل عملاً جريئاً في نظر المحدثين، وهو في حد ذاته تطور كبير ظهر في هذا القرن. ومن رجاله الذين روى عنهم في هذا الكتاب يونس بن عبد الأعلى المتوفى سنة ٢٦٤ للهجرة، وكان فقيهاً على رأس علماء مصر[2] ومن رواة الإمام الشافعي، تعرف به الطبري على ما يظهر في أثناء إقامته بمصر، وقد اقتصر عليه الطبري في رواية أقوال مالك بن أنس، وهو يرويها بطريقتين: طريق أشهب عن مالك، وطريق عبد الله بن وهب المتوفى سنة ١٩٧ للهجرة رواية كتب مالك وسننه وموطئه[3]. وقد أورد في كتابه قطعاً لم تنشر في الكتب الأخرى المعروفة من كتب مالك تساعد كثيراً على فهم مذهب الإمام، والظاهر إن الطبري لم يكن له علم بكتاب «المدونة الكبرى» لسحنون المتوفى سنة ٢٤٠ للهجرة[4]، وهو من الكتب المهمة في فقه المالكية، لذلك لم ينقل منه شيئاً[5].

واعتمد الطبري في رواية فقه الأوزاعي الذي تعرف مذهبه في إثناء إقامته بمدينة «بيروت» على عالمين هما العباس بن الوليد بن مزيد المتوفى سنة ٢٦٩هـ. عن الأوزاعي، ثم معاوية عن أبي إسحاق الفزاري[6]، ومن معاوية هذا أخذ الطبري كذلك

---

(١) أبو ثور إبراهيم بن خالد بن اليمان الفقيه الكلبي، أخذ عن الشافعي، وروى عنه وخالفه، وأحدث له مذهباً اشتقه عن مذهب الشافعي، له مبسوط على ترتيب كتب الشافعي، تفقه أكثر أهل أذربيجان وأرمينية على مذهبه. توفي سنة ٢٤٠هـ له كتب في الفقه. الفهرست ص٢٩٧.

(٢) تذكرة الحفاظ ٢/ ٨، روى عن ابن عينية، وابن وهب، الشذرات ٢/ ١٤٩، الوفيات ٢/ ٥٥٣.

(٣) الفهرست ص٢٨١، Ency, of Islam, vol, 3, p 207, 281 أبو محمد عبدالله ابن وهب الفهري، «مولده سنة ١٢٣٥ هـ» روى عن ابن جريح وتفقه بمالك والليث وله تصانيف كثيرة. الشذرات ١/ ٣٤٨.

Wensinck und Kramers, Handworterduch des Islam, Leiden 1941, p, 410.

أشهب بن عبدالعزيز أبو عمرو العامري صاحب مالك. توفي في ثامن عشر شعبان سنة ٢٠٤هـ الشذرات ٢/ ١٢.

(٤) الشذرات ٢/ ٩٤. Ency, of Islam, vol. 3. p. 207. Wensinck p. 411.

سحنون عبدالسلام بن سعيد بن حبيب التنوخي، ضحى الإسلام ٢/ ٢١٥ فما بعدها. اليافعي: المرآة ٢/ ١٥١. Brocklemañ suppl. Vol. 1. p. 299.

(٥) الفقهاء ص xix.

(٦) وقيل سنة ٢٧٠ أو ٢٧١ للهجرة. تهذيب التهذيب ٥/ ١٣٢، الشذرات ٢/ ١٦٠.

الفقهاء ص xix وما بعدها. De Goeje, Annals, Inteoduetio. P. ixix.

أقام أبو جعفر الطبري ببيروت سبع ليال يبيت في المسجد الجامع بها حتى ختم القرآن بهذه الرواية تلاوة على العباس بن الوليد .p. lxxll

أقوال سفيان الثوري، وهي في جملة أقوال الأوزاعي[١]. ومن شيخ آخر هو علي عن زيد[٢]. وترد أقوالهما في رواية واحدة في الغالب، وقلما يختلفان[٣].

أما فقه الإمام الشافعي، فقد أخذه عن شيخه الربيع بن سليمان المرادي المتوفى سنة ٢٧٠ للهجرة[٤]، وقد نزل عليه الطبري في إثناء إقامته بمصر. ولم يرد لكتاب «الأم» المنسوب للإمام الشافعي ذكر في كتاب الطبري، وذلك مما يدل على أنه لم يكن يعرف هذا العنوان[٥]. وأما فقه الإمام أبي حنيفة وأصحابه: أبي يوسف يعقوب ابن إبراهيم المتوفى سنة ١٨٢ للهجرة، ومحمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة ١٨٩هـ من كبار رجال المذهب، فقد أخذه في الأكثر من الحسن بن زياد اللؤلؤي المتوفى سنة ٢٠٤ للهجرة[٦]، أو من تلامذته ومن أبي سليمان الجوزجاني «الجزجاني»[٧] راوي كتب محمد بن الحسن، وكثيراً ما يورد الطبري أقوالهما بالإسناد.

---

(١) الفقهاء ص xx وما بعدها، سفيان الثوري: هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبدالله الكوفي المتوفى سنة ١٦١ للهجرة. تهذيب التهذيب ٦/ ١١٤، تذكرة الحفاظ ١/ ١٩٠. «إبراهيم بن محمد بن الحارث أبو إسحاق الفزاري الكوفي» مات سنة ١٨٥ أو ١٨٦ أو ١٨٨ للهجرة، أو من عمل في الإسلام إصطرلاباً وله فيه تصنيف. وهو صاحب كتاب السير، قال الشافعي لم يصنف أحد في السير مثله. تهذيب التهذيب ١/ ١٥٢ - ١٥٣، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٥١، معاوية بن عمرو بن المهلب الازدي مات سنة ٢١٣ أو ٢١٤ للهجرة، روى كتاب السير لأبي إسحاق الفزاري، تهذيب التهذيب ١٠/ ٢١٦.

(٢) الفقهاء ص xxl.

(٣) الفقهاء ص xxl.

(٤) الفهرست ص٢٩٧. Encty, of Islam, vok4. p. 253 الشذرات ٢/ ١٥٩، الوفيات ١/ ٢٢٩.

(٥) يظهر أن التسمية جاءت متأخرة. راجع Wensinck, p.660 طبع في القاهرة سنة ١٣٢١ - ١٣٢٥هـ.
Brockelmann, Suppl. Vol. 1. p. 304.

(٦) الحسن بن زيادة اللؤلؤي أبو علي من أصحاب أبي حنيفة، ممن أخذ عنه وسمع منه. وكان عالما بمذاهب أبي حنيفة في الرأي، له من الكتب كتاب المجرد لأبي حنيفة روايته، كتاب أدب القاضي، كتاب الخصال، كتاب معاني الإيمان، كتاب النفقات، كتاب الخراج، كتاب الفرائض، كتاب الوصايا، الفهرست ص٢٨٨. الشذرات ٢/ ١٢.

(٧) أخذ عن محمد بن الحسن، ولا مصنف له، وإنما روى كتب محمد بن الحسن الفهرست ص٢٩٠، عقد الجواهر ٢/ ١٨٦ توفي بعد سنة ٢٨٠ للهجرة.
الجوزجاني أبو سليمان موسى بن سليمان المتوفى بعد سنة ٢٨٠ للهجرة Brockmann, suppl. 1, p, 291 - 292.

ان هذا التساهل الملحوظ في الإسناد في كتاب «اختلاف الفقهاء» يقابله تشدد ومحافظة عليه في كتاب «تاريخ الرسل والملوك» ونضج تام في الرواية على طريقة أهل الحديث، فتبدأ الحوادث عنده بذكر السند أولاً كان يقول «حدثني ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني محمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر قال. . .»، أو «حدثنا محمد ابن عبد الله بن عبد الحكم قال حدثنا أيوب بن سويد عن الأوزاعي قال حدثنا إسماعيل ابن عبد الله قال قدم أنس بن مالك على الوليد بن عبد الملك فقال له الوليد. . .»، وهي صيغ مقبولة عند المحدثين، متصلة السند، ليس بينها فاصل لا قطع، سار على ذلك جملة في الكتاب ألا في مواضع يظهر أنه لم يأخذها عن طريق الرواية، وإنما أخذها من الكتب أو عن طريق الإجازة بالرواية من الكتب، فذكر عبارات لا تستحب عند المحدثين أهمل فيها اسم المحدث، مثل قوله «حدثت عن فلان» انه قال حدثني، أو «ذكر عن فلان أنه قال. . .»، استخدم هذه الصيغ في تأريخ الفرس حيث أكثر منها بالنسبة لأقوال هشام بن الكلبي[1]. والظاهر أنه أخذ ذلك من كتب هشام، وألا فانه كان يذكر في المواضع الأخرى أسماء الرواة الذين حدثوه عنه كما سترى فيما بعده واستخدم في الأجزاء الأخيرة من كتابه مثل هذه الصيغ: «ذكر لي بعض أصحابي. . .» أو «ذكر لي جماعة من أصحابنا. . .»، أو «ذكر من رآه وشاهده. . .»، أو «حدثني جماعة من أهل. . . .»، أو «أخبرني جماعة من أهل الخبرة. . . .»، أو «ذكر هذه القصة بعض أصحابنا عمن حدثه أنه حضر. . .»، وهي صيغ تدل، ولا شك، على التساهل في السند، ولا بد أن يكون له سبب بعد أن نعلم أنه قد استخدم هذه الصيغ في الأقسام الأخيرة من التاريخ. أي في الحوادث التي وقعت قبيل أيامه وفي أيامه. ولعله فعل ذلك ارضاءا لمحدثيه الاحياء، وخوفا من غضب من يشملهم الحديث، لما لهذه الأحاديث من علاقة بالسياسة العامة.

واستعمل أحياناً صيغاً تدل على أنه نقل ما سيقوله من المؤلفات بلا واسطة مثل قوله «قال ابن الكلبي. .» أو «قال محمد بن إسحاق. . .»، أو «قال الواقدي. . . .»، أو «ذكر ابن الكلبي»، وأمثال ذلك، وهي صيغ ترد عند مؤلفين آخرين ممن لم يتقيدوا بالسند، أو لم يكن من عادتهم التمسك بالسند تمسكاً تاماً، مثل أحمد بن يحيى ابن

---

(١) راجع هذا القسم من تاريخ الطبري.

جابر البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩ «٨٩٢م» في كتابه المهم «أنساب الاشرف»[١]، فانه تمسك بالسند في موضع، وأهمله في موضع آخر، وهو في الواقع من أوائل من حاول التوفيق بين المواد المستمدة من السيرة والمصادر الأخرى محاولة منه لإدماجها في رواية واحدة متماسكة[٢]. ولما كانت الرواية هي الطريقة المحببة إلى نفس الطبري في تأريخه، والرواية لا تستلزم ذكر أسماء الكتب، إنما يقوم اسم الراوي مقام كتابه، مع ما في هذه الطريقة من أخطاء، وجدنا الطبري يعرض عن ذكر المراجع الكتابية التي اعتمد عليها، لم يشذ عن هذه القاعدة ألا في مواضع معدودة كالذي قاله مرة حكاية عن عمر بن شبه البصري الإخباري المتوفى سنة ٢٦٢ للهجرة[٣].

وهو صاحب مؤلفات كثيرة في الأخبار، منها كتاب الكوفة، وكتاب مكة. واعتمد على كتبه الطبري فقتبس منها في كتابه، وحدثني عمر مرة أخرى في كتابه الذي سماه كتاب أهل البصرة فقال. . .»[٤]، غير إن هذه المواضع تعد بالنسبة للنسق الذي سار عليه في «تأريخ الرسل والملوك» من قبيل الشواذ.

وقد سببت طريقة الطبري هذه خسارة كبيرة للمراجعين والباحثين، فالسند على ما فيه من حسنات لا يخلو من سيئات، فلأكثر المشايخ الذين ذكرهم الطبري في أسانيده مؤلفات عديدة، فمن أي مؤلف من هذه المؤلفات نقل الطبري قوله، ثم ان في اهمال عناوين الكتب خسارة فادحة للعلم، لأننا قد حرمنا بذلك ثروة قيمة يمكن أن تكون عوناً لنا في تحقيق المخطوطات وفي معرفة الثروة العقلية التي خلفتها لا الثقافة العربية وما نعرفه اليوم من أسماء الكتب لا يعد في الحقيقة شيئاً بالنسبة إلى المفقود.

ولما كان التأريخ صدر الإسلام أكثر حساً من غيره، وفيه روايات أملتها عاطفة

---

(١) من كتبه «فتوح البلدان» طبع بعناية «دي غوية» وفي القاهرة ١٣١٨هـ.
Liber expgnations Regionum auctore al - Beladsori quem, edidit m, j. dr goeje, Leiden, 1866.
ونشرت أجزاء من كتاب «انساب الإشراف». نشرتها الجامعة العبرية في القدس بعناية «غوتابن». ياقوت. الإرشاد ٢/ ١٢٧.

(٢) دائرة ص٤٩١.

(٣) الفهرست ص١٦٣ وسأتحدث عنه بتفصيل في المكان المناسب له. «وصنف تاريخ البصرة» الوفيات ١/ ٤٧٨. الشذرات ٢/ ١٤٦.

(٤) الطبري ٦/ ١٦٦ (الطبعة المصرية). كتاب البصرة (كتاب الكوفة) «كتاب المدينة» كتاب مكة كتاب أمراء البصرة. له كتب كثيرة الفهرست ص١٦٣.

الرواة، أو السياسة، أو اختلاف وجهات النظر والفهم، وكان هذا القسم موضع مناقشة وموطن جدل، فكان على الطبري، وهو مؤرخ محايد إتباع طريقة «جمع الأصول» وتكديسها بعضها على بعض وتدوينها على صورة روايات المسؤول عنها رجال السند، أقول: كان في رأيي عرض كل رواية عرضاً كاملاً من أولها إلى آخرها كما أخذها من شيخه، فإذا انتهت سرد الرواية الثانية على نحو ما أخذها، ثم يشرع في سرد الرواية الثالثة عن الحادثة نفسها، وهكذا. وبهذا السرد تتكون لدى القارئ فكرة واضحة عن الأوجه المختلفة التي وردت عن الحادث الواحد فيستطيع أن يوازن بين هذه الآراء، ويرجح بعضها على بعض، ويكون نظرة ايجابية خاصة في الموضوع. غير ان الطبري لم يسلك هذا الطريق، بل كان يروي الحديث ناسباً إياه إلى محدثه، فإذا وصل إلى موضوع مختلف فيه قطعه ليذكر مواضع الاختلاف مشيرا إلى ذلك بعبارات مثل «واما فلان فقد قال غير هذا القول قال. . . » أو وأما فلان فانه قال أو فقد قال غير هذا القول قال فيما حدثني فلان. . . ، أو وأما الكلبي محمد بن السائب فانه فيما حدثني الحارث بن محمد عن محمد بن سعد عن هشام قال أخبرني أبي، أو وقال ابن إسحاق فيما حدثنا فلان عن فلان، ثم يسرد مواطن الاختلاف فإذا انتهى منها عاد إلى المتن إلى الموضع الذي وقف عليه، فيمهد الكلام بإشارة تدل على استئنافه كان يقول: «رجع الحديث إلى حديث فلان. . . » وقد تتداخل المتون ويشتبك الحديث، فيشير حينئذ إلى ذلك بقوله: دخل حديث بعضهم في بعض.

وهذه طريقة تربك القارئ، فتنسيه الحادث الأصلي، وتنقل فكرة من الأصل إلى الفرع. استدرجت الطبري في كثير من المواضع، فوجهت عنايته إلى التفصيل في المسائل الفرعية وبالأشخاص الذي ليس لهم علاقة وثيقة بالرواية، فغض النظر عما كان يجب أن يتحدث عنه، ونسى أشياء كان لها علاقة مباشرة بصلب الموضوع. ولكنا يجب أن نعترف من جهة أخرى بحرص الطبري على جمع الأخبار الجديدة وترتيب الروايات، فانه كان ميالا دائماً إلى الإكثار من الإخبار الواردة عن حادث واحد، يضعها بعضها فوق بعض أو يوحدها بحيث يشمل ذلك كل تلك الروايات الواردة عنه(١).

وإذا حدث ورود اختلاف بين وجهات أنظار الرواة، وسطر تلك الروايات، عقب

---

(١) الطبري ١/ ١٥٦٥ (طبعة ليدن) .Schwally, 2,p, 140

عليها أحياناً ببعض الجمل التي تشير إلى ذلك، مثل قوله (قال أبو جعفر: واختلف السلف من أهل العلم في. . . .» ذكر من قال ذلك. . . فقال بعضهم. . . وقد وافق قول من قال. . . وقال آخرون. . . قال أبو جعفر وقد وافق قول من قال. . .» وأمثال ذلك، لكنه قلما كان يبدي آراءه في الحوادث فيناقشها مناقشة عميقة أساسية بصراحة تامة. وأما ما جاء في مواضع من إسناد الكتاب مما يشعر أنه نقد لعدة روايات مثل قوله «قال أبو جعفر والصحيح عندنا في ذلك»، أو «أنا أشك في ذلك، أو جمل يشعر منها النقد أو الترجيح مثل «وقد زعم بعضهم» أو «قيل» أو «يقول»، فإنها ليست نقدا بالمعنى العلمي الحديث مع قلة هذه المواضع بالنسبة للعرض العام الوارد في الكتاب، وهذا ما يذكرنا الصراحة التي استعملها الطبري في صفحات تفسيره في نقد الآراء والروايات، وقلما نجد لها مثيلا في التأريخ، على الرغم من الإفاضة والإشراق الظاهرين على رواياته، ولعل لاختلاف طبيعتي الموضوعين دخلا في هذا التفاوت[١]. ولهذا السبب عد المستشرق «شواله» «Schwally» طريقة الطبري هذه في عرض التأريخ على طريقة أهل الحديث طريقة فريدة في بابها، ألا أنه وجدها من جهة أخرى رجوعاً إلى الوراء من الوجهة الفنية، ألا أن مما يعوض من هذا النقص غنى الكتاب بالمراجع والمصادر التي تفيد في البحث وقلما تتيسر في كتاب آخر، وهو مما يرفع من منزلته في أنظار الباحثين، ونختص بالذكر فصولاً مهمة وقطعاً من كتب لم تنشر حتى الآن تساعد الناشرين على التحقيق[٢].

أثبتت التجارب أن الاعتماد على الرواية في التأريخ أمر لا يليق بالمؤرخ القدير، ولا سيما في النسبة لتدوين تاريخ الزمن الذي يعيش فيه المؤرخ، إذ يجوز أن يكون الراوي ثابتاً صادقاً موثوقاً به ألا أنه كان منفعلاً متأثراً بعاطفته، أو أنه يأخذ الأمور دون تحقيق، أو أن الرجل الذي وثق به الراوي فأخذ حديثه منه كان غير صادق في قوله، أو أنه كان متأثرا أو منفعلا من الحادث، أو أنه لم يفهم الخبر فهماً صحيحاً، ولذلك كان الصحابة مع فضلهم وعلمهم يختلفون في خبر واحد لاختلاف مداركهم في الفهم، فلا بد اذن من الرجوع إلى الوثائق الأصلية وإلى الكتابات الرسمية والأضابير، واستخدام طرق النقد، وقد كان عمل ابن الكلبي في هذه الناحية عملاً متميزا جداً بالنسبة إلى عمل

---

(١) دائرة ص٤٩٣.

(٢) Schwally, 2, p, 141.

الطبري قلما سلكه المؤرخون. فانه كان يذهب بنفسه إلى الكنائس والديارات فيسأل عن المدونات. ومن هذه الناحية أيضاً لفت الأنظار ضعف القسم الأخير من كتاب الطبري - وهو القسم الذي يشمل تاريخ الأيام التي عاش فيها إلى أن معالجة التاريخ بالاعتماد على الرواية وحدها لا يكفى، فلا بد من الرجوع إلى سجلات قصور الخلفاء ودواوين الأعمال وما دونه رجال السياسة والتدبير[1].

إن كتاب الطبري، وان كان قد أنهاه في بداية القرن الرابع للهجرة يمثل في الواقع نتاجاً كان خاتمة نتاج القرن الثالث، القرن المشرق بالنسبة للرواية العربية والأسلوب العربي الصميم في التأليف، والحق أن هذا الكتاب وحده كان رمزاً لختام عصر من عصور التاريخ، وبداية تطور في تأريخ التأريخ.

كان الطبري محدثاً بدأ حياته العلمية بدراسة الحديث، فكان حرياً أن يتأثر بطريقة المحدثين في جمع الرواية التاريخية ونقدها، وكان يجمع مأثور الروايات ويدونها مع إسنادها إلى مصدرها الأصلي، مثل شيخ يثق به، أو عدل شارك في الحادثة أو كان له علم بها، أو كتاب تدارسه بالسند المتصل قراءة وسماعاً وإجازة، أو من جماعة من أهل البادية، أو القادمين من الأمصار بعد وثوقه بهم، فأصبح النقد أي الجرح والتعديل - وهو فن بلغ أوج الرقى عند المسلمين - ذاتياً منصباً على الرواة، للراوي الاعتبار والمنزلة عند المؤرخ، لا ما يقوله من مرويات، قد ضمنت هذه الطريقة صحة الأخبار بالنسبة للعصور الإسلامية، ولكنها عجزت عن ان تضمن ذلك في أخبار ما قبل الإسلام، وكان هذا القسم في نظر المؤرخ الحديث أضعف نواحي كتب التأريخ عند العرب[2]. ومع ذلك كان لطريقة الطبري هذه فضل عظيم في المحافظة على النصوص التاريخية وبعض الفصول والنتف المهمة التي أصبحت اليوم في خبر كان.

لقد كان تأريخ الرسل والملوك عملاً رائعاً جداً يشهد لصاحبه بالبراعة الفائقة وسعة العلم، فلم يعن أحد من المصنفين المتأخرين بجمع وتحقيق جديدين، ولم يتوافر

---

(١) دائرة ص٤٩٣. وقد حدثت عن هشام بن محمد الكلبي إنه قال: أنى كنت استخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمارمن عمل منهم لآل كسرى وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة وفيها ملكهم وأمورهم كلها». الطبري ٢/ ٣٧

(٢) تعليق عبدالحميد العبادي على «علم التأريخ» ص٦٦، راجع كذلك كتاب «مصطلح التأريخ» تأليف أسد رستم، الباب السادس العدالة والضبط ص٨٦ نما بعدها.

عندهم ذلك الشغف الذي وجدناه عند الطبري في جمع مختلف الروايات، لقد أخذت طائفة منهم ما ورد عن البلاذري مما لم يرد له ذكر عند الطبري، فأضافوه إلى ما أخذوه من الطبري، غير إنهم كانوا في أكثر الأحيان يبداون حيث انتهى الطبري، وللطبري في كل ذلك فضل عظيم[1].

أما مذهب الطبري في التاريخ ووجهة نظرة للحوادث، فيمكن إدراكها من مقدمته لكتابه، نراه في هذه المقدمة عالماً مولعاً بالحفظ والرواية، يهتم بالجمع وتركيز الروايات، دون عناية بالفائدة العملية، فلذلك تضاءلت وجهات نظره بإزاء آراء الرواة، فلا يتبين رأيه بين معرض الآراء. ورجل مثل الطبري قطع شوطا كبيراً من حياته في التنقل في أهم الأقطار الإسلامية في الأقطار التي كانت مركز الحياة الثقافية في الشرق القديم، وزار المدن التي كانت تجاور آثار أقدم مدن العالم، وكانت تناديه ليكتب تاريخها كتابة شاهد عيان، ان هذا الرجل الذي دون التأريخ القديم بإفاضة لا تجدها عند غيره، لم يكتب عن مشاهداته، ولم يتحدث عن الخرائب التي مر بها أو التي كان يتحدث عنها الناس، فلم يصف لنا الحيرة ولا واسطاً في الأقل ولا مكاناً آخر إسلامياً أو جاهلياً، ولم يدون شيئاً من تواريخ المدن التي مر بها، على النقيض من المسعودي مثلاً الذي سجل في تضاعيف كتبه ملاحظات وان كانت مبعثرة غير منتظمة، تدل في الواقع على حب استطلاع وقابلية لفهم واجب المؤرخ وميل إلى النقد الذي هو من أهم مستلزمات التأريخ. وتحدث عن عادات الشعوب التي زارها وعقائدها وأديانها وعادتها الاجتماعية وغرائب الطبيعة وغير ذلك. كل هذه الأمور لم تلفت نظر الطبري، ولم تحرك منه ساكناً.

الطبري متيم بالروايات يذكرها على علاتها، وللقارئ أن يستخرج منها ما يشاء وأن يعتقد نيها ما يشاء، لا يهمه ذلك بقدر ما تهمه الناحية التعليمية من التأريخ. هذه فلسفته، وهذه وجهة نظره، تتمثل لك في قوله: «وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أنى راسمه فيه، إنما هو على ما رويت من الأخبار التي انا ذاكرها فيه والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه دون ما أدرك بحجج العقول واستنباط بفكر النفوس ألا القليل اليسير منه، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين وما هو كائن من أنباء الحادثين غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم

---

(١) دائرة ص٤٩٣.

يدرك زمانهم ألا بإخبار المخبرين ونقل الناقلين دون الاستخراج بالعقول والاستنباط بفكر النفوس. فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما ينكره قارئه، أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا. وانا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا»[1]. هذا هو رأي الطبري في التأريخ، ويحسن بهذه المناسبة الموازنة بين هذا الرأي ورأى مؤرخ آخر عاش متأخرا بالنسبة للطبري، ولكن ذلك لا يمنع أبداً من الموازنة بين الرجلين، وهذا المؤرخ «ابن مسكوية» وهو ممن نقل من تاريخ الطبري، ونال الإجازة بروايته من «ابن كامل» راوى هذا التاريخ.

التأريخ في نظر ابن مسكويه تجارب مدونة مرت على السلف يحسن بالخلف الإطلاع عليها وقراءتها واتخاذها إماماً يقتدى به عند حدوث الملمات، «فان أمور الدنيا متشابهة، وأحوالها متناسبة، وصار جميع ما حفظه الإنسان من هذا الضرب كأنه تجارب له، وقد دفع إليها واحتك بها، وكأنه قد عاش ذلك الزمان كله، وباشر تلك الأحوال بنفسه، واستقبل أموره استقبال الخبير، وعرفها قبل وقوعها، فجعلها نصب عينه وقبالة لحظه، فأعد لها أقرانها، وقابلها بأشكالها، وشتان بين من كان بهذه الصورة وبين من كان غراً غمراً، لا يتبين الأمر ألا بعد وقوعه، ولا يلاحظه ألا بعين الغريب منه بحيرة كل خطب يستقبله، ويدهشه كل أمر يتجدد له. . .»[2].

دفعت هذه النظرية التجريبية ابن مسكويه إلى الاقتصار في تأريخ ما قبل الإسلام على كل ما له فائدة وعظة من الناحية التعليمية، وإلى ما يتصل بالسياسات وعمارات البلدان، وجمع كلمة الرعية، وإصلاح نيات الجند وحيل الحروب ومكايد الرجال وما تم منها على العدو وما رجع على صاحبه، وذكر الأسباب التي تقدم بها قوم عند

---

(١) الطبري التاريخ ١/ ٥. (طبعة لايدن) دورة أولى ١/ ٦.

(٢) تجارب الأمم وتعاقب الهمم (Gibb) جـ ١ ص١. (طبعة امدروز) القاهرة سنة ١٩١٤ ترجمة المؤلف ١/ ٢.

ابن مسكويه هو أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب مسكويه، مات سنة ٤٢١ للهجرة. ياقوت: الإرشاد ٢/ ٨٨ فما بعدها، ابن القفطي: تأريخ الحكماء ص٣٣١. (طبعة Lippert) (روضة الأفراح ونزهة الأرواح) أو (نزعة الأرواح وروضة الأفراح) لشمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري الأشراقي. ورقة ١٨٣ «أحمد بن محمد مسكويه» وفي المجمع العلمي العراقي صورة فوتغرافية لمخطوطة المتحف البريطاني .(Add, 23365)

Brockmann G,A,L,vol, 1,p.·Ç. Suppl, 1,p,582, Ency, of Islam, vol, 2, p, 404.

السلطان والأحوال التي تأخر بها آخرون. وغايته من ذلك قبل كل شي أن يكون علم التأريخ علماً للوزراء والسياسة ومن يبدهم الحل والعقد. قال: «فلذلك جمعت هذا الكتاب، وسميته «تجارب الأمم» وأكثر الناس انتفاعاً به وأكبرهم حظاً منه أوفرهم قسطاً من الدنيا كالوزراء وأصحاب الجيوش وسواس المدن ومعتبري أمر العامة والخاصة ثم سائر طبقات الناس، وأقل الناس حظاً لا يخلو له أن ينتفع به في سياسة المنزل وعشرة الصديق ومداخلة الغريب، ولم يعدم مع ذلك السمر الذي وجد في القسم الآخر الذي أطرحناه. . . .»[1].

هذه الأسباب المذكورة هي التي جعلت ابن مسكويه يكتفى من الماضي بذكر الحوادث المهمة التي لها فائدة عملية للإنسان، فلم يتبسط في سرد القصص الشعبية والأساطير التي رويت عن الأقوام القديمة، ولم يحفل بالإسرائيليات، لأنه وجد هذا النمط من «الأخبار مغموراً بالأخبار التي تجرى مجرى الأسمار والخرافات التي لا فائدة منها غير استجلاب النوم والاستماع بأنس المستطرف منها، حتى ضاع بينها وتبدد في أثنائها، فبطل الانتفاع به، ولم يتصل لسامعه وقارئه اتصالاً يربط بعضه بعضاً، بل تنسى النكتة منها قبل أن تجئ أختها. . . ولهذا السبب بعينه لم نتعرض لذكر معجزات الأنبياء صلوات الله عليهم وما تم لهم من السياسات بها، لأن أهل زماننا لا يستفيدون منها تجربة فيما يستقبلونه من أمورهم، اللهم ألا ماكان منها تدبيراً بشرياً لا يقترن بالإعجاز. . . وأنا مبتدئ بذكر الله ومننه بما نقل إلينا من الأخبار بعد الطوفان، لقلة الثقة بما كان منها قبله، ولأن ما نقل أيضاً لا يفيد شيئاً مما عزمنا على ذكره وضمناه في صدر الكتاب»[2].

اقتصد ابن مسكويه في إخبار ما قبل الإسلام، ولم يتبسط ألا في أخبار الفرس وهو منهم، مدفوعاً إلى ذلك بعاطفته وشعوره القومي. فأما الطبري، فقد تبسط في كل شيء فيما قبل الإسلام وفيما بعد الإسلام، لأنه رجل عالم محدث يريد أن يقدم علمه للناس، وأن يضع ما وعاه في خدمة طلاب العلم.

وطريقة تدوين التأريخ على صورة «حوليات» يتقيد فيها المؤرخ بترتيب السنين، من الطرائق التاريخية القديمة، وقد عرفت عند الآشوريين، والمصريين، والبابليين،

---

(١) تجارب الأمم جـ ١ ص١.

(٢) تجارب الامم جـ ١ ص٢.

واستعملها كثيراً مؤرخو اليونان والرومان. والفرق بينها وبين طريقة «التأريخ» (Chronieles) التي تتقيد بالترتيب الزماني كذلك، أن الطريقة الثانية وان كانت تراعى الترتيب الزماني، لا تتقيد بتسجيل الحوادث على حسب ترتيب الشهور والسنين[١]. وقد جمع أكثر من كتب في التأريخ العام من العرب بين هاتين الطريقتين على نحو ما فعله الطبري.

راعى الطبري في ترتيب كتابه تسلسل الحوادث، فرتبها على حسب وقوعها عاماً بعد عام منذ الهجرة إلى نهاية عام ٣٠٢ للهجرة، فذكر في كل سنة ما وقع فيها من أحداث رآها تستحق الذكر. أما إذا كانت الحادثة طويلة، فانه كان يجزئها على حسب السنين التي وقعت فيها، أو يشير إليها مجملا ثم يذكرها بالتفصيل في الموضع الملائم. ويقال لهذه الطريقة «Annals» أي «الحوليات».

أما القسم الأول من كتابه وهو القسم الخاص بما قبل الإسلام إلى الخليقة، فقد اتبع فيه طريقة أخرى في عرض الحوادث، فلم يرتب الحوادث على حسب وقوعها عاماً بعد عام، إذ كان ذلك أمراً غير ممكن له فسار على النهج الذي سلكه أكثر المؤرخين الذين ساروا على طريقة علماء التوراة بالبدء بالخليقة ثم بالأنبياء على حسب ما ورد في التوراة، ثم بالتعرض للحوادث التي وقعت في أيامهم وذكر الملوك الذين كانوا يعاصرونهم وما جرت لهم من حوادث وحروب، ثم ذكر الأمم التي جاءت بعد الأنبياء إلى ظهور الإسلام، وهو الترتيب المعروف عند أهل الكتاب. ويقال لهذه الطريقة في تدوين التأريخ[٢] «تأريخ».

وقد سبق الطبري جماعة من العلماء إلى تدوين التأريخ على النمطين المذكورين، ومن هؤلاء الهيثم بن عدي المتوفى سنة سبع ومئتين، وقد وضع في التأريخ كتاباً رتبه على السنين والأعوام[٣]، وجعفر بن محمد بن الأزهر بن عيسى الإخباري المتوفى سنة

---

(١) Alfred feder, Lehrbuch der Geschiehtlichen methode Regensburg, 1924, p, 92.

(٢) R, Flint, History of the Philosophy of History, 1893, pp, 157.
دائرة المعارف البريطانية مادة «Chronisles».

(٣) أحمد أمين: ضحى الإسلام (١٩٣٥) ص٣٥٨ «كتاب التأريخ على السنين». الفهرست ص١٤٦ (الطبعة المصرية). «الهيثم بن عدي: أبو عبدالرحمن الطائي الكوفي الإخباري المؤرخ. روى عن مجالد وابن إسحاق وجماعة، وهو متروك الحديث، وقال أبو داود السجستاني: كذب» الشذرات ٢/ ١٩، قال الإمام أحمد: كان صاحب أخبار وتدليس». متروك الحديث محله محل الواقدي. لسان الميزان ٦/ ٢١٠ «كتاب التأريخ على السنين» الوفيات ٢/ ٢٦٩.

٢٧٦ للهجرة، وله كتاب في التأريخ وضعه على أساس السنين[١].

خلد الطبري في كتابه نماذج من متون كتب أتى الدهر عليها، وحفظ قطعاً حسنة من أقوال عبد الله بن عباس ومجاهد وعاصم وقتادة وكعب الأخبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام والزهري والشعبي وأبي مختف، وأمثلة من أقدم الكتب التي ألفت في التأريخ وفي الإحداث السياسية التي وقعت في صدر الإسلام، أخذها من كتب التخصص ومن الرجال الذين عرفوا بالدراية والإطلاع على هذه الموضوعات، فأخذ الإسرائيليات من كتب أخذت من أقوال وهب بن منبه، واعتمد في رواية تأريخ العرب القديم على الإخباريين الذين كان لهم علم بذلك مثل عبيد بن شرية والأصمعي والشعبي ومحمد بن السائب الكلبي، خاصة في تأريخ الفرس والعراق، واعتمد في السيرة على سيرة ابن إسحاق في الأخص وعلى كتب السير الأخرى التي سنتحدث عنها، ولم يأخذ من مغازي وهب بن منبه، لأنه لم يكن عنده رجلاً ثقة في هذا الباب - كما أشرنا إليه سابقاً.

والطبري مثل أكثر المؤرخين الذين كتبوا في التأريخ العام قصر اهتمامه على التأريخ السياسي متأثرا بروحية العصر الذي عاش فيه، وبالنظرية التي كان يدين بها جمهرة المؤرخين ليس في العالم العربي حسب بل في العالم الخارجي كذلك، مثل العالم النصراني الذي كان مؤرخوه متأثرين بنظرية الكنيسة في تفسير التأريخ، تلك النظرية التي استخلصها ووضع قواعدها فيلسوف الكنيسة القديس «أوغسطين» «St, Augustinus» في كتابه المسمى «اثنان وعشرون كتاباً عن مملكة الله»[٢] فجعل التأريخ صراعاً بين قوتين، أو مملكتين: مملكة الله في السماء حيث الحق والعدل، ومملكة الشيطان (Teufelsreich) في الأرض حيث السقوط والغواية. وقد تكونت بالخطيئة، وكان أول مواطن فيها هو «قابيل» «Kain» وأما «هابيل» «Abel» الذي شمله الله بعطفه، فقد كان من مواطني مملكة السماء. ومن هذا الصراع تولد التأريخ الذي سينتهي بتغلب مملكة الله وخلاص البشر من «الخطيئة» بظهور المخلص ونشر تعاليمه على وجه الأرض، ومشاركة المؤمنين في مكافحة دولة «الضالين»، فيسود العدل، ويختفي فعل

---

(١) الفهرست ٢/ ٥٣ (طبعة أوربة) ياقوت: الإرشاد ٢/ ٢٤٧.

(٢) كتب بين ٤١٣ - ٤٢٦ للميلاد.

Berinheim, Eeinletung in die Geschswissenschaft, p, 19, De Civitate Dei.

الشيطان، ويحل الأمن، وتذهب كل آثار الفساد، ثم تكون بعد لك القيامة حيث ينال «أبناء الله» الأبدية في مملكة السماء(١).

فالتأريخ البشري إذن هو صفحة تقدم وتطور تؤدى في الأخير إلى الفضيلة والإيمان، وللإسراع في ذلك وجب على المؤمنين حكومات وإفراداً، العمل على تنفيذ أوامر الله، ونشر كلمته بين الضالين، فإذا فعلت ذلك نالت الوطنية في مملكة السماء. ومن هنا ظهرت سلطة «الباب» على كل السلطات، باعتداده مثل «المسيح» على الأرض، فأطاعه أوامره تعنى إطاعة أوامر الله، ومخالفة أوامره تعنى مخالفة أوامر الله، وهذه النظرية هي النظرية الرسمية للكنيسة في تفسير التأريخ، وقد حكت دوراً كبيراً في القرون الوسطى في توجيه السياسة العالمية(٢).

ظلت هذه النظرية التي تعد التأريخ نتيجة عمل الإفراد، مهيمنة على عقول الكتاب حتى الآن، ولاسيما في البلاد التي تديرها الدكتاتوريات أو الأحزاب الواحدة. ولما كان الخلفاء والملوك والسلاطين هم الذين كانوا يسيطرون على الشعب، ويسيرون أمور الحروب، لم تطمع من الطبري في ان يذهب في تفسير التأريخ على طريقة أخرى، كذلك لم يؤمل أن يرى مثل هذا التفسير يصدر من شخص آخر غير الطبري. فلم يكن للشعوب، ولا للرأي العام قوة في العالم إلى القرن الثامن عشر، حتى يفطن المؤرخون إليها. ولهذا انصرفت عنايتهم إلى الشؤون السياسية والعسكرية، في التأريخ. ومما يؤسف عليه أن الطبري لم يذكر في مؤلفاته السنة التي شرع فيها في تأليف تأريخه، والظاهر أنه بدأ به املاءاً حتى إذا بلغ نهاية حوادث سنة ٣٠٢ للهجرة قطعه. ويفهم من رواية نقلها الذهبي في كتابه «تذكرة الحفاظ» وهذا نصها «إن ابن جرير قال لأصحابه : هل تنشطون لتاريخ العالم؟ قالوا : كم يجيء؟ فذكر نحوا من ثلاثين إلف ورقة. فقالوا : هذا ما يفنى الأعمال قبل تمامه، قال: إنا لله، ماتت الهمم. فأملاه في نحو ثلاثة آلاف ورقة. ولما أراد أن يملى التفسير، قال لهم ذلك، ثم املاه على نحو من التاريخ. . .»(٣). إن الطبري بدأ بالتاريخ قبل التفسير، وهذه الرواية هي على عكس ما جاء في الكتب التي ترجمت الطبري، فقد ورد فيها، إن الطبري بدأ بذكر التفسير أولاً

---

(١) Bernstein, p,2, Aifred Feder, Llehrbuch der Geschiehtlichen methode, pp, 320.

(٢) Bernheim, mittelalterliche zeitschauungen in inren einfluss auf politik Geschichtschrcibung, Till, ,1, 1918.

(٣) الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢/ ٢٥٢.

ثم ثنى بالتأريخ[1]، وهي أقرب إلى الواقع من الرواية الأولى، فالمعروف أن الطبري إنما أراد من تأريخه أن يكون متمماً للتفسير لاحقاً به[2]. ويؤيد هذا الرأي الطبري نفسه حيث أشار في تأريخه إلى أن التفسير كان معداً حينما باشر التاريخ، «وقيل أقوال في ذلك قد حكينا منها جملاً في كتابنا المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن فكرهنا إطالة الكتاب بذكر ذلك في هذا الموضوع. . .»[3] ولما كان الطبري قد بدأ بإملاء كتاب التفسير سنة ٢٧٠ بمدينة بغداد على رواية، أو في سنة ٢٨٣ على رواية أخرى، وقد استمر على إملائه سبع سنوات فأنهاه سنة ٢٩٠هـ، وجب أن يكون الطبري قد اشتعل به بعد سنة ٢٧٠ للهجرة وفي أيام إقامته بمدينة بغداد بعد أن تجمعت لديه مادة واسعة في التأريخ، وقد فرغ من إملائه ومن عرض المستملين له عليه للموافقة عليه موافقة نهائية في يوم الأربعاء لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٣٠٣ للهجرة[4].

ولأهمية «تاريخ الرسل والملوك» ترجم إلى الفارسية بأمر الأمير أبي صالح منصور بن أحمد بن إسماعيل بن سامان الساماني، وكان مشغوفا به، مكثرا لمطالعته والاستفادة منه، ترجم سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة، قام بترجمته وزير من وزراء الدولة السامانية وأديب خطير بليغ بالفارسية هو أبو علي محمد بن محمد بن عبد الله البلعمي المتوفى في النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة[5].

وقد نص البلعمي في مقدمة الترجمة على الطريقة التي اتبعها وعلى النسق الذي

---

(١) الإرشاد ٦/ ٤٢٣ فما بعدها.

(٢) دائرة ص٤٩٤.

(٣) الطبري ١/ ٤٥ (طبعة مصر) ص٥٠ طبعة ليدن.

(٤) الإرشاد ٦/ ٤٢٥ قال أبو بكر بن بالويه: قالي لي أبو بكر محمد بن إسحاق - يعني ابن خزيمة -: «بلغني أنك كتبت التفسير عن محمد بن جرير قلت: نعم، كتبنا التفسير عنه، قال: كله؟ قلت: نعم. قال: ني أي سنة؟ قلت: من سنة ثلاث وثمانين إلى سنة تسعين» De Goeje, Annales, Introduction P,L,xxvlll.

(٥) راجع عن البلعمي .Ency, os Islam, vol, 1,p 613 - 614

Ethe, Grundriss der Iranischen Philogie, vol, 2,P,355, Browne, Aliterary History of Persia, vol, 1,P, 614.

وراجع «الأنساب للسمعاني» ودستور الوزراء لخوندمير ص١٠٨ من طبعة إيران كشف الظنون ١/ ٢٩٧، العتبي: تأريخ يميني بعناية (منين)، القاهرة سنة ١٢٨٦. ذكر «ريو» انه توفي سنة ٣٨٦هـ، وهو وهم أوقعه فيه التباسه بشخص آخر.

Rieu, Catalogue Brit, Muss, vol, 1,p,70.

سار عليه في الترجمة، فذكر أنه راعي «الاقتصار على سوق الأخبار دون الأسانيد وتهذيبها عما في هذا الكتاب من الاعتمادات والتطويل في سياقة قصة كل نبي وملك وخبر. . .» إلى أن قال: «وأنا أترجم هذا الكتاب، وأقابله بالتقسيم الكبير، وأقدم واوخر من القصص ما يجب تقديمه وتأخيره، حتى أسوق كل قصة على وجهها، وأسرد كل خبر على سبيله، وأقرن كل شيء بشكله وأجمعه إلى نوعه ومثله، وأبوب الكتاب بإخبار الأنبياء والملوك وأؤرخه بأسماء الأزمنة والأوقات. . . . الخ. . .»[١]. وعلى هذه الترجمة صنعت الترجمة التركية في عهد «أمير الأمراء أحمد باشا»، ثم الترجمة الثانية التي صنعت ما بين سنتي ٩٢٨ - ٩٣٨ للهجرة[٢].

والظاهر أن الطلب لتأريخ الطبري كان كبيراً، غير أن نسخه كانت قليلة، أو أنها أصبحت في بعض الأماكن في حكم النادر، فلذلك قام خضر بن خضر بن الحاج حسن الآمدي بترجمة الترجمة الفارسية إلى اللغة العربية، وهي ترجمة ليست بشيء بالنسبة إلى الأصل، ومع ذلك استعان بها المستشرقون حين شرعوا في طبع تاريخ الطبري[٣] كما استعانوا بنسخ أخرى لم تكن كاملة، إذ لم يتيسر العثور على نسخة كاملة للكتاب، والنسخة المطبوعة في أوربة وهي أصح نسخة مطبوعة حتى الآن، هي ناقصة مع ذلك. وقد عثر على أقسام في عدة من المخطوطات لم يعثر عليها ناشر تاريخ الطبري، وربما يعثر في المستقبل على أقسام أخرى، ألا أنها كما يظهر لا تكون نقصا مهماً بالنسبة لجملة الكتاب ولا تقلل من قيمة هذه النسخة المطبوعة ومن قيمة النسخ التي طبعت

---

(١) J,G,L, Rosegarten, Taberistanenis id est Abu Dschaferi Mohammad ben Dscherir ettaberi, annals regum Atque Legatorum Dei, Cruphisvaldiae MDCCXXXL.P.XL.

(٢) De, Goege, Annals, Introductio, P, XXVII Zotenberg, Chronique de Abou - djafar Mohammed - ben Yazid Tabari, Traduite Sur La Version Persane, Ç vol, Paris,, 1867 - 1879 (928) Rosegarten, P, XXIII.

(٣) Rosegarten, P, XXIV «نبتدئ بعون الله الملك القيوم القوي في ترجمة الجزء الثاني من تأريخ الطبري، العبد الفقير الحقير خضر بن خضر بن حاجي حسن الآمدي عفى الله عنهم بلطفه الخفي في يوم الخميس ثاني عشر شهر رمضان سنة ٩٣٥هـ». «تمامة جزء الثاني من ترجمة تأريخ الطبري من العجمي إلى العربي العبد الفقير الحقير الراجي رحمة ربه خضر بن خضر ابن الحاجي حسن بن الحاجي محمد بن الحاجي حسن بن الحاجي إسماعيل بن الحاجي على الآمدي عفى الله عنهم وذلك في ليلة الثلاثاء ثامن شهر ربيع الآخر سنة ٩٣٧هـ». كذا في النسخ المطبوعة. وله ترجمة عربية أخرى عن الفارسية في مدينة «ليدن».

عنها في بلاد الشرق[١]. وهذا الكتاب جدير بالدراسة، حرى بالنقد، وهو مثل أغلب الكتب التأريخة الأخرى لم يدرس دراسة علمية حديثة دقيقة، فلم يقابل بالكتب التي ألفت قبله أو في أيامه، وطبعت، أو لا تزال مخطوطة، ولم تراجع سلسلة أسانيده وهي كثيرة ولو أن عدداً من المستشرقين درسوا الكتاب دراسة عامة، وكتبوا فصولاً عنه، وتحدثوا عرضا عن قسم من المصادر التي استعان الطبري بها في جمع كتابه، مثل سيرة ابن إسحاق، و«تاريخ بغداد» لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور المتوفى سنة ٢٨٠ للهجرة[٢] ولم يشر إلى اسمه ألا مرة واحدة في حوادث سنة ٢٥٠ للهجرة[٣] مع أنه أخذ من كتاب «تاريخ بغداد» واعتمد عليه كما سترى فيما بعد - والكتاب مع هذا به حاجة إلى دراسة ونقد، فهو واسع متشعب، وهذه الحاجة هي التي دفعتني إلى مراجعة أسانيد الطبري ومقابلته بالكتب المطبوعة والمخطوطات التي حصل المجمع العلمي العراقي على صور لها لتكوين دراسة علمية متقنة ناضجة لهذا الكتاب المهم.

وقد لاحظت أن الطبري لا يتقيد بالقيود التي يتمسك بها أهل الحديث بالنسبة إلى الرواة الضعفاء، فأدخل في تفسيره وفي تاريخه أقوال الكلبي[٤]

وابنه هشام والسدي[٥]، وهم من الضعفاء ولم يجد في ذلك حرجا، وفضل سيف بن عمر على الواقدي في «الردة» وفي فصول أخرى من تاريخه، وهو مطعون عليه ومتهم بالزندقة، ولم يكن للطبري نفسه رأي حسن فيه، وبعد تأريخ الطبري وكذلك

---

(١) راجع الكراسة الصغيرة التي أصدرها «دي غويه» في أقسام عثر عليها من تاريخ الطبري.

(٢) كتاب «تأريخ بغداد» لم يعرف منه غير الجزء السادس، وقد ترجمه إلى اللغة الالمانية وطبعه h, kekker بمدينة «لايبزك» Leipzig عام ١٩٠٨م. وترجمة k,c, seeilye إلى اللغة الإنكليزية وطبعه بنيويورك عام ١٩٢٠م. (colambia univ, orient, ser, xvi) وقد أخذ المجمع العلمي العراقي صورة فوتغرافية لمخطوطة «المنثور والمنظوم» للمؤلف نفسه. وطبع «تأريخ بغداد» حديثاً في القاهرة.

(٣) الدورة الثالثة ص١٥١٦ (طبعة ليدن).

(٤) الطبري. التفسير ١/ ٢٥٢ (الطبعة الأولى) بالمطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٣٢٣.

(٥) الطبري، التفسير ١/ ١٩٤، ٢٥٤، ٣٥٩، ٣٣٠، ومواضع أخرى «حدثني موسى بن هارون، قال حدثنا عمرو، قال حدثنا أسباط بن نصر عن السدي» «قيل للشعبي ان السدى قد اعطى حظا من علم القرآن. فقال: قد أعطى حظاً من جهل بالقرآن». قال سلم بن عبدالرحمن مر إبراهيم النخعي بالسدى وهو يفسر لهم القرآن فقال أما أنه يفسر تفسير القوم. وقال الجوزجاني «حدثت عن معتمر عن ليث يعني ابن أبي سليم قال كان بالكوفة كذابان أحدهما الكلبي والآخر السدي. . . .» وسأتحدث عن السدى فيما بعد. تهذيب التهذيب ١/ ٣١٤، ٩/ ١٧٩.

تفسيره من الكتب الغنية بالإسرائيليات، وقد استمدها من مصادر عدة ترجع إلى منابع يهودية مثل كعب الاخبار ووهب بن منبه، ورجال من يعود العراق، وإلى مصادر نصرانية، كسنده عن ابن إسحاق عن أبي عتاب وهو رجل من قبيلة تغلب، كان نصرانياً ثم أسلم[١]، فادخل طائفة من القصص النصرانية، وكذلك جماعة آخرون أخذ منهم ابن إسحاق، وغيره[٢].

وتاريخ الطبري مجموعة مصادر تاريخية قيمة، ونتف من كتب قديمة، ذهب الدهر بأكثر أصولها، نقلت على ماكتبت، ووضعت في المحلات المناسبة، ولذلك أصبح خزانة روايات ونصوص، جمعها المؤلف بعناية وبتدقيق، متوخياً في ذلك الحياد التام، والأمانة في النقل والإحاطة بالشيء، على قدر الإمكان، ومن هنا اكتسب تلك الشهرة الفائقة بين كتب التاريخ.

فهو كتاب متميز من كتب المصادر لا بد من رجوع المؤرخ الحديث إليه لتدوين التاريخ العربي وتأريخ الشعوب الإسلامية بطريقة حديثة، لأنه يقدم له الأصول، والوثائق التي تجمعت لمؤلفه في أيامه، ذهب الدهر بها. ولكنك لا تجد فيه طريقة المؤرخ الناقد، والرأي الايجابي، بل تجد فيه ضعف ملكة النقد بوجه عام، وإدارته التاريخ العام على الإفراد والحروب والسياسة في أيسر صورها، وتجد قلة عناية بالشؤون العامة للجماعات وتعليل الحوادث والنفاذ إلى أسرارها. وهي نقاط ضعف يشاركه فيها أكثر المؤرخين[٣].

ويجتهد الطبري في تدوين كل ما يمكنه تدوينه من الروايات والأقوال عن الحادث الواحد، ويرجح بالطبع أقوال شهود العيان على غيرهم لما شهادتهم من أثر كبير في تصوير الموقف، وإعطاء صورة دقيقة محسوسة عنه، كما يقيم وزنا لشهادات المعاصرين للحوادث ولأنباء المعاصرين، ويستطيع القارئ بعد قراءة هذه الأقوال وتمحيصها أن يكون فكرة خاصة فيها، وهي ميزة قلما نجدها في الكتب التأريخية التي ألفت في ذلك الوقت عند الأمم الأخرى، ولو تيسرت لنا النسخ الأصلية لتأريخ الطبري، النسخ التي كتبها أولاً ولم يسمح الدهر إلى اليوم بإبرازها، وهي نسخ مطولة

---

(١) المذاهب الإسلامية ٨٨، Lidzbarski, of 13.

(٢) «عن محمد بن إسحاق. أخبرنا بعض من أسلم من أهل الكتاب ممن كان عنده علم بتأريخ العجم..» التفسير ١٦/ ١٢، المذاهب الإسلامية ٨٩.

(٣) علم التأريخ ترجمة عبدالحميد العبادي وتعليقه ص٦٩.

عمل منها الكتاب المتداول المعروف[1]، لكان للكتاب شأن أي شأن، ولعرفنا من خلاله أشياء ربما لم يتيسر نشرها في النسخة المختصرة المتداولة -، أقول مختصرة مع أنها مطولة غنية بالنسبة إلى الكتب الأخرى - قد تبدل أوجه نظرنا وأحكامنا في النواحي الغامضة والحساسة من تاريخ الإسلام.

وطريقة استقصاء الموارد، ووضع متون الكتب التاريخية السابقة والوثائق والشهادات بعضها فوق بعضها، وتدوينها في كتاب واحد، وان كانت طريقة حسنة محمودة، أفادتنا اليوم كثيراً، غير أنها صرفت الرواة والإخباريين عن تحري أخبار الحوادث الرئيسة والقضايا التي يجب إن تحتل المكانة الأولى إلى تتبع المسائل الثانوية واستقصاء الأمور الجزئية، والمسائل التافهة في الأحيان، كما جعلتهم يعيدون في الغالب الأشياء أنفسها بتغيير طفيف، في الكلمات أو العبارات، لا يتوجب كل ذلك الاهتمام. فتداخلت الروايات، واختفت الآراء، واحتلت الشخصيات الثانوية مكانة الشخصيات الأولى التي كان يجب إن يدور الحديث حولها، وتشعب الحديث وخرج عن الموضوع الأصلي إلى موضوعات لا علاقة لها بالحادث جاءت بها اتفاقات الاستطراد، فنسى الراوي وناقل الرواية الحادث الأصلي، تحت تأثير نشوة الحديث، فخرج الخبر من طابع الأخبار التأريخية إلى طابع الأحاديث الأدبية: أحاديث المجالس التي تتشعب، وقد تمعن في الاستطراد فتشذ عن الأصل وينسى المحدث السبب الذي دعا إلى ذلك الحديث.

تجمعت مادة تأريخ الرسل والأنبياء عند الطبري من موردين: كتب السير، وكتب التفسير ولا سيما تفاسير تلامذة ابن عباس والمدارس التي تأثرت برأيه في التفسير، أما تأريخ الفرس فقد أخذه من الترجمات العربية لكتب الفرس ولا سيما كتب ابن المقفع وكتب ابن الكلبي الذي كان له علم واسع بإنباء العجم، ولم يتبع في تأريخ الفرس ما ألفناه عنده من ذكر السند والتقيد به، ويدل ذلك بالطبع على أنه نقل هذا التأريخ من الكتب بلا واسطة، وقد استهل عدة من الفصول بهذه العبارة: (ذكر العلماء بإخبار الأمم السالفة من العرب والعجم أن. . . .)[2]، كما أكثر فيه من عبارة: «فحدثت عن

---

(١) Annales, Quos Scripsit Abu Djafar Mohammed Ibn Djarar At - Tabari, by de goege, introduction Gloddarium Et Ebenda iugd, 1901, P, XXVLL.

(٢) الطبري ١/ ٢٩٣ ومواضع أخرى.

هشام بن محمد الكلبي أنه قال. . . .»[١]، أو «وذكر بعضهم ان. . . . .»[٢]، أو «وزعم بعض العجم»[٣]، «وقال آخرون»[٤]، و«وقال غير هشام. . . .»[٥]. ولذلك ترانا مضطرين إلى مقابلة هذه الفصول بما جاء في الكتب الأخرى لتعيين تلك الموارد، ولعله نقل من كتب أخرى لما ورد عنده من العبارات التي تدل على ذلك، مثل قوله: «. . . قال وذكر غير هشام أن»[٦]، ومعنى هذا أنه نقل قول رجل آخر فدونه على نحو ما ذكره، والظاهر أنه أخذ ذلك من مؤلف ولولا ذلك لذكر اسم الرجل، فمن عادته إهمال اسم المؤلف حين ينقل أقواله من الكتب.

أما تاريخ العرب قبل الإسلام، فأكثره من أقوال هشام بن الكلبي، وفي الأخص القسم العراقي منه حيث يكاد ينفرد بالرواية[٧]. وأما القسم الخاص بتأريخ اليمن، فقد انتزع من سيرة ابن إسحاق، وقد استقاها ابن إسحاق في الأكثر من وهب بن منبه ومحمد بن كعب القرظي، وهو من مسلمة اليهود[٨]، وأما تأريخ الروم فهزيل جداً لا يكاد يكون شيئاً بالقياس إلى ما ذكره الطبري من أمر ملوك الفرس.

وتحتل سيرة ابن إسحاق المنزلة الأولى في القسم الخاص بسيرة الرسول، ثم تليها الكتب الأخرى التي ألفت في السير والمغازي، وبها خلد الطبري قطعا من أقوال أقدم من اشتعل بهذا الموضوع، مثل إبان بن الخليفة عثمان بن عفان المتوفى سنة ١٠٥ للهجري، وعروة بن الزبير بن العوام المتوفى بين ٩١ - ١٠١ للهجرة، وشرحبيل بن سعد المتوفى سنة ١٢٣ للهجرة، وموسى بن عقبة المتوفى سنة ١٤١، وعاصم بن عمر ابن قتادة المتوفى سنة ١٢٠ هـ[٩]، وابن شهاب الزهري، وغيرهم ممن سنتحدث عنهم بشيء من التفصيل حين نصل إلى المحل المناسب لهم.

---

(١) الطبري ١/ ٢٩٥، ٢/ ٢، ٤، ٢٧، ٣٧، ومواضع عديدة.

(٢) راجع تأريخ الفرس والحيرة.

(٣) وزعم بعض أصحاب الأخبار. الطبري ٢/ ٦٢.

(٤) وقال غيره. . . الطبري ٢/ ٥٦.

(٥) فأما ابن حميد فانه حدثنا الطبري ٢/ ٣٧ ولم يشر إلى سند أو كتاب، الطبري ٢/ ٤.

(٦) الطبري ٢/ ٦٧.

(٧) الطبري ٢/ ٢٧، ٢٨، ٧٢، ٨٦، ٨٩ ومواضع أخرى.

(٨) الطبري ٢/ ٣٨، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ١٠٠ محمد بن كعب القرظي الكوفي توفي سنة ١٠٨هـ، وقيل: في ١١٧ هـ. شذرات الذهب ١/ ١٣٦.

(٩) تهذيب التهذيب ٥/ ٥٤ وقيل: سنة ٢٦ أو ٢٧ أو ٢٩ بعد المائة. =

أما الردة، فقد أخذ الطبري إخبارها من كتاب سيف بن عمر الأسدي حيث فضله على غيره مع وجود آخرين كانوا قد عرفوا بإطلاعهم على أخبارها مثل الواقدي صاحب كتاب الردة[1]، والمدائني وهو صاحب كتاب في الردة كذلك[2]، وقد اعتمد عليه في أخبار الفتوح والحوادث التي وقعت في أيام الخلفاء الراشدين حيث نجد أخباره، مقدمة على أخبار من نعدهم في الطليعة مثل المدائني وابن الكلبي والواقدي وغيرهم، مع أنه ضعيف عند أكثر المؤرخين والمحدثين، ويختفي صوت سيف بن عمر الاسدي، بانقضاء حوادث معركة الجمل، ويرتفع صوت آخر هو صوت أبي مخنف الازدي من معركة صفين فما بعد حيث يكون موضع ثقة الطبري، يعاونه المدائني، وعوانة، والواقدي، وعمر بن شبة، وابن الكلبي.

أما تاريخ الدولة العباسية، فقد استمده من موارد كثيرة من كتب ابن أبي خيثمة أحمد بن زهير وهو من المؤرخين المعروفين، وقد أخذ منه أخبار آخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية، ومن كتب المدائني، وعمر بن راشد، والهيثم بن عدي، وآخرين سنتحدث عنهم عند دخولنا في صلب الموضوع.

تاريخ ما قبل الإسلام

اللون البارز على هذا القسم الذي يمكن عده أطول قسم كتب عن الفترة التي سبقت الإسلام في كتب التأريخ العام عند المؤرخين العرب، هو اللون الخيالي القصصي، ففي تضاعفيه مادة واسعة من الأساطير والحكايات التي ترجع إلى العهود التأريخية القديمة للإنسان حيث تحتل السذاجة وبساطة التفكير المنزلة الأولى فيها، وفيها مادة واسعة من الإسرائيليات التي نستطيع البحث عن مصادرها في العهد القديم، كما أن فيها مادة من الأساطير الشعبية الوثنية ولكنها قليلة بالنسبة إلى العناصر الأخرى المستفحلة في هذا القسم.

ولا عجب إذا رأينا لهذا القسم حظا في تاريخ الطبري، فقد قسم الطبري تأريخه كما يظهر من عنوانه إلى قسمين: تأريخ الرسل وهو القسم الأول والأقدم، وتأريخ

= أبان بن عثمان بن عفان كان معلم عبدالله بن أبي بكر الذي يرد اسمه في تأريخ الطبري. تهذيب التهذيب ١/ ٩٧. وقد ورد اسم «أبان» في مواضع متعددة من تأريخ الطبري.

(١) الفهرست ١٤٤.

(٢) الفهرست ص١٤٩.

الملوك ويدخل فيه تأريخ الخلفاء، وهو القسم الثاني. وقد حشر في القسم الأول كل ما استطاع جمعه من أقوال في الرسل والأنبياء من غير نقد، ولا تفكير في الفائدة التي يرجوها من هذه الأقوال للقارئ، وقد سبق أن قلت: انه محدث عالم، ومن صفات مثل هذا الرجل أنه يحفظ كثيراً، ويريد أن يقدم للناس ما يريده لنفسه من حفظ وعلم.

وقد بدأ الطبري تأريخه بالزمان: ماهو؟ وما ابتداؤه ومنتهاه؟ ثم تكلم على حدوث الأوقات والأزمان والليل والنهار، وهل كان الله عز وجل خلق قبل خلقه الزمان والليل والنهار شيئاً؟ وتحدث عن القديم الأول وهو الله خالق الزمان والمحدث لكل شيء[1]، ثم وصل إلى ابتداء الخلق والأيام التي خلق الله فيها العالم، ثم استمر فبحث عن خلق آدم، واهباطه إياه من السماء إلى الأرض والموضع الذي اهبط آدم وحواء إليه والإحداث التي كانت في أيام آدم واستمر على هذا المنوال حتى دخل في بحث الطوفان وقصص الرسل والأنبياء والأمم التي عاشت قبل الإسلام.

ولا بد من الإشارة إلى أن أول من نهج هذا المنهج في تدوين التأريخ هو المؤرخ، سكتس يوليوس افريقانوس (الإفريقي)، عاش في القرن الثالث (Sextus)[2]، Julius Africanus الذي كتب تاريخاً للعالم من الخليقة إلى عام ٢٢١م، ثم المؤرخ «أوسيبوس»، «Eusebius» (٢٦٧ - ٣٤٠م) أسقف قيسارية ومؤسس التأريخ الكنسي، وقد بدأ في كتابه «Chronica» الذي دون فيه تأريخ العالم بالخليقة وبقصة آدم وهبوطه مع حواء من السماء إلى الأرض ثم استمر إلى «نوح» والطوفان، ثم استمر إلى إبراهيم ثم «داوود» فسقوط القدس، إلى ظهور المسيح، أخذ ما جاء في التوراة فوضعه في تأريخه. وقد أصبح هذا المنهج الطريقة المحببة إلى نفوس المؤرخين، والنموذج الكامل لدى المؤرخ الحصيف الباحث عن تأريخ العالم عند اليهود والنصارى والمسلمين، فأضاف من جاء بعدهم إلى الحوليات حتى أوصلوها إلى أيامهم، غير أنهم لم يغيروا شيئاً في المنهج العام، وهو السير على طريقة «التأريخ» «Chronicles» في البدء ثم الحاقه بالحوليات «Annales»[3] إلى أيام المؤرخ، وهو المنهج الذي سر عليه الطبري في كتابه «تأريخ الرسل والملوك» وسار عليه قبله وهب بن منبه على ما يظهر ثم ابن إسحاق.

---

(١) راجع الجزء الأول من الكتاب.

(٢) Bernbeim, Einleitung, p 81.

(٣) Encyclopedia, Britannica 14 edition vol, 11, Art, Eusebius the.

وبعد هذا العرض المجمل نعود إلى الموارد التي أخذ منها الطبري، والواقع أن البحث في موارد الطبري معناه تدوين تأريخ التأريخ عند العرب إلى أيام هذا المؤلف، والبحث عن المؤرخين والنظريات التي طغت على مؤلفاتهم، وليس هذا بأمر يسير، بعد أن ذهبت أكثر إخبارهم، وجرت عادة الناس بالاقتصار على أمر الإحداث والأخبار السياسية والعسكرية دون الالتفات إلى الناحية الثقافية في التأريخ، حتى أصبحت النظرية العامة أن التأريخ العلمي والثقافي عند العرب لم يبدأ إلا في أيام الدولة العباسية، وأن الناس قبل ذلك كانوا قد انشغلوا بالفتن والحروب، وتلك نظرية أملتها السياسة المعارضة نكاية بالعهد السابق.

يتردد اسم وهب بن منبه[(١)] في مقدمة الأسماء الواردة في تأريخ الرسل وقصص الأنبياء، ثم يليه كعب الأخبار، وعبد الله بن سلام، ومحمد بن كعب القرظي. أما وهب بن منبه فقد نسب إليه الإخباريون عدة من الكتب زعموا أنه ألفها أو ترجمها، من ذلك كتاب في القدر، قال عمرو بن دينار أنه رآه في دار وهب بن منبه بمدينة صنعاء[(٢)]، و«كتاب الملوك المتوجه من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم»[(٣)]، وقد وضع على طريقة أيام العرب، لم يتبع وهب بن منبه فيه طريقة الإسناد[(٤)]. ومن هذا الكتاب وضع أبو محمد بن عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المتوفى سنة ٢١٣ أو ٢١٨ للهجرة كتابه «التيجان في ملوك حمير»[(٥)] بعد أن أضاف إلى ما أخذه من كتاب وهب مواد جديدة أخذها من مؤلفات أخرى، مثل مؤلفات محمد بن السائب الكلبي[(٦)] وأبي مخنف لوط ابن يحيى المؤرخ المعروف بإطلاعه الواسع على أحداث العراق في

---

(١) توفي سنة ١١٤ للهجرة. الشذرات ١/ ١٥٠. المعارف ص١٥٨، (القاهرة ١٣٠٠هـ)، ميزان الاعتدال ٢/ ٢٧٨، التذكرة ١/ ٨٨، ابن سعد، الطبقات ٥/ ٣٩٥، ابن حجر التهذيب ١٥/ ١٠٦. ٢٣٢، اليافعي، مرآة الجنان ١/ ٨.

(٢) إرشاد الأديب ٧/ ٢٣٢.

(٣) الإرشاد ٧/ ٢٣٢، كتاب الملوك المتوجه من حمير وأخبارهم وغير ذلك. الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وإشعارهم. ابن خلكان، الوفيات: ١/ ٢٣٨, Bbrockelmann. Suppl, vol, 1,p, 101.

(٤) Ency, of Islam, vol, 4, p, 1084.

(٥) طبع بمدينة حيدر آباد دكن بالهند سنة ١٣٤٧هـ، وبذيله كتاب «أخبار عبيد ابن شرية الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها». Ency, of Islam, vol, 4, p, 384.

(٦) التيجان ١٣٢، ٢١٢، ٢١٣ ومواضع أخرى.

أيام الإسلام[١]، وزياد بن عبد الله بن الطفيل العامري أبي محمد الكوفي المعروف بالبكائي راوية ابن إسحاق صاحب السيرة[٢] المتوفى سنة ١٨٣ للهجرة الذي نقل عنه ابن هشام سيرة ابن إسحاق وألف من نسخته هذه السيرة المعروفة بسيرة ابن هشام، وهو نفسه عالم اشتغل بالسيرة، وروى عنه جماعة من العلماء، منهم الحسن بن عرفة صاحب محمد بن إسحاق[٣].

وأهم مرجع اعتمد عليه ابن هشام في الحصول على روايات وهب بن منبه هو أسد ابن موسى الذي أخذ عن أبي إدريس بن سنان صاحب مؤلفات وهب بن منبه والمتحدث عنه[٤]. فالكتاب كما ترى - من تأليف ابن هشام، أخذه من أصل كتاب وهب بن منبه، وأضاف إليه أقساما نقلها من أناس آخرين، ويظهر أن الطبري لم ينقل منه ولا من مؤلفات ابن هشام الأخرى مثل السيرة، ولعله لم يتمكن من الوصول إليها في أثناء إقامته بمصر، مع أن ابن هشام كان قد توفي بالفسطاط وحصل على شهرة واسعة هناك[٥].

وقيل ان لوهب كتاباً في المغازي سماه بعضهم «مغازي رسول الله» لم يعرف من أمره شيء، حتى عثر المستشرق «بيكر» «C,H,Becker» في ضمن مجموعة من الأوراق الخطية في مدينة «هايد لبرك» بألمانية يقال لها مجموعة «Sshott - Reinhard» على أقسام على أقسام تعرفها، وإذا هي في مغازي الرسول وسيرته، ظهر منها أنها رواية عن وهب ابن منبه رواية عبد المنعم بن إدريس ابن بنت وهب، وقد تناولت قسماً من الأحداث التي وقعت قبل الهجرة، وكذلك غزوة خثعم[٦].

ونسب إليه كتاب آخر قيل له كتاب «المبتدأ» أو «المبدأ» وهو في مبدأ خلق العالم،

---

(١) التيجان ١٢٥، ١٨٠.

(٢) التيجان ص٦٦، ٧٥، عن البكائي: لسان الميزان ٦/ ٨٣٦ سيرة ابن هشام إخراج محمد محيي الدين عبدالحميد ١/ ١٦. كتاب الكنى والألقاب ٢/ ٨٢ لعباس بن رضا القمي، مطبعة العرفان بصيدا، سنة ١٣٥٨هـ.

(٣) لسان الميزان ٦/ ٨٣٦.

(٤) التيجان: ١٠٨، ١٠٩، ١٧٣ ومواضع أخرى.

(٥) لم يرد ابن هشام في تأريخ الطبري، راجع فهرست الطبري ص٣٦١.

(٦) Ency, of Islam, vol, 4, p, 1085, C,H, Becker, Papyri Schott Reinhardt, 1,8, Fuck Muhammed Ibn Ishaq, p, 4, Lidzbarski, p,2, Wensinck, p, 700.

كان عند عبد المنعم بن إدريس بن سنان ابن ابنة وهب بن منبه المتوفى سنة ٢٢٨ للهجرة، وقد نسب ابن النديم هذا الكتاب إلى عبد المنعم[١]. وكان عبد المنعم هذا قاصاً مشهوراً، وقيل عنه انه كان يكذب على وهب، ويضع الحديث على أبيه، وكان يطلب الكتب من الوراقين ويدعيها، ويشترى كتب السيرة فيرويها، ما سمعها عن أبيه[٢]. وقد ينسبها إلى جده، والذي يظهر على كل حال هو أنه كان ذكيا وإليه تعزى كل أخبار وهب بن منبه[٣]. ونسب إلى وهب ترجمة (زبور داوود)، كتاب زبور داوود ترجمة وهب بن منبه»، ولعل هذه الترجمة المعروفة التي يقال لها «كتاب المزامير ترجمة الزبور» وتوجد نسخ منها اليوم قيل عنها: إنها ترجمة علماء الإسلام[٤]. كما نسبت إليه مواعظ قيل انه أخذها من مطالعته للكتب السماوية ولحكمة لقمان[٥].

وكان لوهب بن منبه أثر كبير في القصص، فإليه يرجع رواية قسم كبير من أقاصيص اليمن التي طبعت بطابعين: الطابع الإسرائيلي، وهو لا شك من تأثير اليهودية في اليمن وعمل المتهودة من العرب الذين بدلوا فيها أيضاً تبديلا يناسب المحيط الذي عاشوا فيه. والطابع المحلي الذي يمثل تعصب أهل اليمن لتاريخهم القديم وللفكرة الإقليمية التي كانوا يدينون بها وتمثلت في نظرية انتسابهم إلى جد أعلى لهم هو قحطان. وقد دخل قسم من هذه الأساطير التي رواها وهب بن منبه الكتب العربية، ومنها كتاب الطبري الذي ذكرنا أنه حصل عليها من سيرة ابن إسحاق، ومن مشايخه الذين وقفوا على روايات وهب بن منبه، مثل محمد بن سهل بن عسكر بن عمارة مولى بني تميم البخاري المتوفى سنة ٢٥١ للهجرة بمدينة بغداد[٦]، والظاهر أن الطبري قد تعرف به في

---

(١) كتاب المبتدأ والسير، لوهب بن منبه. الفهرست ص١٣٨ «كتاب المبتدأ» ابن حجر الإصابة: ١/ ٨٨٧.

(٢) لسان الميزان ٤/ ٧٣.

(٣) عيون الأخبار لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هـ، ٢/ ٦٢، ٢٧٢، ٢٨١، ٢٨٣.

(٤) Ency of Islam, vol, 4, p, 1085, Wensinck, p, 816, Fihtist Bibllioteca Arabo Hispana, vol, IX, P, 294.

(٥) مواعظ وهب بن منبه، حكمة وهب. Ency, of Islam, vol, 4, p, Brockelmann, Suppl, 1, p, 101m 1805 «حكمة آل داود».

(٦) ترجمته في تهذيب التهذيب ٩/ ٢٠٧، تأريخ بغداد ٥/ ٣١٣.

هذه المدينة في أيام إقامته الأولى، وهو ممن روى عن جماعة كبيرة من العلماء، مثل عثمان بن عمر بن فارس[1]، وعبد الرزاق[2]، ويحيى بن حسان[3]، والقاسم بن كثير[4]، وسعيد بن أبي مريم[5]، وعبد الله بن موسى[6]، وغيرهم. ولأكثر هؤلاء أخبار في تاريخ الطبري وصلت إليه عن طريق مشايخه الذين وردت أسماؤهم في الأسانيد. أما الشيخ الذي نقل عنه محمد ابن سهل روايات وهب بن منبه، فهو إسماعيل بن عبد الكريم بن معقل بن منبه أبو هشام المتوفى سنة ٢١٠[7] للهجرة من هذه الأسرة التي ينتمي إليها وهب بن منبه، ومن ممثليها في رواية أكثر الإخبار التي لها صلة بالإسرائيليات وبالعهد القديم.

كان إسماعيل بن عبد الكريم لسان هذه الأسرة الناطق، وقد روى أخباراً عدة في مدح جد هذه الأسرة الذي كون لها شأناً وجعل لها أثراً كبيراً في المدرسة اليمانية، ولا سيما مدرسة صنعاء التي تلونت بهذا اللون الذي وضعه وهب بن منبه ومتهودة اليمن في هذا القطر، فزعم استناداً إلى حديث قال انه حدثه به محمد بن محمد بن داود عن أبيه داوود ابن قيس الصنعاني، أن الرسول قال: يكون في أمتي رجلان أحدهما وهب يهب الله له الحكمة، والآخر غيلان فتنته على هذه الأمة شر من فتنة الشيطان، وهو أيضاً صاحب هذا الخبر المبثوث في الكتب المعزو إلى داوود بن قيس الصنعاني الذي زعم أنه

---

(١) عثمان بن عمر بن فارس بن لقيط العبدي، أصله من بخاري، من رواة أبي معشر السندي، روى عنه أبو خيثمة، مات سنة ٢٠٧ أو ٢٠٨ أو ٢٠٩ للهجرة، تهذيب التهذيب ٧/ ١٤٢ - ١٤٣.

(٢) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري مولاهم أبو بكر الصنعاني، روى عنه أبو خيثمة، له كتب مات سنة ٢١١هـ، تهذيب التهذيب ٦/ ٣١٠، صاحب المصنفات الشذرات ٢/ ٢٧.

(٣) يحيى بن حسان بن حيان التنيسي البكري أبو زكرياء البصري، توفي بمصر سنة ٢٠٨هـ، وقيل: سنة ٢٠٧هـ، تهذيب التهذيب ١١/ ١٩٧.

(٤) القاسم بن كثير بن النعمان الاسكندراني، ويقال المصري، توفي قريبا من سنة عشرين ومائتين. تهذيب التهذيب ٨/ ٣٣٠.

(٥) سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم المعروف بابن أبي مريم الجمحي أبو محمد المصري من سكنة مصر، مات سنة ٢٢٤هـ، تهذيب التهذيب ٤/ ١٨.

(٦) عبيد الله بن موسى بن أبي مختار، واسمه باذام العبسي مولاهم الكوفي، روى عنه عدد كبير من العلماء، مات سنة ٢١٣. تهذيب التهذيب ٧/ ٥٢ - ٥٣.

(٧) تهذيب التهذيب ١/ ٣١٥، والصحيفة التي يرويها عن وهب عن جابر ليست بشيء، انما هو كتاب وقع اليهم، ولم يسمع عن وهب من جابر شيئاً. صحيفة همام عن أبي هريرة مشهورة وهمام شقيق وهب بن منبه.

قال: سمعت وهب بن منبه يقول لقد قرأت اثنين وتسعين كتاباً كلها أنزلت من السماء، اثنان وسبعون منها في الكنائس وفي أيدي الناس، وعشرون لا يعلمها إلا قليل، وجدت في كلها أن من أضاف إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر[١]. ولا أدري أكان وهب بن منبه قد قرأ التوراة قراءة صحيحة أم لا؟ والواقع هو أنه كان ذكيا وأنه كان يدعي معرفة كل شيء حتى اللغات التي لا يعقل أن يكون له بها إلمام فضلا عن الإحاطة بها.

روى إسماعيل بن عبد الكريم عن رجال من هذه الأسرة، فروى عن ابن عمه إبراهيم بن عقيل بن معقل بن منبه الصنعاني، وروي عن عمه عبد الصمد بن معقل، وروى عن رجال من أهل اليمن كانوا على اتصال هذه الأسرة مثل عبد الملك بن عبد الرحمن الذماري من مدينة «ذمار» إحدى مدن اليمن، وعلي بن الحسين وهو رجل من أهل اليمن كان من خاصة وهب بن منبه[٢].

أما إبراهيم بن عقيل[٣] فهو من هذا النوع الذي نتحدث عنه، روي عن أبيه عقيل، وروي عقيل عن والده معقل شقيق وهب بن منبه، وقد مات قبل وهب، وروى وهب عنه[٤]. وأما عبد الصمد الذي دخل في رجال سند الطبري، فهو ابن معقل، فيكون وهب بن منبه عمه، وتوفي سنة ٨٣ أو ٩٠ للهجرة[٥] وقد روي عن عمه وهب بن منبه وطاووس وعكرمة، وروى عنه الإخباريون ولا سيما أهل صنعاء، مثل عبد الوهاب ابن معقل وأبناء يحيى ويونس ابني عبد الصمد، وعبد الرزاق، ومحمد بن خالد، وعمر ابن عبيد الصنعانيين[٦].

وتلقى الطبري أخبار وهب من شيخ آخر من شيوخه هو الحسن بن يحيى بن الجعد ابن نشيط العبدي أبو علي بن أبي الربيع الجرجاني المتوفى سنة ٢٦٣ أو ٢٨٥ للهجرة وكان نزيل بغداد[٧]، وهو من جملة رواة عبد الرزاق بن همام بن نافع بن منبه شقيق

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٦٦، قرأت من كتب الله اثنين وتسعين كتاباً، الشذرات ١/ ١٥٠، وكان شديد الاعتناء بكتب الأولين وأخبار الأمم وقصصهم بحيث كان يشبه بكعب الأحبار في زمانه، وله مصنف في ذكر ملوك حمير، صغير، ابن خلكان، الوفيات: ٢/ ٢٣٨.

(٢) تهذيب التهذيب ١/ ٣١٥.

(٣) تهذيب التهذيب ١/ ١٤٦.

(٤) الطبقات ٥/ ٣٦٦.

(٥) تهذيب التهذيب ٦/ ٣٢٨.

(٦) تهذيب التهذيب ٦/ ٣٢٨.

(٧) تهذيب التهذيب ٢/ ٣٢٤، شذرات ٢/ ١٤٧.

وهب، وقد توفي سنة ٢١١ للهجرة، وكان مولدة سنة ١٢٦هـ، وهو صاحب كتب ومؤلفات، منها كتاب السنن في الفقه، وكتاب المغازي(١) ولعله استند في تأليفه إلى ذلك الكتاب الذي بدأ به وهب بن منبه وأجيز إلى عبد المنعم بن إدريس. وقد روى عن معمر بن راشد المتوفى سنة ١٥٣ للهجرة، وهو مولى من موالى الازد ترك البصرة ونزل اليمن، فكان من الطبيعي بالنسبة إليه الاتصال بآل لمنبه الذين كان لهم شأن في القصص والأخبار وفي المغازي في مدينة صنعاء، وقد تأثر بهم وألف كتاباً في المغازي(٢) لعله هذا الكتاب الذي تحدثنا عنه أو عمل عليه ورواه عنه عبد الرزاق.

لم يشر ويا للأسف أكثر النقلة الذين نقلوا أقوال وهب بن منبه إلى المصادر التي أخذوا منها، لذلك كان من المفيد موازنة هذه الكتب التي اقتبست من أقوال وهب، مثل كتاب المعارف و«كتاب عيون الأخبار» لابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ للهجرة(٣)، وتأريخ اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب المعروف بابن واضح المتوفى سنة ٢٩٢(٤) بما ورد في مروج الذهب للمسعودي وفي كتاب «قصص الأنبياء» للثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧ للهجرة(٥)، وهو كتاب جمعت مادته من الأخبار المنسوبة إلى وهب بن منبه وكعب الأحبار وعبد الله بن سلام(٦). وفي تأريخ الطبري للوقوف على الروايات الصحيحة المنسوبة لوهب، والرجوع بها إلى مواردها الأولى التي قيل ان وهب بن منبه قد أخذ منها وهي التوراة والتلمود وقصص بني إسرائيل.

---

(١) له كتاب في التفسير وهو شيخ البخاري في الحديث. كشف الظنون جـ ١ ص٤٥٢ (طبعة استانبول وكالة المعارف) سنة ١٩٤١. الفهرست ص٣١٨، «عبد الرزاق بن همام العلامة الحافظ أبو بكر الصنعاني صاحب المصنفات». الشذرات ٢/ ٢٧، تهذيب التهذيب ٦/ ٣١٠.

(٢) وقيل: سنة ١٥٢ هـ أو ١٥٣، ١٥٤هـ، الشذرات ١/ ٢٣٥ الطبقات ٥/ ٣٩٧، وعند ابن النديم أنه من أهل الكوفة. الفهرست ص١٣٨. تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٤٤ فما بعدها.

(٣) اعتمدت على طبعة محمد إسماعيل عبدالله الصأوى، الطبعة الأولى بالقاهرة سنة ١٩٣٤، «ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري» عيون الأخبار (طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة) ٤/ ١٢.

(٤) اعتمدت على طبعة النجف، وهي في ثلاثة اجزاء.

(٥) «عرائس المجالس في قصص الأنبياء». أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو اسحق النيسابوري، وهو من مشاهير المفسرين، له كتاب «الكشف والبيان عن تفسير القرآن»، وقد طبع كتابه «قصص الأنبياء» أو «عرائس المجالس في قصص الأنبياء» مرارا في القاهرة. راجع عنه الإرشاد ٢/ ١٠٤، ووفيات الأعيان رقم ٣٠، حـ١ ص٢٦، طبقات السبكي ٣/ ٢٣، وبغية الوعاة ١٥٤، Ency, of Islam, vol, 4,p,735, Wustenfeld, Gesch, d, Ara, P, 185. Schwally, vol, 2 P, 174.

(٦) اعتمدت على الطبعة المصرية.

وتبين لي من موازناتي بين أقوال وهب بن منبه المدونة في تأريخ الطبري ونصوص العهد القديم أن وهب بن منبه قد أصاب في أشياء فنقل ما جاء في التوراة نقلاً صحيحاً، واخطأ في أشياء قد تكون أحياناً من باب البديهيات بالنسبة إلى اليهودي المطلع على أحكام التوراة مثل جدول الأنساب. ويلاحظ أن بين مروياته أقوالاً لا بد أن تكون صادرة من مصادر نصرانية[١]، وأقوالاً أخرى هي من الأحاديث التي يغلب عليها الطابع الجاهلي أو الطابع الإسلامي، وقد تجمعت في أحاديث الأنبياء والعباد وأحاديث بني إسرائيل. التي كان يرويها وينشرها بين الناس ببغداد عبد المنعم بن إدريس بن سنان المتوفى سنة ٢٢٨[٢]، وكانت تذاع على أنها من التوراة.

وتجد في أحاديث وهب بن منبه أحاديث ترجع إلى أصل يوناني وإلى الفلسفة اليونانية النصرانية التي وجدت لها سبيلاً إلى اليهودية، مثل حديثه عن العناصر والطبائع الأربع، وأصله النظرية اليونانية التي قالها الفيلسوف «أنبادقلس» «E.mpedokles» (حوالي ٤٩٠ - ٤٣٠ قبل المسيح)[٣]، وجمع بها نظرية «طاليس» «Thales»[٤] - ٥٤٥ق.م) القائل أن أصل العالم من الماء[٥]، ونظرية «انكسيمنس» «Anaximenes» (٥٨٥ - ٥٢٥ق.م) الذي زعم أن أصل العالم من الهواء[٦]، ونظرية «هرقليطس» «heraklit» Herakleitos» (٥٤٠ - ٤٨٠ ق.م) الذي زعم أن أصل العالم من النار، ونظرية «انكسمندر» «Anaximandr»[٧] (٦١١ - ٥٤٥ق.م) الذي زعم أن أصل كل شيء هو - الـ«Apeiron» أي «اللانهائية» أي «الأزلية» التي لا يمكن تعرفها ولا وصفها، وهي «العلة الأولى» أي «المسبب الأول» أي «الفاعل الأول»[٨] فأخذ «أنبادقلس» العناصر الثلاثة المتقدمة، وأضاف إليها عنصراً رابعاً هو «التراب»، لأنه العنصر المحسوس به

---

(١) الطبري ١/ ١٠٢، قارنه بالتكوين الصحاح ١٠ آية ٢١ فما بعد. مولد المسيح وحياته تفسير الطبري ٣/ ١٤٧، ١٧٧، و١٦/ ٤٣.

(٢) ابن سعد، الطبقات حـ٧ قسم ٢ ص٩٧.

(٣) Heinrich Schmidt. Philosophisches worterbuch, p, 148. kafka, zur physiK des Empdckles. In, "philogus, 78. 1923.

(٤) Schmidt. Phil", 657.

(٥) Diels, H, Fragmente der Vorsokratiker, 1922, W, Capelle, Die, Vorsokratiker, (K,T,A) 1935.

(٦) Diels, H, Von Ephesos, 1909 Sncell, 11, Fragmente 1925, Weerts H, und, Herakliteer, 1927.

(٧) Schmidt, p ,22, j, burnet, Early Greek philosophy, 3 ed. London, 1914.

(٨) Schmidt. P. 32. p. tannery. Pour l history. De scince hellene, paris 1887.

الملموس الذي يلائم تلك العناصر، وقال: من هذه العناصر تكون كل شيء في العالم، ومن هذه العناصر الأربعة نشأت نظرية الطبائع الأربعة، التي زعم أن وهب بن منبه قال انه وجدها مكتوبة في التوراة: «وجدت في التوراة: إني حين خلقت آدم ركبت جسده من أربعة أشياء، ثم جعلتها وراثة في ولده تنمى في أجسادهم وينمون عليها إلى يوم القيامة... الخ»[1].

وهو قول ان صح عن وهب، فانه يدل على انه كان وقف على «المدراشيم» (المدراش) وعلى التفاسير والشروح المتأثرة بالفلسفة اليونانية. أما قوله «انه وجد ذلك في التوراة»، فهو قول لا يستند إلى أساس، وقد يكون ذلك من باب التعميم، إذ جرت العادة عند الإخباريين المسلمين إطلاق «التوراة»[2] على العهد القديم و«التلمود»[3]

---

(١) عيون الأخبار ٢/ ٦٢.

(٢) التوراة مأخوذة من كلمة «Torath» وفي الأصل «Totah» بمعنى «قانون» وهو الوحي الذي أنزله «يهوه» على موسى «Pentateuch» وهو أسفار موسى الخمسة, ولم يتقيد المسلمون في تخصيص لفظة «توراة» بأسفار موسى الخمسة، بل سوا بها أيضاً الإسفار الأخرى التلمود بقسميه والشركوم حتى الكتب التأريخية والقصص الشعبي: راجع كلمة «توراة» Wensinck, Handwor. P. 744. Hastings. P. 532. Ency. bibl. Pp. 2714.

(٣) التلمود «Talmud» بمعنى «تعليم» ويقسم التلمود إلى قسمين «المشنة» (Mishama) وهو الموضوع و«الجمارة» وهو التفسير «التعليم» فالمشنة «التكرار» = مجموع تقاليد اليهود المختلفة مع آيات من الكتاب المقدس، وهي التقاليد التي قلد العمل بها لموسى حين كان على الجبل، ثم تداولها هارون واليعازر ويشوع وسلموها إلى الأنبياء ثم انتقلت عن الأنبياء إلى أعضاء المجمع المقدس (Porqw Aboth, 1,1). وكان أعضاء المجمع المقدس وخلفاؤهم يقراون في المعابد «الكنيس» «Synagogues» التوراة، ويشرحون الآيات للناس، ويعلمونهم الإحكام، ويضيفون إلى ذلك القصص الإسرائيلي الشعبي وعادات بني إسرائيل وأطلق على ذلك أي على قراءة المتن والشروح واجتهاد المفسرين «Sapherim» أي «الوصف» وكون ذلك «القانون الشفاهي» وقد أطلق على التفاسير الأولى والشروح «ميدراش» (Midrash) «تدارس» «مدارسة» وقد تولدت بمرور السنين حتى القرن الثاني للمسيح من هذه الشروح روايات مختلفة، وذلك مما اضطر الحاخامين إلى جمعها وتدوينها وتنسيقها. فكانت أساسا لما يقال له «المشنة» Hastings, p, 890. وأما «الجمارة» (الكمارة) (Camarah) فهو جمهرة المناظرات والتعاليم والتفاسير التي جرت في (المدارش) أي في محلات تدريس الكتاب المقدس في حلقات الدراسة في «الكنيس» بعد انتهاء المشنة. والتلمود على نوعين: التلمود البابلي وقد كتب في القرن الخامس، والتلمود اليوروشلمي أو «تلمود أورشليم» كتبه حاخاموا طبرية بين القرن الثالث والخامس. وتتألف «المشنة» من ستة أنسام، يقال لكل قسم «Sedarim» آرامية تعنى الترتيب، النظام، ويتألف كل «Seder» من من جمهرة فصول، وكل فصل من فصول =

والمدراشيم والتركومين البابلي واليوريشلمي والكتب الأخرى. ولم يكن للناس علم بجميعها، فنسب ذلك بالبداهة لهذ السبب إلى التوراة التي كانت معروفة.

وأغلب ظني أنه وضع على وهب، من أوله إلى آخره. ولكننا نجد من ناحية أخرى أنه كان - مثل كعب الأحبار - لا يتورع من إضافة أشياء كثيرة إلى التوراة من التنبؤات والملاحم، والقصص الشعبي، حتى أوصاف الخلفاء والملوك، وهي ليست من قبيل أحاديث آحاد أو روايات قليلة حتى يمكن أن نجد مخرجا لتبرئة ذمته من أمرها ولكنها ترد بكثرة، وتؤيدها دعواه الطويلة العريضة وزعمه أنه كان يعرف إخبار الماضين وكتب الله المنزلة على الأنبياء والمرسلين، وأنه كان يحسن قراءة الكتابات التي لم يكن يعرفها أحد من الناس، على أن هذا لا يعني أنه كان قد اختلق جميع تلك الأخبار، فقد كان منها ما هو منتزع من التلمود، أو من الشرح التي وضعها «الربانيون» بعد المسيح، أو من كتب النصارى كما يظهر من وقوفه على كيفية انتشار النصرانية في شبه جزيرة العرب، ومن حوادث الشهداء النصارى في نجران، ومن قصص «المسيح» وحوارييه، وغير ذلك مما يدل على أنه كان متصلا بالنصارى، وأنه كان يستعين بهم أو بكتبهم في وقوفه على تلك الأخبار[1].

والظاهر أن وهب بن منبه كان يستعين بالكتب، وأنه تمكن من الحصول عليها. جاء في الأخبار أن همام بن منبه بن كامل بن شيخ اليماني أبا عقبة الصنعاتي الابناوي، وهو شقيق وهب بن منبه، كان يشتري الكتب لأخيه[2]. وقد استفاد حقاً كثيراً من هذه الكتب التي اتخذها لنفسه واسطة من وسائط الإعلان والادعاء، وقد استطاع بها من حشو كتب المسلمين بتلك المادة السمينة من الإسرائيليات ومن التقرب إلى الخلفاء بحجة أنه من أصحاب العلم الأول، وأن عنده من العلم بكتب الله وبإخبار الأمم

= أخرى، أو أقسام، ويتألف كل قسم من فقرات. وأطلق على الذين كانوا يقومون بشرح «المشنة» وجمعه اسم «المعلمين» أو «Tannaim» وكان ذلك طوال عهد المشنة، فلما انتهى عهد المشنة وأعلن الربانيون انتهاء المشنة، قيل للذي كان يشرح كتب المشنة التي جمعت واتخذت شكلها النهائي، آمورئيم «Amoraim» بمعنى «المفسر» و«الشارح». Hastings, p, 891.

(١) كان ناس من اليهود كتبوا كتاباً من عندهم يبيعونه من العرب ويحدثونهم أنه من عند الله ليأخذوا به ثمنا قليلاً.

Nallino, raccolta di Scritti editi e Inedrtti. Vol. 3. Storia della Arabia Preislamica Roma 1941. p. 120.

(٢) تهذيب التهذيب ١١/ ٦٧.

الماضية ما لا يوجد عند أحد من الناس، ولكن علينا ألا ننسى كذلك أن قسطا ليس بقليل من هذه الروايات التي نسبت إلى وهب كانت من وضع أفراد من بني وهب استغلوا شهرته فوضعوا عليه ما لم يكن قاله ولا كتبه، وعلى رأس هؤلاء عبد المنعم بن إدريس راوى كتاب «المبتدأ» الذي كان عليه اعتماد الثعلبي في كتابه «قصص الأنبياء».

ونجد في تاريخ الطبري قطعاً من التوراة ترجمت ترجمة متقنة، بعبارات بليغة سلسلة، كما نجد فيه قطعاً انتزعت من المزامير، أو من الإسفار الأخرى، أو من التلمود ومن الأناجيل أحياناً، غير أننا نجد فيه قصصاً زعم أنها من التوراة أو من كتب الله المنزلة على أنبياء إسرائيل، وهي في الواقع ضرب من القصص الشعبي الذي كان شائعاً عند العرب أو القبائل العربية المتهودة أو القبائل المتنصرة، ولا علاقة له بكتب اليهود ويمكننا أن نقول إن ما كان يعنيه أصحاب كتب الرجال والقصاص من كثرة عدد الكتب المنزلة التي كان قد قرأها وهب بن منبه وكعب الأحبار إنما تعنى في الواقع أسفار التوراة وكتب التلمود والتفاسير.

أما كعب الأحبار، وقد أورد الطبري له أقوالاً في الأنبياء والإسرائيليات، فهو يهودي من أهل اليمن يقال له أبو إسحاق كعب بن مطيع بن هيسوع. أسلم في أيام أبي بكر أو أيام عمر، وعرف «بكعب الأحبار» أو «كعب الحبر» من «حابير» «Haber»[1] بمعنى العالم عند يهود بابل، وهي منزلة تلي درجة «Rabbi» «ربانون»[2]. ولا نكاد تعرف من أمره شيئاً. ولم ينسب له كتاب، فالظاهر أن ما نسب إليه إنما ورد عن طريق الرواية. وقد أورد الطبري في تاريخه جملة من الأقوال المنسوبة إليه يظهر أنها أخذت من مصادر قديمة، وهي لم تدرس حتى الآن دراسة دقيقة، ولم تقابل بالمصادر اليهودية أو أحاديث الكنائس لبيان مقدار قربها أو بعدها منها. وهو أهم مرجع بعد وهب بن منبه اعتمد عليه في كتب قصص الأنبياء[3].

---

(١) والجمع «حابيريم» (Haberim).

Naline. Baccolta Di Seritti Editi e Inediti vol. 3. Storia. Della. Arabia. Preislamica Roma. 1941. Pubblieazjioni Dell Istiuto per L Oriemte.

(٢) دائرة المعارف اليهودية مادة rabbi

(٣) أسد الغابة ٥/ ٣١٥، فما بعدها. ابن سعد الطبقات م ٧ قسم ٢ ص١٥٦ كعب الأحبار بن مانع الحميري توفي في خلافة عثمان. أسلم في زمن في أبي بكر. وقدم من اليمن في زمن عمر. تذكرة الحفاظ ١/ ٤٩ توفي سنة ٣٢ هـ أو ٣٤هـ. تهذيب التهذيب ٨/ ٤٣٩.

ومن أكثر الناس حديثاً عن كعب، ابن عباس، وأبو هريرة[1]. غير أن البحوث الحديثة لم تتمكن حتى الآن من وجدان دليل على التقاء ابن عباس وكعب، ولذلك لا نجد مجالاً لنا للتصديق بهذه الأحاديث المنسوبة لابن عباس عن كعب[2]. أما حديث أبي هريرة عن كعب الأحبار وهو في الأنبياء والإسرائيليات، فالأمر يحتاج إلى دراسة عميقة كذلك، إذ ثبت أن كثيراً من هذه الأحاديث المنسوبة إلى أبي هريرة نفسه هي غير صحيحة، كما روى أن جماعة من الصحابة أنفسهم لا حظوا عليه كثرة ما يرويه عن الرسول، فوصل ذلك إلى علمه. فقال: «إنكم تقولون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ، والله الموعد، كنت رجلاً مسكيناً أخدم رسول الله ﷺ على ملء بطني، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم[3]، وأغلب الظن أنها وضعها عليه من ادعى أنه روى عنه، وبلغت الأحاديث المنسوبة إليه (٣٥٠٠) حديث رواها عنه نحو (٨٠٠) رجل[4]، بينهم عدد كبير من الموالي يمثلون مختلف الأماكن والأجناس. وأقوال كعب الأحبار قليلة عند الطبري وعند غيره إذا قيست إلى أقوال وهب بن منبه[5].

أخذ الطبري أقوال كعب من أقدم مشايخه الذين درس عليهم في أيام شبابه، وهو ابن حميد عالم الري الذي زود الطبري سيرة ابن إسحاق، وأخذ ابن حميد أقوال كعب من شيخه جرير عن الأعمش عن أبي صالح عن كعب[6]، وسوف نتحدث عنهم.

ويدخل في هذه الأقوال المنسوبة إلى وهب بن منبه وكعب الأحبار (الملاحم) أو

(١) الطبري ١/ ١٢٦، ومواضع أخرى. النووي: ص٥٢٣.

(٢) Shwally. 2. p. 165.

(٣) عن أبي هريرة: صحيح مسلم ٥/ ٢٠٢، ابن الأثير، أسد الغابة ٥/ ٣١٥، ابن دريد، الاشتقاق ص٧٧٠، Ency. Of Islam. Vol. ,p. ٩٣ - ٩٤

(٤) Sprenger, das Leben und dei Lahre, Mohammed vol. 3. P. LXXXiii. Goldziher. Abh, zur, Arab, Pbilogio, 1,p. 49. ZDMG. I. P. 48. DÛS. Margoliuth. Mohammad. P. 352. Ency, of Islam. Vol. 1. p. 94.

(٥) Ency, of Islam, vol, ٢ . ٥٨٢. ورد اسم «كعب» في «٣٣١» موضعاً من تاريخ الطبري، راجع فهرست الطبري ص٤٧٨. وورد اسم وهب في أكثر من «٥٥١» موضعاً. وورد اسم كعب في عدد من الأماكن من كتاب «عيون الأخبار» راجع الفهرست ص٢١٤. وكذلك في الكتب الأخرى بالنسبة لوهب.

(٦) الطبري ١/ ٢٢، ٣١.

(التنبؤات بالغيب). وفي الطبري نبوأة من كعب الأحبار بمقتل الخليفة عمر بن الخطاب قالها له قبل مقتله بثلاثة أيام، زعم أنه وجدها في التوراة رواها للطبري شيخه (سلمة ابن جنادة)[١]. وروى المقريزي أن ابن أبي حذيفة سأل كعب الأحبار، وكان معه في سفينة واحدة: (هل هذا السفر مذكور عندكم في التوراة؟) ولكن كعبا لم يحر جوابا عن هذا السؤال وإنما قال (إني أجد عندنا في التوراة أن شاباً اشعر يضرب حتى يموت كما يموت الحمار، وأخاف أن لا يكون أنت)[٢]. إن هذا التندر اللاذع من ابن أبي حذيفة بكعب الأحبار، وكذلك سؤال الخليفة عمر بن الخطاب حين أبلغه كعب أنه سيقتل بعد ثلاثة أيام: «وما يدريك» فقال: أجده في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ: التوراة! فأجابه عمر (الله انك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟ فأجاب: اللهم لا ولكني أجد صفتك وحليتك وأنه قد فنى أجلك فقال عمر: وعمر لا يحس وجعا ولا ألما[٣]!، ليدلان على علم كعب بالمكيدة، وعلى مشاركته فيها، كما يدلان على المصادر التي كان يستعين بها كعب وأمثاله في صنع الأخبار، وعلى نصيب أحاديثهم من الصحة. والواقع أن كعباً ووهباً لم يكونا يتورعان عن الكذب محاولة منهما لإثبات أن لهما علماً بكل شيء.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره المسعودي عن وهب بن منبه، قال: (لما ابتدأ الوليد ببناء مسجد دمشق، وجد في حائط المسجد لوح من حجارة فيه كتابة باليونانية، فعرض على جماعة من أهل الكتاب، فلم يقدروا على قراءته، فوجه به إلى وهب بن منبه، فقال: هذا مكتوب في أيام سليمان بن داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقرأه فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن آدم لو عاينت ما بقى من يسير أجلك، لزهدت فيما بقي من طول أملك، وقصرت عن رغبتك وحيلك، وإنما تلقى ندمك إذا زلت بك قدمك، وأسلمك أهلك، وانصرف عنك الحبيب، وودعك القريب، ثم صرت تدعى قولاً فلا تجيب. فلا أنت إلى أهلك

---

(١) الطبري ٥/ ١٢، راجع عن كعب: الدولابي ١/ ٩٩.

Weil. Bibliche legenden der muslemmanner p. 10. Sprenger das Leben Und Dis lehte des Mohammad, vol. 3. p. cix. Notr, 2. H. Hirshfeld. Art kab el - ahbar in jewish Encyclopeida. vol. 7, p. 400.

(٢) السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات تأليف «فان فلوتن»، ترجمة الدكتور حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم سنة ١٩٣٤. ص١١٥.

(٣) الطبري ٥/ ١٢ ومن قبيل الملاحم ما جاء في فتح مصر. الطبري ١/ ١٢٧. زعم أن عبدالله بن الزبير كان قد قال في كعب الأحبار: «ما كان في سلطاني شيء الا قد حدثني به، ولقد حدثني أنه يظهر على البيت قوم». تهذيب التهذيب ٨/ ٤٤٠.

عائد، ولا في عملك زائد، فاغتنم الحياة قبل الموت، والقوة قبل الفوت، وقبل أن يؤخذ منك بالكظم، ويحال بينك وبين العمل، وكتب زمن سليمان بن داوود فأمر الوليد أن يكتب بالذهب على اللازورد في حائط المسجد: «ربنا الله، لا نعبد إلا الله، أمر ببناء هذا المسجد وهدم الكنيسة التي كانت فيه عبد الله الوليد أمير المؤمنين في ذي الحجة سنة سبع وثمانين». ويقول المسعودي: وهذا الكلام مكتوب بالذهب في مسجد دمشق إلى وقتنا هذا، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مئة[١].

ولم أستجر ذكر هذا النموذج لولا أن لوهب نماذج عدة من هذا الطراز وردت في الكتب ولا سيما كتاب التيجان، زعم أنها تراجم لألواح وجدت مكتوبة بخطوط لم يستطع أحد قراءتها خلا وهب بن منبه، وكعب الأحبار.

ولم يذكر الطبري اسم «كعب الأحبار» في الفصل الذي عقده لقصة يوسف[٢]، فلم يرو له خبرا، على حين تردد اسمه في الكتب الأخرى ولا سيما كتب قصص الأنبياء كقصة يوسف[٣]. وقد دخل اسمه في كثير منها حتى في قصة «يوسف وزليخا» للفردوسي[٤]. ومن هذه الكتب دخل اسم «كعب الأحبار» في «قصة يوسف» التي اشتهرت في الأدب الأسباني[٥]. ويمكن تعليل ذلك بأن ظهور اسم «كعب» في قصة يوسف إنما كان بعد زمان الطبري، ولذلك لم يرد في هذا الباب من التاريخ[٦].

ولوهب بن منبه وكعب الأحبار أخبار عن العرب العاربة مثل عاد وثمود وردت في (قصص الأنبياء) للكسائي[٧]. وفي تاريخ الطبري حديث لوهب بن منبه عن قوم عاد

---

(١) مروج الذهب ٣/ ٩٧، ٢/ ١٥٢ (طبع المطبعة البهية) ١٣٤٦ بالقاهرة، وكانت له معرفة باخبار الأوائل وقيام الدنيا وأحوال الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وسير الملوك، ابن خلكان، وفيات الأعيان ٢/ ٢٣٨.

(٢) الطبري القسم الأول ص٣٧١ - ٤١٣.

(٣) الثعلبي، قصص الأنبياء ص٦١ (القاهرة ١٣٢٤هـ). قصص الأنبياء للكسائي (طبعة بون) ص٣١٥ فما بعدها.

(٤) طبعة «Ethe» حـ ٧ قسم ١ (اكسفورد ١٩٠٨) ص٢٥٨.

(٥) F, Guillen Robles, Leyendas de Jose hijo de Jacob, y, de Alejandro magno, Zaragozya, 1888.

(٦) Ency, of Islam, vol, 2, p, 583.

(٧) الطبري ١/ ١١٥ هو غير الكسائي العالم النحوى الشهير، راجع عنه:
Ency, vol, 2p. 1037, Lidzbarski, Vita Prophetarum auctore Muhammad ben Abdallah al - kisao. Bonn Hottinger, Promptu. Arium, Heidelberg.

أخذه عن شيخه محمد بن سهل بن عسكر عن إسماعيل بن عبد الكريم عن عبد الصمد عن وهب بن منبه. وأخذ ما قصه ابن إسحاق عن كيفية انتشار النصرانية في جنوب بلاد العرب، وهو مما روى عن وهب بن منبه[١].

ويجب أن نعترف أيضاً بأن قسماً من الأسماء الواردة في الروايات المنسوبة لوهب وفي كتاب التيجان، يدل على أنه كان قد نقلها نقلاً صحيحا على النحو الذي وردت عليه في التوراة، وأنه كان يذكر أحياناً الشكل الذي كان ينطق به الاسم عند العبرانيين على النحو الذي نقلوه فيه من الترجمات السريانية[٢]، فذللك مما يشعر منه بأن وهب بن منبه كان يراجع المظان للحصول على هذه المعلومات.

ولا بد لنا، وقد أشرفنا على إنهاء أمر وهب وكعب، من التحدث عن شخص آخر كان من أصل يهودي من يهود المدينة، وهو محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي المتوفى بين ١١٨ - ١٢٠ للهجرة. من قريظة حلفاء الأوس، وقد عد من علماء الحديث والقرآن حتى قال بعضهم انه (من أعلم الناس بالتأويل)[٣]، وكان مثل وهب قاصا من القصاص يقص في المسجد. وكان الغالب على أهل القصص الإغراب في الحكايات والمبالغة فيها اجتلابا لقلوب الناس كما هو معلوم. وقد جر قصصه هذا عليه البلايا، فانه بينما كان يقص في المسجد سقط عليه السقف فمات.

وجدت أقوال محمد بن كعب القرظي سبيلها إلى تأريخ الطبري عن طريق سيرة ابن إسحاق، وذلك بالطريق المألوف الذي سنعرفه فيما بعد في رواية السيرة بالنسبة للطبري، وهو طريق ابن حميد عن سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق، صاحب السيرة الذي أخذ منه بلا واسطة كما أخذ عنه بالواسطة. أما الأخبار المروية عنه، فهي في سير الرسل والأنبياء، وفي انتشار الديانة اليهودية والنصرانية في اليمن، وفي الأمور التي تخص اليهود في الحجاز[٤]. وقد كان من المقربين إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز، لأنه كانت له به معرفة سابقة قبل توليه الخلافة. فلما ولي الخلافة، كان يذهب

(١) Ency, of Islam, vol, 4,p. 1085.

(٢) Ency. Vol. 4. p. 1084.

(٣) تهذيب التهذيب ٩/ ٤٢٠، تجد له عدة روايات عليها الطابع الإسرائيلي. راجع عيون الاخبار ١/ ٢٠١، ٢٦٤، جـ ٢ ص١٤، ٣٤٣، ٣/ ٤.

(٤) الطبري ١/ ١٣٨، ٢/ ١٠٤، ورد اسمه في «٢٩» موضعاً من تأريخ الطبري.

إليه، ويتحدث معه في الزهد وفي القصص الذي يحمل طابع الإسرائيليات[1] وفي التفسير الذي اشتهر به.

وإذا كانت المذاهب السياسية الحديثة التي تريد احتكار العقول وتوجيهها على حسب رأيها قد تجد من أول أهدافها تحريم قراءة كتب المذاهب المعارضة في القرن العشرين، ولا سيما المذاهب المنسوخة من حيث هي ناسخة لها وأنها خطر على العقول، فان الإسلام لم يفعل ذلك: لم يحرم قراءة التوراة، ولا الأناجيل، ولم يمنع المسلمين من سماع القصص التي كان يقصها عليهم أهل الكتاب، ولذلك وجدت قصص الرسل والأنبياء وخلق العالم سبيلها إلى المسلمين بمطالعة هذه الكتب أنفسها، أو بمدارسة أهل الكتاب. وقد حصل الطبري على قسم من أخباره المدونة في سير الرسل والأنبياء من مطالعته للتوراة والأناجيل كما أخذ ابن قتيبة الدينوري وأحمد بن واضح اليعقوبي والمسعودي وغيرهم من التوراة كذلك. ولما كانت التوراة مجموعة أقاصيص وأساطير تاريخية تناولت التكوين والأمم التي اتصلت باليهود وحوادث الأنبياء والرسل الذين اعترف بهم الإسلام، كان من الطبيعي أن تصبح مألوفة عند علماء المسلمين أكثر من الأناجيل. وقد كان ابن إسحاق يحمل عن اليهود والنصارى، ويسميهم في كتبه أهل العلم الأول[2]. وكان يسألهم أيضاً سعيد بن جبير. حتى ان الخلفاء لم يجدوا حرجا من الأخذ من أهل الكتاب، مثل الخليفة عمر بن عبد العزيز[3].

ويصعب على المؤرخ الحديث تعيين أول ترجمة للتوراة والإنجيل باللغة العربية، ويظهر من الشعر الجاهلي ومن الأمثلة والمصطلحات الدينية التي ترجع إلى أصل يهودي أو مسيحي أن القسيسين ودعاة النصرانية «المبشرين» كانوا يعنون بتفسير العهدين، أو أقسام منها أو لرعايهم العرب في الجاهلية، وهنالك أدلة على ان العهدين كانا مترجمين في العصر الأموي، وذكر أن أحمد بن عبد الله بن سلام ترجم التوراة ترجمة صحيحة للخليفة هارون الرشيد، وأن تلك الترجمة كانت قد حفظت في خزانة المأمون[4]. وقد ذكر المسعودي أسماء جماعة من اليهود والنصارى ترجموا التوراة

---

(١) ابن سعد، الطبقات ٥/ ٢٧٢، فما بعدها. مجلد ٧ قسم٢ ص١٩٣ عيون الأخبار ٢/ ٣٤٣ مقام محمد بن كعب القرظي بن يدي عمر بن عبدالعزيز حـ ٣ ص٤.

(٢) الفهرست ص١٣٦.

(٣) الطبري ١/ ١٣٨.

(٤) الفهرست ص٣٢. أحمد بن عبدالله بن سلام الانجيلي. Wensinck، p. ٧٤٥.

والإنجيل[١]. وقد كانت هذه الترجمات من المواد المساعدة، ولا شك، على تأليف تأريخ ما قبل الإسلام. وكما كانت التوراة والإنجيل المواد المساعدة لبناء هيكل تأريخ الرسل والأنبياء كذلك ساعدت مادة أخرى في تثبيت ا لمنهج الذي سار عليه المؤرخون في تدوين هذا التأريخ، هي كتب التواريخ التي كانت عند النصارى خاصة، وليس هنالك مجال لنكران ذلك. فلا يعقل أن يكون الطبري ومن جاء قبله من المؤرخين قد ابتكروا هذا المنهج الذي يبدأ بالتكوين، ثم يتمشى مع التوراة ويسير قدماً إلى ما بعد المسيح مرتباً على النمط الذي سار عليه رجال الكنيسة في تدوين التاريخ، لا يعقل ذلك البتة، ولا يعقل أن يكون قد جاء إليهم من وحي الخاطر والاتفاق. لقد كان للطوائف النصرانية كتب في تأريخ الرسل والملوك والأمم، ذكرها المسعودي بشيء من التفصيل، ويكاد ذلك التشابه الذي نلمسه حتى في عنوان تأريخ الطبري يوحي إلى ان الطبري وغيره قد أخذوا اصطلاحهم هذا، وهو (تأريخ الرسل والأنبياء والملوك، وأحيانا الأمم أيضاً) من تلك الكتب التي كانت موسومة في الغالب بهذه العناوين، وكانت تبدأ على نحو بداية الطبري بالخليقة، ثم تسير على هذا النحو حتى تنتهي بسير الملوك في أيامهم، متبعة في ذلك الترتيب الزمني، أي نظام الحوليات.

ولهذا الموضوع علاقة بكتاب له أثر واضح في تكوين الأجزاء الأولى من تأريخ الطبري، هذا الكتاب هو سيرة ابن إسحاق الذي ضمنه مؤلفه مادة واسعة من تأريخ الرسل والملوك والإسرائيليات شغلت حيزاً كبيراً من هذا التأريخ. وقد فقدت هذه السيرة، يا أسفاه ولكن القسم الأعظم من أشلائها ظل باقيا في أثناء الكتب، ونجدها مبعثرة في صفحات تأريخ الطبري. وقد خلد ابن هشام في سيرته الجزء الأكبر من هذه السيرة، ولا سيما السيرة النبوية. فأما ما قبل السيرة النبوية، فقد استبعد منها تأريخ الأنبياء من آدم إلى إبراهيم، واقتصر من بعد إبراهيم على ما له علاقة بالنسب النبوي كما حذف من الأخبار ما يسوء، ومن الشعر ما لم يثبت، وأضاف إلى السيرة ما فات ابن إسحاق[٢].

اشتغل الطبري برواية سيرة ابن إسحاق، وهو في أيام شبيبته، وقد أخذها من عالم

---

(١) التنبيه والأشراف ص٩٨. منهم أبو كثير يحيى بن زكريا الكاتب الطبراني وكانت وفاته في حدود العشرين والثلاثة مئة، ومنهم سعيد بن يعقوب الفيومي وكان قد قرأ على أبي كثير، ومنهم داوود القومسي وكانت وفاته سنة ٣٣٤هـ، وإبراهيم البغدادي.

(٢) راجع مقدمة ابن هشام.

كبير كان رأس علماء مدينة (الري)، هذا العالم هو محمد بن حميد بن حيان التميمي أبو عبد الله الحافظ المروزي، المتوفى سنة ٢٤٨ للهجرة، وكان صاحب شهرة واسعة في علم الحديث والسيرة والمغازي، أخذ علمه عن جماعة من العلماء، أمثال: يعقوب بن عبد الله القمي، وإبراهيم بن المختار، وجرير بن عبد الحميد، وابن المبارك، وهارون بن المغيرة، وسلمة بن الفضل[١]، كما روى عنه جماعة من كبار العلماء الذين كانوا يقصدونه من مختلف الأنحاء، ومنهم طائفة من كبار المحدثين والمؤرخين، أمثال: أبي داوود، والترمذي، ويحيى بن معين، وعبد الله بن عبد الصمد بن أبي خداش، ومحمد بن إسحاق الصاغاني، وأبي بكر بن أبي الدنيا، ومحمد بن هارون الروياني، والطبري، وبقية هذه الطبقة التي مثلت الرصانة والتعمق في البحث والتدقيق في الكتابة والتأليف. ولما كانت وفاة محمد بن حميد في سنة ٢٤٨ للهجرة كما أشرنا إليه أي بعد مغادرة الطبري لمدينة الري ودخوله بغداد[٢] بسنوات، وجب أن يكون الطبري قد أخذ إجازته منه بالرواية عنه وعن مشايخه الذين أجازوه قبل دخوله مدينة السلام، ويعني هذا أن الطبري كان قد اشتغل بسيرة ابن إسحاق التي أخذها عن هذا العام قبل اشتغاله بتأليفه كتابه في التأريخ بمدة طويلة، ولعله في بداية عهده بالطلب حيث كان يكثر من الذهاب إلى مجلس شيخه لسماع ماكان يتحدث به ولتدوين ما يمليه على الطلاب، فإذا أتم ذلك دون الطبري أقوال شيخه، ثم يعود عليه لعرض ما دونه خوفا من السهو والنسيان، يفعل ذلك حتى في الليل، وكان في جملة ما يقرؤه (ابن حميد) على الناس سيرة ابن إسحاق إجازة عن سلمة بن الفضل[٣].

أما سلمة بن الفضل شيخ محمد بن حميد الذي أجازه برواية سيرة ابن إسحاق فهو سلمة بن الفضل الأبرش الأنصاري قاضي الري المتوفى بعد سنة ١٩٠ للهجرة، وكان صديقا لمحمد بن إسحاق، وقد قيل: ان مؤلف السيرة كان قد كتب نسخة من السيرة في

---

(١) تهذيب التهذيب ٩/ ١٢٧. تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٨ شذرات الذهب ٢/ ١١٨ ومع شهرته وعلمه رمى بالضعف «ضعف مضامين الأحاديث» قال فيه يعقوب بن شيبة: كثير المناكير. وقال البخاري: فيه نظر. وقال النسائي: ليس ثقة.

(٢) لم يعرف تاريخ دخول الطبري مدينة بغداد أول مرة معرفة أكيدة، غير ان دخوله إياها كان بعد وفاة الإمام أحمد بن حنبل بقليل، وقد توفي أحمد بن حنبل في ١٢ شهر ربيع الأول سنة ٢٤١للهجرة (٨٥٥م). فيكون مجيء الطبري إلى بغداد بعد هذا التاريخ بقليل، وربما كان في هذه السنة. ياقوت: ارشد الأريب ٦/ ٤٣١.

(٣) تهذيب التهذيب ٩/ ١٢٩، أرشاد الأريب ٦/ ٤٣٠.

قراطيس، ثم صير القراطيس لسلمة بن الفضل، ومن هنا فضلت رواية سلمة للسيرة على غيره لمكان تلك القراطيس، وكان يقال عنه: انه صاحب مغازي ابن إسحاق وانه روى عنه المبتدأ والمغازي[1]، ويرى «ادورد سخاو» أن من الجائز أن يكون ابن إسحاق قد سلم هذه النسخة لسلمة بن الفضل في أثناء إقامته في مدينة الري، وهي هذه النسخة التي اتخذت مرجعاً مهماً للطبري[2]، وقد كان لسلمة نفسه كتاب في المغازي قيل عنه: انه ليس في الكتب أتم من هذا الكتاب[3]. والظاهر أنه منتزع من هذه السيرة، أو لعلها السيرة برواية سلمة أجريت عليها التنقيحات، فعرفت باسمه، كما حدث في سيرة ابن هشام.

وزعم أبو بكر بن كامل، وهو ممن أخذ العلم عن الطبري وكتب سيرة شيخه ودافع عنه الطاعنين، أن الطبري كان قد حصل على نسخة من سيرة ابن إسحاق من شيخ آخر من شيوخه كان يقيم في قرية مجاورة للري، اشتهر بالسير والمغازي، هو أحمد ابن حماد الدولابي» وكان الطبري يأتي إليه أيضاً لأخذ منه وهو صاحب كتاب «المبتدأ والمغازي»[4]، وكان قد أخذ السيرة عن سلمة بن الفضل، فهو مثل محمد بن حميد من تلاميذ سلمة صاحب النسخة الأصلية لسيرة ابن إسحاق، غير أن أسانيد الطبري لا تؤيد هذا الرأي، ولم نجد في تاريخ الطبري ما يشير إلى أن الطبري كان قد بنى تاريخه على هذه النسخة. والدولابي هو من أهل «دولاب»، وهي قرية من أعمال الري، وكان له ولد اشتهر بالحديث والأخبار والتواريخ، وطاف كأهل هذا الشأن في أماكن مختلفة طلبا للعلم، وهو أبو بشر محمد بن أحمد المتوفى في سنة ٣١٠ للهجرة، وله مؤلفات في التاريخ والمواليد والوفيات، طبع منها «كتاب الكنى والأسماء»[5].

لم يقتصر الطبري مع ذلك على النسخة التي كانت عند «محمد بن حميد»، بل

---

(١) تهذيب التهذيب ٤/ ١٥٣، سلمة بن الابرش قاضي الري وراوي المغازي عن ابن إسحاق، وقد اختلف في الاحتجاج به، ولكنه ممن وثقهم ابن إسحاق، الشذرات ١/ ٣٢٨.

(٢) طبقات ابن سعد حـ ٣ القسم الأول، مقدمة Eduard sachau ص٢٥، أبو عبدالله سلمة بن الفضل الرازي، الدولابي ٢/ ٥٦.

(٣) تهذيب التهذيب ٤/ ١٥٣.

(٤) أرشاد الأريب ٦/ ٤٣٠.

(٥) ولد سنة ٢٢٤ للهجرة، فهو في سن الطبري. وكتابه هذا طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد دكن بالهند سنة ١٣٢٢هـ، راجع عنه تذكرة الحفاظ ٢/ ٢٩١ فما بعد. و«الكنى والألقاب» لعباس بن محمد رضا القمي، مطبعة العرفان صيدا، ١٣٥٨هـ، حـ٢ص٢١١، لم يذكره الطبري في تاريخه غير مرة واحدة، راجع الدورة الأولى ص١٨٠٦.

أشار في تضاعيف كتابه إلى أنه أخذ من مشايخ آخرين مثل هناد بن السري بن مصعب التميمي الكوفي المتوفى سنة ٢٤٣ للهجرة، المعروف براهب الكوفة، لشدة زهده وورعه. وكان هناد من المشتغلين بالسيرة، أخذ إجازته بروايتها من محدث ومؤرخ من أهل الكوفة هو يونس بن بكير واصل أبو بكر الشيباني الجمال المتوفى سنة ١٩٩ للهجرة، وقد عرف بصاحب المغازي[١]. وكان من الراوين عن الأعمش وهشام بن عروة وأمثالهما من مشاهير أهل الحديث، وقد أجاز لجماعة برواية المغازي عنه مثل أبي كريب من علماء الكوفة المعروفين، وأخذ منه الطبري، وذكر اسمه في مواضع كثيرة من تأريخه، ومثل أحمد بن عبد الجبار العطاردي أبي عمرو الذي أجاز لغيره برواية سيرة ابن إسحاق إلى أن وصلت إلى ابن الأثير، فاعتقد عليها في كتابه[٢]، «أسد الغابة في معرفة الصحابة»[٣]، واستفاد الطبري من نسخة أخرى من نسخ سيرة ابن إسحاق كانت عند علم من أعلام السيرة والمغازي هو «سعيد بن يحيى بن سعيد بن العاص الأموي» وهو، وإن كان أموياً، يمثل مدرسة الكوفة في الرواية، وكان يقيم فيها وفي بغداد[٤] وقد حدث عن أبيه المتوفى سنة ١٩٤ للهجرة عن ابن إسحاق وعن عمه محمد بن سعيد، وقد أخذ عن ابن إسحاق[٥]، وكان يحيى بن سعيد الأموي من خاصة ابن إسحاق، وهو الذي روى عنه كتاب الخلفاء[٦].

فهذه نسخة أخرى من سيرة ابن إسحاق حصل عليها من رواة أهل الكوفة ومن رجل عرف باتصاله بالمؤلف، وبروايته كتبه عنه من هذه المدينة التي سبقت سائر المدن العربية حتى مدينة الرسول في تدوين التأريخ الإسلامي وروايته، وسبقت المدينة بعدئذ

---

(١) تذكرة الحفاظ ١/ ٢٩٩. طبقات ابن سعد، مقدمة «سخأو» حـ ٣ قسم١ ص٢٥، الشذرات ٢/ ١٠٤، ورد اسمه في أكثر من «١٠٠» مواضع من تأريخ الطبري. فهرست الطبري ص٦١٦.

(٢) أسد الغاية في معرفة الصحابة ١/ ١١ طبع جمعية المعارف.

(٣) أحمد بن عبدالجبار بن محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي العطاردي الكوفي، توفي سنة ٢٧٢للهجرة. تهذيب التهذيب ١/ ٥٢، ولم ينقل الطبري من نسخته شيئاً. راجع فهرست الطبري ص١٦ ترتيب De Goeje المطبوع سنة ١٩٠١. الشذرات ٢/ ١٦٢.

(٤) إرشاد الأريب ٦/ ٤٠٠.

(٥) الطبري ١/ ١٢٦، ٢/ ١٢٦، ومواضع أخرى. تجد ترجمته في تأريخ بغداد ١٤/ ١٣٢، يحيى بن سعيد بن أبان الأموي الكوفي حمل المغازي عن ابن إسحاق واعتنى بها وزاد فيها اشياء الشذرات ١/ ٣٤١.

(٦) الإرشاد ٦/ ٤٠١، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٩٨، كتاب الكنى والأسماء للدولابي ١/ ١٠٢.

في تنظيم كتب السير والمغازي ورواية الإحداث الإسلامية، وان كانت قد أخذت هذا الدرس من عاصمة الإسلام الأولى. وقد نجح ابن إسحاق في نشر مؤلفه بين رواة الكوفة الارستقراطيين الذين طبقوا التأريخ بطابع أهل الكوفة الخاص، فلم تقتصر رواية السيرة على يحيى بن سعيد الأموي وحده، بل ظهر عدد من الرواة رووا سيرة ابن إسحاق، منهم هارون بن إدريس الأصم[1] من رؤوس رواة أهل الكوفة، وقد نقل علمه بمغازي ابن إسحاق من شيخه عبد الرحمن بن محمد بن زياد أبي محمد الكوفي المحاربي المتوفى سنة ١٩٥ للهجرة[2]، وهو من رواة ابن إسحاق وقد روى عنه جماعة، منهم هناد بن السرى الذي سبق ذكره، وكانت لديه نسخة من سيرة ابن إسحاق[3]. ومنهم أبو كريب شيخ الطبري الذي يرد ذكره مراراً في سند الطبري كما سنتحدث عنه.

وعرفت سيرة ابن إسحاق في مدينة البصرة كذلك، هذه المدينة التي نافست الكوفة في النحو واللغة والقصص والأخبار، وكان فيها جماعة كانت لهم صلات بالصنعانيين الذين أكثروا من رواية الإسرائيليات، ولكنها لم تستطع الفواق على الكوفة في الأخبار والتأريخ. وقد روى هذه السيرة جماعة منهم، مثل ابن المثنى الذي ورد اسمه مراراً في تاريخ الطبري، وهو محمد بن المثنى بن عبيد بن قيس بن دينار العنزي أبو موسى البصري الحافظ المتوفى سنة ٢٥٢ للهجرة[4]. أخذ الطبري عنه في زيارته إلى البصرة. وأخذ ابن المثنى السيرة عن وهب بن جرير بن حازم أبي العباس البصري الحافظ المتوفى سنة ٢٠٦ للهجرة[5] من شيوخ البصرة المعروفين، وحدث عن أبيه عن ابن إسحاق وعن جويريه وآخرين من هذا الطراز، وتجد له أخباراً في كتاب «أنساب الأشراف»[6]، ترى منها أن الرجل كان من المؤرخين المشهورين.

---

(١) ورد اسمه في موضعين من تأريخ الطبري، الدورة الأولى ص٥٧٣. ٩٧٠.

(٢) بد الرحمن بن محمد المحاربي، الشذرات ١/ ٣٤٣، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٨٧، ورد اسمه في خمس مواضع من تاريخ الطبري، راجع الدورة الأولى ص، ١١٥، ١٩٧، ٣٨٦، ٥٧٣، ٩٧٠.

(٣) لسان الميزان ٦/ ٨٤٨، تهذيب التهذيب ٦/ ٢٦٥ تذكرة الحفاظ ١/ ٢٨٧. الشذرات ١/ ٣٤٣.

(٤) تهذيب التهذيب ٩/ ٤٢٥، تذكرة الحفاظ ٢/ ٨٦، الشذرات ٢/ ١٢٦، ورد اسمه في اكثر من «٤٠»، موضعاً في تاريخ الطبري، راجع فهرست الطبري ص٥٢٨.

(٥) تهذيب التهذيب ١١/ ١٦١، تذكرة ا لحفاظ ١/ ٣٠٧ن الشذرات ٢/ ١٦ وقد = روى عن ابن المثنى أبو بشر محمد بن أحمد الدولابي راجع ١/ ٥٦ ومواضع أخرى.

(٦) أنساب الأشراف: لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، الجزء الخامس، القدس سنة ١٩٣٦، صفحة: =

أما ابن سعد صاحب الطبقات، فقد استعان - كما يظهر من الطبقات الكبرى بنسخة من سيرة ابن إسحاق رواية إبراهيم بن سعيد بن إبراهيم ابن عوف الزهري المتوفى بين ١٨٢ - ١٨٥ للهجرة[١] بمدينة بغداد. وكان من أهل المدينة، ومن أصحاب ابن إسحاق، روى عنه شيئاً كثيراً من الحديث في الأحكام، وروى عنه المغازي، ويقال: انه المدني الوحيد الذي روى سيرة ابن إسحاق[٢]، وبنسخة أخرى هي نسخة هارون بن أبي عيسى الشامي كاتب ابن إسحاق، وأحد الرواة عنه، وكان موثوقا به في الرواية عن شيخه ابن إسحاق[٣]، وبنسخة ثالثة كانت عند محمد بن عبد الله بن نصير الهمداني أبي عبد الرحمن الكوفي النفيلي من رؤساء أهل الحديث في الكوفة، ومن الأشخاص القليلين الذين رضي عنهم أهل الحديث، وقد توفي بمدينة حران، وأرى أن نسخة النفيلي هذه إنما نقلت من نسخة إبراهيم بن سعد، إذ يستبعد أخذ النفيلي المتوفى سنة ٢٣٤ من ابن إسحاق المتوفى نسة ١٥٠، أو بعد ذلك بقليل، وان صرح ابن النديم في كتابه ان النفيلي قد روى كتاب السيرة والمبتدأ والمغازي عن ابن إسحاق[٤] والمتعارف عند الرواة إن ابن إسحاق إنما ألف السيرة إجابة لطلب الخليفة أبي جعفر المنصور، وذلك على أثر زيارته له بالحيرة، فهم يقولون إن الخليفة كان بين يديه ابنه المهدي حين دخل عليه ابن إسحاق، فلما بصر به قال له: أتعرف هذا يا ابن إسحاق؟ قال نعم، هذا ابن أمير المؤمنين. فقال الخليفة: اذهب فصنف له كتاباً منذ خلق الله تعالى آدم إلى يومك هذا. فذهب فصنف له السيرة فلما عاد ابن إسحاق بها، قال له: لقد طولته يا ابن إسحاق، اذهب فاختصره، فذهب فاختصر، فهو هذا الكتاب المختصر، وألقى الكتاب في خزانة أمير المؤمنين[٥]. وفي رواية أخرى إن ابن

= ٥٠، ٨٢، ٨٨، ٩٦، ١٠١، ١٤٣، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٧١، ٢٧٢، ٣٠٣، ومواضع عديدة أخرى.

(١) تذكرة الحفاظ ١/ ٢٣٢، الشذرات ١/ ٣٠٥، الدولابي ١/ ٩٩.

(٢) روى عنه «كتاب السيرة والمبتدأ والمغازي» الإرشاد ٦/ ٤٠١، الفهرست ص١٣٦، طبقات ابن سعد جـ ٣ قسم ١ ص٢٥ مقدمة، وحـ٣ قسم ٢ ص٥١، تهذيب التهذيب ١/ ١٢١، وإبراهيم بن سعد من أكثر أهل المدينة حديثاً في زمانه، ولي بيت المال ببغداد، وأكرمه الرشيد.

(٣) الطبقات حـ ٣ قسم١ ص٢٥، وحـ٣ قسم٢ ص٥١، تهذيب التهذيب ١١/ ١٠ روى عنه ابنه عبدالله بن هارون، ومعلى بن أسد العمى، قال البخاري: يخطئ في غير حديث ابن إسحاق.

(٤) الفهرست ص١٣٦، شذرات الذهب ٢/ ٨٠ تذكرة الحفاظ ٢/ ٣٤. Sprenger, ZDMG, xvu 288.

(٥) تاريخ بغداد ١/ ٢٢١.

إسحاق صنف هذا الكتاب في القراطيس، ثم صير القراطيس لسلملة بن الفضل، فمن ثم فضلت رواية سلمة ابن الفضل على رواية غيره لحال تلك القراطيس(١).

والواقع ان ابن إسحاق كان قد أتم تصنيف السيرة، وهو في المدينة، وقبل اضطراره إلى الهجرة منها في عام ١٣٢هـ. وقد وضعها على طريقة أهل المدينة في رواية السيرة، وأخذها من رواة أهل المدينة(٢)، وحملها معه، وأجاز روايتها للعلماء الذين اتصلوا به في أثناء سفره إلى العراق. فلما قدم العراق، أهدى نسخة منها إلى الخليفة(٣)، ثم ذهب إلى الري وهناك اتصل بالمهدي وأجاز لجماعة من أهل الري برواية السيرة، ولعله قدم نسخة أخرى منها إلى سلمة بن الفضل قاضي الري، ثم عاد بعد ذلك إلى بغداد توفي بها عام ١٥٠ أو ١٥١ أو بعد ذلك بقليل(٤).

تألفت سيرة ابن إسحاق من أقسام ثلاثة: من المبتدأ وقصص الأنبياء، أو المبدأ، وهو تأريخ ما قبل الإسلام، أو بعبارة أصح تأريخ العالم منذ الخليقة إلى مولد الرسول. وهو يكون القسم الأول أي المقدمة بالنسبة للسيرة. وأما القسم الثاني فهو السيرة والمغازي(٥)، ثم يليها القسم الثالث. وقد دعي بكتاب الخلفاء(٦). ويفصل فريق بين السيرة والمغازي، ويفرقون بين الاثنين فيدخلون في المغازي ما ليس من مغازي الرسول ويتوسعون فيها. وقد اقتصد ابن هشام في القسم الأول. وأما الطبري، فلم يقتصد في النقل فيها. وقد نقل عن المبدأ أبو الوليد أحمد بن محمد بن عبد الله الازرقي صاحب «كتاب أخبار مكة المشرفة» رواية سبطه أبي الوليد محمد بن عبد الله

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٢٢١.

(٢) Brocklemann, suppl, vol, 1,p, 205.

(٣) Fuck, muhammed ibn ishaq, Frankfurt A.M, 19,5.

(٤) ابن سعد، الطبقات ٧/ ٢، ابن قتيبة، المعارف ص٢٤٧. الفهرست ص١٦ الإرشاد ٥/ ٣٩٩، ابن خلكان، الوفيات ٦٢٣. الذهبي ميزان الاعتدال ٣/ ٢١، ابن حجر، التهذيب ٩/ ٢٤٧ «ومن كتب ابن إسحاق أخذ عبد الملك بن هشام، وكل من تكلم في السير فعليه اعتماده» الشذرات ١/ ٢٣٠.

(٥) المبتدأ الفهرست ص٩٢. مبدأ الخلق ابن هشام طبعة وستنفلد ٢/ ٨ المبدأ وقصص الأنبياء السيرة الحلبية ٢/ ٢٣٥، كتاب المغازي .Ency, vol, 2,p, 390

(٦) كتاب الخلفاء: ظن المستشرق «Karaback» أنه قد تمكن من الاهتداء إلى أوراق منه في مجموعة «Rainer» يمكن إن تكون نسخة أصلية لسيرة ابن إسحاق.

Fuhres durch die Sammlung no: 665, Horovitz, in mitt, des, sem, fur, Orient, Sprachen, X, Westas, stud, p, 14, Ency, vol, 2, p, 390.

الازرقي، والمطهر بن طاهر البلخي[١].

والظاهر أن حظ القسم الثالث وهو «كتاب الخلفاء» كان عاثرا، فلم ينل من المؤرخين عناية تستحق الذكر، ولم يكتسب الشهرة التي نالتها السيرة. وقد اقتبس منه الطبري في تأريخ الخلفاء الراشدين وخلافة معاوية وصدر الدولة الأموية[٢].

أخذ ذلك عن شيخه محمد بن حميد، وشيخه عمر بن شبه عن زهير عن وهيب عن أبيه عن ابن إسحاق[٣]، وعن عمر بن شبه أيضاً عن علي بن مجاهد بن رفيع الكابلي أبي مجاهد المتوفى بعد سنة ١٨٠ للهجرة، وهو صاحب كتاب في المغازي وأحد رواة المغازي عن ابن إسحاق وأبي معشر السندي، وكان له كتاب في أخبار الأمويين[٤].

وقد ورد اسمه في مواضع كثيرة من تأريخ الطبري[٥]. وسنتحدث عنه في الموضع المناسب، عند البحث في تأريخ الأمويين. كما ورد اسمه في مواضع متعددة من كتاب «انساب الأشراف» للبلاذري حيث ذكر له جملة أخبار في تأريخ بني أمية[٦] لعلها انتزعت من كتاب في تأريخهم.

وقد استخدم ابن إسحاق في سيرته مقداراً وافراً من الشعر، ويمكن الحصول على فكرة تقريبية عن كمية الشعر من النظر في ابن هشام، فانه نبذ قسماً كبيراً من الشعر الذي استعمله ابن إسحاق، وبلغت كمية ما تبقى منه مع كل ذلك نحو خمس مادة الكتاب، واتهم ابن إسحاق بأنه لم يكن يميز بين الصحيح والفاسد من الشعر، وانه كان تعمل له الإشعار ويؤتى بها ويسأل أن يدخلها في كتابه في السيرة فيفعل. فضمن كتابه من الأشعار ما صار به فضيحة عند رواة الشعر[٧]. ولهذا السبب ترك ابن هشام جزءاً وافراً من الشعر الوارد في سيرة ابن إسحاق لم ير أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفه، أو لأن

---

(١) أخبار مكة المشرفة تاريخ مكة المشرفة.

Brocklemann, suppl. Vol, 1, p, 209, Wustenfeld chroniken der stadt Mekka, Ency, vol, 1, p, 542.

(٢) الطبري، تاريخ معاوية فما بعد.

(٣) تهذيب التهذيب ٧/ ٣٧٧، تاريخ بغداد ١٢/ ١٠٦، والطبري ٦/ ١٦٦.

(٤) كشف الظنون ١/ ٢٨٩.

(٥) فهرست الطبري ٣٩٩.

(٦) أنساب الأشراف، القسم الثاني من الجزء الرابع ص٦، ١٤١، ١٤٧ حـ٥ ص٢٦٣.

(٧) الفهرست ص١٣٦.

شيخه البكائي الذي أخذ هو نفسه السيرة عن ابن إسحاق لم يقره[1].

وقد طعن على ابن إسحاق من هذه الناحية، والواقع هو أنه لم يكن أول من أدخل الشعر المنحول في كتبه، أو أنه الوحيد الذي لم يكن يميز بين الصحيح والفاسد من الشعر، وتكاد تضرب كتب الأخبار والأنساب التي تعرضت لما قبل الإسلام الرقم القياسي في إيراد الشعر المختلق، ثم ان من طبيعة المحدث الذي يعتمد على الرواية ويقيم وزناً لصدق الراوي في نظره، التصديق بكل رواية، ومن هنا تتبين نقطة الضعف عند الرواة!

كانت الرواية هي الغالبة على أهل المدينة، ولذلك كانوا يتمسكون بالسند، ولا يرتضون الرأي، فكانوا في ذلك على نقيض العراق، ولا سيما أهل الكوفة الذين استعملوا الرأي والقياس. كانت أسانيد أهل المدينة متينة قوية محكمة في الغالب، مرتبطة متسلسلة إلا أنها لا تستطيع أن تقف تجاه الرأي ولا تستطيع أن تثبت بإزاء نقد النقاد. ولهذا السبب أيضاً كانت عند أهل المدينة مشرفة متصلة الأسانيد، ولكنها لم تكن متينة البناء على نحو كتب السيرة التي وضعت في الكوفة بعد انتقال علم السيرة من الحجاز إلى العراق، فمحمد بن إسحاق يمثل في الواقع طبيعة أهل المدينة، ولعله لم يكن متعمدا إدخال هذا الشعر المنحول في السيرة، وإنما كان الرواية الذين تحدثوا إليه مسؤولين عنه.

وطعن علماء الحديث على ابن إسحاق، لأنه خالف قواعد الإسناد، وتساهل في الرواية، ومثل هذا لا يجوز في مصطلح أهل الحديث، فجاءت أسانيده في نظرهم بهذا التساهل مفككة غير مرتبطة كقوله «حدثني من لا أتهم»[2] أو قوله «حدثني بعض أهل العلم»[3]، أو قوله «حدثت ان...»[4] «أو قوله «يقال..»[5]، وغيره من أهل العلم أن...[6]، وغير ذلك من الأمثلة التي ترد في سيرة ابن هشام وفي تأريخ الطبري نقلاً من سيرة ابن إسحاق. وإذا جاز أن يكون هذا من مواطن النقد، فانه ينطبق على الطبري وعلى كثير من أمثاله ممن اتبع السند ولم يتقيد بشروط الرواية.

---

(١) ابن هشام ١/ ٤.
(٢) الطبري ١/ ٩٢.
(٣) الطبري ١/ ٧٠.
(٤) الطبري ١/ ٥٥.
(٥) الطبري ١/٤٧.
(٦) الطبري ١/ ١٣٠.

وطعن عليه، لأنه كان يحمل عن اليهود والنصارى، ويعتمد عليهم، ويسميهم أهل العلم الأول، وفي سيرته شواهد كثيرة تؤيد هذا الرأي. وقد أخذ غيره عن أهل الكتاب، إلا أنه لم يكثر، ولم يغرب في الرواية عنهم، ولذلك لم يطعن عليهم.

وتدل القطع المنتزعة من كتابه على أنه من المبالغين في الاعتماد على النقل، ولهذا السبب صدق بما كان يحدثه به أهل الكتاب على أنه من العلم الأول، وأنه وارد عندهم في كتب الله. وما قيل فيه قيل في إضرابه الذين اغربوا في التصديق بالإسرائيليات.

أخذ ابن إسحاق عن جماعة من المشايخ بلغ عددهم «١١٤» شيخاً، وليس هذا العدد بشيء كبير بالنسبة لمألوف ذلك الزمان كان فيه العلم شعبيا مشاعا، فقد كان من عادة رجال العلم الاكباب على الدراسة حتى الموت، والاغتراب عن الوطن في سبيل الأخذ عن العلماء، لا تنقطع أيام التلمذة مهماً بلغ الإنسان من العلم، ففوق كل ذي ابن إسحاق أبوه إسحاق بن يسار الذي ورد اسمه «١٥» مرة[١]، وعبد الله بن أبي بكر المتوفى سنة ١٣٦ للهجرة الذي تردد اسمه «٤٠» مرة[٢]، ويحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير الذي جاء اسمه «١٤» مرة[٣]، ومحمد بن جعفر بن الزبير[٤]، ونافع مولى ابن عمر[٥]، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج[٦]، ومحمد بن إبراهيم التيمي[٧]، وعبد الله بن

---

(١) وقد ورد اسمه «٧» مواضع من تأريخ الطبري راجع فهرست الطبري ص٣٢. روى عن الحسن بن علي وعروة بن الزبير. وروى عنه ابنه. تهذيب التهذيب ١/ ٢٥٧.

(٢) راجع فهرست الطبري ص٣٩٧.

(٣) يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير بن العوام. تهذيب التهذيب ١١/ ٢٣٤، ورد اسمه في «١٧» موضعاً من تأريخ الطبري، راجع فهرست الطبري ص٦٣٦.

(٤) ورد اسمه في «١٦» موضعاً من تأريخ الطبري. فهرست الطبري ص٥٠٨ محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام المتوفى بين ١١٠ - ١٢٠ للهجرة كان من فقهاء المدينة. تهذيب التهذيب ٩/ ٩٣.

(٥) ورد اسمه في «٢٤» موضعاً من تاريخ الطبري. فهرست الطبري ص٥٨٧، نافع الفقيه مولى ابن عمر أبو عبدالله المدني، توفي سنة ١١٧ أو ١١٩ أو ١٢٠هـ، تهذيب التهذيب ١٠/ ٤١٤ الشذرات ١/ ١٥٤ بعثه عمر بن عبدالعزيز إلى أهل مصر يعلمهم السنين.

(٦) ورد اسمه في «٤٤» مواضع من تاريخ الطبري راجع فهرست الطبري ص٣٤٤. توفي بالاسكندرية سنة سبع عشرة ومئة. الشذرات ١/ ١٥٣ وقيل توفي سنة «١١٠» قال ذلك الواقدي، وهو وهم، والأول اصح. وكان عالما بالأنساب والعربية، تهذيب التهذيب ٦/ ٢٩١، كاتب المصاحف تذكرة الحفاظ ١/ ٩١.

(٧) محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، توفي سنة ١٢٠هـ، روى عنه يحيى ابن سعيد الانصاري، وهشام بن عروة، والأوزاعي، ومحمد بن إسحاق، تذكرة الحفاظ ١/ ١١٧، الشذرات ١/ ١٥٧.

أبي نجيح[1]، وهشام بن عروة[2]، ويزيد بن أبي حبيب المصري[3]، وسعيد المقبري[4]، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وشعبة بن الحجاج، وروح بن القاسم وغيرهم[5] ممن وردت أسماؤهم في تأريخ الطبري، وسنتحدث عنهم فيما بعد بشيء من التفصيل.

وإذا كانت سيرة ابن إسحاق قد أمدت الطبري بمادة واسعة من مادة ما قبل الإسلام، فقد أمد علم ابن عباس هذا الباب بمادة غزيرة وردت على الطبري عن ابن إسحاق ما في ذلك شك، وعن مدارس التفسير وتلامذة ابن عباس الذين نقلوا علم أستاذهم إلى أقصى أنحاء الخلافة، وعن كتب المغازي التي وضعت تأريخ الرسل والأنبياء مقدمة لسيرة الرسول.

ولابن عباس كلام في تأريخ الطبري وفي تفسيره، وقد ورد اسمه «٢٨٦» مرة في التأريخ، وفي هذا العدد كفاية للحكم على منزلته في «تأريخ الرسل والملوك».

وقد ورد اسم أبي هريرة «٥٢» مرة وأنس بن مالك «٤٧»[6] مرة، وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي وابن عمر عدة مرات، ولم يرد عن أحد من الصحابة والتابعين في تأريخ الطبري هذا المقدار من الأسانيد التي وردت عن ابن عباس.

أما الموضوعات التي يتناولها ابن عباس بالبحث، فتمكن معرفتها من قراءة هذا الخبر الذي رواه ابن سعد عن مشايخه عن عبد الله بن عتبة قال: «كان ابن عباس قد

---

(١) مولى الاخنس بن شريق، توفي سنة ١٣١هـ. من المفسرين والمحدثين، قيل كان يرى القدر، تهذيب التهذيب ٦/ ٥٤، وهو صاحب مجاهد. الشذرات ١/ ١٨٢.

(٢) ورد اسمه في «٣٧» موضعاً من تاريخ الطبري. هو هشام بن عروة بن الزبير، توفي سنة ١٤٦ أو ١٤٧. تهذيب التهذيب ١١/ ٥٠ - ٥١، تحدثت عنه في موضع آخر.

(٣) ورد اسمه في «١٢» موضعاً من تاريخ الطبري. راجع فهرست الطبري ص٦٤٠ يزيد بن أبي حبيب، واسمه سويد الازدي مولاهم أبو رجاء المصري، كان مفتي أهل مصر في زمانه، وكان أول من أظهر العلم بمصر، توفي سنة ١٢٨هـ، تهذيب التهذيب ١١/ ٣١٩، الشذرات ١/ ١٧٥.

(٤) سعيد بن أبي سعيد كيسان، توفي سنة ١٢٥ أو ١٢٦هـ. تذكرة الحفاظ ١/ ١١٠، تهذيب التهذيب ٤/ ٣٨ الشذرات ١/ ١٦٣.

(٥) مقدمة وستنفلد لسيرة ابن هشام. يحيى بن سعيد الانصاري ورد اسمه في «١١» موضعاً من تاريخ الطبري. كانت له كتب. تهذيب التهذيب ١١/ ٢٢٠. تذكرة الحفاظ ١/ ١٢٩. شعبة بن الحجاج ورد اسمه في مواضع متعددة من تأريخ الطبري توفي سنة ١٦٠هـ. محدث البصرة. تذكرة الحفاظ ١/ ١٨١ فما بعد. «أمير المؤمنين في الحديث» الشذرات ١/ ٢٤٧.

(٦) Schawally, vol, 2,p, 125, 126, Goldziher muhstud, vol, 2,p, 147, Caetani, Annali, vol, 1,p, 43.

فات الناس بخصال بعلم ما سبقه وفقه فيما احتيج إليه من رأيه وحلم ونسب وتأويل، وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله ﷺ، منه، ولا أعلم بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه، ولا أفقه في رأي منه، ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا بتفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه، ولا أعلم بما مضى، ولا أثقب رأياً فيما احتيج إليه منه، ولقد كان يجلس يوما ما يذكر فيه إلا الفقه، ويوما التأويل، ويوما المغازي، ويوما الشعر، ويوما أيام العرب، وما رأيت عالما قط جلس إليه إلا خضع له، وما رأيت سائلا قط سأله إلا وجد عنده علماً[1].

ولا تكاد تقرأ فصلاً من فصول الطبري إلا تجد فيه قولاً أو أكثر لابن عباس في الإسرائيليات وفي الشعوب العربية البائدة وفي المغازي، ولا تكاد تقرأ كتاباً من الكتب التي تبحث في مثل هذه الموضوعات الا تجد فيها كلاماً لابن عباس، وقد نسب المحدثون إليه (١٦٦٠) حديثاً من الأحاديث زعموا أن ابن عباس رواها عن الرسول، أخرج منها البخاري ومسلم (٩٥) حديثا، عدا الأحاديث الأخرى التي أخرجها كل واحد من المحدثين على انفراد، ونسبوا إليه (١٠٠) حديث في تفسير كلام الله[2].

قالوا: وكان عند كريب بن أبي مسلم مولى ابن عباس حمل بعير «من كتب ابن عباس، فكان علي بن عبد الله بن عباس إذا أراد الكتاب كتب إليه: ابعث إلى بصحيفة كذا وكذا، فينسخها، فيبعث إليه بإحداهما»[3]. وفي هذا الخبر أشارة إلى أنه كان قد بدئ بتدوين أقوال ابن عباس في أيام حياته، وأنه ترك صحفا لورثته بعد وفاته، غير أنه لم يرد في الأخبار أنه صنف كتباً على نحو ما نفهم من الكتاب في زماننا.

ويثير لنا هذا الخبر مشكلة عويصة، فإذا كان ما جاء حقاً من ان ابن عباس ترك صحفا تقدر بحمل بعير أو أكثر من ذلك أو أقل، فلم هذا التناقض والاختلاف الذي دونه الرواة في مادة واحدة مثلاً من أقوال ابن عباس؟

الحقيقة هي أن الجواب العلمي المقنع عن هذا الإشكال يرضى الناقد الحديث، أمر ليس بسهل ولا بيسير، أكان ابن عباس متردداً في أقواله يقول ثم يرجع عن قوله بعد ذلك أم كان ينسى أقواله فعليه تقع تبعة هذا التناقض؟ أم كانت هذه التبعة تقع على

---

(١) الطبقات جـ٢ قسم ٢ ص١٢٢، أسد الغابة ٣/ ١٩٣، راجع عن ابن عباس، الدولابي ١/ ٨٢.

(٢) الطبقات ٥/ ٢١٦، تهذيب التهذيب ٤/ ٢٧٦ فما بعدها.

(٣) طبقات ابن سعد في ترجمة ابن عباس وأبي كريب.

كاهل الرواة وعلى الذين كانوا يدونون أقواله في حلقات الدراسة التي عقدها في البصرة أو مكة أو الطائف أو الأماكن الأخرى؟ أم لا تقع عليه ولا على هؤلاء، بل على السياسة التي أعرضت عن معاقبة الوضاعين الذين ظنوا أنهم يتقربون بهذا الدس من ساسة الدولة العباسية، فدسوا عليه أكثر هذه الأقوال كما دس على الرسول وعلى خلفائه وعلى الشعراء الجاهليين والإسلاميين؟.

دفعت هذه المشكلة «شبرنكر» «A,Sprenger»[١] إلى التحامل على ابن عباس فرماه بالكذب والبهتان، وأنا على يقين أنه لو أعمل عقله ودرس هذه الأقوال المنسوبة إلى ابن عباس دراسة علمية دقيقة، ولو فكر في العوامل السياسية التي يمكن أن تكون هي المسؤولة أولاً عن ذلك، وهي لا تدخل في بحثنا هذا في زماننا، أقول: لو فكر في ذلك، وتعمق في البحث عن هذه الأسباب، ما تسرع في حكمه هذا الذي تخالفه أيسر قواعد الجرح والتعديل.

ترك ابن عباس وراءه عدداً من الطلاب كان لهم أثر كبير في العقلية العربية في العصر الأموي انتشروا في العراق والشام والحجاز وسائر الأقطار وأنشأوا كأستاذهم عدة حلقات للدراسة كان الطابع الغالب عليها هو التفسير ثم الحديث والأيام والشعر، ولا بد لدراسة التاريخ الثقافي في العصور الأولى للإسلام من دراسة نشاط هؤلاء وما روى من أقوالهم ومؤلفاتهم. وقد ذكر ابن الأثير[٢] أسماء أكثرهم نذكر منهم عبد الله بن عمر، وأنس بن مالك، وكثير بن عباس أخا عبد الله بن عباس، وعلي بن عبد الله بن عباس، وعكرمة، وكريب، وعطاء بن أبي رباح، ومجاهدا، وابن أبي ملكية، وعمرو بن دينار، وعبيد بن عمر، وسعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد، وعروة بن الزبير، ومحمد بن كعب، وطاووسا، ووهب بن منبه، كعب الأحبار، وسعيد بن جبير، وأبا صالح باذام.

ولأكثر هؤلاء علاقة بتاريخ الطبري، فلهم فيه أقوال وروايات أخذها الطبري عن شيوخه، وقد سبق أن تحدثنا عن وهب بن منبه بقدر ما لوهب من علاقة بتاريخ الطبري وعن طرق الإسناد التي وصلت الطبري بابن منبه، ولوهب روايات زعم أنه أخذها من

---

(١) A, Sprenger in journal of the Asiatic Socity of Bengal, vol, 25, p, 72, year 1856, das leben und die lehre des Muhammed lll, pp, Cxl, CXV, Caetani, aunali, vol, 1, 47 - 51, Schwally, vol, 2, p, 167.

(٢) أسد الغابة ٣/ ١٩٤. الإتقان ٩٠٩ فما بعدها.

ابن عباس أشك في صحتها، إذ كيف يعقل أخذ وهب بن منبه هذه الإسرائيليات من ابن باس، وهو أعلم بها منه، ولا سيما بعد أن زعم الصنعانيون وآل منبه أنه قرأ عشرات الكتب، وانه ان عالما بأحكام الكتب السماوية وبالتوراة والتلمود والمدارش، ولذلك نرى الجائز العكس، يؤيد هذا ما جاء في الروايات من أن ابن عباس كان يسأل أهل الكتاب عما كان يشكل عليه، والظاهر أن رواة وهب بن منبه، أو وهب بن منبه نفسه، هم الذين وضعوا هذه الأقوال على لسان ابن عباس لتجد لها سبيلاً بين المسلمين.

وأما كعب الأحبار وروايته عن ابن عباس فمسألة فيها نظر، وان لم تكن كذلك في نظر أهل الأخبار وفي نظر الطبري نفسه الذي ذكر له عدة من الروايات بسنده عن ابن عباس[1]، غير أنى أعتقد أنه ليس هنالك دليل قوي يثبت لقاء كعب الأحبار لابن عباس.

ومن أكثر طلاب ابن عباس رواية عنه في تاريخ الطبري سعيد بن جبير المتوفى سنة ٩٥ للهجرة، ومجاهد بن جبر المتوفى سنة ١٠٣ للهجرة وعكرمة المتوفى سنة ١٠٦ للهجرة وعطاء بن أبي رباح المتوفى سنة ١١٤ للهجرة، وأبو صالح باذام، وعمرو بن دينار المتوفى سنة ١٢٦[2].

فأما سعيد بن جبير الذي له روايات عدة في الطبري تارة عن ابن عباس وتارة أخرى عن غيره وأحيانا ينتهي السند إليه[3]، فقد كان من طلاب ابن عباس النشيطين كان يحضر مجالسه ويستمع إلى أسئلة الحاضرين وأجوبه ابن عباس فيكتبها في الصحف التي كان يحملها معه إذا ذهب إلى ابن عباس. وكان على علم بالحساب، ولذلك كان يسأل عن الفرائض، وكان يجلس للناس بعد صلاة الفجر وصلاة العصر ويقص لهم كما كان يقرأ لهم القرآن. وكان قويا في الكتابة والقراءة فلذلك كان يعتمد عليه ابن عباس[4].

استقر سعيد بن جبير بالكوفة، وحصل على شهرة كبيرة فيها، وحمل إليها علم ابن عباس، فكان أهل الكوفة إذا أرادوا شيئاً من حديثه عمدوا إلى سعيد بن جبير، وكانوا

---

(١) الطبري ١/ ٦٢٢٢، الواحدي، الأسباب ١٤١. Schwally, 2,p, 165.

(٢) الفهرست ص٥١.

(٣) ورد اسمه في أكثر من «٦٣» موضعاً من تأريخ الطبري.

(٤) ابن سعد، الطبقات ٦/ ١٧٩ فما بعد. الشذرات ١/ ١٠٨ فما بعدها «وكان لا يكتب الفتاوى مع تصدى ابن عباس لها. فلما عمى ابن عباس، كتب، تذكرة الحفاظ ١/ ٦٥ فما بعدها».

إذا كتبوا إلى ابن عباس يسألونه حديثه، أشار عليهم بمراجعة ابن جبير. وجلس في هذه المدينة كما جلس أستاذه في الطائف ومكة يعلم الناس ويتحدث إليهم، ويأخذ عنهم، ويتتبع أخبار الماضين وما ورد عند أهل الكتاب من أخبار الرسل والأنبياء والخلق. وقد كان شغف القوم بهذا الموضوع عظيماً فأخذ عمن كان بها منهم، ولذلك نجد له في الطبري أقوالاً يرجع ابن جبير سندها إلى اليهود، والظاهر أنه كان يجتمع في الكوفة فيدارسهم ويأخذ منهم هذا النوع من التاريخ، وكان له صاحب يقال له عزرة كان يختلف إلى سعيد بن جبير معه التفسير في كتاب ومعه الدواة يغير[1]، وقد اشتهر تفسير سعيد بن جبير ورواه عنه جماعة من الشيوخ.

ترك ابن جبير عدداً من المشايخ أخذوا العلم منه، ولا سيما علم التفسير الذي اشتهر به، ومن هؤلاء الضحاك بن مزاحم المتوفى سنة ١٠٥ للهجرة[2]. أخذ التفسير من سعيد بن جبير، وهو بالري[3]. وكان له «كتاب» يعلم فيه القراءة والكتابة والتفسير والقصص، ومن أشهر طلابه الذين أخذوا عنه التفسير جويبر بن سعيد البلخي، وعلي بن الحكم، وعبيد بن سليمان الباهلي (سلمان)، وأبو روق بن حارث، ونهشل[4].

---

(١) ابن سعد: الطبقات ٦/ ١٨٦ «حكى سعيد بن جبير قال: قال يهودي بالكوفة - وأنا اتجهز للحج: إني أراك رجلاً تتبع العلم، فاخبرني أي الاجلين قضى موسى؟ قلت: لا أعلم، وأنا قادم على حبر العرب (ابن عباس) فسائله عن ذلك: فلما قدمت مكة، سألت ابن عباس عن ذلك، وأخبرته بقول اليهودي، فقال ابن عباس: قضى أكثرهما وأطيبهما، إن النبي إذا وعد لم يخلف قال سعيد: فقدمت العراق، فلقيت اليهودي فأخبرته، فقال: صدق وما أنزل على موسى والله العالم» المذاهب الإسلامية ص٧٢. Schawlly, 2, p167, الطبري تفسير ٢٠/ ٤٠.

(٢) ابن سعد: الطبقات ٦/ ٢١٠.

(٣) «لقى سعيد بن جبير بالري فأخذ منه التفسير» تهذيب التهذيب ٤/ ٤٥٣، توفي سنة ١٠٢هـ. الشذرات ١/ ١٢٤، وقيل: ١٠٦هـ.

(٤) Sprenger, das leben, vol, 3,p, cxlll, nr, 2.

جويبر بن سعيد الازدي أبو القاسم البلخي من المفسرين، قال يحيى القطان: «تساهلوا في أخذ التفسير عن قوم لا يوثقونهم في الحديث، ثم ذكر الضحاك وجويبرا ومحمد بن السائب وقال: هؤلاء لا يحمل حديثهم، ويكتب التفسير عنهم» «جويبر بن سعيد: كن من أهل بلخ، وهو صاحب الضحاك، وله رواية ومعرفة.

بأيام الناس، وحاله حسن في التفسير، وهو لين في الرواية، مات بين ١٤٠ - ١٥٠ تهذيب التهذيب ٢/ ١٢٤. علي بن الحكم البناني أبو الحكم البصري، توفي سنة ١٣٠، أو ١٣١هـ أو ١٣٥هـ، تهذيب التهذيب ٧/ ٣١١. عبيد بن سليمان الباهلي مولاهم، أصله من أهل الكوفة، سن مرو، روى عن الضحاك بن مزاحم، تهذيب التهذيب ٧/ ٦٧. أبو روق عطية بن الحارث الهمذاني =

فسند سعيد بن جبير بوصل إلى سند ابن عباس، وأما طرق الإسناد التي وصلت الطبري بسعيد بن جبير، فهي طريق سفيان بن وكيع بن الجراح الرؤاسي أبي محمد الكوفي المتوفى سنة ٢٤٧ للهجرة، وقد أكثر الطبري من الرواية عنه فكان يقول: «حدثنا ابن وكيع» في الغالب، وفي الأحايين: «حدثنا سفيان بن وكيع». وهو ابن وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي بن فرس بن جمجمة الرؤاسي الكوفي المتوفى سنة ١٩٧ للهجرة[(١)]. وهو من أصحاب الحديث والأخبار له مؤلفات في التاريخ. وقد أخذ عن جماعة من مشاهير علماء الحديث في عصره مثل إسماعيل بن أبي خالد وهشام بن عروة وعبد الله بن عون وابن جريج والازواعي الفقيه البيروتي الشهير وسفيان الثوري وإسرائيل وشعبة، وهم ممن ترد أسماؤهم في طرق الإسناد عند الطبري. وقد نقل عنه جماعة، منهم: ابنه سفيان بن وكيع شيخ الطبري، وعبد الله ابن المبارك، ويحيى بن آدم، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، وأبو خيثمة زهير بن حرب، وأبو بكر وعثمان ابنا شيبة، وعباس بن غالب الوراق، ويعقوب الدورقي[(٢)]، وغيرهم من مشاهير المحدثين والمؤرخين.

استغل الوراقون شهرة سفيان بن وكيع فصاروا ينحلونه الكتب وينسبونها إليه استغلالاً لشهرته[(٣)]. ويتصل سنده بسعيد بن جبير بطرق كثيرة، مثل طريق والده عن شيخه سفيان بن عيينة بن أبي عمران أبي محمد المتوفى سنة ١٩٨ للهجرة[(٤)]. وكان من محدثي الكوفه، فانتقل إلى مكة وأقام بها، وسمع من محدثي الحجاز فأصبح من أعلم الناس بحديث أهل الحجاز، حتى قيل: إن الإمام الشافعي قال: لولا مالك وسفيان

= الكوفي صاحب التفسير، تهذيب التهذيب ٧/ ٢٢٤ وقد ورد اسمه في «٤٦» موضعاً من تاريخ الطبري. نهشل بن سعيد بن وردان الورداني أبو سعيد، ويقال أبو عبدالله الخراساني النيسابوري، ويقال الترمذي، ليس بثقة كذاب، ولا يكتب حديثه، روى عن الضحاك الموضوعات، تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٧٩.

(١) المعارف ص٢٢١. الفهرست ٣١٧، ولد سنة ١٢٩ للهجرة تذكرة الحفاظ ١/ ٢٨٢. الشذرات ١/ ٣٤٩.

(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٤٩٦.

(٣) تهذيب التهذيب ٤/ ١٢٣.

(٤) تجد ترجمة سفيان بن عيينة المولود سنة ١٠٧هـ الذي هاجر إلى مكة سنة ٦٣ للهجرة، في كتاب المعارف ص٢٢١ وتهذيب التهذيب ٤/ ١١٧، من رواة الزهري «قال ابن وهب لا أعلم أحد أعلم بالتفسير من ابن عيينة» الشذرات ١/ ٣٥٤.

لذهب علم الحجاز[1]. كما كان من كبار المفسرين، أخذ علم التفسير عن صالح بن كيسان وعمرو بن دينار والزهري، وله كتاب في التفسير، وعن طريق هؤلاء اتصل سند ابن عيينة بابن عباس[2].

حدث سفيان بن عيينة عن نفر عدهم العلماء من أشهر المحدثين مثل الأعمش وابن جريج شعبة. والواقع هو أن هؤلاء وأمثالهم كقتادة ويحيى بن أبي كثير وأبي إسحاق السبيعي قد قاموا بخدمة عظيمة لعلم الحديث، لأنهم سهروا في جمعه، واشتغلوا بترتيبه، فكانوا ممهدي الجادة لمن جاء من بعدهم.

أما الأعمش، وهو سليمان بن مهران أبو محمد الأسدي الكوفي المتوفى بين ١٤٥ - ١٤٨ للهجرة[3]، فقد كان من كبار رواة مجاهد بن جبر العالم المشهور بالتفسير ومن تلامذة ابن عباس، ومن الرواة عن المنهال بن عمرو الأسدي الكوفي أحد الرواة عن أنس وسعيد بن جبير ومجاهد بن جبر، وعبد الرحمن بن أبي ليلى والشعبي وغيرهم من مشاهير المحدثين والمفسرين في الكوفة.

وأما ابن جريج، فهو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المتوفى سنة ١٥٠[4]، مولى الأمويين، وأصله من الروم. وقد تحدث عن جماعة، منهم: الزهري، وأبوه، ومجاهد، وعطاء بن أبي رباح، ونافع، وعكرمة، وصالح بن كيسان، وعمرو بن دينار. وأدرك صغار الصحابة، وتحدث عنه جماعة من علماء الحديث والتفسير في الحجاز والشام والعراق، مثل سفيان بن عيينة الذي تحدثنا عنه، وسفيان بن سعيد بن مسروق الثوري من فقهاء الكوفة ومحدثيهم المتوفى سنة ١٦١[5] ومن «بني ثور» النازلين في الكوفة، وكان الخليفة المهدي ناقماً عليه، لأنه لم يكن يجاريه، ولأنه كان جريئاً في الحق، فكان يجاهر برأيه فاضطر إلى الهرب إلى البصرة والتخفى فيها إلى أن مات. وقد ترك كتبه لعمار بن سيف، والظاهر أنه خاف من حيازة هذه ا لكتب فمحاها وأحرقها[6].

---

(١) تذكرة الحفاظ ١/ ٢٤٢.
(٢) الفهرست ص٣١٦.
(٣) تذكرة الحفاظ ١٤٥ وكان محدث الكوفة وعالمها الشذرات ١/ ٢٢٠ - ٢٢١.
(٤) تذكرة الحفاظ ١/ ١٦٠، الشذرات ١/ ٢٢٦.
(٥) تذكرة الحفاظ ١/ ١٩١ فما بعدها. ولد سنة ٩٧ للهجرة. «أمير المؤمنين في».
(٦) الفهرست ٣١٤ - ٣١٥ كتاب السنن. الحديث الشذرات ١/ ٢٥٠.

كان ابن جريج من العلماء المؤلفين، ذكر ابن النديم أسماء كتب له ألفها في الفقه[1]. وذكر المترجمون أنه أول من صنف الكتب بالحجاز أو أول من صنف الكتب في الإسلام وذكروا معه ابن أبي عروبة[2]. على انه أول من صنف بالعراق، وذكروا أنه كان قد ألف كتباً، وكانت مجموعة منها عند خالد بن نزار الابلي[3]. وقد كتب هو نفسه عن كتب الزهري[4]. والظاهر أنه كان من المكثرين في تصنيف الكتب الضخمة المبوبة، فقالوا فيه: إنه كان أول من ألف كتاباً، كما قالوا عن معاصره وزميله في الحديث والفقه سعيد بن أبي عروبة البصري المتوفى سنة ١٥٦هـ: انه أول من صنف الكتب، وقصدهم بذلك أول من صنف الأبواب في البصرة[5]. وقد كان كابن جريج صاحب أثر كبير في بلدته البصرة حيث تخرج عليه عدد كبير من طلاب العلم أصبحوا فيما بعد من أشهر علماء هذه المدينة.

وكان شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي المتوفى سنة ١٦٠ للهجرة[6] محدث البصرة، هو من أهل واسط، درس في الكوفة فجمع بين علم الكوفة والبصرة، وتخرج على يديه السختياني المحدث الشهير، وابن إسحاق وهو من مشايخه أيضاً، وسفيان الثوري، وغندر، وأمثالهم. وكان يختلف عن بقية المحدثين في ميله إلى دراسة الشعر حتى قال عنه الأصمعي: «لم نر أحدا قط أعلم بالشعر من شعبة»[7].

ويتصل سند الأعمش بالمنهال بن عمرو الأسدي الكوفي من رواة أنس بن مالك، وسعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر، وعبد الرحمن بن أبي ليلى المتوفى سنة ٨٢ أو ٨٣[8] من علماء الكوفة بالفقه ومن الذين خرجوا على الحجاج مع ابن الأشعث[9].

---

(١) الفهرست ٣١٦.

(٢) تذكرة الحفاظ ١/ ١٦١، الشذرات ١/ ٢٢٦.

(٣) تذكرة الحفاظ ١/ ١٦١، خالد بن نزار بن المغيرة بن سليم الغساني مولاهم الابلي، مات سنة ٢٢٢هـ على رواية ابن سعد تهذيب التهذيب ٣/ ١٢٣.

(٤) تهذيب التهذيب ٦/ ٤٠٢.

(٥) تذكرة الحفاظ ١/ ١٦٧، الشذرات ١/ ٢٣٧ شيخ البصرة وعالمها، وأول من دون العلم بها.

(٦) التذكرة ١/ ١٨٥، لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق. الشذرات ١/ ٢٤٧.

(٧) التذكرة ١/ ١٨١.

(٨) عبد الرحمن بن أبي ليلى الانصاري الفقيه الكوفي. الشذرات ١/ ٩٢. تهذيب التهذيب ٦/ ٢٦١. تذكرة الحفاظ ١/ ٥٥.

(٩) تذكرة الحفاظ ١/ ٥٥.

كان أثر ابن جبير في الكوفة كبيراً، وكذلك أثر سائر تلامذة ابن عباس، فأصبحت هذه المدينة التي اشتهرت بالعربية والأخبار والحديث من أشهر المدن بعلم التفسير ولا سيما التفسير المتأثر بطريقة ابن عباس، وقد كان في مقدور تلامذة ابن جبير وحدهم خلق جو علمي، فكيف بتلامذة ابن عباس الآخرين؟ وسرعان ما ظهرت في الكوفة طبقة من المفسرين قصدها الناس من سائر أنحاء الخلافة، حتى من العاصمة التي أراد المنصور مؤسسها أن يجعلها تتفوق على هذه المدينة التي لم يكن مزاجها السياسي يلائم مزاج المنصور والعباسيين.

لقى الكوفيون اضطهاداً عنيفاً من الحجاج دفع العلماء منهم والمثقفين إلى الانضمام إلى حركة ابن الأشعث، فكان من بينهم ابن جبير وتلامذته، ولكن الحركة لم تنجح، بل كان نصيبها الإخفاق، فحكم على ابن جبير بالقتل، وقتل جماعة من الفقهاء والقراء والمحدثين والمفسرين، وكانت هذه الحركة في الواقع نكبة من النكبات المؤسفة التي حلت بالعلم، ونكسة من النكسات التي نزلت بتأريخ الثقافة في العراق أثرت على حرية الرأي وجعلت الجو العلمي خاضعاً لرقابة السياسة الصارمة التي لم يكن لها هدف أو اتجاه.

ومن تلامذة مدرسة ابن عباس مجاهد بن جبير أو الحجاج المكي المتوفى بين سنتي ١٠٠ - ١٠٤هـ[١]، وكان من ملازميه مدة طويلة، عرض القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات من أوله إلى أخره يوقفه عند كل آية منه ويسأله عنها عن وقت نزولها وأسباب النزول، فيحفظ ذلك، ويدونه، حتى تكون من ذلك تفسيره. وقد مدح تفسيره هذا، وقيل عنه: انه من أعلم الناس بالتفسير، وقيل: انه أضاف إلى التفسير الذي أخذه من ابن عباس شيئاً أخذه من صحيفة جابر وما أخذه من أهل الكتاب[٢].

والظاهر أنه ترك كتاباً في التفسير أجاز بروايته لجماعة منهم حميد بن قيس وابن

(١) تذكرة الحفاظ ١/ ٨٦، تفسير الطبري ١/ ٣١، المذاهب الإسلامية ص٧٣، ابن سعد، الطبقات، ٥/ ٣٤٣. schawally, 2,p, 167.

(٢) عن ابن أبي مليكة قال: رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه الواحه، فيقول له ابن عباس: اكتب. قال. حتى سأله عن التفسير كله. تفسير الطبري ١/ ٣١ القاهرة سنة ١٣٢٣ مطبعة بولاق. عن مجاهد قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات. من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها الشذرات ١/ ١٢٥.

أبي نجيح، وقد نقله عنه أبو روق وعيسى بن ميمون[1]، كما أخذ منه عطاء وعكرمة وابن عون وعمرو بن دينار وأبو إسحاق السبيعي وقتادة والأعمش وغيرهم، ويتصل سند الطبري بهم وبأستاذهم عن طريق سفيان بن وكيع عن أبيه وكيع عن خصيف بن عبد الرحمن الجزري أبي عون الحضرمي الحراني الذي روى عن مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير[2].

لقد كان كل واحد من هؤلاء مدرسة متنقلة همها الحديث والتفسير والفقه، فعطاء بن أبي رباح المتوفى سنة ١١٤ أو ١١٥ للهجرة[3]، هو من تلامذة ابن عباس ومفتي مكة ومحدثها، وقد تخرج عليه جماعة من أشهر الفقهاء والمحدثين أخذوا علمه ونشروه في الأفاق فكان منهم من نشره في الحجاز، ومنهم من نقله إلى اليمن، ومنهم من أصدره إلى الشام أو العراق، يكفى لذلك أن تعلم أن من بينهم أمثال ابن جريج، والأوزاعي فقيه الشام وصاحب النظريات المهمة في الفقه الذي قال عنه المستشرقون انه كان حلقة وصل بين فقه الرومان وفقه الإسلام، وأبي حنيفة صاحب المذهب المعروف في الفقه وممثل أهل العراق في النقد واستعمال الرأي والقياس، وجرير بن حازم المتوفى سنة ١٧٥ للهجرة محدث البصرة وعالمها الشهير[4] ووالد وهب بن جرير بن حازم المتوفى سنة ٢٠٦ للهجرة[5] المحدث الذي ينقل عنه المؤرخون كثيراً من الأقوال مثل أبي خيثمة وابنه ابن أبي خيثمة المؤرخ وصاحب مؤلف مهم في التاريخ،

---

(١) حميد بن قيس الأعرج المكي أبو صفوان القارئ الاسدي مولاهم. مات سنة ١٣٠هـ. تهذيب ٢/ ٤٧. عبدالله بن أبي نجيح المكي المفسر صاحب مجاهد كان مولى لبني مخزوم، مات سنة ١٣١هـ. الشذرات ١/ ١٨٢ كان سفيان يصحح تفسير ابن أبي نجيح قال يحيى بن سعيد لم يسمع ابن أبي نجيح التفسير من مجاهد قال القطان: لم يسمع التفسير كله من مجاهد. بل كله عن القاسم بن أبي بزة. وهو نظير ابن جريج في كتاب القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في التفسير. ورويا عن مجاهد من غير سماع. تهذيب التهذيب ٦/ ٥٤. أبو روق عطية بن الحارث الهمداني الكوفي صاحب التفسير. عيسى بن ميمون الجرشي المكي أبو موسى المعروف بابن داية، وهو صاحب التفسير تهذيب التهذيب ٨/ ٢٣٥.

(٢) تذكرة الحفاظ ١/ ١٨٦.

(٣) ابن سعد، الطبقات حـ ٢قسم٢ ص١٣٣، ص ٣٤٤ - ٣٤٦، تذكرة الحفاظ ١/ ٩٢، الشذرات ١/ ١٤٧.

(٤) تذكرة الحفاظ ١/ ١٨٦، تهذيب التهذيب ٢/ ٦٩ فما بعدها.

(٥) تذكرة الحفاظ ١/ ٣٠٧، الشذرات ١/ ١٦، وقد ورد اسمه في «٢٤» موضعاً من تاريخ الطبري.

والبلاذري[١]، والطبري[٢]، وغيرهم من المؤرخين.

وأما عكرمة المتوفى بين ١٠٥ - ١٠٧هـ، فقد نعت بالحبر العالم[٣] وقيل عنه انه أعلم الناس بالتفسير وزعم أنه قال طلبت العلم أربعين سنة، وكان ابن عباس يضع الكبل في رجلي على تعلم القرآن والسنن[٤]. بل زعم أن أبا الشعثاء كان يقول: «هذا عكرمة مولى ابن عباس، هذا اعلم الناس» وزعم أن الشعبي قال عنه: «ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة»[٥]. ولا يخلو هذا الكلام من مبالغة حقاً، فهو من النوع المألوف الذي يرد ذكره في حق كثير من الرجال، وفي حق نفر من تلامذة ابن عباس. وقد صدر مثل هذا في حق أناس كان يرضى عنهم الشعبي، فيكيل لهم هذا الكيل، تجده في كتب التراجم والطبقات. ولم ينج الرجل مع كل هذا من الاتهام، وأكثر من اتهمه هم من جماعة ابن عباس، اتهموه بالكذب على ابن عباس وباستغلال صلته به[٦]. والواقع ان هذا النوع من الطعن هو من النوع المألوف كذلك. وتدل قرائن الأحوال في أكثر الأحيان على أن الطاعنين لم يكونوا على صواب في نقدهم هذا، وأنهم كانوا يقومون به بدافع من العواطف الإنسانية التي لا ينح منها الإنسان، وأما إهانة عبد الله بن عباس له، فالظاهر أن مبعثها سوء العلاقات التي كانت بين الاثنين، حتى أن علي بن عباس باعه في الأسواق، ثم ندم على ذلك واعتقه[٧].

طاف عكرمة في أماكن كثيرة، فزار البصرة وحدث فيها وترك له فيها جماعة من العلماء، وزار سمرقند، وقد ضاقت حاله ولم يكن يملك شيئاً، ونجد له جملة أحاديث ترجع أكثرها إلى ابن عباس ذكرها الطبري في تاريخه أخذها من جملة مشايخ منهم:

---

(١) أنساب الإشراف جـ ٤ القسم الثاني، وقد ورد اسم وهب بن جرير في مواضع كيثرة من الكتاب، راجع «فهرست الإعلام» ص٣٠ والجزء الخامس فهرست الإعلام ص٤٢٨.

(٢) فهرست تاريخ الطبري ص٦٣٠.

(٣) ابن سعيد الطبقات ٥/ ٢١٢ فما بعدها، تذكرة الحفاظ ١/ ٨٩.

(٤) تذكرة الحفاظ ١/ ٩٠، ابن سعد: الطبقات ٢ قسم ٢ ص١٣٢ و٥/ ٢١٢، كان ابن عباس يجعل في رجلي الكبل يعلمني القرآن ويعلمني السنة.

(٥) تذكرة الحفاظ ١/ ٩٠، الشذرات ١/ ٣٠. Schawally, vol, 2,p,167.

(٦) المذاهب الإسلامية ص٧٤. ياقوت: الإرشاد ٥/ ٦٢، قال عبدالله بن أبي الحارث: دخلت على علي بن عبدالله بن عباس، عكرمة موثق على باب كنيف، فقلت: اتفعلون هذا بمولاكم؟ فقال: ان هذا يكذب على أبي، ابن خلكان ١/ ٤٠٢، وقد تكلم الناس فيه لانه كان يرى رأي الخوارج.

(٧) ابن سعد، الطبقات ٥/ ٢١٢، ابن خلكان وفيات الأعيان ١/ ٤٠٢ ياقوت أرشاد الأريب ٥/ ٦٣.

أحمد بن أبي خيثمة زهير بن حرب بن شداد المتوفى سنة ٢٩٩ للهجرة[١] وكان من المحدثين والمؤرخين، ألف كتاباً في التاريخ اتبع فيه طريقة أهل الحديث في ذكر السند، أي على الطريقة التي اتبعها الطبري. وقد مدح المؤرخون هذا الكتاب وأثنوا عليه، والظاهر أنه في التاريخ العام من الخليفة إلى أيامه، وكان لا يرويه إلا على الوجه، وقد سمعه منه جماعة من الشيوخ ولم يكن يسمح لاحد بروايته إلا إذا قرأه عليه وأجازه به.

أخذ ابن أبي خيثمة علم الحديث من أبيه زهير بن حرب[٢]، وعن يحيى بن معين المحدث الشهير، وأحمد بن حنبل، وأخذ علم النسب عن مصعب بن عبد الله بن مصعب ابن الزبير المتوفى سنة ٢٣٣ للهجرة الشاعر الراوية الأديب المحدث، وهو صاحب كتب ومؤلفات في النسب، مثل كتب النسب الكبير، وكتاب نسب قريش[٣]. وهو من أسرة عرفت بعنايتها بالاخبار والنسب والمغازي، وهم عم الزبير بن بكار أبي عبد الله الزبير المتوفى سنة بمكة سنة ٢٥٦ للهجرة صاحب مؤلفات عدة في الأخبار والنسب والأدب ذكر اسماءها ابن النديم[٤]. وأخذ الأدب عن الأديب المعروف محمد ابن سلام الجمحي[٥]، وأيام الناس عن أبي الحسن علي بن محمد المدائني المتوفى سنة ٢١٥ أو ٢٢٥هـ المؤرخ الشهير الذي اعتمد عليه أكثر المؤرخين، ذكر ابن النديم كتبه، وهي كثيرة[٦]، وسنتحدث عنه.

---

(١) ولد سنة ٢٠٥للهجرة، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٥٦، لسان الميزان ١/ ١٧٤، أرشاد الأريب ١/ ١٢٨، تاريخ بغداد ٤/ ١٦٢، الفهرست ص٣٢١، له من الكتب كتاب أخبار الشعراء، وكتاب المتيمين من الأعراب، الشذرات ٢/ ٨٠، توفي والده أبو خيثمة زهير بن حبيب الشيباني سنة ٢٣٤هـ. وله مصنفات.

(٢) توفي سنة ٢٣٤ للهجرة، له من الكتب: كتاب المسند، كتاب العلم. الفهرست ص٣٢١، وقد ورد اسمه في اكثر من ٢٣ موضعاً من تاريخ الطبري على انه زهير بن حرب بن شداد الحرشي أبو خيثمة ولد سنة ١٦٠، تهذيب التهذيب ٣/ ٢٤٢ فما بعدها.

(٣) الفهرست ١٦٠، ابن خلكان، الوفيات رقم ٢٦٦ - ٢٣٧، ٤٢٧ .Brockmann, suppl, vol,1,p, 212

(٤) الفهرست ص١٦٠ - ١٦١، تاريخ بغداد للخطيب ٨/ ٤٦٧، ٤٧١، ياقوت الإرشاد ٤/ ٢١٨، تذكرة الحفاظ ٢/ ٩٩. اليافعي، المرآة ٢/ ١٦٧، ذر له صاحب الفهرست ٣٣ مؤلفا. زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ٢/ ١٩٤، ابن خلكان: الوفيات ١/ ١٨٩، توجد بعض مؤلفاته في خزائن الكتب.

(٥) أرشاد الأريب ١/ ١٢٨، أبو عبدالله محمد بن سلام الجمحي البصري، المتوفى سنة ٢٣٢هـ، زيدان ٢/ ١٠٨، الفهرست ١٦٥.

(٦) الفهرست ١٤٧.

وأخذ ابن أبي خيثمة عن موسى بن إسماعيل التبوذكي المنقري البصري المتوفى سنة ٢١٣ للهجرة[١] . وهو من تلاميذ داوود بن بكر ابن أبي الفرات من المحدثين[٢] ومن رواة علباء بن أحمر اليشكري البصري[٣] الذي حدث عن أبيه أحمر بن جزء اليشكري[٤] وعن عكرمة عن ابن عباس.

وكان زهير بن حرب بن شداد المتوفى سنة ٢٣٤ للهجرة[٥] والد أحمد بن زهير من مشاهير المحدثين، كما كان من المؤرخين وأصحاب العلم بالإخبار، وهو من جملة من اعتمد عليهم أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري في كتابه «أنساب الإشراف»[٦] . وسند زهير في البلاذري وهب بن جرير بن حازم الذي سبق ان تحدثنا عنه.

وأخذ الطبري سنده عن عكرمة عن عالم من علماء الكوفة ورد اسمه كثيراً في هذا القسم من تأريخ الطبري، وأعنى به محمد بن العلاء بن كريب الكوفي الحافظ أبا كريب المتوفى سنة ٢٤٧ أو ٢٤٨ للهجرة[٧] . وهو من رؤساء أهل الحديث والأخبار في الكوفة في زمانه. وكان يقصده المحدثون للأخذ منه، وقد قصده الطبري عند دخوله الكوفة مع جماعة من طلاب العلم، وبعد أن تحقق أبو كريب مقدرة أبي جعفر في العلم أجازه بالرواية عنه. وتتصل سلسلة إسناده بعدد كبير من المحدثين الذين كانوا في أيامه كأبي معاوية الضرير، والأعمش، وعثمان بن سعيد، وبشر بن عمارة، ويحيى بن يعلى المحاربي، ويحيى بن عيسى. وقد أجازه هؤلاء بالتحديث عن مشايخهم، مثل: إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي الهمداني أبي يوسف الكوفي المتوفى سنة ١٦٠ أو بعد ذلك بسنة أو سنتين[٨] ، وهو من المحدثين المشاهير روى عن جده أبي إسحاق السبيعي، وسماك بن حرب بن أوس بن خالد الذهبي البكري أبو المغيرة

(١) تذكرة الحفاظ ١/ ٣٥٧.

(٢) تهذيب التهذيب ٣/ ١٨٠.

(٣) تهذيب التهذيب ٧/ ٢٧٣.

(٤) ويقال أحمد بن سواء بن جزء، ويقال ابن شهاب بن جزء بن ثعلبة، تهذيب التهذيب ١/ ١٩٠.

(٥) تهذيب التهذيب ٣/ ٣٤٢ - ٣٤٣.

(٦) أنساب الإشراف طبع الجامعة العبرية بالقدس، القسم الثاني من الجزء الرابع ص٢٣، ٤٢، ٤٥، ٥٨، ٨٨، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، حـ٥ ص١١، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ٢٥٠، ٢٧١، ٣٠٣، ٣٣٢، ٣٣٣.

(٧) تهذيب التهذيب ٩/ ٣٨٥، ١٢/ ٢١٢، ويرد اسمه كثيراً في تفسير الطبري.

(٨) تهذيب التهذيب ١/ ٢٦١.

الكوفي المتوفى سنة ١٢٣ للهجرة، من رواة الكوفة ممن أخذ عن عكرمة في التفسير ومن العلماء بالشعر وبأيام الناس، ويتصل سنده بعكرمة ومن عكرمة بابن عباس[١].

وفي تضاعيف القسم الأول من تأريخ الطبري روايات أخرى أخذها الطبري من أبي كريب عن مختلف مشايخه، ذكر أسماءهم الطبري، تصل أسانيدها إلى رجال رووا عن ابن عباس[٢]. ويدل ورود اسمه في مواضع متعددة من هذا القسم على أن أبا كريب كان من المعنيين بهذا النوع من الأخبار.

ومن رواة ابن عباس النشيطين في التفسير أبو صالح باذان، ويقال باذام مولى أم هانئ بنت أبي طالب، وكان يعلم الصبيان، واشتغل بالتفسير، وكان له فيه كتاب رواه عن ابن عباس، وقد رواه عنه محمد بن السائب الكلبي وهو نفسه من المفسرين. وقد روى عن أبي صالح - الأعمش، وإسماعيل السدى، وإسماعيل بن أبي خالد، وعاصم، وأبو قلابة، وسفيان الثوري، وسماك بن حرب[٣]، وغيرهم من رجال هذه الطبقة التي زاولت الحديث والتفسير ورواية الأخبار.

وقد دون الطبري قطعا من روايات أبي صالح عن ابن عباس، أخذها في الغالب عن طريق شيخه الحارث بن محمد بن أبي أسامة التيمي المتوفى سنة ٢٨٢ للهجرة صاحب المسند، وكان من الحفاظ المحدثين وقد سمع يزيد بن هارون، وعلي بن عاصم، وعمر بن شبة البصري، وابن سعد، والواقدي، وابن المدائني، والقطبي، وهدية، وغيرهم من المحدثين من المحدثين والمؤرخين[٤].

ويرد اسم الحارث بن محمد في مواضع كثيرة من الطبري، وأكثر إخباره عن ابن سعد صاحب الطبقات الشهير عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه عن أبي صالح باذام عن ابن عباس[٥]. وقد يتحدث عن مجاهد بن جبر عن الحسن عن ورقاء عن ابن أبي نجيح فمجاهد[٦]، أو عن عبد العزيز عن سفيان عن رجل آخر عن مجاهد[٧].

---

(١) تهذيب التهذيب ٤/ ٣٣٢.

(٢) الطبري ١/ ٩٤/ ١٤٢، ١٨٥، ٢٣٣.

(٣) ابن سعد، الطبقات ٦/ ٢٠٧، تهذيب التهذيب ١/ ٤١٦، المعارف ص٢١٠.

(٤) ميزان الاعتدال ١/ ٢٠٥، وتاريخ بغداد ٨/ ٢١٨، تذكرة ٢/ ١٧٦.

(٥) الطبري ١/ ٦٠، ٦١، ٦٦، ٧٦.

(٦) الطبري ١/ ١٦٨.

(٧) الطبري ١/ ١٨١.

برزت الكوفة في هذه العلوم التي تحدثنا عنها، وكان لها صلة بتأريخ الطبري، وقد اشتهر من مفسري الكوفة عالمان هما السدى والكلبي، وكلاهما صنف تفسيرا، وكلاهما كان موضع شك وريبة في نظر العلماء، وقد اشتهر بينهم هذا القول: «كان بالكوفة كذابان: السدى والكلبي»(١). لكن على الرغم من هذا التحذير أدخل الطبري في تفسيره وفي تاريخه طائفة من أقوالهما، دون أن يلتفت إلى مواطن الشبهات، وربما كان عذره في ذلك أنه لم ينقل عنهما في المواضع التي تتعلق بالأحكام، والواقع أن الطبري غريب في مثل هذه التصرفات، فهو قد آثر الرواية لمصنف «سيف» المنحول على مصنف الواقدي بسبب ما حام حول الواقدي من شبهة بين المحدثين(٢).

عرف السدى الكبير إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة أبو محمد القرشي الكوفي الأعور المتوفى سنة ١٢٧ للهجرة بسعة علمه بتفسير كتاب الله، وكان أحد ثلاثة اشتهروا في هذه المدينة بالتفسير: الشعبي، ومحمد بن السائب الكلبي، وهو. وقد اختلف أصحاب الحديث والأخبار في أمره، هذا يضعفه ويقول: لا يصح الأخذ منه، وهذا يقويه ويقول: انه ثقة صدوق، مأمون أعلم بالقرآن من الشعبي، والطبري من الفريق الأول يروى أنه قال: لا يحتج بحديثه(٣). ومع ذلك فقد أخرج هو وابن أبي حاتم وغيرهما في تفاسيرهم تفسير السدى مفرقا في السور من طريق أسباط بن نصر عنه(٤)، ويعد أسباط بن نصر الهمداني أبو يوسف أو أبو نصر الراوية الأول للسدى، وهو نفسه من رواة أهل الكوفة المعروفين، الذين لم ينجوا من نقد النقاد. وقد وردت أكثر روايات السدى في تاريخ الطبري عن طريقه، وهي في الإسرائيليات روى عنه رواة أكثرهم من مدرسة الكوفة، مثل: أحمد بن المفضل الحضرمي الكوفي، وعمرو بن حماد القناد، وأبي غسان النهدي، ويونس بن بكير، وعبد الله بن صالح العجلي(٥). وأنشط هؤلاء رواية عنه عمرو بن حماد بن طلحة القناد أبو محمد الكوفي المتوفى سنة

---

(١) تهذيب التهذيب ١/ ٣١٣.

(٢) دائرة المعارف ص٤٩٣ (الترجمة العربية) مادة تأريخ.

(٣) تهذيب التهذيب ١/ ٢١١، لسان الميزان ١/ ٨٢، السمعاني، الأنساب، ورقة ٢٩٤ب، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، محمد حسن المعروف بأغا بزرك الطهراني ٤/ ٢٧٦، تاريخ بغداد ٣/ ٢٩٣.

(٤) أعيان الشيعة ١٢/ ١٤.

(٥) تهذيب التهذيب ١/ ٢١١، لسان الميزان ١/ ٨٢.

٢٢٢ للهجرة[١] شيخ موسى بن هارون الكوفي المتوفى سنة ٢٩٤ للهجرة[٢] راوية أخبار السدى ومسندها إلى الطبري، وإبراهيم بن الحكيم بن ظهر الفزاري أبو إسحاق صاحب تفسير السدي[٣] وهنالك شيخ آخر من مشايخ الطبري نقل أقوال السدى إليه هو محمد بن الحسين من رواة أحمد بن الفضل بن القرشي الأموي الكوفي الحضري المتوفى سنة ٢١٤ أو ٢١٥هـ. وهو من رواة أسباط والثوري وإسرائيل. ولكن موسى بن هارون هو المرجح عند الطبري على غيره في رواية أقوال السدى التي قد تنتهي به وتنقطع، فيكون ذلك رأى السدى نفسه، وقد تستمر حتى تتصل بابن عباس، وحينئذ يقترن السند بسند آخر يتصل بعبد الله بن مسعود، فيكون السند على هذا المنوال «حدثني موسى بن هارون قال حدثني عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ [٤].

إما الكلبي الذي طعن فيه وكان صاحب إطلاع واسع ليس في التفسير حسب، بل في الأيام والأنساب والإحداث وتاريخ العراق خاصة، وهو محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ١٤٦ هـ[٥]، فقد استمد مادة التفسير من تلامذة ابن عباس. وتختلف طريقة الأسانيد المتبعة في مخطوطة التفسير المنسوبة في مخطوطة التفسير المنسوبة لابن الكلبي الموجودة في مكتبة برلين عن طريقة الإسناد المالوفة عن ابن الكلبي، وتحتاج النسخة المطبوعة من التفسير والمنسوبة إليه إلى دراسة، فلعلها لغيره. وأكثر ظني أنها ليست له لوجود اختلاف بين هذا المطبوع والنصوص المقتبسة من تفسيره المبثوثة في أثناء الكتب الأخرى. وراوي هذا التفسير هو محمد بن مروان بن عبد الله بن إسماعيل المعروف بالسدي الصغير المتوفى سنة ١٨٦هـ[٦] حفيد السدى الكبير، وكان من

---

(١) ابن سعد، الطبقات ٦/ ٢٨٥، صاحب تفسير أسباط بن نصر تهذيب التهذيب ٨/ ٢٢.

(٢) تذكرة الحفاظ ٢/ ٢١٧.

(٣) الطوسي، الفهرست ص٤.

(٤) الطبري ١/ ٢٠، ٢٤، ٤١، ٤٣، ٤٧، ٥٠، ٥٣، ١٣٠، ١٩٨، ٢١٨، ٢٣٧، ومواضع آخر.

(٥) عن ابن ال كلبي: الفهرست ص٩٥ (طبعة فلوكل) ابن سعد، الطبقات ٦/ ٢٤٩، السيوطي، الإتقان ٩١٦. Schawally, 2,p,271, Ency, of Islam, vol, 2,p,489.

(٦) الذريعة ٤/ ٢٧٦، ٢٤٤، عن نسخ تفاسير ابن الكلبي المخطوطة ببرلين، راجع Brockmann, vol. 1, p, Sprenger, 404 المطبوع بمدينة «بمبي» سنة ١٣٠٢. توجد نسخ منه في مكتبات الآستانة. Schawally,2,p,171.

الملازمين للكلبي والمرافقين له حتى قيل له محمد بن مروان الكلبي[1]. وقد حصل على شهرة واسعة في علم التفسير، ولهذه الشهرة استقدمه سليمان بن علي إلى البصرة وأجلسه في داره فجعل يملى على الناس القرآن آية آية حتى أتم التفسير[2]. وكان له ولد يقال له «العباس» روى عنه، وقد أكثر البلاذري[3] من الرواية عن العباس، وكذلك أصحاب التأريخ والأخبار، فأما الطبري فقد اكتفى بالأخذ عن هشام.

وسند السدي عن الكلبي ضعيف عند العلماء، فعندهم أن سلسلة «السدى عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، هي سلسلة الكذب»[4].

وروى تفسير ابن الكلبي رجال آخرون اخذوا من الكلبي، منهم: محمد بن فضل ابن غزوان الضبي الكوفي المتوفى سنة ١٩٥هـ[5]. وقد رواه عنه يوسف بن بلال السعدي الذي اخذ التفسير عن السدى الصغير كذلك، وحيان بن علي العنزي أحد رواة ابن الكلبي[6].

تأثرت أكثر التفاسير التي وضعت في القرنين الأول والثاني للهجرة بمدرسة ابن عباس، ومن هذه التفاسير تفسير الحسن البصري المتوفى سنة ١١٠هـ[7]، وليس لدينا دليل قوي يؤكد وجود صلة تامة بين مدرسة ابن عباس وتفسير الحسن البصري إلا إن في تكرار ورود اسم ابن عباس في هذا التفسير ما يشير ضمنا إلى أن أثر تفسير ابن عباس فيه[8].

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٢٩٣.

(٢) الفهرست ١٣٩.

(٣) راجع صفحات «أنساب الأشراف» طبع الجامعة العبرية.

(٤) سلسلة الكذب، الإتقان ص٩١٤، السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، تفسير سورة ١٢، ١٣، ابن سعد الطبقات ٦/ ٢٥٠.

Schawally, 2,p, 170, Sprenger, 3,p, cxiv, otto, loth, in ZDMG, vol, 35,p, 598, (1881).

(٥) تذكرة الحفاظ ١/ ٢٨٩.

(٦) ابن سعد الطبقات ٧/ ١١٤، النووى، ٤٠٩ فما بعدها.

(٧) Schawally, 2,p,168.

تذكرة الحفاظ ١/ ٦٦، الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد البصري، الفهرست ١٨٣ (طبعة فلوكل). ابن خلكان الوفيات ١/ ١٦٠ تهذيب التهذيب ١/ ٢٦٤، ابن سعد الطبقات ٧/ ١١٤ فما بعدها.

Ency, vol, 2,p,2,3,Vom Kremer, Geschichte der herrschenden Ideen des Islam, P,22, Horten, Die Philosophishen Systeme, P, 120.

(٨) Schawally, 1,p,168, Brockmann, G,A,L, vol, 1,P, 67

واختلف في قتادة بن دعامة أبي الخطاب السدوسي المتوفى سنة ١١٧ أو ١١٨[١] وهو مثل الحسن البصري من أهل البصرة ومن المؤثرين في مدرسة البصرة أكان ممن سعوا من ابن عباس أم لا[٢]. والظاهر أنه كان قد تأثر به. وقد روى تفسير قتادة جماعة من العلماء منهم خارجة بن مصعب السرخسي (توفي سنة ١٦٨)[٣] وروى هذا التفسير عن سعيد بن أبي عروبة (توفي سنة ١٥٦ أو ١٥٧هـ)[٤]. ومنهم شيبان ابن عبد الرحمن المتوفى سنة ١٦٤هـ[٥]، ومعمر بن راشد المتوفى سنة ١٥٣ أو ١٥٤هـ[٦] وسعيد بن بشير[٧]، وقد روى تفسير معمر بن راشد محمد بن ثور[٨]، ولم يكن قتادة مفسرا حسب بل كان رأسا في العربية واللغة وأيام العرب والنسب، ويقال انه كان من أنسب الناس في البصرة[٩].

ولا بدلنا أن نشير إلى تفسير محمد بن كعب القرظي الذي سبق أن تحدثنا عنه، فيظهر أنه ممن أخذ من ابن عباس. وقد استفاد من تفسيره ومن كتبه أبو معشر المتوفى سنة ١٧٠هـ وكتاب آخرون من أصحاب السير والمغازي[١٠] والتواريخ مثل الطبري.

ومن المفسرين الذين مثلوا طبقة أخرى بعد من تقدم ذكرهم شعبة بن الحجاج المتوفى سنة ١٦٠ هـ[١١] الذي مر ذكره، ووكيع بن الجراح المتوفى سنة ١٩٧هـ وسفيان بن عيينة المتوفى سنة ١٩٨، ويزيد بن هارون المتوفى سنة ٢٠٦، وعبد الرزاق ابن همام

---

(١) وقيل ١١٢هـ. الفهرست ٥١ كتاب سعيد بن بشير عن قتادة، كتاب تفسير محمد بن ثور عن معمر عن قتادة. كتاب تفسير محمد بن ثور عن معمر عن قتادة. تذكرة الحفاظ ١/ ١١٥، ومع حفظ قتادة وعلمه بالحديث كان رأساً في العربية واللغة وأيام العرب والنسب. تهذيب التهذيب ٨/ ٣٥١ فما بعدها. Schawally,2,p,168

(٢) النووي، ص٥٠٩. .Schawally, 2,p,168

(٣) خارجة بن مصعب بن خارجة الضبعي بن الحجاج الخراساني السرخسي، تهذيب التهذيب ٣/ ٧٦.

(٤) تذكرة الحفاظ ١/ ١٦٧ هو أثبت الناس في قتادة.

(٥) تذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٢.

(٦) تذكرة الحفاظ ١/ ١٧٨.

(٧) الفهرست ٥٧. .Sprenger, das Leben, vol, 3,p,cxvi, nr,7

(٨) الفهرست ٥٧ محمد بن ثور الصنعاني، أبو عبدالله العابد مات سنة تسعين ومئة، أو قبلها بقليل أو بعدها بقليل. تهذيب التهذيب ٩/ ٨٧.

(٩) الفهرست ٥١. تذكرة الحفاظ ١/ ١١٥.

(١٠) تذكرة الحفاظ ١/ ١١٦. .Schawally, vol, 2,p,168

(١١) تذكرة الحفاظ ١/ ١٧٤، النووي ٣١٣، تهذيب التهذيب ٤/ ٣٨.

المتوفى سنة ٢١١هـ[١] من رواة ابن جريج ومعمر والأوزاعي الثوري، وكان صاحب مؤلفات، وآدم بن أبي أياس (المتوفى سنة ٢٢٠هـ) كاتب الحديث عند شعبة[٢].

وفي الطبري والتفاسير ما يفيد أن ابن عباس كان له علم بالتوراة، وانه كان يقرأ التوراة، وأنه كان يسأل أبا الجلد جيلان بن فروة الأزدي فضلا عن كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام، ويرجع إليه في فهم معضلات القرآن. وورد عن أبي الجلد أنه كان يقرأ الكتب، وكان يقرأ القرآن في كل سبعة أيام، ويختم التوراة في سنة، يقرؤها نظراً، فإذا كان يوم ختمها حشد لذلك ناساً، وكان يقال: تنزل عند ختمها الرحمة[٣]. وقد نقل الطبري شيئاً من أقواله في تفسيره. واعتقد أنه كان من أصل يهودي. وتشبه هذه القصة القصص الأخرى المروية عن إخوانه مسلمة اليهود، وهي على الرغم من سذاجتها وآثار الوضع البين عليها قد وجدت لها سبيلاً إلى الكتب مع حذر أصحابها وخوفهم من الرجوع إليها بشهادة ابن عباس نفسه حيث روى أنه كان يقول: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء» «ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم»[٤]. وقد يكون في هذين الخبرين توضيح للفكرة الغامضة المنتشرة بين المؤرخين عن مدى تأثر ابن عباس بالإسرائيليات.

وقد يكون من النافع جمع أقوال ابن عباس المروية عنه في الكتب، وفي التفسير المنسوب له، لنعلم الغاية التي بلغها التناقض في أقوال هذا العالم. وإذا أردنا أن يكون قولنا هذا قولاً عملياً، قلنا: إلى إي مدى سيصل هذا التناقض في أقوال تلامذة ابن عباس، وهل يعقل صدور ذلك كله من رجل واحد أيا كان عدد طلابه ومهما اختلف إدراكهم في الفهم؟

وكان في مصر تفسير زعم أنه تفسير ابن عباس رواه علي بن طلحة الهاشمي، أخذ منه الطبري، قيل انه من أصدق الروايات[٥] ومع ذلك فهنالك شك في كون على ابن طلحة قد سمع هذا التفسير حضوراً من ابن عباس.

ولا بد لإنهاء البحث في هذا القسم من التحدث عن نفر من الصحابة وردت لهم

---

(١) تذكرة الحفاظ ١/ ٣٣١.

(٢) تذكرة الحفاظ ١/ ٣٦٩.

(٣) طبقات ابن سعد حـ ٧ قسم ١ ص١٦١.

(٤) المذاهب الإسلامية ص٧٧.

(٥) المذاهب الإسلامية ص٧٧.

أقوال في تأريخ الطبري، وهم أبو ذر الغفاري المتوفى سنة ٣٢، ٣٣هـ، وعبد الله ابن مسعود المتوفى سنة ٣٢ أو ٣٣ للهجرة[١]، وسلمان الفارسي المتوفى سنة ٣٥ أو ٣٦[٢]، وأبو هريرة المتوفى سنة ٥٧ أو ٥٨هـ[٣]، وجابر بن عبد الله المتوفى سنة ٧٨[٤]، وأنس بن مالك المتوفى سنة ٩٠ أو ٩١ للهجرة[٥]. أما الخلفاء الراشدون فليس لهم سوى روايات معدودة، وأكثرهم حديثاً هو علي بن أبي طالب حيث نقل الطبري شيئاً من أقواله أخذها من شيخه هناد بن السري الذي مر ذكره عن أبي الاحوص سلام بن سليم الكوفي من زعماء مدرسة الحديث في الكوفة[٦] الذي روى عنه جماعة محدثي الكوفة، مثل: خلف بن هشام، وأبي بكر بن أبي شيبة، وعثمان ابن أبي شيبة وأمثالهم ممن أخذ منهم الطبري وطبقته. وقد حدث أبو الاحوض عن جماعة من العلماء، مثل: زياد بن علاقة، ومنصور بن المعتمر المتوفى ٣٢ للهجرة[٧]، وآدم بن علي، وسماك بن حرب، ويتصل سند سماك بن حرب بعرعرة عن علي بن أبي طالب[٨].

وعرفت أخبار الإمام علي بن أبي طالب في البصرة كذلك، فقد أقام الإمام بها

---

(١) عيون الأخبار ص٢٧٣ (طبعة Brockmann) طبقات ابن سعد ٣/ ١٠٥. فما بعد (طبعة Sachan) ومقدمته صXV. ابن هشام ١/ ٢٧٠، ٢٣٦، ٣٤٨، ٣٨٧، ٣٨٩، ٢/ ١٢٥، ٢٧٦، ٣٢٨، ٤/ ١٧٩ (طبعة محمد محيى الدين عبدالحميد) Goldziher, Vorlesungcn, P, 65 Caetani, Annali, index, Ency, vol, 2, 403.

(٢) طبقات ابن سعد حـ٤ القسم الأول ص٥٣ فما بعد، كتاب اللمع (طبعة Nicholsen) ص١٣٤، الطبري (طبعة دي غويه) فهرسته، أسد الغابة ٢/ ٣٢٨ ابن هشام ١٣٦ فما بعد (طبعة وستنفلد).

Ency, vol, 4,p,116, c, Huart, Selman du Fars in mÔlanges, H Derneburgie, Paris 1909,P. 297.

(٣) كتاب الاشتقاق لابن دريد ص٢٩٥.

Ency, vol,p,93,f, Sprenger das Leben Und die Lehre des Muhammad, vol, 3,pp,IXXXIII, Goldziher, Abh, Zar Arabi, Philogie, I,P,49, ZDGM, 1487. Wendinck Hanworterbuch des Islam, Leden, 1941,p, 10.

(٤) طبقات الحفاظ ٤ رقم ١١، ميزان الاعتدال ١/ ١٧٥، تذكرة الحفاظ ١/ ٤٠.

Goldziher, muth, stud, vol,2,p, 10.

(٥) تذكرة الحفاظ ١/ ٤٢، توفي بين ٩٠ - ٩٣ للهجرة، البلاذري ص٣٨١ (طبعة دي غويه) المعارف لابن قتيبة ص١٥٧ (طبعة وستنفلد)، ابن الأثير أسد الغابة ١/ ١٢٧ (طبعة القاهرة ١٢٨٦).

Ency, vol, 1,p,346, Goldziher, muth, stud, 2,p,32, wensinck, hand, des, islam, p, 51.

(٦) تذكرة الحفاظ ١/ ٢٣٠.

(٧) تذكرة الحفاظ ١/ ١٣٤.

(٨) الطبري ١/ ١٢٨.

مدة، وترك فيها جماعة، وكان في جملة من أخذ الطبري أخبار الإمام منه في أثناء زيارته لمدينة البصرة عالمان اشتهرا بالحديث بين رجال أهل البصرة، هما: ابن بشار، وابن المثنى.

أما ابن بشار، فهو محمد بن بشار بن عثمان العبدي البصري المتوفى سنة ٢٥٢ للهجرة، ويعرف ببندار، وكان صاحب علم بالأخبار، يقصده المحدثون من مختلف الإنحاء. وأما ابن المثنى، فهو محمد بن المثنى أبو موسى العنزي البصري المتوفى سنة ٢٥٢هـ[١]. وقد نقلاً حديثهما الذي رواه عنهما الطبري عن مؤمل. ويتصل سن مؤمل بسفيان بن عيينة الكوفي عن أبي إسحاق السبيعي عمرو بن عبد الله الهمداني الكوفي، من أشهر أصحاب الحديث في الكوفة. وقد حدث عن (٣٠٠) شيخ، وحدث عن جماعة من الصحابة.

ولم يكن أبو إسحاق السبيعي محدثاً حسب، بل كان نفسه قد ساهم في الأحداث التي وقعت في أيامه فاشترك في الجيش الذي أرسله معاوية لغزو الروم، والظاهر أن صلاته به كانت حسنة. وكان من أعلم الناس بحديث علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود، وكان أحد أربعة اشتهروا في عصرهم برواية الحديث، هم: الزهري، وقتادة، والأعمش، وأبو إسحاق، يتفوق كل واحد منهم في ناحية، فكان قتادة أعلمهم بالاختلاف، والزهري بالإسناد، وأبو إسحاق بحديث علي وابن مسعود، والأعمش بكل هذا[٢].

وهنالك سند آخر يصل الطبري بالإمام علي، هو سنده عن شيخه المعروف بالزعفراني من أهل بغداد. وهو أبو علي الحسن بن محمد بن الصباح المتوفى سنة ٢٧٠هـ[٣]، من رجال الفقه بالعاصمة، وأصله من نبط العراق. وكان من الملازمين للإمام الشافعي، ومن أقدر طلابه، ولذلك كان يقوم بوظيفة قراءة الكتب وما يمليه الإمام على الحاضرين في حلقة الدرس لفصاحته وبلاغته. وكان من جملة مشايخه محمد ابن أبي عدى، ويتصل سنده بشعبة عن أبي إسحاق السبيعي عن عبد الرحمن بن دانيل[٤] عن الإمام.

---

(١) تذكرة الحفاظ ٢/ ٨٦. الطبري ١/ ١٢٩.

(٢) تذكرة الحفاظ ١/ ١٠٨.

(٣) تذكرة الحفاظ ٢/ ٩٧.

(٤) الطبري ١/ ١٤٩: «دانيال».

وهذا الخبر هو في تفسير الآية: «**وان كان مكرهم لتزول منه الجبال**»، والتفسير - على ما يظهر - هو من قبيل هذا القصص الوارد عن أهل الكتاب، لعله من وضع ابن دانيل «دانيال» الذي يرجح أن يكون والده أو هو نفسه من أهل الكتاب.

أما أقوال الصحابي عبد الله بن مسعود أحد علماء الصحابة في القرآن الذي كان قد جمع القرآن ورتبه فقد وصلت إلى الطبري عن طريق شيخه موسى بن هارون البغدادي الحمال المتوفى سنة ٢٩٤هـ[١] عن عمرو بن حماد عن أسباط عن السدى هو مرة الهمداني المعروف بمرة الخير المتوفى في حدود سنة تسعين[٢] عن ابن مسعود، ويعد مرة من المفسرين العباد، ولذلك كانت في تفسيره مسحة من اللون الذي اصطبغت به تفاسير العباد والزهاد من النزعة التصوفية والميل إلى القصص وحكايات الترهيب. يتصل سنده بأبي بكر، وعمر، وأبي ذر، وأبي موسى الأشعري[٣].

هذا ما أردناه من الكلام على موارد الطبري في تاريخ العرب قبل الإسلام، وسنعرض في بقية كلامنا في المجلد الثاني لموارده في تأريخ الفرس.

موارد تاريخ الفرس والروم[*]

وتختفى أسماء الرواة في الفصول التي دونها الطبري عن تأريخ الفرس والروم، فلا نقرأ تلك الجمل التي كان يكثر من ترديدها في تأريخ الرسل والأنبياء في صدر كل خبر ورواية، مثل: «حدثنا فلان قال حدثنا فلان عن فلان عن... قال:»، أو «حدثني فلان، قال: حدثنا... قال: أخبرني فلان... قال: أخبرني... قال:....، واستعاض عن هذا وأمثاله في الغالب بجمل بنيت على المجهول لم يصرح فيها باسم الراوية الذي روى له الخبر، أو المورد الذي أخذ منه. وقد أوجد لنا الطبري بطريقته الجديدة هذه مشكلات حالت بيننا وبين التوصل إلى الموارد التي نقل منها تلك الأخبار.

ونجد في «تأريخ الأمم والملوك» تفصيلاً عن تأريخ الفرس لا نجده في كتاب آخر دون في زمانه أو بعده في التأريخ العام، وهو - لما حواه من مادة - من الموارد التي

---

(١) تذكرة الحفاظ ٢/ ٢١٧ فما بعدها. الطبري: فهرسته (طبعة دي غويه).
(٢) تذكرة الحفاظ ١/ ٦٣.
(٣) تذكرة الحفاظ ١/ ٦٣، الطبري ١/ ١٥٦/ ٢٣٧، ٢٢٣.
(*) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي العدد ٢ لسنة ١٩٥١ ص ١٣٥ -١٩٠

يعتمد عليها الباحثون اليوم في تدوين تأريخ العجم، ولكن هذا لا يعنى أنه حوى كل ما وعاه الفرس، وما نقله النقلة إلى العربية من تأريخ الفرس؛ فأننا نجد في الكتب الباقية التي تعرضت لتاريخهم أو لتأريخ العرب والفرس أموراً لا نجدها في تأريخ الطبري. وقد اعتمد عليه نولدكه «Noldeke»، في تدوين تأريخ الفرس والعرب في أيام الساسانيين[1].

وقد قسم بعض المؤرخين تأريخ الفرس إلى أربع طبقات: الطبقة الأولى الفيشدادية وهم أقدم الطبقات، والطبقة الثانية الكيانية، والطبقة الثالثة الأشغانية، والطبقة الرابعة الساسانية[2]. أما الطبري، فقد سلسل تأريخهم على هذا الأساس، ولكنه لم يتحدث عن طبقة طبقة في فصل خاص، الا الأشغانية الذين يبدأ تأريخهم بـ«أشك بن أشجان»، فقد وضع لهم عنوانا خاصاً هو: «الملوك الأشغانيون»، وقد دعام أيضاً بـ«ملوك الطوائف»[3]، وجعل عنوان الطبقة الرابعة، وهي الطبقة التي خلفت «الأشغانية»، «ملوك الفرس»، وذكر أن أول من ملوكها من أبناء ساسان[4]. وهذه الطبقة هي طبقة الساسانيين.

ويبدأ تأريخ الفرس عند الطبري ببداية تأريخ البشر، أي بتأريخ آدم، وآدم هو جيومرت[5] على رأي أكثر علماء الفرس. ولذلك تحدث عنه في أثناء الكلام على «آدم»[6]، وذكر أن بعضهم كان يزعم أنه أبو الفرس[7]. وأما أوشهنج، فهو أول ملوك الفرس[8]. وقد عاش في أيام آدم أو بعده بمئتي عام[9]. ولم يصرح الطبري بأسماء من

---

(١) The NOldeke, Geschichte der perser und Araber zur ziet der sasaniden, Aus der Arabi, chonik. des Tabari ubersetz und mit ausfurchen erlauterungen und erganzungen verseben, Leiden 1879.

(٢) حمزة (ص١٢ - ١٣).

(٣) الطبري (٢/ ١١).

(٤) الطبري (٢/ ٥٦).

(٥) «كيومرث» حمزة (ص١٢) «فالفرس كلها بأسرها تزعم ان ابتداء التناسل كان من رجل يقال له كيومرث ملك الطين، أي كلشاه، وبقى على الأرض أربعين سنة».

(٦) الطبري (١/ ٧٣).

(٧) الطبري (١/ ٧٤).

(٨) حمزة (ص١٢).

(٩) الطبري (١/ ٧٦ - ٧٧).

أخذ منهم أخباره عن جيومرت وأوشنهج ومن خلفه من الملوك الفيشداديين، ويظهر من تعابيره التي استعملها في الأوراق التي دونها عنهم انه استمدها من المعنيين بتأريخ الفرس ومن مؤلفاتهم، وذلك كالذي يظهر من قوله: «وأما الفرس فانهم قالوا. . .»[(١)].
ولابن الكلبي أقوال وتعليقات[(٢)] لا ندرى من أين جاء بها الطبري، أجاء بها من كتب ابن الكلبي، أم أخذها من أفواه مشايخه؟ والذي يخيل إلى أنه نقلها من كتبه ومؤلفاته، وإلا فما الذي منع الطبري من الاشارة إلى أسماء من دون تلك الأخبار. وقد قص علينا في أخبار الرسل والأنبياء وفي أماكن أخرى أسماء من حدثه بروايات ابن الكلبي وعمن أخذوا إلى أن يتصل بهشام، أو بصاحب الخبر، أو بشاهد العيان.

وما دونه الطبري وغيره عن تأريخ الفيشدادية والكيانية والأشغانية، أكثره أساطير وقصص شعبى يذكرنا بقصص اليونان وبالأساطير التي رووها عن ملوكهم، وأقله تأريخ جمع ودون في عهد الساسانيين. أما تأريخ الساسانيين، فأحسن حالاً، ففيه مادة تأريخية. وقد كتب في أيام الساسانيين كذلك، وأضيف إلى المحفوظ ما دونه أهل الحيرة، وما حفظه الرواة والأخباريون عن علاقة العرب بالفرس.

وابن الكلبي هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي أبو المنذر المتوفى سنة ٢٠٤ أو ٢٠٦ للهجرة[(٣)]، وهو في طليعة المشتغلين في الأنساب والأخبار وفي تأريخ العرب قبل الإسلام، والمرجع المعول عليه في تأريخ الحيرة والعراق واليمن. ورث من أبيه الميل إلى الأخبار، فصار من كبار الأخباريين، وألف في ذلك كتباً. وله أكثر من مئة وخمسين مصنفاً[(٤)]، أو مئة وأربعة وأربعون مصنفاً[(٥)]. وقد اتهمه المحدثون بالضعف، والكذب، وترك أكثرهم الرواية عنه، وأعتقد أنهم تحرجوا الرواية عنه في حديث الرسول وفي التفسير. أما الأخبار والأنساب، فانهم يعترفون بعلمه فيها، وبباعه الطويل في هذين الموضوعين.

---

(١) الطبري (١/ ٨٦).
(٢) الطبري (١/ ٨٦) وفي مواضع أخرى.
(٣) ابن سعد (٦/ ٢٤٩)، الإرشاد (٧/ ٢٥٠ وما بعدها)، تأريخ بغداد (١٤/ ٤٥)، ابن حجر تهذيب (٩/ ٢٦٦)، الذهبي: طبقات الحفاظ (١/ ٣١٤).
(٤) لسان الميزان (٦/ ١٩٦).
(٥) الفهرست (١٤٠) وما بعدها، لسان الميزان (٦/ ١٩٧).

ويرى نولدكه أن هذه التهم التي وجهت إلى ابن الكلبي لم تكن دائماً على حق، ويرى أن كثيراً مما رواه كان صواباً! وأنه قد سلك سبيلاً قريباً من العلم في دراسة الوثائق الأصلية والمخطوطات[١]. وأنا، مع تقديري لجهود ابن الكلبي وسعة حفظه وعنايته بأخبار العرب قبل الإسلام، أرى فيه ضعفا من حيث ميله إلى التظاهر بالعلم والدراية بكل خبر قديم. ففي تأريخ الطبري وفي مؤلفات أخرى، روايات نسبت إليه، ان صح أنها صدرت منه وأنه هو قائلها حقاً، فانها تدل على ضعف ملكة النقد لديه، وعدم تمييزه بين المعقول والمنقول، بين الصحيح والفاسد، ولا سيما في أخبار الأوائل وفي الإسرائيليات، وقد كان من المغالين في الأخذ بأقوال أهل الكتاب الذين لم يكونوا في الواقع من أصحاب العلم والفهم. فنرى أن شيئاً كثيراً مما رواه على أنه من التوراة، لا يمت اليها بصلة ما، بل لا يمت بصلة ما حتى إلى التلمود و«المدراش»، وقد نرى خلطا يصعب وقوعه من رجل من أهل الكتاب. وهذا مما يحملنا على اطراح الثقة به في بعض الأمور، والشك في صحة ما يرويه، بل يحملنا على التفكير في أنه كان يفتعل أحياناً للظهور بمظهر العالم المحيط بكل خبر قديم.

وترجع أكثر الروايات المدونة في تأريخ الطبري عن صلات الفرس بالعرب، ولا سيما باليمن، إلى ابن الكلبي. ولضياع اكثر مؤلفاته وعدم وصولها إلينا حتى الآن، يصعب علينا رجع ما نقله الطبري عنه إلى أصوله لدى ابن الكلبي. غير أنه في الامكان الاستعانة بعناوين بعض مؤلفاته لتعيين المورد الذي اخذ الطبري منه. فمن الممكن مثلاً رد ما ذكر عن الضحاك، وهو بيوراسب أو الازدهاق من روايات مرجعها ابن الكلبي، لم يذكر لنا الطبري من حدثه بها[٢]، إلى مؤلف من مؤلفات هشام لم يصل الينا، ولعله الآن مقبور في خزائن الكتب، اسمه خبر الضحاك[٣]. يظهر أنه أخذه من الكتب التي نقلت عن الفهلوية إلى العربية، أو من رواة الفرس المعنيين برواية تأريخهم وحفظه، وقد كان منهم عدد في الكوفة. أما المتعلق منه باليمن وبالعرب، وبنسب الضحاك في

(١) Noldeke, geschichte der Araber und perser, s, xxvii.

(٢) الطبري (١/ ٩٨) وما بعدها. غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم للثعالبي (ص١٨) وما بعدها.

(٣) الفهرست (ص١٤١)، وقد دعاه «حي الضحاك» وهو تحريف من النساخ على ما يظهر، الأصنام تحقيق أحمد زكي باشا (ص٧٣).

اليمن، فلا يمكن أن يكون من أصل فارسي، بل لا بد أن يكون من أصل عربي، من وضع ابن الكلبي نفسه، أو من وضع غيره، وقد يكون من وضع «الأبناء»[1] الذين بقوا في اليمن، فربطوا بين تأريخي العرب والفرس.

وأما ما رواه الطبري من روايات نقلت عن ابن الكلبي في ملوك الطوائف، فان من الممكن رجعه إلى كتاب آخر لم يصل إلينا أيضاً، وانما ورد اسمه في الفهرست لابن النديم، اسمه كتاب ملوك الطوائف[2]. وقد أضاف الطبري إلى روايات ابن الكلبي أخباراً يظهر أنه اقتبسها من كتب آخرى منقولة عن الفهلوية، أو من كتاب سير ملوك الفرس.

ولابن الكلبي كتاب آخر له علاقة بتأريخ الفرس الساسانيين، اسمه كتاب أخذ كسرى رهن العرب[3]، وكتاب ثان اسمه كتاب اليمن وامر سيف[4]، كما أنه له كتباً في ملوك اليمن من التبابعة[5]، وفي أقيال حمير[6]، وفي الأوائل[7]، من الجائز أن يكون ابن الكلبي قد تعرض فيها لتأريخ الفرس. والظاهر أن الأوراق التي حبرها الطبري عن اليهودية في اليمن وعن النصرانية في نجران وغزو الحبشة لليمن، ونهوض «سيف بن ذي يزن» لطرد الأحباش عن وطنه، وهي روايات ابن الكلبي مضافاً اليها روايات «محمد بن إسحاق»[8] أخذها الطبري من «كتاب اليمن وأمر سيف بن ذي يزن» لابن الكلبي، ومن مؤلف «ابن إسحاق». أما ابن إسحاق، فترجع رواياته - على ما سترى - إلى محمد بن كعب القرظي، وإلى وهب بن منبه، وإلى جماعة من أهل نجران. وما دونه عن كندة وصلتها بالفرس، والحوادث التي كانت بين العرب في أيام قباذ[9]، قد انتزعه من كتاب آخر لابن الكلبي اسمه كتاب ملوك كندة[10]. وقد نسب الطبري خبره

---

(١) الأبناء هم أبناء الفرس الذين جاءوا إلى اليمن لتحريرها من الأحباش. Ency, I, P, 72, Noldeke, geschiete ger perser und Araber zur ziet der sassaniden, s, 220.

(٢) الفهرست (ص١٤١).

(٣) الفهرست (ص١٤١)، الأصنام (ص٧٤).

(٤) الفهرست (ص١٤١)، كتاب اليمن وامر سيف بن ذي يزن الأصنام (ص٧٥).

(٥) كتاب ملوك اليمن من التبابعة، الفهرست (ص١٤١)، الأصنام (ص٧١).

(٦) «كتاب أمثال حمير» الفهرست (ص١٤١)، الأصنام (ص٧٢).

(٧) الفهرست (ص١٤١)، الأصنام (ص٧٢).

(٨) الطبري (٢/ ٩٤) وما بعدها.

(٩) الطبري (٢/ ٨٩) وما بعدها.

(١٠) الأصنام (ص٧١).

الذي دونه عن قباذ والحارث بن عمرو بن حجر بن عدي الكندي إلى ابن الكلبي، الا أنه لم يذكر - على العادة التي جرى عليها في تأريخ الفرس - اسم المحدث الذي نقل إليه قول هشام. ونظرا لما عرفناه عنه من اغفال اسماء الكتب التي ينقل منها، أو الكتاب الذي ينقل منه، واستعمال جمل مبهمة مثل: «وذكر أهل العلم. . .»، أو «وزعم جماعة من علماء العجم. .»، أو «وحدثت عن هشام بن محمد قال. .» ونحو ذلك مما يشير إلى أنه نقل ما ذكره من الكتب، فاننا ربما لا نكون مخطئين إذا قلنا ان الطبري قد نقل خبره المذكور من هذا الكتاب.

وربما لا أكون بعيداً عن الصواب إذا ما زعمت لك أن الطبري قد نقل من كتاب آخر من كتب ابن الكلبي، هو كتاب عدى بن زيد العبادى[١]. وقد اعتمد - في تأليفه - على ما سمعه من «اسحاق بن الجصاص»، وعلى ما أخذه من أبيه محمد[٢].

وإسحاق بن الجصاص، أو إسحاق بن عماد ويعرف بابن الجصاص ويكنى أبا يعقوب، هو من موالى اليمن، وكان صاحب عيسى بن موسى في أوائل الدولة، فكان الناس يقرؤون عليه الشعر في دار عيسى، ودرس عليه جماعة من كبار العلماء مثل الكسائي[٣] وابن الكلبي وأضرابهما. وقد سمع ابن الكلبي أخبار عدى بن زيد مشافهة من شيخه ابن الجصاص، كما نقل من كتاب حماد[٤]. ومات في آخر أيام المنصور.

وقد اشتغل عبد الله بن المقفع، وهو في الأصل «روزبة بن داذويه»، بنقل جملة كتب في التأريخ والأدب من الفهلوية إلى العربية، منها: «كتاب خدينامه في السير» «خداى نامك»[٥]، و«كتاب آيين نامه في الأصر»[٦] وكتاب مزدك[٧]، و«كتاب التاج في سيرة أنوشيروان»[٨]، و«كتاب كليلة ودمنة»، وكتب أخرى[٩]. فمهد ابن المقفع -

---

(١) الأصنام (ص٧٤).

(٢) الطبري (٢/ ١٤٦).

(٣) الإرشاد (٢/ ٢٣٢ - ٢٣٣).

(٤) الطبري (٢/ ١٤٦).

(٥) «خداى نامه» «خداينامة» «خدينامة في السير» الفهرست ص١٧٢. «خداى نامه، وهو الكتاب الذي لما نقل من الفارسية إلى العربية سمى كتاب تاريخ ملوك الفرس»، حمزة ص١٥. «خداى نامه» في الفارسية الحديثة و«خداينامك» «خدينامك»، في الفهلوية، Ency, vol, IV, p, 180.

(٦) الفهرست (ص١٧٢).

(٧) الفهرست (ص١٧٢)، سراج الملوك للطرطوشي (ص١١٨) «طبعة بولاق ١٢٨٩».

(٨) الفهرست (ص١٧٢)، Brocklmann, suppl, I,s, 235.

(٩) الفهرست (ص١٧٢)، ذكرت اسماء كتبه الأخرى في: Brocklmann, suppl, I, s, 234 - 235.

بترجمته لهذه الكتب - للمؤرخين الذين كانوا لا يعرفون الفهلوية أن يحصلوا على معارف في تأريخ الفرس القديم. وذكر ابن النديم أن ابن المقفع «كان أحد النقلة من اللسان الفارسي إلى العربي، مضطلعا باللغتين، فصيحا بهما»[١]. أما فصاحته ومعرفته بالفهلوية فمسألة تحتاج في رأيي إلى دراسة دقيقة ومقابلة بين الأصول الفهلوية والنقول التي عملها ابن المقفع بالعربية، للحكم فيها حكما علميا. ولا يصح الأخذ بالشهرة وبأقوال القائلين الذين لا تصدر أحكامهم عن دراية وعلم عميقين في الغالب. وقد ضاعت الأصول، كما ضاعت نقول ابن المقفع، ولم يبق منها غير نتف وقطع حفظت في كتب التأريخ والأدب، لذلك صعب على المؤرخ والأديب اصدار حكم علمي في فصاحة ابن المقفع في الفهلوية، وفي دقة نقله وسلامته، وان كنا لا نشك في فهمه لها وفي معرفته بفارسية زمانه، وفرق كبير بين الفهم والفصاحة كما هو معلوم.

وقد ذاعت لابن المقفع شهرة واسعة في الناس، ومال القوم إلى مطالعة ما كان يخرجه، أو يخرج باسمه «قال المسعودي: «على أن من شيم كثير من الناس الاطراء للمتقدمين وتعظيم كتب السالفين، ومدح الماضي وذم الباقي، وان كان في كتب المحدثين ما هو أعظم فائدة وأكثر عائدة. وقد ذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: أنه كان يؤلف الكتاب الكثير المعاني، الحسن النظم، فينسبه إلى نفسه، فلا يرى الاسماع تصغى إليه، ولا الارادات تيمم نحوه؛ ثم يؤلف ما هو أنقص منه مرتبة وأقل فائدة، ثم ينحله عبد الله بن المقفع، أو سهل بن هارون أو غيرهما من المتقدمين ومن قد طارت أسماؤهم في المصنفين، فيقبلون على كتبها، ويسارعون إلى نسخها، لا لشئ الا لنسبتها إلى المتقدمين»[٢].

ويظهر أن جملة رجال نقلوا كتاب خدينامة إلى العربية، ويعرف هذا الكتاب في الفهلوية، «خدينامك، خداينامك» Khvadhaynamagh [٣] (Khwadainamak) [٤]، وقد اشتهرت ترجمة ابن المقفع من بينها خاصة، فرجع اليها أكثر المؤرخين. ومع شهرتها هذه، وحرص الفرس على حفظ تأريخهم، ضاع الأصل، كما ضاعت ترجماته، ترجمة ابن المقفع وترجمات بقية النقلة، وهذا في الواقع أمر غريب. وقد نقل الطبري من

---

(١) الفهرست (ص١٧٢).

(٢) التنبيه والاشراف (ص٧٦ - ٧٧).

(٣) Arthur Christensen, Liran sous les sassanides copenhague 1936. p, 56.

(٤) Brocklmann, I, s, 151, suppl, I, s, 235.

ترجمة ابن المقفع، غير أنه لم يشر إلى اسمه، ولم يذكره الا مرة واحدة في تأريخه، في موضع لا علاقة له بهذه الترجمة، أو بتأريخ الفرس[١].

وقد نقل ابن قتيبة أبو عبد الله محمد بن مسلم الدينوري، المتوفى سنة ٢٧٠ أو ٢٧١ أو ٢٧٦ للهجرة[٢]، من ترجمة ابن المقفع، وأشار إلى ذلك في مواضع من كتابه عيون الأخبار[٣].

• وللتأكد من أخذ الطبري من ترجمة ابن المقفع، تمكن المقابلة بين تأريخ الطبري وبين ما جاء في عيون الأخبار عن الفرس. وقد تبين لي من المقابلة بينهما أن الطبري قد وقف على ترجمة ابن المقفع، ونقل منها[٤]، ويظهر لي أن الطبري قصد ابن المقفع في بعض الجمل، مثل قوله: «وقال غير هشام من أهل الأخبار»[٥]، فان العبارات التي ذكرها بعدها هي العبارات نفسها تقريبا الواردة في «عيون الأخبار»، وهي منقولة من كتاب سير العجم لابن المقفع. ويظهر أيضاً أن الطبري قصد كتاب خدينامه في قوله: «ولذلك قصد لذكرهم في كتاب سير الملوك....»[٦] وأما الضمير، فيعود إلى ابن المقفع مترجم الكتاب «وقد استفاد ابن قتيبة في كتابه المعارف من ترجمة خدينامة، وصرح بذلك في مثل قوله: «ووجدت في كتب سير العجم» و«قرأت في كتب سير ملوك العجم»[٧].

ونجد قطعاً من نقل ابن المقفع في كتاب آخر لم يطبع حتى الآن اسمه في سجلات المخطوطات نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب، توجد نسخة كاملة منه في المتحف البريطاني[٨]، ويوجد بعضه في خزانة كتب مدينة «كوتا Gotha»

---

(١) فهرست تأريخ الطبري (عمل دي غويه) ص٥٦٧.

(٢) الفهرست ص٧٧، السمعاني: أنساب ورقة ٤٤٣ (أ)، ياقوت إرشاد (١/ ١٦٠) تأريخ بغداد (١٠/ ١٧٠)، اليافعي مرآة (٢/ ١٩١)، العماد شذرات الذهب (٢/ ١٦٩)، السيوطي بغية ٢٩١.

(٣) «عيون الأخبار» طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٢٥م. وقد طبعت منه الأجزاء الأربعة في أوربة بين عامى ١٨٩٨ - ١٩٠٨ للميلاد.

(٤) راجع قصة غزو «فيروز بن يزدجرد بن بهرام» لمدينة بلغ وحروبه مع ملكها «اخشنوار». عيون الأخبار (١/ ١١٧). وقابل ذلك بما دونه الطبري عنه. الطبري (٩/ ٨٣).

(٥) الطبري (٢/ ٨٣).

(٦) الطبري (٢/ ١٢).

(٧) المعارف (ص٢٦، ٢٨٥).

(٨) Brocklmann, suppl, I, p, 164, catalogus could, mss qui in museo Britannieo Asservantur, pars, I I, could, Arab, Amplee - tens, 3 vol, london- 1846 - 1879, nr, 904 - 1273.

بألمانية[١]، وهو في تأريخ الفرس والعرب. جاء في نهايته: «انقضى ملك العجم والحمد لله وحده. تم كتاب النهاية وهو سير الملوك على يد الفقير الحقير المعترف بالذنب والتقصير، الراجى عفو ربه ذو الفضل والوفا على بن الحاج مصطفى الشهر بالمقدسي. غفر الله له، ولوالديه ولمن نظر فيه ودعا له بالمغفرة وللمسلمين. وكان الفراغ من نسخته نهار الثلاثا المبارك في عشرين نهار خلت من شهر جمادى الأول من شهور سنة ثلاث وأربعين وألف من الهجرة النبوية. . . .»[٢].

وأما مطلع الكتاب فهو: «بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين. الحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولا إله إلا الله أحسن الخالقين؛ وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين. قال الأصمعي ﷺ: كان هارون الرشيد الإمام إذا نشط يرسل إلى، فكنت أحدثه بحديث الأمم السالفة والقرون الماضية، فبينما أنا أحدثه ذات ليلة، فقال: يا أصمعى أين الملوك وأبناء الملوك؟ قلت: يا أمير المؤمنين! مضوا لسبيلهم. فرع يديه إلى السماء، ثم قال: يا مفنى الملوك! ارحمنى يوم تلحقني بهم.

ثم دعا صالحاً صاحب مصلاه، فقال: انطلق إلى صاحب بيت الحكمة فمره أن يخرج اليك سير الملوك، وائتنى به. فأخرج إليه الكتاب. قال: فأمرني أن أقرأه عليه. فقرأت منه تلك الليلة ستة أجزاء. . . الخ»[٣]. ثم أوصاه الخليفة بالذهاب إلى «أبي البحتري»[٤] للاستعانة بله في كتابة ماكان بين آدم وسام بن نوح. ولم يكن هذا مدونا في كتاب سير الملوك الذي يبدأ بسام بن نوح، فذهب إليه وأخبره ما أمر به أمير المؤمنين، فأخذا كتاب المبدأ ونسخا منه هذا الجزء ونساقه وجعلاه في عشرة أوراق قدمت على سير الملوك. وتبدأ هذه الأوراق بهذه العبارة: «قال: أبو البحترى الفقيه حدثني عطاء عن الشعبي عن ابن عباس. . .»[٥]، وتنتهى في الورقة الحادية عشرة بهذه

---

(١) Brocklmann, suppl, I, s, 164, pertsch w, die arabischen hdss, der herzoglichen bibliothek zu gotha, bd, I, gotha 1877 - 1892.nr. 39. 4.

(٢) ورقة رقم ٢٦٧ من مخطوطة المتحف البريطاني.

(٣) مخطوطة المتحف البريطاني الورقة الأولى، وهي النسخة المصورة المحفوظة في خزانة كتب المجمع العلمي العراقي تحت رقم ٩.

(٤) «أبو البحترى» هكذا في النسخة. ويقصد به «أبا البحتري» القاضى الفقيه. ويظهر أنه الناسخ نسى وضع النقطة فوق حرف «الخاء» فصار الخاء حاءا. وسأتحدث عنه.

(٥) «أبو البحتري» هكذا في الأصل، والصحيح «أبو البختري بالخاء المعجمة، الورقة الأولى من المخطوطة؛ السطر الثالث عشر من الصفحة الواقعة إلى يسار القارئ.

العبارة: «تم الجزء اللحق بسير الملوك مبتدأ كتاب السير وأخبار الملوك. .»[١] تليها جملة: «قال عامر الشعبي: سبحان الملك الدايم الذي لا يفنا ولا انفصال له، والسلطان الباقي الذي لا زوال له. . الخ»[٢] إلى أن قال: «وهذه قصص الملوك الماضية والأمم السالفة، . . . . وكان الذي ألف وصنف هذا الكتاب ونسقه وأتم نظمه سماع عن الثقات من العلماء عامر الشعبي وأيوب بن القرية، وكانا من حكماء العرب الذين بحثوا عن أمور الأمم السالفة، وعلموا ما كان في القرون الماضية، وأعانهما على ذلك عبد الله بن المقفع، وكان من علماء العجم الذين عرفوا سير الملوك وتحروا في معرفة أمورهم ومخارج آدابهم ومعالم حكمتهم. وكان الذي جمعهم لذلك عبد الله بن مروان سنة خمس وثمانين. قال عامر الشعبي وأيوب بن القرية: حدثنا عن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، قال: ان الله تبارك وتعالى أحب أن يجعل خلقه بعد الطوفان من صلب نوح عبده ورسوله ﷺ . . . الخ»[٣].

وجاء في موضع آخر من الكتاب: «قال الشعبي وابن القرية: حدثنا علماء حمير أنهم وجدوا في كتب ملوكهم التي توارثها آخر عن أول. . .[٤].

وورد في بعض المواضع: «قال أيوب بن القرية. . .»[٥]. وانفرد عامر الشعبي بالرواية في كثير من المواضع[٦]. وترد في أثناء قصصهما أو قصص أحدهما أسماء الأشخاص الذين رووا ذلك القصص، مثل كعب الأحبار، وعبد الله بن سلام، ودغفل النسابة الشيباني، وابن الكيس النمرى، وعبيد بن شربة، وأمثالهم من طبقة القصاص وأصحاب الأخبار، ولم يصرح «الشعبى» بأسماء محدثية في كثير من الروايات المنسوبة إليه، ولا سيما في الروايات التي تخص عمان وحضرموت واليمن، والحفائر التي عثر فيها على كنوز وآثار[٧].

أما تأريخ الفرس، فصاحبه في هذا الكتاب عبد الله بن المقفع، خلا المواضع التي

---

(١) الورقة الحادية عشرة، الصفحة الواقعة إلى يسار القارئ، السطر السابع عشر.

(٢) السطر الثامن عشر وما بعده من الصفحة المذكورة.

(٣) الورقة ١٢، الصفحة اليمنى.

(٤) الصفحة اليمنى من الورقة الرابعة عشرة.

(٥) الورقة الثانية عشرة.

(٦) الورقة ٢٤.

(٧) «قال الشعبي أخبرني رجل من عمان قال. . . الورقة ٥٨ «قال الشعبي وأخبرني رجل ممن وقع على حفيرة. . .» الورقة ٩٩، «قال الشعبي أخبرني رجل من أهل الجابية قال. . .» الورقة ١٢٧.

يكون لها اتصال بتأريخ العرب، فيورد الكتاب أخباراً عن الشعبي وعن آخرين[١]. والظاهر أن ما نسب إلى ابن المقفع قد أخذ من كتاب سير الملوك.

وبعد، فتبين لنا من مطالعة هذا الكتاب ان الناسخ يزعم أن صاحبه هو الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب المتوفى سنة ٢١٤ و٢١٧ للهجرة[٢]، وأنه جمعه وألفه للخليفة هارون الرشيد، وأنه أخذه من كتاب المبتدأ ومن كتاب في سير الملوك كان في خزانة بيت الحكمة، وهو مما عمل في الأصل للخليفة عبد الملك بن مروان، عمله ثلاثة أشخاص، هم: عامر الشعبي، وابن القرية، وابن المقفع. وقد فسق الجزء الذي ألحق بالكتاب ووضع قبل سير الملوك الفقيه المعروف أبو البختري، فأصبح الكتاب شاملاً تأريخ العالم منذ آدم أبي البشر حتى مبعث النبي.

أما أن هذا الكتاب في تأريخ الفرس والعرب والأنبياء، فذلك أمر لا شك فيه. وأما أنه من وضع الأصمعي وتأليفه، وأنه من محصول علماء ثلاثة سبقوا الأصمعي في الوصول إلى العالم الثاني، فمسألة فيها نظر، وقضية تحتاج إلى تفكر ودرس، وليس من السهل علينا عدها منتهية كما تصور ناسخ الكتاب «علي بن الحاج مصطفى المقدسي» رَحِمَهُ اللَّهُ ومن علق على الكتاب ودخل في ملكهم من المشترين.

والأصمعي عالم من كبار علماء اللغة والنحو والأخبار والنوادر، له كتب كثيرة في اللغة ذكرها ابن النديم، ولم يذكر بينها اسم هذا الكتاب[٣]. وذكرها «ابن خلكان» ولم يذكر معها اسم هذا الكتاب[٤].

وكان الأصمعي من أهل البصرة، فقدم بغداد عاصمة الخلافة، واتصل بالخليفة «هارون» فكان يسأله ويطلب علمه، ويصله ويبره، كما كانت له صلات بابنه الخليفة المأمون. وكان معاصرا ومنافسا لعالم لغوى أخبارى كبير يعد في طبقته وأقرانه هو أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفي بين سنتي ٢٠٨ و٢١٣ للهجرة[٥]. وهو ممن نقل الطبري أخبارهم في تأريخه، ومنها أخباره عن معركة «ذي قار»[٦]. وقد ورد اسم الأصمعي في

---

(١) الورقة ١٨٥.

(٢) Brockemann, suppl, I, s, 164. الوفيات (١/ ٣٦٤).

(٣) الفهرست ص٨٢.

(٤) الوفيات (١/ ٣٦٤ - ٣٦٥).

(٥) Brocklemann, suppl, I, s, 162.

(٦) الطبري (٢/ ١٤٦).

أحد عشر موضعاً من تأريخ الطبري[١]. كما ذكر اسم أبي عبيدة في أكثر من خمسين موضعاً في هذا التأريخ[٢].

وأما «أبو البختري» فهو وهب بن وهب - القاضى أبو البخترى القرشى المدنى المتوفي سنة ٢٠٠ للهجرة ببغداد في خلافة المأمون[٣]. روى عن جعفر الصادق، وهشام ابن عروة بن الزبير، وعبيد الله بن عمر العمرى. وروى عنه المسيب بن واضح، والربيع ابن ثعلب، ورجاء بن سهل الصاغانى، وأبو القاسم بن سعيد بن المسيب، وغيرهم. وقد انتقل من المدينة إلى بغداد في خلافة هارون الرشيد، فولاه القضاء بعسكر المهدى في شرقى بغداد، وكان فقيهاً أخبارياً ناسياً. وقد ضعف في الحديث، ونهى بعضهم الأخذ منه[٤]. وذكر ابن خلكان له هذه التصانيف: كتاب الروايات، وكتاب طسم وجديس، وكتاب صفة النبي ﷺ، وكتاب فضائل الأنصار، وكتاب الفضائل الكبير، وكتاب نسب ولد اسماعيل عليه السلام، ويحتوى على قطعة من الأحاديث والقصص[٥]، فالبخترى اذن من أصحاب المؤلفات ومن الأخباريين والنسابين.

وعامر الشعبي هو أبو عمرو عامر بن شراحيل المتوفى بين سنة ثلاث ومئة وخمس ومئة، وهو في الأصل من حمير، وعداده في همدان، ثم هو كوفي تابعي. أقام بالمدينة هاربا من المختار أشهرا، فسمع من ابن عمر، وتعلم الحساب من الحارث الأعور، وشهد وقعة الجماجم مع ابن الاشعث، ثم نجا من سيف الحجاج، وعفا عنه[٦]. وكان فقيهاً محدثاً، يحدث بالمغازى[٧]. وقد ورد اسمه في مواضع كثيرة من تأريخ الطبري[٨]، في الإسرائيليات وفي القصص والتبابعة وأخبار اليمن. ومرجعه من أسلم من أهل الكتاب، ومن كان يعنى بأخبار الأوائل، مثقل عبيد بن شرية الجرهمي،

---

(١) فهرست تأريخ الطبري (عمل دى غويه) ص٤٥.

(٢) فهرست تأريخ الطبري (ص٣٧١).

(٣) الوفيات (٢/ ٢٤٠).

(٤) لسان الميزان (٦/ ٢٣١ وما بعدها). «وأبو البختري بفتح الباء الموحدة وسكون الخاء المعجمة، وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها راء. وهو مأخوذ من البخترة التي هي الخيلاء، وهو يتصحف على كيثر من الناس بالبختري» الوفيات (٢/ ٢٤١).

(٥) الوفيات (٢/ ٢٤٠ وما بعدها).

(٦) تذكرة الحفاظ (١/ ٧٤ وما بعدها). الوفيات (١/ ٣٠١).

(٧) تهذيب التهذيب (٥/ ٥٧ وما بعدها).

(٨) فهرست تأريخ الطبري (ص٢٧١).

وجماعة من الأعراب ممن كانوا يدعون رؤية المدن العجيبة المندثرة والآثار القديمة. ونجد نماذج مما روى عنه في هذا الباب في تأريخ الطبري وفي هذا الكتاب الذي أتحدث عنه. والظاهر أنه كان يميل إلى تتبع الأخبار.

وتولى الشعبي الكتابة لقتيبة بن مسلم الباهلي[1]، وكان مفسرا من كبار مفسرى الكوفة. ولم يذكر مترجموه له كتاباً لا في التفسير ولا في غيره. ولكننا نجد نماذج من تفسيره للقرآن الكريم في تفسير الطبري وفي تأريخه وفي كتب التفاسير الأخرى.

وقد أخذ الطبري روايات الشعبي في التفسير من جملة مشايخ، منهم: أحمد بن محمد ابن حبيب عن أبي نصر عن المسعودي عن أبي خالد من رواة الشعبي[2]، ومنهم ابن بشار عن سلم بن قتيبة عن يونس بن أبي إسحاق السبيعي عن شيخه الشعبي[3]، ومنهم أبو كريب عن ابن يمان عن اسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي المتوفى سنة ١٦١ أو ١٦٢ للهجرة[4] عن جابر عن الشعبي[5]. ومنهم على بن مجاهد[6]، وأمثالهم. وقد كان على بن مجاهد من المشتغلين بالتأريخ، قال عنه المسعودي: «وعلى بن مجاهد صاحب الكتاب المعروف بأخبار الأمويين»[7].

واما ابن القرية، فهو أبو سليمان أيوب بن زيد بن قيس بن زرارة الهلالى. وكان أعرابيا مفرط الذكاء فصيحا عالما بأخبار القبائل وأنسابها، اتصل بالحجاج وبالخليفة عبد الملك بن مروان، ثم انضم إلى ثورة ابن الاشعث، فحكم عليه بالموت فقتل سنة ٨٤ للهجرة[8]. وروى بعضهم ابن ابن القرية شخص خرافى لا وجود له، أنما أوجده أصحاب القصص والأخبار. قال أبو الفرج الاصبهانى: «قيل ان ثلاثة اشخاص شاعت أخبارهم، واشتهرت اسماؤهم، ولا حقيقة لهم، ولا وجود في الدنيا، وهم: مجنون ليلى، وابن القرية، وابن أبى العقب الذي تنسب إليه الملاحم واسمه يحيى بن عبد الله ابن أبي العقب»[9].

---

(١) Ency, of Islam, vol, I I, p, 234.

(٢) الطبري دورة أولى ص١٣ (طبعة ليدن).

(٣) الطبري دورة أولى ص٢٩٦، ٣١٦.

(٤) تذكرة الحفاظ ١/ ١٩٩.

(٥) الطبري دورة أولى ص٢٩٨.

(٦) الطبري: دورة أولى (ص٣٠٠).

(٧) المروج (١/ ٥).

(٨) تأريخ الطبري: دورة ثانية (ص١١٢٧ - ١١٢٩)، وفيات الأعيان (١٠٢ وما بعدها).

(٩) الأغاني: الطبعة المصرية: فهرست الأسماء.

من الممكن أجتماع ابن القرية بالشعبي. أما اجتماعهما بعبد الله بن المقفع، ومعاونته لهما في تأليف كتاب، فذلك أمر لا يمكن وقوعه. فقد قتل عبد الله بن المقفع في عام ١٣٩ أو ١٤٢ للهجرة[١]، ولم يكن قد جاوز الأربعين عاماً. ثم ان من المستحيل جمع الخليفة عبد الملك بين الشعبي وابن القرية سنة خمس وثمانين لتأليف الكتاب على نحو ما جاء في كتاب نهاية الأرب: «وكان الذي الف وصنف هذا الكتاب ونسقه، وأتم نظمه سماعاً عن الثقات من العلماء: عامر الشعبي، وأيوب بن القرية، وكانا من حكماء العرب الذين بحثوا عن أمور الأمم السالفة، وعلموا ما كان في القرون الماضية. وأعانهما على ذلك عبد الله بن المقفع، . . . وكان الذي جمعهم لذلك عبد الملك بن مروان سنة خمس وثمانين. ولهذا ذكرت أنه قتل عام ٨٤ للهجرة[٢]، أي قبل السنة المذكورة بسنة.

هذا الكتاب اذن حاصل كتب قد يكون من بينها كتاب من كتب الأصمعي، وكتاب في المبتدأ أي في قصة الخلق وما بعدها من الرسل والأنبياء، لعله كتاب المبتدأ[٣] أو المبدأ[٤] أو كتاب المبدأ والسيرة[٥] أو مبتدأ الخلق[٦] المنسوب إلى وهب بن منبه رواية عبد المنعم بن إدريس بن سنان ابن ابنة وهب بن منبه[٧]، أو كتاب آخر في هذا الموضوع، وكتاب من الكتب المنسوبة والمروية عن عبيد بن شرية، أو المروية عن الشعبي، وقصص روى عن ابن القرية، مضافاً إلى كل هذا ما أخذ من كتاب ابن المقفع، فكون من المجموع هذا الكتاب. وانى لاستصعب كون هذا الكتاب من تصانيف الأصمعي، إذ لا يعقل صدور هذه الغلطات التي ذكرتها من عالم كبير مثله. وأظن أنه من جمع شخص آخر، قد يكون وضع هذه المقدمة على لسان الأصمعي، أو أنه أخذها من كتاب من كتبه، ثم أضاف إلى الكتاب نقولا من جملة مصنفات حتى ظهر على الشكل الذي نراه.

وتجد نقولا من ترجمة سير الملوك لابن المقفع في كتاب آخر مطبوع هو كتاب

---

(١) زيدان: آداب اللغة العربية (٢/ ١٣١) .Ency, vol, I I, p, 404

(٢) ابن الاثير: الكامل (٤/ ٢٠٥).

(٣) الفهرست (ص١٣٨).

(٤) Ency, vol, I I, p, 1084.

(٥) Ency, vol, I I, p, 1084.

(٦) ابن قتيبة: المعارف (ص٤).

(٧) توفى سنة ٢٨٢ للهجرة، الفهرست (ص١٣٨).

غرر أخبار الفرس وسيرهم لأبي منصور عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ للهجرة(١). ويفيدنا هذا الكتاب أيضاً في تكوين فكرة عن أصل تأريخ الطبري، فقد نقل الثعالبي منه وأشار إلى ذلك؛ لهذا تستحسن المقابلة بين هذه النقول وتأريخ الطبري المطبوع لمعرفة مبلغ انطباق المطبوع على نقول الثعالبي المتوفى بعد الطبري بـ ١١٩ عاماً. وفي كتاب غرر أخبار الفرس وسيرهم توسع في أخبار الفرس لا نجده في تأريخ الطبري، مما يدل أنه توسع في الأخذ من كتاب سير المولك أكثر مما فعل الطبري، أو أنه أخذ من كتب أخرى لم ياخذ منها الطبري. وقد طبع هذا الكتاب بالأصل العربي مع ترجمته الفرنسية المستشرق «هـ» زونتبرك «H, Zontenberg» بباريس(٢).

وقد استعان الثعالبي - بالاضافة إلى ما أخذه من تأريخ الطبري - بموارد أخرى أشار اليها أو إلى اسماء اصحابها في ثنايا كتابه، مثل كتاب التأريخ لابن خرداذبه أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله المتوفى في أواخر القرن الثالث للهجرة(٣)، وقد ضن الدهر علينا بهذا الكتاب مثل سائر الكتب الأخرى التي ألفها ابن خرداذبه عدا كتاب المسالك والممالك المطبوع الذي يعد من الكتب العربية المهمة في «الطبوغرافية «التأريخية، ولما كان مؤلفه «صاحب البريد والخبر» على «الجبل»، جاء بمعارف قيمة استقاها من الوثائق الرسمية ومن تجاربه التي حصل عليها بحكم وظيفته هذه التي تمكن صاحبها من معرفة المسافات والطرق معرفة جيدة(٤). وقد نادم المعتمد وخص به. وذكر له ابن النديم من الكتاب كتاب أدب السماع، وكتاب جمهرة أنساب الفرس، وذكر له ابن النديم من الكتب كتاب أدب السماع، وكتاب جمهرة أنساب الفرس، والنوافل، وكتاب الطبيخ، وكتاب اللهو والملاهي، وكتاب الشراب، وكتاب الأنواء، وكتاب الندماء والجلساء(٥). ونسب له أبو الفرج أحمد بن الطيب السرخسي، وهو متأدب بليغ كثير

---

(١) العماد: الشذرات (٣/ ٢٤٦)، الدميرى: الحيوان (١/ ١٦٣)، ابن خلكان: الوفيات (١/ ٣٦٥).
Ency, vol, I I, p, 73, off, wustenfeld gesch, no, 191, brock, elmann, I, s, 284, suppal, I, s, 499. off.

(٢) غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم.
Histore des Rios des perses par abon mansour abd al - malik ibn mohammad ibn islam al - thaalibi, texte araber publie et traduit par, h, zotenberg, paris, MDCCCC.

(٣) وذكر حاج خليفة أنه توفى عام ٣٠٠ للهجرة. راجع. Ency, I I, p, 398, brocklemann, I, s, 225, suppl, I, s, 404.

(٤) Ency, vol, I I, p, 398, de goeje bibl, geogr, arab, vi

(٥) الفهرست (ص٢١٢ - ٢١٣).

الرواية[١]، كتاباً في تأريخ الأمم قبل الإسلام، وقد أشار التنوخي[٢]. فلعله الكتاب الذي أخذ منه الثعالبي وسماه كتاب التأريخ[٣]. وذكر له أبو العلاء المعري كتاباً في المغنين دعاه طبقات المغنين[٤]، أما ابو الفرج الأصبهاني، فقد انتقصه، وقال عنه: «وهو قليل التحصيل لما يقوله ويضمنه كتبه»[٥]. وقد مدحه المسعودي، وأثنى عليه في موضع[٦]، غير أنه انتقصه في موضع آخر[٧]. وقد روى له أجوبة في الموسيقى والطرب لأسئلة سألها منه الخليفة المعتضد[٨]، ويجوز أن يكون الطبري قد نقل من تأريخ ابن خرداذبه ومن كتبه الأخرى.

وقد أشار الثعالبي إلى روايات ابن خرداذبه في أثناء حديثه عن طهماسب[٩] وزردشت[١٠] وبهمن بن اسفنديار[١١] وعن الإسكندر[١٢]. ويظهر من مقابلة ما دونه الثعالبي عن ابن خرداذبه بما دونه الطبري في تأريخه ان ابن خرداذبه قد انفرد بأشياء لم يذكرها الطبري، مما يدل على أنه قد نقل من مورد آخر لم يغرف منه ابن جرير.

ونقل الثعالبي من كتاب تأريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء[١٣] لحمزة الأصبهاني،

---

(١) الفهرست (ص٢١٣) ذكر له ابن النديم من الكتب: كتاب السياسة، وكتاب المسالك والممالك، وكتاب أدب الملوك، وكتاب الدلالة على أسرار الغناء. توفي سنة ٨٣، للهجرة، وكان صاحب يعقوب بن إسحاق الكندى، ولى حسبة بغداد وكان موضعه في الفلسفة لا يجهل، وله مؤلفت حسان في أنواع من الفلسفة والأخبار. المروج (٤/ ١٩٢) نشوار المحاضرة (٦٥). الأغاني (١/ ١٩) suppl, I s, 404, Ency, I I, p. 398.

(٢) Brocklemann, suppl, I, s, 404 نشوار المحاضرة (٦٥).

(٣) «وذكر ابن خرداذبه في كتابه كتاب التأريخ» غرر أخبار الفرس (ص١٣٠).

(٤) Brocklemann, suppl, I, s, 404 رسالة الغفران (٢/ ٧٩).

(٥) الأغاني (٥/ ١٥٦) (طبعة دار الكتب المصرية). (٥/ ٣) طبعة مطبعة التقدم نسخة التشنقيطي.

(٦) (وأبو القاسم عبيد الله بن عبدالله بن خرداذبه في كتابه المعروف بالمسالك والممالك، وهو أعم هذه الكتب شهرة في خواص الناس وعوامهم في وقتنا هذا..». التنبيه والاشراف ص٧٥ (طبعة ليدن). الأغاني (٥/ ١٥٧) حاشية (طبعة دار الكتب المصرية).

(٧) Brockemann, Suppl, I, s, 404

(٨) المروج (٤/ ١٥٧).

(٩) الغرر (ص١٣٠).

(١٠) الغرر (ص٢٥٧).

(١١) المصدر نفسه (ص٣٧٨).

(١٢) كذلك (ص٤١٥، ٤٤٤، ٤٥٨).

(١٣) وزعم حمزة الأصبهاني أن البريد معرب عن ذنب بريد الغرر (ص٣٩٨).

ولحمزة الأصبهاني جملة مؤلفات في اللغة والأدب، ومؤلف في تأريخ أصبهان وقف عليه ياقوت الحموي وأخذ منه(١) ، وقد عرف بتاريخه تأريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، واشتهر بأوربة به. الظاهر أنه اشتهر به لأنه أول مؤلف نشر له في أوربة. وقد بقيت بعض مؤلفاته في خزائن الكتب، وبقيت قطع واختصارات من كتبه الأخرى التي لم يعرف من أمرها حتى الآن غير العناوين(٢). وللمستشرق ميتوخ بحث عن آثار حمزة في اللغة والأدب(٣).

واستعان الثعالبي بكتاب آخر في التأريخ اسمه كتاب البدء والتأريخ للمقدسي، وذلك في أثناء كلامه على ماني(٤). والمقدسي هو المطهر بن طاهر، المعروف بالمقدسي. وقد ألف في سنة ٣٥٥ للهجرة كتاباً لأحد الوزراء الدولة السامانية سماه كتاب بدء الخلق والتأريخ، فلعله الكتاب الذي نقله منه الثعالبي قصة ماني... يقول عنه بروكلمن انه كتاب غير منسق، فيه فوائد تأريخية وتأريخية دينية، وتوجد منه نقول في كتب أخرى(٥).

ومزدوجة المسعودي المروزي المنظومة بالفارسية، هي من الموارد التي أخذ منها الثعالبي(٦). وكذلك الشاهنامه. وقد أشار اليها في موضعين حيث قال: «وقال صاحب كتاب شاه نامه»(٧). غير أنه لم يذكر اسم صاحب الكتاب، فأية شاه نامه قصد؟ أشاه نامه الفردوسي، أم شاه نامه الشاعر أبي على محمد بن أحمد البلخي(٨)؟ أم شاه نامه أخرى؟

---

(١) الإرشاد (٣/ ٨٢).

(٢) Brocklemann, Suppl, I, s, 221 وقد عرفت أسماء اثنى عشر مصنفا من مصنفات حمزة. منها: ديوان أبي نواس، وكتاب الخصائص والموازنة بين العربية والفارسية. ورسالة في الأشعار السائرة في النيروز والمهرجان، «ووصفه حمزة بن الحسن الاصبهاني في رسالته في الأشعار السائرة في النيروز والمهرجان» البيروني: الآثار الباقية عن القرون الخالية ص٣١.

(٣) E, Mittwoch, in mittei, d, semi, f, orient, sprachen, 1909 Abt, I I, 109, (xll, 1 - 60) see litter, tati, hamza, Ency, vol, I I, p 256.

(٤) الغرر (ص٥٠١).

(٥) Brocklemann, Suppl, tI, s, 222.

(٦) الغرر (ص١٠, ٣٨٨).

(٧) الغرر (ص٢٦٣، ٤٥٧).

(٨) Browne, a, litt, hist, of Persian, I I, 129, noldeke, iranni, nation, I I, s, 150.

وقد ذكر البيروني أن أبا على محمد بن أحمد البلخي الشاعر ذكر في الشاهنامه أنه صحح أخباره من كتاب سير الملوك الذي لعبد الله بن المقفع والذي لمحمد بن الجهم البرمكي والذي لهشام بن القاسم والذي لبهرام بن مردانشاه موبذ مدينة سابور والذي لبهران بن مهران الأصبهاني، ثم قابل ذلك بما أورده بهرام الهروى المجوسي[١]. فيظهر من هذا أن جملة اشخاص نقلوا كتاب سير الملوك إلى العربية، وأن هذه النقول كانت متباينة مختلفة. وقد أيد حمزة الأصبهاني هذا الرأي أيضاً فقال: نقلاً عن موسى ابن عيسى الكسروى: «اني نظرت في الكتاب المسمى خداى نامه، وهو الكتاب الذي لما نقل من الفارسية إلى العربية سمى كتاب تأريخ ملوك الفرس» فكررت النظر في نسخ هذا الكتاب، وبحثتها بحث استقصاء، فوجدتها مختلفة حتى لم أظفر بنسختين متفقتين، وذلك كان لأشتباه الأمر على الناقلين لهذا الكتاب من لسان إلى لسان. . . .»[٢].

ثم قال: «فلم يكن لي في حكاية ما يقتضى هذا الباب ملجأ إلا إلى جمع النسخ المختلفة النقل، فاتفق لي ثماني نسخ، وهي: كتاب سير ملوك الفرس من نقل ابن المقفع، وكتاب سير ملوك الفرس من نقل محمد بن الجهم البرمكى، وكتاب تاريخ ملوك الفرس المستخرج من خزانة المأمون، وكتاب سير ملوك الفرس من نقل زادويه بن شاهويه الأصبهاني، وكتاب سير ملوك بني ساسان من نقل أو جمع هشام بن قاسم الأصبهاني، وكتاب تأريخ ملوك بني ساسان من اصلاح بهرام بن مردانشاه موبد كورة شابور من بلاد فارس. فلما اجتمعت لي هذه النسخ ضربت بعضها ببعض حتى استوفيت منها حق هذا الباب»[٣].

وذكر حمزة أن بهرام بن مردانشاه موبذ كورة شابور من بلد فارس قال: «انى جمعت نيفا وعشرين نسخة من الكتاب المسمى خداى نامه حتى أصبحت منها تواريخ الفرس من لدن كيومرث والد البشر إلى آخر أيامهم بانتقال الملك عنهم إلى العرب»[٤]. ويتبين من هذه الأقوال وأمثالها المدونة في الكتب الأخرى أنها تشير بصراحة تامة إلى اختلاف نسخ كتاب خداى نامه «خداى نامك» وتعددها في العربية، فكيف حدث ذلك؟

(١) الآثار الباقية ص٩٩ (طبعة سخو) .Eduard sachau (Leipzig 1878)
(٢) حمزة (ص١٥).
(٣) حمزة (ص٩ - ١٠).
(٤) حمزة (ص١٩).

أحدث ذلك لاختلاف النسخ الأصلية لكتاب خداى نامك وتعدد رواياته، وتلاعب النساخ به، واختصار بعضهم اياه، وتشذيبهم لبعض عباراته وجمله حتى ووصل على الحالة التي وصل اليها حين باشر النقلة تعريبه؟ أم حدث ذلك بسبب قصر فهم النقلة بالفهلوية، وتباين معارفهم بها، وعلى وفق هذا التباين حدث هذا الاختلاف؟ أما حمزة، فقد علل ذلك باشتباه الامر على الناقلين حيث يقول: «اني نظرت في الكتاب المسمى خداى نامه، وهو الكتاب الذي لما نقل من الفارسية إلى العربية سمى كتاب تأريخ ملوك الفرس، فكررت النظر في نسخ هذا الكتاب، وبحثتها بحث استقصاء، فوجدتها مختلفة حتى لم أظفر منها بنسختين متفقتين، وذلك كان لاشتباه الأمر على الناقلين لهذا الكتاب من لسان إلى لسان»[1]. غير أني أستبعد أن يكون ذلك الاشتباه قد حدث بسبب نقل الكتاب من لسان إلى لسان، إذ لو كان الأمر كما يقول حمزة لوجب حدوث هذا الاختلاف في كل كتاب ينقل من لسان إلى لسان، وانما آرى احتمال كون النسخ الأصلية المدونة بالفهلوية، كانت مختلفة في الأصل، فمنها المطولة ومنها المختصرة ومنها ما أضيف اليها أو نقص منها، أو تلاعب فيها النساخون، ثم ان من الجائز أيضاً أن يكون مادعى في العربية بسير الملوك، لم يكن كله نقلاً أصيلاً لكتاب خداينامه، بل كان نقلاً لكتب أخرى في سير الملوك، وترجمات من كتب متنوعة جمعها المعربون وأطلقوا عليها سير الملوك أو سير ملوك العجم. والخلاصة ان كل ما يقال الآن عن هذا الموضوع هو حدس وتخمين، بعد أن ضاعت الأصول، وفقدت الترجمات. فلا يمكن اصدار أحكام علميه في هذا الشأن ما لم تتوافر لدينا تلك الأصول والمعربات.

ويظهر أن الفردوسي والثعالبي قد استعانا بنصوص مكتوبة كانت مدونة بالفارسية الحديثة، وهما - مع ذلك - يختلفان في اخبارهما في عدد من المواضع، ويختلفان مع الطبري كذلك، ويرى نولدكه أن ابن قتيبة قد نقل من الترجمة الأصلية لكتاب خداينامه، وهي ترجمة ابن المقفع، وأن سائر المؤرخين استعملوا نسخاً جديدة لترجمة ابن المقفع، ولذلك وقع هذا الاختلاف[2].

لم ينص أحد من المؤرخين على ذكر السنة التي ترجم فيها ابن المقفع كتاب خدينامه، لذلك لا ندرى أترجم في العهد الأموي أم العباسي، وكان الخلفاء الأمويون ميالين إلى الوقوف على كتب التأريخ. وقد قلت سابقاً ان معاوية بن أبي سفيان كان

---

(١) حمزة (ص١٥).

(٢) Ency, vol, Iv, p, 180, Noldeke, gwschi, der perer und araber sxxi.

كلفا بسماع أخبار الماضين وقصصهم، وأنه استدعى عبيد بن شرية ليحدثه في الليالي أخبار الأوائل وقصصهم[(١)]. وذكر المسعودي أنه رأى بمدينة اصطخر سنة ٣٠٣ للهجرة كتاباً عظيماً يشتمل على علوم كثيرة من علوم الفرس وأخبار ملوكهم وأبنيتهم وسياساتهم، لم يجدها في شيء من كتب الفرس كخداى ناماه وآئين ناماه وكهناماه وغيرها، «مصور فيه ملوك فارس من آل ساسان، سبعة وعشرون ملكاً، منهم خمسة وعشرون رجلاً وامرأتان، قد صور الواحد منهم يوم مات شيخاً كان أو شاباً وحليته وتاجه ومخط لحيته وصورة وجهه، وأنهم ملكوا الأرض أربع مئة سنة وثلاثاً وثلاثين سنة وشهرا وسبعة أيام، وأنهم كانوا إذا مات ملك من ملوكهم وصورروه على هيأته ورفعوه إلى الخزائن كي لا يخفى على الحى منهم صفة الميت، وصورة كل ملك كان في حرب قائماً، وكل من كان في أمر جالساً، وسيرة كل واحد في خواصه وعوامه، وما حدث في ملكه من الكوائن العظيمة والأحداث الجليلة، وكان تأريخ هذا الكتاب أنه كتب مما وجد في خزائن ملوك فارس للنصف من جمادى الآخرة سنة ١١٣، ونقل لهشام بن عبد الملك ابن مروان من الفارسية إلى العربية»[(٢)]. ولم يذكره «المسعودي» اسم الناقل لهذا الكتاب.

وعرب ابن المقفع كتاباً آخر في تأريخ الفرس هو كتاب آئين نامه[(٣)]، المكتوب في الفهلوية باسم آيين نامك[(٤)]. وهو كتاب فقد أصله، وضاعت ترجمته العربية، وبقيت منه نتف في البعض الكتب ومنها كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة الدينورى المتوفى سنة ٢٧٠ أو ٢٧٦ للهجرة[(٥)]، أذ أشار إليه في ثنايا الكتاب[(٦)]. وعرفه المسعودي ودعاه آئين ناماه[(٧)] كما نقل منه الثعالبي[(٨)]. ويظهر أنه في الرسوم أي في عادات الساسانيين وتقاليدهم ومراتبهم ومجالسهم ومجتمعهم[(٩)]، وسماه ابن النديم كتاب آيين نامه في

---

(١) أخبار عبيد بن شرية الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها، طبع حيدر آباد دكن بالهند.

(٢) التنبيه والاشراف ص٩٣ (طبعة الصاوي).

(٣) «كتاب آيين نامه» الفهرست ص١٧٢ «الآيين». عيون الأخبار ١/ ٢٨.

(٤) Brocklemann, suppl, I, s, 235.

(٥) الفهرست ص٧٧ (طبعة أوربة). السمعاني الأنساب ورقة ٤٤٣ (أ) ياقوت الإرشاد (١/ ١٦٠ وما بعدها)، تأريخ بغداد (١٠/ ١٧٠). Brocklemann, Suppl, I, s, 184 - 185.

(٦) «عيون الأخبار» (١/ ٢٨، ٦٣، ٣/ ٢٢١، ٢٧٨، ٤/ ٥٩٠).

(٧) التنبيه (ص٩٢، ١٤٩) طبعة Carra de vaux.

(٨) الغرر (ص١٤).

(٩) Brocklemann, suppl, I I, s,235, richter studien, s, 50 - 51 ZDMG, 64.S, 126 - 128.

الأصر[١]، ولا ندرى بالطبع متى فقدت نسخ هذا الكتاب. وقد ذكر المسعودي أن «للفرس كتاباً له كهناماه فيه مراتب مملكة فارس، وأنها ست مئة مرتبة على حسب ترتيبهم لها. وهذا الكتاب من جملة آئين ناما، وتفسير آئين ناماه كتاب الرسوم، وهو عظيم في الألوف من الأوراق، لا يكاد يوجد كاملاً إلا عند الموابذة وغيرهم، من ذوى الرئاسات. . . .»[٢]. فيظهر اذن من قول المسعودي أن كتاب كهناماه أو «كاهنامك» (Gahnamagh)[٣] هو جزء من الآين.

وكتاب التاج من الكتب التي نقلها ابن المقفع من الفهلوية إلى العربية كذلك، وقد دعاه ابن النديم كتاب التاج في سيرة أنوشيروان[٤]، ويظن أنه قد توهم في ذلك فلم يكن الكتاب في سيرة انوشروان حسب، بل في سيرة غيره من الملوك أيضاً. وقد نقل منه ابن قتيبة[٥]. ويظهر أن الطبري قد نقل منه أشياء تخص سابور الثالث Shahpuhr iii وبهرام الرابع Vahram ii وكسرى الأول Khusro I [٦] وكسرى الثانى وهو كسرى ابرويز Khusro parwez [٧] ووصيته لابنه شيرويه Shiroe [٨]. وقد أثر هذا الكتاب في جماعة من مشاهير الأدباء مثل الجاحظ في كتابه التاج[٩]. وقدطبع بمصر بتحقيق أحمد زكي باشا[١٠]، ويظن بعض المحققين أنه من الكتب المنسوبة اليه[١١].

وكتاب مزدك الذى ترجمه ابن المقفع أيضاً، من الكتب التي يغلب عليها الطابع القصصى، فاغلبية اساطيره وضعت عن مزدك، وقد نقل الطبري منه حديثه عن مزدك

---

(١) الفهرست (ص١٧٢).

(٢) التنبيه (ص٩١).

(٣) Arthur Christensen, liran sour les sassanides, p, 75.

(٤) الفهرست (ص١٧٢).

(٥) brocklemann, suppl, I, s, 235, noldeke, geschi, d, araber und persre, 361 - 382.

(٦) ذكر في اثنى عشر موضعاً من كتاب عيون الأخبار.

(٧) Arthur Christensen, p, 58.

(٨) الطبري (٢/ ١٣٧).

(٩) الطبري (٢/ ١٥٩).

(١٠) Brocklemann. Suppl, I, s, 235. inostrannyer, Iranian influ.Ency, p, 72, f, gabrili, riv, degli, studi, orientali, xl, p, 292, ff.

(١١) الحيوان (١/ ٧).

والمزدكية[١]. وهو حديث نجده بصورة مفصلة في كتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم. وذكر له محاوراته مع قباذ[٢]، إلى غير ذلك مما يدل على أن الثعالبي قد نقل ما ذكره من كتاب واسع مفصل في أخبار مزدك هو هذا الكتاب. ويعرف هذا الكتاب بمزدك نامه «مزدك نامك»، ونقل منه آخرون[٣].

وقد اشتغل عدد آخر من الفرس بنقل تأريخهم إلى العربية، منهم: محمد بن الجهم البرمكى، وزادويه بن شاهويه الأصبهاني، ومحمد بن بهرام بن مهريار الأصبهاني، وهشام بن القاسم الأصبهاني، وبهرام بن مردانشاه وموسى بن عيسى الكسروى[٤]. وقد قلت سابقاً ان بعضهم ترجموا أيضاً كتاب خدينامه، وان ترجماتهم كانت معروفة نقل منها بعض المؤرخين، وكانت هذه الترجمات تختلف فيما بينها كما تختلف عن ترجمة ابن المقفع، وقد استعان موسى بن عيسى الكسروى بنسخ متعددة من خداى نامه، كما استعان ببعض من عرف بدراسته لتأريخ الفرس، مثل الحسن بن علي الهمداني، والعلا بن أحمد، فألف في ذلك كتاباً في تأريخ ملوك الفرس[٥]. وقد ذكر ابن النديم لموسى بن عيسى الكسروى كتابين: كتاب سماه كتاب حب الأوطان، وكتاب آخر دعاه: كتاب مناقضات من زعم أنه لا ينبغي أن يقتدى القضاة في مطاعمهم بالأئمة والخلفاء[٦]. ويرى بروكلمن احتمال كون قصة السندباد المترجمة إلى الأغريقية من الآثار التي تعود إليه[٧]. وعندي أن أكثر هذه الكتب المسماة كتب سير الملوك أو كتب سير ملوك العجم والتي زعم أنها ترجمات لكتاب خداى نامه هي في الواقع جمع وتصنيف واختصار واضافات واصلاحات عملها أصحابها، وعرفت على أنها ترجمة لذلك الكتاب، بينما هي من عمل أولئك الأشخاص.

وقد ذكر ابن النديم أسماء جملة كتب في التأريخ والأدب نقلت من الفارسية إلى

---

(١) الطبري ٢/ ٩١ وما بعدها. فهرست تأريخ الطبري (عمل دي غويه) ١/ ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٧.

(٢) ص٥٩٦ وما بعدها.

(٣) Brocklemann, suppl, I, s, 235.

(٤) Brocklemann, suppl, I, s, 237.

(٥) حمزة (ص١٥).

(٦) الفهرست (ص١٨٥).

(٧) Ency, vol, iv, p, 435, Brocklemann, suppl, I, s, 237.

العربية، نقلها من ذكرنا أسماءهم وآخرون، منها كتاب رستم واسفنديار وكتاب شهريزاد مع أبرويز، وكتاب الكارنامج في سيرة أنوشروان، وكتاب بهرام ونرسى، وكتاب بوداساف بوتاسف وبلوهر. وكتب أخرى[1] يظهر أن قسماً منها مفتعل صنع في الاسلام.

وقد نظم الشاعر أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير الرقاشي بعض هذه الكتب، فنقلها إلى الشعر المزدوج، نقل منها مثلاً كتاب كليلة ودمنة، وكتاب سيرة أردشير، وكتاب سيرة أنوشروان، وكتاب بلوهر وبردآنية[2]، وكتاب مزدك، وكتاب سندباد «سنذباذ»[3]، وقد فقدت أصول هذه المنظومات ويا للاسف. ونجد نماذج من نظمه في كتاب الاوراق للصولى المتوفى سنة ٣٣٥ أو ٣٣٦[4]. وقد حاكاه في ذلك عدد من الشعراء، وبطريقته تأثر على ما أرى بعض شعراء الفرس حيث نظموا بالشعر المزدوج قصص الفرس وتأريخهم، ومنهم المسعودي المروزي في مزدوجته بالفارسية، وهو الذي أشار إليه الثعالبي في كتابه عن أخبار ملوك الفرس وغيرهم[5] على نحو ما ذكرت.

وكتاب الكارنامج الذي أشرت إليه، هو في تأريخ أردشير، وهو المسمى كارنامك أرتخشتر بابكان، ويظن نولدكه أنه كتب في حوالى سنة ٦٠٠ بعد الميلاد[6]، وهو من الكتب التأريخية الثانوية بالنسبة لكتابة خداينامه. وقد بقى أصله، وترجم، وطبع بضع مرات[7].

وفي أثناء الكلام على ملوك فارس، ذكر المسعودي اسم كتاب السكيكين ترجمة ابن المقفع من الفارسية الأولى إلى العربية، وقال عنه: «وهذا الكتاب تعظمه الفرس لما

---

(١) الفهرست (ص٤٢٤) وما بعدها.

(٢) الفهرست (ص١٧٢) «كتاب بلوهر وبرداساف».

Brocklemann, supl, I, s, 239, goldziher, verh, des vii, inter congr, wien 1888

(٣) suppl, I, s, 239.

(٤) j, h, dunne, 1 - 15, ency, I, s, 541, kriymski, aban, lad - ikij, manicheist, post Moscow, 1913, p, 9 -11. 47 - 49.

(٥) الغرر (ص١٠ ، ٣٨٨).

(٦) نواح مجيدة من الثقافة الاسلامية (ص١٣٤).

(٧) karnamak I artachshatr oaoakan ency, vol, I I, p, 180, Bombay 1896, 1899, 1900.

ترحمة وطبعه نولدكه noldeke بمدينة كوتنكن gottingen ١٨٧٨ للميلاد.

قد تضمن من خبر أسلاهم وسير ملوكهم»[1]. وقد نقل منه خبراً عن كيخسرو ولهراسب[2]. وقد أشار المسعودي إلى كتب في تأريخ الفرس رآها واستفاد منها، وزاد بعض بيوت عباداتهم، وجاء بأشياء طريفة لم ترد في كتب غيره من المؤرخين.

وقد استمد المؤرخون من موارد عربية، فأضافوه إلى تأريخ الفرس، فالكلام المنسوب مثلاً إلى هرمز الرابع، لا بد أن يكون من مورد عربي[3]. وكذلك الأشعار وبعض الرسائل المدونة بالعربية وبالنسق الإسلامي، والمذكورة في ثنايا تأريخ الفرس.

وتعد روايات وكتب أبي عبيدة معمر بن المثنى المتوفي بين ٢٠٨ أو ٢١٣ للهجرة[4] من الموارد المهمة التي استقى منها المؤرخون أخبارهم عن الساسانيين قبيل الإسلام، وعن صلات الفرس بالعرب. وقد أخذ الطبري منها أخباره عن مقتل عدى بن زيد العبادى ومعركة ذي قار، وأخبارا أخرى تخص الإسلام، فورد اسمه في أكثر من ٥٧ موضعاً من تأريخ الطبري[5]. وروى له المسعودي روايات عن ملوك الطوائف[6] وأخبار ملوك ساسان[7]. وله كثير من المؤلفات ذكر اسماءها ابن النديم، وهي تزيد على مئة مؤلف في الأخبار والأنساب واللغة[8]. وقد وصل إلينا عدد من تلك المؤلفات[9]. وذكر ابن خلكان أن تصانيفه تقارب مئتى مصنف[10].

لم يشر الطبري إلى من حدثه على لسان أبي عبيدة بخبر مقتل عدي بن زيد ومعركة ذي قار، وانما استعمل: «فحدثت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى، قال: حدثني أبو

---

(١) المروج (١/ ١٩١، ١٩٢).

(٢) المروج (١/ ١٩٢).

(٣) الدينوري، الأخبار الطوال (ص٧٧) Ency, vol, iv, p, 181, noldeke, geschichte der perser und araber, s, 326.

(٤) «ولد أبو عبيدة سنة أربع عشرة ومئة. وتوفى سنة عشر ومئتين. وقيل: إحدى عشرة، وقال أبو سعيد: سنة ثمان، وقيل: سنة تسع. الفهرست (ص٧٩) وما بعدها. تاريخ بغداد (١٣/ ٢٥٣ وما بعدها) الإرشاد (٧/ ١٦٤)، الذهبي: طبقات الحفاظ (١/ ٣٣٨). اليافعي: مرآة (٢/ ٤٤ وما بعدها)، السيوطي: البغية (٣٩٥). ابن العماد: شذرات الذهب (٢/ ٢٤، ٢٦) Brocklemann, I, s, 103, suppl,l I, 162.

(٥) فهرست تأريخ الطبري (عمل دى غويه) ص٣٧١.

(٦) المروج (١/ ١٤٦).

(٧) المروج (١/ ١٥٧، ١٧٦).

(٨) الفهرست (ص٨٠).

(٩) Brocklemann suppl, I, s, 162, Ency, I, p, 112, Gold - zihr, muhamm, studi, I, s, 194.

(١٠) الوفيات (٢/ ١٤٠).

المختار فراس بن خندق وعدة من علماء العرب قد سماهم[١]، وقد ذكر مع روايته رواية أخرى عن هشام ابن الكلبي عن إسحاق الجصاص، وقد أخذه من كتاب حماد[٢]. وقد كان لابن الكلبي مؤلف في أخبار عدى اسمه كتاب عدى بن زيد العبادي[٣]، لعله كان من الموارد التي نقل منها الطبري خبر عدى ومع تبع ذلك من أمور وقعت بين العرب والفرس.

ويفيدنا الفصل الذي دونه أبو الفرج الأصبهاني عن معركة ذي قار في تشخيص المورد الذي أخذ منه الطبري خبره عن هذه المعركة. وقد أخذ الأصبهاني أخباره عن علي بن سليمان الأخفش عن السكرى عن محمد بن حبيب عن ابن الكلبي عن خراش ابن إسماعيل، ومن رواية الأثرم عن أبي عبيدة[٤]، وعن كتب ابن الأعرابي عن علي ابن سليمان الأخفش عن السكرى عن محمد بن حبيب عن ابن الكلبي عن أبيه وعن إسحاق بن الجصاص وعن حماد الراوية[٥].

أما علي بن سليمان المعروف بالاخفش الأصغر، تمييزاً له عن الاخفش الاكبر، وهو عبد الحميد بن عبد المجيد من أهل هجر، النحوي اللغوي، من شيوخ سيبويه وأبى عبيدة، وعن الاخفش الاوسط وهو أبو الحسن سعيد بن صعدة؛ فهو أب الحسن المتوفى سنة خمس عشرة أو ست عشرة وثلاث مئة ببغداد. وقد دخل مصر سنة سبع وثمانين ومئتين[٦]. ويظهر أن ابا الفرج الأصبهاني قد درس عليه، وأخذ خبره عن عدى بن زيد من كتب الاخفش المسمى كتاب المغتالين، وقد قرأه عليه[٧].

وأما السكري، فهو الحسن بن الحسين بن عبيد الله بن عبد الرحمن أبو سعيد النحوي اللغوي المتوفى سنة ٢٧٥ للهجرة، وله مؤلفات عديدة[٨]. وقد أخذ عن جماعة

---

(١) الطبري (٢/ ١٤٦، ١٥٢).

(٢) الطبري (٢/ ١٤٦).

(٣) الفهرست (ص١٤١).

(٤) الأغاني (٢٠/ ١٣٢) «طبعة بولاق».

(٥) الأغاني (٢/ ٩٧، ١٠٥) «مطبعة دار الكتب المصرية».

(٦) ابن خلكان: الوفيات (١/ ٤١٨ وما بعدها)، ذكر له ابن النديم أسماء ثلاثة كتب في الفهرست (ص١٢٣). يوهان فك: العربية (ص١٤١). Brocklemann, I, s, 125, suppl, I, s, 180.

(٧) الأغاني (٢/ ١٤٠) «طبعة دار الكتب المصرية».

(٨) الفهرست ص١١٧، ياقوت: إرشاد (٣/ ٦٢).

من العلماء، منهم محمد بن حبيب[1] العالم اللغوي الاخباري النسابة المتوفى سنة ٢٤٥ للهجرة[2]. وهو صاحب مؤلفات كثيرة كذلك. وقد روى عن جماعة من كبار العلماء المتخصصين بهذه الأمور، كابن الأعرابي وقطرب وأبي عبيدة وأبي اليقظان[3] وابن الكلبي[4].

وابن الأعرابي هو أبو عبد الله محمد بن زياد المتوفى سنة ٢٣١ للهجرة، وقد كان له مجلس يحضره أصحاب الأدب واللغة والأشعار، فكان يملى عليهم بغير كتاب، وكان ممن سمع المفضل بن محمد الفضلي وأخذ منه[5].

ولم يذكر الطبري اسم من حدثه عن أبي عبيدة أو عن ابن الكلبي بأخبار معركة ذى قار، يغر أننا نستطيع التوصل إلى معرفة المورد الذي أخذ منه الطبري بمقارنة ما ذكره عن هذه المعركة وعن أخبار عدى بن زيد بما دونه صاحب الأغاني، حيث نجد انطباقاً تاماً في العبارات، ما يدل على أنهما نقلاً من مورد واحد، ولو لم يشر أبو الفرج إلى اسم المورد الذي نقل منه لجاز لنا القول بأنه نقل من تأريخ الطبري، غير أنه ذكر اسم المورد كما رأيت، وهو كتاب المغتالين للأخفش، كما أنه تفرد بذكر أشياء لم يتطرق إلى ذكرها الطبري، لذلك لا يمكن أن يكون هذا النقل من تأريخ الطبري، بل لا بد أن يكون من كتاب مشترك آخر هو كتاب الاخفش المعاصر للطبرى، وهو كتاب المغتالين، أو من مؤلف من مؤلفات السكرى شيخ الأخفش. أخذ منه الطبري، وأخذ منه صاحب الأغانى برواية شيخه الأخفش تلميذ السكري.

يقول الطبري: «ذكر لى عن هشام بن محمد، قال: سمعت إسحاق بن الجصاص، وأخذته من كتاب حماد وقد ذكر ابى بعضه»[6]. وقد قلت: ان الطبري نقل هذه القصة

---

(١) تاريخ بغداد (٧/ ٢٩٦) السيوطي: البغية (٢٠٨) الآمدي: المؤتلف (١٤٨).
Brocklemann, I, s, 108, suppl, I, s, 168.

(٢) Brocklemann, I, s, 105, suppl, I, s, 165.

(٣) الفهرست (ص١٥٥).

(٤) الأغاني (٢٠/ ١٣٢). تأريخ بغداد (٢/ ٢٧٧)، ياقوت: الإرشاد (٦/ ٤٧٣). السيوطي: البغية (٢٩)، وقد بقيت بعض مؤلفاته .Brocklemann, I, s, 105, suppl, I, s, 165

(٥) الفهرست (ص١٠٢ - ١٠٣)، تأريخ بغداد (٥/ ٢٨٢)، ياقوت: إرشاد (٧/ ٥)، اليافعى مرآة (٢/ ١٠٦) البغية (٤٢). Brocklemann, I, s, 116, suppl, I, s, 179.

(٦) الطبري (٢/ ١٤٦).

أو سمعها من الاخفش الأصغر الذي ذكر هذه الرواية أيضاً إلى أبي الفرج الاصبهاني. أما حماد المذكور هنا وصاحب الكتاب، فهو حماد الرواية كما جاء في كتاب الأغاني، وهو: «حماد بن أبي ليلى سابور، وقيل: ميسرة بن المبارك بن عبيد الديلي»، من مشاهير رواة الشعر والعارفين بأيام العرب، وله قصة مع الخليفة هشام ابن عبد الملك حيث طلبه ليساله عن شعر عدي بن زيد العبادي[1]. وكان خبيراً بهذه الأمور. وقد ذكر ابن النديم أنه لم يرد لحماد كتاب، وانما روى عنه الناس. وصنفت الكتب بعده[2].

وإذا صح أن هذا القول هو قول ابن الكلبي، يكون لحماد كتاب في أخبار عدى ابن زيد، أو سواه، وقد اخذ هشام منه. ولا يتخذ قول ابن النديم في آن الكتب انما صنفت بعد حماد حجة؛ إذ ثبت أن التدوين بدأ قبل أيام حماد. وقد رأيت أن الأخبار تفيد أن معاوية بن أبي سفيان أمر بتدوين أقوال عبيد بن شرية في كتاب.

وروى عن أبي جعفر أحمد بن محمد النحاس «أن حمادا هو الذي جمع السبع الطوال، ولم ينبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة»[3]. والواقع أن علماء الشعر واللغة كانوا يتخوفون منه، فقد كان عالما بكلام العرب، فكان يحسن الوضع والتقليد. قال الاسمعي: كان حماد أعلم الناس إذا نصح: يعني إذا لم يزد وينقص في الاشعار والاخبار، فانه كان متهما بأنه يقول الشعر، وينحله شعراء العرب. وقال المفضل الضبى: قد سلط على الشعر من حماد الرواية ما افسده فلا يصلح أبداً، فقيل له: وكيف ذلك أيخطئ في روايته أم يلحن؟ قال: ليته كان كذلك، فان أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب، ولكنه رجل عالم بلغات العرب واشعارها، ومذاهب الشعراء، ومعانيهم، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل، ويدخله في شعره، ويحمل ذلك عنه في الآفاق، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد، وأين ذلك؟»[4]، فهذا هو حماد، أحد رواة الشعر، وهناك نفر آخر فعلوا فعل حماد. وقد نقل المسعودي أخبار ملوك الطوائف من كتاب لأبي عبيدة ألفه في

---

(١) ابن خلكان: الوفيات (١/ ٢٠٥ وما بعدها).
(٢) الفهرست (ص١٣٤) وما بعدها.
(٣) ياقوت: الإرشاد (٤/ ١٤٠)، ابن خلكان: الوفيات (١/ ٢٠٥ وما بعدها).
(٤) الإرشاد (٤/ ١٤٠).

أخبار الفرس، وذكر أنه أخذ روايته عن عمر كسرى[١]. ويظهر أنه قصد بهذا الكتاب، الكتاب الذي سماه ابن النديم كتاب فضائل الفرس[٢]، ويظهر أن أبا عبيدة قد اعتمد في كتابه في أخبار الفرس على بحوث عمر كسرى، إذ أشار المسعودي أنه رواه عنه[٣]، وذكر المسعودي أسماء كتب أخرى لأبي عبيدة نقل منها، منها كتاب مقاتل فرسان العرب، وقد عارضه المسعودي بكتاب دعاه مقاتل فرسان العجم[٤]، وكتاب مناقب قريش، وقد نقل منه المسعودي أخبار حلف المطيبين[٥]. وكتاب الديباج، وقد أشار إليه في أثناء كلامه عن أوفياء العرب[٦]. وكان عمر كسرى «ممن اشتهر بعلم فارس وأخبار ملوكها حتى لقب بعمر كسرى»[٧].

والهيثم بن عدى أبو عبد الرحمن المتوفى سنة ٢٠٦ أو ٢٠٧ للهجرة[٨]، من الأخباريين وأصحاب الأنساب العارفين بالشعر. وله كتب كثيرة في هذا الباب، منها «كتاب أخبار الفرس، وكتاب تأريخ العجم وبنى أمية، وكتب عديدة في التأريخ، منها كتاب التأريخ على السنين[٩]، وهو من أقدم الكتب العربية التي دونت

فيها الحوادث والتواريخ على أساس السنين (Chronieles)، وقد طمس أثره، ولما تصل إلينا نسخة.

وقد ترده اسم الهيثم بن عدى في ٣١ موضعاً في تأريخ الطبري[١٠]، وذلك في مواضع سوف أتحدث عنها.

وذكر المسعودي اسم الهيثم بن عدى في أثناء حديثه عن طيء[١١]، والظاهر أنه

---

(١) المروج (١/ ١٩٩).
(٢) الفهرست (ص٨٠)، الوفيات (٢/ ١٤٠).
(٣) المروج (١/ ٢٤١).
(٤) التنبيه (ص٩٠). Brocklemann, suppl, I, s, 162.
(٥) التنبيه (ص١٨٠).
(٦) التنبيه (ص٢٠٩).
(٧) المروج (١/ ١٨٩).
(٨) الفهرست (ص١٤٥)، ابن خلكان: الوفيات (٢/ ٢٦٩ وما بعدها) ياقوت: الإرشاد (٧/ ٢٦٠)، اليافعي: المرآة (٢/ ٣٢)، الخطيب: تأريخ بغداد (١٤/ ٥٠) الصفدى: الوافى (١/ ٥١).
(٩) الفهرست (ص١٤٥) ابن خلكان: الوفيات (٢/ ٢٦٩).
(١٠) فهرست تأريخ الطبري (عمل دى غويه) ص٦١٩.
(١١) التنبيه (ص١٧٧).

أخذه من كتاب لهذا العالم في طئ دعاه ابن النديم كتاب أخبار طئ ونزولها الجبلين[١]، كما ذكره مرة أخرى في كتابه التنبيه والأشراف في أثناء كلامه على تمصير البصرة[٢]، وقد كان للهيثم كتاب اسمه كتاب قضاة الكوفة والبصرة، وكتاب آخر اسمه كتاب فخر أهل الكوفة على البصرة. وهو من قدماء من ألف في الخطط، فله كتاب اسمه خطط الكوفة[٣]، وله كتب أخرى لما تصل الينا.

واعتمد الطبري في الفصول التي دونها عن فتح العراق وإيران، أي عن نهاية الساسانيين، على روايات سيف، وسيف هو سيف بن عمر التميمى أو الضبى الأسدي المتوفى سنة ١٨٠ للهجرة[٤]. وقد عرف باطلاعه الواسع على تأريخ الإسلام، ولا سيما الردة والفتوح. وأخذ من مشاهير الأخباريين والنسابين، مثل هشام بن عروة، ومحمد ابن إسحاق صاحب السيرة، ومحمد بن السائب الكلبي، وطلحة بن الأعلم، وأمثالهم. وروى له ابن النديم من الكتب كتاب الفتوح الكبيرة والردة وكتاب الجمل ومسيرة عائشة وعلى[٥]. وقد رماه المحدثون بالضعف وبوضع الحدث وبالزندقة أيضاً. وقال أبو حاتم عنه: «متروك الحديث، يشبه حديثه حديث الواقدي»[٦].

وقد ذكر اسم سيف في اكثر من ٣٠٠ موضع من تأريخ الطبري، ورد لأول مرة في حوادث سنة ١٠ للهجرة، وهي السنة التي ادعى مسيلمة فيها النبوة في حياة الرسول. وورد اسمه لآخر مرة في حوادث سنة ٣٦ للهجرة، وفي ابتداء علي بن أبي طالب بالخروج إلى صفين، ولم يذكر الطبري رواية له بعد ذلك[٧].

ومن جملة المشايخ الذين أخذ منهم سيف، هشام بن عروة المتوفى سنة «١٤٦» أو «١٤٧» للهجرة[٨]. وهو من محدثي المدينة ومن النسابين والأخباريين. وقد حدث عن أبيه عروة بن الزبير وعمه عبد الله بن الزبير. ورحل إلى العراق وزار الكوفة، ورأى

---

(١) الفهرست (ص١٤٥).
(٢) (ص٣٠٧).
(٣) الفهرست (ص١٤٦).
(٤) تهذيب التهذيب (٤/ ٢٩٥).
(٥) الفهرست (ص١٣٧).
(٦) تهذيب التهذيب (٤/ ٢٩٥).
(٧) فهرست تأريخ الطبري (ص٢٦٢) وما بعدها.
(٨) تهذيب التهذيب (١١/ ٥١).

الخليفة المنصور. ومنه أخذ أهل الكوفة حديث عروة، ولا سيما حديث عروة عن عائشة، وقد أخذ عليه أهل بلده تبسطه في الحديث لأهل العراق، وكانوا بحديث أهل المدينة ضنيين، والظاهر أن عروة تحدث عن أهل الكوفة والعراق بحديث أهل العراق، ولم يكن أهل المدينة يفضلون حديث على حديثهم، وهم أدرى بالحديث وبخبر الرسول؛ لأنهم أهل الدار.

لا شك في أن كتاب سيف الذي استعان به الطبري في أخبار الردة هو كتابه كتاب الفتوح الكبير والردة[١]، وهو كتاب اشتهر أمره حتى عرف سيف به[٢]. وذكر ابن النديم له مؤلفاً آخر سماه كتاب الجمل ومسير عائشة وعلي[٣]، ولا شك أيضاً في أنه هو الكتاب الذي نقل منه الطبري روايات سيف عن معركة الجمل. وقد أخذ سيف هذه المعركة من شهود عيان ذكرت أسماؤهم في سند الطبري، فحفظ لنا بذلك صوراً أصلية لأنباء تلك المعركة المؤسفة والأسباب السياسية التي كانت لها نتائج جد وخيمة في شبه جزيرة العرب وفي العالم الإسلامي، وتحتاج هذه الروايات إلى تمحيص ودراسة. ويعتقد بروكلمن أن سيفاً لم يكن يبحث الأخبار التي كانت تقال له، وأنه كان يبالغ فيها في تمجيد تميم[٤] متأثرا بعاطفته القبلية، وهو رأى يحتاج إلى دراسة وبحث. أما ما ادعاه من أن الطبري قد لاحظ ذلك عليه، فكان يحاذر منه، واضطر إلى ترك قسم من رواياته، فهو قول لا يؤيده كتاب الطبري نفسه. ففي أخبار الردة، جعله الطبري المرجع الأول المفضل على المراجع الأخرى، وفي أخبار معركة الجمل، ترى لرواياته مكانة بارزة بين الروايات، ثم ان النسخة الأصلية لا تزال في ضمير الغيب، فكيف عرف أن الطبري نبذ روايات سيف في تمجيد تميم؟

وقد تردد اسم السرى في أكثر من ٢٤١ موضعاً من تأريخ الطبري، ورد لأول مرة في أخبار الردة، وورد آخر مرة في حوادث سنة ١٤٥هـ في أيام المنصور، وذلك في معرض الكلام على تأسيس مدينة بغداد، وقد استعمل صيغة غير مألوفة بالنسبة للسري حيث قال: «وذكر عن السري»[٥]. أما في المواضع الأخرى فقد قال: «وحدثني السري

---

(١) الفهرست ص١٣٧ (طبعة مصر)، ذكره الطبري إلا أنه لم يسمعه. راجع (٤/ ١٥٣) فتح حمص.
Suppl, I, p, 213 - 214.

(٢) تهذيب التهذيب (٤/ ٢٩٥).

(٣) الفهرست (ص١٣٧).

(٤) Suppl, I, p, 214.

(٥) الطبري: الدورة الثالثة (ص٢٧٦) «طبعة ليدن» حوادث سنة ١٤٥ هـ.

عن شعيب، أو «كتب إلى السرى عن شعيب»، أو «مما كتب به إلى السري عن شعيب»، وهذا مما يدل بالطبع على أن الطبري كان يتراسل مع السرى فيسأله، وأن هذا كان يستنسخ من مؤلفات سيف بن عمر التي كانت لديه ويرسلها إليه.

والسري هو السري بن يحيى[١] من رواة شعيب بن إبراهيم الكوفى راوية كتب سيف بن عمر، قال فيه ابن حجر العسقلاني: إن فيه جهالة، وانه ليس بالمعروف، وله أحاديث وأخبار، وفيه بعض النكرة[٢]. ولا نعرف من أمرهما - يا للأسف شيئاً مع كثرة ورود أسمائهما في تأريخ الطبري. وقد أخطأ ابن النديم حين قال: «وروى سيف عن شعيب بن إبراهيم»[٣]؛ لأن شعيباً هو الذي روى كتب سيف. والظاهر من سكوت ابن النديم وأصحاب التراجم عن ذكر شعيب بن إبراهيم والسري، أنهما لم يكونا من أصحاب التآليف، وانما كانا من رواة كتب سيف. والظاهر أيضاً من تاريخ الطبري أن كتب سيف كانت عند السرى بن يحيى، وأن الطبري قرأ أجزاء منها على السري، وأخذ قسماً منها كتابة منه.

وهناك طريق آخر سلكه الطبري للأخذ من كتب سيف بن عمر، هو طريق عبيد الله بن سعد الزهري[٤] بن إبراهيم بن سعد بن عبد الرحمن بن عوف أبي الفضل البغدادي نزيل سامراء المتوفى سنة ٢٦٠ هـ[٥] وقد روى عن أبيه وعمه يعقوب وأخيه إبراهيم بن سعد ويونس بن محمد. وروى عنه طبقة من الثقات من مشاهير أهل الحديث، أمثال البخارى وأبي داوود والترمذى والنسائي وابن أبي عاصم والبغوى وابن أبي الدنيا وآخرون. وقد ورد اسمه في أكثر من ٤٠ موضعاً من تأريخ الطبري[٦] تحدث فيها إليه. وأخذ عبيد الله أقوال سيف عن عمه يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهري نزيل بغداد المتوفى سنة ٢٠٨هـ[٧] من رواة سيف بن عمر وآخرين. وكانت عنده كتب دون فيها أحاديث، وكتب الزهري أخذها عن أبيه إبراهيم بن سعد عن الزهري، وكتب عنه

---

(١) الطبري (٤/ ١٢٤)، «طبعة مصر»، طبعة ليدن، الدورة الاولى (ص١١٩٧، ١٨٤٥).
(٢) لسان الميزان (٣/ ١٤٤)، ميزان الاعتدال (١/ ٤٤٧).
(٣) الفهرست (ص١٣٧).
(٤) في طبعة ليدن: «عبيد الله بن سعيد الزهري». وهذا خطأ، والصواب سعد.
(٥) تهذيب التهذيب (٧/ ١٥).
(٦) فهرست الطبري (ص٣٦٧).
(٧) تهذيب التهذيب (١١/ ٣٨٠).

الناس؛ ويظهر من قائمة أسماء مشايخه أن يعقوبا هذا لم يكن محدثاً حسب، بل كان من أصحاب التواريخ والأدب، ومن رواة الشعر. وقد ورد اسمه في ٣٩ موضعاً من تأريخ الطبري، ورد أول مرة في حوادث سنة ١٠ للهجرة في خبر حجة الوداع ومرض الرسول[١]. وقد نقل حديثه عن سيف، وذكر له حديثاً آخر عن الاحداث التي كانت في سنة احدى عشرة للهجرة، أخذه عن سيف كذلك[٢]. ويظهر من هاتين الروايتين ومن الروايات الأخرى التي أخذها عن سيف[٣]، واختصت بالرسول ووفاته وبيعة أبي بكر والسقيفة[٤] وغير ذلك أنه كان لسيف كتب أخرى في السيرة وفي الأحداث الإسلامية، إلا أنها لم تشتهر اشتهار الكتب التي ذكرناها له قبل هذا، وربما كان قد أتى عليها الدهر قبل أيام ابن النديم.

وأكثر هذه الأخبار التي دونها الطبري عن يعقوب بن إبراهيم هي من أخبار سيف، أخذها من كتبه، وذلك لاتفاق عبارة المتن المذكور في تاريخ الطبري والمروي عن يعقوب الزهري وشعيب بن إبراهيم.

اعتمد الطبري على كتاب سيف في الفتوح، وقد أخذ من هذا الكتاب من رواية السرى بن يحيى في الغالب، واعتمد عليه في أخبار الفتن التي قامت على عثمان، مثل فتنة عبد الله بن سبأ التي أظهرها في البصرة في سنة ٣٣ هـ، وقد أخذها سيف عن عطية ابن الحارث أبي روق الهمداني من كبار راوة الكوفة ومن المفسرين المعروفين، وقد مر ذكره، وهو من رواة عكرمة والشعبى والضحاك بن مزاحم[٥]. وقد ذكر الطبري اسمه في ٤٦ موضعاً[٦]، وقد نقل عنه جملا في أخبار ما قبل الإسلام أخذها من تفسيره، أجاز الطبري بها شيخه محمد بن أبي منصور الآملي عن علي بن الهيثم[٧] عن المسيب بن شريك أبي سعيد التميمي الكوفي[٨]، وقد قيل عنه: انه من الضعفاء، أو انه من

---

(١) الطبري: الدورة الاولى (ص١٧٤٩).

(٢) الطبري: الدورة الاولى (ص١٧٩٤).

(٣) الطبري: الدورة الاولى (ص١٨٢٤، ١٨٢٥).

(٤) الطبري: الدورة الاولى (ص١٨٤٤، ١٨٤٥، ١٨٤٧، ١٨٤٩).

(٥) تهذيب التهذيب (٧/ ٢٢٤).

(٦) فهرست الطبري (ص١٩٨).

(٧) على بن الهيثم البغدادي، روى عنه البخاري ومحمد بن علي الطبري والحسين ابن إسماعيل المحاملي. تهذيب التهذيب (٧/ ٣٩٤).

(٨) لسان الميزان (٦/ ٣٨).

المتروكين. روى عن أبي روق، وروى أبو روق عن الضحاك بن مزاحم صاحب التفسير.

وروى تفسير أبي روق عن الضحاك شيخ آخر من شيوخ الطبري هو المثنى بن إبراهيم الآملي عن علي بن الهيثم عن المسيب بن شريك عن أبي روق. وقد ورد اسم المثنى بن إبراهيم في ٢٨[١] موضعاً من تأريخ الطبري كلها في تأريخ ما قبل الإسلام وفي الإسرائيليات، عدا موضع واحد هو في القبلة، غير أن له علاقة كذلك باليهوديات[٢]. والظاهر أنه كان من أصحاب التفاسير، أو من رواة التفاسير. وهو يكثر الرواية عن إسحاق بن الحجاج[٣].

وروى عطية بن الحارث أبو روق عن يزيد الفقعسي، وعن أبي العريف، وقد ورد اسم يزيد الفقعسي في خمسة مواضع من تأريخ الطبري هي في حوادث عثمان وعلي[٤]، وعنه وردت قصة عبد الله بن سبأ[٥]، وقصة أبي ذر الغفاري، ورأيه في مال المسلمين، وقصة مجيء عبد الله بن سبأ إلى البصرة ونزوله على حكيم بن جبلة زعيم فتنة البصرة[٦]، وأخيرا حركة عبد الله بن سبأ ونسبه ومراسلاته مع الأقطار[٧]. ترى من ذلك أن ما أخذه سيف عن يزيد الفقعسي، قد انحصر في ناحية خاصة من ناحية الفتنة التي قامت على الخليفة عثمان بن عفان، وهي الرواية الوحيدة التي وردت عن هذه الفتنة. وأما الروايات الأخرى المدونة في الكتب، فهي صدى لرواية سيف، وترجيع لها، سأتحدث عنها في موضعها المناسب حيث الكلام على موارد الطبري في الأحداث المؤسفة التي وقعت في أيام أمير المؤمنين عثمان بن عفان.

وقد اقتصد الطبري في تأريخ الروم بالقياس إلى ما كتبه في تأريخ الفرس، ودون أكثر ما سطره عنهم في فصوله عن تأريخ الفرس. أما الفصل الذي عنوانه «ذكر من ملك من الروم أرض الشام بعد رفع المسيح عليه السلام إلى عهد النبي ﷺ في قول

---

(١) فهرست الطبري (ص٤٩٧).
(٢) الطبري: الدورة الاولى (ص١٢٨٠).
(٣) الطبري: الدورة الاولى (ص٧٨٥).
(٤) الطبري: الدورة الاولى (ص٢٨٤٩، ٢٨٥٨، ٢٩٢٢، ٢٩٤٢).
(٥) الطبري: الدورة الاولى (ص٢٨٥٨).
(٦) الطبري: الدورة الاولى (ص٢٩٢٢).
(٧) الطبري: الدورة الاولى (ص٢٩٤٢).

النصارى»[1]، فهو جريدة بأسماء الملوك، ومدة حكم كل ملك، إلا أن الطبري لم يذكر فيها سنة حكم الملك بالنسبة لتأريخ مولد المسيح، وهو التأريخ المعمول به عند النصارى، ولا بالنسبة إلى ملك الإسكندر، كما كان يؤرخ به بعضهم، أو بالنسبة إلى «تقويم بصرى» الذي يبدأ بدخولها في حوزة الروم، وذلك في سنة ١٠٥ بعد الميلاد[2]. والاقتصاد في تأريخ الروم بالقياس إلى تأريخ الفرس، ليس بدعة ابتدعها الطبري من بين سائر المؤرخين الإسلاميين، بل هي جادة عامة سلكها كل من كتب في التأريخ العام وفي تأريخ العجم من فرس وروم وغيرهم. ولعل لانصهار الفرس وذوبانهم في الإسلام، ولتعصب قسم منهم لقوميتهم وتأريخهم السابق، واحتفاظهم ببعض تراثهم العتيق من خزن كتب التأريخ ونقلها إلى العربية، وللتصادم الذي كان بين الروم والمسلمين، وللاختلاف الذي كان بين الديانتين، دخلا في هذا الموضوع.

وملوك الروم هم ملوك اليونان وملوك رومية[3] «رومة» عند الطبري[4]. وكذلك عند سائر المؤرخين، وقد يراد بهم قياصرة الرومان. وقد جعل النسابون يونان رجلاً له نسب، وجعل بعضهم من ذريته «بزنطى»، ونسبوا اليهما الروم، فقالوا: انهم بنو دومى بن بزنطي بن يونان بن يافث بن نوح[5]، وجعلهم جماعة من النسابين من نسل عيصو بن إسحاق النبى[6]. وقد عرفوا عيصو بن إسحاق من قراءتهم للتوراة، أو من نفر من أهل الكتاب، غير أنهم اخطأوا ولا شك في نسبة اليونان والرومان، أي الروم، إليه. فليست هناك علاقة ما بين عيصو أو عيسو «Esan» وبين الروم في التوراة. وعيسو[7] هو أدوم[8]، وقد سكن نسله وهم الادوميون في جبل سعير شرقي العربة، وعرفت المنازل التي استوطنوا فيها باسم أدوم، وهي تشمل كل تخوم كنعان الجنوبية، وامتدت فاتصلت بطور سيناء وبالعربية الصخرية، وهي المنطقة التي أزاحهم عنها النبط فاستقروا بها

---

(١) الطبري (٢/ ٢٥) وما بعدها، «طبعة المطبعة الحسينية المصرية».

(٢) زيدان: العرب قبل الإسلام (ص٢٠٣).

(٣) البلدان ٤/ ٣٣١.

(٤) راجع فهرست تأريخ الطبري «عمل دي غويه» ص٧١٩» تأريخ مسنى ملوك الأرض والأنبياء لحمزة بن الحسن الأصفهاني (ص٤٦).

(٥) البلدان (٤/ ٣٢٧).

(٦) البلدان (٤/ ٢٣٧)، اللسان (١٥/ ١٥٠).

(٧) ومعنى الكلمة «مشعر» أو «اخشن» قاموس الكتاب المقدس (٢/ ١٢٨). Hasting, p, 235.

(٨) أدوم بمعنى أحمر، لقب عيسى بن إسحاق. قاموس الكتاب المقدس (١/ ٥٣).

وعرفت باسمهم أيضاً[١]. وليست هنالك صلة من نسب أو قرابة بين الروم وأدوم. وقد رويت رواية نسبت إلى ابن الكلبي خلاصتها: أن الروم هم من نسل العيص، وهو عيصو، وهو ابن إسحاق، وقد ولد له روم القسطنطية وملوك الروم[٢]. ونحن لا نعلم يكف توصل ابن الكلبي ومن قال بقوله إلى هذا النسب، فلعلهم أخذوه من أدعياء العلم من أهل الكتاب، صنعوه لهم جهلا، أو نقلوه لهم كما كان شائعاً بينهم في ذلك الوقت. وقد يكون لا من هذا ولا ذاك، وإنما من وضع ابن الكلبي واضراب ابن الكلبي الذين كانوا يضعون الروايات ويصنعونها في معاملهم، ليقال انهم كانوا أصحاب علم، وانهم أحاطوا بكل خبر من أخبار القدماء.

وأرى أن هذه التسمية إنما جاءت إلى العرب من أيام عظمة رومية، حيث بسط الأباطرة نفوذهم على أرجاء واسعة شملت ما كان لليونان من ممتلكات، ولذلك قيل لأتباعهم انهم من اتباع رومية وررومانيون. وقد نبه على ذلك ياقوت الحموى فقال: «وذكر بعضهم انما سمى الروم روما لاضافتهم إلى مدينة رومية، واسمها رومانس بالرومية، فعرب هذا الاسم فسمى من كان بها رومي»[٣].

وسبقه المسعودي إلى هذا الرأي، فأشار إلى غلبة الروم على اليونان ودخولهم في جملتهم «حتى زال اسمهم، وانقطع ذكرهم، ونسب الجميع إلى الروم...»[٤]. وفرقوا بين لغة اليونان ولغة الروم. قال ابن صاعد الاندلسى المتوفي سنة ٤٦٢ للهجرة: «واما الأمة الخامسة، وهي الروم، فأمة ضخمة المملكة، فخمة الملوك، وكانت بلادهم مجاورة لبلاد اليونانيين، ولغتهم مخالفة للغتهم، فلغة اليونانيين الاغريقية، ولغة الروم اللاطينية»[٥].

وقد ورد في التوراة اسم ياوان، وهو ابن يافت الرابع، وهو أبو اليونانيين[٦].

---

(١) قاموس الكتاب المقدس (١/ ٥٣). Hasting, p, 202.

(٢) البلدان (٤/ ٣٢٧). هنالك روايات أخرى مصنوعة لا قيمة علمية لها رويت في تفسير تسمية الروم. التنبيه والاشراف (ص١٠٠).

(٣) البلدان (٤/ ٣٣١) «ورومية أيضاً بالروم يعرف برومية الكبرى، له ذكر في كتب الجفر، بناه روميس ملك الروم». تاج العروس (٨/ ٣٢١).

(٤) التنبيه والاشراف (ص١٠٠).

(٥) كتاب طبقات الأمم (ص٢٣) «بيروت ١٩١٢».

(٦) التكوين: الاصحاح العاشر، الآية ٢. وأخبار الأيام الأول: الاصحاح الخامس، الآية السابعة، قاموس الكتاب المقدس (٢/ ٥٥٧) وما بعدها.

ويقصد به بصورة عامة الأيونيون Laon Lonian، أي الـ Greek [١]. ومن كلمة ياوان jaon javan أخذ العرب - في رأيي - كلمة يونان، وأطلقوها على جميع القبائل التي سكنت هيلاس وغيرها، وعلى الانبراطورية التي كانت عاصمتها القسطنطية. ولذلك دعوا ملوكها أيضاً بملوك اليونانيين، تمييزاً لهم عن ملوك رومية[٢] الذين هم أباطرة الرومان.

وذكر الطبري اليونانية وأرض اليونانية واليونانيين في مقابل الروم[٣]، ويقصد بهم من نقول لهم اليوم الرومان، وأشار إلى أن أول من حكم الشام بعد فالوبطرى هو جايوس يوليوس، وهو ملك الروم. ثم أغوسطوس الذي حكم ستا وخمسين سنة، فلما مضى من ملكه اثنتان وأربعون سنة ولد عيسى بن مريم عليه السلام، وبين مولده وقيام الإسكندر ثلاث مئة سنة وثلاث سنين[٤]. ويقصد الطبري بهؤلاء الملوك الذين حكموا الشام بعد قالوبطرى ملوك رومية، أي أباطرة الرومان.

ويستنتج من حشر الطبري أكثر ما تحدث به عن الروم في الفصول التي دونها عن تأريخ الفرس، ومن ادماجه تلك الأخبار في رواية واحدة وفي حديث متصل مرتبط الأجزاء، أن الطبري اعتمد على الموارد المؤلفة في تأريخ الفرس، أو المترجمة عن الفارسية، أكثر مما اعتمد على الموارد التأريخية المؤلفة في تأريخ الروم أو المترجمة عن الرومية. وفي ذلك خطر ولا شك، فقد كان الفرس خصوم الروم، ولذلك لا تخلو كتبهم أو الكتب المترجمة عن الفارسية من أثر العصبية. ثم أن اكثر من عنى بتأريخ الفرس أو من ترجم عن الفارسية كان من أصل فارسي، أو من طبقة عرفت بميولها إلى الفرس، ولهذا يجب الانتباه إلى هذه الناحية في اعتمادنا على ما ذكره الطبري عن الروم والفرس، وأن نأخذ حذرنا في تدوين تلك الأخبار.

ويظهر من بعض العبارات والاستدراكات التي دونها الطبري تعقيبا على بعض الروايات مثل قوله: «وأما الروم وكثير من أهل الانساب»[٥]، وقوله. فيما ذكر

---

(١) Hasting, p, 427, Ency, bibl, p, 2338.

(٢) حمزة الأصفهاني «تأريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء» (ص٥)، و(٤٥) وما بعدها.

(٣) الطبري (٢/ ٩) وما بعدها.

(٤) الطبري (٢/ ٩) وما بعدها.

(٥) الطبري (٢/ ٩).

الروم»[١] أو «. . . في قول النصارى وأهل الكتب. . .»[٢]، وأمثال ذلك، أن «الطبري» قد نقل ما ذكره من الكتب. فمن عادته سابقاً اغفال أسماء الموارد المدونة التي ينقل منها اكتفاء بذكر هذه الجمل وأمثالها. وقد فعل ذلك في تأريخ الفرس أيضاً وفي مواضع أخرى كان سنده فيها الكتب والوثائق المدونة، فلم يعتمد فيها على الرجال، لذلك أهمل السند.

ولمعرفة هذه الموارد التي نقل منها الطبري تأريخ الروم، لا بد إذن من مراجعة ما كتب في العربية عن الروم، وما نقل من اليونانية واللاطينية إلى العربية من كتب التأريخ والأخبار. وهو في الواقع بحث مستقل في حد ذاته، مراجعه العربية قليلة حتى الآن. وقد فقد أكثر ما ألف أو ترجم في هذا الباب، كما أن الكتب أغفلت ذكرها، فجهلنا أمرها.

وقد ذكر ابن النديم أسماء كتب الفها الروم في الأسماء والتواريخ[٣]، نقلت إلى العربية يظهر من عناوينها أنها في القصص والحكايات، ولعلها من وضع بعض القصاص والأخباريين والنقلة. وقد ذكر أن منها كتاب سمه ودمن على مثال كليلة ودمنة، قال عنه: «وهو كتاب بارد التأليف، بغيض التصنيف، وقد قيل: ان بعض المحدثين عمله»، وكتاب تأريخ الروم، ولم يذكر ابن النديم اسم مؤلفه أو مترجمه، وذكر حمزة الاصفهاني كتاباً في أخبار اليونانيين صنفه أو نقله عن اليونانية حبيب بن بهريز مطران الموصل. نقل منه تواريخ سنى ملوك اليونانيين[٤]. وكان حبيب هذا ممن فسر للمأمون عدة كتب[٥].

وقد ألف نفر من المطارنة في كتب التأريخ، اعتمدوا فيها على المؤلفات اليونانية واللاطينية، ونقل من مؤلفاتهم بعض المؤرخين.

وذكر المسعودي المتوفى سنة ٣٤٥ أو ٣٤٦ للهجرة[٦] أسماء طائفة من رجال

---

(١) الطبري (٢/ ١٠).
(٢) الطربى (٢/ ٢٥، ٥٦).
(٣) الفهرست لابن النديم (ص٤٢٥).
(٤) حمزة (ص٥٥، ٥٦).
(٥) الفهرست (ص٣٤١).
(٦) Brocklemann, Geschichte fer Arabischen Litteratur, I, s, 144, Suppl, I, s, 220.

الكنيسة وضعوا مؤلفات في التأريخ تعرضوا فيها لتأريخ الروم واليونانيين[1]، اجتمع ببعضهم وشاهدهم في أسفاره، مثل سعيد بن البطريق المعروف بابن الفراش، بطريرك كرسى مارقس بالاسكندرية، وقد شاهده بفسطاط مصر، وله كتاب في التأريخ العام تنتهي حوادثه في أيام خلافة الراضي. ومحبوب بن قسطنطين المنبحي، وأثنايوس الراهب المصري، وهو صاحب كتاب في التأريخ، رتب فيه ملوك الروم وغيرهم من الأمم وسيرهم وأخبارهم من آدم إلى قسطنطين بن هيلاني ويعقوب بن زكرياء الكسكري الكاتب وأبي زكرياء دنخا النصراني، وغيرهم، وأشار إلى كتاب حسن في التأريخ وضعه قيس الماروني في ابتداء الخليقة والأنبياء والكتب والمدن والأمم وملوك الروم وأخبارهم، وانتهى بتصنيفه إلى خلافة المكتفى. وقد مدحه المسعودي وأثنى عليه[2].

وذكر المسعودي أن نسخ كتب التواريخ التي بحثت عن ملوك الروم وأخبارهم، مختلفة غير متفقة في أسماء ملوكهم، ومدة ملكهم، وأكثرها بالرومية، وهي موجودة في كتب النصارى الملكية[3]. وقد أشار حمزة إلى هذا الاختلاف كذلك، وقد استعان حمزة بأربعة موارد ساعدته على تدوين ما كتبه في تأريخ اليونان والروم: كتاب مصنف في أخبار اليونانيين نسب تصنيفه أو نقله إلى حبيب بن بهريز، وكتاب في التأريخ صنفه وكيع قاضي بغداد، ذكر وكيع أنه نقل تواريخ الروم من كتاب ملك من ملوك الروم، تولى نقله من الرومية إلى العربية بعض التراجمة. وقد ساق التواريخ من ابتداء ملك قسطنطين إلى سنة احدى وثلاث مئة من الهجرة[4] املاء، أملاه عليه رجل رومي كان يقرأ ويكتب بالرومية، ولا ينبعث في النطق بالعربية إلا بجهد. وكان فراشا لأحمد ابن عبد العزيز بن دلف، وتولى الترجمة بينهما ابن هذا الفراش، واسمه يمن، ترجم له عن لسان أبيه املاء من كتاب له رومي الخط[5]. ومؤلف لأبي معشر هو كتاب الالوف[6].

وأبو معشر هو جعفر بن محمد البلخي المتوفى سنة ٢٧٢ للهجرة، الذي اشتهر

---

(١) التنبيه والاشراف (ص١٣٢).
(٢) التنبيه (ص١٣٢).
(٣) حمزة (ص٤٨).
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) المصدر نفسه (ص٤٧).

بتوغله في علم الفلك والنجوم[1]. وقد عرف عند الأوربيين بـ «Abumasar»[2]. وقد ذكر ان النديم كتاب الألوف، وقال عنه: انه يقع في ثماني مقالات[3]. وأشار إليه ابن صاعد الأندلسي، وقال عن صاحبه: «وكان مع ذلك أعلم الناس بسير الفرس وأخبار سائر العجم»[4]. وذكر «بروكلمن» أن في خزانة الكتب الأهلية بباريس نسخة خطية من كتاب الأدوار والألوف[5]. وأشار سوتر Suter إلى كتاب الالوف في بيوت العبادات الذي ذكره البيروني المتوفى سنة ٤٤٠ للهجرة[6]. ولأبي معشر مؤلفات أخرى مهمة ترجم بعضها إلى اللاطينية، منها كتاب المدخل الكبير إلى علم أحكام النجوم، منه نسخ خطية في خزانات كتب العالم الشهيرة[7]. وقد ترجمه Joh. Hispalensis، كما ترجمه Hermanus Secundus أو Dalmata. وقد طبعت ترجمته في مدينة أوكزبرك Augsburg عام ١٤٨٩ للميلاد[8]. وكتاب القرانات، وقد طبع في Augsburg كذلك عام ١٤٨٩ للميلاد[9]. وطبع مرة أخرى عام ١٥١٥م بمدينة البندقية Venice [10]. ولم يشر الطبري إلى اسم أبي معشر، ويظهر أنه لم ينقل من كتابه هذا؛ لأن ما ذكره «حمزة» يختلف عما

---

(١) ابن القفطى (١٥٢)، ابن صاعد (ص٥٦ - ٥٧)، ابن خلكان: الوفيات، طبعة القاهرة ١٣١٠ (١/ ١١٢).

Brocklemann, I, s, 221, Ency, I, p, 99, suter, in Abhandlung Zur Gesvhite Der Mathem, wissenchaft, vi, 31, x, 28.

(٢) Ency, I, s, 99.

(٣) الفهرست (ص٣٨٦ - ٣٨٧).

Lippert, Abu mashers kitab al - uluf- wiener zeitschr, fur Die Kunde Des morgenlandes, ix, 351.

(٤) طبقات الأمم (ص٥٦).

(٥) Brocklemann, suppl, I, s, 395.

(٦) Ency, I, p, 100.

(٧) Paris 5902, Garullah 1508, berl, god, orient seminar46, halide f, 541, yeni 1193, mesh, xvii, 50, 155, Brocklemann suppl, I, s, 395.

(٨) طبعت بعنوان:

Introducrium in astronomian albmnasaris abalachn octo cout - libros partials, ency, I, p, 100.

(٩) Abumasar de magnis conguntiobus et annorm revol - utionibus ac corum profectinibus - octo continens trachatus, ency, I, p, 100.

(١٠) ency, I, p, 100.

دونه الطبري، وهذا يدل على أن الطبري قد استعان بموارد لم يستعن بها حمزة، والا لم يحدث هذا الاختلاف.

يظهر من أقوال هذين المؤرخين ومن أقوال آخرين أن المؤرخين المسلمين لم يعنوا عناية خاصة بتاريخ اليونان والروم، وأن الذين اضطروا إلى تدوين تواريخ ملوكهم، باعتبار أن ذلك جزء من التأريخ العام، أخذوا ما دونوه من موارد ثانوية، أي أنهم لم يراجعوا الموارد الأصلية والوثائق والمستندات. وهي مكتوبة كما نعلم بالاغريقية أو اللاطينية أو السريانية، ولم يكن من الميسور لهم مراجعتها لاختلاف اللسان. ولهذا عمدوا إلى التراجمة والمترجمات، أو إلى المؤلفات المدونة في العربية لجماعة من النصارى أو المسلمين، فأخذوا منها، ولم يتوسعوا في الغالب في النقل والاقتباس والتدوين، فجاء أكثر ما أخذوه قوائم بأسماء الملوك. أما ما يتعلق بحروبهم وسياساتهم وآرائهم وأمثال ذلك، فما كان له صلة أو بالعرب ذكر، وما لم يكن له صلة مباشرة أهمل. ولهذا لا نجد فيما دون عن الروم غير الاختصار، والمطول منه على ما يظهر من فحصه وتحليله، منقول عن الموارد الفارسية أو من الروايات العربية التي وعتها ذاكرة الأخباريين.

وقد أخذ المسعودي أكثر ما دونه عن تأريخ الروم من النصارى، الذين اتصل بهم في أسفاره. ولذلك كان لما دونه أهمية كبيرة جداً؛ لأنه يمثل روايات متنوعة عراقية وشامية ومصرية. ونجد في كتبه أشياء لا نجدها في تأريخ الطبري. وقد عرف المسعودي تأريخ الطبري وأشار إليه، وأثنى عليه[1]، ونقل منه، ونقل من موارد نقل منها الطبري كذلك. ولهذا فان للمقارنة بين ما كتبه الطبري عن الروم وبين ما كتبه المسعودي عنهم أو حمزة أو المؤرخون الآخرون، فائدة كبيرة في تشخيص الموارد التي نقل منها الطبري تأريخ اليونان والروم.

ذكر الطبري في جملة أولاد سام بن نوح، وأبناء سام، في رأيه، هم العرب وفارس والروم. وقد أخذ الطبري روايته هذه عن محمد بن سهل بن عسكر، حدثه بها عن إسماعيل بن عبد الكريم، عن عبد الصمد بن معقل، عن وهب بن منبه[2]، فهي رواية من الروايات المنسوبة إلى وهب بن منبه، وأما صاحبها وراويها إلى الطبري،

(١) المروج (١/ ٦).

(٢) الطبري (١/ ١٠٢).

وهو محمد بن سهل بن عسكر، فهو من حملة الإسرائيليات، واكثر ما رواه الطبري عنه هو من هذا القبيل. وهو مولى بنى تميم، ومن أهل بخارى، وقد تنقل في أرض الخلافة كامثاله من طلاب العلم والعلماء، واستقر أخير ببغداد، وبها مت في شعبان سنة ٢٥١ للهجرة[١]، وقد مكنته أسفاره من أخذ العلم من عدد من العلماء، أكثرهم من أصحاب الحديث، كما جعلته مورداً لعدد من طلاب العلم، فصار شيخاً لجماعة فيهم الثقات المشاهير، أكثرهم من المحدثين.

ولم يشر الطبري إلى المكان الذي التقى به بمحمد بن سهل بن عسكر فأخذ منه تلك الروايات، ولا إلى الزمان. ولعله أخذ عنه ببغداد أيام اقامة الطبري بها. وقد ورد اسمه في سبعة عشر موضعاً من تأريخ الطبري[٢].

ونقل الطبري رواية أخرى عن شيخه الحارث بن محمد، عن محمد بن سعد، عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي، جاء فيها ان الروم بنو لنطى بن يونان بن يافث ابن نوح[٣]. وحدثه بمثل هذه الرواية شيخه أبو كريب[٤]. أما عمران بن بكار الكلاعي، وهو من مشايخ الطبري كذلك، فقد حدثه أن سعيد بن المسيب فقال: «ولد نوح ثلاثة، وولد كل واحد ثلاثة: سام، وحام، ويافث. فولد سام العرب، وفارس، والروم، وفي كل هؤلاء خير. وولد يافث الترك، والصقالبة، ويأجوج ومأجوج، وليس في واحد من هؤلاء خير. وولد حام القبط، والسودان، والبربر»[٥].

وشيخ الطبري «عمران بن بكار بن راشد الكلاعي هو أبو موسى البراد الحمصى المؤذن المتوفى بحمص سنة احدى وسبعين ومئتين، وقد روى عنه جماعة من المحدثين[٦]، ولعل الطبري أخذ منه في سفره إلى الشام. وقد ذكره الطبري في موضعين من تأريخه[٧].

وقد تعرض المسعودي المتوفى في عام ٣٤٦ للهجرة، أي بعد وفاة الطبري، لذكر

---

(١) تاريخ بعداد للخطيب البغدادي (٥/ ٣١٣)، تهذيب التهذيب (٩/ ٢٠٧).
(٢) فهرست تأريخ الطبري (عمل دى غويه) (ص٥١٥).
(٣) الطبري (١/ ١٠٥).
(٤) الطبري (١/ ١٠٦).
(٥) الطبري (١/ ١٠٦).
(٦) تهذيب التهذيب (٨/ ١٢٤).
(٧) راجع فهرست تاريخ الطبري «عمل دى غويه» (ص٤١١).

ملوك اليونانيين وما قاله الناس في بدء انسابهم، فاجمل الآراء التي قبلت في نسب اليونانيين. ولما كان المسعودي لم يتبع في عرضه التأريخي طريقة السند، ولم يتقيد بذكر المورد الذي اخذ منه، صعب علينا التوصل، بالمقابلة بين تأريخ الطبري ومؤلفات المسعودي، إلى معرفة الموارد التي أخذ منها الطبري أو كلاهما معا. ويظهر على كل حال من تمحيص ما دونه المسعودي عن أنساب اليونان، أنه قد غرف من معين لم يغرف منه الطبري، وأنه لم ينقل شيئاً في هذا الفصل من تأريخ الطبري ؛ إذ جاء بأشياء لم يذكرها أبو جعفر في تأريخه[1]، أشياء تدل على الفرق بين الشخصيتين وبين نفسيتي الرجلين. فالطبري من العلماء الرواة الحفاظ، أما المسعودي فباحث قريب من المؤرخ الحديث، ميال إلى البحث والاستقصاء ووصف الغريب، وان كان لا يخلو من تأثير زمانه عليه في رواية الاعاجيب والاساطير دون فحص أو نقد. وصف الاهرام ومقياس النيل وعادات المصريين في ذلك الوقت، وتحدث عن تقاليد الاقباط وعادات النصارى وعن الاساطير المصرية القديمة وقصة كليوبطرة وغير ذلك مما يلذ للإنسان سماعة. وفعل مثل ذلك عن الأقطار الأخرى التي رآها وزارها، أما الطبري، فقد زار بلاداً ومدناً كثيرة، ولا سيما البلاد العريقة بالحضارة كالعراق وديار الشام ومصر، ولكنه لم يتحدث بشيء ما عن آثارها وعجائبها وقصص أهلها وأساطيرهم وتقاليدهم وعاداتهم، لم يحفل بكل ذلك، ولم يعبأ به، كأن ذلك لا يتصل بالتأريخ، فجاء ما كتبه عن أزمان ما قبل الإسلام جافاً ليس فيه غير هذا الذي رواه عن مشايخه من أخبار الرسل والأنبياء والملوك، وأكثره قصص اسرائيلي وأساطير.

وفي أثناء الكلام على داراً، وهو المعروف بـ Darius[2]، تكلم الطبري عن الإسكندر بن فيلفوس[3]، وفيلفوس أبوه فيلبش أو فيلفوس في كتب أخرى[4]. ويعنون بذلك Philip كما يقال في بعض اللغات الأوربية الحديثة، وPhilppos في اليونانية[5].

---

(١) المروج (١/ ١٤٢ - ١٤٣).

(٢) صاحب الكتابة الشهيرة، راجع:

The senlpures and inscription of darius the great, London, 1907, sir, H, rawlinson, inscription on darius on the reck at behiston, London 1873.

(٣) الطبري (٢/ ٦ وما بعدها).

(٤) المروج (١/ ٢٤٤ وما بعدها).

(٥) Harvey, the oxford companion to classical literature, oxford, 1940, p, 321.

وقد حصل الإسكندر على شهرة كبيرة في القصص العربى الإسلامي، وألفت كتبه في حكمه وآرائه وسياسته، وصار موضوعاً خصبا لأصحاب القرائح في العربية والفارسية والتركية وفي غيرها من اللغات. وقد تركت فتوحات الإسكندر أثراً كبيراً في العقلية اليهودية وفي النصرانية(١)، وصارت موضوعاً من موضوعات الأدب، وتغلب بمرور الزمن العنصر الادبى على العنصر التأريخي، فأصبحت سيرته نوعاً من أنواع الميثولوجيا Mythology في الأدب العالمي، وارتفع عن مرتبة الرجال العظام إلى مرتبة الابطال المجاهدين لتحقيق المثل الإنسانية العليا والمبادئ الدينية وشريعة التوحيد، ورويت عنه قصص فلسفية حكمية مع أرسطوطاليس «أرسطالطيس». وقد صنعت معظم هذه القصص في مدينة الإسكندرية التي تحمل اسم هذا الملك والتي التقت فيها عقلية الغرب بالشرق، فاكتسبت الفلسفة اليونانية ثوباً شرقياً دينياً صوفياً، وفي هذه المدينة فصلت أكثر هذه الثياب التي صنعها خياطون من مختلف العصور والثقافات للاسكندر، ولا شك.

ولم يرد اسم الإسكندر في العهد القديم، وانما أشير إلى مملكته في سفر دانيال(٢). وقد ذكر اسمه في المكابين(٣). وصيغت في الادب العبراني له قصص وحكايات، منها ما هو يهودى بحت، ومنها ما ورد إلى اليهود عن سواهم(٤). ومن هذه القصص قصة الأسئلة العشرة التي عرضها الإسكندر على حكماء الجنوب(٥)، ولها شبه بالقصص المروية عن بلوتارخ Plutarch (٦)، وقصة سفرة الإسكندر إلى المناطق المظلمة من إفريقية(٧)، وقصة سفرة أخرى قام بها الإسكندر إلى شعب الأمزون Amazons حيث قدم له خبز مصنوع من الذهب ليأكله(٨). وتلك أسطورة أخذت من أسطورة يونانية عتيقة عن شعب زعم أنه عاش في أيام الأبطال(٩). وسفرة أخرى قام بها

---

(١) Ency, bibl, p, 112.

(٢) الاصحاح الثامن: رؤيا دانيال، والاصحاح الحادي عشر: الآية الثالثة.

(٣) Imaid, I, 1 - 8.

(٤) Tamid31 b- 32a.

(٥) The universal jewish encyclopedia, new york 1948. vol, I, p, 172.

(٦) Jew, ency, vol, t, p, 172.

(٧) Tamid 32a, hniv, jew, ency, I, p, 172.

(٨) The oxford comoanion to classical literature, p, 23.

(٩) Tamid, 32b.

إلى أبواب الجنة، حيث منع من الدخول إليها، غير أنه اعطى عظماً كان أثمن من كل ما لديه من ذهب وفضة، وموعظة الحبر له[(١)]. ثم قصة الملك Kasia مع الإسكندر والكنز المدفون[(٢)]. وقصة حمل النمرين له إلى السماء، إلى مرتفع عال حيث تجلت له كرة الأرض، ثم نزوله إلى البحر[(٣)]. ثم القصة التي ترينا الإسكندر وقد طمع أن يعبده الناس كما يعبد المعبود[(٤)]. وعد الإسكندر في جملة الملوك الذين حكموا الأرض[(٥)]. وقد عملت أكثر هذه القصص في الإسكندرية، وهي قصص يهودية متأثرة بقصص يوناني قديم، وقد جعل الإسكندر بطلاً لقصص أخرى عديدة، بعضها يعود في الأصل إلى اسكندر آخر[(٦)].

هنالك قصص أخرى يظهر أنها إسرائيلية المولد والمنشا، ترينا في الغالب ميول الإسكندر نحو اليهود، وعطفه عليهم. منها قصة ذلك الرجل المسمى Genhia ben Pesia أو بن كوسيم Ben Kosem، ودفاعه عن حقوق اليهود[(٧)]، وقصة محاولته وضع تمثال له في الهيكل وعدم موافقة الحبر الأعظم على ذلك. ثم قصة أخذه عظام النبى أرميا إلى الإسكندرية[(٨)]. وقصة الخضر مع الإسكندر[(٩)]. وقصص أخرى ظهرت بين العبرانيين في القرون الوسطى[(١٠)]، مثل قصة السلة التي تتخفى عند وضعها في نقطة التقاء السماء بالأرض[(١١)]، وأمثال ذلك مما وجد له سبيلاً إلى آداب الأمم الأخرى عن طريق احتكاكها بالعبرانيين أو عن طريق اليهود الذين اختلطوا بمختلف الأقوام.

وترج جذور قصص الإسكندر إلى أيام فتوحات هذا الملك العظيم. ففي أيام هذا

---

(١) Yer, b, m, im, 8a.١

(٢) Yer, a, z,iii, 42a, erisenstein, h, d, otzar, bidra - shim, 1915, p, 463, gaster, m, exempla, no, 5, P, 53.

(٣) Jew Ency, vol, I, p, 172.

(٤) Gaster ,m, masech book, 1934, I, p, 262.

(٥) The univ, hew ency, I, p, 172.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) Sanh, 91a. budge, e, a, w, life and explorts of Alexander the great, 1896, pp, 403 - 428.

(٨) Midrash agada to mum, 30:15 the univ, jew ency I, p, 172.

(٩) Friedlander, die chadirlegende und alexanderoman, 1913.

(١٠) Gaster, m, hebrw romance of Alexander the great, in jounal of the royal asistic society (1898).

(١١) the univ, jew ency, I, p, 172.

الملك، أخذت تظهر هذه الأساطير التي وجدت لها تربة صالحة في الشرق. ومن التواريخ الخرافية التي دونت عنه، التأريخ الذي وضعه cleitrachus الذي عاش في حوالي ٣٠٠ قبل الميلاد. وقد نمت هذه الاساطير وتركزت خاصة في القرن الثالث بعد الميلاد. وجعلت الروايات السريانية الإسكندر رجلاً نصرانياً مؤمناً. ووجدت هذه الروايات لها سبيلاً إلى العربية والحبشية والهندية وغيرها من اللغات الشرقية، كما وجدت لها سبيلاً إلى الانكليزية والفرنسية واللاطينية في القرون الوسطى حيث أصبحت من الموضوعات المطروقة في النثر والشعر، وخاصة في القرنين الحادي عشر والثانى عشر للميلاد[١].

وفي الفرنسية قصيدة سميت باسم الإسكندر، نظمت في القرن الحادي عشر للميلاد؛ وعرف في انكلترة أثران يظهر أنهما بنيا على قصة وضعت باللاطينية، هما: «رسالة من الإسكندر إلى ارسطوطاليس»، و«عجائب الشرق»، ومن القصص الفرنسي الموضوع شعراً أو نثراً عن الإسكندر، أخذت أصول قصص الإسكندر في الانكليزية، وذلك بين ١٢٠٠ - ١٥٠٠ للميلاد، ولا سيما المنظومة المسماة King Alisander. وقد جعل شكسبير أحد الضباط الولشين welsh الذين وضعهم في روايته «هنري الخامس Henry v» من المطلعين العارفين بقصص الإسكندر[٢].

وألف باللاطينية كتاب مهم عن حياة الإسكندر يقع في عشرة كتب، ضاع منها الكتابان الاولان. ألفه كورتيوس روفوس Curfius Rufuns Quintus في أيام قلوديوس Cladudis [٣] أو فسباسيان Vespasian [٤]. ويغلب على الكتاب طابع الرواية، وقد كتب بأسلوب قصصى ممتاز، غير أنه ضعيف من ناحية النقد التأريخي، ولذلك كانت للكتاب

---

(١) Hravey, the oxford comoanion to classical literature p 21.

(٢) Harvey, the oxford companion to classical literature, p, 21.

(٣) «قلوديوس» تاريخ اليعقوبي (١/ ١٦٤) «طبعة هوتسما»، «قلوديوس» الطبري (٢/ ٢٥)، «قلوذيوس»، ابن العبري (١/ ١١٥).

Claduis (Tiberius Claudius drusus nero germanicus) (41 - 24) A.d, Harvey, p, 107.

(٤) «اسفسيانوس» ابن العبري ١/ ١١٧، اسفسيانوس أبو طيطوس الذي وجهه إلى بيت المقدس الطبري ٢/ ٢٥، «ثم ملك اسفسيانوس عشر سنين وكان أهل مملكته يسمونه الإله ووجه ابنا له يقال له ططوس إلى بيت المقدس فحاصرها أربعة أشهر، اليعقوبي ١/ ١٦٤ Vespasian, (titus flavius sabinus fespasanus) (70 - 79 a, d) Harvey. P, 445.

مكانة بين الكتب المؤلفة في قصص الإسكندر[١]. وفي السفر الأول من أسفار المكابين شيء عن الإسكندر يعبر عن وجهة نظر العبرانيين[٢].

أخذ الطبري أخباره عن الإسكندر من موارد مختلفة لم يصرح باسمها، فأضاع بذلك أموراً تفيد المؤرخ جداً. نعم، أشار إلى الروايات التي ترجع إلى ابن الكلبي، غير أنه لم يذكر اسم الراوي الذي روى له الخبر، أو اسم الكتاب الذي نقل منه، مخالفا بذلك طريقته المألوفة التي اتبعها في الإسرائيليات وفي قصص الملوك والأنبياء، حيث كان يروى أسماء من حدثه بالخبر فيوصل السند إلى «هشام بن محمد بن السائب» الكلبي، ومنه إلى صاحب الخبر. فليس من السهل التوصل من عبارة مبنية على المجهول مثل قول الطبري: «وحدثت عن هشام بن محمد قال»، أو «قال وذكر غير هشام أن. . . . »[٣]، أو «فأما هشام بن محمد فانه قال فيما حدثت عنه. . . »[٤]، أو «فذكر هشام ما ذكرت عنه ولم يبين مدة ملك القوم»[٥]، أو «وكان. . . فيما ذكر هشام بن محمد. . . »[٦]، أو «فحدثت عن هشام بن محمد قال. . . »[٧]، أو غير ذلك من أمثال هذه العبارات - إلى اسم الراوي، أو الأثر الذي نقل منه الطبري قوله. وقد يمكن التوصل إلى ذلك بمقارنة عبارات الطبري بما دون في كتب التأريخ التي ألفها مؤرخون عاشوا قبله أو في زمانه أو بعده، عندئذ تمكن معرفة المورد الذي نقل منه الطبري وبقية المؤرخين. غير أن أكثر الذين كتبوا في التأريخ العام، ولا سيما في تأريخ الفرس والروم، لم يشيروا إلى أسماء الموارد التي نقلوا منها، ولذلك يصعب علينا التوصل حتى بهذه الطريقة إلى معرفة الموارد التي نقل منها الطبري وبقية المؤرخين الذين كتبوا في ذلك الموضوع.

ذكر ابن النديم اسم كتاب في جملة الكتب التي ألفها ابن الكلبي، دعاه «كتاب ملوك الطوائف»؛ وكتاباً آخر سماه «كتاب الأوائل»، و«كتاب خبر الضحاك»، وكتباً

---

(١) Harvey, p, 127.

(٢) First book of the maccabus.

(٣) الطبري (٢/ ٦).

(٤) الطبري (٢/ ١٠).

(٥) الطبري (٢/ ١١).

(٦) الطبري (٢/ ٢٦).

(٧) الطبري (٢/ ٢٧).

أخرى في أخبار الأوائل[١]. فمن أي كتاب من هذه الكتب أخذ الطبري وغيره تلك الأخبار؟ وإذ أن ابن النديم ومن ترجموا لابن الكلبي لم يشيروا إلى محتويات هذه الكتب، وإذ كانت هذه الكتب في حكم الكتب الضائعة، فاننا لا نستطيع رجع هذه النتف المدونة في تأريخ الطبري وفي كتب التأريخ الأخرى إلى أصولها التي وجدت فيها في صحف ابن الكلبي. غير أن أغلب ظني أن الطبري نقل أخباره التي نسبها إلى ابن الكلبي عن «ملوك الطوائف»، وهم الأشغانيون[٢]، من كتاب ملوك الطوائف الذي أشار إليه ابن النديم. وإذا صح هذا الظن فنحن أمام مقتبسات ونتف من هذا الكتاب الذي لم يشر إلى وجوده في الوقت الحاضر بروكلمن[٣] ولا غيره من الباحثين عن الكتب المطبوعة أو المخطوطات[٤].

ولم يقتصر الطبري في اخباره عن الإسكندر وعن الذين خلفوه على ما ذكره هشام وحده، بل نقل أخباراً أخرى رواها غيره من الرواه، عقب بها على أخبار ابن الكلبي أحياناً، وقدمها على أخباره أحياناً أخرى. وقد نبه على ذلك بمثل قوله: «قال: وذكر غير هشام أن.... »[٥]، أو «وقال غيره من أهل العلم... »[٦]، وهي جمل تشير إلى أن الطبري قد نقل من موارد أخرى لا صلة لها بمؤلفات هشام.

ويظهر أن الطبري قد أخذ من موارد استمدت أخبارها من الروم، أو من مؤلفات نقلت عن اليونانية أو اللاطينية، كما يفهم ذلك من قوله: «وأما الروم وكثير من أهل الأنساب»[٧]، وقوله.... فيما ذكر الروم[٨]، ومن الجائز أيضاً أن الطبري قد دون هذه العبارات كما وجدها في الكتب التي نقل منها، أو كما سمع ذلك من محدثيه، فنقلها في كتابه معبراً بذلك عن أقوال غيره ممن يقص أقوالهم علينا. وقد قلت فيما سلف ان ابن النديم والمسعودى وغيرهما أشاروا إلى كتب نقلت إلى العربية في تأريخ الروم

---

(١) الفهرست (ص١٤١)، كتاب الأصنام، ثبت مصنفات ابن الكلبي، ص٧١، ٧٣، وما بعدها.
(٢) الطبري (٢/ ١٠ - ١١).
(٣) Brocklemann, geschite der arabischen litteratur, I, s, 139, supplement, I, s, 211 - 212.
(٤) الأصنام.
(٥) الطبري (٢/ ٦).
(٦) الطبري (٢/ ١١).
(٧) الطبري ٢/ ٩.
(٨) الطبري (٢/ ١٠).

واليونان، فلعلها وصلت إلى أيدي الطبري فنقل منها، فلم يشأ لذلك أن يفصح عن أسماء نقلتها وهم من أهل الكتاب.

وللفرس في الإسكندر رأى، فقد جعلوه من أب فارسى هو داراً بن بهمن، ومن أم يونانية سماها اليعقوبي المفيدا، ويرى هوتسما ناشر تأريخ اليعقوبى أن المفيدا تصحيف أولمبيا Olympia [1]. وعلى ذلك فالاسكندر هو من الفرس. ولا ندرى بالطبع متى صير الفرس الإسكندر منهم: أفى أيام الجاهلية، أي قبل الاسلام؟ أم في الإسلام، أي بعد انقراض ملكهم وزوال دولتهم؟ ومن عادة الشعوب المغلوبة التفتيش عن الماضى، واضافة الأعمال المجيدة إليها، ليكون ذلك سلوى لها، وحافزا لاثارة الهمم، وتعطية لما حل بها من نكبات.

وأنا ليصعب علينا تحديد الوقت الذي ظهرت فيه هذه القصة، وقصة اغتيال داراً ورجائه من الإسكندر الانتقام من قتلته، والتزوج من ابنته روشنك Rushang Roxana [2] وذلك لعدم وصول نسخ كاملة من الترجمات العربية لكتب «سير ملوك العجم» إلينا حتى الآن، ولأن هذه المقتبسات والنتف المدونة في تأريخ الطبري وفي كتب التأريخ الأخرى لا تعطينا فكرة صحيحة عن تلك الأصول.

وقد دون الطبري مقتل داراً وأسباب الخلاف الذي حدث بينه وبين الإسكندر وزواج الإسكندر ابنة داراً باختصار، أخذه على ما يظهر من رواية مطولة لهشام بن الكلبي[3]. ثم اعاد القصة بشيء من التفصيل، وقد نقلها من مورد آخر كما أشار إلى ذلك بقوله: «قال: وذكر غير هشام»[4]. ويظهر من قول الطبري «قال» وبعدها جملة «وذكر غير هشام» أن الطبري قد نقل ما دونه من كتاب آخر، أو من قول رجل كان يتحدث إليه أو يملى عليه، فبعد انتهائه من تلخيص خبر ابن الكلبي تحدث الراوي إلى الطبري برواية أخرى ترجع لرجال آخرين، أو أن الطبري نقل ما كتبه من كتاب آخر فدونه على نحو ما وجده في ذلك الكتاب.

وذكر الطبري رواية أخرى عن الإسكندر استهلها بقوله: «وزعم بعض أهل العلم

---

(١) تاريخ اليعقوبي (١/ ١٦١).
(٢) Ency of islam, vol, I I, p, 534.
(٣) الطبري (٢/ ٦).
(٤) الطبري (٢/ ٧).

بأخبار الأولين»، ثم سرد بعدها أسطورة زواج داراً الأكبر بأم الإسكندر المسماة هلاي، واختلاف داراً الأصغر وهو ابن داراً الاكبر مع شقيقه الإسكندر بسبب مطالبة الفرس للروم بدفع الجزية التي كان يدفعها ملوك الروم إلى الفرس في كل عام، وامتناع الإسكندر عن دفعها قائلاً لملك الفرس: «انى قد ذبحت الدجاجة وأكلت لحمها، ولم يبق لها بقية، وقد بقيت الأطراف، فان احببت وادعناك، وان أحببت ناجزناك». ثم ما كان من اغتيال داراً وسقوطه على الأرض ومجئ الإسكندر إليه وهو بآخر رمق ومسحه التراب عن وجهه وضعه رأسه في حجرة إلى آخر القصة[١].

وقد قص علينا هذه القصة عالم آخر هو أبو حنيفة أحمد بن داوود الدينورى المتوفى سنة ٢٨٢ للهجرة[٢]. وهي تتفق مع القصة التي سردها الطبري في المعنى، وان كانت تختلف عنها في بعض الجمل والتفصيلات التي لا تؤثر على العرض العام.

ويظهر من مقارنة القصتين بعضها ببعض أن الرجلين قد غرفا من منبع واحد، وأخذا من مؤلف يرجع إلى الفرس كالذي يفهم من عبارة الدينورى: «وقد اختلف العلماء في نسبه، فأما أهل فارس فيزعمون أنه. . .»[٣]، وهي عبارة افتتح بها هذه القصة. وقد عرف عن الدينوى أنه نقل من الكتب التي ترجمها ابن المقفع، فلعله نقل قصص الإسكندر من تلك الكتب.

ولما مات الإسكندر، عرض الامر - على حد قول الطبري - على ابنه الاسكندروس، فأبى، واختار النسك والعبادة، فملكت اليونانية عليهم بطليموس بن لوغوس، ثم بطليموس فيلافطرا، ثم بطليموس افيفانوس، ثم بطليموس أورغاطوس، ثم بطليموس ساطر، ثم بطليموس الأحسندر، ثم «بطليموس» الذي اختفى عن ملكه ثماني سنين، ثم بطليموس دونسيوس، ثم بطليموس قالو بطرى. «فكل هؤلاء كانوا يونانيين، فكل ملك منهم بعد الإسكندر كان يدعى بطليموس، كما كانت ملوك الفرس يدعون أكاسرة، وهم الذين يقال لهم المفقانيون. ثم ملك الشام بعد قالوبطرى - فيما ذكر الروم - أغوسطوس ستا وخمسين سنة. فلما مضى من ملكه اثنتان وأربعون سنة،

---

(١) الطبري (٢/ ٧ وما بعدها).

(٢) الآراء مختلفة في سنة وفاته، راجع الإرشاد «طبعة مارغليوث» (١/ ١٢٣ وما بعدها)، بغية الوعاة (ص١٣٢). Wustenfeld, die geschtiber, no, 79, beocklemann, I, s, 123,
ضحى الإسلام (١/ ٤٠٦ وما بعدها)، راجع أيضاً ملحق بروكلمن .Suppl, I, s, 123

(٣) الأخبار الطوال «طبعة ليدن» ص٣١.

ولد عيسى بن مريم عليه السلام، وبين مولده وقيام الإسكندر ثلاث مئة سنة وثلاث سنين»[1].

وقد ذكر الطبري مع كل ملك سني حكمه؛ لذلك نستحسن مقارنة هذه القائمة بالقوائم المماثلة التي دونها بعض المؤرخين المعاصرين للطبرى، أو الذي عاشوا بعده بزمن غير طويل.

قد دون أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح المعروف باليعقوبى المتوفى سنة ٢٨٤ للهجرة[2] قائمة بأسماء خلفاء الإسكندر تختلف عن قائمة الطبري، في الاسماء وفي السنين. وهي تدل على عدم وقوف اليعقوبى على قائمة الطبري، المعاصر له، أو على المورد الذي استقى الطبري منه، والا لما حدث بينهما هذا الاختلاف، فزعم اليعقوبى أن الذي حكم بعد الإسكندر هو ذو القرنين بطليموس، والمتعارف عند الاخباريين والمؤرخين أن ذا القرنين هو الإسكندر نفسه، وحكم بعده فيلفوس، ثم هو رحيطوب الأول، ثم فيلوبطور، ثم فيفانس، ثم فيلو بطور الثاني، ثم هو حيطوب الثاني[3]. فأنت ترى نفسك أمام قائمة تختلف عن قائمة الطبري اختلافا يشير إلى أنهما قد نقلاً من موردين مختلفين.

أما الدينوري الذي أطنب في قصة الإسكندر أطناباً لا نجده في تأريخ الطبري[4]، فانه لم يتعرض لخلفاء الإسكندر، ولم يشر إلى اسماء الذين حكموا بعده. ونلاحظ بصورة عامة أنه زاهد في أخبار اليونان والروم، مقتصد في ذكر أخبارهم، ميال إلى التبسط في الحديث عن أخبار الفرس[5]. والظاهر أنه انما تبسط في الحديث عن الإسكندر، لما رأينا من دعوى أصحاب الاخبار من الفرس من والد الإسكندر هو داراً الأكبر، ولما رووه من قصص له علاقة بمقتل داراً الأصغر، وبتولى الإسكندر عرش الفرس.

وحكم بعد الإسكندر على رأى المسعودي بطليموس، ثم هيفلوس، ثم بطليموس الصانع، ثم بطليموس المعروف بمحب الأب، وكانت له حروب مع ملوك الشام وصاحب أنطاكية الاسكندروس، ثم ملك بعده بطليموس صاحب علم الفلك والنجوم

---

(١) الطبري (٢/ ١٠).

(٢) الإرشاد (٢/ ١٥٦) طبعة مارغليوث. ency, I v, p, 1153.

(٣) تاريخ اليعقوبي «طبعة هوتسما» (١/ ١٦٣ وما بعدها).

(٤) الاخبار الطوال (ص٣١ وما بعدها).

(٥) Ency, vol, i, p 977.

وكتاب المجسطى، ثم بطليموس الحديدي، ثم بطليموس الجوال، ثم بطليموس الحديد، ثم ابنته قلبطرة، وهي آخر الملوك الذين حكموا بعد الإسكندر، وعددهم أربعة عشر ملكاً، وعدد سنى ملكهم ثلاث مئة سنة وسنة واحدة[1].

وتختلف هذه القائمة عن القائمة التي دونها المسعودي لملوك اليونانيين ومدة ما ملكوا من السنين في كتابه الآخر، وهو كتاب التنبيه والاشراف[2]، بعض الاختلاف في عدد الملوك وفي مدة حكم كل ملك. ذكر المسعودي أن عدة ملوك اليوناني من فيلبس إلى قلوبطرة ستة عشر ملكاً، وجملة ما ملكوا من السنين مئتا سنة وثلاث وتسعون سنة وثمانية عشر يوما، وذلك موجود في قانون ثاون الإسكندراني[3] وغيره.

ولكنه ذكر أيضاً أن من عنى بأخبار سير الملوك وتواريخ الأمم مختلفون في عدة ملوك اليونان وفي مدة سنيهم[4]، وذكر ان أبطليموس أورنداس هو أول من حكم بعد الإسكندر، ثم حكم بعده أبطليموس الكصندرس، ثم أبطلميوس الأديب، ثم أبطلميموس محب أخيه، فـ«أبطلميوس الصانع»، ثم أبطلميوس محب أبيه، ثم أبطليموس الظاهر، ثم أبطلميوس أمه، ثم أبطلميوس الجوال، ثم أبطلميوس المخلص، ثم أبطلميوس الكصندرس، ثم أبطلميوس قساس، ثم أبطلميوس ديونسيوس، ثم قلوبطرة ابنة أبطلميومس، وكانت حكمية ولها كتب في الرقية وغيرها[5]، وقد قتلها أوغسطس الذي استولى على ملك اليونانيين ومصر والشام، وكون - على رأيه - ملك الروم[6].

وذكر ابن النديم أن لثاون الاسكندراني جملة كتب، منها كتاب جداول زيج بطلميوس المعروف بالقانون المسير[7]، وعرف عند المسلمين بعلمه في الكواكب، وبآرائه في الزيج[8]، وقد ذكر ابن القفطى أسماء مؤلفات «تاؤن»[9] وقد نقلها على ما

---

(١) المروج (١/ ٢٥٨ وما بعدها).

(٢) التنبيه والاشراف - طبعة مصر (ص٩٧).

(٣) التنبيه (ص٩٧).

(٤) التنبيه (ص٩٧).

(٥) التنبيه (ص٩٨ وما بعدها).

(٦) التنبيه (ص١٠٧).

(٧) الفهرست (ص٣٧٥ - ٣٧٦).

(٨) كتاب طبقات الأمم لابن صاعد الأندلسي (ص٥٤).

(٩) اخبار العلماء بأخبار الحكماء (ص٧٦).

يظهر من فهرست ابن النديم. وقد عاش «ثاؤن Theon» في القرن الخامس بعد الميلاد، وكان فيلسوفاً رياضياً[1]. والظاهر أن المسعودي قصد بقانون ثاون، الكتاب الذي أشرت إليه.

ولحمزة الأصفهاني قائمة كذلك بأسماء الملوك الذين حكموا بعد الإسكندر وبنى حكمهم، وقد دعاهم، ملوك مقدونية. وهم: بطليموس بن الأرنب، وبطليموس بن لعوس محب الأب، وبطلميوس الصانع، وبطلميوس صاحب علم النجوم، وبطلميوس محب الأم، وبطلميوس الصانع الثاني، وبطلميوس المخلص، وبطلميوس الإسكندري، وبطلميوس الحديدى، وبطلميوس الخبيث، وفلوقطرا بنت مخة[2].

وبمقارنة هذه القائمة بقوائم الملوك السابقة، يتبين أنها قريبة بعض الشيء من قائمتى المسعودي، ولا سيما القائمة المنشورة في كتاب التنبيه والاشراف، يغر أن هذا لا يعنى أن حمزة نقل من القائمتين؛ إذ نرى هنالك اختلافاً في الأسماء وفي السنين لا يشير إلى أخذ حمزة من مؤلفات المسعودي، إلا أننا نستطيع أن نقول بكل تأكيد انهما نقلاً من مورد واحد. وقد يكون هذا المورد هو أبو معشر جعفر بن محمد البلخي المتوفى سنة اثنتين وسبعين ومئتين للهجرة[3]، وقد ذكر حمزة أنه أخذ أخبار الروم من مؤلف له سماه كتاب الألوف[4]. وقد ذكر ابن النديم اسم هذا الكتاب بين أسماء كتب أبي معشر، وقال انه: يقع في ثماني مقالات[5]. ومن الممكن أن يكون المسعودي قد نقل احدى القائمتين من كتاب الألوف، للتقارب الذين بين قائمة حمزة المنقولة من كتاب أبي معشر وبين قائمة المسعودي.

---

(١) Harvey, the oxford companion to classicall literature, I, p, 426.

(٢) حمزة (ص٤٥ - ٤٦).

(٣) الفهرست (ص٢٨٦)، ابن القفطي (ص١٠٦)، ابن صاعد (ص٨٩)، ابن خلكان (١/ ١١٢)، راجع ما كتبه اولمرت عن كتاب الألوف.

Lippert, abu mashara kitab al- uluf winer zeischt fur die kunde des morgenlandes, ix, 351, ency, vol, I, p, 100, brocklemann, g, a, l, s, 221, suppl, I, s, 304- 305.

«كتاب الأدوار والألوف».

Brocklemann, suppl, I, s, p, 395, pares, biliotheque national catalogue des mss, arabes par le baron de slane, paris 1898 - 95, 2581.

(٤) حمزة (ص٥٤).

(٥) الفهرست (ص٣٨٧).

إذا دققنا قائمة الطبري للبطالة «البطالة»، نرى أنه قد ذكر الأسماء مع النعوت التي عرف بها كل بطليموس، وقد حافظ على النعوت كما هي، فلم يترجمها إلى العربية كما صنع من ذكرياتهم، إلا أنه كتبها على نحو يلائم النطق بالعربية، فأبعدها بذلك عن الأصل، وقدم أيضاً وأخر قليلاً بين الاسماء. وبطليموس بن لوغوس الذي ذكره الطبري، هو بطليموس الأول المعروف بـ Soter أي المخلص «المنقذ»، وهو ابن لاغوس Lagus، وقد تملك مصر سنة ٣٣٣ قبل الميلاد، أي سنة وفاة الإسكندر الأكبر، وهو حتى وفاته سنة ٢٨٣ قبل الميلاد(١). وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة على ما جاء في تاريخ الطبري(٢). وحكم بعد بطليموس الثاني المعروف بفيلادلفوس Philadelphus، وهو ابنه، وقد حكم من سنة ٢٨٥ أو ٢٨٣ قبل الميلاد حتى سنة ٢٤٧ أو ٢٤٦ قبل الميلاد(٣). وهو مؤسس مكتبة الإسكندرية، وكان محبا للأدباء والعلماء، فجلب إليه الشعراء مثل ثيوقريطس Theocritus، والرياضيين مثل أقليدس Eukleides Euclid الرياضي الشهير، والفلكى أراتس Aratus aratos وأمثالهم(٤). ولم يشر الطبري إليه.

وقد وضع الطبري بعد بطلميومس بن لوغوس اسم بطليموس دينانوس، وقال عنه انه حكم أربعين سنة(٥)، وضعه فمكان بطلميوس فيلادلفوس، وهو خطأ، ثم ذكر بعده اسم بطلميوس أورغاطس الذي قال عنه انه حكم أربعا وعشرين سنة(٦)، وهو في الواقع بطلميوس الثالث المعروف بـ Euegetes أي «الخير» ٢٤٦ - ٢٢١ قبل الميلاد(٧). ولم يشرح الطبري معنى هذا النعت، وحكم بعد بطلميوس الثالث بطلميوس الرابع المعروف بـ Philopator، أي المحب لأبيه، وقد حكم من سنة ٢٢١ حتى سنة ٢٠٤ قبل الميلاد(٨)، وجعل الطبري مدة حكمه إحدى وعشرين سنة، ودعاه بطلميوس

---

(١) Ency, entani, vol, 18, p, 731- 732, havey, p, 352 ٢٨٥ - ٢٣٣ قبل الميلاد، قاموس الكتاب المقدس (١/ ٢٣٣).

(٢) الطبري (٢/ ٤١٠).

(٣) قاموس الكتاب المقدس (١/ ٢٣٣).

(٤) قاموس الكتاب المقدس (١/ ٢٣٣).

(٥) الطبري (٢/ ١٠).

(٦) كذلك.

(٧) Ency, Brita, Vol, 18, p, 732.

(٨) Ency, Brita, Vol, 8, p, 732. قاموس الكتاب المقدس (١/ ٢٣٣).

فيلافطر[١]، وهو تحريف Philopator ولا شك، وحكم بعد بطلميومس الرابع بطلميوس المعروف بـPhilopator، أي الظاهر[٢]، وهو بطلميوس الخامس، وقد حكم من سنة ٢٠٤ حتى سنة ١٨١ قبل الميلاد[٣]، ودعاه الطبري بطلميوس افيفانس، وحكم - على روايته - اثنتين وعشرين سنة[٤]، ثم حكم بعده بطلميوس أورغاطس[٥]، ويقصد به الطبري بطلميوس المعروف بـ«Egergetes» الثاني، وهو بطلميوس السابع في الواقع، وقد نسى الطبري ذكر بطلميوس السادس وهو المعروف بـPhilometor أي المحب لأمه الذي حكم من سنة ١٨١ حتى سنة ١٤٥ قبل الميلاد[٦]. وأما بطلميوس الثامن فهو المعروف بـSoter الثاني[٧]، وقد دعاه الطبري بـ«ساطر»[٨]، وينعت أيضاً بـ«Iathyros» وحكم بعده بطلميوس التاسع المعروف باسكندر الأول Alezander I [٩]، وهو المعروف في تأريخ الطبر بطليموس الأحنذر[١٠]، وهو تحريف الإسكندر ولا شك. وحكم بعد بطلميوس الاحنذر على قول الطبري «بطلميوس الذي اختفى عن ملكه ثماني سنين»، ثم بطلميوس دونسيوس[١١]، ويقصد به بطلميوس المعروف بـPhilopator Ohiladephus Neos Dionysus الذي حكم من سنة ٨٠ حتى سنة ٥١ قبل الميلاد، وعرف أيضاً بـAuletes [١٢]. وآخر من حكم من البطالسة على رأى الطبري بطلميومس

---

(١) الطبري (٢/ ١٠).

(٢) Ency, Brita, Vol,, 18, p, 733, bouche leclereq, historie des lagides, I, p p, 333.

(٣) Ency, Brita, Vol, 8, p p, 733.

قاموس الكتاب المقدس (١/ ٢٣٣ - ٢٣٤).

(٤) الطبري (٢/ ١٠).

(٥) الطبري (٢/ ١٠).

(٦) Ency, Brita, Vol, 18, p, 733 قاموس الكتاب المقدس (١/ ٢٣٤)، تاريخ مصر في عهد البطالمة للدكتور إبراهيم نصحي (١/ ٩٤).

(٧) Ency, Brita, Vol 18, p, 733.

(٨) الطبري (٢/ ١٠).

(٩) Ency, Brita, Vol, 18, p, 733.

(١٠) الطبري (٢/ ١٠).

(١١) الطبري (٢/ ١٠).

(١٢) Ency, Brita, Vol, 18. p, 733.

قالبوطرى[١]. وبطلميوس قالوبطرى هي قالبطرة عند المسعودي[٢]، وهي كليوباطرة Cleopatra. ولم يذكر الطبري شيئاً عن قصة «قالوبطرى». أما المسعودي، فقد جعلها حكمية متفلسفة، مقربة للعلماء، معظمة للحكماء، مؤلفة لها كتب ومؤلفات في الطب والزينة والحكمة، وتعرض لقصة أنطونيوس معها، ثم مجيء أغسطس قيصر إلى مصر وقصة طلبها الحية من الحجاز[٣]، وذكر أشياء أخرى مهمة لها علاقة بالتأريخ الثقافي والديني والاجتماعي لليونان والروم، وهي أمور لا تطرب مؤرخنا الطبري ولا تحرك أوتاره.

وقد روى الطبري أخباراً تشير إلى غزو الفرس لليمن في الأيام الخالية وإلى وجود صلات قديمة بين أقدم ملوك الفرس الذين عاشوا قبل الميلاد وبين تبابعة اليمن، ويظهر من فحصها وغربلتها أنها ترجع إلى ابن الكلبي في الغالب. فروى الطبري خبراً نسبه إلى ابن الكلبي زعم فيه أن الرائش بن قيس بن صيفى بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ملك اليمن، كان في أيام منوشهر، وهو الذي غزا الهند وأذربيجان[٤]، وروى أيضاً أن يكقاوس غزا اليمن والملك يومئ ذو الاذعار بن أبرهة ذي المنار بن الرائش، وكان مصاباً بالفالج، فلما أظله كيقاوس وطئ بلاده في جموعه، خرج بنفسه في جموع حمير وولد قحطان، فظفر بكيقاوس، فأسره،واستباح عسكره، وحبسه في بئر وأطبق عليه طبقاً. فلما سمع بذلك رستم، خرج بجموعه إلى اليمن فاستخلصه من اليمانين[٥]، وانصرف به إلى بابل.

وعلق الطبري على هذه القصة بقوله: «وقد حقق ما ذكره ابن الكلبي من أسر صاحب اليمن قابوس[٦]، الحسن بن هانئ في شعر له، فقال:

وقاظ قابوس في سلالنا سنين سبعا وفت لحاسبها[٧]

ونجد قصة غزو كيقاوس لليمن في كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر، غير أنها

---

(١) الطبري (٢/ ١٠).
(٢) المروج (١/ ٢٥٩).
(٣) المروج (١/ ٢٦٠ - ٢٦١).
(٤) الطبري (١/ ١٠١).
(٥) الطبري (١/ ١٦٤ - ٢٦٥).
(٦) ويعنى به كيقاوس.
(٧) الطبري (١/ ٢٦٥).

تختلف بعض الاختلاف عن القصة التي رواها الطبري. ففيه مثلاً أن ملك اليمن هوشمر بن فريقس قصة بنت اشمر اسمهاسعدى عشقت كيكاوس فكانت تحسن إليه في خفية من أبيها وإلى من معه من أصحابة مدة حبسها، وقدرها أربع سنين، وفيه أشياء أخرى لم يذكرها الطبري[1]، مما يدل على أن المسعودي قد نقل قصته هذه من مورد آخر، ولم يسر أبو حنيفة الديون إلى هذه القصة، وانما أشار إلى غزو آخر لليمن قام به الفرس، وذلك في أيام كيخسرو بن كيقاوس[2].

موارد تاريخ العرب قبل الإسلام[*]

وقد أدمج الطبري أكثر كلامه على العرب قبل الإسلام في طيات الأوراق التي دونها عن الفرس، خاصة في تأريخ المناذرة والغساسة، وأستند في أكثره إلى روايات ابن الكلبي وإلى روايات أخرى مستمدة من الكتب المترجمة عن الفارسية، ولم يفرد لهم فصولاً مستقلة إلا في موضوع «الحيرة والأنبار وما حوالي ذلك»[3] و«طسم وجديس»[4]ولم يكن كلامه على «الحيرة والانبار» في الواقع ألا كلاماً عاماً في مجئ العرب إلى العراق قبل الإسلام، وفي جذيمة الوضاح وقصة الزباء. وقد استهل مقدمته عن تأريخ الحيرة بقوله: «فحدثت عن هشام بن محمد، قال: لما مات بختنصر...»[5]، ثم أخذ يسرد ما روي عن هشام في هذا الباب. وقد توقف في مواضع علق عليها بقوله: «قال ابن الكلبي»، أو «قال هكذا وجد...» وأمثال ذلك مما يبعث على الظن أن الطبري وجد بعض الاختلاف في الموارد التي استقى منها هذه الروايات المروية عن ابن الكلبي والمنسوبة إليه، وبين مؤلفات لابن الكلبي كانت لديه، فأراد تنبيه القارئ على ذلك بتدوينه هذه الجمل. ودون بعضها في شرح موضع يحتاج إلى شرح، مثل قوله: «قال: هكذا وجد الشعر، ليس بتام، وكان ينبغي أن يكون البيت الثالث لقد كان كذا وكذا». قال هذه الكلمات عند إيراده أبياتاً قيلت على لسان عمرو

---

(١) المروج (١/ ١٩١ - ١٩٢).
(٢) الأخبار الطوال (ص١٥ وما بعدها).
(*) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي العدد ٣ لسنة ١٩٥٤ ص ١٦-٥٦
(٣) الطبري ٢/ ٢٧.
(٤) الطبري ٢/ ٣٨.
(٥) الطبري ٢/ ٢٧.

بن عدي وعمرو بن عبد الجن[1]. ثم عاد الطبري بعد ذلك إلى تتمة الحديث، ومثل قوله: «قال ابن الكلبي: كان أبو الزباء اتخذ النفق لها ولأختها، وكان الحصن لأختها في داخل مدينتها». وبعد أن ذكر هذه الملاحظة، عاد فقال: «قال: فقال عمرو: فأنت أبصر، فجدع قصير أنفه...». وقد كان الصواب تأجيل هذه الملاحظة إلى ما بعد الانتهاء من القصة، ولكن في طبع الطبري حرص العالم على تقديم كل ما عنده من علم إلى قرائه وان أخرجه ذلك عن سياق الحديث، وحمله على الإخلال بوحدة الموضوع وتقطيع الكلام قطعاً تفصل بينها هذه القواطع من التعليقات والشروح.

ويفعل الطبري ذلك حين يجد نفسه أمام جملة روايات تختلف بعضها عن بعض كل الاختلاف أو بعضه، فتراه يروي الرواية حتى إذا بلغ إلى موضع اختلف فيه، قطع الحديث، ليذكر موضع الاختلاف، مشيراً إلى ذلك بجمل، مثل قوله: «وأما... فقد قال..»، و«وذكر بعض أهل العلم...»، و«هذا قول... وأما... فقد...»، وأمثال ذلك. ثم يذكر بعد هذه الجمل ما اختلف فيه، حتى إذا انتهى منه عاد فأتم روايته الأولى. وتقطيع الكلام على هذه الصورة، وان روعي فيه اطلاع القارئ على أوجه الاختلاف وعلى ملاحظات الرواة أو المؤلف في مسألة أو كلمة مهمة، يفكك، كما قلت، الحديث، ويخل بوحدة الموضوع، ويربك القارئ، وقد يربك المؤلف نفسه فينسيه الأصل، ويحمله على الاهتمام بالفروع دون الأصول. والمنطق هو أن يستمر في سرد الرواية إلى النهاية، فإذا انتهى منها، أخذ في ذكر الروايات الأخرى أو ما اختلف فيه على هذا النسق، وبذلك يجد الباحث أمامه وثائق متعددة، يستطيع أن يكون منها لنفسه عن ذلك الموضوع وجهة نظر خاصة به.

وأقدم العرب في نظر الطبري والأخباريين، هم عاد وثمود وجديس وعبيل وجاسم وأميم وأمثالهم[2]، وقد نقل الطبري أخبارهم من السيرة النبوية لابن إسحاق. وبعض من ذكر، معروف مشهور، ورد اسمه في الكتابات، مثل ثمود الذين ذكروا في الكتابات الآشورية، ولدى الكتبة «الروم» و«الرومان»[3]، أما عاد، فلم يرد اسمهم في كتابة، إنما ذكرهم الجغرافي بطليموس، وهو أول من ذكرهم من «الكلاسيكيين». ويظن أن (Jodistae) (Jolistae) هم «جديس».

---

(١) الطبري ٢/ ٣٤.

(٢) الطبري: الدورة الأولى (ص٢١٣) طبعة ليدن.

(٣) جواد علي: العرب قبل الإسلام ١/ ٢٤٤ وما بعدها.

ومرجع الطبري في رواية أخبار هؤلاء، هشام بن الكلبي، وشيخ الطبري الحارث بن محمد الكوفي، وهذا عن شيخه محمد بن سعيد كاتب الواقدي ٢٣٠هـ البصري مصنف الطبقات والتأريخ[١]، شيخ ابن أبي الدنيا أبي بكر بن عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان الأموي مؤدب المعتضد ومن أصحاب المؤلفات في التأريخ[٢]، وشيخ الحسين بن فهم ٢٨٩هـ من العلماء بالأدب والأخبار والنسب والشعر[٣].

أما ابن الكلبي، فقد تحدثت سابقاً عنه وعن علمه بالأخبار، وهو وأبوه في طليعة من عنوا بجمع أخبار الجاهلية وتدوينها، ومن طريقهما عرفنا أموراً عن العرب قبل الإسلام لم يذكرها غيرهما من الأخباريين، بالرغم من نواحي الضعف التي تظهر عليهما، وبالرغم مما رميا به من الكذب والتزوير. والحق أننا نجد في رواياتهما، وخاصة روايات هشام، تناقضاً غريباً في بعض الأحيان يستغرب صدوره من رجل له علم ومعرفة وتمييز في الأمور. وينسب ابن الكلبي أشياء إلى التوراة وإلى رجال من أهل الكتاب لم ترد في التوراة، ولا يمكن صدورها من رجل له أقل علم أو إلمام بالتوراة من أهل الكتاب. وهي حاصل أحد أمرين: إما أنها أمور مفتراة وضعها ابن الكلبي لإظهار علمه ومعرفته بكل شيء، وأما أنها من وضع من أخذ عنهم ابن الكلبي، أخذها منهم من غير نقد ولا تمحيص ولا بحث عن صحتها. أما إذا كانت الحالة الثانية، فهو مقصر في روايتها كذلك، إذ كان عليه مراجعة أهل العلم من أهل الكتاب، والتأكد من صحة ما يقال له، والانتباه لمظاهر التناقض فيما قيل له تدوينه ونشره بين الناس.

ولم يذكر ابن النديم لمحمد بن السائب الكلبي والد هشام المعروف بابن الكلبي كتاباً غير كتاب تفسير القرآن[٤]، وهو تفسير ينظر إليه ثقات العلماء نظرة حذر وارتياب. وقد زعم ابن الكلبي أن أباه نقل علمه بأخبار العرب من المتخصصين المعروفين، فنقل علمه بنسب قريش من أبي صالح عن عقيل بن أبي طالب، وقد كان عقيل من أمهر المعروفين بنسب قريش، وأخذ نسب كندة عن أبي الكناس الكندي، وكان أعلم الناس بأخبار كندة، وأخذ أخبار معد بن عدنان عن النجار بن أوس العدواني، وكان من

---

(١) تذكرة الحفاظ ٢/ ١٢، الفهرست ص١٤٥.
(٢) تذكرة الحفاظ ٢/ ٢٢٤.
(٣) التذكرة ٢/ ٢٢٦.
(٤) الفهرست ١/ ٩٥ طبعة فلوكل.

أحفظ الناس، وروى علمه بنسب إياد عن عدي بن رثاث الإيادي، وكان عالماً بإياد[١].

وقد أحصى ابن النديم مؤلفات ابن الكلبي، فذكر فيها كتباً تتصل بموضوعنا، منها: كتاب من نقل من عاد وثمود والعماليق وجرهم وبني إسرائيل من العرب، وكتاب طسم وجديس، وكتاب عاد الأولى والآخرة، وكتاب تفرق عاد، وغيرها مما يدخل في صميم هذا الموضوع[٢]. وإذا كان الدهر قد أتى على هذه الكتب، فقد صعب تعيين التي أخذ الطبري منها هذه الأخبار.

وهناك شيخ آخر أخذ منه الطبري، أخبار عاد، وهو أبو كريب محمد بن العلاء الهمداني المحدث الكوفي وزعيم مدرسة الحديث في العراق. وقد حدث الطبري ببعض الأحاديث عن أخبار عاد[٣].

وأما هلاكهم وأخبار وفدهم إلى مكة، فقد أخذه من شيخه محمد بن حميد عن سلمة ابن الفضل عن ابن إسحاق، وقد زين هذه الأخبار بأبيات من الشعر المحفوظ من ذلك العهد[٤]، أدخله الطبري في تاريخه، وكذلك المسعودي. والظاهر أن المسعودي أخذه من السيرة بلا واسطة، فانه ذكر أبياتاً أهملها الطبري، وأعرض عن أبيات أثبتها الطبري، وبين النصين زيادة ونقصان في متن القصة[٥]. وأخذ الطبري من نسخة أخرى من السيرة النبوية لابن إسحاق، هي نسخة شيخه العباس بن الوليد من علماء الشام، وكان أبوه الوليد بن مسلم أبو العباس الأموي ١٩٥[٦] من مشاهير محدثي الشام. وقاسمه هذه الشهرة محدث آخر من أهل الشام هو إسماعيل بن عياش ١٨٢هـ، وهو من مشايخ العباس بن الوليد[٧]. وقد عرفا بأنهما اعلم أهل الشام برواية أهل الشام، وأنهما من كبار رجال الحديث في العالم الإسلامي.

كان الوليد بن مسلم[٨] ممن ألفوا في التواريخ، ونبغوا في حفظ المغازي، كما

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الفهرست ص١٤١.

(٣) الطبري، الدورة الأولى ص٢٣٢.

(٤) الطبري، الدورة الأولى، ص٢٣٦.

(٥) مروج الذهب ٢/ ٦١ فما بعدها، الطبري، الدورة الأولى ص٢٣٥ فما بعدها.

(٦) تذكرة الحفاظ ١/ ٢٧٩.

(٧) الطبري، الدورة الأولى ص٢٤٢.

(٨) ولد سنة ١١٩ للهجرة.

كان صاحب أحاديث في الملاحم، وكان من المؤلفين، قيل: إنه ألف سبعين كتاباً، وأخذ عنه مشاهير العلماء، مثل: الإمام أحمد بن حنبل، وابن المديني، وهشام بن عمار، وأبي خيثمة، وعلي بن محمد الطنافسي، وأمثالهم. وحصل ضريبه ومعاصره إسماعيل بن عياش على شهرة واسعة في بلاد الشام، فلم يمكن أحداً مزاحمتهما في علم الحديث في الشام، حتى قيل انه زاحم علماء العراق في رواية أحاديث العراقيين، وإنه أصبح في حديث أهل العراق في مقام وكيع بن الجراح. وقد وفد على المنصور فوكل إليه خزانة الثياب[1]. والظاهر أنه اتصل في هذه المدينة بابن إسحاق، فأخذ عنه السيرة والحديث، وربما أخذها في أثناء زيارة ابن إسحاق لبلاد الشام. ولذلك حدث بعض الاختلاف بين السيرة النبوية لابن إسحاق في رواية ابن حميد وبينها في رواية العباس ابن الوليد.

ولما كان القرآن الكريم هو الذي أثار قصة عاد وثمود على سبيل العظة، كان من الطبيعي أن يبحث المفسرون عن أمر هذه الأقوام، فكانت كتب التفسير من جملة المراجع التي رجع إليها الطبري، وهو نفسه من مشاهير المفسرين. وأما المرجع الذي رجع إليه، فهو تفسير السدي، أخذه عن محمد بن الحسين عن أحمد بن المفضل الحضري الكوفي[2] ومن تلامذة أسباط راوي تفسير السدي[3]. وأخذ أيضاً من شيخه محمد بن سهل بن عسكر الذي عرف بروايته أخبار وهب بن منبه، عن إسماعيل بن عبد الكريم، عن عبد الصمد[4].

ورجع الطبري إلى مشايخ آخرين في رواية أخبار ثمود فأخذ عن الحسن بن يحيى، عن عبد الرزاق، عن إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي، عن عبد العزيز بن رفيع[5]، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الشاعر الصحابي، وهو ممن شهدوا المعارك والأحداث التي وقعت في صدر الإسلام، لذلك كان من الرجال الذين أخذت عنهم الأخبار[6].

---

(١) تذكرة الحفاظ ١/ ٢٣٣.
(٢) الطبري، الدورة الأولى ص٢٤٢، لسان الميزان ١/ ٧٤.
(٣) الطبري الدورة الأولى ص٢٤٣.
(٤) الطبري الدورة الأولى ص٢٤٤.
(٥) طبقات ابن سعد ٦/ ٢٥٧.
(٦) أسد الغابة ٥/ ٢٣٤.

كما أخذ عن القاسم بن الحسن الراوي[١] شيخ الطبري، عن الحسين بن داوود[٢]، عن حجاج بن محمد أبي محمد المصيص الأعور المتوفي سنة ٢٠٦هـ مولى أبي جعفر المنصور، وهو من تلامذة ابن جريج ومن رواة كتبه، وقد سمع تفسير ابن جريج إملاء منه، وكان من أشهر من نشر علم ابن جريج في البصرة[٣]، عن أبي بكر بن عبد الرحمن، عن شهر بن حوشب، عن عمرو بن خارجة بن قيس بن مالك الأنصاري[٤].

والظاهر أن الطبري قد أخذ هذه الرواية المنسوبة إلى الرسول ﷺ عن قوم ثمود، وكذلك الرواية التي تليها وتقف عند ابن جريج، من تفسير ابن جريج الذي كان قد دونه حجاج بن محمد، وكان له قراء في البصرة. وفي هذين الخبرين والأخبار الأخرى ثلاثة نماذج[٥] هي وان كانت قصيرة ألا أنها قد تصور فكرة عن طريقة التفسير التي سار عليها ابن جريج المتأثر بمدرسة ابن عباس.

وأما أخبار عرب العراق وعلاقات الفرس بالعرب، فقد اعتمد الطبري فيها على ابن الكلبي، اعتمد على كتبه في الغالب ونقل منها. فهذا حديث الرائش بن قيس بن صيفي نقله من كتاب من كتب ابن الكلبي، وابن الكلبي في الواقع هو مرجع كل المؤرخين في هذه الأمور. والظاهر أن المسعودي لم يأخذ تواريخ اليمن من المرجع الذي نقل منه الطبري، بل اعتمد على مراجع أخرى، منها: كتب الهيثم بن عدي أبي عبد الرحمن ٢٠٧هـ، وهو عالم مشهور بالشعر والأخبار والأنساب، ألا أنه كان من المتحاملين على العرب ومن حاملي لواء الشعوبية، ألف كتباً عدة في مثالب القبائل، حتى في مثالب قبائل قريش. ومن بين الكتب التي ألفها الهيثم بن عدي كتب تبحث في تأريخ العجم والعرب، مثل: كتاب تأريخ العجم وبني أمية، وكتاب أخبار الفرس. ولا بد أن يكون لكتابه الذي ألفه في التأريخ العام على السنين[٦] وسبق كتاب الطبري بالطبع شأن كبير، ولا بد أن يكون المسعودي قد نقل من هذه الكتب. أما الطبري فلم يقتبس

---

(١) الطبري، الدورة الأولى ص٢٤٥.

(٢) الطبري، الدورة الأولى (ص٢٣، ٣٧، ٣٨، ٧٥، ٧٩، ٨٠، ٩٦، ٩٩، ١٠٧، ١١٦) ومواضع أخرى، راجع فهرست الطبري ص١٣٧.

(٣) تذكرة الحفاظ ١/ ٣١٥.

(٤) أسد الغابة ٤/ ١٠٢.

(٥) الطبري، الدورة الأولى ص٢٤٧.

(٦) الفهرست ص١٤٥.

منها في تأريخ العراق أو اليمن شيئاً، وإنما اقتبس منه حديثاً عن الطوفان. والظاهر أنه أخذه من كتاب من كتبه بلا واسطة، لأنه لم يذكر السند، بل اكتفى بقوله: «وحدث الهيثم بن عدي عن بعض أهل الكتب»[1]. ولعل هذا الكتاب الذي نقل منه، هو كتاب هبوط آدم وافراق العرب في نزولها منازلها، أو كتاب التأريخ، ثم اقتبس منه بعد ذلك في تأريخ الإسلام.

ومرجع المؤرخين في تأريخ الحيرة، هو هشام بن الكلبي، ما في ذلك شك، فهو أعلم الرواة بهذا الموضوع. وكان من المنقبين الباحثين عن تأريخ الحيرة، فكان يذهب إلى الكنائس والديارت والبيع يستخرج منها أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمارهم وغير ذلك[2]. وهو وان كان متهماً بالكذب والتدليس قد دلت البحوث الحديثة على إن من اتهمه لم يكن على حق في كل ما ذهب إليه، وأنه كان يجهد نفسه ويحرص على تتبع الحقائق والأخبار[3]. ولا بد ان يكون لـ «كتاب أخذ كسرى رهن العرب» و«كتاب عدي بن زيد العبادي» و«كتاب الحيرة» و«كتاب الحيرة وتسمية البيع والديارات ونسب العباديين» و«كتاب المنذر ملك العرب» وكتب أخرى ذكرها ابن النديم[4] علاقة بهذا القسم.

تفرد ابن الكلبي زعيم رواة الكوفة بإخبار الحيرة وملوك الفرس، وتفردت الكوفة بأخبار العراق قبل الإسلام، ولولا جهود ابن الكلبي ما كان للكوفة في الواقع فضل في هذا الباب، ولانطمست هذه المعلومات التي وردت في الكتب عن تأريخ العرب القديم. وهي لا تكون غير نسبة ضئيلة مما ذهب به الدهر من أخبار هذه الأسرة. وقد أسهم في الغالب نفر من الرواة من أهل الكوفة في رواية أخبار أيام الحيرة المتأخرة منذ معركة ذي قار، أو قبل ذلك بقليل، ونجد رواياتهم مسجلة في تأريخ الطبري وفي الكتب الأخرى.

تركت وقعة ذي قار أثراً كبيراً في أهل جزيرة العرب، ولاسيما أهل الحجاز الذين كانوا يبغضون الفرس ويميلون إلى ا لروم بحكم علاقاتهم التجارية بهم، كما كان لانتصار الفرس على الروم قبل ذلك صدى سيء جداً في محافل الحجاز. ونجد صدى

---

(١) الطبري، الدورة الأولى ص١٠٧٢.

(٢) الطبري ٢/ ٣٧ الطبعة المصرية.

(٣) Ency, Vol, 2,B, 689.

(٤) الفهرست ص١٤٢.

ذلك الاستياء في الروايات التي دونها الطبري عن هذه الحادثة، وهي ترجع إلى عكرمة ١٠٥هـ[١]، أخذها الطبري من القاسم بن الحسن: والظاهر أنه أخذ ذلك من تفسير عكرمة رواية أبي بكر بن عبد الله[٢]، وأخذها من أبي عبيدة معمر بن المثنى ومن ابن الكلبي. وقد نقل ابن الكلبي شيئاً من أخباره عن هذه المعركة من إسحاق ابن الجصاص[٣]، ومن «كتاب حماد» وقد سمع بعضه من أبيه محمد بن السائب الكلبي. وذكر أبو الفرج الأصبهاني الروايتين: رواية ابن الكلبي، ورواية الأصمعي. أخذ رواية الكلبي عن علي بن سليمان الاخفش ٣١٥هـ[٤]، وكان إلى علمه بالنحو حافظاً للأخبار، روى عن السكري أبي سعيد بن الحسين ٢٧٥هـ أحد رواة محمد بن حبيب ٢٤٥هـ من مشاهير الأخباريين ورجال الأدب، وأخذ رواية الأصمعي عن الاثرم وهو أيضاً من مشاهير الأدباء[٥].

أما رواية أبي عبيدة، فلم يشر الطبري إلى السند الذي أخذ منه، غير أن الأصبهاني أشار إليه فذكر اسمه، وهو الاثرم علي بن المغيرة راوية أبي عبيدة[٦]. وكان من زملاء أبي عبيدة القاسم بن سلام وأبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني وعمر بن شبة، وكلهم من زعماء مدرسة الأدب، ومن رواة أبي عبيدة[٧]. ومن المؤلفين في الأدب والأخبار والتاريخ. ويظهر من مقابلة متن تأريخ الطبري عن معركة ذي قار بمتن الأغاني عن هذه المعركة أن الكتابين قد استمدا من مرجع واحد. فالعبارات واحدة، غير أن صاحب الأغاني ذكر السند. أما الطبري، فقد تساهل فيه. وأما سند صاحب الأغاني، فهو: علي بن سليمان الاخفش، عن السكري، عن محمد بن حبيب، عن هشام بن الكلبي، عن أبيه[٨]. والحسن بن علي، عن محمد بن القاسم بن مهرويه، عن علي بن

(١) الطبري ١/ ١٤٢ الطبعة المصرية.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) الطبري ٢/ ١٤٦ طبعة مصر.
(٤) الفهرست ص١٢٣، وفيات الأعيان ١/ ٤١٨.
(٥) الفهرست ص١٠٦ طبعة فلوكل، إرشاد الأريب ٦/ ٤٧٣ فما بعدها، بغية الوعاة ص٢٩، تأريخ بغداد ٢/ ٢٧٧. Brocklemann, Suppl Vol, 1,B,165
(٦) الأغاني ٢٠/ ١٣٢.
(٧) راجع ترجمة أبي عبيدة في إرشاد الأريب ٦/ ٤٧٣، وتهذيب التهذيب: مادة محمد بن عبد الملك ابن قريب الأصمعي.
(٨) الأغاني ٢/ ١٧.

الصباح، عن هشام بن الكلبي، عن أبيه[١]. وعن أبي الفرج، عن ابن سعيد، عن علي بن الصباح، عن هشام ابن الكلبي، عن أبيه والشرقي بن القطامي[٢]. ومن الرجال الذين استند إليهم ابن الكلبي أبوه محمد بن السائب الكلبي وحماد الرواية الزبرقان، وهما من مشاهير رواة الكوفة ومن أصحاب الأخبار. وقد زعم ابن النديم أنه لم يرد لحماد كتاب[٣]. غير أن الطبري يشير إلى أنه كان صاحب كتاب، وأن ابن الكلبي أخذ أخبار معركة ذي قار من كتاب حماد. وكذلك والده محمد بن السائب الكلبي[٤]. والظاهر أن كتبه قد أتى عليها الدهر، فلم يصل منها شيء إلى أيام ابن النديم.

ولم يستفد الطبري من مؤلفات حماد ولا من رواياته كثيراً، فلم يرد لحماد ذكر في هذا الكتاب الضخم الآمرتين: مرة في الموضع الذي أشرنا إليه، ومرة أخرى في مطلع تأريخ الحيرة حيث أتى على نسب أهل الحيرة وعرب الانبار. وبعد ان أنهاه، وقد أخذه من كتب ابن الكلبي، قال: «وهذا قول مضر وحماد الراوية، وهو باطل»[٥] لعله فعل ذلك، لما عرفه عن حماد من الوضع والمجون، وكذلك لم يذكر ضريبه حماد عجرد ألا في موضعين لا أهمية لهما، فذكر له بيتاً في مساور بن سواد الجرمي صاحب شرطة الكوفة[٦]، وذكره مرة في جماعة الزنادقة والمجان الذين أرسلهم المنصور إلى البصرة مع محمد بن أبي العباس، ثم ذكر له بيتاً من الشعر[٧]. ولم يحظ حماد بن الزبرقان حتى بهذا النصيب اليسير من الذكر.

والطبري في إعراضه عن حماد الرواية على العكس من أبي الفرج الأصبهاني ٣٥٦هـ، فانه دون كثيراً من أخباره في تضاعيف كتاب الأغاني، ويظهر من اعتماد ابن الكلبي وأبي عبيدة معمر بن المثنى على تدوين حماد أخبار عدي بن زيد ومعركة ذي قار، ومن إشارة الطبري إلى أن ابن الكلبي قد نقل من كتاب حماد - أن حماداً قد ألف في هذا الموضوع، وأن كتابه كان مصدراً للطبري. ولكنه لم يذكر اسمه، كما أنه لم

(١) الأغاني ٢/ ٢٩.
(٢) الأغاني ٢/ ٢٩ و٢/ ٩٧ طبعة دار الكتب المصرية.
(٣) الفهرست ١٣٤ - ١٣٥.
(٤) الطبري ٢/ ١٤٦ الطبعة المصرية. الدورة الأولى ص١٠١٦ طبعة أوربة.
(٥) الطبري، الدورة الأولى ص٧٤٨.
(٦) الطبري، الدورة الثالثة ص٣٧٧.
(٧) الطبري الدورة الأولى ص٤٢٢.

يذكر الراوي الذي نقل منه، وذلك مما يشعرك بأنه نقل من كتب أبي عبيدة بلا واسطة، وهو رواية حماد، كما نقل من كتب ابن الكلبي كذلك، وهو من رواة حماد أيضاً، ولتطابق الروايتين: رواية أبي عبيدة، ورواية ابن الكلبي، يكون مرجع الكتابين «كتاب حماد». ولإسحاق بن الجصاص روايات كثيرة في كتاب الأغاني، وهو من مشايخ ابن الكلبي، وكان صاحب علم بالأخبار والأنساب، ومع ذلك لم يرد اسمه غير مرة واحدة في تأريخ الطبري في هذا الموضع[1].

ذكرنا أن الأصبهاني قد نقل رواية ابن الكلبي من الاخفش الصغير علي بن سليمان، وسنده في ذلك السكري أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله النحوي ٢٧٥هـ[2]. وهو راوية عمر بن شبة المؤرخ الشهير الذي ألف كتباً عدة في التأريخ، ورئيس مدرسة البصرة في الأخبار. ومحمد بن حبيب ٢٤٥هـ راوية ابن الكلبي، ومن رؤساء مدرسة الأدب في البصرة وصاحب مؤلفات في هذا الباب، وكان من رواة ابن الكلبي، وابن الأعرابي أبو عبد الله محمد بن زياد ٢٣١هـ[3]، وقطرب أبو علي محمد بن المستنير ٢٠٦هـ[4] من علماء الأدب واللغة، وأبو عبيدة، وأبو اليقظان سحيم بن حفص ١٩٠هـ من علماء الأخبار والأنساب[5].

وترجع رواية ابن حبيب عن معركة ذي قار وخبر عدي بن زيد إلى ابن الكلبي وابن الأعرابي، والظاهر أن ابن الأعرابي قد أخذ روايته من ابن الكلبي نفسه، لأنه كان في جملة الرواة الآخذين منه، وابن الأعرابي من رجال هذه المدرسة التي عرفت بمدرسة الكوفة. وكان من مؤسسيها الحمادون الثلاثة والكلبي وأبنه والضبي والكسائي وآخرون ممن ترد أسماؤهم في الكتب. وقد روى عنه إبراهيم الحربي وأبو العباس ثعلب وابن السكيت[6] ومحمد بن حبيب وآخرون. وكان مملياً يملي والطلاب يكتبون عنه حتى بلغت أماليه ما يحمل على أجمال. وهو نفسه صاحب مؤلفات ذكرها ابن خلكان[7].

---

(١) الطبري ٢/ ١٤٦، الدورة الأولى ص١٠١٦.
(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٢٩٦.
(٣) زيدان: آداب اللغة العربية ٢/ ١٢٥.
(٤) الفهرست ص٨٧.
(٥) الفهرست ص١٣٨.
(٦) وفيات الأعيان ١/ ٦٢٣.
(٧) وفيات الأعيان ١/ ٦٢٣، الفهرست ص١٣٨.

ومع كتبه المهمة لم يذكره الطبري ألا في موضعين: مرة في خبر عن أبي تواس يظهر أنه أخذه من كتاب من كتب ابن الأعرابي حيث روى كيف خلص الفضل بن الربيع أبا نواس بن تهمة الزندقة[١]، ومرة أخرى ذكر فيها وفاته في حوادث سنة ٢٣١هـ[٢].

وقد أخذ أبو الفرج الخورنق من جملة أفواه: أخذها من إبراهيم بن السري عن أبيه، والسري مرجع مهم من مراجع الطبري، وكان الطبري يكاتبه ويراسله. وهو يروي عن شعيب عن سيف بن عمر الأسدي المؤرخ الشهير الذي فضله الطبري حتى على الواقدي في أخبار الردة والأحداث التي وقعت في الإسلام. وأخذها عن الحسن بن علي، عن الحارث بن محمد، وهو شيخ الطبري ومن رواة محمد بن سعد كاتب الواقدي عن الواقدي. وأخذها من كتاب المغتالين رواية علي بن سليمان الاخفش، عن السكري، عن محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابي، عن الفضل الضبي، وهشام بن الكلبي عن أبيه وإسحاق بن الجصاص الكوفيين[٣].

وقد ذكر المفضل الضبي في طبعتين من طبعات الأغاني باسم المفضل بن سلمة الضبي، وهذا خطأ، إذ لا يعقل أن يكون المفضل بن سلمة هو المقصود، لأنه لم يمكن أن يروي ابن الأعرابي المتوفي سنة ٢٣١هـ عن المفضل بن سلمة الضبي المتوفي بعد سنة ٢٩٠ للهجرة[٤]. وإنما المقصود هو المفضل بن محمد بن يعلى أبو العباس الضبي صاحب المفضليات المتوفي بين سنتي ١٦٤ - ١٨٠هـ[٥]، وكان ابن الأعرابي من رواته، وهو الذي روى عنه المفضليات. وتعد نسخته أصح نسخة لهذا الكتاب[٦]. والمفضل بن محمد الضبي شخصية معروفة في تأريخ الطبري، فله في هذا الكتاب روايات، وقد جاء أسمه في ٢٦ موضعاً منه، كما أن أباه محمد بن يعلى من

---

(١) الطبري، الدورة الثالثة ١٣٥٧.
(٢) الطبري، الدورة الثالثة ص٩٧٢.
(٣) الأغاني ٢/ ١٤٠ طبعة دار الكتب المصرية، ٢/ ٣٥ طبعة مطبعة التقدم.
(٤) إرشاد الأريب ٧/ ١٧٠، الفهرست ص١٠٩، بغية الوعاة ص٣٩٦.
Brocklemann, Supl, 1,s181,c,a,Storey, Leyden 1915.
(٥) عن المفضل راجع: الفهرست ص١٠٢، زيدان: تأريخ آداب اللغة العربية ٢/ ١٠٦، من كتبه: الاختيارات، ويقال له المفضليات، طبع في مدينة لايبزك بألمانية، وطبعه «لايل» الانكليزي. وطبع بمصر، وترجم أيضاً، والأمثال طبع في الآستانة سنة ١٨٨٢م.
(٦) الأغاني ١٧/ ١٠٩، تأريخ بغداد ١٢/ ١٣١، إرشاد الأريب ٧/ ١٧١ فما بعدها، بغية الوعاة ص٣٩٦، المزهر ٢٦٦.

الشخصيات المعروفة كذلك فقد ورد اسمه في مواضع عدة منه. وقد اتخذ الطبري أخباره سنداً عن الحوادث والحروب التي وقعت في خراسان ما بين سنة ٣٠ وسنة ٩٠ للهجرة(١)، وهو من قبيلة ضبة العربية. ويظهر أن هذه القبيلة كانت قد ذهبت مع جيوش الفتح إلى تلك المنطقة، ثم استقر قسم منها هنالك، ولعل ولادة المفضل كانت في هذا الإقليم حيث كان أبوه يتولى منصباً من مناصب الدولة(٢). وكان يعلى جد المفضل والياً على الري في أيام الحجاج ٧٠ - ٧٥هـ، وبعد ذلك ولي اصبهان.

أما مولد المفضل، فلا نعرف تأريخه، الظاهر أنه قضى قسماً كبيراً من عمره في الكوفة، وكان هواه في آل علي بن أبي طالب، فلذلك شارك في الثورة التي قام بها إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، فظفر به المنصور فعفا عنه وألزمه المهدي، وللمهدي عمل الأشعار المختارة المسماة المفضليات، وهي مئة وعشرون قصيدة، وقد تزيد وتنقص، وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواية عنه(٣). وذهب مع ركب المهدي لزيارة خراسان(٤).

فالمفضل، كما رأيت، رجل من أسرة عربية عريقة أسهمت في السيرة السياسية، وأسهم هو في هذه السيرة. فهو إذا تحدث كان شاهد عيان في حوادث أيامه وفي أخبار خراسان والري، وإذا تكلم على شعراء الجاهلية كان كلامه كلام رجل ثقة في هذه الأمور، وقد كان مرجعاً للمدائني علي بن محمد أبي الحسن ٢٢٥هـ(٥) المؤرخ الشهير واعرف المؤرخين بأنباء خراسان.

حصلت الكوفة في العهد الأموي وفي صدر الدولة العباسية على شهرة واسعة في علم الأدب واللغة والتأريخ وفي الحديث والتفسير والفقه، ولم ينافسها في ذلك العهد غير البصرة. وكانت الكوفة والبصرة مركزين لتجمع الجيوش العربية التي فتحت العراق

---

(١) الطبري، الدورة الأولى ص٩٧٣، ٢٩٠٢ الدورة الثانية ص١٣١٣ Lyall, vol, 2,p,xl.

(٢) Lyall,vol,2,p,xl.

(٣) الفهرست ص١٢.

(٤) Lyall,p,xl.

(٥) عن المدائني راجع تاريخ بغداد ١٢/ ٥٤، إرشاد الأريب ٥/ ٣٠٩، لسان الميزان ٤/ ٢٥٤، مات سنة ٢١٥ أو ٢٢٥هـ ص١٤٧، مات سنة ٢٢٤هـ أو ٢٢٥هـ لسان الميزان ٤/ ٢٥٤. عند بروكلمن توفي بعد سنة ٢٣٥هـ، وهذا خطأ اعتقد أنه خطأ مطبعي. راجع Brocklemann, Suppl,1,s,1. وقد ذكر أسماء كتبه وما تبقى منها.

وإيران وما وراء ذلك، وقد جلبت إليهما هذه الميزة وميزة أخرى هي وقوعهما على سيف الصحراء وعلى الطرق التجارية القديمة للمدينتين، الثروة والرخاء، والمشايخ والطبقة الارستقراطية التي قامت في هذين المكانين حيث تجمعت البداوة والحضارة في صعيد واحد، فظهرت بيوت الأشراف تخدمها أيد كثيرة من الموالي والخدم.

ولحماية أبناء هذه الطبقة الارستقراطية من غزو العامية وتأثير اللهجات المحلية في اللسان العربي، ولترديد ذكريات الأيام الماضية، ولأسباب أخرى، ظهرت علوم اللسان وعلوم الدين في هذين المكانين. وكان منابعها الطبقة العربية الأصيلة، وحملتها وحفظتها أتباعها الموالي الذين قاموا بالوظائف التي تقوم بها السجلات أو المدونات، فكانوا يحفظون ما يقال لهم ويختزنون في أذهانهم ما يسمعونه من أخبار. ولما نفقت هذه التجارة ووجدت لها أسواقاً رابحة ومكاسب دارة، قربت هذه الطبقة من السلطان وأصحاب الجاه، وجلبت لهم الرزق والعيش والثروة والوظائف المناسبة في الحكومة، فأستبق من أوتي حظاً من الذكاء وقوة في ملكة الحافظة إلى الصحراء وإلى المسنين والصحابة في كل مكان يلتمسون منهم حديثاً وقصة وشعراً، فبقدر حظ حفظ الراوي كان يقدر حظه ونصيبه في الحياة. أجل، يلتمسون خبراً ولو كان غير صحيح، فهم طلاب أخبار وبائعوا أخبار، أصحاب سلعة. ولما كان للغرابة وتنوع البضاعة مقام في عرف تجار السوق وأصحاب المعارض، وكان لتنظيم العرض وتزويق ظواهر المحل دخل في التأثير في نفسية المشتري، أصبح من هم باعة الأخبار الأغراب في الحديث والتنميق في الكلام والإتيان بالغريب وبكلام الأعراب وأحوالهم، فقد أصبح من الطرائف بالنسبة للمستقرين، فكان الخبر الطريف الذي ينال الرضى والقبول من الخليفة أو الأمير أو الوالي أو الشيخ أو الثري قد يأتي لصاحبه بثروة لا يمكن أن يحلم بها الإنسان العامي طوال حياته، ثروة تضمن عيشاً رغداً له ولأفراد أسرته أمداً طويلاً، ومنصباً قد يجعله من أقرب الناس إلى أصحاب الحكم والسلطان والجاه، وضياعاً تكون ثروة للراوي مدة طويلة.

إن هذه التجارة المفرطة الأرباح، وقد تأتي بربح نسبي لا يمكن أن يحصل عليه من أصيلة ضخمة[1]، هذه التي قد تقلب حياة الإنسان رأساً على عقب وتجعل من الفقير المعدم رجلاً غنياً صاحب جاه عريض وأملاك وأموال وجوار، حفزت همم

---

(١) نريد بالأصيلة ما يقال له «رأس المال» عند الاقتصاديين.

الذين خانهم عرقهم أن يتسنموا المناصب العالية، ومنعهم نسبهم عن الوصول إلى صدور المجالس حيث يجلس الخليفة أو السلطان أو الأمر على بسط وفرش وثيرة قد يغطس فيها، ومن دون أصحاب المراتب على تناسب درجاتهم. إن هذا النظام الاجتماعي والاقتصادي حث هؤلاء وأمثالهم على تسقط الأخبار وشحذ القرائح وترويض العقل على الحفظ واستيعاب الأقوال حتى بلغت الحافظة عند بعضهم حداً خرجت فيه عن حدود المعقول، وحتى روى الرواة من الأمثلة من حفظ طائفة من الرواة ما يعد عندنا من قبيل المبالغة والتهويل.

وبالجملة، فقد دفعت تجارة «الحفظ» و«الرواية» الرواة إلى غش البضاعة والمتاجرة في «السوق السوداء» والتزوير، فعلوا كل ذلك طلباً للمال، فظهرت قصائد قيل فيها إنها جاهلية عريقة أصيلة لا لبس في أصلها ولا شك، مع أنها كانت بنت العصر أو الساعة كما يقول المثل، ومن وحي الربح المادي، على أنها من أبدع ما أخرجه الفن ومن أجمل فنون القول، ولو نسبت إلى صاحبها الاصلي لجعلته من المخلدين. ولقائل أن يقول بعد ذلك: لم هذا الغش إذن والقصيدة درة من الدرر، ترفع من شأن صاحبها وترفع من منزلته؟ ولم وضع حماد الرواية وخلف الأحمر وحماد بن الزبرقان وحماد عجرد وأمثالهم على الشعراء القدماء ولم ينسبوه إلى أنفسهم، مع أن فيما وضعوه ما يرفعهم إلى مصاف أعظم الشعراء؟ ولكن هل علم القائل أن دور التجارة الكبرى قد تنحل الأسماء، وتختار من العناوين ما هو قديم وبعيد أو غريب لبضاعة هي من أحسن ما نتجه المعامل أو الأيد؟ وأن التجارة تفعل ذلك لأن المشتري يحب أن يسمع بالغريب، ويحب يزهو بالقديم، وأن يتحدث عن الشيء الغريب؟ وأن أصحاب الثروة بطرون يستسيغون شعر المناسبات ويثيبون عليه، فينتظر الشاعر مناسبة منها لينال ذلك الحظ؟ أما الرواية، فالمناسبات مهيأة له، والحظ متيسر في كل وقت، فقد يخطر ببال الخليفة خاطر من تفسير كلمة أو بيت أو إمتاع نفسه بسماع قصيدة قديمة أو كلام غريب، فيبعث بطلب الرواة ولو كانوا في أقصى الأقطار.

فحماد الرواية يطلبه الخليفة من العراق وهو في الشام لسماع أعجاز أبيات عجز الرواة عن معرفة قائليها، والأصمعي يطلبه الخليفة من البصرة لاستعلامه شيئاً من الأدب، وهناك أمثلة أخرى تريك كيف الخلفاء والملوك كانوا يطلبون الرواة على حين أن الشاعر كان هو الذي يطرق في الغالب أبواب القصور.

لقد كانت الكوفة أكثر نشاطاً من البصرة في تأريخ العرب الجاهلي في الأدب، وقد يكون لقربها من الحيرة التي كانت مركزاً مقصوداً من الشعراء ومحطة ذات خطر في السياسة العربية دخل في ذلك، فقد كانت مفتاح شبه الجزيرة ومركز تجمع للجيوش التي تريد تأديب الأعراب أو غزو العراق، ولذلك كان لرواتها الفواق إلى أن قويت مدرسة بغداد، ففاقت المدرستين، وجمعت بين خصائص البصرة والكوفة.

إن الأخفش الصغير علي بن سليمان، هو الشيخ الذي استند إليه الأصبهاني في رواياته عن المفضل الضبي[١]. والأخفش الصغير نفسه علم من أعلام الأدب. وقد روى عن السكري، عن محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابي راوية الضبي.

أما سند الطبري، فقد كان عالماً من مشاهير علماء التاريخ، هو عمر بن شبة بن عبيدة بن ريطة أبو زيد البصري ٢٦٢هـ[٢] من كبار علماء البصرة بالتأريخ، وله فيه مؤلفات مهمة بلغت ٢٢ مؤلفاً على حسب رواية ابن النديم[٣].

أخذ ابن شبة من مشاهير علماء زمانه من أهل البصرة وغيرهم من رجال يمثلون مختلف فروع المعرفة والثقافة في ذلك العهد، أمثال: ابن مهدي والطيالسي والقطان في الحديث، والأصمعي في التأريخ والأدب، وعلي بن محمد المدائني في التاريخ، كما روى عنه عدد وافر من العلماء أمثال: ابن ماجه[٤]، وأحمد بن يحيى ثعلب النحوي الشهير ٢٩١هـ[٥]، وأحمد بن يحيى البلاذري الشهير ٢٧٩هـ صاحب كتاب «فتوح البلدان» «وأنساب الأشراف»، وابن أبي الدنيا أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد مولى قريش ٢٨١هـ[٦] وكان قد عهد إليه بتربية المعتضد وعدد من أولاد الخلفاء وهو صاحب مؤلفات كثيرة، وأبي العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران الثقفي السراج

---

(١) توفي سنة ٣١٥ أو ٣١٦هـ وفيات الأعيان ١/ ٤١٨ ذكر له من الكتب كتاب المغتالين. الأغاني ٢/ ٣٧، أعتقد أنه رواية لكتاب محمد بن حبيب أخذها عن السكري رواية ابن حبيب. والأغاني ٦/ ٣٩، و٩/ ١٠١ ذكر الآمدي له كتاباً آخر سماه «الأمالي». المؤتلف ص١٢٨.

(٢) وفيات الأعيان ١/ ٤٧٨، ابن حجر التهذيب ٧/ ٤٦٠، السيوطي: بغية الوعاة ص٣٦١، المزهر ٢/ ٢٦٧، زهر الآداب ٣/ ٩٧ إرشاد الأريب ٦/ ٤٨١. Brocklemann, suppl, 1,s,209.

(٣) الفهرست ص١٦٣.

(٤) Brocklemann,Suppl,t,s,279.

(٥) الفهرست ٧٤، إرشاد ٢/ ١٣٣ وما بعدها.

(٦) ذكر أسماء كتبه ابن النديم، وأكثرها في الأخلاق والزهد. الفهرست ١/ ٢٦٢، زيدان: آداب ٢/ ١٧٢، وطبعت بعض كتبه، فوات الوفيات ١/ ٢٣٦، ولد سنة ٢٠٨هـ. تذكرة الحفاظ ٢/ ٢٢٤.

٣١٣هـ[١]، وهو شيخ خراسان في الحديث والتاريخ، له مسند في الحديث وكتب في التأريخ، وقد نقل منه البخاري في كتابه في التأريخ. وكان الطبري في جملة من روى عنه، وقد اعتمد عليه في كل أقسام كتابه قبل الإسلام وبعده، وورد اسمه عنده أكثر من مئة مرة[٢]، وقد قرأ كتبه ونقل منها.

ويعتمد ابن شبة على علي بن محمد بن عبد الله بن أبي يوسف المدائني ٢٢٥هـ[٣] المؤرخ الشهير، وكان من العارفين بأخبار العرب والأنساب والمغازي والفتوح، ولاسيما فتوح خراسان، وقد تخرجت عليه طبقة من مشاهير الاخباريين والمؤرخين، أمثال: الزبير بن بكار، وأبن أبي خيثمة، وأحمد بن الحارث الخزاز، والحارث بن أبي أسامة، وأمثالهم[٤].

ورجع المدائني في أخبار خراسان إلى المفضل الضبي حيث روى عن جده وأبيه. وسأتحدث عن ابن شبة والمدائني في القسم الخاص بتاريخ الإسلام.

لقد كان جل اعتماد الطبري في أخبار العرب قبل الإسلام على مؤلفات ابن الكلبي. ولما كانت عناية ابن الكلبي موجهة نحو تأريخ الفرس وتاريخ ا لحيرة، اتجه الطبري هذا الاتجاه، فجاء بتفصيلات وأخبار قلما نعثر عليها في الكتب التاريخية الأخرى. ولما كان ابن الكلبي لم يوجه عنايته نحو تاريخ الشام قبل الإسلام ولا إلى تأريخ الروم إلا بقدر ما لهذا التاريخ من صلة بتاريخ الفرس والعراق، بان ذلك على تأريخ الطبري، ولذلك لا تكاد تجد للغساسنة مكاناً في كتابه مع أنهم كانوا مثل المناذرة في العراق أصحاب إمارة ومكانة عظيمة في تأريخ العرب في الشام.

ولهم يهتم المؤرخين الآخرين بتأريخ الغساسنة اهتماماً يذكر، ولو كانوا أحسن حالاً من الطبري بكثير. فما ورد عند ابن قتيبة أو اليعقوبي أو المسعودي أو حمزة الأصبهاني وأن كان شيئاً كثيراً بالنسبة إلى ما جاء في تأريخ الطبري الذي كاد يسكت عنهم، ألا ان ذلك لا يكاد يكون شيئاً بالنسبة إلى ما يجب أن يكتب عنهم. فكل ما جاء في هذه الكتب قوائم بأسماء الملوك مع تفصيلات يسيرة. غير ان من حسن الحظ أن

---

(١) تذكرة الحفاظ ٢/ ٢٧٠، ولد سنة ٢١٦هـ أو ٢١٨هـ.

(٢) راجع فهرست الطبري ترتيب دي غويه ص٤٠٨.

(٣) راجع ترجمة المدائني في إرشاد الاريب ٥/ ٣٠٩، له كتاب كبير في تأريخ الدولة العباسية، قيل له: «كتاب الدولة العباسية».

(٤) تاريخ بغداد ١٢/ ٥٤، إرشاد ٥/ ٣٠٩ وما بعدها، الفهرست ١٠١.

نجد جماعة من المؤرخين الأجانب أمثال «ملالا» Malals [(١)] وبوكوبيوس «Brocopius»[(٢)] و«ثيوفانس» «Theophanes»[(٣)] قد تعرضوا لتاريخ عرب الشام، وكتبوا فيه، وألقوا بصيصاً من النور على تأريخ العرب المظلم في الشام قبل الإسلام، ومع هذا لا نستطيع أن نقول إننا قادرون أن نتحدث عن تأريخ منظم للعرب في الشام قبل الإسلام. وإذا أردنا أن نتحدث بكلام علمي صحيح، نقول: إننا لا نستطيع حتى الآن أن نقول إننا قد تمكنا من الاطلاع على تأريخ العرب قبل الإسلام، بل في كل شبه جزيرة العرب وفي ضمن ذلك العراق، لا في الشام وحده.

وأما تاريخ العرب في اليمن، فأكثره من قبيل القصص الشعبي، وهذا هو الذي يلفت نظر المؤرخ الحديث ويبعث على الأسف في الوقت نفسه. فالنصوص المدونة التي عثر عليها السياح في اليمن وفي جنوب بلاد العرب، تتحدث كلها عن ثقافة عالية وحضارة مزدهرة، كما أنها تتكلم على تاريخ منتظم إلى قبيل ظهور الإسلام، فكيف اختفى ذلك التاريخ فجأة؟ وكيف تجاهل عرب اليمن أمر تلك النصوص وتلك الكتابات، ونسوا حتى الحروف الهجائية التي دونوا بها إلى قبيل ظهور الإسلام بقليل؟ لو لم يكن لأهل اليمن هذه النصوص المدونة التي نقرؤها اليوم، ما أزعجنا أنفسنا بهذه الأسئلة.

أما وقد عثر النقابون على كتابات كثيرة، وسيعثر العلماء على أكثر من ذلك بكثير إذا أتيح لهم الذهاب إلى اليمن، فان أسئلة الباحثين لن تقف في الواقع عند حد حتى ييأسوا من العثور على كتابات بالمسند يرجع تأريخها إلى أيام الرسالة أو بعد ذلك، أو قبل ذلك بقليل، وهناك سيتمكن العلماء من وضع حد لهذه التكهنات.

هل كان أهل اليمن بعد احتلال الأحباش لبلادهم قد تركوا الكتابة بالمسند، فلما ظهر الإسلام كان الكاتبون بها جد قليل، ثم تركت نهائياً، واستبدل بها الخط الذي كان شائعاً في الحجاز أيام ظهور الرسول ﷺ، ودونت به سور القرآن وكتب الرسول؟ أو هل ترك أهل اليمن أنفسهم الكتابة بذلك الخط قبيل فتح الاحباش وأعرضوا عنه بالتدريج واستخدموا الخط الذي عرف بالحجاز وكان شائعاً بين أهل المدينة، وهم تجار

---

(١) Malalas,ed,oxan,jonnss Malalas,Chrongraphia, ed, L, Qindorf, (Bonn, 1831)pp, 435 - 451.

(٢) Brocopius, History of the Wars, ed, and tr, H B, Dewing (London, 1904) bk, L, Ch, 20.

(٣) Theobhanes, Chronogribhia, ed, C, ed, Boor, Laebnuij, 1883. B,240.

مثل إخوانهم أهل اليمن، فلم يلبث أهل اليمن بحكم صلاتهم التجارية من تعود الكتابة بذلك الخط ومن التكلم باللهجة التي كانت شائعة في كل شبه جزيرة العرب، وهي اللهجة العربية التي نزل بها القرآن؟على كل نرى أن تأريخ اليمن هو على عكس ما كان يأمله المؤرخ الحديث، أكثره قصص شعبي رواه رواة يرجعون أنسابهم إلى اليمن، ولذلك كان فيه مجال واسع للعاطفة والأهواء، على حين يعتمد أكثر المؤرخين على القصص المنسوب لعبيد بن شرية الجرهمي الذي كانت له مجالس مع الخليفة معاوية بن أبي سفيان تحدث فيها بهذا القصص، لا نجد لعبيد بن شرية ذكراً في تأريخ الطبري، مع أنه اعتمد على روايات وهب بن منبه وعلى روايات أخرى لا تختلف طبيعتها عن طبيعة هذا النوع المنسوب لعبيد، فهل يعود سبب ذلك إلى عدم وثوق الطبري بأخبار عبيد وقد نقل كما قلت ما هو أضعف منها بدرجات؟ أو لأنه لم يتمكن من الوقوف عليها، فأقتصر كما قلنا في أخبار ما قبل الإسلام على روايات ابن الكلبي في تأريخ عرب ما قبل الإسلام وعلى ما ذكره ابن إسحاق؟

ولم يتعرض كتاب عربي لإخبار المعينيين، وهم أقدم عهداً من السبئيين. أما أخبار سبأ، فهي من قبيل القصص الشعبي، وقد خلط القوم بين السبئيين والحميريين، ولذلك كان أكثر ما ذكروه عن السبئيين لا يعود إليهم، وإنما يخص الحميريين. وقد دعوا الملوك الحميريين تبابعة، وهو اصطلاح لم يرد في النصوص الحميرية التي كانت تلقبهم باللقب المعروف عند العرب الشماليين وهو «ملك». وقد نقل الطبري أخبار التبابعة من السيرة النبوية لابن إسحاق التي تمثل رواية أهل المدينة، وهي رواية متأثرة بالقصص اليهودي، ومن جملة الرواة الذي أخذ منهم ابن إسحاق، أبو مالك بن ثعلبة بن أبي مالك القرظي[١]، وهو من أصل يهودي. أسلم «أبو مالك» والد ثعلبة في أيام رسول الله ﷺ، وهو من يهود اليمن، وتزوج امرأة من قريظة[٢] ولدت له ثعلبة على أيام الرسول، وقد روى هذا عن أبيه[٣].

وتجد بعض القصص الذي ذكره الطبري عن التبابعة وأخذه من السيرة النبوية لابن إسحاق، في كتاب التيجان. وقد نقله ابن هشام من المصدر الذي اعتمد عليه الطبري، أي السيرة النبوية لابن إسحاق رواية زياد بن عبد الله البكائي، مثل قصة ربيعة بن نصر

(١) الطبري ٢/ ٩٦ طبعة مصر.
(٢) أسد الغابة ٥/ ٢٨٨.
(٣) أسد الغابة ٥/ ٢٨٨.

بن مالك والرؤيا التي رآها في منامه وجمعه المنجمين والكهان والسحرة لتفسير تلك الرؤيا ثم استدعائه «سطيحاً وشقاً». وقد ذكر الطبري وابن هشام القصة باتفاق تام في المعنى مع اختلاف يسير في العبارات، وذلك مما يشعرك بأن رواية سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق كانت تختلف بعض الاختلاف عن رواية البكائي عن ابن إسحاق في المتن[1]. ولما وصل الطبري إلى تفسير سطيح للرؤيا، قال: «قال أبو جعفر وقد وجدته في مواضع أخر: رأيت حممة، خرجت من ظلمة، فوقعة بأرض تهمة، فأكلت منها كل ذات جمجمة. فقال له الملك: ما أخطأت منها شيئاً يا سطيح، فما عندك في تأويلها؟ فقال: أحلف بما بين الحرتين من حنش، ليهبطن أرضكم الحبش، فليملكن ما بين أبين إلى جرش. فقال له الملك: وأبيك يا سطيح، إن هذا لغائظ موجع، فمتى هو كائن أو سطيح؟ أفي زماني أم بعده؟ قال: لا، بل بعده بحين، أكثر من ستين إلى سبعين. . . الخ»[2]. وهذا المتن الذي أخذه الطبري من مكان آخر، لم يشر إليه، ولكنه المتن الوارد في كتاب التيجان[3]مع اختلاف يسير جداً في عدد من الكلمات. أفأخذ الطبري هذه القطعة من كتاب التيجان صنع ابن هشام، أم أخذها من نسخة أخرى من السيرة النبوية لابن إسحاق بنيت على رواية البكائي؟ ولما كان ابن هشام قد أخذ هذا الخبر من السيرة النبوية لابن إسحاق رواية البكائي، دل هذا الاختلاف على أن السيرة النبوية لابن إسحاق كانت تختلف متونها بعض الاختلاف، كما كانت تختلف طولاً وقصراً بحسب تنوع الروايات. وربما كان سببه قدم الرواية أو بعدها من المؤلف الذي كان يزيد عليها أو ينقص، كما هو شأن كل مؤلف، إلى أن أخذت شكلها النهائي.

ونجد قصة ذي نواس في الطبري[4]، وقد أخذها من السيرة النبوية لابن إسحاق، وتجد هذه القصة في كتاب التيجان[5] كذلك، غير أن ابن هشام لم يشر إلى المصدر الذي نقل منه. والظاهر من اتفاق العبارات أنه أخذها من السيرة النبوية لابن إسحاق.

إن القصة التي ذكرها الطبري عن انتشار النصرانية في اليمن وعن تعذيب ذي نواس لهم وإجبارهم على التهود وتحريقهم بالنار وقصة الراهب فيميون، قد أخذها من ابن

---

(١) الطبري ٢/ ٩٩ التيجان ص٢٩٣.
(٢) الطبري ٢/ ٩٩.
(٣) التيجان ص٢٩٣ - ٢٩٤.
(٤) الطبري ٢/ ١٠٢.
(٥) التيجان ص٣٠٠.

إسحاق، وأخذها ابن إسحاق عن المغيرة بن أبي لبيد مولى الاخنس عن وهب بن منبه[1]، وعن يزيد ابن زياد عن محمد بن كعب القرظي ومن جماعة من أهل نجران[2]. وهي تقارب في الواقع الرواية النصرانية التي ألفت عن «الشهداء المسيحيين».

إن قصة التعذيب هي جزء من المشكلات السياسية العالمية التي كانت تشغل بال سياسي ذلك الوقت، وهي ذيل من ذيول النزاع الذي كان بين الشرق والغرب بين الفرس والروم، أي البيزنطيين، وجزء من سياسة اضطهاد اليهود في الانبراطورية البيزنطية عقبة تحريض اليهود ذا نواس وأمثاله على اضطهاد المسيحيين انتقاماً من البيزنطيين.

والظاهر من تشابه ما ورد في أخبار وهب بن منبه عن تعذيب النصارى وما جاء في كتاب «شمعون الارشامي» صديق الحجاج بن قيس الحميري المعروف باتصاله بالملك المنذر الثالث ملك الحيرة عن تلك الحادثة ذلك الذي قرأ في الكنائس ليسمع تلك الفاجعة المؤمنون من أبناء الكنيسة، أن وهب بن منبه كان قد سمع بتفاصيل هذا الحادث، فوعاه، وربما كان قد قرأ في كنيسة نجران، فسمعه النصارى واليهود، ووعوه وحفظوه من نصارى الحبشة الذين احتلوا اليمن، ومن هذه الروايات أخذ وهب أخباره عن ذي نواس.

أحدث خبر تعذيب نصارى نجران ضجة في العالم، ودعا إلى غزو اليمن، وقد تذرع به البيزنطيون إلى الانتقام من الأحزاب التي كانت تناصر الفرس في اليمن، ولاسيمااليهود، فحرضوا الاحباش على فتح اليمن لتتم لهم السيطرة على البحر الأحمر ومضيق باب المندب، وقد أخذ كتاب شمعون الارشامي الذي وصف فيه فظائع ذي نواس في اليمن من كتاب كان قد بعض به ذو نواس إلى المنذر الثالث ملك الحيرة مع وفد حميري ليحثه على التنكيل بالنصارى الذين في رعيته، وكان شمعون في جملة وفد أرسله انبراطور بزنطة برئاسة ابراهام والد المؤرخ نونوسوس «Nonnosns» للمفاوضة مع ملك الحيرة في تحسين العلاقات بين العرب والروم.

وقد وجه شمعون كتابه إلى أسقف جبلة ليوصله إلى أساقفة الروم وأسقف

---

(١) الطبري ٢/ ١٠٣.

(٢) الطبري ٢/ ١٠٤، ويقال: ابن أبي زياد مولى عبدالله بن عياش، روى عن محمد بن كعب القرظي وعبد الله بن رافع، مولى أم سلمة. تهذيب التهذيب ١١/ ٣٢٨.

الإسكندرية، لحمل النجاشي على تهديد ذي نواس، ولإيصال صور منه إلى أحبار طبريا للتوسط لدى ذي نواس بالكف عن التعذيب[١]. وقد تردد صدى هذا الحادث في كتاب آخر وضع باللغة السريانية، وضعه يعقوب السروجي، وقصيدة نظمها على ما يقال بولس أسقف الرها تمجيداً لشهداء نجران، ويظهر أنها ترجمة لقصيدة وضعت في الأصل باللغة اليونانية، وضعها أحد الشعراء وهو «Bsaltes Johannes» في شهداء نجران[٢].

وقد جبلت هذه الحادثة بالطبع انتباه المؤرخين، فكتبوا فيها، مثل ملالا «Jahannes Malala» «Boissonade» عن الشهيد حارثة «Aretha» الذي استشهد مع أصحابه في نجران، وشمعون متفراستس «Simeon Methbhrastus» الذي وضع بحثاً خاصاً عن حادثة نجران. ومن هؤلاء استمد بقية المؤرخين من يونان وسريان. أمثال: ثيوفانس المؤرخ البيزنطي، وجورج كيدرينوس «George Cedrenus»، ونيقوفورس كالتي «Nicephoru» «Callist» أخبارهم عن حادث نجران واحتلال الأحباش لليمن.

على كل استمد الطبري حديثه عن ذي نواس وفتح الأحباش، وهو حديث واسع استغرق عدة صفحات من الكتاب، من وهب بن منبه ومن جماعة من مسلمة اليهود ومن رواية أخرى كانت تمثل رواية أهل الكوفة، هي رواية ابن الكلبي، وقد أخذها ابن الكلبي - على ما يظهر - من نصارى الحيرة الذين عنوا بهذا عناية فائقة. ولذا كانت رواية ابن الكلبي أقرب الروايات العربية إلى كتاب يعقوب الارشامي وروايات اليونان والسريان.

ترى مما تقدم أن موارد تأريخ العرب قبل الإسلام موارد محدودة، وهي تافهة المادة بالنسبة إلى الجاهلية البعيدة من الإسلام. - ما بالنسبة إلى العهد القريب من الإسلام، فان ما جاء في الكتب مما يبعث على الإطمئنان، ففيه مادة يمكن أن يقال فيها إنها مادة تاريخية، وإن الطبري لم يهتم اهتماماً جدياً بتأريخ العرب قبل الإسلام في الشام وفي سائر الإنحاء ما خلا العراق.

السيرة النبوية:

أعتقد أني قد ألقيت نظرة سطحية عامة كافية على القسم الأول من تأريخ الطبري، وهو القسم الخاص بما قبل الإسلام، أي «المبتدأ»، وهو تاريخ العالم منذ الخليقة إلى

(١) Xel mobergg, the book of the himyarites (Lund, 1924).

(٢) راجع الجزء الثالث من تأريخ العرب قبل الإسلام: شهداء نجران.

السيرة النبوية، وعرفت معرفة تقريبية المصادر التي كونت ذلك القسم. وقد وجدت أن للسيرة النبوية لان إسحاق منزلة مهمة بين تلك المراجع التي كونت تلك الفصول. وقد حافظت السيرة على هذه المكانة، بل تجاوزت في القسم الأوسط مصادر أخرى كانت تزاحمها، وأخذت مكانها، وأصبحت المرجع الأول في السيرة النبوية عند الطبري. وكما أن الكتاب العربي بودقة تصهر فيها الكتب السابقة، وقد رأينا كيف صهر الطبري مواد كتب سابقة في بودقته فنتجها كتابه الذي تحدثنا عنه، فكذلك كانت السير النبوية لابن إسحاق عصارة كتب سابقة جمعت في صعيد واحد، بين سلسلة سند يطول ويقصر على حسب بعد أن إسحاق وقربه من المؤلف. فحفظت بذلك نماذج من أقدم الكتب التي ألفت في صدر الإسلام، ترينا أمثلة من طراز التأليف والإنشاء العلمي في ذلك العهد.

أننا لا نعرف في الواقع، أول كتاب حمل اسم «سيرة الرسول»، وان كنا نعرف أن من بين الكتب الكثيرة التي قيل لها كتب السيرة كتاب السيرة لابن إسحاق والسيرة لابن هشام. وكلمة «سيرة» كلمة معروفة بالطبع، ولكن تأريخ تخصيصها بسيرة الرسول أمر لا نعرفه حتى الآن. وقد استعملت في ترجمة سير أشخاص آخرين، مثل كتاب سيرة معاوية بن أبي سفيان[١]، وكتاب سير الملوك، وسير ملوك العجم، فهي في معان عامة[٢]. وقد اقترنت «السيرة» أو «السير» بلفظة «المغازي» في الأكثر، فقيل «السيرة والمغازي» أو «السير والمغازي»[٣].

وأقدم من ألف في السيرة والمغازي عروة بن الزبير ٢٣ - ٩٤هـ شقيق عبد الله بن الزبير، وأبان بن الخليفة عثمان بن عفان ٢٢ - ١٠٥، وشرحبيل بن سعد ١٢٣هـ، وعاصم بن عمرو بن قتادة المتوفي بين سنتي ١١٩ - ١٢٩هـ، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري ٥١ - ١٢٤هـ، وموسى بن عقبة ١٤١هـ، وكل هؤلاء هم من أهل المدينة، وقد تأثروا برأي أهل المدينة الذي يميل إلى الحديث.

---

(١) كتاب سيرة معاوية وبني أمية لعوانة بن الكلبي. الفهرست ص١٣٤.

(٢) Ency, of Islam, vol, 4, p, 440, Nildeke, Gesch, der Berser und Araber, B, XIV, XVII.

(٣) Noldeke, Schawally, gesch, d, qorans, vol, 2B, 221.

راجع عن أقدم كتب السير والمغازي بحث المستشرق «Horovitny» في مجلة «الثقافة الإسلامية».

Horovitny, The Earliest Biographies of the Prophet and their Authors, its, Culture, 1927. 1p, 535. f. 2,p, 22,50, 164 82. 515 = 526.

وظهر في خارج المدينة علماء وجهوا عنايتهم لدراسة السيرة النبوية، مثل سليمان بن طرخان أبي المعتمر القيسي ٩٤٣هـ[١]، ومعمر بن راشد ١٥٣هـ[٢] وهو من أهل البصرة ولكنه انتقل إلى اليمن فأقام بها ونشر العلم هناك.

أما عروة بن الزبير بن العوام، فهو من أسرة أرستقراطية رفيعة في الجاهلية والإسلام، ألا أنه كان كابن عباس علمي المزاج، همه الدراسة والرواية، فلم ينجرف في تيارات السياسة، ولم يسهم في الحروب الأهلية، ولم يشارك في ثورة أخيه عبد الله بن الزبير بن الزبير على الأمويين، بل انصرف بكليته إلى الدراسة، وإلى العناية بجمع حديث الرسول والبحث في سيرته ومغازيه، فاخذ عن علي بن أبي طالب وعائشة وأبي هريرة وأمثالهم، ويقال إنه وضع كتاباً في المغازي لم يصل إلينا، كما كتب بحوثاً في موضوعات إسلامية، وذلك بناء على طلب الخليفة عبد الملك بن مروان[٣]. وكان يعد أحد الفقهاء السبعة بالمدينة[٤].

وأما أبان بن الخليفة عثمان بن عفان، فانه وان كان قد شارك في بعض الأحداث مثل وقعة الجمل حيث كان في جانب عائشة وتولى إمارة المدينة في أيام عبد الملك بن مروان، لم يقم مع ذلك بعمل مهم في السيرة السياسية، ولم يؤيد الأمويين تأييداً قوياً، بل كان في جانب المحايدين، مفضلاً الاشتغال بالحديث والسيرة والمغازي[٥].

ويشاركه في هذا الميل شرحبيل بن سعد، وعاصم بن عمرو بن قتادة. ولم يبق من كتبهم شيء سوى ما اقتبس منها في الكتب الأخرى، ولاسيمافي كتاب السيرة لابن إسحاق.

وكان محمد بن مسلم بن شهاب الزهري صاحب دراسات وأبحاث في التاريخ والحديث والفقه، وقد كلفه الخليفة عمر بن عبد العزيز أو هشام بن عبد الملك تدوين حديث رسول الله ﷺ، فدون ذلك في كتاب حفظ في خزانة الكتب[٦]. وكان يكتب

---

(١) تذكرة الحفاظ ١/ ١٤٣.

(٢) تذكرة الحفاظ ١/ ١٧٨.

(٣) الخزرجي: أسماء الرجال ص١٢٤ القاهرة ١٣٢٢هـ. ابن سعد جـ٣ قسم ١ ص xvii Ency, of ialam, vol, 4,p, 1047.

(٤) ابن خلكان ١/ ٣٩٩، حلية الأولياء ٢/ ١٧٦.

(٥) ابن سعد ٥/ ١١٢.

(٦) حلية الأولياء ٣/ ٣٦٢. Ency, of islam, vol,4p. 442.

ما يسمعه ويجمعه من مشايخه، وتكونت من كتاباته هذه مجموعات ضخمة دخلت قصور الخلفاء الأمويين.

فلما قتل الوليد، حملت الدفاتر على الدواب من خزانة الوليد من علم الزهري[(١)]. وأمر الخليفة هشام اثنين من كتابه بمرافقة الزهري، لتدوين ما كان يمليه على الناس، فرافقاه سنة في مجالسه التي كان يحاضر فيها، فأودع ذلك خزانة هشام[(٢)]. والظاهر أن هذه الأمالي هي المجموعة التي أشير إليها في الحديث. وكان لا يبخل على الناس بالكتب، ولا يحضر مجلساً ألا ومعه كتاب يدرس فيه، مع أن من عادة أهل ذلك الزمن الاعتماد على الحافظة وعدم الكتابة في الدفاتر. وكان يراجع الأدب والتفسير والشعر والأخبار والأنساب وقصص الأنبياء، يملي ذلك على الناس أو يلقيه، وينتقل بين الشام والحجاز، ولذلك كان أكثر رواته من هذين القطرين. ومع كثرة مدوناته، لم يبق من مؤلفاته هذه شيء.

أما موسى بن عقبة، فحظه خير من حظ المتقدمين، إذ وصل إلينا قطعة من مؤلفاته في المغازي طبعها المستشرق «سخاو»، لا نستطيع أن نكون منها فكرة علمية صحيحة عن مؤلفات ابن عقبة[(٣)]. ويظهر من ثناء كبار العلماء على كتاب موسى بن عقبة أنه كان كتاباً مهماً. وقد رواه عنه حفيده إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة[(٤)]. وظل الكتاب متداولاً قروناً عدة بعد وفاة المؤلف، فمن قرأه الذهبي[(٥)].

وقد حفظ ابن إسحاق باقتباساته من كتب هؤلاء نماذج من تلك المؤلفات القديمة في السيرة. ودخلت تلك النماذج في كتاب الطبري عن طريق السيرة لابن إسحاق، ومن طرق أخرى مثل كتب الواقدي محمد بن عمر الواقدي ٢٠٧هـ[(٦)]، وكان من علماء المغازي والسير والفتوح واختلاف الناس في الحديث والفقه والأحكام، ومن ممثلي مدرسة المدينة ببغداد، وكان صاحب مؤلفات كثيرة جماعة للكتب، ترك بعد وفاته

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ٣٦١.

(٢) حلية الأولياء ٣/ ٣٦١.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ xxi

Sachau, das Berliner fragment des ,b,cu,sbba,1904, xi.

(٤) ابن سعد ٣/ xxi

(٥) تذكرة الحفاظ ١/ ١٠٤.

(٦) Noldeke, schawally, 2,p,133.

خزانة كتب ضخمة. تناول بحوثاً مهمة في التاريخ، وألف في الفتوح والأحداث التي وقعت في صدر الإسلام مثل الردة والسقيفة ووقعة الجمل ووقعة صفين والخوارج وأمثال هذا[1]. وقد ذهب الدهر بأكثر هذا، وإنا لنجد مقتبسات منها في تأريخ الطبري وفي المؤلفات الأخرى. وأهل الحديث يضعفونه ويقولون عنه انه كان لا يتقن الحديث. ولهذا السبب، على ما يظهر، فضل الطبري الراوية سيف بن عمر عليه في موضوع الردة وفي موضوعات أخرى، مع أنه كان يفوق سيف بن عمر درجات.

ويظهر من «كتاب المغازي» الذي طبعه المستشرق «فون كريمر» أنه كان يميل إلى الفقه، ويتجلى ذلك في خروجه من الموضوعات التأريخية إلى المباحث الفقهية التي لاعلاقة لها بالموضوع الذي كان يبحث فيه.

والكتاب هو رواية عبد الوهاب بن أبي حية، عن أبي عبد الله محمد بن شجاع الثلجي، عن الواقدي، ويظهر من دراسته أن ما جاء بعد الصفحة ٣٦٠ حتى الصفحة ٤٣٩ لم يكن من أصل الكتاب، وإنما هو تكملة متأخرة أضيفت إليه لا قيمة لها[2]، وان عبارات زائدة قد أدخلت في النص الأصلي للكتاب، والظاهر أن الرواة والشراح هم الذين أدخلوها.

والنص المطبوع لا يمثل النص الأصلي لكتاب المغازي على نحو ما وضعه الواقدي، وإنما هو على نحو ما أورده عن الأصل، ولذلك كان من المحتمل أن يكون هؤلاء الرواة قد أدخلوا عليه تعديلات كتلك التي أدخلها ابن هشام وشيخه البكائي على

---

(١) الفهرست ص١٤٤، وقد ذكر أسماء كتبه ابن سعد ٥/ ٣١٤ فما بعدها، تأريخ بغداد ٣/ ٣ فما بعدها، ابن قتيبة: كتاب المعارف ١٧٦، السمعاني: الأنساب، الورقة ٧٧ ٥ب، ياقوت: الإرشاد ٥/ ٥٥، الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٣١٧، السيوطي: طبقات الحفاظ ١/ ٧٤، ابن حجر: التهذيب ٩/ ٣٦٣، اليافعي: المرآة ٢/ ٣٦، العماد: الشذرات ٢/ ١٨.

Broklemann, suppl, 1,p, 207, Goldiher in zdmg, 60, 221. horovitz, in ibn Saad. Vol,l 2,part, 1,p, 127.

(٢) عبد الوهاب بن أبي حية أبو القسم (أبو القاسم) المتوفي سنة ٢٩٥هـ ببغداد.
كتاب المغازي للواقدي، القسم ٤، المقدمة ص١. محمد بن شجاع أبو عبدالله بن الثلجي الفقيه المتوفي سنة ٢٦٦هـ هـ. ولد سنة ١٨١هـ. روى عن ابن علية والواقدي والحسن بن زياد اللؤلئي ووكيع ويحيى بن آدم وأمثالهم. روى عنه الحسن بن صالح البغدادي ويعقوب بن شيبة، ضعف، واتهم بالكذب، ورمي بالتشبيه، تهذيب التهذيب ٩/ ٢٢٠.

Noldekem schwally, 2,p,133.

السيرة النبوية لابن إسحاق. ويظهر ذلك من المقابلة بينه وبين النصوص المأخوذة من السيرة النبوية لابن إسحاق المدونة عند ابن هشام وفي تأريخ الطبري. فنجد اختصاراً في مواضع، وحذفاً للأسانيد في مواضع أخرى. ومن المعروف أن الواقدي قد نقل من السيرة النبوية لابن إسحاق. على كل حال يكون من الممكن إعادة طبعه بمقابلته بنسخة أخرى لم تكن مهيأة «لفون كريمر» حين طبع الكتاب، هي نسخ المتحف البريطاني، وبنسخ أخرى عثر عليها فيما بعد، وبالنقول والمقتبسات التي أخذت من النص الأصلي، وبالاستفادة من القسم المترجم إلى الفارسية.

واستمد من كتب الواقدي كاتبه محمد بن سعد ٢٣٠هـ صاحب كتاب الطبقات، ولم يذكر ابن النديم له من الكتب غير «كتاب أخبار النبي». وذكر الذهبي له كتاب «الطبقات الكبير» وكتاب «الطبقات الصغير» وكتاباً في التاريخ(١). ولا يستعبد أن يكون ابن سعد قد نقل من كتب الواقدي. ولإثبات ما ذكره ابن النديم من أنه «ألف كتبه من تصنيفات الواقدي»(٢)، أو نفيه، نحتاج حقاً إلى مقابلة أقوال ابن سعد بأقوال الواقدي والمطابقة بينها مطابقة تامة، كما يستحسن المقابلة بينها وبين أقوال ابن إسحاق للغرض نفسه، ولذلك يجب الرجوع إلى تأريخ الطبري لتحقق أمثال هذه الأمور. والذي ثبت لدي هو أن ابن النديم قد يتحامل على جماعته تحاملا لا يستند إلى دليل.

«وكتاب أخبار النبي» الذي ذكره ابن النديم، هو القسم الأول من كتاب «الطبقات» على رأي المستشرقين، وهو القسم الذي يتناول سيرة الرسول(٣). وهو أكثر تفصيلاً من السيرة النبوية لابن هشام في بعض الفصول، كما أنه أكثر اختصاراً منها في فصول أخرى، ولاسيما الفصل الخاص بحالة العرب قبل الإسلام وطفولة الرسول ﷺ والمغازي. وقد استعان ابن سعد بالسيرة النبوية لابن إسحاق بالرغم من تصريحه بذلك دائماً بذكر السند. ويظهر أنه استعان بنسختين من نسخ السيرة: بنسخة إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص الزهري المدني ١٨٣هـ قاضي المدينة المحدث الشهير وصاحب المغازي الذي روى عنه البخار، وبنسخة هارون بن أبي عيسى الشامي.

ولإتمام هذه المقدمة لا بد من التحدث عن شخص آخر له أثر مهم في تأريخ

---

(١) تذكرة الحفاظ ٢/ ١٢.

(٢) الفهرست ص١٤٥.

(٣) Ency, Vol, 2,p,413.

الطبري وفي السيرة النبوية، هو أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي المدني ١٧٠هـ، وهو فقيه وصاحب مغاز. ومن مشايخه: محمد بن كعب القرظي، ونافع مولى ابن عمر. وقد اشتهر كتابه في المغازي الذي ذهب الدهر به كسائر الكتب الأخرى سوى المقتبسات التي حفظها الواقدي وابن سعد والطبري، وقد نقل الطبري منه في إخباره عن الأنبياء وعن سيرة الرسول وفي الحوادث إلى أيام وفاة أبي معشر تقريباً[١]. ولم يكن يتقيد بالإسناد تقيداً تاماً، لذلك لم يعده أهل الحديث في جملة كبار المحدثين، مع أنهم اعترفوا له - بصورة عامة - بصدق الحديث والرواية في التأريخ والأخبار[٢].

* * *

نعود بعد هذه المقدمة إلى تحليل قسم السيرة والمغازي من تأريخ الطبري لنرى موقع من تقدموا في هذا الكتاب.

أما عروة بن الزبير، فقد ورد اسمه في ٧٩ موضعاً[٣] من الكتاب في إخبار ما قبل الإسلام وفي السيرة وما بعد السيرة، وبطرق إسناد متنوعة، فتجد له قولاً في قوم لوط أخذه الطبري عن شيخه عبد الرحمن بن الأسود الظفاري عن محمد بن ربيعة عن روح بن غطيف الثقفي عن عمرو بن مصعب عن عروة بن الزبير، ويتصل حديثه في هذا الموضع بعائشة[٤]، ولم يذكر الطبري له رواية أخرى فيما قبل الإسلام.

أما أخباره في السيرة فتبدأ عند الطبري بمبدأ المبعث حيث أورد له قولاً أخذه عن شيخه محمد بن المثنى بن قيس بن دينار العنزي أبي موسى البصري المتوفي بين سنتي

---

(١) اليعقوبي ٢/ ٥٢٣، الفهرست ١/ ٩٣ «طبعة أوربة» ص١٣٦ طبعة مصر، تاريخ بغداد ١٣/ ٤٢٧، تذكرة الحفاظ ١/ ٢١٦، ابن سعد: مقدمة «سخاو» جـ٣ ق١ ص.xxvll

Suppl,1,s,207,Wustenfeld, Gesch, no, 3,Msos, 1904. Sff.

(٢) تذكرة الحفاظ ١ ص٢١٦، روى عن سعيد بن المسيب وهشام بن عروة وموسى بن يسار وغيرهم. لين الحديث ضعيف إسناده ليس بشيء، منكر الحديث كان كثير الحديث ضعيفاً لم يكن متين الرواية أبو معشر له مكان في العلم والتاريخ، وتأريخه احتج به الأئمة، وضعفوه في الحديث. تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٢٢.

(٣) فهرست الطبري ص٣٨٢.

(٤) الطبري، الدورة الأولى ص٣٢٧.

٢٥٠ - ٢٥٢هـ[١]، محدث البصرة عن الحجاج بن المنهال ٢١٧هـ[٢] من رؤساء مدرسة الحديث في البصرة عن شيخه حماد بن سلمة بن دينار البصري ١٦٧هـ[٣]، وهو من كبار المصنفين للكتب في البصرة مثل معاصر، سعيد بن أبي عروبة ١٥٦هـ[٤] الذي يرد اسمه في تاريخ الطبري كذلك، روى عن الحسن البصري ومحمد بن سيرين وأبي رجاء العطاردي ومطر الوراق وقتادة، وكان من أثبت الناس في حديث قتادة. وكان حماد إلى علمه بالحديث فقيهاً فصيحاً بارعاً في العربية والأخبار. وقد تحدث عن عمرو بن دينار ١٢٥هـ[٥]، وهو عالم الحرم، ومن تلاميذ ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وطاووس وعروة ابن الزبير.

ويرد اسم «ابن المثنى «في ٣٩ موضعاً من تأريخ الطبري، ويتصل سنده في هذه الواضع بقتادة[٦]، وبأبي التياح عن أنس[٧]، وبأبي ظبيان عن ابن عباس[٨]، وبمجاهد[٩]، وبسعيد بن المسيب[١٠]، وبسعيد بن جبير[١١]، وبعلي بن أبي طالب[١٢]،

---

(١) تهذيب التهذيب ٩/ ٤٢٥، تذكرة الحفاظ ٢/ ٨٦.

(٢) تذكرة ا لحفاظ ١/ ٣٦٤. ,المعارف ٢٢٧

(٣) الطبري، الأولى ١١٤٠ روى عنه ابن جريج والثوري وشعبة، كان له كتاب فيه حديثه عن قيس بن سعد وقد ضاع في حياته. تهذيب التهذيب ٣/ ١٥، تذكرة الحفاظ ١/ ١٨٩ «هو أول من صنف التصاينف مع ابن أبي عروبة، وكان بارعاً في العربية، فقيهاً، فصيحاً مفوهاً».

(٤) تذكرة الحفاظ ١/ ١٦٧ هو سعيد بن مهران العدوي أبو عروبة البصري، روى عن قتادة والحسن البصري ومطر الوراق، كان أعلم الناس بحديث قتادة. توفي سنة ١٥٦هـ أو ١٥٧هـ، قال بعضهم: له مصنفات كثيرة، وقال أبو حاتم: «لم يكن لسعيد بن أبي عروبة كتاب، إنما كان يحفظ ذلك كله» اختلط في أواخر عمره. تهذيب التهذيب ٤/ ٦٥.

(٥) تذكرة الحفاظ ١/ ١٠٦، ولد سنة ٤٦هـ. وسمع ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبدالله وأنس بن مالك، وتوفي على رأي بعض الرواة سنة ١٢٦هـ. وكان في الطبقة الأولى من الحفاظ مثل الزهري وقتادة وأبي إسحاق السبيعي. ومع ذلك فقد قال بعضهم انه كان ضعيف الحديث، وانه واهي الحديث، ومنكر الحديث، تهذيب التهذيب ٨/ ٣١.

(٦) الطبري، الدورة الأولى ص٩ - ١٠.

(٧) الطبري، الدورة الأولى ص١٢.

(٨) الطبري، الدورة الأولى ص٣١، ٤٨.

(٩) الطبري، الدورة الأولى ص٣٣.

(١٠) الطبري، الدورة الأولى ص٨٣.

(١١) الطبري، الدورة الأولى ص٨٨.

(١٢) الطبري، الدورة الأولى ص٢٧٥.

وبعكرمة عن عبد الله بن عباس[١]. وتتعلق هذه المواضع بأخبار ما قبل الإسلام، وقد أخذ أكثرها من كتب التفسير.

وترد له أخبار في السيرة كذلك، أخذ قسماً منها من السيرة النبوية لابن إسحاق كالذي ذكره له الطبري بسنده عن وهب بن جرير بن حازم الذي مر ذكره، وهو من مشاهير المحدثين وأصحاب الأخبار في البصرة[٢]، عن محمد بن إسحاق[٣]. وأخذ بعضها من سيرة الزهري، أخذها عن شيخه أبي داوود الطيالسي البصري ٢٠٤هـ[٤] مولى آل الزبير عن إبراهيم ابن سعد الزهري الذي تحدثنا عنه، عن الزهري[٥]، أو عن شيخه يزيد بن هارون الواسطي ٢٠٦هـ[٦] من مشاهير الحفاظ في العراق عن سفيان بن حسين الزهري[٧]، كما أخذ عن أشخاص آخرين.

ورجع إليه الطبري في أخبار عمر بن الخطاب[٨]. ولم يذكر له خبراً بعد ذلك، وقد اعتمد عليه في كتابه «المنتخب من كتاب ذيل المذيل من تأريخ الصحابة والتابعين» المطبوع بعد التأريخ، فذكر في خمسة مواضع من الكتاب[٩].

ولم يرد اسم الحجاج بن المنهال شيخ ابن المثنى بكثرة في التاريخ، فلم يرد ألا خمس مرات. ورد مرة في التاريخ القديم وقد ذكر خبراً أخذه بسنده عن عبد الله بن عمر النميري عن يونس ابن يزيد ١٥٢ أو ١٥٩هـ[١٠] مولى معاوية بن أبي سفيان، وكان من أصدقاء الزهري، واشتهر بمعرفته بأحاديث الزهري. وأخذ الطبري حديثه هذا بواسطة شيخه محمد ابن مرزوق[١١]، وورد مرة أخرى في السيرة النبوية، وقد تحدث إلى

---

(١) الطبري، الدورة الأولى ص٢٩٢، ٣١٠.

(٢) تذكرة الحفاظ ١/ ٣٠٧: وهب بن جرير بن حازم أبو العباس البصري الحافظ. تهذيب التهذيب ١١/ ١٦١.

(٣) الطبري، الدورة الأولى ص٩٦٦.

(٤) تذكرة الحفاظ ١/ ٣٢٠.

(٥) الطبري، الدورة الأولى ص١٧٨٨.

(٦) تذكرة الحفاظ ١/ ٢٩٢.

(٧) الطبري، الدورة الأولى ص١٧٨٨.

(٨) الطبري، الدورة الأولى ٢٧٣١، ٢٧٤٠.

(٩) ص٢٣٩٥، ٢٤٠٥، ٢٤٧٢، ٥٥٤٩.

(١٠) تذكرة الحفاظ ١/ ١٥٣.

(١١) الطبري الدورة الأولى ص٤٢٠ محمد بن محمد بن مرزوق الباهلي، توفي سنة ٢٤٨هـ. تهذيب التهذيب ٩/ ٤٣٢.

الطبري برواية الحجاج وشيخه محمد بن المثنى بنفس السند الذي مر سابقاً، ويتصل بحماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن عروة بن الزبير، أو بحماد بن سلمة عن أبي حجرة عن ابن عباس[١]. وذكر اسمه مرتين في «ذيل الذيل» المار الذكر[٢]. وهنالك طرق إسناد أخرى وصلت سند الطبري بعروة بن الزبير، هي طريق أحمد بن عثمان المعروف بأبي الجوزاء تلميذ وهب بن جرير عن والده عن النعمان بن راشد عن الزهري عن عروة بن الزبير[٣]، وطريق شيخه يونس بن عبد الأعلى الصدفي البصري ٢٦٤هـ[٤] عن شيخه ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب الزهري عن عروة[٥]، وطريق أحمد بن حبيب الطوسي شيخ الطبري عن أبي داوود الطيالسي عن جعفر بن عبد الله بن عثمان القرشي عن عمر بن عروة بن الزبير[٦]، وطريق شيخه عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد الحكم عن عبد الملك بن مسلمة عن أبي لهيعة عن أبي الأسود عن عروة[٧].

ونقل الطبري شيئاً من رسائل بعث بها عروة بن الزبير إلى عبد الملك بن مروان، وكان الخليفة يراسله فيسأله أسئلة يجيب عنها بكتب يرسل بها إلى الشام، أو يحملها هو إليه، وأحيانا كان يجيب عنها في مجالس الخليفة. وكان عروة من المترددين إلى سورية، وكانت علاقاته بهم حسنة بالرغم من اختلاف عبد الله بن الزبير معهم وقيامه بالثروة عليهم. ومن جملة ما حفظه الطبري من هاتيك الكتب كتاب رواه له شيخه علي بن نصر بن علي الجهضمي البصري ٢٥٠هـ[٨] من رواة البصرة ومن رواة وهب بن جرير بن حازم وأبي داوود الطيالسي وعبد الصمد بن عبد الوارث وسهل بن حماد وعبد الله بن يزيد المقري وسليمان بن حرب وأبي عاصم وأمثال هؤلاء من هذه الطبقة التي عاشت في القرن الثالث، وتزعمت مدرسة الحديث في البصرة، وتأثرت بمدرسة المدينة أكثر من أهل الكوفة الذين مثلوا المدرسة العراقية في الحديث.

---

(١) الطبري، الدورة الأولى ١٨٣٤.
(٢) ص٢٤٨٣، ٢٥٣٣.
(٣) الطبري، الدولة الأولى ص١١٤٧.
(٤) تهذيب التهذيب ١١/ ٤٤٠ ولد سنة ١٧٠هـ تذكرة الحفاظ ٢/ ٩٨.
(٥) الطبري، الدورة الأولى ١١٤٨.
(٦) الطبري، الدورة الأولى ص١١٥٤.
(٧) الطبري، الدورة الأولى ١١٦٧.
(٨) تهذيب التهذيب ٧/ ٣٩٠، الطبري، الأولى ص١١٨٠، ١٢٨٤، ١٦٣٤، ١٧٧٠.

وروى أقوال عروة لعلي بن نصر شيخه عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد أبي عبيدة العنبري البصري ٢٥٢هـ[١] حدثه ببعضها أبوه عن أبان بن يزيد العطار، وهو من رواة جماعة من مشاهير المحدثين أمثال يحيى بن سعيد الأنصاري وهشام بن عروة وعمرو بن دينار وقتادة ويحيى بن أبي كثير[٢]. هؤلاء الذين كان لهم أثر كبير في تطور علم الحديث والتفسير في مدرسة البصرة في الأخص. وطبيعي أن تؤخذ أقوال عروة من أبنه هشام بن عروة ١٤٦ أو ١٤٧ هـ[٣] من محدثي المدينة، وقد حدث عن أبيه عروة وعمه عبد الله بن الزبير وأكثر أسرة آل الزبير وجماعة من تلامذة ابن عباس. وقد رحل إلى العراق، وزار الكوفة، وتبسط هناك في الحديث عن أبيه، وزار الخليفة المنصور. ومنه نقل أهل الكوفة أحاديث عروة، ولاسيماأحاديث عروة عن عائشة، وقد نقم عليه أهل بلده تبسطه في الحديث لأهل العراق، وكانوا بالحديث ضنين، فلم يرتضوا خطته هذه، وأعرضوا عنه، وللظاهر أن عروة تحدث عن أهل الكوفة وعلماء العراق بحديث أهل العراق، ولم يكن أهل المدينة يفضلون حديثاً على حديثهم، باعتبار إن لهم الأفضلية في ذلك، وأنهم أعرف الناس بأخبار أهل الدار.

ولهشام بن عروة عدد من الروايات سجلت في ٣٤ موضعاً من تأريخ الطبري[٤] في تأريخ الإسلام، أخذها عن أبيه في الغالب[٥]، أو عن أبيه عن عائشة، ويقف السند عنده في بعض الأماكن حيث يحدث بما سمعه بنفسه[٦]، ويظهر منها أنه كان صاحب تأليف.

يظهر من هذه الروايات المدونة في تأريخ الطبري أن عروة بن الزبير وأبنه هشاماً لم يكونا يهتمان ألا بالسيرة وبالإحداث الإسلامية. فأما ما قبل ذلك، فلا نجد لهما سوى رواية أو روايتين. ويظهر من وقوف هشام على رواية أبيه وعدم تجاوزه إلى غيره أنه كان ينقل من كتب والده وما تركه من كتابات أو رسائل. ولم تقف أخبارهما عند

---

(١) تهذيب التهذيب ٦/ ٤٤٤.
(٢) تهذيب التهذيب ١/ ١٠١، تذكرة الحفاظ ١/ ١٨٩.
(٣) تهذيب التهذيب ١١/ ٥١.
(٤) فهرست الطبري ص٦١٢.
(٥) الطبري الأولى ص١١٢٩، ١١٨٠، ١١٩٩، ١٢٢٤، ١٢٣٤، ١٢٨٤، ١٣٩٧، ١٦٥٤، ١٦٦٩، ١٧٩٥.
(٦) الطبري، الأولى ص١٥٧٨.

السيرة والمغازي حسب، بل تجد لهما أحاديث في الردة في الأحداث التي وقعت في صدر الإسلام، وكان آخر خبر ورد في الطبري من أخباره هو في معركة مرج راهط بين الضحاك ومروان(١).

وأخذ الطبري أخبار هشام في الردة عن طريق سيف. رجح الطبري روايات سيف بن عمر الأسدي على سائر الروايات الأخرى التي وردت عن «الردة»، وهذا في الحقيقة أمر غريب: رجحه على الواقدي، وأمره في التأريخ معلوم، وهو صاحب مؤلف خاص بالردة، قيل له «كتاب الردة والدار»(٢)، رجحه عليه لأنه «ضعيف» في نظر المحدثين، غير أن «سيفا» لم يكن أحسن حالاً في نظر المحدثين من الواقدي، اتهموه بالزندقة، وقالوا: إنه كان يضع الحديث، وإنه متروك، وإنه ضعيف، وقال بعضهم: هو كالواقدي، ويشبه حديثه حديث الواقدي(٣)، فلم قدم الطبري إذن سيفاً على الواقدي؟ وكان المدائني علي بن محمد الذي نقل الطبري من كتبه كثيراً صاحب كتاب في الردة، وفي الأحداث الأخرى(٤)، ولم ينل كتابه مع ذلك هذه الخطوة التي نالها كتاب سيف. أفكانت ثقة الطبري كبيرة في تأريخ الردة، فقدم كتابه على كتب من تقدم من المؤرخين، أم كانت أسباب أخرى دعت إلى هذا الترجيح؟

اشتهر سيف بن عمر التميمي أو الضبي الأسدي ١٨٠هـ(٥) باطلاعه الواسع على تأريخ الإسلام، وقد حازت كتبه شهرة واسعة عند المؤرخين، ولاسيماكتبه المؤلفة في الردة والفتوح والأحداث، وقد أخذ من مشاهير من وضعوا أسس علم التأريخ عند المسلمين، وفي طليعتهم هشام بن عروة، ثم عبيد الله بن عمر، وجابر الجعفي، ومحمد

---

(١) الطبري، الدورة الثانية ص٤٧٣.

(٢) الفهرست ١٤٤.

(٣) تهذيب التهذيب ٤/ ٢٩٥، الفهرست ص١٣٧.

(٤) الفهرست ص١٤٩.

(٥) راجع عن سيف: تهذيب التهذيب ٤/ ٢٩٥ تعمد على ما يظهر في كتابه «كتاب الفتوح الكبير والردة» و«كتاب الجمل ومسير عائشة وعلي» إظهار مآثر قومه وإحلالهم في المنزلة الأولى، وتجد نماذج من الكتابين في تأريخ الطبري.

Brocklemann, suppl, 1,p,213,ff.

J, Welhausen, Skozzan und Vorarbeiten Vol, 6,B,5, Caetani, Annali, Index, van Volten, Studin Mt de Annalen Van Tabari, Tweemaandelijk tijdsxhrift, marz 1898.

N, mjadmikov in Sbornik Statei ueenikov Trof, ro ena, st, Letersburg, 1897, pp, 53.

بن إسحاق صاحب السيرة، ومحمد بن السائب الكلبي والد هشام بن الكلبي، وطلحة بن الأعلم، وأمثال هؤلاء. أما التهم التي وجهها أصحاب الحديث عليه، فيجوز أن تكون صحيحة بالنسبة لوجهة نظرهم، فإنهم كانوا يتمسكون بالسند ولا يتساهلون فيه، ويرمون من يخالفه بالضعف. ثم إنهم كانوا لا يرتاحون من المؤرخين والإخباريين، فكانوا يرمونهم في الغالب بهذه التهم التي تحدثنا عنها. ويجوز أن تكون هذه التهم لأسباب أخرى يعرفها من وقف على دراسة كتب أهل الحديث ومصطلحاتهم.

لا شك أن كتاب «سيف» الذي استعان به الطبري في أخبار الردة هو «كتاب الفتوح الكبير والردة»[(١)]، وهو كتاب أشتهر أمره حتى عرف سيف به[(٢)]. وذكر ابن النديم له مؤلفاً آخر سماه «كتاب الجمل ومسير عائشة وعلي»[(٣)].

ولا شك أيضاً أنه هو الكتاب الذي نقل منه الطبري روايات سيف عن معركة الجمل. وقد أخذ سيف أخبار هذه المعركة من شهود عيان، ذكرت أسماؤهم في سند الطبري، فحفظ لنا بذلك صوراً أصلية لإنباء تلك المعركة المؤسفة والأسباب السياسية التي دعت إليها وكانت لها نتائج جد وخيمة في شبه جزيرة العرب وفي العالم الإسلامي. وهذه الروايات تحتاج إلى تمحيص ودراسة. ويعتقد «بروكلمن» أن سيفاً لم يكن يفحص الأخبار التي كانت تقال له، وأنه كان يبالغ فيها في تمجيد تميم متأثراً بعاطفته القبلية، وهو رأى يحتاج إلى دراسة وتمحيص. أما ما ادعاه من أن الطبري قد لاحظ ذلك عليه، فكان يحاذر منه، وأضطر إلى ترك قسم من رواياته[(٤)]، فهو قول لا يؤيده كتاب الطبري نفسه. ففي أخبار الردة جعله الطبري المرجع الأول المفضل على المراجع الأخرى. وفي أخبار معركة الجمل ترى لرواياته مكانة بارزة بين الروايات. ثم إن النسخة الأصلية لا تزال في ضمير الغيب، فكيف عرف أن الطبري قد نبذ روايات «سيف» في تمجيد تميم؟

وقد ورد اسم سيف بن عمر في أكثر من ٣٠٠ موضع من تاريخ الطبري. ورد لأول مرة في حوادث سنة ١٠ للهجرة، وهي السنة التي بدأ فيها مسيلمة الكذاب بادعاء النبوة

---

(١) الفهرست ص١٣٧ طبعة مصر Brocklemann, suppl, 1s, 213 - 214 ذكره الطبري الا أنه لم يسمه. راجع تأريخ الطبري ٤/ ١٥٣ فتح حمص.

(٢) تهذيب التهذيب ٤/ ٢٩٥.

(٣) الفهرست ص١٣٧.

(٤) Suppl,p,214.

في حياة الرسول[1]. وورد اسمه لآخر مرة في حوادث سنة ٣٦ وفي ابتداء علي بن أبي طالب بالخروج إلى صفين، فلم ترد له بعد ذلك في كتاب الطبري رواية. ويظهر من هذا بالطبع أثر روايات سيف في الردة ومعركة الجمل ومبلغ اعتماد الطبري عليه.

ومن جملة الرجال الذين أكثر سيف من الرواية عنهم، هشام بن عروة. وتبدأ روايات سيف عند الطبري عن هشام في حوادث سنة ١١ للهجرة. وقد أخذ الطبري هذه الأخبار عن شيخه السري الذي يرد اسمه كثيراً في تأريخ الطبري حيث تردد أكثر من ٢٤١ مرة، ورد لأول مرة في أخبار الردة، وورد لآخر مرة في حوادث سنة ١٤٥هـ، في أيام المنصور، في معرض الكلام على تأسيس مدينة بغداد. وقد استعمل صيغة غير مألوفة بالنسبة للسري، حيث قال: «وذكر عن السري»[2]. أما في المواضع السابقة فقد استعمل صيغتي «وحدثني السري عن شعيب» أو «كتب إلى السري عن شعيب» و«مما كتب به إلى السري عن شعيب». وبين هذا الخبر وآخر خبر ورد قبله فجوة كبيرة جداً، إذ كان ذلك الخبر في حوادث سنة ٣٦هـ وفي مبدأ أمر معركة صفين. ولم يذكر له الطبري بعد ذلك خبراً ما غير هذا الذي ذكرناه والذي يتعلق بأمر تأسيس مدينة بغداد. ويظهر منه أن الطبري لم يأخذه من السري نفسه، وإنما من رجل آخر تحدث به إليه، أو أنه نقله من كتاب من كتب السري.

والسري الذي أكثر الطبري الرواية عنه، وهو السري بن يحيى[3] من رواة شعيب ابن إبراهيم الكوفي راوية كتب سيف بن عمر، قال عنه ابن حجر العسقلاني: إن فيه جهالة، وإنه ليس بالمعروف، وله أحاديث وأخبار، وفيه بعض النكرة[4]. ولا نعرف من أمرهما مع الأسف شيئاً، مع كثرة ورود أسميهما في تأريخ الطبري. وقد أخطأ ابن النديم حين قال: «وروى سيف عن شعيب بن إبراهيم»[5]، لأن شعيباً هو الذي روى كتب سيف. والظاهر من سكوت ابن النديم وأصحاب التراجم عن ذكر شعيب بن إبراهيم والسري أنهما لم يكونا من أصحاب التأليف، وإنما كانا من رواة كتب سيف، والظاهر أيضاً من تأريخ الطبري أن كتب سيف كانت عند السري بن يحيى، وأن الطبري قرأ أجزاء منها على السري، وأخذ قسماً منها كتابة منه.

---

(١) الطبري، الدورة الأولى ١٧٤٩.

(٢) الطبري، الدورة الثالثة ص٢٧٦ حوادث سنة ١٤٥هـ.

(٣) الطبري طبعة مصر ٤/ ١٢٤، طبعة لايدن، الدورة الاولى ص١١٩٧، ١٨٤٥.

(٤) لسان الميزان ٣/ ١٤٤، ميزان الاعتدال ١/ ٤٤٧.

(٥) الفهرست ص١٣٧.

وهنالك طريق آخر سلكه الطبري للأخذ من كتب سيف بن عمر، هو طريق عبيد الله بن سعد الزهري[(١)] بن إبراهيم بن سعد بن عبد الرحمن بن عوف أبي الفضل البغدادي نزيل سامراء ٢٦٠هـ. وقد روى عن أبيه وعمه يعقوب وأخيه إبراهيم بن سعد ويونس بن محمد، وروى عنه طبقة من الثقات من مشاهير أهل الحديث أمثال البخاري وأبي داوود والترمذي والنسائي وابن أبي عاصم والبغوي وأبن ابن الدنيا وآخرين. وقد ورد اسمه في أكثر من ٤٠ موضعاً من تأريخ الطبري[(٢)]، تحدث بها إليه. وأخذ عبيد الله أقوال سيف عن عمه يعقوب ابن إبراهيم بن سعد الزهري نزيل بغداد ٢٠٨هـ[(٣)] من رواة سيف بن عمر وآخرين. وكانت عنده كتب دون فيها أحاديث الزهري وكتبه، أخذها عن أبيه إبراهيم بن سعد عن الزهري، وكتب عنه الناس. ويظهر من قائمة أسماء مشايخه إن يعقوب هذا لم يكن محدثاً حسب، بل كان من أصحاب التواريخ والأدب ومن رواة الشعر أيضاً. وقد ورد اسمه في ٣٩ موضعاً من تاريخ الطبري، ورد لأول مرة في حوادث سنة ١٠ للهجرة في خبر حجة الوداع ومرض الرسول[(٤)]، وقد نقل حديثه عن سيف، وذكر له حديثاً آخر عن الأحداث التي كانت في سنة إحدى عشرة للهجرة أخذه من سيف كذلك[(٥)]. ويظهر من هاتين الروايتين ومن الروايات الأخرى التي أخذها عن سيف[(٦)]، التي بحثت عن الرسول ووفاته وعن بيعة أبي بكر والسقيفة[(٧)] وغير ذلك، أنه كان لسيف كتب أخرى في السيرة وفي الأحداث الإسلامية إلا أنها لم تشتهر اشتهار الكتب التي ذكرناها له قبل هذا، وربما أتى عليها الدهر قبل أيام ابن النديم.

وأكثر هذه الأخبار التي دونها الطبري عن يعقوب بن إبراهيم هي من أخبار سيف، أخذها من كتبه، وذلك لاتفاق عبارة المتن في تأريخ الطبري وفي المروي عن يعقوب الزهري وشعيب بن إبراهيم.

اعتمد الطبري على كتاب سيف في الفتوح، وقد أخذ سيف متن هذا الكتاب من

---

(١) في طبعة لايدن: عبيد الله بن سعيد الزهري، وهو خطأ، والصواب سعد.
(٢) فهرت الطبري طبعة لايدن ص٣٦٧.
(٣) تهذيب التهذيب ١١/ ٣٨٠.
(٤) الطبري، الدورة الأولى ص١٧٤٩.
(٥) الطبري، الأولى، ص١٧٩٤.
(٦) الطبري، الأولى ١٨٢٤، ١٨٢٥.
(٧) الطبري الأولى ١٨٤٤، ١٨٤٥، ١٨٤٧، ١٨٤٩.

رواية السري بن يحيى في الغالب، وأعتمد عليه في أخبار الفتن التي قامت على عثمان، مثل فتنة عبد الله ابن سبأ التي اظهرها في البصرة في سنة ٣٣هـ. وأخذها سيف عن عطية بن الحارث أبي روق الهمداني من كبار رواة الكوفة ومن المفسرين المعروفين، وقد مر ذكره. وهو من رواة عكرمة والشعبي والضحاك بن مزاحم[١]. وقد ذكر الطبري أسمه في ٤٦ موضعاً[٢]، ونقل عنه جملاً في أخبار ما قبل الإسلام، أخذها من تفسيره، وأجاز الطبري به شيخه محمد بن أبي منصور الآملي عن علي بن الهيثم[٣]، عن المسيب بن شريك أبي سعيد التميمي الكوفي[٤]. وقد قيل إنه من الضعفاء، أو أنه من المتروكين. روى عن أبي روق، وروى أبو روق عن الضحاك بن مزاحم صاحب التفسير.

وروى تفسير أبي روق عن الضحاك شيخ آخر من شيوخ الطبري هو المثني بن إبراهيم الآملي عن علي بن الهيثم عن المسيب بن شريك عن أبي روق. وقد ورد أسم المثنى بن إبراهيم في ٢٨[٥] موضعاً من تأريخ الطبري كلها في تأريخ ما قبل الإسلام وفي الإسرائيليات عدا موضعاً واحداً هو في القبلة، غير أن له علاقة كذلك باليهوديات[٦]. والظاهر أنه كان من أصحاب التفاسير، أو من رواة التفاسير. وهو يكثر الرواية عن إسحاق بن الحجاج[٧].

وروى عطية بن الحارث أبو روق عن يزيد الفقعسي، وعن أبي العريف. وقد ورد أسم يزيد الفقعسي في (٥) مواضع من تأريخ الطبري هي في حوادث عثمان وعلي[٨]. وعنه وردت قصة عبد الله بن سبأ[٩]. وقصة أبي ذر الغفاري ورأيه في مال المسلمين، وقصة مجيء عبد الله بن سبأ إلى البصرة ونزوله على حكيم بن جبلة زعيم فتنة

---

(١) تهذيب التهذيب ٧/ ٢٢٤.

(٢) فهرست الطبري ص١٩٨.

(٣) عن الهيثم بن عدي، تهذيب التهذيب ٧/ ٣٩٤.

(٤) لسان الميزان ٦/ ٣٨.

(٥) فهرست الطبري ص٤٩٧.

(٦) الطبري، الدورة الأولى ص١٢٨٠.

(٧) الطبري، الدورة الأولى ص٧٨٥.

(٨) الطبري، الدورة الأولى ص٢٨٤٩، ٢٨٥٨، ٢٩٢٢، ٢٩٤٢.

(٩) الطبري، الدورة الأولى ص٢٨٥٨.

البصرة[1]، وأخيراً حركة عبد الله بن سبأ ونسبه ومراسلاته مع الأقطار[2]. ترى من ذلك أن ما أخذه سيف عن يزيد الفقعسي قد انحصر في ناحية خاصة من ناحية الفتنة التي قامت على الخليفة عثمان بن عفان، وهي الرواية الوحيدة التي وردت في هذا الموضوع. وليست الروايات الأخرى التي ترددت في الكتب ألا صدى لرواية سيف عن يزيد، وهي رواية أشك فيها كثيراً، فان رجال هذا السند كلهم ضعفاء مطعون فيهم من السري وشعيب إلى سيف ويزيد.

وروى عن عروة بن الزبير عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير، وقد ورد اسمه في موضعين[3] من السيرة النبوية كان فيهما متحدثاً عن جده عروة بن الزبير.

الطبري بعد معركة الجمل حيث ذكر روايات سيف عن عروة بن الزبير، فيعرض عن روايات عروة، ويترك فجوة من هناك إلى حوادث سنة ٧١ حيث ذكر له خبراً أخذه من كتب الواقدي عن عثمان بن محمد عن أبي بكر بن عمر عن عروة عن مقتل مصعب بن الزبير[4]، ثم خبراً آخر عن حضور وفد من فقهاء المدينة مجلس عمر بن عبد العزيز[5].

ونحن نطمع ولا شك في أن نرى لأبان بن عثمان بن عفان أبي سعيد[6] أثراً كبيراً في تأريخ الطبري، لما له من مكانة، ولكونه أقدم من اشتغل بالسيرة والمغازي، وممن شاركوا في الحياة السياسية وعملوا الأحداث السياسية التي وقعت في أيام والده وأيام علي ومعاوية ويزيد وعدد من الخلفاء، ولكونه ولي ولاية المدينة، فهو حجة من هذه الأمور. كنا نطمع أن نرى له الصدارة في تأريخ الطبري، غير أنه خيب أملنا كل التخيب، فلم ينقل عنه شيئاً ولو خبراً واحداً، بل ورد اسمه في ١٤ موضعاً، لكنه لم يذكره راوياً متحدثاً، وإنما ذكره رجلاً متحدثاً عنه.

وأما شرحبيل بن سعد أبو سعد الخطمي مولى الأنصار ١٢٣هـ[7] الراوي عن

---

(١) الطبري، الدورة الأولى ص٢٩٢٢.
(٢) الطبري، الدورة الأولى ص٢٩٤٢.
(٣) الطبري، الدورة الأولى ص١١٥٤، ١١٩٩.
(٤) الطبري، الدورة الثانية ص٨١١.
(٥) الطبري، الدورة الثانية ص١١٨٣.
(٦) تهذيب التهذيب ١/ ٩٧.
(٧) فهرست تهذيب التهذيب ٤/ ٣٢٠.

جماعة من الصحابة مثل زيد بن ثابت وأبي هريرة وأبن عباس وأمثالهم، فقد عد في نظر طائفة من أعلم الناس بالمغازي والبدريين، ولم يكن أحد أعلم بالبدريين منه. وأصابته حاجة، فكانوا يخافون إذا جاء إلى الرجل فلم يعطه أن يقول «لم يشهد أبوك بدراً». والظاهر أن علاقته لم تكن حسنة بابن إسحاق الذي لم يعترف لشرحبيل بالعلم، بل كان يقول فيه «واحد يحدث عن شرحبيل»(1). فمن الطبيعي إذن ألا نجد له قولاً في السيرة النبوية لابن إسحاق. ولما كان أكثر اعتماد الطبري على السيرة النبوية لابن إسحاق، لم يرد لشرحبيل قول في تأريخ الطبري برمته، ولسبب آخر أهم من هذا هو أن سيرة شرحبيل وأبان بن عثمان لم تتمكنا من الثبوت وقتاً طويلاً فعبث بهما الدهر قبل أيام الطبري بزمن.

وأحتل عاصم بن عمر بن قتادة الظفري مكانة لا بأس بها في تأريخ الطبري بالنسبة لأبان ابن عثمان بن عفان وشرحبيل بن سعد. ويعود الفضل في ذلك إلى ابن إسحاق الذي دون في السيرة شيئاً من روايات عاصم، وإلى الحظ الذي لم يقس على سيرة عاصم كما قسا على سيرة أبان وشرحبيل، وان كنت أشك في بقائهما كاملتين إلى أيام الطبري. وقد ورد أسمه في ٤١(2) موضعاً من تاريخ الطبري. ورد أول مرة في معرض كلامه على مبدأ الدعوة وظهور النبوة، وقد أخذ الطبري ذلك من السيرة النبوية لابن إسحاق(3)، وورد آخر مرة في حوادث سنة ٣٥هـ(4)، في معرض كلامه على الفتن التي ظهرت أيام عثمان بن عفان، وقد كان المرجع الذي أخذ منه الطبري في هذه المرة هو محمد بن عمر الواقدي. ولم يذكر الطبري كعادته من أي كتاب من كتب الواقدي نقل، أمن كتاب التأريخ والمغازي أم من كتاب السيرة أم من كتاب التأريخ الكبير(5)؟ وهذه الكتب هي أنسب كتب الواقدي بالنسبة لهذا المقام. وقد نقل الواقدي كلام عاصم عن طريق محمد بن صالح بن دينار المدني التمار، وهو من مشايخ الواقدي، وكان من أصحاب المغازي، والظاهر أنه لم يكن من الذين يخلطون الإسرائيليات والخرافات

---

(١) تهذيب التهذيب ٤/ ٣٢٠، ابن سعد جـ٣ق١، المقدمة صXX.
(٢) فهرست الطبري ص٣٠٣.
(٣) الطبري، الدورة الأولى ص١٢٠٧.
(٤) الطبري، الدورة الأولى ص٢٩٧٠.
(٥) راجع عن كتبه الفهرست ص١٤٤.

بالمغازي. لذلك مدحت مغازيه[1]. وقد ورد اسمه في ١٦ موضعاً من تاريخ الطبري[2]، ورد آخر مرة في حوادث سنة ١٦٩هـ وفي أيام الخليفة الهادي[3]، وهذا مما شعر بأنه كان حياً في هذا العهد، وأنه لم يتوف في سنة ١٦ ١هـ كما ذهب إليه ابن أبي عاصم وابن سعد[4]. ويظهر من استعمال الطبري لجملة «قال محمد بن صالح فحدثني. . . .»[5] في تاريخ موسى الهادي، ومن العبارات الأخرى التي تنم على تتبع لأخبار العباسيين، أن محمد بن صالح كان صاحب مؤلف في التأريخ، وربما كان صاحب كتاب في تاريخ العباسيين، وهو الذي نقل منه الطبري بلا واسطة، ولذلك لم يستعمل السند. أما في المواضع الأخرى التي سبقت عهد العباسيين، فقد ذكر رجال السند.

والظاهر أن محمداً هذا كان من حفظة مغازي عاصم، كما كان هو نفسه من المصنفين المعروفين، إذ كان يرجع إليه مشاهير المؤرخين وأصحاب السير، مثل: علي بن مجاهد بن مسلم بن رفيع الكابلي المتوفي بعد سنة ١٨٠ للهجرة[6] من تلامذة ابن إسحاق وأبي معشر من أعلام السيرة، وقد كان هو نفسه صاحب مؤلف في المغازي[7]. ومحمد بن عمر الواقدي الذي كان يراجعه في السيرة ويذكر له الروايات فيصححها ويذكر للواقدي أقوال عاصم[8]، وذلك يدل حقاً على مبلغ ثقة الواقدي به[9]. ويعد محمد بن صالح حلقة اتصال بين الواقدي وعاصم ابن عمر[10].

وروى محمد بن صالح عن مؤرخ آخر من مؤرخي السيرة هو موسى بن عقبة، وتجد نموذجاً من أقواله التي رواها عنه محمد بن صالح في الطبري، أخذها عن شيخه

(١) تهذيب التهذيب ٩/ ٢٢٥.
(٢) فهرست الطبري ص٥١٦.
(٣) الطبري، الدورة الثالثة ص٥٦٠.
(٤) تهذيب التهذيب ٩/ ٢٢٥.
(٥) الطبري، الدورة الثالثة ص٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٦، ٥٦٠.
(٦) تهذيب التهذيب ٧/ ٣٧٨.
(٧) الطبري، الدورة الأولى ص١٢٥٣,٢.
(٨) الطبري، الدورة الأولى ص١٢٤٩.
(٩) الطبري، الدورة الأولى ص١٢٨٣.
(١٠) الطبري، الدورة الأولى ص١٣٦٠، ١٣٦١.

عمر بن شبه البصري عن علي بن محمد المدائني المؤرخ الشهير ومن تلامذة محمد بن صالح[١]. كما روى عن رجل عرف بسعة علمه في الأحداث وفي تواريخ صدر الإسلام، وكان مرجعاً لجماعة من مشاهير مؤسسي علم التأريخ، مثل: أبي مخنف لوط بن يحيى، وأبي إسماعيل الازدي صاحب كتاب فتوح الشام[٢]. وهذا الرجل هو عبد الملك بن نوفل بن مساحق[٣].

ويظهر من الروايات التي دونها الطبري عن الواقدي عن محمد بن صالح ومن غير الواقدي، وبحث فيها محمد بن صالح عن أيام عمر وأيام عثمان والفتن التي وقعت في عهده[٤] وعن مقتل عثمان، أنه كان صاحب مؤلف في تأريخ الخلفاء، وأنه كان مهماً جداً، وقد اعتمد عليه الواقدي كثيراً، وكذلك كاتبه ابن سعد، لتردد اسمه كثيراً في كتاب الطبقات.

أخذ محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر[٥]، وأخذ عاصم عن أشياخ المدينة، ولذلك كان يمثل في الواقع حلقة اتصال بين أقدم من اشتغل بجمع السيرة النبوية والذين نظموا مواد السيرة وهذبوها ورتبوها في كتب مبوبة. وكان عاصم يدرس السيرة في المسجد، ويحدث الناس وهم بين مستمع ومدون، ومن هذه الأمالي والمجالس تكونت مواد السيرة ومادة التأريخ.

موارد تاريخ الخلافة[*]

أما ابتداء أمر خلافة أبي بكر وبقية خلافته، فقد أخذ الطبري أخباره عن ذلك من «علي بن مسلم»، عن عباد بن عباد، عن عباد بن راشد، عن الزهري، وعن ابن حميد، عن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، وعن غيره، ومن عبيد الله بن سعيد

---

(١) الطبري، الدورة الأولى ص٢٧٥٥، ٢٧٦٦.

(٢) تهذيب التهذيب ٦/ ٤٢٨.

(٣) الطبري، الدورة الأولى ص٢٧٦٦، روى عن أبيه مساحق بن عبدالله وكيسان بن سعيد المقبري، وربيعة العنزي.

(٤) الطبري، الدورة الأولى ص١٢٠٩، ١٢٢١، ١٢٦٠، ١٢٩١، ١٣١٨، ١٣٢٢، ١٣٣٥، ١٣٦١، ١٣٦٨، ١٣٨٤، ١٣٩٩، ١٤٠٤.

(٥) الطبري، الدورة الأولى ص١٧٥٥، ٢٨٦٥، ٢٩٧٠، ٢٩٨٠.

(*) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي العدد ٨ لسنة ١٩٦١ ص ٤٢٥-٤٣٦

الزهري، عن عمه يعقوب بن إبراهيم، عن سيف بن عمر، ومن أبي صالح الضراري، عن عبد الرزاق بن همام، عن معمر عن الزهري، ومن محمد بن عثمان بن صفوان الثقفي، عن أبي قتيبة، عن مالك بن مغول، ومن سند ينتهي إلى هشام، عن عوانة، ومن هشام، ابن محمد، عن أبي مخنف[1].

وأخذ بقية أخبار أبي بكر من عمر بن شبة، عن علي بن محمد، ومن كتب الواقدي، ومن السري عن شعيب عن سيف[2]، ومن أبي زيد عن علي بن محمد[3]، ومن أبي كريب عن أبي نعيم عن يونس[4]، وم أبي الاحوص عن أبي إسحاق[5]، ومن الحارث عن ابن سعد عن محمد بن عمر[6]، ومن ابن وكيع عن ابن عيينة، ومن العباس بن الوليد عن أبيه، ومن علي بن مسلم الطوسي عن ابن أبي فديك، ومن يونس عن ابن وهب، ومن محمد بن عبد الله المخرمي عن أبي الفتح نصر بن المغيرة، ومن عثمان بن يحيى عن عثمان القرقساني ويونس بن عبد الأعلى، ومن محمد بن إسماعيل المرادي[7].

وللواقدي مؤلف في خلافة أبي بكر، ذكره ابن النديم، وسماه «كتاب السقيفة وبيعة أبي بكر»، وكتاب آخر سماه ابن النديم «كتاب سيرة أبي بكر ووفاته»[8].

وقد عنى الطبري بـ«علي بن محمد» علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني أبا الحسن، من المؤرخين المعروفين، ومن شيوخ عمر بن شبة. وهو ممن عني بجمع أخبار أبي بكر والخلفاء، وقد أورد له ابن النديم وياقوت ا لحموي أسماء جملة مؤلفات لها صلة به، منها: «كتاب تسمية الخلفاء وكناهم وأعمارهم»، و«كتاب تأريخ أعمار الخلفاء»، و«كتاب تأريخ الخلفاء»، و«كتاب أخبار الخلفاء الكبير» ويحتوي على أخبار أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبقية الخلفاء إلى المعتصم، و«كتاب

---

(١) الطبري ٢/ ٢٠٢ وما بعدها.
(٢) كذلك ٤/ ٩، ١١.
(٣) كذلك ٤/ ٢٩، ٤٦.
(٤) كذلك ٤/ ٤٧.
(٥) كذلك ص٤٧.
(٦) كذلك ص٤٧.
(٧) الطبري من ص ٨، فما بعدها.
(٨) الفهرست ص١٤٤.

فتوح الشأم أيام أبي بكر»، و«كتاب وفاة أبي بكر»[١]. وقد كان من رواته أحمد بن الحارث الخراز المتوفي سنة ٢٥٨هـ صاحب «كتاب أسماء الخلفاء وكتابهم والصحابة»[٢]، والزبير بن بكار، وأحمد بن خيثمة، والحارث بن أبي أسامة[٣]، وهم من المؤرخين المعروفين في الأخبار والتأريخ. والزبير بن بكار، المتوفي سنة ٢٥٦هـ، من علماء الأنساب والأخبار، وخاصة أنساب قريش. وقد كان على كتابه في أنساب قريش الاعتماد في معرفة أنساب القرشيين.

روى عن سفيان بن عيينة، وروى عنه ابن ماجة وابن أبي الدنيا وغيرهما. وقد ذكر ابن النديم وياقوت الحموي أسماء عدد من مؤلفاته في التأريخ والأحداث والأدب[٤].

ونقل ابن كثير أخبار أبي بكر من مؤلفات «سيف بن عمر» كذلك، وذلك في جملة الموارد الأخرى التي استعان بها في تدوين هذا التأريخ. وقد ذكر سنده على هذه الصورة: «وقال سيف بن عمر التميمي، عن أبي ضمرة، عن أبيه، عن عاصم بن عدي»[٥]، و«قال سيف بن عمر: عن هشام بن عروة، عن أبيه»[٦].

ويرتقي تأريخ ظهور الردة إلى أيام حياة الرسول، فلم يكن إسلام بعض الناس عن إيمان وتصديق، وقد أشير إلى هؤلاء في القرآن الكريم. وقد دفع انتشار الإسلام ونجاحه بعض الطامعين في الرئاسة والزعامة إلى ادعاء النبوة في حياة الرسول، فادعاها مسيلمة، وطمع فيها، وكتب إلى الرسول أنه شريكه في النبوة، وأنه رسول مثله. وقد نقل أهل الأخبار صورة كتابه إلى الرسول، وصورة جواب الرسول إليه.

وسلسلة أسانيد إلى سيف، هي على هذا النحو: «فحدثني السري بن يحيى، قال: حدثنا شعيب، عن سيف. وحدثنا عبيد الله، قال: أخبرني عمي، قال أخبرنا سيف»، و«فحدثني عبيد الله بن سعيد الزهري، قال: حدثنا عمي، قال: حدثنا سيف وحدثني السري بن يحيى، قال: حدثنا شعيب بن إبراهيم، عن سيف» و«حدثني عبيد الله، قال: أخبرني عمي، قال: أخبرني سيف، يعني ابن عمر»، و«حدثني بهذا السري، عن شعيب

---

(١) الفهرست ص١٤٩ وما بعدها.
(٢) الفهرست ص١٥٢ وما بعدها، إرشاد الاريب ٥/ ٧٢.
(٣) إرشاد الأريب ٥/ ٣٠٩ - ٤٢٦.
(٤) الفهرست ص١١١، إرشاد الأريب ٤/ ٢١٨ وما بعدها.
(٥) البداية والنهاية ٦/ ٣٠٢ وما بعدها.
(٦) المصدر نفسه ٦/ ٣٠٤.

بن إبراهيم، عن سيف»[1]. وترفع كل أسانيد الطبري الأخرى إلى سيف على هذا النحو، فلا حاجة بنا إلى ترديدها إذن.

ويظهر من مراجعتها وتحليلها أن الطبري قد جمع ما وعاه سيف بن عمر عن أخبار الردة من طريقين: «طريق السري بن يحيى عن شعيب بن إبراهيم»، وطريق عبيد الله ابن سعيد الزهري عن عمه عن سيف. وقد أخذ الطبري رواياته عن السري بطريقين: طريق الالتقاء والمحادثة كما يظهر ذلك من تعبيره: «حدثنا السري» و«فحدثني السري»، وطريق المكاتبة والمراسلة كما يظهر ذلك من عباراته: «كتب إلى السري بن يحيى عن شعيب عن سيف» و«قال أبو جعفر فيما كتب به إلى السرى بن يحيى يذكر عن شعيب ابن إبراهيم أنه حدثه عن سيف بن عمر»[2].

أما سيف، فقد تحدثت عنه. وقد ذكر ابن النديم في الفهرست اسم كتاب له سماه «كتاب الفتوح الكبير والردة»[3]. لا بد أن يكون هذا الكتاب الذي أخذ منه شعيب بن إبراهيم أخباره عن الردة. وشعيب هو من رواة سيف، ونجد في «البداية والنهاية» أخباراً عن الردة. رفع ابن كثير سندها إلى «سيف بن عمر» رأساً، دون أن يذكر طريقة حصوله عليها[4]. وقد تبين لي من مطابقتها بروايات الطبري عن الردة أنه أخذها منه، دون أن يشير إليه. مكتفياً بالإشارة إلى سيف.

ويظهر من أسانيد الطبري أن شعيب بن إبراهيم كان أحد رواة سيف، ومنه أخذ السري سلسلة سنده التي توصله إلى سيف، وقد أخطأ ابن النديم في جعل «شعيب بن إبراهيم» سنداً لسيف، إذ قال: «وروى عن سيف عن شعيب بن إبراهيم»[5].

ولعل هذا الخطأ هو من أوهام النساخ.

إما «عبيد الله بن سعيد الزهري»، فقد ذكره ابن النديم على هذا النحو: «عبد الله ابن سعد الزهري»، وقد نعته بأنه من أصحاب السير، وقد نسب له كتباً سمى منها كتاب «فتوح خالد بن الوليد»[6].

---

(١) الطبري ٣/ ٢١٣ وما بعدها، وبقية الخبر عن أمر الكذاب العنسي في حوادث السنة الحادية عشرة.

(٢) الطبري ٣/ ٢٤١، وما بعدها، ذكر البطاح وخبره، حوادث السنة الحادية عشرة.

(٣) الفهرست ص١٣٧.

(٤) راجع الجزء السادس، وفيه أخبار الردة.

(٥) الفهرست ص١٣٧.

(٦) الفهرست ص١٣٩.

كذلك أخذ الطبري أخبار الردة من مورد آخر، هو «أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي»، المتوفي سنة ١٠٧ للهجرة. وهو من الأخباريين المعروفين. وقد ذكر ابن النديم أسماء مؤلفات له تربي على العشرين، أولها: «كتاب الردة»[١]، وهو الكتاب الذي أخذ الطبري منه روايات أبي مخنف عن الردة. ويظهر أنه لم يأخذ تلك الأخبار من الكتاب نفسه، بل أخذها عن مورد آخر هو: «هشام بن محمد ابن السائب الكلبي» المتوفي سنة ٢٠٦ للهجرة[٢]، كما يتبين ذلك من هذه العبارات: «قال هشام قال أبو مخنف»، و«قال هشام عن أبي مخنف»[٣].

ويظهر أن الطبري لم يقف على كتاب الردة، لعدم وجود نسخة منه لديه، أو أنه وقف عليه برواية هشام، ولهذا ذكر اسمه لأنه أخذها من روايته، أو أنه أخذها من مؤلفات هشام، وقد كان هشام قد ذكر سنده، فذكر الطبري سنده على نحو ما أخذه. وقد كان لهشام مؤلف في ردة مسيلمة الكذاب، ذكره ابن النديم وسماه «كتاب مسيلمة الكذاب»[٤].

وروى الطبري أخباراً في الردة رفعها إلى «ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق»[٥]، وقصد بابن إسحاق أبا عبد الله محمد بن إسحاق بن يسار صاحب السيرة الشهير. وقد تحدثت فيما سلف من البحث عن هذا السند حديثاً مفصلاً، فلا حاجة بي إلى إعادة ذلك الحديث في هذا المكان. وابن إسحاق هو سند كثير من المؤرخين في إخبار الردة، ومنهم ابن كثير[٦]. وقد أورد له أخباراً ونوه باسمه، وقال: «قاله ابن إسحاق»[٧] و«قال محمد بن إسحاق»[٨]. ويظهر لي انه لم ينقل من مؤلف ابن إسحاق نفسه، وإنما نقل من تأريخ الطبري ومن مؤلفات أخرى، وقد ذكر ابن إسحاق لذكرهم له.

وقد أخذ عن ابن إسحاق أحد العلماء المؤلفين، وهو أبو زيد وثيمة بن موسى بن

---

(١) ابن النديم: الفهرست ص١٣٦.

(٢) الفهرست ص١٤٠.

(٣) الطبري ٣/ ٢٢٨ وما بعدها، السنة الحادية عشرة، بقية الخبر من غطفان حين انضمت إلى طليحة وما آل اليه أمر طليعة.

(٤) الفهرست ص١٤٢.

(٥) الطبري ٣/ ٢٢٩ وما بعدها.

(٦) البداية والنهاية ٦/ ٣١٢.

(٧) المصدر نفسه، والصفحة ٣١٩.

(٨) إرشاد الأريب ٧/ ٢٢٦ - ٤٣٠.

الفرات الفارسي الفسوي الوشاء المتوفي سنة ٢٣٧ للهجرة، صاحب كتاب في الردة لم يصل إلينا كاملاً حتى الآن، ولكنه كان مرجعاً لكثير من كبار المؤرخين المعروفين، أخذوا منه، ونقلوا فصولاً في الردة من ذلك الكتاب. وقد أورد أسماءهم بتفصيل «ولهلم هونرباخ». أما الطبري، فلم يشر إليه، ولم ينقل منه.

وقد وصف ياقوت الحموي كتاب الردة لوثيمة، فسماه «كتاب أخبار الردة»، فقال: «وصنف كتاب أخبار الردة، ذكر فيه القبائل التي ارتدت بعد وفاة النبي ﷺ، وسرايا أبي بكر التي سيرها لقتالهم وما جرى بينهم، ومن رجع منهم إلى الإسلام، وأخبار خالد بن الوليد مع مالك بن نويرة وقتله له، ومراثي متمم بن نويرة في أخيه، غير ذلك»[١]. ويظهر من هذا الوصف أنه كان قد وقف عليه.

وذكر ياقوت الحموي أنه حدث بأحاديث موضوعة عن سلمة بن فضل، عن ابن سمعان عن الزهري. وله حديث منكر عن مالك. وقد سمع منه أحمد بن إبراهيم بن ملحان، وحدث عنه ابنه أبو رفاعة عمارة بن وثيمة، وقد سافر من بلده إلى البصرة، ثم إلى مصر، ومنها إلى الأندلس، ثم عاد إلى مصر، وبها مات[٢].

وقد نشر المستشرق الألماني المذكور قطعاً من كتاب وثيمة بعنوان: «قطع من كتاب الردة»، أخذها من كتاب الإصابة لابن حجر العسقلاني، وطبعها بنصها العربي مع ترجمتها بالألمانية، ووضع مقدمة ضافية لها، تحدث فيها عن الكتب المؤلفة في الردة، وعن وثيمة[٣].

هذا، ويجرنا الكلام على كتاب وثيمة، إلى كتاب الإصابة لابن حجر، فنقول: لقد اعتمد ابن حجر على موارد أخرى عديدة غير مورده المذكور، ذكرها في هذا القسم الذي نشره «هونرباخ»، وهي: «ابن فتحون»[٤] في الذيل، و«الواقدي»[٥]، و«سيف»[٦]، «وأبو إسحاق ابن الأمين»[٧]، و«المرزباني» في كتابه معجم الشعراء،

---

(١) ارشاد الاريب ٧/ ٢٢٦ - ٤٣٠.

(٢) ارشاد الاريب ٧/ ٢٢٠ وما بعدها.

(٣) Wathimas Kitab Ar - Ridda, aus Ibn Hagars Isaba, Mainz. 1951.

(٤) قطع من كتاب الردة، ص٢ وما بعدها، ٧، ١١ وما بعدها، ذكره ابن فتحون في الذيل، ص٢٦.

(٥) المصدر نفسه ص٥، ١٠.

(٦) كذلك ١٠.

(٧) كذلك ص٨، واستدركه أبو إسحاق ابن الأمين، ص٣٨.

وفي الموضوعات التي لها صلة بالشعراء[١]، وابن الكلبي[٢]، وابن سعد، وابن البرقي، وابن حبان[٣]١، وابن الدباع[٤]، وموسى بن عقبة[٥]، والطبري[٦] وابن شاهين، والبغوي[٧]، وابن الأثير[٨]، والهمداني في الإكليل[٩]، والغساني[١٠]، والذهبي[١١]. وقد رتبت هذه الأسماء بحسب تسلسلها في كتاب الإصابة هذا، الذي استخرجت منه «قطع من كتاب الردة» لوثيمة.

ويلاحظ أن الطبري قد اعتمد على روايات «سيف» في الغالب، وأهمل موارد أخرى في الردة. فقد كان للواقدي كتاب في الردة ذكره ابن النديم[١٢]، لم يأخذ منه الطبري على ما يظهر، إذ لم يشر إليه في أثناء كلامه على الردة، مع انه اعتمد عليه في مواضع أخرى، وفي أمور لا تخص الردة[١٣]. وقد فقد هذا الكتاب. ولكنه كان معروفاً عند بعض المؤرخين فاعتمدوا عليه، وصرح ابن حجر بأخذه منه فقال: «ذكره الواقدي في كتاب الردة»[١٤]. وأشار إليه ابن كثير كذلك[١٥].

وقد ذكر الطبري في أثناء حديثه عن الردة وفي ضمن كلامه على حوادث السنة الحادية عشرة، روايات قصيرة، لا صلة لها مباشرة بالردة، وإنما هي تخص الإحداث التي وقعت في هذه السنة. وجاء في رواية منها خبر مقتل العنسي، أخذه من «عمر بن

---

(١) الصفة، ٥، ٩.
(٢) كذلك، ص٩.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) الصفحة ١١ واستدركه ابن الدباغ وابن فتحون، ص٣٣.
(٥) الصفحة ٢٢.
(٦) لمصدر نفسه ص٢٣.
(٧) كذلك ص٢٤.
(٨) كذلك ٢٦.
(٩) كذلك ص٣٠.
(١٠) استدركه ابن فتحون عن وثيمة وابن الأثير من الغساني مختصراً، ص٣٤.
(١١) وأعاده الذهبي في التجريد، ص٣٤.
(١٢) الفهرست ص١٤٤.
(١٣) الطبري ٣/ ٢٢٠ وما بعدها.
(١٤) قطع من كتاب الردة ص١٠.
(١٥) وقال الواقدي وآخرون، البداية والنهاية ٦/ ٣٢٦. - ٤٣٢.

شبة» عن «علي ابن محمد» عن أبي معشر [١]. ونجد هذا الخبر بنصه في تأريخ ابن كثير، نقله عن تأريخ الطبري، وقد أشار إليه[٢]. ويفيدنا هذا النقل بالطبع فائدة كبيرة في الوقوف على النص الأصلي لتأريخ الطبري، وفي تعيين درجة مطابقة المطبوع منه مع الأصل.

وأخذ الطبري خبره عن ردة أهل عمان ومهرة واليمن، من ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق، ومن أبي زيد عن أبي الحسن المدائني عن أبي معشر ويزيد بن عياض بن جعدبة وأبي عبيدة بن محمد بن أبي عبيدة وغسان بن عبد الحميد وجويرية بن أسماء، ومن السري ابن يحيى عن شعيب عن سيف[٣].

وأبو معشر، هو نجيح المدني مولى. وكان مكاتباً لامرأة من بني مخزوم وعتق. ذكر ابن النديم أنه توفى في أيام الهادي، وذكر له من الكتب كتاب المغازي[٤]. وهو من الإخباريين المعروفين، وقد كان من رواته المدائني المؤرخ الذي سأتحدث عنه.

وقصد الطبري بـ«أبي زيد» عمر بن شبة النميري، المتوفي سنة ٢٦٢هـ، وهو من المؤلفين المعروفين في الأخبار والأدب. وكان له ولد اسمه أبو طاهر أحمد بن عمر بن شبة، وكان شاعراً مات بعد أبيه بنحو عشر سنين. وقد آلت إليه كتب أبيه بعد وفاته، فباعها لأبي الحسن علي بن يحيى. وقد ذكر ابن النديم أسماء مؤلفات أبي زيد[٥]، وكان كما يظهر من سند الطبري المذكور من رواة المدائني.

هذا وقد كان لأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني، المتوفي سنة ٢١٥هـ للهجرة، كتاب في الردة ذكره ابن النديم. وهو من المؤرخين المعروفين، وصاحب مؤلفات كثيرة في الأخبار والحوادث والتاريخ وفي الشعر والشعراء والأوائل التي وقعت قبل أيامه وفي أيامه. وقد ذكرها ابن النديم في إثناء حديثه عنه. وقد كان منقطعاً إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي، وتوفي في بيته وله ثلاث وتسعون سنة[٦]. وقد كان المدائني في جملة الرواة الذين رووا عن أبي معشر.

---

(١) الطبري ٣/ ٢٢٠.
(٢) البداية والنهاية ٦/ ٣٠٥.
(٣) الطبري ٣/ ٢٦١.
(٤) الفهرست ص١٣٦.
(٥) الفهرست ص١٦٣، إرشاد الأريب ١/ ١٨ وما بعدها.
(٦) المصدر نفسه ,ارشاد الاريب ٣٠٩وبعدها)

وأما غسان بن عبد الحميد، فانه كان من الكتاب، وقد ذكره ابن النديم، فقال: إنه كان يكتب لجعفر بن سليم بن علي. وكان بليغاً حلو الكلام لطيف المعاني، وله كتب مدونة وكتاب رسائله[1].

وقد كان ليحيى بن سعيد الأموي المتوفي سنة ١٧٩ أو ١٩٤ كتاب في الردة، وآخر في الغزوات.

كذلك كان لإسحاق بن بشر البخاري المتوفي سنة ٢٠٢ للهجرة[2] أو ٢٠٦هـ[3] كتاب في الردة ذكره ابن النديم مع كتب أخرى له، هي: كتاب المبتدأ، وكتاب الجمل، وكتاب الألوية، وكتاب صفين، وكتاب زمزم. وقد كان من أصحاب السير والإحداث. قد روى عن محمد بن إسحاق، وعبد الملك بن جريج، وسعيد بن أبي عروبة، وجويبر ابن سعيد، ومقاتل بن سليمان، ومالك بن أنس، وسفيان الثوري، وإدريس بن سنان. وقد ضعفه بعض العلماء[4].

وممن ألف في الردة: أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي المتوفي سنة ٢٨٣ للهجرة، وله مؤلفات عديدة في الإحداث والتأريخ ذكرها ياقوت الحموي. منها: كتاب السقيفة، وكتاب الردة، وكتاب التأريخ، ومؤلفات أخرى في خلافة عثمان والشورى وفي خلافة علي والأحداث التي وقعت في عهده وفي إخبار الشيعة والخوارج والإمامة وما يتعلق بذلك. والمؤلف هو من الشيعة الإمامية، ولهذا عني بكتابة تواريخ الإحداث المتصلة بهذا الموضوع.

وأبو الحسن علي ابن محمد القرشي[5].

وكان لإسماعيل بن عيسى أبو إسحاق المعروف بالعطار، وهو من أصحاب السير، جملة مؤلفات في التأريخ، ذكر ابن النديم منها: كتاب المبتدأ، وكتاب حفر زمزم، وكتاب الردة، وكتاب الفتوح، وكتاب الجمل، وكتاب صفين، وكتاب الألوية، وكتاب الفتن. ولم يشر إلى سنة وفاته. وذكر أن من رواته الحسن بن علوية العطار[6].

---

(١) الفهرست ص١٨٣.

(٢) الفهرست ص١٣٧.

(٣) ارشاد الاريب ٢/ ١٣٠ - ٤٣٤.

(٤) ياقوت، إرشاد ١/ ٢٩٥، فهرست كتب الشيعة، للطوسي ص١٦.

(٥) W,Hoenerbach, Watimas, Kitab, ar, ridda, S, 20.

(٦) الفهرست ص١٥٩، إرشاد الاريب ٢/ ٣٥٠.

وقد استعمل الطبري عبارة «حدثنا هشام بن محمد عن أبي مخنف» في أثناء كلامه على ما جرى بين المهاجرين والأنصار في أمر الإمارة في سقيفة بني ساعدة[1]. وقصد بهشام بن محمد هشام المعروف بابن الكلبي الإخباري المعروف. ولما كان الطبري قد ولد بعد وفاة ابن الكلبي، فان عبارته المذكورة تشير إلى أنه قد نقل من مؤلف لابن الكلبي كان عنده نقل منه من غير واسطة، وهي عادته عند نقله خبراً من مؤلف يكون بين يديه.

أما عوانة الذي يرجع ابن الكلبي في إخباره إليه، فانه عوانة بن الحكم بن عياض بن وزر بن الحارث الكلبي، المتوفي سنة ١٤٧ للهجرة أو بعد ذلك. وهو من كلب، أي من القبيلة التي ينتهي نسب ابن الكلبي إليها، ويكنى أبا الحكم. وكان من علماء الكوفة بالشعر والنسب والأخبار. وقد ذكر ابن النديم له «كتاب التأريخ»، وكتاب سيرة معاوية وبني أمية. وذكر انه لمنجاب بن الحارث[2]. وقد روى عنه الأصمعي، والهيثم ابن عدي، والمدائني وكثير من أعيان أهل العلم[3].

وقد جاء الطبري بمادة غزيرة عن الردة، أخذها من موارد متعددة في طليعتها روايات «سيف» حيث تحتل رواياته المكانة الأولى بين الروايات. ويمتاز الطبري عن بقية من ذكر الردة من المؤرخين الذين سبقوه والذين عاصروه أيضاً بإشارته إلى الموارد التي أخذ منها علمه بها، وذلك بطريقة السند على سنته التي سار عليها في تأليف تأريخه كما أشرت إلى ذلك فيما سبق من القول.

وإذا ذكرنا الردة، فأننا لا نعني ردة من ارتد عن الإسلام وعاد إلى الكفر بعد الإسلام فقط، بل نعني هؤلاء ومن امتنع عن دفع الصدقة أي الزكاة من العرب أيضاً. وذلك مجاراة لأهل السير والتأريخ والأخبار.

وقد عدّ هذا الامتناع بغياً «بغياً على الحق»، ولهذا قوتلوا، ولهذا أيضاً أدخلهم المؤرخون في المرتدين، وقد عرفت الردة بأنها الرجوع عن الإسلام، والكفر بعد إعلانه والتصديق به[4]. والامتناع عن دفع الصدقة لخليفة رسول الله.

---

(١) الطبري ٣/ ٢٠٧

(٢) الفهرست ص١٣٤.

(٣) إرشاد الأريب ٦/ ٩٣ وما بعدها.

(٤) شرح القاموس ٣٥١.

موارد تأريخ المسعودي[*]

يعود الفضل إلى المسعودي في الواقع في وقوفنا على شيء من أخباره وآرائه، لأن الذين كتبوا عنه قليلون، وما كتبوه عنه هو نزر يسير. ليس فيه ما يتحدث عن رأيه وفكره في التأريخ وفي كيفية فهمه له، وفي تفسير الأحداث التي وقعت وتقع في هذا العالم.

وكل ما ذكروه عنه أنه: أبو الحسن[1]، أبو الحسين علي بن الحسين بن علي المسعودي، نسبة إلى الصحابي عبد الله بن مسعود. أما مولده، فلم يذكروا عنه شيئاً، وأما وفاته، فجعلوها سنة ٣٤٥أو ٣٤٦ للهجرة[2].

ويظهر أنها كانت بمصر، لأنه كان مقيما بالفسطاط سنة ٣٤٥ للهجرة، كما نص المسعودي على ذلك بمواضع من كتابه التنبيه.

وقد ذكر «ابن النديم» أنه كان «من أهل المغرب»[3]، وهو وهم ما في ذلك شك، لأن المسعودي نفسه، نسب نفسه إلى العراق، وأظهر توجعه مراراً لفراقه العراق موطنه، وابتعاده عنه أمداً طويلاً[4].

وقد وصفوه «ابن شاكر» بأنه «كان أخبارياً علامة صاحب غرائب وملح ونوادر»[5]. ويجب أن نضيف إلى هذا الوصف أنه كان رحالة جواله قطع مسافات شاسعة من الأرضين، وانه كان موسوعياً بطبعه، كلفاً بالإحاطة بكل فنون المعرفة.

(*) نشر هذا البحث في مجلة سومر

(١) أما «المسعودي»، فكنى نفسه بـ«أبي الحسن»، «قال أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي»، التنبيه ص١، طبعة الصاوي.

(٢) فوات الوفيات، لابن شاكر ٢/ ٥٧، زيدان، آداب اللغة العربية ٢/ ٣١٣، طبقات الشافعية، للسبكي ٢/ ٣٠٧، العلامة الحلي ٤٩، لسان الميزان ٤/ ٢٢٥، ابن العماد، شذرات الذهب ٢/ ٣٧١.

(٣) الفهرست ص٢٢٥، طبعة المكتبة التجارية، روضات الجنات ٣/ ٣١٠، ٣٧٩، رجال النجاشي ١٧٨.

(٤) التنبيه ص٣١، ٣٨، ٣٤٦، مروج ١/ ٣٧٤ وما بعدها.

(٥) فوات الوفيات ٢/ ٥٧.

عالج موضوعات متعددة تتمثل في مؤلفاته المتنوعة التي يزيد عددها على الثلاثين مؤلفا، وفي البحوث العديدة التي تطرق إليها في كتابيه: «مروج الذهب» و«التنبيه». أما أسفاره، فقد أشار إليها في مواضع من كتابيه مبينا غايته منها، وهي الوقوف بالتجربة وبالعمل والمشاهدة على أحوال الأمم، وكسب المعرفة والعلم: «مستعلمين بدائع الأمم بالمشاهدة، عارفين خواص الأقاليم بالمعاينة، كقطعنا بلاد السند والزنج والصنف والصين والرانج، وتقحمنا الشرق والغرب، فتارة بأقصى خراسان، وتارة بوسائط أرمينية وأذربيجان والهرات والطالقان، وطوراً بالعراق، وطوراً بالشام»[١]. فلم تكن أسفاره الواسعة هذه للتكسب والاتجار، ولا للمجازفة والمغامرات، بل كانت للبحث والتعلم ومشاهدة أقطار العالم مشاهدة عيان[٢].

وقد لاقى المسعودي في أسفاره هذه مصاعب وأخطاراً، ولا سيما في أسفاره البحرية حيث لعبت به وبأصحابه الرياح والأمواج، وتحطمت السفن، ولكنه لم يترك ركوب البحر بل عاوده مراراً. ركب مرة مع «جماعة من نواخذة السيرافيين، وهم أرباب المراكب» البحر فهلك كثير من السيرافيين ومن كان معهم في مراكبهم، أما مركبه، فلم يصب بسوء، ويقول: «وآخر مرة ركبت فيه في سنة أربع وثلثمائة من جزيرة قنبلو إلى مدينة عمان، وذلك في مركب أحمد وعبد الصمد أخوى عبد الرحيم بن جعفر السيرافي بمكان، وفيه غرقا في مركبهما وجميع من كان معهما، وكان ركوبي فيه أخيراً. . . ، وقد ركبت عدة من البحار كبحر الصين والروم والخزر والقلزم واليمن وأصابني فيها من الأهوال ما لا أحصيه كثرة، فلم أشاهد أهول من بحر السند»[٣]. ووصف بحر الخزر وقد ركب فيه من ساحل جرجان إلى بلاد «طبرستان»، كما ركب جملة بحيرات في بلاد «أذربيجان» و«أرمينية»[٤].

ومن عادته المستحسنة اهتمامه بوصف كل ما يؤثر فيه من أمر غريب. فوصف نوعاً من السمك عرف بـ «أفال» وهو من أسماك بحر السند، كبير الحجم، ضخم الجثة، يخشاه أهل السفن، وتحدث عن كيفية ظهوره على سطح الماء، كما تحدث عن أسماك أخرى

---

(١) مروج ١/ ٢، التنبيه ص٦.

(٢) Ency, of Islam, vol, 3,P,403.

(٣) مروج ١/ ٨٩، محمد محيى الدين عبدالحميد.

(٤) مروج ١/ ٤٠، ١٠٤.

غريبة، وعن أساطير أهل السفن وأقاويلهم عن البحار، واستعمل ألفاظهم ومصطلحاتهم المستخدمة عندهم[١]، ووصف غريب عادات الأقوام التي شاهدها وتطرق إلى آرائها وعقائدها، وكتبها ومعابدها وعلمائها، ولذلك نجده يصف معابد أقوام وصفاً بديعاً شيقاً، ويرسم لنا صوراً شيقة عن كيفية حرق الموتى في الهند، وفي جزيرة سيلان وقد شاهد الحرق بنفسه وعن كيفية تنصيب وتتويج الملوك، كما وصف الآثار وصفاً لطيفاً وتحدث عن تأريخها كما سمعه وعرفه من العلماء أو من الكتب أو من الناس، وتطرق إلى ما عثر فيها وما وجده سراق الآثار ونباشو القبور القديمة في أجوافها من نفائس، فرسم الواحاً جميلة عنها كالذي فعله عن «اهرامات» مصر وعن «البرابي» المنتشرة في أماكن كثيرة من مصر[٢]. وأشار إلى كتب كانت متداولة بين أقباط مصر عن تأريخ مصر القديم وعن آثارها، وأديانها وآرائها، ونقل منها، كما تحدث عن الأقباط وعن عقيدتهم وعقيدة بقية نصارى مصر. ورسم صورة لاحتفال المصريين بليلة الغطاس، من سنة ٣٣٠ للهجرة، وكان إذ ذاك بمصر، والحاكم عليها هو «الاخشيد محمد بن طغج»[٣]. كما وصف مناظرات جرت هناك في الفلسفة وفي الآراء والديانات. ورسم كل ذلك بأسلوب سهل بسيط جذاب مؤثر، يقرب من أسلوب الكتاب.

ومن مزاياه ذكره الأماكن التي نزل بها والأزمنة التي حل بها في تلك الأمكنة، وتسميته أسماء من التقى بهم وزارهم في تلك المواضع من مسلمين ومن غيرهم. فتراه يشير إلى أحبار يهود بغداد فيقول: «وكان آخر من شاهدنا منهم ممن تقدم إلينا من مدينة السلام، بعد الثلاثمائة إبراهيم اليهودي التستري، وكان أحذق من تأخر منهم في النظر، وأحسنهم تصرفاً فيه»[٤]. ونراه يقول «وأخبرني أبو زيد الحسن بن يزيد السيرافي بالبصرة، وكان قد قطنها وانتقل عن سيراف، وذلك في سنة ٣٠٣»[٥]. ونراه يذكر أنه ركب «بحر الخزر» من ساحل «جرجان» إلى بلاد «طبرستان» وأنه ركب بحيرة تقع ببلاد أرمينية بين مدينة «أرمينية» و«منارة» وهي المعروفة بـ«كنودان»[٦]. وحل بمدينة «جور»

(١) مروج ١/ ٨٩، وإنما نخبر عن عبارة أهل كل بحر وما يستعملونه في خطابهم، مروج ١/ ١٣٠.
(٢) مروج ١/ ٢١١ وما بعدها.
(٣) مروج ١/ ٢٩١ وما بعدها.
(٤) التنبيه ص٩٩.
(٥) مروج ١/ ١٢٢.
(٦) مروج ١/ ٤٠، ١٠٤.

التي اشتهرت بماء الورد «الجوري»، نسبة إلى وردها «الجوري» المشهور. حتى عرف بالعراق بـ «ورد جوري»[1].

وكان المسعودي بـ «اصطخر» سنة ٣٠٣ للهجرة. وقد زار فيها معبداً للمجوس ووصفه، كما وصف كتاباً مصوراً في تأريخ ملوك فارس من آل ساسان فيه سبعة وعشرون ملكا منهم خمسة وعشرون رجلاً وامرأتان، «قد صور الواحد منهم يوم مات شيخاً كان أو شاباً وحليته وتاجه ومخط لحيته وصورة وجهه وأنهم ملكوا الأرض أربعمائة سنة وثلاثاً وثلاثين سنة وشهراً وسبعة أيام، وأنهم كانوا إذا مات ملك من ملوكهم صوروه على هيئته ورفعوه إلى الخزائن كي لا يخفى على الحي منهم صفة الميت، وصورة كل ملك كان في حرب قائماً، وكل من كان في أمر جالساً وسيرة كل واحد في خواصه وعوامه وما حدث في ملكه من الكوائن العظيمة والإحداث الجليلة. وكان تأريخ هذا الكتاب أنه كتب مما وجد في خزائن ملوك فارس للنصف من جمادي الآخرة سنة ١١٣، ونقل لهشام بن عبد الملك بن مروان من الفارسية إلى العربية»[2]. وقد نقل هو أخبار أولئك الملوك من هذا الكتاب، ووصف صورهم فيه. كما وصف أشياء أخرى رآها باصطخر.

وصار المسعودي بأرض «اللار» الكبيرة من أرض الهند وذلك في سنتي ٣٠٣ و٣٠٤[3]. وبأرض «كنباية» من الهند سنة ٣٠٣[4]، وبلاد «صيمور» من اللار من مملكة «البلهرا»، وذلك في سنة ٣٠٤، وزار جزيرة «سرنديب»، أي جزيرة «سيلان»، ولم يشر إلى وقت حلوله بها، ولا بد وأن يكون ذلك في خلال هذه المدة، أي أثناء وجوده بالهند[5]. وفي سنة ٣٠٤ ركب البحر من «جزيرة قنبلو»، إلى مدينة عمان، جزيرة قنبلو، هي من جزر بحر الزنج، ومن الجزر الواقعة في مقابل الساحل الأفريقي، وهي «مدغشقر»، ولم يشر إلى كيفية وصوله إلى تلك الجزيرة، وإلى الساحل الأفريقي المقابل لها[6].

---

(١) مروج ١/ ١٤٩.
(٢) التنبيه ص٩٢ وما بعدها.
(٣) التنبيه ص١٩١.
(٤) مروج ١/ ٩٦.
(٥) مروج ١/ ٦٩.
(٦) مروج ١/ ٨٩.

ونجده بمدينة «حلب» والعواصم من أرض الشام في سنة ٣٠٩[١]، ثم بالعراق سنة ٣١٣ إذ يذكر أنه كان بمدينة تكريت في هذه السنة، وأن مناظرات كثيرة في أمور فلسفية وفي الثالوث وقعت له فيها بينه وبين «أبي زكرياء دنخا النصراني»، وذلك في السكييسة المعروفة بالخضراء[٢]. ثم كان بمدينة «هيت» في سنة ٣١٥، وكان يريد السفر إلى بغداد، ولكنه اضطر إلى البقاء فيها، وذلك لمسير «صاحب الإحساء إليها للاستيلاء عليها، إلا انه لم يذكر بعد ذلك شيئاً عن سفره، ولا عن مدة مكوثه بالعراق[٣]. ثم نراه بمدينة «طبرية»، سنة ٣٢٤ ولكنه لم يذكر كيفية وصوله إليها، ولا مدة بقائه بها[٤].

وكان بمصر سنة ٣٣٠[٥]، وكان بمدينة أنطاكية والثغر الشامي، سنة ٣٣٢[٦]، وبدمشق سنة ٣٣٤[٧]. والظاهر انه كان ينتقل في خلال هذه المدة ما بين مصر وبلاد الشام. أما في سنة ٣٣٦، فكان بالفسطاط[٨]، وكان بها في سنة ٣٤٤ أيضاً[٩]. ويظهر أنه استقر بها حتى وافته منيته سنة ٣٤٥ أو ٣٤٦.

وقد رأيت أن في المادة المخصصة بالمسعودي بالموسوعة الإسلامية، بعض الأخطاء في السنين، إذ أنها تخالف ما هو مدون في كتابي المسعودي عن أسفاره[١٠]. وقد نقلت ما دونته من أوقات من كتابيه. كما رأيت في الترجمة العربية بكتاب: «تاريخ الأدب العربي» لـ«بروكلمن»، بعض الهفوات. مثل قوله: «فوصل إلى سرنديب في جزيرة سيلان»[١١]. أما «سرنديب»، فهي جزيرة سيلان، وليست مدينة في تلك الجزيرة، والمسعودي نفسه ينص على ذلك إذ يقول: «قال المسعودي: ورأيت في بلاد

---

(١) مروج ٢/ ٤٨٣، طبعة عبدالرحمن.
(٢) التنبيه ص١٣٢.
(٣) التنبيه ص٣٣٢.
(٤) التنبيه ص٢٩١.
(٥) مروج ١/ ٢٩١.
(٦) مروج ١/ ٨٣.
(٧) التنبيه ص١٦٥.
(٨) مروج ٢/ ٥٦١، طبعة عبدالرحمن.
(٩) التنبيه ص٤٣ وما بعدها، ٣٤٨.
(١٠) Ency, of Islam, voll 3,p,403.
(١١) ٣/ ٥٦.

سرنديب، وهي جزيرة من جزائر البحر»[1]. لذلك فان ما جاء في الترجمة وهم بسيط يحتاج إلى تصحيح.

ومن مزاياه أيضاً أنه يشير إلى أسماء من أخذ منهم، ويذكر أسماء من التقى بهم من العلماء ويتطرق إلى ذكر مؤلفاتهم، وقد ينقل منها. وقد ينتقدها ويبين رأيه ورأي العلماء فيها. وقد أفادنا كثيراً بطريقته هذه، إذ عرفنا بذلك على أسماء مؤلفات لم يذكر أحد من المتقدمين عليه أسمائها، حتى «ابن النديم»، صاحب الفهرست المتوفي في حدود سنة ٣٨٥ على بعض الروايات[2]، لم يشر إلى أسمائها مع أن كتابه هو كتاب خاص في المؤلفين والمؤلفات. وقد أشار المسعودي إلى كتب مترجمة، كما أشار إلى من قام بتعريبها ولمن كان التعريب، فساهم بذلك مساهمة تذكر في تسجيل تأريخ الترجمة والتأليف إلى يومه. ولم يغفل حتى عن أمر تعريب التوراة والإنجيل وكتب أهل الكتاب الدينة الأخرى، وكذلك كتب التأريخ التي ألفها أو عربها رجال دين يهود أو نصارى، فسجل لنا بذلك صفحات في هذا الموضوع لم يكتبها أحد غيره من المؤرخين.

وبفضل مزيته المتقدمة، تمكنا أيضاً من معرفة أسماء مؤلفات المسعودي نفسه، فلولاه لما تمكنا من الوقوف على أسماء أكثر مؤلفاته، لأن الذين بحثوا عنه لم يذكروا إلا عدداً من كتبه. وقد ذكروا بعض الأسماء بصورة محرفة، فضبط لنا المسعودي أسماء كتبه وذكرها في ثنايا كتابيه المطبوعين: «مروج الذهب» و«التنبيه»، وإذا بها تبلغ ٣٤ مؤلفاً وقد تزيد على ذلك[3]. ومن يدري فلعله ذكر أسماء مؤلفات أخرى في كتبه المفقودة التي لم يصل خبرها إلينا.

وقد رأيت دراسة «المسعودي» على نحو ما فعلته في دراستي لـ «موارد تأريخ الطبري» التي نشرتها في مجلة المجمع العلمي العراقي، بصورة متتالية، ولدراستي لما عرفه ابن النديم عن اليهودية والنصرانية، التي نشرتها في المجلة المذكورة أيضاً. فرجعت إلى كتابي المسعودي الباقين المطبوعين، وهما: «مروج الذهب ومعادن الجوهر» و«التنبيه والأشراف»، وقرأتهما من أولهما إلى آخرهما وسجلت منهما ما سجلت، حتى جمعت من المسجل هذه المادة التحليلية. وهي مادة قد تزيد إضعافاً

---

(١) مروج ١/ ٦٩.

(٢) الفهرست ص٣.

(٣) التنبيه صه وما بعدها.

مضاعفة، لو كنت املك كتبه الأخرى، ولكني لا أملك اليوم غير الكتابين المذكورين، ولهذا صار علمي عنه، محصوراً بما ورد فيهما فقط.

ولقد تبين لي أن كتابه المترجم بـ«كتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية، والأجيال الخيالية، والممالك الدائرة»[1]، هو من أوائل مؤلفات المسعودي في التأريخ. وقد تحدث فيه عن «هيئة الأرض، ومدنها، وعجائبها، وبحارها، وأغوارها» إلى آخر ذلك لما يتعلق بوصفها، ثم تكلم فيه عن الفلك وعن أكثر الكواكب في الأقاليم السبع، وعن تباين الناس وتغاير طباعهم، ثم اتبع ذلك بإخبار الأمم الغابرة والأمم الدائرة والقرون الخالية والحكماء والفلاسفة وكل ما يتعلق بالأمم والرسل والملوك إلى أيام الرسول، ثم ساق تأريخ الإسلام إلى سنة ٣٣٢ للهجرة، وهي سنة الابتداء بتأليف كتاب «مروج الذهب»[2].

فالكتاب إذاً، كتاب عام جامع، تأريخ وفلسفة وآراء ونحل ومذاهب واجتماع، ووصف وملاحظات. فيه عن الأرض وعن زواج الأخ من أخته والأم من ابنها، في أيام آدم، وتحدث عنه في «الفن الرابع عشر»[3]، وفيه «جبل مران» موضع و«قبر هارون» وملوك بني اسرائيل، و«ذيل القرنين» والهند وسياساتها وسيرها وعن المانوية والمرقيونية والديصانية والمزدقية[4]. وعن تنازع الفلاسفة والحكماء اليونان في أصل تكون البحار وعللها ومساحاتها والمد والجزر، تحدث عن هذا الموضوع في «الفن الثاني من جملة الثلاثين فناً»[5]. وفيه عن أصول استنباط المياه من جوف الأرض وفي كيفية الاستفادة من الماء لإغراض الفلاحة وفي الأمور الأخرى[6]، وعن الصين والمغرب وعن علل تكون البراكين وعن «القردة» و«النسناس» وعن ملوك بابل وملوك فارس وملوك اليونان وعن الشعوبية ومناظرات السودان والبيض والعرب والعجم، إلى غير ذلك من بحوث أشار إليها في كتابيه المذكورين. وبذلك عرفنا معرفة دقيقة بفهرست ما ورد في الكتاب وبحوث. وأحاطنا علما بما حواه من موضوعات.

---

(١) مروج ١/ ١ ٣٦، ومواضع عديدة أخرى.
(٢) مروج ١/ ١ وما بعدها.
(٣) مروج ١/ ٢٥.
(٤) مروج ١/ ٧٩.
(٥) مروج ١/ ١٠٤، ١٠٦.
(٦) مروج ١/ ١٠٨.

ويظهر من جملة «وقد ذكرنا في كتابنا أخبار الزمان في الفن الثاني من جملة الثلاثين فنا»[١]، الواردة في كتابه «مروج الذهب»، أن كتاب «أخبار الزمان»، كان يتكون من ثلاثين فنا، أو قسماً أو فصلاً. وقد كان الفصل الثاني من هذه الفصول في البحار والمياه وما يتعلق بالبحار من أمور.

وتوجد أجزاء من هذا الكتاب كما ذكر «بروكلمن» في كتابه «تأريخ الأدب العربي»، في بعض خزائن الكتب. وقد نص على أماكنها. ولم يذكر مبلغ صحة نسبتها إلى الكتاب الأصل. وأنا لا استبعد أن تكون هذه إلا جزاء كلها أو بعضها غير الكتاب الأصل، وان تكون أجزاءاً لكتاب آخر. وعلى كل فان ملاحظتي هذه، هي مجرد ملاحظة رجل متحفظ، ظهرت عندي من التدقيق في الكتاب المطبوع الذي نسب إلى المسعودي، ودعى بـ«كتاب أخبار الزمان» مع شيء من الاختلاف في بقية الاسم غير مهم، وقد طبع عن بعض النسخ المحفوظة في المكتبات.

وقد لاحظت أن الترجمة العربية لكتاب: «تأريخ الأدب العربي» لـ«بروكلمن» قد نصت على أن المسعودي، بدأ في تصنيف ذلك الكتاب سنة ٣٣٢ للهجرة المقابلة لسنة ٩٤٣ للميلاد[٢]. ولا ادري مبلغ صحة هذه الترجمة، ودرجة انطباقها على الأصل لاني لا أملك النص الألماني الآن، وإذا كانت هذه الترجمة صحيحة ومضبوطة، يكون المؤلف قد أخطأ في تدوين السنة، لأن المسعودي كان قد انتهى من الكتاب وأتمه في السنة المذكورة، ولم يبدأ بتدوينه بها. كما صرح نفسه بذلك في مقدمة كتابه «مروج الذهب»[٣] وفي مواضع من الكتاب، وفي كتاب «التنبيه والأشراف» أيضاً، وفي هذه السنة شرع بتدوين النسخة الأولى لكتابه «مروج الذهب»[٤].

وقد طبع في القاهرة وفي سنة ١٩٣٨م كتاب بعنوان: «أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران»، نسب إلى المسعودي، وقد ذكر «بروكلمن»، نسب إلى المسعودي، وقد ذكر «بروكلمن»، بانه الجزء الأول من الكتاب المذكور[٥]. أما النسخة المطبوعة، فلم تشر إلى أنها الجزء الأول من الكتاب، وإنما

---

(١) مروج ١/ ١٠٤، ١٠٦، ٢٨٩.
(٢) كارل بروكلمان، تأريخ الأدب العربي ٣/ ٥٧، تعريب الدكتور عبدالحليم النجار، القاهرة ١٩٦٢.
(٣) مروج الذهب ١/ ٢.
(٤) التنبيه ص١٣٣.
(٥) تاريخ الأدب العربي ٣/ ٥٧.

انتهت بهذه العبارة: «تم وكمل كتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان من الغامر بالماء والعمران»[١]، أي ان الكتاب هو كتاب واحد لا جملة أجزاء. وجملة صفحاته المطبوعة ٢٥٢ صفحة، وهو أصغر حجماً من كتاب «التنبيه والأشراف».

ويبدأ الكتاب بجملة «قال الشيخ أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن عبد الله الهذلي المسعودي، رحمه الله ورضي عنه»[٢]. وكاتبه: رجل اسمه: عبد الرحمن بن محمد بن محمد البصري، وقد فرغ منه تاسع عشر جمادي الأولى أحد شهور سنة اثنين وثمانين وثمانمائة»[٣]. والعنوان، هو عنوان يختلف بعض الاختلاف عن عنوان كتاب المسعودي الذي هو «أخبار الزمان، ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية، والأجيال الخالية والممالك الدائرة».

وقد وردت في ثنايا الكتاب أسماء عدد قليل من الكتب والأشخاص، فورد في أثناء كلامه عن الجن اسم كتاب دعاه: «كتاب الخزانة»[٤]، وذكر في موضوع «ذكر الأرض وما فيها» اسم «ابن عبد الحكم»[٥]، ونقل من «كتاب الطيب» لإبراهيم بن المهدي[٦]. وأورد اسم «أبو صالح» كاتب الليث[٧]، كما أشار إلى اسم الفقيه «أبو الحسن عباد بن سرحان»، من أهل بغداد وإلى اسم «أبي الطيب أحمد بن روح»، وإلى اسم كتاب دعاه «كتاب العظمة»، اقتبس منه[٨].

ولا يمكن أن يكون الكتاب المطبوع، هو كتاب المسعودي المذكور. فقد ذكر «المسعودي»، محتويات ذلك الكتاب، وذكر أنه كان في ثلاثين فناءاً وانه اختصره، وسمى مختصره «الكتاب الأوسط»، أما الكتاب المطبوع، فانه كتاب صغير ليس فيه ما ذكره «المسعودي» من عناوين بحوث، وليس فيه تصنيف وتبويب يشبه ما ذكره المسعودي عن محتويات كتابه، وهو للأسباب نفسها لا يمكن أن يكون اختصاراً له، لأن الكتاب المختصر، يكون اختصاراً للكتاب، ولا يمكن أن يكون غيره. وهو لا يمكن للأسباب المذكورة أن يكون أيضاً جزءاً منه.

وأسلوب الكتاب المطبوع وإنشاؤه يختلفان عن أسلوب وإنشاء كتابي المسعودي

---

(١) ص٢٥٢.
(٢) ص١.
(٣) ص٢٥٢.
(٤) ص١٧.
(٥) ص١٨.
(٦) ص٢٣.
(٧) ص٢١٤.
(٨) ص٢١٤.

المطبوعين. فأسلوب هذا الكتاب أسلوب مارد ركيك، لا تجد فيه متانة أسلوب المسعودي وسلاسته وقوته وتأثيره. ثم ان مؤلف هذا الكتاب أو جامعه غارق إلى أذنيه في الاساطير، لم يفهم التأريخ إلا أنه خرافات وقصص وأسمار، فهو من ألفه إلى يائه قصص بارد وأحاديث خرافة على طراز أحاديث وهب بن منبه وعبيد بن شرية، أما المسعودي، فانه ان ذكر الخرافات والأساطير، فانما يذكرها على أنها قصص شائع يرويه الناس، فهو يرويه لشيوعه بينهم، فهو حاك له: «وقد تنازع الناس في الهواتف والجان: فذكر فريق منهم وقال: ان ما تذكره العرب وتنبئ به من ذلك إنما يعرض لها من قبل التوحد في القفار، والتفرد في الأودية، والسلوك في المهامه والمروراة الموحشة لأن الإنسان إذا صار في مثل هذه الأماكن يوجد له تفكير ووجل وجبن، وإذا هو جبن داخلته الظنون الكاذبة، والأوهام المؤذية، والسوداوية الفاسدة، فصورت له الأصوات، ومثلت له الأشخاص، وأوهمته المحال بنحو ما يعرض لذوي الوسواس، وقطب ذلك واسه سوء التفكير، وخروجه على غير نظام قوي، أو طريق مستقيم سليم، لأن المتفرد في القفار والمتوحد في المورارة مستشعر للمخاوف، متوهم للمتالف، متوقع للحتوف، لقوة الظنون الفاسدة على فكرة وانغراسها في نفسه، فتوهم ما يحكيه من هتف الهواتف به، واعتراض الجان له[1].

ونجد المسعودي يسير على هذا المنوال في نقده للاساطير والخرافات وفي التعليق عليها. وهو ان ذكر بعضها بغير تعليق أو قصها بأسلوب. يشير انه كان يعتقد بها، فأننا يجب أن نتذكر انه كان قد عاش قبلنا بأكثر من الف عام، وان الناس أيامه كانوا يعتقدون بها، ولا يرون أنها مجافية للعقل، وان الإنسان لا يمكن ان يجرد نفسه معتقدات وأراء محيطة تجرداً تاماً، وأنه لا بد وان يتأثر بروح زمانه، وأن غيره مثل الطبري رووا ما رواه وذكروا نوع ما ذكره، فلم يكن هو اذاً بدعاً ووحيد زمانه في هذه الأمور.

وقد قمت بإجراء مقابلات ومطابقات بين الكتاب المطبوع وبين «مروج الذهب» في الموضوعات المشتركة الواردة في الكتابين، وسيما في الأماكن التي يستمد «مروج الذهب» مادته من «أخبار الزمان»، فوجدت أن ما يورده الكتاب المطبوع لا يتفق مع ما هو مذكور في «مروج الذهب»، أو مع «كتاب التنبيه والأشراف» في أكثر الأمور. ولم

---

(١) مروج ٢/ ٧٣ طبعة محمد محيى الدين عبدالحميد.

أتمكن من العثور على دليل ملموس يشير إلى وجود نسب بين الكتاب المطبوع وكتاب أخبار الزمان ومع كتابي المسعودي الآخرين المطبوعين. ففي بحث «ذكر الجن وأجناسهم وقبائلهم»[1]. الوارد في الكتاب المطبوع، اختلاف كبير فيما بين هذا الفصل وبين ما ورد في فصل «ذكر أقاويل العرب في الغيلان والتغول وما لحق بهذا الباب» في كتاب «مروج الذهب»[2]. اختلاف في المادة وفي التفاصيل. وقد أورد الكتاب المطبوع قصة في صيد النسناس وحمقه[3] ذكرت في «مروج الذهب»، إلا أنها أكثر تفصيلاً فيه من الكتاب الأول، وقد تضمنت القصة في كتاب «مروج الذهب» ستة أبيات من الشعر لم تذكر في الكتاب المطبوع[4]. ولكننا نجد على وجه العموم تشابهاً في العبارات بين القصتين يبعث على الظن بأن الكتاب المطبوع قد غرف من «أخبار الزمان» للمسعودي - ومن «مروج الذهب». وقد ذكر «المسعودي» اسم صاحب القصة وهو «عبد الله بن كثير بن عفير المصري»[5]، أما الكتاب المطبوع، فلم يشر إلى اسمه، ولا استبعد احتمال أخذ صاحب الكتاب المطبوع، من نفس المنبع الذي اخذ منه المسعودي، ولهذا حدث هذا التشابه في هذه المواضع من الكتابين.

وقد قابلت بين الكتابين في بحوث أخرى مثل بحث «أخبار الكهان من العرب» و«خبر اليمامة الزرقاء» وأخبار عاد وأمثالها، فوجدت أن أحد الكتابين يزيد بعض الأمور، بحيث لا نراها في الكتاب الآخر، وينقص في أمور أخرى، كما نجد تشابهاً أحياناً في المعاني وفي العبارات، مما يدل على وجود صلة بين هذه الموضوعات، قد تكون نشأت من أخذ الكتاب المطبوع من كتاب المسعودي، أو من أخذ المؤلفين من مورد آخر مثل تأريخ الطبري، فقد وجدت اتفاقاً أحياناً بين ما نجده في الكتاب المطبوع، وبين ما جاء في تأريخ الطبري، وبين ما نجده في كتب المسعودي وبين ما نجده في تأريخ الطبري. وقد كان تأريخ الطبري من جملة ا لموارد المقدرة المحترمة التي استعان بها المسعودي في تأليف كتبه، كما نص على ذلك في مقدمتة لكتابه «مروج الذهب» وفي ثنايا الكتاب، وكتابه «التنبيه والأشراف» وقد استعان مؤلف الكتاب

---

(١) ص١١ وما بعدها.

(٢) مروج ١/ ٦٩، ١٢٢.

(٣) ص١٦ وما بعدها.

(٤) مروج ٢/ ١٢٣.

(٥) مروج ٢/ ١٢٣.

المطبوع والمسعودي، بموارد أخرى مثل كتب وروايات وهب بن منبه وعبيد بن شرية وموارد أخرى من هذا القبيل اعتمدت على الأساطير والإسرائيليات.

والكتاب المطبوع في جملته قصص وأساطير، صيغت بطريقة غير منسقة ولا مرتبة، بأسلوب متنافر متباين، فلا تجد بين الفصول وحدة في الموضوع ولا ارتباط في الموضوعات والأفكار. ولا حسن توزيع للمادة. ثم ان التبويب مضطرب، تقرأ عنوان فصل آخر فتجده نصف صفحة او صفحة ثم تقرأ عنوان فصل اخر فتجده في عشرات من الصفحات كالذي فعله في باب «ذكر ملوك مصر بعد الطوفان»[١]، وفي باب «ذكر عجائب مصر وأخبار ملوكها وكهانها»[٢]. وما أورده عن مصر، يختلف عما أورده المسعودي في كتابه «مروج الذهب» عن مصر.

أما الكتاب الثاني في جريدة مؤلفات المسعودي، فهو «الكتاب الأوسط»[٣]. وهو مثل كتاب أخبار الزمان موسوعة في التأريخ العام «من لدن البدء إلى الوقت الذي عنده انتهى كتابنا الأعظم وما تلاه من الكتاب الأوسط»[٤]. وهو كتاب وسط بين كتابه الأول وهو كتاب مفصل وبين كتبه الأخرى التي ألفها فيما بعد. اختصر فيه ما جاء مفصلاً في «أخبار الزمان»، وأضاف إليه أموراً جديدة لم ترد في الكتاب الأول. يظهر أنه لم يكن قد وقف عليها يوم ألف كتابه السابق، أو أنها وقعت بعد انتهائه من تأليف ذلك الكتاب. ولهذا نجده يشير إلى الكتابين في أماكن عديدة من «مروج الذهب» و«كتاب التنبيه»، مجتمعين، يذكر «أخبار الزمان» أولاً ثم يثنى بذكر اسم «الكتاب الأوسط»، بأن يذكر انه بحث عن الموضوع الفلاني في الكتابين المذكورين، ليرشد القارئ إليهما، وليدله على أنه تكلم هناك ولا سيما في أخبار الزمان بتبسط وتفصيل. ونراه يشير إلى الكتاب الأوسط وحده في بعض الأحيان، دلالة على أنه تحدث فيه عن الموضوع المذكور، وقد يذكر كتاب أخبار الزمان وحده، للغرض نفسه.

---

(١) ص١٥٢ - ٢٥١.

(٢) ص ١٠١ - ١٥٢.

(٣) وقد طبع على هذه الصورة: «كتاب الأوساط» في الترجمة العربية لكتاب «بروكلمن»: «تأريخ الأدب العربي»، وهو خطأ، وقع فيه المعرب من تعجله وعدم رجوعه إلى كتاب المسعودي نفسه، راجع التعريب ٣/ ٥٧.

(٤) مروج ١/ ٢، ٢٣٦، ٢٦٨، ٢٨٨، ومواضع أخرى، ١/ ٦٩، ٨٧، ١٢٣، ١٤٨، ١٨٥ ومواضع أخرى.

و«مروج الذهب ومعادن الجوهر»، هو ثالث مؤلفات المسعودي في التأريخ العام. وقد قال في مقدمته له في الأسباب التي حملته على تأليفه: «رأينا إيجاز ما بسطناه، واختصار ما وسطناه في كتاب لطيف نودعه لمع ما في ذينك الكتابين مما ضمناهما، وغير ذلك من أنواع العلوم، وأخبار الأمم الماضية، والأعصار الخالية، مما لم يتقدم ذكره فيهما»[١]. فالكتاب إذا هو إيجاز للكتابين واختصار لهما، مع إضافات وزيادات لم ترد في الكتابين المتقدمين عن أمور طرأت على المؤلف وعن حوادث جديدة علم بها المؤلف بعد انتهائه من كتابة الكتابين الماضيين.

وقد شرع المسعودي بتأليفه هذا الكتاب سنة ٣٣٢ للهجرة. ولما حل شهر بيع الآخر من سنة ٣٣٢ كان قد بلغ في مسودته مبحث البجة من باب ذكر السودان وأنسابهم واختلاف أجناسهم وأنواعهم وتباينهم في ديارهم وأخبار ملوكهم[٢]، ثم استمر في تسويده وإكماله إلى أن انتهى منه في جمادي الأولى سنة ٣٣٢ وكان ذلك بفسطاط مصر[٣]. فكانت هذه النسخة هي النسخة الأولى للكتاب، وتقع في ١٣٢ باباً، أولها: «باب ذكر جوامع أغراض هذا الكتاب، وآخرها: «ذكر تسمية من حج بالناس من أول الإسلام إلى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، وذكر جمل ألقابهم»[٤]. فتكون مدة اشتغاله بها حوالي أربع سنوات. وتنتهي حوادثها بحوادث سنة ٣٣٦ للهجرة[٥].

وهذه النسخة هي النسخة المطبوعة في هذا اليوم، ويسميها المسعودي، النسخة المؤلفة في سنة ٣٣٢[٦]. تمييزاً لها عن النسخة الأخيرة التي رضى عنها واعتبرها النسخة الكاملة وذلك سنة ٣٤٥[٧]. وهي أكبر حجما من النسخة الأولى، أي من النسخة المطبوعة، يصفها المؤلف فيقول: «وهي إضعاف ما تقدم من النسخة المؤلف في سنة ٣٣٢»[٨]، ويقول «وفي النسخة الأخيرة من كتاب مروج الذهب ومعادن

(١) مروج ١/ ٢.
(٢) مروج ١/ ٣٣٤.
(٣) مروج ٢/ ٥٦١ من طبعة عبدالرحمن محمد سنة ١٣٤٦هـ
(٤) التنبيه ص١٣٣، مروج ١/ ١٨، ٢/ ٥٦٦، طبعة عبدالرحمن.
(٥) راجع مروج ٢/ ٥٦١، ٥٦٦، طبعة عبدالرحمن.
(٦) التنبيه ص١٣٣.
(٧) النسخة الأخيرة التي قررنا أمرها في هذا الوقت، وهي سنة ٣٤٥، التنبيه ص١٣٣.
(٨) التنبيه ص ١٣٣.

الجوهر، التي قررنا أمرها في هذا الوقت المؤرخ به كتابنا، وهي أضعاف ما تقدم من النسخ»[١]. وتتكون من «ثلاثمائة وخمسة وستين جزءاً، فاذا اجتمع كانت سمته كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر، وإذا افترق كان كل جزء منه كتاباً قائماً بنفسه مضافاً إلى ما اشتمل عليه وأفرد له»[٢]. وتنتهي حوادث هذه النسخة الأخير بحوادث سنة ٣٤٥ للهجرة، أي أن حوادثها تزيد تسع سنين على حوادث النسخة الأولى. وعلى الرغم من هذه الزيادة ومن ضخامة النسخة الثانية، فإنها لم تبلغ مبلغ النسخة الأولى في الانتشار بين الناس، كما صرح بذلك المسعودي نفسه[٣]، ولعل هذا الانتشار هو الذي أبقى النسخة الأولى، فطبعت جملة طبعات.

ويظهر أن المسعودي كان قد رتب النسخة الأخيرة على أجزاء، فقد أشار في كتاب «التنبيه والاشراف» وفي باب تأريخ الفرس أنه بحث عنهم في الجزء السابع من «كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر، في النسخة الأخيرة التي قررنا أمرها في هذا الوقت»[٤]. ويظهر من التلميحات التي ذكرها عن هذا الباب أنه كان بحثاً مفصلاً شمل نواح عديدة لم تذكر في النسخة الأولى، أي النسخة المطبوعة الباقية. فلما بحث في كتاب «التنبيه» عن «سابور بن أردشير» قال انه بحث عنه في الجزء السابع من الكتاب المذكور. وفي جملة ما ذكره من أخبار في هذا الجزء مسير يوليانوس إلى أرض العراق في ملك سابور، وهلاكه هناك، ومسير سابور لمحاربته وما وقع بينهما من حروب[٥]. وكل ذلك غير وارد في النسخة المطبوعة. مما يؤيد اختلافها عن النسخة الأخيرة المعتمدة.

وقد ألف المسعودي جملة كتب قبل تأليفه لكتاب «مروج الذهب»، أشار إليها في كتابه هذا. وقد راجعت هذا الكتاب لاستخلاص أسماء مؤلفاته منه، فوجدتها على هذا النحو: «كتاب الإبانة عن أصول الديانة»[٦] و«كتاب المقالات في أصول الديانات»[٧]،

---

(١) التنبيه ص ١٤٩.
(٢) التنبيه ص٩٧.
(٣) التنبيه ص٨٥.
(٤) التنبيه ص٨٢، ٨٤.
(٥) التنبيه ص١٢٥.
(٦) مروج ١/ ٣٢٠، ٣٦٥.
(٧) كتاب المقادير في أصول الديانات، مروج ١/ ٣، ٢/ ١١٥، ١٩١، طبعة عبدالرحمن.

و«كتاب سر الحياة» و«كتاب نظم الأدلة في أصول الملة»، و«كتاب الاستبصار في الإمامة»[١]، و«كتاب الصفوة في الامامة»[٢]، و«كتاب الزلف»[٣]، و«كتاب القضايا والتجارب»[٤]، و«كتاب راحة الأرواح»[٥]، و«كتاب طب النفوس»[٦]، و«كتاب حدائق الأذهان»[٧]، و«كتاب الاسترجاع»[٨]، و«كتاب الرؤوس السبعة في الإحاطة بسياسة العالم وأسراره»[٩]، و«كتاب الرؤيا والكمال»[١٠]، و«كتاب المبادئ والتراكيب»[١١]، و«كتاب الزاهي»[١٢] و«كتاب مزاهر الأخبار، وظرائف الآثار، للصفوة النورية والذرية الزكية أبواب الرحمة وينابيع الحكمة»[١٣]، و«رسالة البيان في أسماء الأئمة»[١٤]، و«كتاب الدعاوى»[١٥]. وجملة هذه الكتب هي «١٩» كتاباً.

وذكر المسعودي في خاتمة كتابه «مروج الذهب» أنه سيلحق «تأليف هذا الكتاب بكتاب آخر، نضمنه فنونا من الأخبار وأنواعاً من ظرائف الآثار على غير نظم من التأليف ولا ترتيب من التصنيف على حسب ما يسنح من فوائد الأخبار ونترجمه بكتاب وصل المجالس بجوامع الأخبار ومختلط الآثار، تالياً لما سلف من كتبنا ولاحقا بما

---

(١) كتاب الاستبصار في الإمامة ووصف أقاويل الناس في ذلك، من أصحاب النص والأخبار، وحجاج كل فريق منهم، مروج ١/٣، ٧٩، الاستبصار، ٢/١٧٣، «كتاب سر الحياة»، مروج ٢/٣٤٩، ٤٤١.

(٢) مروج ١/ ٣، ٢/ ١٧٣.

(٣) مروج ١/ ٨٧، ٢٢٩، ٢٧٣، ٢/ ١١، ١٢١.

(٤) مروج ١/ ٣٠٧، ٢/ ١٠٣.

(٥) مروج ١/ ٣٠٩.

(٦) مروج ١/ ٣٧٥، ٢/ ٨٧.

(٧) مروج ٢/ ٨، طبعة محمد محيي الدين عبدالحميد، حدائق الاذهان في أخبار آل محمد عليه الصلاة والسلام، مروج ٢/ ٣٠١.

(٨) مروج ٢/ ٧٩، محمد محي الدين عبدالحميد.

(٩) مروج الذهب ٢/ ٨٢، ١٢١.

(١٠) مروج ٢/ ٨٧.

(١١) مروج ٢/ ١١٧.

(١٢) مروج ٢/ ١٧٣.

(١٣) مروج ٢/ ٣٠١، كتاب مزاهر الاخبار وطرائف الاثار في أخبار النبي ﷺ، مروج ٢/ ٣٠١، ٤١٢.

(١٤) مروج ٢/ ٣٤٨ طبعة عبدالرحمان.

(١٥) مروج ٢/ ٦٩.

تقدم من تصنيفنا»[1]. فهو اذاً أقدم عهداً من كتاب «التنبيه والأشراف»، وقد أكمله قبله بدليل إشارته إليه فيه.

هذا وقد صير «كتاب مزاهر الأخبار وظرائف الآثار في أخبار النبي ﷺ»[2]، على هذه الصورة: «مظاهر الأخبار وظرائف الآثار» في الترجمة العربية لـ«كتاب تأريخ الأدب العربي» لـ«كارل بروكلمن»[3]، وذلك بقراءة المرحوم المعرب «الدكتور عبد الحليم النجار، حرف الـ«Z أو الـ«S»، ظاء مع أن المؤلف كان قد أشار في مقدمته للكتاب إلى الحروف اللاتينية التي وضعها للحروف العربية، ولو رجع إليها، أو رجع إليها «كتاب مروج الذهب» أو «التنبيه والأشراف»، أو إلى من كتب عن المسعودي مثل «جرجي زيدان» لما وقع في هذا الخطأ. وقد أشرت قبل قليل إلى خطأ آخر وقع فيه هو تدوينه «الكتاب الأوسط»، على هذه الصورة: «كتاب الاوساط»، وذلك بقراءته حرف «a» «آ» مع أنه خلاف ذلك[4]. ولو كان قد رجع إلى «مروج الذهب» للوجده على وجهه الصحيح، فلعدم رجوعه إلى النصوص العربية واعتماده على قراءته للنص الألماني على حسب ما يبدو له وقع في أغلاط على هذا الطراز.

والكتب التسع عشر المذكورة هي كما يتبين من عناوينها ومن إشارة المسعودي إلى بعض موضوعاتها في ثنايا كتابيه في المذاهب وفي الملل والنحل والآراء وفي الفلسفة. ففي أثناء كلامه على الديانات تطرق إلى ذكر عالم قبطي قال عنه انه ناظر مناظرات في النصرانية وفي اليهودية وفي الإسلام، ثم قال: «وقد أتينا على ما احتمل منها إيراده في كتابنا في أخبار الزمان. وذكرنا جميع ذلك في كتابنا: المقالات في أصول الديانات. وكان هذا القبطي - على ما نمى إلينا من خبره، وصح عندنا من قوله - يذهب إلى فساد النظر، والقول يتكافؤ المذاهب»[5]. وفي أثناء كلامه على أهل الغلو في الإسلام وعلى الفرق والمذاهب وأصحاب تناسخ الأرواح وأمثالهم، وعن الخوارج وأصول المعتزلة الخمسة وعلى سائر أقوالهم في الأصول وفي الفروع وعن المرجئة والرافضة والزيدية

---

(١) مروج ٢/ ٥٦١.

(٢) مزاهر الأخبار، وظرائف الآثار، للصفوة النورية والذرية الزكية أبواب الرحمة وينابيع الحكمة، مروج ٢/ ٣٠١، ٤١٢.

(٣) ٣/ ٦٠.

(٤) ٣/ ٥٧.

(٥) مروج ١/ ٣٠٢، ٢/ ٥٠، ١١٥، ١٩١، ٣٤٩، طبعة عبدالرحمان.

والحشوية وفرق الشيعة، وعن أقاويل الأمم في الربوبية وفي عالم العقل وعالم النفس وعالم الطبيعة ومراتب الروحانية وفي أصحاب الديانات مثل النصارى والحنفاء «الكلدانيين وهم البابليون الذين بقيتهم في هذا الوقت بالبطائح بين واسط والبصرة في قرى هناك وتوجههم في صلاتهم إلى القطب الشمالي والجدي»[١]. وعن رسالة «بولس إلى أهل رومية» ويسميها «كتاب السليخ»[٢]، وعن المذاهب الغريبة التي ظهرت في أرض الخلافة مثل الخرمية والكوذكية منهم والكوذشاهية وعن الشعوبية وعن تصرف المسلمين مع الفاسقين[٣]، وأمثال ذلك من موضوعات، قال انه تحدث عنها كلها في كتابه المذكور: كتاب المقالات في أصول الديانات.

وقد تطرق المسعودي في كتابه: «الإبانة عن أصول الديانة»، عن أكثر الموضوعات المذكورة، وتبسط فيه بعض الموضوعات، مثل رأي الشيعة ورأي المعتزلة في الإمامة، والفرق بينهما فيها[٤]. ويظهر أن الكتابين متماثلان ومتشابهان، ولعل الفرق بينهما هو في الطول وفي الاختصار. فكان أحدهما بالنسبة للآخر بمثابة الكتاب الأوسط بالنسبة لكتاب أخبار الزمان.

ونلاحظ أن موضوع الإمامة قد نال عناية خاصة عند المسعودي، فألف فيها جملة كتب هي: «الاستبصار في الإمامة ووصف أقاويل الناس في ذلك من أصحاب النص والأخبار، وحجاج كل فريق منهم»[٥]. و«كتاب الصفوة في الإمامة»[٦] و«كتاب الانتصار في الإمامة»، ويظهر أنه «كتاب الاستبصار في الإمامة»، إلا أن النساخ وقعوا في خطأ فكتبوا لفظة «الاستبصار» «الانتصار»، فصار الكتاب بهذا التحريف كتابين، بدليل ما نراه من الاضطراب في طبعات «مروج الذهب»[٧] من تسمية الكتاب بـ «الاستبصار» تارة وبـ«الانتصار» تارة أخرى. ولما تحدث عن إسلام علي بن أبي طالب، وآراء الناس فيه، ذكر أنه فصل الحديث فيه في كتابه «الزاهي»[٨] مما يدل على

---

(١) التنبيه ص١٣٧.

(٢) التنبيه ص١٣٧.

(٣) التنبيه ص٣٠٦، مروج ١/ ٢٩٣، ٣٦٥.

(٤) مروج ١/ ٧٩، ٢/ ١٩١.

(٥) مروج ١/ ٣.

(٦) مروج ١/ ٣، ٢/ ١٧٣.

(٧) مروج ١/ ٥، ١٧٣، والمقدمة ص،ج، ١/ ٣، طبعة محمد محي الدين عبدالحميد.

(٨) مروج ٢/ ١٧٣ طبعة محمد محي الدين عبدالحميد.

أنه يدل على أنه تطرق فيه إلى موضوع الإمام علي وإمامته. وتعد كتبه الأخرى وهي: «كتاب حدائق الأذهان في أخبار آل محمد عليه الصلاة والسلام»[١]، و«كتاب مزاهر الأخبار وظرائف الآثار، للصفوة النورية والذرية الزكية أبواب الرحمة وينابيع الحكمة»[٢]، و«رسالة البيان في أسماء الأئمة»[٣]. وهي في بحث الإمامة والأئمة وفي آل الرسول. وقد أشار إلى «كتاب مزاهر الأخبار» في أثناء كلامه على «علي ابن أبي طالب»، وأشار إلى «رسالة البيان» في أثناء كلامه على وفاة الإمام: محمد بن علي بن موسى الرضا، وذلك عند تحدثه عن اختلاف أهل الإمامة في مقدار سنه عند وفاة أبيه. فجاء بآرائهم وبآراء القطعية في هذه الرسالة[٤]. كما أشار إليها أثناء حديثه على تنازع الناس في قبر الإمام علي. فذكر أنه تحدث فيها عن ذلك، كما تحدث فيها عن «مقاتل آل أبي طالب وأنسابهم ومواضع قبورهم ومصارعهم» و«مقادير أعمارهم وكيفية إعدادهم»، كما تحدث عنها في كتابه أخبار الزمان[٥].

وقد طبع كتاب بعنوان: «إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام» نسب: إلى المسعودي. وقد ختم الكتاب بهذه العبارة: «وللصاحب عليه السلام، منذ ولد إلى هذا الوقت، وهو شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ست وسبعون سنة وأحد عشر شهراً ونصف شهر. قام مع أبيه أبي محمد أربع سنين وثمانية أشهر. ومنها منفرداً بالإمامة اثنتان وسبعون سنة وشهوراً. وقد تركنا بياضاً لمن يأتي بعدنا والسلام»[٦].

ويبدأ الكتاب بعبارة: «الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين. روى عن عالم أهل البيت عليهم السلام»[٧]. وقد تكرر ورود «عالم أهل البيت» في مواضع من الكتاب[٨]. ويبدأ الكتاب بالحديث عن «العقل» وعن «جند العقل» ثم عن «هبوط آدم من الجنة» فالانبياء

---

(١) كتاب حدائق الأذهان في أخبار أهل البيت عليهم السلام، مروج ٢/ ٨، ٣٠١.

(٢) مروج ٢/ ٣٠١.

(٣) مروج ٢/ ٣٤٨.

(٤) مروج ٢/ ٣٤٨.

(٥) التنبيه ص٢٥٧ وما بعدها.

(٦) رسالة في إثبات الوصية لعلي بن أبي طالب، طهران ١٣٣٠هـ، النجف منشورات المطبعة الحيدرية، سنة ١٩٥٥م. بروكلمن ٣/ ٦٠.

(٧) اثبات الوصية ص٩ طبعة النجف.

(٨) فقال العالم عليه السلام، ص٧٦.

حتى يأتي إلى رسالة الرسول ثم الأئمة. ويستعمل المؤلف في القسم الأول من الكتاب الذي ينتهي برسالة الرسول لفظة «روى» بصيغة الفعل المبني للمجهول. أما في القسم الثاني، ولا سيما في أثناء بحثه عن الأئمة الاثني عشر، فانه يستعمل «السند»، وقد لاحظت أن أسانيده هذه لا يوجد لها ذكر في كتابيه «مروج الذهب» و«التنبيه»، ولم يذكر رجالها في الكتابين.

والذي أراه أن هذا الكتاب هو لشخص آخر، وذلك لأن أسلوبه وطريقة تأليفه وصيغته وإنشائه كل هذه لا تتفق مع أسلوب وطريقة التأليف ومع أسلوب سبك كتابي المسعودي المذكورين. وقد رأى أحد الأشخاص ذلك الكتاب ولم يجد معه اسم مؤلفه فنسبه إلى المسعودي، وأضاف إليه بعض الجمل ليثبت أنه له. لا سيما وأن للمسعودي جملة كتب في الإمامة، هي الكتب المتقدمة، فنسبته إليه تكون قضية سهلة القبول.

هذا وللمسعودي مؤلفات في الفقه وفي أصوله، منها كتابه: «كتاب نظر الأدلة في أصول الملة»، وقد اشتمل على القياس وكيفية الاجتهاد في الإحكام، ووقع الرأي والاستحسان، ومعرفة الناسخ والمنسوخ وكيفية الإجماع وماهيته، ومعرفة الخاص والعام، والأوامر والنواهي، والحظر والإباحة، وما أتت به الأخبار من الاستفاضة والآحاد، وأفعال النبي، وأصول الإفتاء وأمثال ذلك[١]. وهو في عداد كتبه المفقودة.

وله بحوث في علوم الفلسفة والنفس والأخلاق. ومن مؤلفاته فيها مؤلفه: «كتاب سر الحياة»، وقد بحث فيه عن النفس والجسم وعن النفس الناطقة والنفس العلامة والنفس الحسية. وعن الروح ومذاهب الناس فيها وفي تنقل الأرواح بعد الموت. وعن الدوافع النفسية التي تجعل الإنسان يحس بالحنين إلى الوطن، والعلة التي تجعل النفوس تحن إليه[٢]. وتحدث عن هذا الحنين في كتاب آخر هو: «كتاب طب النفوس»[٣]، وقد عالج فيه أيضاً سبب الضحك واللعب وأنواع السرور والحزن والخوف، كما عالج هذه الموضوعات في كتاب آخر له اسمه «كتاب الرؤيا والكمال»[٤]، وفي «كتاب الزلف»، فقد تحدث فيه عن النفس والجسم والنفوس الناطقة والعلامة والنفس الحية، وتأثير الموسيقي والأنغام ومناسبة النغم للأوتار وممازجة

---

(١) مروج ١/ ٣.
(٢) مروج ١١١/ ١٨٧/ ٣٤٩، ٣٧٥.
(٣) مروج ١/ ٣٧٥.
(٤) مروج ٢/ ٨٧.

النفس والألحان وكيفية تولد الطرب وأنواع السرور، وذهاب الغم وزوال الحزن وعلل ذلك الطبيعية والنفسية، وتأثير الكواكب على حياة الإنسان وعلى الاخلاط والطبائع الأربعة، وعلى أوج الشمس عند انفصالها إلى البروج وما يحدث للعالم عند ذلك. كما تحدث فيه أيضاً عن الخصال التي يستحق الملك بها الملك، ورأي الحكماء من الفرس واليونان في ذلك[١].

وأما «كتاب الرؤوس السبعة في الإحاطة بسياسة العالم وأسراره»، فهو في أسرار الطبيعة وخواص تأثير الأشخاص العلوية والأجسام السماوية في الأرض وفي حياة الإنسان. وقد تحدث فيه عن طبائع العالم وعلاقة ذلك بالجهات الأربع وآراء الناس فيها. وقد نعت كتابه بأنه «كتاب مشهور مستوعب»[٢].

ولا نعلم من أمر «كتاب المبادئ والتراكيب» شيئاً يذكر، سوى ما ذكره المسعودي من أنه بحث فيه عن موضوع تأثير الشمس والقمر على حياة الإنسان وعلى الأرض[٣]. ولا نعلم كذلك من أمر «كتاب الدعاوى»، سوى ما ذكره المؤلف أيضاً من أنه بحث فيه عن مذهب العرب في النفوس وتنقل الأرواح[٤]. وأما «كتاب راحة الأرواح»، فقد قال عنه المسعودي: «هذا الكتاب وسمناه بأخبار مسير الملوك والأرض، وأخبار مقاتلتهم»[٥].

وأما «كتاب القضايا والتجارب» فيظهر انه كتاب في أسفار المسعودي وتجاربه ومشاهداته، وذكر ما شاهده من غريب وعجيب من البقاع والحيوان والنبات والجماد[٦]. وفي جملة بحوثه التي أشار إليها وصفه لمقابر الفراعة «البرابي»، وفي جملتها الأهرامات، وضروب التوليدات في أنواع الحيوان والنبات، من توليد الحيوانات من جنسين غريبين ومن تطعيم الغروس والأشجار والطعوم في المذاق[٧]. ووصف فيه أيضاً أعياد النصارى في «بيت المقدس»[٨].

---

(١) مروج ١/ ١١٧، ١٢١، ١٨٧، ٢٢٩، ٢٧٣.
(٢) مروج ١/ ٨٢.
(٣) مروج ١/ ١٧٧.
(٤) مروج ٢/ ٦٩.
(٥) مروج ١/ ٣٠٩.
(٦) مروج ١/ ٣٠٧.
(٧) مروج ١/ ٣٠٧.
(٨) مروج ١/ ٣٠٨، ٢/ ١٠٣.

ونجد في «كتاب التنبيه والأشراف» أسماء كتب لم يرد ذكرها في «كتاب مروج الذهب»، لأنها لم تكن قد كتبت آنذاك، وإنما الفت بعد ذلك. وهذه الكتب هي: «فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف»[1] و«كتاب ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور»[2]. و«كتاب الاستذكار لما جرى في سالف الإعصار»[3]، و«كتاب نظم الأعلام في أصول الأحكام»[4] و«كتاب المسائل والعلل في المذاهب والملل»[5] و«كتاب خزائن الدين وسر العالمين»[6]، و«كتاب مقاتل فرسان العجم»[7] و«كتاب المسعوديات»[8]، و«كتاب الوصل المجالس»[9]، و«كتاب تقلب الدول وتغير الآراء والملل»[10]، و«كتاب نظر الجواهر في تدبير الممالك والعساكر»[11].

أما «كتاب فنون المعارف» فيظهر أنه موسوعة ضمت فنونا متنوعة، منها بحث عن «الرياح الأربع ومهابها»، وبحث عن «البرابي»، أي مقابر مصر العادية وعن الأهرامات[12]، وبحث عن اليمانية والنزارية، وعن حجج كل فريق من الفريقين[13]. وبحث عن الساسانيين وآخر عن اليونانيين وما ورد في أنسابهم وأصولهم وملوكهم[14]. وبحث عن الفلسفة وحدودها والأخبار عن كمية أجزائها «وما ذكره فوثاغورس وثاليس الملطي، والرواقيون، وأفلاطون وأرسطوطاليس وغيرهم»[15]، وبحث عن «أهل الكهف» والموضع المنسوب إليهم بمدينة «أفسس»[16]. وعن الروم المتنصرة وأخبار المجامع النصرانية ومذاهبها وكنائسها وأديرتها وغير ذلك مما يتعلق بالنصرانية[17]. وبحث عن سبب انتقال أجناس من الترك من المشرق إلى المغرب[18]، وبحث عن ديار اليونان وتفرق الروم في البلاد[19]. وبحث عن رسائل «ارسطوطاليس» إلى الإسكندر

---

(١) التنبيه ص١.
(٢) التنبيه ص١.
(٣) كذلك.
(٤) التنبيه ص٣، ١٣٣.
(٥) التنبيه ص٣، ١٣٣.
(٦) ص٨٩، ١٣٧، ٣٤٢.
(٧) التنبيه ص٩٠.
(٨) التنبيه ص٢٨٨.
(٩) التنبيه ص٢٨٨.
(١٠) التنبيه ص٢٨٩.
(١١) التنبيه ص٣٤٧.
(١٢) التنبيه ص١٨.
(١٣) التنبيه ص٧٢.
(١٤) التنبيه ص٨٤، ١٠٠.
(١٥) التنبيه ص١٠٤ وما بعدها.
(١٦) التنبيه ص١٢٧.
(١٧) التنبيه ص١٢٩، ١٣١، ١٣٥، ١٤٨، ١٤٩.
(١٨) التنبيه ص١٥٣.
(١٩) التنبيه ص١٥٥.

في السياسات الديانية والملوكية وغير ذلك[١]، وتنازع الناس في تواريخ الأنبياء[٢] وفي سرايا الرسول[٣]، وفي مدد من حكم من بني أمية[٤]. وبحث عن دخول العرب الأندلس والفتن فيها وفي إفريقية[٥]، وقد اختتم الكتاب بخلافة المطيع[٦]. فالكتاب إذاً كما نرى هو كتاب عام، إلا أن التأريخ غالب عليه.

وأما «كتاب ذخائر العلوم»، فلم يشر مؤلفه إلى محتوياته، لذلك، لا نعرف من أمر محتوياته شيئاً. وأما «كتاب الاستذكار»، فهو كتاب مبسط في التأريخ وفي الجغرافيا. وأما «كتاب نظم الأعلام» و«كتاب المسائل والعلل» و«كتاب خزائن الدين»، فأنها من كتب الآراء والنظر والفلسفة والجدل. فنجد في «كتاب خزائن الدين وسر العالمين» ذكر مناظرات المسعودي مع «أبي زكرياء دنخا النصراني»[٧]، وبحث عن «مزدق» وعن مذهبه، وعن الفرق بين مذهبه ومذهب «ماني»، وبحث عن «ابن ديصان» و«مرقيون»، وعن الثنوية وعن «رسائل بولس الأربع عشر، وبحث عن الباطنية أصحاب التأويل»[٨] وآخر عن القرامطة وتعاليمهم.

وأما «كتاب مقاتل فرسان العجم»، فقد ألفه المسعودي معارضة لـ «كتاب مقاتل فرسان العرب» لأبي عبيدة معمر بن المثنى. تحدث فيه عن خبر «شهربراز» وسبب مقتله ومقتل غيره من فرسان الفرس وشجعانهم على طبقاتهم من الملوك[٩]. وأما «كتاب المسعوديات»، فهو كتاب في الأخبار، ويشاركه فيها «كتاب وصل المجالس»، وفي جملة بحوثه أخبار ولاة الأندلس وسياستهم وحروبهم مع من جاورهم من الجلالقة والجاسقس والوشكنس وقرماينش وغوطس وغيرهم من الافرنجة براً وبحراً[١٠].

ويظهر أن «كتاب تقلب الدول وتغير الآراء والمل» هو كتاب في التأريخ والأخبار، من جملة بحوثه بحث عن «إسماعيل» وعن ابنه «أبي تمام معد بن إسماعيل»، وتكوّن الدولة الفاطمية[١١] وأما «كتاب نظم الجواهر وتدبير الممالك والعساكر» فهو أيضاً في الأخبار والتأريخ[١٢].

---

(١) التنبيه ص١٧٢.
(٢) التنبيه ص١٨٢.
(٣) التنبيه ص٢٤٣.
(٤) التنبيه ص٢٨٤.
(٥) التنبيه ص٢٨٨.
(٦) التنبيه ص٣٤٧.
(٧) التنبيه ص١٣٢ وما بعدها.
(٨) التنبيه ص٨٩.
(٩) التنبيه ص٨٩.
(١٠) التنبيه ص٢٨٨.
(١١) التنبيه ص٢٨٩.
(١٢) التنبيه ص٣٤٧.

ونرى بعض المؤرخين يضيفون له كتباً أخرى مثل كتاب أخبال الخوارج، وكتاب الأدعية ورسالة إلى ابن صفوة المصيصي، وغيرها[١]. ومنهم من صحف في بعض عناوين كتبه، حتى بدت وكأنها عناوين كتب أخرى جديدة.

وقد ذكر المسعودي في مقدمته لكتابه «التنبيه والإشراف» أنه كان مختصر وأنه سابع كتاب من كتبه، وقد شرع بتأليفه بعد انجازه لكتابه: «الاستذكار». وقد قصد بجملة «رأينا أن نتبع ذلك بكتاب سابع مختصر نترجمه بكتاب التنبيه»[٢]، سابع كتاب ألفه في سلسلة كتبه في التأريخ، وتبدأ هذه السلسلة بكتاب «أخبار الزمان» ثم بـ «الكتاب الأوسط»، ثم بـ«مروج الذهب»، فـ«كتاب فنون المعارف، وما جرى في الدهور السوالف»، ثم بـ «كتاب الاستذكار لما جرى في سالف الأعصار»، ثم بـ«كتاب التنبيه والاشراف»، وقد نص في مقدمة كتاب «التنبيه»، على أن الكتب المذكورة هي في الأخبار والتأريخ وتبدأ من «بدء العالم والخلق وتفرقهم على الأرض».

وتنتهي بأخبار الخلفاء إلى الوقت الذي أرخ به آخر كتبه ووقف فيه عنده وهو خلافة المطيع[٣].

لقد شرع المسعودي بتسويد كتابه: «التنبيه والإشراف» سنة ٣٤٤. وفي هذه السنة أكمل الكتاب وأنجزه، إلا أنه عاد فزاد على تلك النسخة، وهذب فيها حتى أكملها في سنة ٣٤٥، واعتبرها هي النسخة المعتمدة عنده، المعول عليها[٤]، وهذه النسخة هي النسخة التي كتب لها البقاء، وهي النسخة المطبوعة.

ويظهر من عبارة واردة في كتاب «مروج الذهب» هي: «ومنهم من رأى أن ذلك كان قضية أروياء بن حيان ومقتله على ما ذكرنا في كتاب المبتدأ والخبر وغيره»[٥]، أنه كان للمسعودي كتاب يسمى «المبتدأ والخبر»، وربما كان كتاب خاص بالخلق والأنبياء على طراز كتاب «وهب بن منيه»، وأمثاله من الكتب التي تبحث في الإسرائيليات.

وقد فقدت أكثر كتب المسعودي، ولم يطبع منها سوى الكتابين «كتاب مروج

---

(١) النجاشي، رجال ص١٧٨، إثبات الوصية ص٧.
(٢) التنبيه ص٤.
(٣) التنبيه ص١ وما بعدها.
(٤) التنبيه ص٣٤٧.
(٥) مروج ١/ ٤٥.

الذهب» و«كتاب التنبيه». نعم يجوز أن يكون بعضها ما زال مختفياً في بطون خزانات الكتب مثل ما يقال عن الجزء الأول من «كتاب أخبار الزمان»[1] وعن «الكتاب الأوسط»[2] ولكن هذا الموجود المحفوظ ما زال محفوظاً مخطوطاً لم يكتب له دخول عالم الطباعة، فهو بمثابة المفقود بالنسبة لنا وليس لنا من رجاء سوى مجيء يوم تطبع فيه هذه الكتب. وأنا لا استبعد احتمال وجود مؤلفات أخرى له في خزائن الكتب لم يعلن عنها لأن أصحابها في جهل بها أو أنهم لم يتمكنوا من دراستها وتسجيل ما بها أو أنهم لا يرغبون الإعلان عنها، أو لأسباب أخرى، أرجو أن تذهب وتزول.

وقد رأيت أن أطابق بين الكتابين المطبوعين لأرى الفرق بينهما والعلة التي دفعت بالمسعودي على تأليف جملة كتب في موضوع واحد، هل هي مجرد إطالة واختصار أو إعادة وتكرار للتظاهر بكثرة التأليف وبسعة المعرفة؟ فوجدت أن «كتاب التنبيه»، هو كتاب صغير مختصر بالنسبة إلى كتاب «مروج الذهب»، إلا إننا لا نستطيع أن نعتبره اختصارا له، لأن الاختصار هو إيجاز تام كامل لمفصل مبسوط، وليس «كتاب التنبيه» إيجاز له بالمعنى المذكور. ففي «كتاب مروج الذهب»، فصول عديدة لم ترد في «كتاب التنبيه». أما الموضوعات المشتركة التي ترد في «التنبيه»، فهي وان كانت مذكورة في «مروج الذهب»، ولكنها في الواقع جزء قليل من كثير. مزج باستدراكات فاته ذكرها في الكتاب الأول، ولهذا فان «التنبيه » هو بعض «كتاب مروج الذهب»، مع زيادات. وهو في نظر مؤلفه كتاب جديد. القسم الأخير منه، ولا سيما القسم الخاص بالخلفاء العباسيين المعاصرين له، هو قسم مختصر جداً، عبارة عن يوم تولية الخليفة ويوم وفاته وصفاته ووصفه جسمه، واسم أمه. حتى الإحداث الجسيمة اقتصد فيها كثيراً، فكأنه أراد به أن يكون مؤلفاً للمبتدئين بالتاريخ لا للواقفين عليه.

ونظراً لعدم وصول معظم مؤلفاته إلينا، ولا سيما المؤلفات التي كتبها في الإمامة أو في الملل والآراء والنحل، لذا فإننا لا نستطيع أن نحدد رأينا منها على وجه أكيد. ولكن المسعودي يشير إلى بعض أبحاثها في ثنايا كتابيه المطبوعين، ويظهر منها أن الأبحاث الخاصة منها بموضوع الإمامة ترد في كتبه المؤلفة في الإمامة، بل وفي كتبه المؤلفة في التاريخ أيضاً. ونستطيع أن نقول قياسا على ما رأيناه في كتابيه المطبوعين،

---

(١) بروكلمن: تاريخ الادب العربي ٣/ ٥٧، الترجمة العربية.

(٢) المصدر نفسه.

أنها كانت على هذا الطراز كتب مطولة، وكتب موجزة أو متوسطة بين الطول والقصر. ولذلك تكررت وتعددت. ولا يستعبد أن يكون قد سلك هذا المسلك في كتبه الأخرى أيضاً. وألا فما معنى تأليفه جملة كتب في موضوع واحد مثل الإمامة، بحوثه محدودة، ومادته معينة.

ويظهر أنه كان حين يشرع في تأليف كتاب له يدون كل ما يعلق في ذهنه عنه، ثم يشرع في تأليفه حتى ينتهي منه، فتكون هذه النسخة هي النسخة الأولى، ثم يعود فيضيف عليها مادة جديدة، أو يختصرها، وقد يسمي المختصر أو المطول باسم جديد. ومن هنا صارت مؤلفاته إعادة وتكرارا لا كتباً مستقلة تمام الاستقلال ذات مادة جديدة لا نجدها في كتبه الأخرى. لقد كان بإمكانه جمع مادته التي بعثرها في سلسلته التاريخية في كتاب واحد ضخم ذي أجزاء يبذل فيه كل جهده وعلمه ليجعله شاملاً جامعاً مانعاً، بدلا من أن يتعب نفسه في تطويل ثم في اختصار ثم في تأليف كتب وسط. وكان في إمكانه فعل مثل ذلك في موضوع الملل والآراء والنحل والإمامة. ولكنه لم يفعل ذلك، ومن يدري، فقد يكون له عذر، وقد يكون هو المصيب في رأيه، وقد اتبع ذلك بحساب ونحن على خطأ في هذا التقدير.

وقد وجدت أن المسعودي يناقض نفسه أحياناً، فيذكر تاريخا لتولي خليفة في «مروج الذهب»، ثم يذكر تاريخا أخر يختلف عنه بعض الاختلاف في كتابه «التنبيه»[(١)]. وقد نشأ ذلك على ما يبدو لي من عدم رجوعه إلى كتابه الأول حين كتب كتابه الثاني، ودليل ذلك أنه أشار في كتابه «التنبيه» مثلاً حين كلامه عن «الموبذ اسنديار بن أغيذ الذي قتله الخليفة الراضي بمدينة السلام سنة ٣٢٥، فقال: «وقد أتينا على خبره وقصة مقتله وما ذكر من سببه مع القرمطي سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي صاحب البحرين في ذلك في أخبار الراضي من كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر»[(٢)]. ولكنك إذا راجعت المكان الذي خصصه من نسخة «مروج الذهب» المطبوعة، لا تجد له ذكراً ولا إشارة فيه، مما يدل على أنه حين كتب هذه الإشارة لم يكن قد نظر في كتاب «مروج الذهب»، فلم يفطن إلى ذلك. ولكني أرجو أن أكون حسن الظن بذاكرته،

---

(١) راجع بعض المواضع في مروج ٢/ ٥٢٠، ٥٤٠، غيرها، وقارنها بالصفحات ٣٣٧، ٣٤٥ وغيرها من كتاب التنبيه.

(٢) التنبيه ص٩١.

فأقول ربما قصد بتلك النسخة، النسخة الأخيرة من كتابه، وهي النسخة المطولة التي لم تصل إلينا حتى اليوم.

ومن هذا القبيل ما نراه من اختلاف بين أسماء ملوك الروم ومدد حكمهم وفي ترتيبهم بين الكتابين[1]. فان ذلك لا يمكن أن يقع من مؤلف، إلا أن يكون قد أهمل كتابه الأول مدة طويلة، فلما شرع في كتابة مؤلفه الثاني لم يراجع كتابه الأول، بل كتب على نحو ما كان عالقا في ذهنه وما وجده أمامه من موارد، فوقع من ثم هذه الاختلاف. والأغلب أنه لم يكن يراجع مؤلفاته السابقة فنجده لذلك يعتذر مراراً عن أخطاء قد يقع فيها وعن هفوات قد تصدر منه، فيقول: «على أنا نعتذر من سهو أن عرض في تصنيفنا مما لا يسلم منه من لحقته غفلة الإنسانية، وسهوة البشرية، ثم ما دفعنا إليه من طول الغربة وبعد الدار، وتواتر الإسفار، طوراً مشرقين وطوراً مغربين»[2]. أعود لأحسن الظن به، فأقول قد يكون قد وقع في هذه الأخطاء بسبب أن «كتاب التنبيه»، هو كتاب متأخر، كتبه في أواخر أيامه وبعد استقراره بمصر واتصاله بمؤرخين لهم علم بتواريخ الروم، وحصوله على موارد جديدة لم تكن متيسرة لديه يوم شرع بتأليف كتبه السابقة، فاستعان بهم وبها في تأليف كتابه التنبيه، فوقع من ثم هذا الاختلاف. وأنه ربما كان قد أصلح مؤلفاته السابقة إلا أنها لم تصل إلينا، ما خلا النسخة الأولى من نسخ «مروج الذهب»، وهي نسخة ذكر المؤلف نفسه أنها نسخة غير معتمدة عنده، إلا أنها منتشرة مع ذلك بين الناس، وان اعتماده كله على النسخة الأخيرة، كما أشرت إلى ذلك في موضعه، حين كلامي على هذا الكتاب. ولكني مع ذلك لا أستطيع أن أبرر موقفه من التناقض ومن مثل هذه الأوهام تبريراً كلياً في وأعتقد أن للعجلة التي تبدو على طبعه دخل في هذا الباب.

وللحكم على هذه القضية حكماً علمياً لا بد من مراجعة قوائم حكام الروم والرومان ومطابقتها مع قوائم المسعودي المذكورة في الكتابين، لنرى أيهما أقرب إلى الصواب. والعلة التي دفعت به إلى الوقوع في هذا الاضطراب.

ويلاحظ أيضاً أن المسعودي لم يركز بحوثه وفصول الكتاب الواحد، فبينما هو مشغول في موضوع خاص يتحدث عنه، تراه يطفر فجأة إلى موضوعات أخرى، فيفصل

---

(١) راجع الفصول التي كتبها في كتابه «مروج» عن الروم، وما كتبه عنهم في التنبيه.

(٢) التنبيه ص٦.

فيها ويتبسط في الكلام عنها، حتى إذا ما انتهى منها وأحس بأنه قد ابتعد عن الموضوع، عاد فاعتذر عن هذا الاستطراد ملمحاً بانه قد بحث عنه بحثاً مبسطاً في كتبه السابقة، ولذلك، فهو يكتفي بما أورده الآن، ليعود إلى موضوعه الذي كان فيه. حتى صارت مادة الاستطرادات فيه أكثر من مادة الموضوع الأصل.

ولو ركز المسعودي كلامه وعني بوحدة الموضوع، لكان بإمكانه وضع الاستطرادات في الأماكن المناسبة لها، أي في الفصول المناسبة، فتخرج مؤلفاته بذلك مركزة منسقة، فالمواد التي ذكرها عن النصرانية مثلاً مشتتة مبعثرة في مواضع متعددة وقد كان بإمكانه حصرها كلها في فصل يعقده عن تطور النصرانية وتأريخها، وكان بإمكانه فعل ذلك عن الفلسفة أو اليهودية، أو عن الهند، حيث جزأ كلامه عنها ونثره نثراً في مواضع عديدة، وكذلك في البحار حيث تكلم عنها في مكان، ثم تركها وتكلم عن أمور بعيدة عنها، وبعد فصول عاد إليها كرة أخرى.

خذ البحث المعنون بـ «ذكر شهور السريانيين، ووصف موافقتها لشهور العرب وعدة أيام السنة ومعرفة الأنواء»[١]، تجد أن أكثره في موضوعات لا علاقة لها بشهور السريانيين، بل بأمور أخرى بعيدة عنها مثل: زمن المهرجان ومعناه، ثم أعياد النصارى، ثم بطارقة النصرانية فكنائس أنطاكية.

وقد فعل مثل ذلك في بقية بحوثه عن الشهور. ولو كان قد جمع هذا المشتت عن الشهور في فصل واحد، ووضع ما له علاقة بها في أماكنها المناسبة، لكان عمله أكثر فائدة وأنفع للقارئ. إذ بذلك يسهل على القارئ الوقوف على الموضوع الواحد، بدلا من أن ينتقل من هنا وهناك ليجمع ما ورد عن ذلك الموضوع.

ولعل طريقته هذه في التأليف هي التي حملت بعض المستشرقين على وصف المسعودي بالتسرع وبقلة الصبر، وبعدم تمكنه من تركيز جهده على موضوع واحد. وبتنقله من موضوع إلى موضوع، وباستطراده وبخروجه من موضوعات رئيسة إلى موضوعات ثانوية. أما حكم هذا الفريق عليه بأنه كان سطحياً في تفكيره، وانه لم يكن عميقاً في العلم وفي المعرفة، وانه لم يرجع إلى الموارد الأصيلة ليأخذ منها، وانه تقبل الخرافات ومال إليها[٢]، فانه حكم جائر، ناشئ عن عدم مطالعة هذا الفريق لكتابي

---

(١) مروج ٢/ ١٠٢ طبعة محمد محي الدين عبدالحميد.

(٢) Ency, of Islam, vol,3,p,403.

المسعودي المطبوعين مطالعة تدقيق ودرس وتمحيص، ومن ظنهم أن النسخة الخطية لكتاب أخبار الزمان والتي طبعت، هي من مؤلفاته، وهي نسخة باردة سخيفة ليست له، فمن قراءتهم لها، حكموا عليه ذلك الحكم على ما يظهر ولو طالع أصحاب هذا الرأي كتابي المسعودي مطالعة دقيقة لغيروا أكثر فقرات ومواد حكمهم العام من دون شك.

أما أنه كان يتقبل الخرافات ويأخذها من غير نقد، فكتاباه المطبوعان يعارضان هذا الرأي ويفندانه. وقد رويت رأيه قبل قليل في «الجان» وفي «السعلاة» وفي أمثال ذلك، بمناسبة كلامي على «كتاب أخبار الزمان» المطبوع المنسوب إليه. وقلت انه كان من أولئك النفر الذين كانوا يسخرون منها ويرون أنها مجافية للمنطق والعقل، فكان من الإفراد الذين ارتقوا فوق مستوى تفكير أكثر أهل زمانهم في هذه الأمور. تراه يتعرض لـ «كتاب عبيد بن شرية المتداول بين الناس بكثرة» فيقول عنه وعن أخباره: «إن هذه أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة، نظمها من تقرب للملوك برواياتها، وصال على أهل عصره بحفظها والمذاكرة لها، وأن سبيلها سبيل الكتب المنقولة إلينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية، وسبيل تأليفها مما ذكرنا، مثل كتاب هزار أفسانة، وتفسير ذلك من الفارسية إلى العربية ألف خرافة، والخرافة بالفارسية يقال لها أفسانة»[1]. وتراه يتعرض لخرافات ولأساطير أهل البحر فسيخفها ويبين علة شيوعها بينهم، وتراه يتعرض لأمور أخرى من هذا القبيل يذكرها ويسردها لا لأنه يؤمن بها، بل لأنها شائعة بين الناس، فهو يذكرها لهذا الشيوع فقط[2]. ومن هنا ظن من لا علم له بذلك، أنه يذكرها لاعتقاده بها. ومع ذلك فان الرجل كان ابن زمانه، ولم يكن في امكانه تجريد نفسه من عقلية زمانه تمام التجرد. فلذلك أمر غير ممكن، وليس من المعقول أن نحكم الماضين أحكاماً نابعة عن عقلية القرن العشرين وعلينا أن نتذكر أن القادمين سينظرون إلى من الامور التي نراها اليوم معقولة مقبولة، نظرة مخالفة لنظرتنا هذه، وسيحكم من يجيء بعدها عليهم بمثل هذه الإحكام. وذلك لأن لكل زمان نظرة ولكل وقت فكرة. والبشرية في تطور وتقدم. وكل جيل قادم لا يرضى عن الجيل

---

(١) ص وج ٢/ ١٥٣.

(٢) راجع رأيه في كيفية حدوث المد والجزر، حيث ناقش الخرافات الواردة في ثم ختم المناقشة بقوله: «وان لم يصح ما ذكر فقد وصفنا آنفاً ما قال الناس في ذلك، ليعلم من قرأ هذا الكتاب، أنا قد اجتهدنا فيما اوردناه هذا الكتاب وغيره من كتبنا، ولم يغرب عنا ما قاله الناس في سائر ما ذكرنا»، مروج ١/ ١٠٢ وما بعدها.

الماضي. وما يرضينا اليوم قد لا يرضي من يأتي بعدنا وان ظهر مقبولاً معقولا مئة بالمئة بالنسبة لنا. وأذكياء زمانهم وعباقرة وقتهم، وان ارتفعوا فوق زمانهم، ولكن جاذبية عقلية أرضهم ومحيطهما لا تتركهم أحراراً تماماً متجردين من كل مؤثر وتأثير.

والغريب أن التهمة التي اتهم بعض المستشرقين بها «المسعودي»، من أنه ناقل غير مدقق ولا ناقد، وأنه لا يرجع إلى الأصول والمراجع، هي تهمة وجهها المسعودي نفسه بعض من ألف قبله إلى بعض من عاصره وزامله. لقد كان من رأيه ألا يكتب المرء عن شيء إلا أن يكون قد خبره بنفسه وعلم علمه تماماً. والا كان حاطب ليل، ولهذا السبب طاف الآفاق كما يقول ليراها بنفسه وليختبرها بشخصه فإذا كتب عنها، كتب عن تجربة وعلم ودراية. فهو من أولئك الذين اتخذوا الأسفار منبعاً يمد صاحبها بالعلم العملي والمعرفة الصحيحة الواقعية. وقد طبق كلامه هذا تطبيقاً عملياً، فجاء بمعرفة جديدة لم يأخذها من الكتب وإنما أخذها من أسفاره ومن ملاحظاته ومن تفتح ذهنه وعينيه وأذنيه، وهو من هذه الناحية رجل مشكور قريب من عقلية هذا الزمان. تراه يقدر «الجاحظ» ويحترمه، ويحترم مقامه في دولة الأدب، ولكنه يهاجمه ويحمل عليه بعنف لتأليفه كتاباً في موضوع كان من الواجب عليه في نظره ألا يؤلف فيه، لأنه يحتاج إلى خبرة وإلى رؤية ومشاهدة. وكأنه كان يريد منه أن يقوم بمثل ما قام به هو، حتى يسمح لنفسه بتأليف ذلك الكتاب. «وقد زعم عمرو بن بحر الجاحظ، أن نهر مهران الذي هو نهر السند من النيل، ويستدل على أنه من النيل بوجود التماسيح فيه، فلست أدري كيف وقع له هذا الدليل. وذكر في كتابه المترجم بكتاب الأمصار، وهو كتاب في نهاية الغثاثة، لأن الرجل لم يسلك البحار، ولا أكثر الإسفار، ولا يعرف المسالك والأمصار، وانما كان حاطب ليل، ينقل من كتب الوراقين، أو لم يعلم أن نهر مهران السند يخرج من اعين مشهورة من اعالي بلاد السند من أرض القنوج إلى مملكة بؤورة وأرض قشمير والقفندار والطافر حتى ينتهي إلى بلاد المولتان، ومن هناك يسمى مهران. . .»[1]. ونجده ينتقد مؤلفين آخرين لنفس السبب، أو لأنهم كانوا مجرد نقلة. ورجل هذا شأنه وهذا رأيه، لا يمكن أن يكون إنسان ناقل لا غير، أو مجرد محبر صفحات غير عميق في تفكيره وفي علمه.

ورأي المسعودي ألا يؤلف الإنسان إلا في حدود اختصاصه وفي دائرة علمه،

---

(١) مروج ١/ ٨١ وما بعدها.

لذلك نراه يحمل على «سنان بن ثابت بن قرة» حين انتحل ما ليس من صناعته، واستنهج ما ليس من صناعته. قد ألف كتاباً جعله رسالة إلى بعض إخوانه من الكتاب، واستفتحه بجوامع من الكلم في أخلاق النفس وأقسامها من الناطقة والغضبية والشهوانية، وذكر لمعاً من السياسات المدنية مما ذكره أفلاطون في كتابه في السياسة المدنية، وهو عشر مقالات، ولمعا مما يجب على الملوك والوزراء، ثم يخرج إلى أخبار يزعم أنها صحت عنده ولم يشاهدها، ووصل ذلك بأخبار المعتضد بالله، وذكر صحبته به. وأيامه السالفة. ثم ترقى إلى خليفة خليفة في التصنيف، مضادة لرسم الأخبار والتواريخ، وخروجاً عن جملة أهل التأليف، وهو وان أحسن فيه، ولم يخرجه عن معانيه، فإنما عيبه أنه خرج عن مركز صناعته، وتكلف ما ليس من مهنته، ولو أقبل على الذي انفرد به من علم اقليدس، والمعظمات والمجسطي والمدورات، ولو استفتح بسقراط وأفلاطون وأرسطوطاليس، فأخبر عن الأشياء الفلكية والآثار العلوية، والمزاجات الطبيعية، والنسب والتأليفات والنتائج والمقدمات، والصنائع المركبات، ومعرفة الطبيعيات: من الإلهيات، والجواهر والهيآت، ومقادير الإشكال، وغير ذلك من أنواع الفلسفة، لكان قد سلم مما تكلفه، وأتى بما هو اليق بصنعته، ولكن العارف بقدره يعود، والعالم بمواضع الخلة مفقود، وقد قال عبد الله بن المقفع: من وضع كتاباً فقد استهدف، فأن أجاد فقد استشرف، وان أساء فقد استقذف»[1].

هذا هو رأي المسعودي في الاختصاص وفي التأليف وفي المؤلف، وهو رأي يدل على فهم وتعقل للأمور، يعارض ما ذكر عنه في دائرة المعارف الإسلامية على نحو ما ذكرت.

ونرى المسعودي يحقق ويدقق ويسأل الناس، عما ورد في كتاب «حياة الحيوان» للجاحظ، من «أن الكركدن يحمل في بطن أمه سبع سنين، وأنه يخرج من بطن أمه، فيرعى ثم يدخل رأسه في بطنها»[2]. فيقول: «فبعثني هذا الوصف على مسألة من سلك تلك الديار من أهل سيراف وعمان ومن رأيت بأرض الهند من التجار، فكان يتعجب من قوله إذا أخبرته بما عندي من هذا وسألته عنه، ويخبرونني أن حمله وفصاله كالبقر والجواميس، ولست أدري كيف وقعت هذه الحكاية للجاحظ: أمن كتاب نقلها أو مخبر

(١) مروج ١/ ٧ وما بعدها.
(٢) مروج ١/ ١٤٦.

أخبره بها»[1]. وفي كتابي المسعودي أمثلة أخرى عديدة من هذا النوع، تدل على أنه كان يستفسر ويسأل ويبحث حين وقوفه على خبر غريب، وعلى قضية يرى أنها خلاف المألوف، ورجل على هذا ا لحذر والمنوال من الأمور، يسأل ويسأل حتى يتأكد ويطمأن لا يمكن أن يكون سطحيا يأخذ الاقوال أو ينقل من الاوراق دون فحص ولا تمحيص.

ثم تراه يفحص ويستاءل ويراجع العلماء وأصحاب الخبرة والدراية عن كل شيء يشك فيه، فلما قيل له أن بحر الخزر أي بحر قزوين يتصل ببحر «مانطس»، لم يصدق ذلك، ولم يدخل هذا الخبر في عقله، لذلك ذهب إلى تلك الارضين وركب بحر الخزر وأخذ يسأل الناس، ويقول عن ذلك: «ولم اترك من شاهدت في البحار ممن له أدب وفهم ومن لا فهم عنده من أهل المراكب إلا سألته عن ذلك وكل يخبر أن لا طريق له إليها من بحر الخزر»[2]. فلما تأكد من ذلك ووقف على الخبر اليقين استقر واستراح. ورجل مثل هذا هل يمكن أن يقال عنه أنه كان يأخذ كل شيء يقال به، ويصدق به!

وهو دقيق في كثير من الأوقات لا يذكر رأياً إلا ويعلق عليه ويناقشه، ففي كثير من الآراء الفلسفية أو الجغرافية أو أمثالها تراه يناقش ويحاسب ويصحح، مما يدل على أنه لم يكن مجرد مؤلف ناقل. ففي بحث رصد الشمس، تراه ينتقد من استدل برأي «بطليموس» المذكور في «المجسطي» الأرصاد، ويحاسبهم بذكر التقاويم والسنين ليصحح قولهم وليفنده، ليثبت أن ما ذكروه عن المجسطي غير صحيح، وأن ما حكاه هو عن ذلك الكتاب هو الصحيح[3]. وهناك ملاحظات أخرى أبداها في كتابيه من هذا القبيل.

وقد أفادنا المسعودي، فائدة كبيرة بإشارته إلى أسماء من ألف في التأريخ قبله، في مقدمته لكتابه «مروج الذهب»، فجاء بجريدة طويلة حوت أسمائهم، فعرفنا بذلك بأسماء من ألف في هذا الموضوع قبله[4]. وقد علق أحياناً على المؤلف وعلى مكانته في العلم، وعلى مؤلفه وعلى الناحية التي امتاز بها والفصول الكيسة الواردة فيه. تعليقاً يدل على وقوف على الكتب واطلاع على محتوياتها ومادتها. وكثير منها هي اليوم

---

(١) مروج ١/ ١٤٦.
(٢) مروج ١/ ١٠٣ وما بعدها.
(٣) التنبيه ص١١٢ وما بعدها.
(٤) مروج ١/ ٤ وما بعدها.

مفقودة لا نعرف من أمرها شيئاً. وقد نقل المسعودي منها وأشار إلى أسمائها عند نقله منها. فقدم لنا بذلك مفتاحاً قد يساعدنا في المستقبل في تشخيص تلك الكتب وفي الوقوف عليها. وتعد هذه المؤلفات الموارد الرئيسة التي استقى منها المسعودي كتبه.

أما موارده الأخرى، فهي كتب استفاد منها وشار إليها، لم يشر إليها في المقدمة وإنما ذكرها بالمناسبة وفي الأمكنة الملائمة التي اعتمد فيها على تلك الموارد. وهي موارد متنوعة مختلفة، منها في التاريخ ومنها في الأدب ومنها في الجغرافيا ومنها في الموسيقي ومنها في الطب وفي سائر فروع المعرفة الأخرى. وبينها كتب لم يعرف من أمرها قبلا. فهو يشير إليها لأول مرة. وقد يحدد عدد فصولها ويذكر محتوياتها، ويقتبس منها اقتباسا بالحرف الواحد. وكثير منها كتب مفقودة في الوقت الحاضر. ولذلك، فان إشاراته هذه إليها واقتباساته منها بالحرف، تفيد المؤرخ فائدة عظيمة في التعرف على حركة التأليف في تلك الأيام، وفي تشخيص وتثبيت المخطوطات.

ومورد آخر استقى «المسعودي» منه معرفته وعلمه، هو الجهد الشخصي الذي بذله بنفسه فالفضل فيه يعود إليه وحده، لأنه هو الذي قام بجمع المادة وتنسيقها وتسطيرها. جمعها من رجوعه إلى شهود العيان الذين حضروا الحوادث ورأوها بأنفسهم، أو جالسوا الخلفاء وأصحاب الكلمة والرأي وحادثوهم وسمعوا منهم أو كتبوا لهم وتولوا الوظائف المهمة. فلهم بحكم هذه المنازل علم على بواطن الأمور واطلاع على الإسرار، فكلمهم وأخذ منهم. وجمعها من ذهابه إلى العلماء والرؤساء والأشراف، للاستفسار منهم والأخذ عنهم، والتعرف على حياتهم وتجاربهم وعلمهم، وما عندهم من كتب وذخائر نفيسة، وجمعها من أسفاره وتجاربه واتصاله بمختلف الناس من جميع الطبقات. وندرك هذا الجهد بصورة خاصة واضحة في الفصول التي عقدها عن الأمصار والبلدان التي زارها وعن البحار وعن الأيام القريبة من أيامه وعن أيامه، فتراه يشير إلى أسماء من كلمهم وحادثهم أو راسلهم، ويذكر حديثهم إليه.

وقد كان في طبع المسعودي، الانتباه والالتفات إلى كل شيء غريب غير مألوف، يستلفت النظر، وقد يكون هذا الطبع هو في جملة العوامل التي دفعت به إلى التوغل في الأسفار الشاقة البعيدة وعلى ركوب البحار غير ملتفت إلى مهالكها وأخطارها. لذلك لم يحصر كل همه وانتباهه بأخذ العلم من الأفواه واقتباسه من الكتب وحصر حدود التأريخ بالحوادث والأيام وإخبار الخلفاء والملوك والرسل والأنبياء والأمم على جادة علماء التأريخ في ذلك، بل وسع حدوده، بأن ضم إليه أخبار العامة، وما لاحظه عن

«السوقة» من طباع وخصال، ووصف ما رآه من مباني وآثار، وما تحادث به مع الناس في سائر الأمور. وبذلك صبر التأريخ تأريخاً عاماً يتحدث عن السياسة وعن الحروب، وعن الناس وأثرهم في المجتمع وفي تطور زمانهم، وعن النواحي الاجتماعية والثقافية. فهو مؤرخ حي، يمر على الأبنية العادية فيكتب عنها ويصفها ويبسط القول فيها، ترى في كتابه «مروج الذهب» وصفاً للعاديات التي رآها، ولمعا من تاريخها كما عرفه أو سمعه، فيه صفحات عن «البرابي» أي مقابر قدماء المصريين وعن الأهرامات، وصفحات عن قصص سراق القبور القديمة ونباشيها لاستخراج ما دفن فيها من نفائس وكنوز. ووصفا لأعياد الأقوام والطوائف التي رآها. كل ذلك بأسلوب شيق سهل. إما المؤرخون أهل الجادة المتمسكون بالتاريخ بحدوده المرسومة كالطبري، فإننا لا نجد في تواريخهم هذه الصور الحية، ولا هذا النوع من الكلام. أنها في نظرهم أمور بعيدة عن التاريخ ولا يليق بالمؤرخ الحصيف إدخالها في تاريخه. فهي من إعمال الكتاب. ولذا نجد تاريخ الطبري كتاب صارم فيه خلق علماء تلك الأيام: متانة في الأسلوب، وأسانيد، وروايات مستقلة أو متداخلة حسب الموقف. لا مكان فيه لوصف الآثار ولا لوصف عادات الناس وحياتهم اليومية. لقد عاش «الطبري» أمدا في مصر، درس فيها وحادث علمائها وكتب عن تاريخها القديم كما جاء عند أهل الاخبار، ولكنه لم يتكلم عن الأهرامات ولم يشر إلى آثار الفراعنة، ولا عن أي أثر من الآثار الموجودة في مصر، مع أنه مؤرخ ومن واجب المؤرخ البحث عن هذه الآثار التي تخص ذلك التاريخ. لقد دخل مصر وخرج منها وكأنه لم يذهب إليها. وهكذا كان شأن العراق وشأن أي مكان آخر نزل الطبري فيه وفي تاريخ هذا العالم الكبير.

إن المسعودي هو من أوائل المسلمين الذين جمعوا بين التاريخ والجغرافية وعلم الهيئة، ووفق بينها باعتبار أن للفلك وللأرض علاقة كبيرة بحياة الإنسان وبتطوره. بل ربما كان، هو أول من قام بهذا الجمع عندهم. فلا نعلم أن أحداً سبقه في هذا الباب[١]. لقد سافر «اليعقوبي» إسفارا طويلة كثيرة تشبه الأسفار التي قام بها المسعودي وسأل عدداً كبيراً من الناس من مختلف الطبقات عن الآراء والديانات والمسافات والإبعاد وما شاكل ذلك[٢]. ولكنه لم يتأثر كما تأثر المسعودي بالمشاهد الغريبة

(١) فرانز روزنثال، علم التأريخ عند المسلمين، ص١٥١ تعريب الدكتور صالح أحمد العلي.

(٢) A,Mez, Die Renaissance des Islam, S, 265.

وبالآثار وبالغرائب والنوادر، ولم يتلفت إلى آثر المحيط في الناس. وإلى العوامل التي تؤثر في الإنسان وفي التاريخ ولم يجمع بين الجغرافية والفلك والتاريخ كما فعل المسعودي الذي جعل الجغرافية والفلك مقدمة لفهم التاريخ.

اقرأ المقدمات التي كتبها المسعودي في كتابه «التنبيه» عن قوى الأرض وفعلها في الأبدان وفي طبائع الأمم والبشر، وعن أثر الأقاليم السبعة والإجرام السماوية والفصول فيها[1]، فتجد فيها تعليلاً كيساً وملاحظات جديرة بالتقدير عن أمور لم تدر بخلد من قبله من المؤرخين. أثرت فيه فكونت له رأياً خاصاً في تفسير العوامل التي تدفع الإنسان على العمل وفي ظهور التاريخ.

ولعل اهتمام المسعودي بأمور جغرافية وقيامه بأسفار طويلة بعيدة متعددة، هي التي حملت بعض المستشرقين على إدخاله في عداد الجغرافيين وأصحاب السياحات. وإعراض بعض منهم عن إدخاله في جريدة المؤرخين. كالذي فعله المستشرق «ماركليوث»، فقد أهمله إهمالا تاماً في كتابه: «دراسات عن المؤرخين العرب»[2]، مع أنه ادخل «اليعقوبي» في عدادهم، وليس المسعودي على حد علم العلماء أقل منه منزلة في التاريخ.

المسعودي هو مثل اليعقوبي، لم يسر في القسم الخاص بتاريخ الإسلام على ترتيب السنين وذلك كما فعل الطبري، بل سار على حسب ترتيب حكم الخلفاء. وقد سلك هذا المسلك أيضاً في الفصول المدونة بتاريخ الفرس واليونان والرومان. فهو يذكر الملك، ثم يتطرق لذكر الحوادث التي وقعت في أيامه، فإذا أتم ما عنده انتقل إلى حكم من خلفه وهكذا حتى النهاية. أخذ هذه الطريقة من تواريخ الفرس والسريان. وقد ذكر المسعودي نفسه هذه الطريقة: ذكر انه وجد في كتب تواريخ الفرس صور الملوك وأعمالهم وصفاتهم ومدد حكم كل ملك منذ حكم إلى يوم وفاته، ثم من خلفه إلى آخر دولهم. ولا بد وان يكون قد تأثر بطريقتهم هذه فسار عليها وطبقها حتى في القسم الخاص بتاريخ الإسلام. والظاهر انه اتبع هذه الطريقة في كتبه التاريخية الأخرى كذلك. إما تواريخ المبدأ والخليقة والرسل والأنبياء، فقد سلك فيها هو وغيره مثل اليعقوبي والطبري والمسعودي وبقية المؤرخين، الطريقة التي وجدوها عند أهل

---

(١) راجع الصفحات ٢٦ فما بعدها.

(٢) دراسات عن المؤرخين العرب، تعريب الدكتور حسين نصار، دار الثقافة بيروت ص١٣٩.

الكتاب، وهي طريقة مبنية على أسس توراتية. ولم يكن أمامهم غير سلوك هذه الجادة، لأنهم لم يجدوا طريقة غيرها عند الأقدمين.

إن أول فصل يرد في كتاب «مروج الذهب» بعد المقدمة هو الفصل المعنون بـ «ذكر المبدأ وشأن الخليقة وذرء البرية، من آدم إلى إبراهيم» وترد بعده فصول بالأنبياء وبملوك إسرائيل إلى فصل «ذكر أهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد ﷺ».

وقد اغفل المسعودي أسماء الموارد التي استقى منها إلا إننا نجد في أول الفصل صفحات قليلة في تفسير المبدأ والخلق ذكر أنها تمثل رأي المسلمين روى فيها رأي «عبد الله بن عباس» في الخلق، ثم خبراً في المبدأ والخلق أيضاً نسبه إلى علي بن أبي طالب[1]. وبذلك تنتهي الصفحات الخاصة بهذا الموضوع وفق «ما جاءت به الشريعة، ونقله الخلف عن السلف، والباقي عن الماضي، فعبرنا عنهم بحسب ما نقل إلينا من ألفاظهم ووجدناه في كتبهم، مع شهادة الدلائل بحدوث العالم واتضاحها بكونه»[2]. فالمسعودي كان يقول يروي تلك الآراء الواردة في الخليقة، على نحو ما وردت في الكتب، ويفهم من هذه الكلمات، إن له رأياً خاصاً بالموضوع وان هذا الرأي لا يتفق مع تلك الآراء.

وينتقل بعد ذلك إلى ذكر آراء أهل الكتاب في المبدأ والخلق، فيقول: «وأما ما وجدت في التوراة، فهو أن الله تعالى ابتدأ بالخلق في يوم الاثنين، وكان انتهاء الفراغ يوم السبت، فاتخذ اليهود لذلك يوم السبت عيدا، وزعم أهل الإنجيل ان المسيح عليه قام من قبره يوم الأحد فاتخذوا ذلك اليوم عيداً»[3].

وتبدأ التوراة أول ما تبدأ بقصة «التكوين» أي الخلق. وترد هذه القصة في سفر «التكوين». و«التكوين»، هو أول سفر من أسفار التوراة. ونرى قصة الخلق فيه في الإصحاح الأول وفي الإصحاح الثاني منه. وقد ورد فيه ان ابتداء الخلق كان في «يوم أحد»[4]، وقد ترجمت هذه العبارة العبرانية بـ«يوم واحد» في الترجمة العربية الكاثوليكية[5]. وأما اليوم الثاني الذي خلق فيه الخلق، فقد عبر عنه بـ يوم شنن»، في

---

(١) مروج ١/ ١٩ وما بعدها.

(٢) مروج ١/ ٢٢.

(٣) مروج ١/ ٢٤.

(٤) التكوين، الإصحاح الأول، الآية ٥، من النص العبراني.

(٥) ص٨ المطبعة الكاثوليكية بيروت، سنة ١٩٦٠.

العبرانية، أي «يوم ثان»، ويراد بـ«يوم واحد»، «الأحد»، وبـ«يوم ثان» الاثنين. وفي يوم الأحد كان البدء بالخلق على رأي اليهود، أما يوم الاثنين فانه ثاني أيام الخلق[١]، واما الجمعة، فقد كان آخر أيام الخلق، وفيه انتهى الله من خلق كل شيء في هذا الكون، فاستراح في اليوم السابع. «وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، واستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل. وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي خلقه الله ليصنعه»[٢]. واليوم السابع، هو «شبت»، أي «راحة»، وبها سمي هذا اليوم سبتا[٣].

لذلك، فان ما ذكره المسعودي من أنه وجد في التوراة، ان ابتداء الخلق كان في يوم الاثنين، لا يتفق مع نص التوراة، ويعارض الرأي المجمع عليه عند أهل الكتاب. وقد ذكرت ما جاء في التوراة. لذلك يستغرب من قوله هذا، لأنه لو كان قد رجع حقاً إلى التوراة بلغتها الأصلية العبرانية، أو إلى ترجماتها بالعربية، فانه لا يمكن ان يخطأ أبداً في معرفة اليوم، وهو الاحد. لذلك يخيل إلى أن يد المسعودي أو يد النساخ قد استعجلت فكتبت الاثنين بدلاً من الأحد، فوقع الخطأ نتيجة لذلك. وأما قوله ان أهل الانجيل يزعمون ان المسيح قام من قبره يوم الأحد، فانه قول صحيح. ولا بد وأن يكون قد أخذه من النصارى[٤].

ولم يشر المسعودي في بقية الفصول المتعلقة بالأنبياء والرسل إلى الموارد التي اخذ منها إلا في مواضع. وهي مواضع لا ترشدنا إلى أصل المنبع على وجه التحديد، فجمل مثل «فذهب الأكثر من أهل الكتاب»[٥]، أو «وقد زعمت المجوس»[٦]، أو «وذكر أهل الكتاب»[٧]، أو «وذكر أهل التوراة والكتب الأولى»[٨]، أو «وذكر بعض أهل الكتاب»[٩]، أو «قال المسعودي: ووجدت في نسخة أن القائم في بني

(١) التكوين، الإصحاح الأول، الآية ٥ وما بعدها.
(٢) التكوين، الإصحاح الثاني، الآية الأولى وما بعدها.
(٣) قاموس الكتاب المقدس، ١/ ٥٣٧، النص العبراني لسفر التكوين.
(٤) قاموس الكتاب المقدس ١/ ٥٣٩.
(٥) مروج ١/ ٢٥.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) مروج ١/ ٣٣.
(٨) مروج ١/ ٣٨.
(٩) مروج ١/ ٣٨.

إسرائيل»[1]، هي جمل عامة غاضمة لا تساعد على تعيين المورد الذي أخذ المسعودي منه خبره. ويظهر ان المسعودي، كان قد راجع بعض أهل الكتاب أو بعض المؤلفات المدونة في هذه البحوث فنقل منهم أو منها.

وقد أشار المسعودي إلى «وهب بن منبه»، وإلى مؤلف له بقوله: «على حسب ما وردت به الأخبار على أهل الكتاب. ممن آمن. وذلك موجود في كتاب «المبتدأ والسير لوهب بن منبه وغيره»[2]. ويظهر لي أنه أخذ أكثر إخباره هذه من كتاب وهب، ومن روايات ترجع إليه وإلى أمثاله ممن أسلم من أهل الكتاب. ويلاحظ أن «عبد المنعم إدريس بن سنان»، وهو ابن ابنة وهب بن منبه، (٢٢٨هـ)، كان ممن اشتغل بهذه الموضوعات المتعلقة بالإسرائيليات، وله «كتاب المبتدأ»[3]. ويظهر انه ورث الميل اليها من جده، ولا بد وان تكون لمؤلفات وهب، وللمؤلفات التي كان وهب قد اشتراها بنفسه أو التي اشتراها له أخوه من بلاد الشام، آثار في علم «عبد المنعم» وفي كتابه «المبتدأ» المذكور. وهو أحد المراجع التي يذكرها أهل الأخبار حين تطرقهم إلى الإسرائيليات.

ويلاحظ ان الذي ذكره المسعودي عن الخليقة والرسل والأنبياء، وليس صافيا نقيا خالصاً كما جاء في التوراة، بل نجد فيه كدرة وبعدا ومخالفة لما جاء فيها على الرغم من نصه على انه اخذ ذلك من التوراة. بل نجد أحياناً أن ما يذكره غير وارد فيها، ويعود سبب ذلك على رأيي إلى أن ما يسميه بـ«التوراة» لم يكن توراتا، بل كان كتباً أخرى. زعم اليهود له أنها من التوراة، لأنها تفاسير أو شروح وضعت على التوراة، مثل التلمود، والمشنا والتركوم «الترجوم» والكمارة، وامثالها من الكتب التي وضعها وجمعها أحبارهم على مر السنين. وقد نظر إليها عندهم نظرة تقديس واحترام، حتى صارت تضاهي في نظرهم أسفار التوراة. ومن ثم قيل له أنها من التوراة، وهي ليست منها بالطبع. لأنها ليست من الكتب الملهمة التي الهم بها الأنبياء. وقد ظن المسعودي أنها من التوراة، لذلك زعم أنه وجد ما ذكره في التوراة. إلا ان في الذي ذكره كثير لم يرد لا في التوراة ولا في الكتب الأخرى المذكورة، وإنما هو من الأساطير الإسرائيلية

---

(١) مروج ١/ ٤١.

(٢) مروج ١/ ٥٣.

(٣) الفهرست ص (١٤٤)

المتداولة بين عامتهم، أو من المبتدعات التي ابتدعها من أخذ عنهم أهل الأخبار من أهل الكتاب أو ممن أسلم منهم، فرواه له حسب علمه وسمعه من عامة قومه، أو ابتكر ذلك ابتكاراً ليرضيهم بذلك وليظهر لهم علمه بها وإحاطته بأخبار الماضين.

ولما كان المسعودي قد راجع موارد متعددة أو ان المتحدثين إليه كانوا يذكرون له روايات متغايرة متناقضة، لذلك نرى أخباره تغاير بعضها بعضا وتتصادم في بعض الأحيان. ويلاحظ أن مثل هذه الروايات تكون بعيدة عن التوراة في الغالب، مما يؤيد هذا الرأي الذي أذهب إليه. ولما كان المسعودي غير محيط بهذا النوع من المعرفة، ولا له إلمام تام بها، شأن بقية أهل الأخبار، لذلك أخذها على علاتها ورواها كما سمعها، فوقع في هذا التناقض الذي يؤسف له. ويلاحظ أن ما تسمية اليوم بنقد الروايات وتمحيصها لم يكن شائعاً بين المؤرخين في ذلك العهد، ولاسيما في موضوعات أخبار الماضين قبل الإسلام.

وقد سمع المسعودي من يهود العراق بلفظة «الترجوم» «التركوم» ومعناها «الترجمة» أي «التفسير» فقال: «للإسرائيليين بالعراق لغة سريانية تعرف بالترجوم، يفسرون بها التوراة من العبرانية الأولى لوضوحها عندهم، وقرب مأخذها ولفصاحة العبرانية وتعذر فهمها على كثير منهم»[١].

وما قاله المسعودي هو قول صحيح، أخذه من مصدر عليم، فقد كان أحبار يهود فلسطين وبابل، أي العراق، يترجمون الأسفار لسواد اليهود بالآرامية، أي السريانية، وذلك لأنهم كانوا قد تركوا التكلم بالعبرانية لغة اليهود القديمة، واتخذوا الآرامية لسانا لهم. فلم يكن في وسعهم فهم التوراة بالعبرانية. وقد عرف المترجم، أي المفسر بـ«متركمان» أي «مترجم» و«مفسر». وكان يترجم لهم باللهجة الآرامية الدارجة، ولذلك اختلفت الترجمة باختلاف المواضع. ويعد «ترجوم اونكليوس» (Onkelos) على الأسفار الخمسة (Pentateuch) من أهم كتب الترجوم عند اليهود. ويرجع عهده إلى القرن الثاني للميلاد[٢].

ولا يستبعد عثور المسعودي على نسخة معربة للتوراة. فقد كان عدد من أهل الكتاب قد نقلوها إلى العربية. ذكر منهم المسعودي اسم «حنين بن إسحاق». وقد أثنى

---

(١) التنبيه ص٦٩.

(٢) Isodore Epstien, Judaism, p, 164.

على ترجمته هذه، قائلاً عنها انها «أصح نسخ التوراة عند كثير من الناس»[١]. وقد ترجمها عن اليونانية، عن النسخة التي نقلت إلى «ابطليموس الكصندرس» ملك اليونان، وقد ترجمها له سبعون حبرا بالإسكندرية ترجموها إلى اليونانية من العبرانية[٢]. وما قاله المسعودي عن الترجمة اليونانية للتوراة، يدل على أن المورد الذي استقى منه خبره كان ملما بالموضوع.

وقد عرفت هذه الترجمة بالترجمة السبعينية، ترجمتها لجنة من أحبار اليهود لتمكين اليهود المقيمين بمصر الذين لم يكونوا يعرفون العبرانية من الوقوف على التوراة. وقد كانت تحت نظر «بطليموس فيلادلفوس» المعروف بـ«بطليموس الثاني» «٢٨٥ - ٢٤٧ قبل الميلاد»[٣]. وكان عدد أعضاء اللجنة سبعين حبرا[٤]. أو ثنين وسبعين في بعض الروايات[٥]. وكانوا من أصحاب العلم المتبحرين باللغتين العبرانية واليونانية. وهذا النقل هو الذي بأيدي الروم وباقي فرق النصارى خلا السريان، فان نسختهم المسماة بسيطة تطابق نسخة اليهود. وهناك ترجمة أخرى تمت في زمان «ادى السليح» نقلت من العبرانية إلى السريانية[٦].

وأشار المسعودي إلى ترجمات عربية أخرى، قام بها جماعة من الأحبار، منهم: «أبو كثير يحيى بن زكريا الكاتب الطبراني»، وهو أشمعثي، المذهب أيضاً، وذكر أن كثيراً من اليهود يفضل ترجمته ومنهم (داود) المعروف بالقومسي المتوفي (٣٣٤) للهجرة. وإبراهيم البغدادي[٧].

وقد أثنى ابن النديم على «سعيد الفيومي» المعروف بـ«سعديا» كذلك، وذكر له جملة كتب منها «كتاب تفسير التوراة»، وجملة كتب أخرى في تفسير أسفار من التوراة[٨].

---

(١) التنبيه ص٩٨.
(٢) ص٩٨.
(٣) قاموس الكتاب المقدس ٢/ ٢٤٩.
(٤) Isidore Epsrein, Judaism, p,88.
(٥) قاموس الكتاب المقدس ٢/ ٢٤٩.
(٦) ابن العبري، مختصر تاريخ الدول ٩٩ وما بعدها.
(٧) التنبيه ص٩٨ وما بعدها.
(٨) الفهرست ص٤٠.

أما فصل «أخبار الهند وآرائها وبدء ممالكها وسلوكها، وهو الفصل التالي لفصل «الفترة»، فقد أخذه المسعودي من «جماعة من أهل العلم والنظر والبحث»[١]، لم يشر إلى أسمائها، ومن جماعة من أهل الهند[٢]، لم يشر إلى اسم من حدثه منها، من كتابين ذكرهما هما كتاب: «عيون المسائل والجوابات» لأبي القاسم البلخي[٣]، وكتاب «الآراء والديانات»، للحسن بن موسى النوبختي[٤]، ومن مشاهداته وتجاربه ومحادثته لعلماء الهند.

واعتبر المسعودي «البرهمن» أول ملك من ملوك الهند، ولكنه قال أيضاً ان منهم من زعم أنه آدم، وأنه رسول الله إلى الهند. ثم نصب ابنه الأكبر ملكا على الهند من بعده ودعاه بـ«الناهود بن البرهمن»، وذكر أن في جملة الإعمال التي تمت في أيامه عمل النرد، ثم جعل «دامان» ملكاً بعد الناهود، ثم نصب «فور» ملكاً عليها، ثم قال عنه وهو الذي حاربه الإسكندر فقتله الإسكندر مبارزة، وعين «دستلم» ملكاً بعده، قال عنه انه هو الذي وضع «كتاب كليلة ودمنة»[٥]. ثم ملك بعده «بلهيت»، وهو الذي صنعت الشطرنج في أيامه. ثم عين «كورس» من بعده، وزعم أنه أحدث للهند آراء في الديانات، «وخرج عن مذاهب من سلف. وكان في مملكته وعصره سندباد دون له كتاب الوزراء السبعة والمعلم وامرأة الملك، وهو الكتاب المترجم بالسندباد، وعمل في خزانة هذا الملك الكتاب الأعظم في معرفة العلل والأدواء والعلاجات، وشكلت الحشائش وصورت»[٦]. وكان هذا الملك أخر ملوك الهند، فلما مات، انقسمت البلاد على نفسها وتعدد ملوكها. ويلاحظ أن المسعودي جعل أقل مدة لحكم هؤلاء الملوك هي ثمانون عاماً، أما الباقون فجعلها تزيد على مائة عام.

ويظهر أن المسعودي نقل قائمته المذكورة للملوك من جملة كتب، وذلك لذكره جملة: «وفي بعض النسخ» تعقيبا على رواية في مقدار مدة حكم أحد الملوك[٧]. مما

(١) مروج ١/ ٦٢.
(٢) مروج ١/ ٦٣.
(٣) مروج ١/ ٦٥، ٢١٥ المصدر نفسه.
(٤) مروج ١/ ٦٥ وما بعدها.
(٥) مروج ١/ ٦٥ وما بعدها.
(٦) مروج ١/ ٦٧.
(٧) مروج ١/ ٦٧.

يدل على أنه استعان بكتب متعددة، ولعل الكتب التي وضعت في النرد وفي الشطرنج وفي كليلة ودمنة والسندباد، كانت من الموارد التي أخذ منها أسماء أولئك الملوك.

وكان جل اعتماد المسعودي في فصل «ذكر الأرض والبحار ومبادئ الأنهار والجبال والأقاليم السبعة وما والاها من الكواكب وترتيب الأفلاك وغير ذلك» على «جلس المنجم» صاحب «كتاب الزيج في النجوم»، وذلك في موضوع مقدار الدرجة الواحدة من الأرض، وعلى «كتاب جغرافيا»، لبطليموس الجغرافي المعروف، وعلى كتابه الأخر «كتاب المجسطي»[١]. وقد وصف المسعودي «كتاب جغرافيا» وصفاً يدل على أنه نظر في نسخة كانت ذات صور «خرائط» للجبال والبحار والارضين وأنها كانت ملونة بألوان مختلفة تمثل الشيء الذي تمثله. وقد ذكر أنها كانت مكتوبة، إلا أن تلك الكتابة كانت باليونانية، «إلا أن أسماءها في هذا الكتاب باليونانية متعذر فهمها»[٢]، ولذلك لم يتمكن من فهمها والوقوف على أسماء المواضع في تلك الصور. ولكنه نقل نقولاً مطولة من النص. دون أن يشير إلى كيفية نقله من النص. ولعل أحدا كان يقرأ النص اليوناني، ثم يترجمه له، أما الصور «الخرائط»، فلربما كان خطها صعب القراءة، أو أن أسماء المواضع كانت مكتوبة على حسب النطق اليوناني، لذلك تعذر على المترجم النطق بها والتعرف عليها. ونجد المسعودي ينقل عن «جغرافيا» في مواضع متعددة من كتابيه المطبوعين. اليونانية وعاينها لينفرج ويجوز أن يكون المسعودي قد نظر في هذه النسخة اليونانية وعاينها لينفرج على ما فيها فوصفها على النحو الوارد في «مروج الذهب»، أما نقوله، فكانت من ترجمة عربية كانت لديه. وقد كان هذا الكتاب قد نقل إلى العربية فقد ذكر «ابن النديم»، أن هذا الكتاب هو في ثمان مقالات في المعمور وصفة الأرض، وقد نقل للكندي نقلاً رديئاً، ثم نقله ثابت إلى العربية نقلاً جيدا، ويوجد بالسريانية[٣].

وأخذ المسعودي معارفه في الجغرافيا وفي الهيئة والفلك من كتب «بطليموس» الأخرى، مثل «كتاب المجسطي»[٤]، و«كتاب الهيئة»[٥]، وكتاب دعاه «الأربع

---

(١) مروج ١/ ٧٣، ٧٥ ومواضع عديدة أخرى.
(٢) مروج ١/ ٧٣.
(٣) الفهرست ص٣٨٩.
(٤) مروج ١/ ٧٥، التنبيه ص١١.
(٥) التنبيه ص١١.

مقالات» و«كتاب الأنوار»[١]. و«كتاب المدخل إلى الصناعة الكرية»[٢]، ومن كتب أخرى. ذكرها «ابن النديم» في كتابه «الفهرست»[٣]. وكتاب المجسطي، هو من كتب بطليموس الرئيسة، وقد قال عنه ابن النديم، انه في ثلاث عشرة مقالة، «وأول من عني بتفسيره وإخراجه إلى العربية يحيى بن خالد بن برمك. ففسره له جماعة، فلم يتقنوه، ولم يرض ذلك»[٤]، ثم اشتغل بنقله عدد من المترجمين ذكرهم[٥]. وقد جمع «بطليموس» في كتابه هذا رأي المتقدمين عليه، ذكر المسعودي منهم: «مارينوس وأبرخس وطيمستانس»، وأنتقد آرائهم وصححها حسب ما تراءى له ذلك في تلك الأيام[٦].

ويظهر من «كتاب التنبيه»، أن المسعودي كان قد استعان بكتاب أخر في «الجغرافيا»، ألفه أحد اليونان هو «مارينوس»، الذي عاش قبل «بطليموس»[٧]، وهو من الجغرافيين الذين أضافوا معارف جديدة على «الجغرافيا» في ذلك الوقت. فأضاف إصلاحات وتحسينات على آراء «هيبارخس» المتوفي في حوالي ١٢٥ قبل الميلاد[٨]. وكان «هيبارخس» (Hipparchus) الذي يسميه المسعودي بـ«أبرخس»[٩] أحد واضعي أسس علم الهيئة، وقياس الدرجات. وقد صنع جريدة بأسماء «٨٥٠» نجما من النجوم الثابتة في السماء[١٠]. وقد زاد «بطليموس» هذا العدد فأوصله إلى «١٠٢٢» نجماً. وأصلح نظرية «هيبارخس» في كيفية تثبيت المواضع على الخرائط.

وقد نظر المسعودي في «جغرافيا» مارينوس، وكان «مارينوس»، قد رسم صوراً لقطع الأرض وللأرض، فوصفها بقوله: «ورأيت هذه الأقاليم مصورة في غير كتاب بأنواع الإصباغ. وأحسن ما رأيت من ذلك في كتاب جغرافيا لمارينوس وتفسير جغرافيا

---

(١) التنبيه ص١٦. ٢٢٥ التنبيه ص٦١.
(٢) التنبيه ص١٦. ٢٢٥ التنبيه ص٦١.
(٣) الفهرست ص٣٨٨.
(٤) الفهرست ص٣٨٨.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) التنبيه ص٢٧.
(٧) التنبيه ص٣٠.
(٨) Oleary, How Greek Science Passed to the Arabs, P, 31.
(٩) التنبيه ص٣٠.
(١٠) Oleary, p,31.

قطع الأرض»[1] وذكر بالمناسبة ان «المأمون» أمر فعملت له صورة للأرض فقال: «وفي الصورة المأمونية التي عملت للمأمون، اجتمع على صنعتها عدة من حكماء أهل عصره، صور فيها العالم بأفلاكه ونجومه وبره وبحره وعامره وغامره ومساكن الأمم والمدن وغير ذلك، وهي أحسن مما تقدمها من جغرافيا»[2]. وقد ذكر أن «بطليموس»، قد نظر في كتاب «جغرافيا في صورة الأرض وشكلها وبحارها وأنهارها وعامرها وغامرها» لمارينوس، وأنكر عليه أشياء ذكرها[3].

وقد ذكر المسعودي بعض الملاحظات عن «بطليموس» في كتابه «التنبيه»، فذكر انه عاش في أيام «أنطونينوس بيوس»، وأن الروم تنطق اسمه على هذا النحو: «بطلاماوس»، وأن بعضهم يزعم أنه من نسل «قلوذيوس» السادس من ملوك الروم. وكانت أرصاده في ملك «انطونينوس بيوس»، «وقد أدرك «جالينوس» عصره وشاهده في حال صباه. وجالينوس يعينه في كثير من أقاويله وأرصاده لمخالفته أبرخس صاحب الأرصاد القديمة»[4]. ونقل من باب «النوع الثامن من القول الثالث» من «كتاب المجسطي»، رصد بطليموس الشمس بالإسكندرية[5]، وهو يسميه بـ «أبطليموس» في «التنبيه» وبـ«بطليموس» في «مروج الذهب»[6].

واستعان المسعودي في موضوع البحار بالكندي الفيلسوف المعروف وبتلميذه أحمد بن الطيب، أبو العباس أحمد بن محمد بن مروان السرخسي[7]. ولم يشر إلى الكتاب الذي أخذ منه في «مروج الذهب»، غير أنه ذكره في «التنبيه». فقال: «له رسالة في البحار والمد والجزر وغير ذلك»[8]، ولتلميذه «أحمد بن الطيب» رسالة في منافع البحار والجبال والأنهار»[9]. وقد أثنى المسعودي على «أحمد ابن الطيب السرخسي»

---

(١) التنبيه ص٣٠.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) التنبيه ص١١٠.
(٤) التنبيه ص١١٢.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) مروج ١/ ٧٥.
(٧) طبع أحمد بن الطيب في مروج الذهب ١/ ٩٦، ٩٨، ١٠٤، ومواضع أخرى، وهو خطأ من «محمد محي الدين عبدالحميد».
(٨) التنبيه ص٤٦.
(٩) المصدر نفسه.

في «التنبيه» وأثنى على كتابه، فقال عنه: «وقد صنف أحمد بن الطيب السرخسي صاحب يعقوب بن إسحاق الكندي، كتاباً حسناً في المسالك والممالك والبحار والأنهار وأخبار البلدان وغيرها»[1] ويظهر أنه يريد به الكتاب السابق. وقد ذكر هذا الكتاب في «مروج الذهب»، فقال عنه: «وقد ذكر أحمد بن الطيب في رسالته في البحار والمياه والجبال عن الكندي. . .»[2]. وذكر في موضع أخر: «ورأيت في بعض الكتب المضافة للكندي وتلميذه، وهو أحمد بن الطيب السرخسي، صاحب المعتضد بالله»[3].

وقد ذكر «ابن النديم» اسم كتاب في سلسلة مؤلفات المسعودي دعاه: «رسالة في المد والجزر»[4]، يظهر انها نفس الرسالة التي أشار المسعودي إليها بـ «رسالة في البحار والمد والجزر».

ويظهر أن «كتاب المسالك» والممالك الذي ذكره «ابن النديم» في جملة مؤلفات «السرخسي»[5]، هو الكتاب الذي ذكره المسعودي. والسرخسي، من المؤلفين الذين برزوا في نواح متعددة من نواحي العلم والمعرفة إذ ذاك، وكان من أصحاب الكندي المقربين إليه. وقد أورد له ابن النديم كتباً عديدة[6]. ويذكر انه وضع حروفا للحروف الأعجمية التي لا يوجد لها مثيل في الأبجدية العربية. حتى صير الحروف أربعين حرفا. وفرت له حاجته في ضبط الألفاظ الأعجمية[7].

وقد أشار المسعودي في كتاب «التنبيه» إلى كتاب أخر من كتب الكندي، دعاه «كتاب في رسم المعمور من الأرض». نقل منه بعض النقول[8].

وتطرق في كتابه «التنبيه» إلى قسمة الأرض. فذكر أن الروم تقسم الأرض إلى ثلاثة

---

(١) التنبيه ص٦٥.
(٢) مروج ١/ ١٠٤.
(٣) مروج ١/ ١٠٤.
(٤) الفهرست ص٣٧٣.
(٥) الفهرست ص٣٨٠.
(٦) الفهرست ص٣٨٠.
(٧) مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، لفرانتز روزنثال، تعريب أنيس فريحة ووليد عرفة ص٧١، بيروت ١٩٦١.
(٨) التنبيه ص٢٤.

أجزاء هي: أورفا، ولوبية وآسية[١]. ويقصد بـ«أورفا» «أوربا» وبـ«لوبية» أفريقية. وجماع هذه الأجزاء تكون ما نسميه بـ«العالم القديم»[٢].

ووقف المسعودي على مؤلفات أخرى في الجغرافيا، استفاد منها. وأشار إلى أسماء مؤلفيها وهم: «أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني»، ألف كتاباً في صفة العالم وأخباره وما فيه من العجائب والمدن والأمصار والبحار والأنهار والأمم ومساكنهم، وغير ذلك من الأخبار العجيبة والقصص الظريفة. وأبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة مؤلف كتاب «المسالك والممالك»، و«محمد بن أحمد بن المنجم بن أبي العون الكاتب» صاحب «كتاب النواحي والآفاق والأخبار عن البلدان»[٣].

وأورد المسعودي لأبي المعشر كتاباً دعاه «المدخل الكبير إلى علوم البحر»، وقد نقل منه في موضوع البحار[٤]. وقد ذكر «ابن النديم» له كتاباً دعاه: «كتاب المدخل الكبير»، قال عنه انه في ثمانية فصول[٥]. فلعله هذا الكتاب. وأورد اسم «محمد بن جابر النسائي»، في جملة من استعان بكتبهم في الكتابة عن البحار. وكان «النسائي» من الجماعة التي ألفت في الزيجات[٦].

والفصل الذي عقده بعنوان «ذكر ملوك الصين وتفرق ولد عابور، وأخبار الصين»، هو فصل يغلب عليه طابع الأساطير. وقد أخذ نسب الصين من الأنساب الواردة في التوراة ومن أهل الكتاب على ما يظهر، بعد أن حرف فيها بعض التحريف. أما أسماء الملوك فهي أسماء غريبة لا أدري من أي مصدر أخذها، إذ لم يشر إلى المصدر. وأخذ بعض قصصه من أفواه بعض التجار ممن تاجر مع الصين من أصحاب السفن من السيرافيين والعمانيين الذين كانوا يركبون البحار إلى بلاد «كله» ومدينة «كله» حيث يقفون هناك انتظاراً لمجيء سفن أهل الصين. فكان من هؤلاء ممن يذهب مع الصينيين وعلى سفنهم إلى «خانقوا» ميناء الصين. وممن أخذ منهم رجل أسمه «أبو زيد الحسن بن يزيد السيرافي»، وكان قد نزل البصرة فحدثه عن أخبار الصين من رجل زعم أنه كان

---

(١) التنبيه ص٢٨.
(٢) التنبيه ص٢٨.
(٣) التنبيه ص٦٥ وما بعدها.
(٤) مروج ١/ ١٢٤.
(٥) الفهرست ص٤٠٠.
(٦) مروج ١/ ٩٧.

هناك اسمه «ابن وهبان القرشي» دخل مدينة «حمدان» عاصمة الصين[1]. وهو قصص غريب.

ولم يشر المسعودي في بحوثه عن السريان وعن ملوك الموصل ونينوى وعن ملوك بابل إلى الموارد التي أخذ منها[2]. وإنما أهمل الإشارة إليها واستعمل مرة واحدة جملة: «ذكر أهل العناية بأخبار ملوك العالم أن. . .»[3]، ولكن من هم أهل العناية بأخبار ملوك العالم؟ ومن أين جاء باسماء ملوك الأمم المذكورة؟

ان أول ملك حكم السريان على رأيه، هو ملك دعاه باسم «سوسان»، وقد ذكر عنه انه «كان أول من وضع التاج على رأسه، وانقادت له ملوك الأرض، وكان ملكه ست عشرة سنة، باغيا في الأرض، مفسداً للبلاد، سفاكا للدماء، ثم ملك بعده ابنة «يزندس»، ثم «اهريمور»، وفي أيامه وقعت حروب بين الهند والسريان، ذلك لأن ملك الهند كان قد سمع بغنى وثراء السريان، فأراد الحصول على ما ملكوه فحاربهم، وقتل ملك السريان، واستولى على بلاد السريان إلى أن سار عليه بعض ملوك العرب فقتل ملك الهند، وأعيد ملك السريان، فنصب عليهم ملكا منهم اسمه «سيرا»، ملك بعده ملك اسمه «أهريمون» ثم «هوريا» ثم «مادث» ثم «أزرو» و«خلخاس»[4].

وقد عرف «نينوى» وشخصها، ولعله زارها وشاهد خرائبها أثناء زيارته للموصل، أما ملوكها فهم: «سينوس بن يالوس» و«سيمون» و«رسيس». وبه ختم ملوك نينوى، إذ ذكر أن الأرمن قضوا على آخر ملك منهم فغلبوا عليهم[5]. وهكذا ختم حياة تلك المملكة، بكل سهولة ويسر.

وأما ملوك بابل، فكان أولهم «نمروذ» ثم «الأندلس» ثم «مرمنوس» ثم «سوسيوس» ثم «كورش» ثم «أنمر» ثم «شبرم» ثم «فرسمس» ثم «اينوس» ثم «ايلاوس» ثم «الحلوس» ثم «أمونوس» ثم «بعتكاوس» ثم «سفروس» ثم «مارنوس» ثم «رسطالبن» ثم «اميرطوس» ثم «العداس» ثم «اطيرنوس» ثم «ساوشاش» ثم «فارينوس» ثم «سوسادريوس» ثم «مسروق» ثم «تطايوس» ثم «طاطاوس» ثم «افروس» ثم «لارسيس» ثم «أفريطوس» ثم

---

(١) مروج ١/ ١١٩ وما بعدها.
(٢) مروج ١/ ١٧٥.
(٣) مروج ١/ ١٧٥.
(٤) مروج ١/ ١٧٦ وما بعدها.
(٥) مروج ١/ ١٨١ وما بعدها.

«مروطاوس» ثم «افريفريس» ثم «منطوروس» ثم «قولاميما» ثم «سعلس» ثم «سيموجد» ثم «مردوح» ثم سنخاريب» ثم «سوسا» ثم «بختنصر» ثم «قرمودح» ثم «نيطسعر» ثم «مسنون» ثم «معوسا» ثم «دارنوس» ثم «كسرحوس» ثم «فنجشمت» ثم «احرست» ثم «شعيا» ثم «أريوس» ثم «اطحست» ثم «دار التسع»[١].

والغريب في هذه القائمة أن مدد حكم الملوك فيها هي على الغالب مدد معقولة لا مبالغة فيها، مع أنها قائمة حوت أشتاتاً وأنماطا من الأسماء. فيها أسماء أخذت من أسماء ملوك اليونان، وفيها أسماء أخذت من أسماء قياصرة روما، وفيها أسماء أخذت من أسماء ملوك الفرس وفيها أسماء انتزعت من أسماء ملوك الآشوريين، وفيها أسماء عبرانية، وفيها أسماء مفتعلة مصنوعة، أما «نمرود» و«مردوح» و«بختنصر»، فهي من الأسماء البابلية المعروفة التي ذكرت في التوراة.

و«نمرود» هو ابن كوش بن حام في التوراة[٢]. ومعنى الكلمة في العبرانية «شديد قوي» و«جبار» في الأرض، وهو فيها مؤسس بابل[٣]، وقد بقيت بلاد بابل زمنا طويلا تسمى «أرض نمرود»[٤]. ومن هنا نعته المسعودي بالجبار[٥].

وأما «مردوح»، فانه «مردخ» و«مردوخ» (Merodach) في العبرانية. وهو «مردخ» «مردك» (Merduk) (Moruduk) في البابلية[٦]. وهو إله بابل الكبير. وقد تبرك الملك «مردوخ بلادان»، به فتسمى به، ومعنى اسمه «مردوخ عابد بعل» (Merodach - Paladan)[٧]. ويظهر أن المسعودي قد قصد بـ«مردوح»، هذا الملك، بأن اكتفى بذكر الاسم الأول منه.

و«سنخاريب» هو «سنحاريب»، وقد قال عنه «المسعودي» وهو الذي أتى بيت المقدس[٨] وهو قول صحيح، فقد حاصر جيشه «القدس»، وقد ذكر ذلك في التوراة

---

(١) مروج ١/ ١٨٢ وما بعدها.
(٢) التكوين، الاصحاح، الآية ٨ وما بعدها.
(٣) التكوين الاصحاح العاشر الآية العاشرة.
(٤) ميخان، الاصحاح الخامس، الآية ٦، قاموس الكتاب المقدس ٢/ ٤٣٣ .Hastings, p, 656
(٥) مروج ١/ ١٨٢.
(٦) Hastings, p,606.
(٧) قاموس الكتاب المقدس ٢/ ٣٢٨ .Hastings,p,606
(٨) مروج ١/ ١٨٣.

أيضاً[١]، إلا أن جيشه لم يتمكن من دخولها فتراجع عنها، وكان ملك «يهودا» الملك «حزقيا» إذ ذاك[٢]. وقد ذكر المسعودي ان مدة حكمه اربعين سنه قيل من ذلك[٣]، والذي عليه أكثر المؤرخين أن حكمه أقل من ذلك، فقد حكم من سنة ٧٠٥ حتى سنة ٦٨٢ قبل الميلاد على بعض الآراء[٤].

ويتبين من الأسماء «دارنوس» و«كسرحوس» و«فنجشمت» و«أحرست» أنها تمثل أسماء ملوك فرس، فـ«دارنوس» هو «داريوس»، و«كسرحوس»، هو «اكسركس» (Xerxes) في اليونانية، ويراد به «احشويرش» (Ahasuerus) وفي الفارسية القديمة (Khshayarsha) وربما كان «احرث» تحريف «احشويرش» «احشوارش» عند الطبري[٥]. وقد ذكر المسعودي، أن الفرس تسمي «دارا» باللغة الأولى من لغاتهم: «دارابنوس»[٦] مما يؤيد ان «دارنوس» المتقدم هو داراً.

ويلاحظ أن المصدر الذي استقى المسعودي قائمة ملوكه منه، أدخل أسماء ملوك آشوريين وفرس وروم في قائمة أسماء ملوك بابل، بأن جعلهم ملوكاً من ملوك حكومة بابل، وسبب ذلك، هو أن بابل كانت قد خضعت لحكم أولئك الملوك فاعتبرهم ملوكا عليها. وقد أشار المسعودي في أثناء ذكره اسم ملك دعاه «سعلس»، إلى حروب وقعت بينه وبين «ملك من ملوك الصابئة»، ثم عقب ذلك بقوله: «كذلك ذكر في كتاب التأريخ القديم»[٧]. ولا أدري ما هو هذا الكتاب، ولمن هو. وقد عقب على فصل ملوك بابل بقوله: «فهؤلاء الملوك الذين أتينا على ذكرهم وأسمائهم ومدة مملكتهم، وقد رسمت أسمائهم هكذا في كتب التواريخ السالفة»[٨]. ويظهر منها أنه انتزع تلك الأسماء من جملة كتب في تواريخ الأقدمين.

والفرس طبقات، الفرس الأولى، وأول ملوكهم «كيومرث»[٩] «جيومرث»[١٠] عند

---

(١) الملوك الثاني، الاصحاح ١٨، الآية ١٤، والإصحاح التاسع عشر الآية ٣٥ وما بعدها.
(٢) قاموس الكتاب المقدس ١/ ٥٨٦ وما بعدها .Hastings, p,836
(٣) مروج ١/ ١٨٣.
(٤) قاموس الكتاب المقدس ١/ ٥٨٧.
(٥) تاريخ الطبري ١/ ٥٤٣.
(٦) مروج ١/ ١٩٦.
(٧) مروج ١/ ١٨٣.
(٨) مروج ١/ ١٨٤.
(٩) مروج ١/ ١٨٦.
(١٠) مروج ١/ ١٩٥.

الطبري[١]. وملوك الطوائف[٢]، والفرس الثانية، وهم الساسانية[٣]. وهم خاتمة الفرس عند المسعودي. وقد قضى عليهم المسلمون.

وأما موارده عن الفرس، فلم يشر إلى أكثرها، بل أشار إلى بعضها مثل كتاب ذكر أنه لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي عن عمر كسرى «في أخبار الفرس، يصف فيه طبقات ملوكهم ممن سلف وخلف، وأخبارهم وخطبهم وتشعب أنسابهم وما بنوه من المدن وكوروه من الكور، واحتفروه من الأنهار، وأهل البيوتات منهم، وما وسم به كل فريق منهم من الشهارجة وغيرهم»[٤]. وقد دعاه في موضع آخر بـ «كتاب في أخبار الفرس»، وهو كتاب رواه أبو عبيدة عن «عمر كسرى»[٥]. وقد كان أبو عبيدة من أصل فارسي يهودي، وقد رمى بالشعوبية أي بالتحامل على العرب[٦]. وأما «عمر كسرى»، فقد كان من أصل فارسي، وكان من المتعصبين للفرس الراوين لأخبارهم ولذلك نعت بـ «كسرى».

واستعان بروايات «ابن الكلبي» كذلك، استعان به في مبحث نسب الفرس[٧]. واستعان الطبري بابن الكلبي في فصوله التي خصصها بتأريخ الفرس كذلك. وقد نص على اسمه في كل مكان ذكر فيه رواية في أخبارهم. ولكن «ابن الكلبي»، أعرف في نظري بأمور العرب منه بتأريخ الفرس والروم، ولهذا نجده يجيد في الأمور التي تخص علاقات العرب بالفرس وبالروم وبالأخبار التي تخص الفرس أو الروم التي تكون قريبة من الإسلام. أما الاخبار التي هي من صميم تواريخ الفرس، فأنها أصفى وأنقى وأقرب إلى التأريخ عند المؤرخين الذين هم من أصل فارسي وعرفوا بتخصصهم بهذا النوع من التأريخ، لأنهم أخذوها من مواردها الأصلية المؤلفة بلغة الفرس.

ووقف المسعودي على مؤلفات فارسية ألفت في تواريخ الفرس. عرب بعضها

---

(١) الطبري ١/ ١٩٥.
(٢) مروج ١/ ١٩٨.
(٣) مروج ١/ ٢٠٦.
(٤) مروج ١/ ١٩٩.
(٥) مروج ١/ ٢٤٠ وما بعدها.
(٦) ياقوت، إرشاد ٧/ ١٦٤ وما بعدها، الفهرست ص٥٣، السيوطي بغية ٣٩٥، ابن العماد، شذرات ٢/ ٢٤، بروكلمن، تأريخ الأدب العربي ٣/ ١٤٣.
(٧) مروج ١/ ٢٠٠.

ونقل منه المسعودي وغيره من المؤرخين. وقد ذكر المسعودي منها: «كتاب السكيكين» ترجمة ابن المقفع من الفارسية الأولى إلى العربية، و«خبر اسفنديار بن كشتاسب بن بهراسب وقتل رستم بن دستان، وما كان من قتل بهمن بن اسفنديار لرستم، وغير ذلك من عجائب الفرس الأولى وأخبارها، وهذا الكتاب تعظمه الفرس لما قد تضمن من خبر أسلافهم وسير ملوكهم»[1]. وذكر المسعودي أن لاردشير بن بابك كتاباً يعرف بكتاب الكريامخ، فيه ذكر اخباره وحروبه ومسيره في الأرض وسيره[2]. وذكر أيضاً أن للفرس كتاباً مفرداً في أخبار بهرام جور، وما كان من مكايده ببلاد الترك حين صارت إليه[3].

وذكر المسعودي أن «للفرس كتاباً يقال له: كهنامة فيه مراتب مملكة فارس وإنها ستمائة مرتبة على حسب ترتيبهم لها، وهذا الكتاب من جملة آئين نامة آئين نامة كتاب الرسوم، وهو عظيم في الألوف من الأوراق، لا يكاد يوجد كاملاً إلا عند الموابذة وغيرهم من ذوى الرئاسات»[4]. وقد ذكر ابن النديم، ان عبد الله بن المقفع، نقل في جملة ما نقله عن الفارسية كتاب «آيين نامة» في الاصر، وكتاب خدينامة وكتاب مزدك وكتاب التاج[5]. فيظهر من «الفهرست» ان كتاب آئين نامة (آيين نامة) قد ترجم وإذا كان كتاب «كهنامة» جزء من كتاب «آئين نامة»، فيجب أن يكون قد ترجم أيضاً، لأنه جزء من «آئين نامة». ولكن المسعودي يشير إلى أن هذا الكتاب عظيم في الألوف من الأوراق، لا يكاد يوجد كاملاً إلا عند الموابذة، لذلك يصعب الحكم فيما إذا كانت ترجمة ابن القفع المشار إليه، هي ترجمة كاملة أو هي ترجمة جزء أو أجزاء منه.

وقد نقل المسعودي من كتاب عظيم فارسي رآه بمدينة «اصطخر»، ووصف صور الملوك من «آل ساسان»، وما كانوا يلبسونه من الملابس وصور تيجانهم وأسلحتهم، ووصف الكتاب وصفاً دقيقاً وصف حتى ورقه فقال عنه: «والورق فرفيري اللون عجيب الصبغ، فلا أدري أورق هو أم رق لحسنه وإتقان صنعته»[6]. وذكر انه وجد فيه أشياء

(١) مروج ١/ ١٩١.
(٢) مروج ١/ ٢١٠.
(٣) مروج ١/ ٢٣٥.
(٤) التنبيه ص٩١.
(٥) الفهرست ص١٧٨.
(٦) التنبيه ص٩٢.

كثيرة لم يجدها، في شتى من كتب الفرس كخداى نامة وآئين نامة وكهناماه وغيرها، مصور فيه ملوك فارس من آل ساسان سبعة وعشرون ملكاً، منهم خمسة وعشرون رجلاً وامراتان. قد صور الواحد منهم يوم مات شيخاً كان أو شاباً وحليته وتاجه ومخط لحيته وصورة وجهه». وذكر ان من عادتهم «أنهم كانوا إذا مات ملك من ملوكهم صوروه على هيئته ورفعوه إلى الخزائن كي لا يخفى على الحي منهم صفة الميت، وصورة كل ملك كان في حرب قائماً، وكل من كان في أمر جالسا، وسيرة كل واحد في خواصه وعوامه، وما حدث في ملكه من الكوائن العظيمة والإحداث الجليلة». وقد نقل هذا الكتاب لهشام بن عبد الملك بن مروان من الفارسية إلى العربية[١].

ولا بد وأن يكون المسعودي قد وقف بنفسه على المجوسية برجوعه إلى علمائها فنجد في كتابيه أموراً عن «زرادشت» وعن «الابستا»، «الابستاق»، وعن الـ«دين دبيرة» وعن السور التي يقرؤنها في صلواتهم «كأشتاذ وجترشت وبانيست وهادوخت»، وغيرها من السور، وعن «الزندفستا» «الزند» و«بازند» وعن «الباردة» و«الاكرده» وعن «أورمزد» و«أهرمن» والزمان وهو «كاه» و«المكان» وهو «هوم» وغير ذلك، وكل هذا وغيره يدل على أنه نظر في كتبهم وسأل أصحابها عن مضمونها وعن ديانة «زرادشت» فجاء بأمور لم ترد في مؤلفات غيره عنهم. حتى انه نفسه أخذ على متكلمة الإسلام من أصحاب الكتب في المقالات، من قصد على الرد على هؤلاء القوم»، لأنهم حكوا أشياء «مما تأباه المجوس، ولا تنقاد إليه، ولا تقر به»[٢]. ويعلل هذا الخطأ بقوله: «وأرى أن ذلك حكاية عن بعض عوامهم، ممن سمع يعتقد ذلك، فنسب إلى الجميع»[٣]. وهو بذلك يصحح قول من كتب عنهم. كما صحح أقوالهم وأقوال غيرهم في مثل هذه الأوهام التي تشيع عن المذاهب والفرق والديانات وأهل الفلسفة والتي دخلت الكتب فأوهمت الناس وأوقعتهم في تلك الأغلاط.

وعرف المسعودي أشياء عن «المانوية» المذهب المنسوب إلى «ماني» وقد نسب له جملة كتب ذكر منها «الجبلة» و«الشابرقان» و«كتاب سفر الأسفار» و«الكنز». ويلاحظ أنه تحدث عنه في أثناء كلامه عن حكم «قلوذيوس الثاني» من ملوك الروم[٤]. بينما كان

(١) المصدر نفسه.
(٢) التنبيه ص٨٠ وما بعدها.
(٣) التنبيه ص٨١.
(٤) التنبيه ص١١٧.

الواجب عليه أن يتحدث عنه في أثناء كلامه عن الفرس لأنه ظهر عندهم. وقد أشار هو إلى أنه تكلم عنه في اثناء حكمه عن «سابور بن أردشير»، غير أن ما كتبه عنه هو مختصر جداً موجز، بل هو إشارة وتلميحاً[١]. وقد ذكر المسعودي أن «ماني» هو «الفارقليط» الذي وعد به المسيح، وأن ماني أفرد في كثير من كتبه بحوثا عن المرقيونية والديصانية، وأنه أفرد باباً في كتابه المترجم بـ«الكنز» للمرقيونية، وبابا في كتابه «سفر الأسفار» للديصانية[٢]. ويظهر أن المسعودي كان قد وقف على هذه الكتب وربما كان قد نقل منها، لأن وصفه لها يدل على ذلك، غير أن من المحتمل أن يكون قد وقف عليها من أصحاب العلم بأهل الآراء والديانات.

وحديث المسعودي عن «ماني» في كتابه «التنبيه» هو أطول وأكثر مما أورده عنه في كتابه «مروج الذهب». فكل ما ذكره عنه في هذا الكتاب أنه ظهر في أيام «سابور بن أردشير» «وقال بالآيتين، فرجع سابور عن المجوسية إلى مذهب ماني والقول بالنور والبراءة من الظلمة، ثم عاد بعد ذلك إلى دين المجوسية، ولحق ماني بأرض الهند لأسباب أوجبت ذلك»[٣]. ولم يوضح المسعودي مراده من الآيتين، إلا أن الظاهر يدل على أنه أراد بهما النور والظلمة، وهما أضداد، وكل منهما ضد الآخر. والنور رمز الخير، والظلمة رمز الشر. وقد عاش ماني ما بين «٢١٥» للميلاد و«٢٧٣» تقريباً، وكان قد جاء باراء جديدة وبديانة متأثرة بالنصرانية وبالأفكار المستمدة من الديانة البابلية، مدعياً بأنه «رسول الله حقاً»، وقد عارض المزدكية، غير انه لم يوفق، فقبض عليه وصلب في «جدنيسابور»[٤]. ولم يوضح المسعودي مراده من «ولحق ماني بأرض الهند لأسباب أوجبت ذلك»، أما إذا أراد أنه فر إلى هنا ونجا بذلك بنفسه، فان ذلك خطأ، لأنه صلب على نحو ما ذكرت.

وذكر شيئاً عن «مزدق» «مزدك»، فقال عنه انه كان في أيام «قباذ بن فيروز»، وانه تأول «كتاب زرادشت المعروف بالابستاق»، وكان يقول: إن لكل ظاهر باطن هو بخلاف ظاهره، وهو من ثم «أول من يعد من أصحاب التأويل والباطن والعدول عن

---

(١) التنبيه ص٨٧.

(٢) التنبيه ص١١٧.

(٣) مروج ١/ ٢١١.

(٤) Oleary, How Greek Science passes to the Airbs, p, 16, h, Schmidt, philoso, Phisches Wortetbuch, s, 389.

الظاهر في شريعة زرادشت، واليه تضاف المزدقية»[1]. وقال إن «أنوشروان بن قباذ» قتله، وانه تحدث عنه وعلى الفرق بين مذهبه وبين مذهب ماني، وبين ابن ديصان ومرقيون وغيرهما في كتاب «خزائن الدين وسر العالمين»[2]. وأما ما أورده المسعودي عن «مزدق» في كتاب «مروج الذهب» فانه أكثر اختصارا مما ذكره عنه في التنبيه[3].

وقد أورد «ابن النديم» أسماء كتب عربت عن الفارسية هي: كتاب رستم واسفنديار، ترجمة جبلة بن سالم، وكتاب بهرام شوس، وهو ولا شك الكتاب الذي دعاه المسعودي بكتاب «أخبار بهرام جور»، وقد عربه جبلة بن سالم، وكتاب شهريزاد مع أبرويز، وكتاب الكارنامج في سيرة أنوشروان، كتاب التاج وما تفاءلت به ملوكهم، وكتاب داراً والصنم الذهب، وكتاب آئين نامة، وكتاب خداي نامة، وكتاب بهرام ونرسي، وكتاب أنوشروان[4].

وأما أخبار اليونان، فقد استقاها من موارد متعددة، منها «بطليموس»، فنراه يشير إليه في مواضع[5]. إلا أنه لم يشر إلى أكثرها، وإنما أشار إليها بجمل عامة مثل قوله: «ووجدت في بعض كتب التواريخ أن...»[6] وقوله: «ونسخ كتب التواريخ في هذا المعنى مختلفة غير متفقة في أسماء ملوكهم ومدة ملكهم، وأكثرها بالرومية، فحكينا من ذلك ما تأتي وصفه، ولهؤلاء الملوك أخبار وسير، هي موجودة في كتب النصارى الملكية»[7]. ولذلك كان أغلب ما ذكره عن الروم مأخوذ من موارد نصرانية شرقية، أي سريانية، بعضها معرب وبعضها نقل إليه نقلاً وترجم له.

وقد أشار في كتابه «التنبيه»، إلى بعض الموارد النصرانية المدونة في التأريخ. وهي تمثل الاتجاهات المذهبية الثلاث التي كانت غالبة على العراق وبلاد الشام ومصر في ذلك الزمان. وهذه المؤلفات هي: مؤلف في التأريخ وابتداء الخليقة والأنبياء والكتب والمدن والأمم وملوك الروم وغيرهم وأخبارهم، وينتهي إلى المكتفي، وهو

---

(١) التنبيه ص٨٨.
(٢) التنبيه ص٨٩.
(٣) مروج ١/ ٢٢٣ وما بعدها.
(٤) الفهرست ص٤٣٨.
(٥) مروج ١/ ٢٤٤.
(٦) مروج ١/ ٢٦٦.
(٧) مروج ١/ ٢٦٩.

لأحد المارونية، ويعرف بـ«قيس الماروني»[١]. وقد أثنى عليه المسعودي فقال عنه: «ولم أر للمارونية في هذا المعنى كتاباً مؤلفاً غيره»[٢].

وأما بقية كتب التأريخ، فهي: كتاب في التأريخ بـ«محبوب بن قسطنطين المنبجي»، وكتاب لـ«سعيد بن البطريق، انتهى بتصنيفه إلى خلافة الراضي، شاهده المسعودي بفسطاط مصر، وكتاب «اثنايوس الراهب المصري»، رتب فيه ملوك الروم وغيرهم من الأمم وسيرهم وأخبارهم من آدم إلى قسطنطين بن هيلاني، وكتاباً لـ«يعقوب بن زكرياء الكسكري الكاتب»، وقد شاهده المسعودي بالعراق وبالشام، ويشتمل على أنواع من العلوم في هذه المعاني، يزيد على غيره من كتب النصارى»[٣]، وكتاب في ذكر ملوك الروم واليونانيين وفلاسفهم وأخبارهم، وهو على مذهب اليعاقبة، لـ«أبي زكرياء دنخا النصراني»، وكان متفلسفاً جدلاً نظاراً، جرت بينه وبين المسعودي مناظرات كثيرة في الثالوث وغيره، في الجانب الغربي من بغداد بقطيعة أم جعفر، وبمدينة تكريت في الكنيسة المعروفة بالخضراء وذلك سنة ٣١٣ للهجرة[٤].

وفي جملة الكنائس التي زارها وأخذ من كتبها أخباره عن الروم والنصرانية الملكية، كنيسة بمدينة «أنطاكية» دعاها «كنيسة القسيان»[٥] وكانت للملكيين. وأخذ من أنطاكية أيضاً أخبار اليعاقبة، وقد ذكر أن «كرسي اليعاقبة رسمه أن يكون بمدينة أنطاكية»[٦]، وأن «يعقوب البراذعي» الذي تنسب اليعاقبة إليه، هو من أهل تلك المدينة[٧]. وقد اتصل المسعودي باليعاقبة في كثير من المدن التي وصل إليها مثل تكريت وحلب ومصر، وقال عن «يعقوب» انه تلميذ «سوارس» «سورس» «سفيروس» «سواري»، وإن «السنهورس» الرابع نظر في مقالته، فحكمت بهرطقته وخالفت اليعقوبية سائر النصارى وفارقتهم[٨]. كما تحدث عن «البيالقة»، أصحاب «بولس الشمشاطي»

---

(١) التنبيه ص١٣١ وما بعدها.
(٢) التنبيه ص١٣٢.
(٣) التنبيه ص١٣٢.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) مروج ٢/ ١٠٥، محمد محيي الدين عبدالحميد، ١/ ٢٦٣.
(٦) مروج ١/ ٢٧٦.
(٧) المصدر نفسه.
(٨) التنبيه ص١٢٩.

وهو من أول بطاركة أنطاكية[١].

وقد استفاد من موارد أخرى أشار إليها في كتابه «التنبيه» ومنها كتاب «قانون ثاون الإسكندراني»، وقد نقل منه عدد ملوك اليونان وجملة ما ملكوا من السنين[٢]. ويظهر أن كتاب «قانون ثاون» هو من مؤلفات بطليموس في الأصل ثم عمل عليه ثاون فوسعه[٣]. واستفاد من كتب «جالينوس» كذلك، المنقولة إلى العربية، ومنها نقول بقلم حنين بن إسحاق[٤].

وذكر المسعودي أن كتباً كانت رائجة بين الناس منتشرة، في الطب والزينة والحكمة، وهي للملكة «قلبطرة»، وهي مترجمة باسمها منسوبة إليها معروفة عند صنعة أهل الطب[٥]. وذكر في كتابه «التنبيه» أن لها كتباً في الرقية وغيرها[٦]. وقد دعاها بـ «قلو بطرة» في هذا الكتاب[٧]. والظاهر أن قصة السم والحية الواردة في حكاية حبها مع قيصر «روما»، جعل أصحاب القرائح يكتبون هذه المؤلفات وينسبونها إلى تلك الملكة الفيلسوفة الحكيمة. وقد وقف المسعودي على قصة «قلو بطرة» «كليو بطرة» فذكرها، ثم قال معقبا عليها: «وهذا الشعر معروف عند الروم إلى هذه الغاية يذكرونه في يومهم، ويرثون به ملوكهم، وربما ذكروه في أغانيهم، وهو متعالم معروف عندهم»[٨].

ولم تستهو المؤلفات اليونانية واللاتينية القراء العرب في ذلك الوقت، ولا سيما كتب الأدب والأسماء. وإذا كان القصص الإسرائيلي، وقصص الرسل والأنبياء قد استهوى النفوس فاحتل مكاناً في كتب أهل الأخبار والمؤرخين يكاد يكون أضعاف المكان الذي شغله تأريخ الروم، بل وحتى تواريخ الفرس مع دخول الفرس في الإسلام وتعصبهم لتأريخهم، فان تواريخ الروم القديمة وآدابهم وقصصهم، لم تستهو أفئدة الناس، لقلة دخول الروم في الإسلام، ولأن البلاد التي دخلت في الإسلام لم تكن قد وطنت نفسها على ذلك الأدب، وذوق اليونان والرومان يختلف عن ذوق العرب، ولهذا

---

(١) التنبيه ص١٣٠.
(٢) التنبيه ص٩٧.
(٣) التنبيه ص١١٢.
(٤) التنبيه ص١١٣ وما بعدها.
(٥) مروج ١/ ٢٥٩.
(٦) التنبيه ص١٠٠.
(٧) التنبيه ص٩٩.
(٨) مروج ١/ ٢٦١.

لم يجد الشعر اليوناني والأدب اليوناني مكاناً في النفوس، اللهم خلا ذلك الذي يلائم الذوق الشرقي مثل الحكم والفلسفه الملائمة للذوق الشرقي، والذي هو على طراز ما ترجم عن الفارسية والهندية في الأدب. وخلا المنطق وأنواع العلوم، مما لا دخل للأذواق والعواطف فيها. ولما فيها من منفعة وفائدة. وقد ترجمت بعض كتب الأدب إلى العربية غير أنها لم تلق نجاحاً ولا إقبالاً، فقبرت وماتت ولم يعش منها إلا القليل. وقد أشار ابن النديم إلى بعض ما عرب منها في التواريخ وفي الأسمار. وعلق على كتاب شمسة ودمنة منها بانه «كتاب بارد التأليف، بغيض التصنيف، وقد زعم أن بعض المحدثين عمله»[١].

وللمسعودي ملاحظة قيمة عن تأريخ الفرس والروم القديمة. إذ يقول: «وسبيل هؤلاء الملوك من أوغسطس إلى قسطنطس أبي قسطنطين سبيل ملوك الفرس الأولى والطوائف من جيومرت إلى أدرشير، مضطرب، تأريخهم متنازع في إعدادهم غير محصلة أوقاتهم، وإنما يعول على تأريخ ملوك الروم من قسطنطين المظهر لدين النصرانية والمحارب عليها، كما تعول الفرس في تأريخ سنيها وتحصيل أيام ملوكها مذ ملك اردشير بن بابك»[٢]. ويظهر أن الاهتمام الذي وجهه المؤرخون السريان وهم نصارى إلى التاريخ من ناحية ما له من علاقة بالنصرانية وبالكتب المقدسة، جعلهم لا يقيمون وزنا لتأريخ اليونان والرومان القديم، ولا سيما وأنه مكتوب بلغة يونانية أو لاتينية، ولا فائدة مهمة مباشرة له بالنسبة إليهم، لذلك وجهوا أنظارهم نحو الذي يهمهم بصورة مباشرة منه. وأما ما قبله، فلم يكن يخلو من الطابع الأسطوري. والظاهر أن النزاع الذي وقع بين السلالات الفارسية وللحركات المذهبية، ولتبدل الألسنة دخل كبير في ذهاب تواريخ الفرس القديمة، فلم يبق منها بوجه سليم إلا المتأخر منها المكتوب في عهود قريبة من الساسانيين وفي أيامهم، ولذلك اضطرب القسم القديم من تواريخهم، فجاء متضارباً فيه الكثير من المتناقضات وفيه الأساطير.

لقد كان لاعتماد المسعودي على مؤلفات نصرانية في التاريخ، ولمخالطته ولمجالسته لعلماء النصارى من المذاهب المتعددة وللجوءه إلى الكنائس يلتمس من خزائنها ومن كتبها الثمينة الأخبار والتواريخ أثر كبير في هذا الذي كتبه عن النصرانية

---

(١) الفهرست ص٤٣٩.

(٢) التنبيه ص١١٨.

وعن مذاهبها وعن أسباب الخلاف الذي وقع فيها. فقد جاء بأمور عنها لا نرى لها وجودا في الكتب الإسلامية الأخرى. وتطرق إلى موضوعات دقيقة عن النصرانية وعن سير القديسين وأصحاب المذاهب وعن المجامع الكنائسية التي انعقدت للنظر في طبيعة الثالوث وفي المشكلات الأخرى التي أثارت جدلاً في العقيدة، وفي الحكم على المنشقين القائلين بآراء جديدة وبتفسيرات تخالف المتعارف عليه. فتجده يتحدث بتفصيل عن تنصر «قسطنطين» بانى القسطنطينية، وعن خروج أمه «هلاني» «هيلانة»، إلى أرض الشام وبنائها الكنائس وطلبها الخشبة التي صلب عليها المسيح، فلما صارت إليها حلتها بالذهب والفضة، وتجد غير ذلك عنها[١]، ثم تجد تفصيلاً عن مجمع «نيقيه» الذي حضره «٣١٨» أسقفا بمدينة «نيقيه»، للنظر في الخلافات التي وقعت في الكنيسة، نتيجة لدخول الفلسفة اليونانية والآراء الجديدة إلى النصرانية المستمدة من أرض فلسطين ومن محيط يهودي[٢].

ثم تحدث المسعودي عن المجامع الدينية التي عقدت، وقال ان عددها ستة، وان النصارى يسمون المجمع «سندوس»، ويقصد بذلك لفظة «سنهودس». وقد ذكر أسماء المجامع الستة بتمامها، وعدد من حضر في كل مجمع منها[٣]. وقد كان كلامه عن هذه المجامع واضحاً صحيحاً، يدل على ان نقله كان من مصدر نصراني له علم بتأريخ النصرانية. وقد كتب اسم المجامع بصورة صحيحة «سنهودس» في كتابه التنبيه[٤]. ويراد به المجامع الدينية.

وقد جاء المسعودي في كتابه التنبيه بملاحظة عن لفظة «سندوس»، يمكن ان نعتبرها تصحيحاً لما جاء في مؤلفاته السابقة، إذ قال: «وقد اختلف أهل دين النصرانية في العبارة عن أسماء هذه المجامع عند مقابلتهم الأمانات بالتراجم المعروفة، فمنه ما يسميه أهل مصر «السنهودسات»، أحدها «سنهودس»، وبها عبرنا في كتابنا هذا، لأنها أفصحها ولمقامنا بمصر في هذا الوقت. ويسميه أهل المشرق «السنادسات»، وقوم يقولون: «سناطس»[٥].

---

(١) مروج ١/ ٢٦٩.
(٢) مروج ١/ ٢٧٠.
(٣) مروج ١/ ٢٧٠.
(٤) التنبيه ص١٣٦.
(٥) التنبيه ص١٣٦.

ويذكر المسعودي، أنه وهو بمصر كان يتتبع أخبار النصرانية ويبحث عنها، وكذلك أثناء تنقله «بالثغر الشامي وأنطاكية والشام ومصر»، ولم يسمع بانعقاد «سنهودس» جديد، يكون السنهودس السابع[1]. ومثل هذه الملاحظات تدل على أنه كان يتتبع ويحقق ويصحح ما وقع فيه من أغلاط، وأنه كان مؤرخاً لا يكتفي بمجرد الأخذ والسماع، بل كان يدقق فيما يصل إليه، ويبحث عنه في الموضع الذي يكون فيه ان وصل إليه. ولهذا رأيناه لا يقبل بالأخذ من الكتب عن أصحاب المذاهب والفرق، بل كان ينتهز الفرص فينظر في كتبهم ويكلف نفسه عناء السفر إليهم ليحادث علمائهم ورجال دينهم لأن المعاينة ليست كالخبر. وللسبب هذا نرى فيما يكتبه عن الفرق والمذاهب المخالفة فيه حياد وعدم تحيز وتعصب. والغالب أن عباراته عنهم منقولة عنهم، وقد يقع الخطأ فيما يذكره عنهم، وليس الخطأ خطأه في الأغلب بل خطأ المتحدث إليه، لأنه لم يكن على علم بالموضوع، ولم يكن من أصحاب الدراية في مذهبه ومن أصحاب الفهم فيه.

وقد تعرض المسعودي لأمور كان لها شأن في النصرانية. فذكر أن ولادة المسيح كانت في أيام «أغسطس». وقد دعاه بـ «أغسطس بن قيصر» في كتابه: مروج[2]، ظنا أن «قيصر» الذي هو لقب، هو اسم علم وصيره والده. وذكر أنه لخمس عشرة سنة خلت من ملك «طيباريوس» «عمد ايشوع الناصري عند النصارى في نهر الأردن، وكان المعمد له ابن خالته يحيى بن زكرياء، ولذلك سمي يحيى المعمدان»[3]. ثم ذكر انه «لسبع عشرة سنة خلت من ملكه، وهي سنة ٣٤٣ للإسكندر بن فيلبس الملك كان عند النصارى صلب ايشوع الناصري، وذلك يوم الجمعة الثالث والعشرين من آذار»[4]. «ومات عندهم ودفن وانبعث من بين الموتى حيا، وصعد إلى السماء وله ثلاث وثلاثون سنة، ولا يصعد عندهم السماء إلا من نزل منها»، ثم قال: «والنصارى تصوم يوم الأربعاء، لأن ايشوع ولد فيه، والجمعة لأنه صلب فيه عندهم تطوعا لا فريضة»[5]. أما في كتابه «مروج الذهب»، فقد أوجز في ذلك، بأن اكتفى بقوله: «ولثلاث سنين بقيت

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) مروج ١/ ٢٦٣.
(٣) التنبيه ص١٠٨.
(٤) التنبيه ص١٠٨.
(٥) كذلك.

من ملكه رفع المسيح عليه السلام»[1]. وقد جعل ملكه ثلاثاً وعشرين سنة في كتابه «التنبيه» و«اثنتين وعشرين سنة»[2] في كتابه «مروج الذهب»[3]. وتوحي كلماته التي استعملها عن «ايشوع الناصري» أنه لم يكن يعلم أن المراد به هو «يسوع»، أي «المسيح»، وانه شخص آخر غير «عيسى» الذي هو المسيح. ولفظة «ايشوع»، هي لفظة عبرانية الأصل من أصل «يهوشاع» «يهوشع»، ومعناها «يهوه يعين»، وهي صيغة كاملة لـ «يشوع»[4]. اما لفظة «يسوع» فهي الصيغة اليونانية ليشوع[5]. و«يسوع» بمعنى «المخلص» هو المسيح، وليس بين اسمه وبين اسم يشوع فرق إذا في العبرانية. وقد وردت لفظة «يسوع» وحدها في الأكثر في الأناجيل، ووردت على هذه الصورة: «يسوع المسيح» و«والرب يسوع المسيح»، في سفر الأعمال والرسائل[6]. ولما كانت الأناجيل اليونانية قد استعملت الصيغة «يسوع»، لذلك، فان في استطاعتنا أن نقول أن المسعودي أخذ «ايشوع» من رجال الدين السريان، الذين يستخدمون التسمية الشرقية وهي «ايشوعا» «ايشوع» «يشوع»[7].

وقد فسر المسعودي لفظة «أغسطس» «اوغسطس» بمعنى «الضياء»، ولفظة «قيصر»، بـ «شق عنه»، وذلك أن أمه ماتت وهي حامل به، فشق بطنها واستخرج. أما معنى اللفظة الأولى، الصحيح، فانه «موقى»، وذلك باللاتينية[8]، وأما «قيصر»، فليست اسماً لأغسطس ولا علاقة له بشق البطن، وانما هي لقب رسمي، أخذه من اسم «يوليوس قيصر» الشهير، وتلقب به «أغسطس» و«طيباريوس» وغيرهما من بعدهما. و«يوليوس قيصر»، هو الذي نبز بهذا اللقب، للسبب المذكور[9].

وأما ما ذكره «المسعودي»، من أن مولد المسيح كان لاثنتين وأربعين سنة من ملك

---

(١) مروج ١/ ٢٦٤.
(٢) التنبيه ص١٠٨.
(٣) مروج ١/ ٢٦٤.
(٤) قاموس الكتاب المقدس ٢/ ٥٣٧.
(٥) قاموس الكتاب المقدس ٢/ ٥١٠.
(٦) قاموس الكتاب المقدس ٢/ ٥٠٧.
(٧) يوسابيوس القيصري: تأريخ الكنيسة، تعريب القس مرقس داود، القاهرة ١٩٦٠ ص٢٤.
(٨) قاموس الكتاب المقدس ١/ ١٧٨. Hastings, p,76.
(٩) قاموس الكتاب المقدس ٢/ ٢٢٢ وما بعدها، ابن العبري، مختصر تأريخ الدول، ص١٠٦ Hastings ,p, 107.

أغسطس، ولست بقين من كانون الأول[1]، ومن أنه ظل قيصرا بعد مولد المسيح أربع عشرة سنة ونصفا، وإن مدة ملكه ست وخمسون سنة[2] فهو وهم فقد ولد هذا القيصر سنة ٦٣ قبل الميلاد، وصار أول «انبراطور» روماني سنة ٢٣ قبل الميلاد، وتوفي سنة ١٤ بعد الميلاد، فيكون مجموع عمره ٧٧ سنة تقريباً، ومجموع حكمه ٣٧ سنة[3]، ولو أخذنا بنظر الاعتبار اللقب الروماني الذي منحه «السناتوس»، أي المجلس الروماني له، وهو «لقب أوغسطوس» في ١٦ كانون الثاني من سنة ٢٧ قبل الميلاد، واعتبرناه مبدأ لحكمه حتى وفاته سنة ١٤ بعد الميلاد فتكون جميع سني حكمه ٤١ سنة[4]، وهي تخالف المدة التي ذكرها المسعودي.

وقد أخذ المسعودي روايته هذه من التواريخ الكنائسية الشرقية، فنجد أن «يوسابيوس القيصري» مؤرخ الكنيسة الشهير، يذكر أن ولادته كانت في السنة الثانية والأربعين من حكم أوغسطس وفي السنة الثامنة والعشرين بعد إخضاع مصر، وموت انطونيوس وكليوباترة[5]. وقد اعتبر «يوسابيوس» حكم القيصر من موت «يوليوس قيصر» وذلك محاكاة للمؤرخ اليهودي «يوسفوس فلافييوس»، الذي جعل مدة حكمه سبعاً وخمسين سنة. مع أنه لم يحكم في الواقع إلا كما ذكرت.

والذي عليه المؤرخون ان ميلاد المسيح كان قبل الميلاد ببضع سنين. وذلك لأن إنجيل لوقا ينص على ان «يوحنا المعمدان»، عمد المسيح في السنة الخامسة عشرة من ملك «طيباريوس»[6]، وتقابل السنة ٢٩ بعد الميلاد. لأنه تولى الحكم في سنة ١٤ بعد الميلاد. ولما كان المسيح إذ ذاك في الثلاثين من عمره. فان ميلاده يكون تربياً من التاريخ المتعارف عليه الذي ثبته «ديونيسوس اكسيكوس» «Dionysius Exiguus».

والذي صار تقليدياً ومتفقاً عليه بين الناس[7]. غير أن انجيل «متى» ينص على أنه

---

(١) التنبيه ص١٠٧ وما بعدها، مروج ١/ ٢٦٣.
(٢) مروج ١/ ٢٦٤.
(٣) Hastings, p,76.
(٤) قاموس الكتاب المقدس ١/ ١٧٨ .Hastings, p,76
(٥) تاريخ الكنيسة، تعريب القس مرقس داود، القاهرة ١٩٦٠ ص٣٤.
(٦) انجيل لوقا، الإصحاح الثالث، الآية الواحدة وما بعدها.
(٧) Hastings,p, 444.

ولد في أيام الملك «هيرود»، «هيرودس» ملك اليهودية المتوفي سنة ٤ قبل الميلاد[١]. كما أن الأناجيل الأخرى ذكرت أموراً عن أيام ولادته وطفولته وقعت قبل وفاة «هيرودس»، وهذا ما يجعل ميلاد المسيح الصحيح، قبل السنة المذكورة المتفق عليها اليوم، ومنهم من يجعله في السنة الرابعة أو الخامسة أو السابعة قبل الميلاد[٢].

ويلاحظ أن المسعودي، جعل «أورشليم» أي القدس، مكان ولادة المسيح في كتابه «مروج الذهب»، ودعاه «ايليا» أيضاً[٣]. وجعل «بيت لحم»، موضع ولادته في «التنبيه»، وهو المكان الذي تنص الأناجيل عليه[٤]. ويظهر لي انه تعجل في بادئ الأمر فجعل القدس موضع ميلاد المسيح، لقدسيتها عند النصارى وذلك قبل أن يسأل منهم فلما قرأ كتبهم واتصل بهم، أصلح خطأه، فجعل المولد في «بيت لحم» في «التنبيه» ولعله أصلح ذلك في «النسخة الأخيرة» من كتابه «مروج».

وحكم «طيباريوس «الذي ولي الحكم بعد «أوغسطس قيصر» اثنين وعشرين عاماً في كتاب «مروج الذهب» أما في «كتاب التنبيه»، فانه ثلاث وعشرون سنة[٥]. وقد ولد في سنة ٤٢ قبل الميلاد وتوفي في سنة ٣٧ بعد الميلاد. وقد اشترك مع القيصر السابق في الحكم في سنة ١١ بعد الميلاد، وتولى نفسه منصب «انبراطور» سنة ١٤ بعد الميلاد[٦]. وقد ذكر المسعودي، أنه هو الذي بنى مدينة «طبرية»[٧]، والصحيح ان الملك «هيرودس انتيباس» هو الذي بناها وسماها «طبرية» على اسم الانبراطور «طيباريوس»[٨]. وأما ما قاله المسعودي من أن «يحيى بن زكرياء»، المسمى بـ«يحيى المعمداني»، هو الذي عمد «ايشوع الناصري»، وذلك لخمس عشرة سنة خلت من ملك «طيباريوس»[٩]، فهو موافق للأناجيل[١٠]. ويقصد بـ«يحيى بن زكرياء»، «يوحنا بن

---

(١) يوسابيوس ص٣٧ .Hastings, p,444

(٢) يوسابيوس ص٢/ ٣٣٥ .Hastings, p, 444

(٣) مروج ١/ ٢٦٣.

(٤) التنبيه ص١٠٧ .Hastings,p,93

(٥) مروج ١/ ٢٦٤.

(٦) التنبيه ص١٠٨.

(٧) قاموس الكتاب المقدس ٢/ ٥٢ وما بعدها .Hastings,p,934

(٨) التنبيه ص١٠٨.

(٩) قاموس الكتاب المقدس ٢/ ٤٦.

(١٠) التنبيه ص١٠٨، ٧ لوقا الإصحاح الثالث، الآية ١.

زكريا» المعروف بـ «المعمدان». وكانت ولادته بستة شهور قبل ولادة المسيح، وقد عرف المسعودي ذلك، فذكرها في «التنبيه»[1].

وكان المسيح يوم تعميده في حوالي الثلاثين عام. أما يوم صلبه في تأريخ المسعودي، فكان لثلاث سنين بقيت من ملك «طيباريوس»، وذلك في كتاب «مروج الذهب»[2]، ولسبع عشرة سنة خلت من ملكه في كتابه «التنبيه» ويذكر أن ذلك كان يوم الجمعة الثالث والعشرين من آذار. وكان عمره إذ ذاك ثلاثاً وثلاثين سنة[3]. وأما الذي عليه المؤرخون، فانه كان في اليوم السابع من نيسان من سنة ٣٠ للميلاد[4].

وأما بقية ما كتبه المسعودي عن النصرانية وعن كيفية انتشارها وعن رسل المسيح وما شاكل ذلك، فقد كان سنده فيها التواريخ النصرانية السريانية. ولما كان المسعودي قد استعان بموارد متعددة تمثل مذاهب اليعاقبة والنساطرة والملكية، لذلك تضاربت أخباره بعض التضارب أحياناً وتباينت بعض التباين. ولعل الاختلاف الذي نلاحظه بين كتابي «مروج الذهب» و«التنبيه»، يعود إلى إن المسعودي كان قد قضى أكثر أواخر أيامه في مصر، متجولاً في بلاد الشأم مختلطا بنصارى تلك البلاد، لذلك جمع مادة جديدة وقوف على كتب تاريخية كانت متوفرة هناك بكثرة وقد أشرت إليها، فأدخل إصلاحات وزيادات على كتابه «التنبيه»، وربما على النسخة الأخيرة من «مروج الذهب» التي هي أوسع بكثير من التنبيه، وهي النسخة المفقودة، ولما كانت النسخة المطبوعة هي النسخة الأولى، وهي نسخة شاعت وانتشرت بين الناس، لذلك لم يكن في إمكان المؤلف إصلاحها، فبقيت على حالها من غير إصلاح ولا زيادات.

ووضع المسعودي في كتابه «مروج الذهب» شخصا دعاه بـ «بطاريس»، زعم أنه حكم أربع سنين[5]. إما في كتابه «التنبيه» فقد دعاه بـ «غائيوس بن طيباريوس»، وقال عنه انه قتل اصطفنوس رئيس الشمامسة والشهداء عند النصارى، ويعقوب أخا يوحنا بن زبدي في خلق كثير من النصارى»[6]. ووضع «فلوريوس» بعد «بطاريس» في كتابه

---

(١) التنبيه ص١٠٨.
(٢) مروج ١/ ٢٦٤.
(٣) التنبيه ص١٠٨، ابن العبري ص١١٣.
(٤) قاموس الكتاب المقدس ٢/ ٣٤١.
(٥) مروج ١/ ٢٦٤.
(٦) التنبيه ص١٠٩.

«مروج الذهب» وجعل مدة حكمه أربع عشرة سنة، وذكر عنه أنه كان أول ملك من ملوك الروم شرع في قتل النصارى وإتباع المسيح. وانه في أيامه قتل بطرس المسمى بـ«شمعون» باليونانية، وبـ«سمعان» بالعربية، وقد صلب هو و«بولص»، صلبا منكسين[1].

أما في كتابه «التنبيه»، فقد صير «فلوريوس» شخصاً آخر دعاه باسم «قلوذيوس بن طيباريوس»، وملكه، أربع عشرة سنة، ثم قال عنه: «وفي أول سنة من ملكه قتل أغريفوس عامله على الإسرئيليين يوحنا بن زبداى أحد التلاميذ وحبس شمعون الصفا»[2]. وأنه «في السنة الثالثة من ملكه دخل شمعون الصفا مدينة رومية، وسقف بها، ودبرها سنين» ودانت زوجته بالنصرانية وذهبت إلى «أورشليم»، فأخرجت الخشبة التي تظن النصارى أن المسيح صلب عليها، ويسمونها صليب المسيح. وكانت في أيدي اليهود، قد منعوا النصارى منها، فأخذتها منهم وردتها على النصارى وقوت أمرهم[3].

أما الذي حكم بعد «قلوذيوس»، فهو «نيرون». وقد قتل خلائق كثيرة من النصارى»[4].

---

(١) مروج ١/ ٢٦٤.
(٢) التنبيه ص١٠٩.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) مروج/ ٢٦٦.

ثانياً

محور الفكر الإسلامي

البحث العلمي عند العرب المسلمين(١)

انصب معظم بحوث المحدثين في تأريخ العرب على الناحيتين السياسية والأدبية. أما النواحي الأخرى من نواحي الحياة، ولاسيما الناحية العلمية، فلم تحظ إلا بعناية قليلة، مع أنها ليست بأقل خطورة منهما من الناحية السياسية أو الناحية الأدبية لأمة ما. ولهذا كان علمنا بالبحث العلمي وباشتغال العرب المسلمين بالعلوم ضئيلاً ساذجاً، وأكثره من النوع العام الذي لا يستند إلى دراسات نقد وتحليل ومقارنات ومقابلات مع الأصول القديمة فجاء فجاً ناقصاً، لا يقدم مادة في تأريخ تطور العلم، ولا رأياً في درجة تقدمه ومقدار صفائه عند العرب المسلمين.

وحينما أقول: العلم، أقصد ما يقال له «Science» في الانكليزية من أصل كلمة «Scinentia» اللاتينية و«Wissenschaft» في الألمانية. ولهذا لن أتحدث هنا إلا عن الموضوعات التي يدخلها أبناء هذا اليوم في هذا الإطار، كالكيمياء والصيدلة والفلاحة والرياضيات والفلك وأمثال ذلك. وسأحصر كلامي هنا في التحدث عن الكيمياء والفلاحة.

هذا، ولا بد لي، قبل الدخول في الموضوع، من الإشارة إلى أن من أهم أسباب جهلنا بتأريخ تطور العلم وتطور بحوثه عند العرب المسلمين هو قلة المطبوع من كتب العلوم العربية القديمة، وسقم أكثر المطبوع من حيث التحقيق والإخراج وكثرة الخطأ فيه. وانصراف أكثر المحققين والناشرين للمخطوطات عن تحقيق المخطوطات العلمية

(١) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي العدد ٧ لسنة ١٩٦٠، ص ١٢٥-١٧٤.

والحرفية وميلهم إلى تحقيق الكتب التأريخية والأدبية، وهي كتب يكتب لها البيع والانتشار بسهولة، فبقي معظم كتب العلم مخطوطاً مختبئاً في زوايا المكتبات لا يعرف عنه إلا القليل.

وهذا مما حرمنا الوقوف على الحركة العلمية عند العرب وقوفاً صحيحاً واضحاً. وللتغلب على هذه المشكلات وأمثالها لا بد من قيام المؤسسات الثقافية الرسمية وشبه الرسمية في الأقطار العربية من بعث المخطوطات العلمية بما لها من قدرة مادية وعلمية ومعنوية، وإسناد ذلك كله إلى أعضائها العلماء أو إلى العلماء المتخصصين بتحقيق المخطوطات والعلماء المتخصصين في المادة التي تخصها المخطوطة بدراستها من النواحي اللغوية والاختصاصية وتحقيقها تحقيقاً علمياً مع دراسة تحليل ونقد، ليكون إخراج الكتاب كاملاً مفيداً للمؤرخين والباحثين والمطالعين، وبذلك يكون في وسع المؤرخ الاستناد إلى مثل هذه المراجع في إبداء رأيه في الحركة العلمية عند العرب المسلمين.

ولما كان التراث العربي العلمي نتائج جهود علماء جميع الأقطار العربية والإسلامية، وكان ذلك يحتاج إلى وضع خطة موحدة بين المؤسسات العلمية والثقافية في نشر المخطوطات وتحقيقها تحقيقاً علمياً دقيقاً صحيحاً، فمن الواجب مراجعة دائرة نشر المخطوطات في الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية عند إقدام أية جهة حكومية في البلاد العربية، على نشر مخطوط، للاستئناس برأيها في هذا الموضوع، ولإبلاغ الجهات المعنية بنشر المخطوطات في البلاد العربية أو الأجنبية بذلك، لتكون على علم وبينة من الأمر ولوضع خطة علمية موحدة على أساس توزيع العمل، بقيام كل قطر عربي بنشر ما يخصه نشراً علمياً دقيقاً، وبذلك تتوحد الجهود العلمية والثقافية العربية في هذا المضمار.

والمطبوع الموجود بين أيدينا من تأريخ تطور المعرفة عند المسلمين، وابتداء اشتغالهم بها في جميع حقولها وأبوابها من علم وأدب وفن وصناعة، يرينا أن المعنيين بتدوين تأريخ العلوم والآداب والفنون والصناعة كانوا قلائل، وأنهم لم يتوسعوا في البحث ولم يكتبوا فيه بسعة وإحاطة، وان هذا الموضوع لم يكن قد خطر ببالهم إلا بعد مدة من اشتغال المسلمين بالكتابة والتأليف. فلما شرعوا في التدوين لم يجدوا إمامهم مادة كافية، ولم يصل إلى مسامعهم غير هذا القليل المدون، وأكثره مما يحتاج إلى نقد وغربلة وتمحيص. وقد أخذ المتأخرون منهم ما وجدوه أمامهم قد دون قبلهم، فسجلوه

كما هو، ولم يتعبوا أنفسهم بالبحث والاستقصاء لإيجاد شيء جديد يضاف إلى ما جاء به القدماء.

ولا تجد هذا التقصير في موضوع تدوين العلوم أو الفن أو الصناعة وحده، بل نجد ذلك حتى في تدوين منشأ العلوم العربية والعلوم الشرعية أيضاً. فأنت إذا رجعت إلى كتاب الفهرست لابن النديم، وهو من أقدم المراجع المؤلفة في هذا الموضوع. لا تجد فيه شيئاً ضافياً واضحاً عن كيفية نشوء العلوم العربية عن مبلغ صلتها بالحركة العلمية عند الجاهليين، ولا تجد فيه كيفية اهتداء أبي الأسود الدؤلي مثلاً إلى وضع قواعد النحو وكيفية تطور النحو ونموه من يوم ظهوره إلى ساعة وصوله وتدوينه في كتاب سيبويه. ولا تجد فيه كذلك نقداً لكيفية ظهور علم العروض وسائر العلوم اللسانية والشرعية عند المسلمين.

والواقع أن فهم الناس للتأريخ في ذلك العهد لم يكن على النحو الذي نفهمه عنه نحن في الزمن الحاضر. فقد كان التأريخ في ذلك الوقت تأريخ حوادث ووقائع. انصرف إلى أعمال الخلفاء والملوك والرجال الذين لهم أثر ظاهر في الحياة. أما تأريخ التدوين وكيفية تطور المعرفة وربط بعضها ببعض وارتباط العلماء المتأخرين بالمتقدمين وما أوجده النوابغ من آراء واختراعات فلم يكن موضوعاً مهماً بالقياس إلى تلك الأيام، إلى أن ظهرت الحاجة إليه، فكان ما فقد كثيراً، وكان الضائع غزيراً. وقد سبب ذلك لأمثالنا الجهل بتأريخ نشوء المعرفة وتطورها بصورة عامة في العصور الأولى للإسلام.

ونحن إذا ما أردنا التحدث عن العلوم، فلا بد لنا من الابتداء بعلم كان وما زال له صداه في حياة الإنسان وفي تطوره. هو علم الكيمياء، وهو علم اختلطت به في ذلك العهد الشعبذة بالبحث، والخيال بالعلم. فأجتمع السحر بالتجربة، واتصل الطمع بالحصول على الثروة والمال بالبحث العلمي المجرد، بقيا على ذلك أمداً، إلى أن تغلب التجارب العلمية فيه على الشعبذة، وفازت المعرفة العلمية على الآراء الخيالية البالية، فنقي هذا العلم من الشوائب، وصار علماً بل علوماً استقلت منه على النحو المعهود في العهد الحاضر. وستظهر منه فروع جديدة في المستقبل بالطبع.

وعلم الكيمياء في ذلك العهد علم يرتاده طالبوه طمعاً في الحصول على الذهب والمال في الغالب، وقلما حفل به غير هؤلاء وهو ذو أصول شرقية وغربية، تغلبت على أصوله الشرقية الطلسمات والسحر والتعاويذ، وتغلبت على أصوله الغربية النزعة إلى التجربة واستخدام الآلات والأدوات والنار والحوامض و«الفلزات» لتحويل المعادن

الخسيسة إلى هذا المعدن النفيس الذهب. محبوب القلوب. وعدت الكتب المؤلفة فيه، من الكتب الثمينة الغالية، كما عد المشتغلون به الكيمياء صنعة ذات أخطار وذات أسرار لا يجوز إفشاؤها ولا البوح بها إلا لخاصة الخاصة.

والحديث عن مبدأ هذا العلم عند العرب حديث غير ممكن في الزمن الحاضر، لسبب واحد بسيط، هو عدم وجود مادة في أيدينا تمكننا من الوقوف على كيفية نشوئه وظهوره عند الجاهليين والإسلاميين. ولكنا إذا كنا في هذا الجهل بكيفية ظهور الكيمياء عند العرب وبأبطالها ورجالها في تلك الأيام، فإننا نستطيع أن نأتي بخلاصة موجزة عن رجال إسلاميين، ذكر في كتاب الفهرست وغيره أنهم كانوا ممن اشتغلوا بالكيمياء، وبالصنعة كما يطلقون عليها أيضاً.

وبعد، فان الحديث عن الكيمياء يدفعنا إلى الابتداء بالتحدث عن ثلاثة أعلام يرتبط كل واحد منهم بهذا العلم، هم خالد بن يزيد بن معاوية، وجعفر الصادق، وجابر بن حيان.

أما الأول، فهو أبو هاشم خالد ابن الخليفة يزيد الأول ثاني الخلفاء الأمويين، وحفيد معاوية مؤسس الدولة الأموية. فهو من أسرة شريفة حاكمة، ومن بيت قديم من بيوتات مكة، عرف بمنافسته لبني هاشم في الجاهلية وفي الإسلام. وهو أول من ورد اسمه من العرب المسلمين مقروناً بهذا البحث. وقد نسبت إليه بحوث مدونة وغير مدونة فيه، بقيت منها نتف واقتباسات في بطون الكتب، وأشعار في الصنعة يذكر راووها أنها مما نظمه هذا الأمير العالم في علم الكيمياء وفيما يتعلق به.

أما سيرته فكل ما نعرفه منها أنه عاش في كنف والده زهاء عشرين عاماً، وعاش حتى سنة ٥٨ للهجرة ٧٠٤م[١]، وأنه لم ينل الخلافة بعد وفاة أخيه معاوية الذي كان لا يكبره في السن إلا ببضع سنين والذي لم يتمكن من الحكم إلا أياماً معدودات بلغت أربعين في رواية، أو ستين في رواية أخرى[٢]. توفي بعدها فأتت الخلافة «مروان بن الحكم»، ثم ابنه من بعد وفاته «عبد الملك». ولم تعطف على خالد ولم تمل إليه.

ويظهر من الروايات عن وفاة «معاوية بن يزيد بن معاوية»، انه كان هو السبب في حرمان أخيه وبقية إخوته وأهل بيته من السفيانيين من الخلافة، إذ رفض أن يعهد بها إلى

---

(١) علم الفلك: تأريخه عند العرب في القرون الوسطى ١٩١١ ص١٣٧ .Brocklemann, supl, I,s,106

(٢) مروج الذهب ٢/ ٣٠، ذكر أيام معاوية بن يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم.

أحد منهم حينما حضرته الوفاة، قائلاً: «والله، ما ذقت حلاوة خلافتكم، فكيف أتقلد وزرها، وتنتحلون أنتم حلاوتها، وأتعجل مرارتها؟ اللهم، اني بريء منها، متخل عنها: اللهم، إني لا أجد نفراً كأهل الشورى، فأجعلها إليهم ينصبون من يرونه أهلاً لها». وهذا مما أثار غضب أمه وأهله عليه وسبب حرمان بني سفيان منها، وانتقال الخلافة منهم إلى آل مروان، ومنهم خالد بن يزيد[١].

ويظهر من بعض الأخبار أن صلات خالد بن يزيد بالخليفة مروان بن الحكم لم تكن على ما يرام، وذلك لاعتقاده أن مرواناً قد اغتصب حقه في الملك، وأنه أخذه منه ظلماً. وفي بعض الأخبار ما يفيد وقوع ملاحاة بين الاثنين، وان ذلك دعا إلى تأثر أم خالد من زوجها مروان فوضعت مرفقة على وجهه وقعدت عليها هي وجواريها حتى مات[٢].

ولم يرو المؤرخون شيئاً كثيراً عن صلاته بالخليفة عبد الملك بن مروان إلا ما ذكروه من أن عبد الله أرسل إليه حين فكر في ضرب العملة في بلاد المسلمين، وتحويلها من دنانير رومية إلى دنانير عربية، يسأله رأيه في ذلك، فأشار عليه إن يضرب العملة، ويمنع التعامل بدنانير الروم[٣]. وهو خبر يتعارض مع أخبار أخرى أوردها أهل الأخبار عن ابتداء ضرب العرب للدنانير في العصر الأموي. وهي أقدم منه عهداً لورودها في كتب هي أقدم من الكتب التي أشارت إلى نصح خالد لعبد الملك في أمر تعريب الدنانير[٤].

وإلا ما ذكروه من قصته مع عبد الملك في شأن أخيه عبد الله بن يزيد بن معاوية والوليد بن عبد الملك، وكان يعبث به ويحتقره ويظهر من ثنايا القصة أن صلته بالخليفة لم تكن على ما يرام[٥].

وقد كان خالد كما يبدو من بعض ما أورده أهل الأخبار عنه معجباً بنفسه، معتداً بأهل بيته، على الرغم من خسارته الملك وذهاب الخلافة منه. وقد أدّى ذلك إلى وقوعه في مشاكسات مع بعض الناس، مثل الحجاج، وإلى تطاولهم عليه بالقول[٦].

---

(١) مروج الذهب ٣/ ٢٠، ذكر أيام معاوية بن يزيد بن معاوية.
(٢) الأغاني ١٦/ ٨٦ وما بعدها.
(٣) Karaback,s,15,f.
(٤) Ruska,s,11.
(٥) ابن خلكان ٥/ ١٤٢ وما بعدها.
(٦) الأغاني ١٦/ ٨٦.

ولعلهم كانوا يندفعون في ذلك بإيحاء من مروان ومن ابنه عبد الملك، للحط من منزلته، وإبعاده عن كل تفكير في استعادة الخلافة من آل مروان.

وإذا كان خالد قد أخفق في نيل الخلافة أيام أخيه الضعيف وأيام مروان الطاعن في السن، فقد كان من غير الممكن بالنسبة إليه استلابها من «عبد الملك» ذي الشخصية القوية والبأس الشديد. والظاهر أن خالداً كان كأخيه ضعيف الإرادة لم تتوفر فيه الصفات التي يجب أن تتوفر في شخص يريد استرجاع ملك ضائع منه مسلوب، لم يكن في إمكانه تكوين جماعة تلتف حوله لمساعدته في استرجاع حقه في ملك أبيه، ولم تكن لديه المؤهلات التي يجب أن تتوفر فيمن يريد الحكم والزعامة، ولهذا قبع في بيته مفضلاً الانزواء على الاصطدام بآل مروان، معزياً نفسه بالاشتغال بنظم الشعر وقراءة الكتب القديمة، ولاسيما كتب الكيمياء والطب، وملازمة المشتغلين بها، وملازمة بعض أصدقائه الخلص، حتى وافته منيته وهو على هذه الحال.

قال فيه محمد بن إسحاق بن النديم صاحب كتاب الفهرست: «الذي عني بإخراج كتب القدماء في الصنعة خالد بن يزيد بن معاوية. وكان خطيباً شاعراً، فصيحاً حازماً ذا رأي. وهو أول من ترجم له كتب الطب والنجوم وكتب الكيمياء. وكان جواداً، يقال إنه قيل له: لقد فعلت أكثر شغلك في طلب الصنعة، فقال خالد: ما أطلب بذاك إلا أن أغني أصحابي وإخواني. إني طمعت في الخلافة، فاختزلت دوني، فلم أجد منها عوضاً إلا أن أبلغ آخر هذه الصناعة، فلا أحوج أحداً عرفني يوماً أو عرفته إلى أن يقف بباب السلطان رغبة أو رهبة. ويقال، والله أعلم أنه صح له عمل الصناعة»[1].

ومن يدري؟ فلعله كان يرى في الكيمياء المخرج المؤدي إلى استرجاع الخلافة، والسبيل المؤدي إليها، بما كان في هذه الصنعة من أسرار إذا وقف الإنسان عليها صار في إمكانه تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب، والذهب هو الكفيل بالحصول على كل شيء في هذا الكون، وفي جملة ذلك الخلافة. فسينفق منه على الناس، وبذلك يمتلكهم، ويجعلهم في جانبه في استرجاع الخلافة من مغتصبها عبد الملك بن مروان.

وذكر بعض أهل الأخبار أن خالد بن يزيد «هو الذي وضع خبر السفياني، وكبره، وأراد أن يكون للناس فيه طمع حين غلبه مروان بن الحكم على الملك، وتزوج

---

(١) الفهرست ص٤٩٧ طبعة القاهرة.

أمه»[1]. وهناك من يشك في صحة هذه الرواية، ويرى أن خبر السفياني خبر ورد بطرق متعددة ومن رواة مختلفين[2].

ولا ندري بالطبع كم كلفت هذه الصنعة خالد بن يزيد من مال. ولكننا نستطيع أن نقول على كل حال إنها كلفته كثيراً، وإنه ظل يعمل جاداً ما شاء الله في هذه الصنعة طمعاً في الوصول إلى هدفه المنشود، وإنه كان كلما تراءى له شبح شيء براق لونه يشبه لون الذهب زاد أمله في الحصول عليه. ونحن نعرف أن هذا الأمل أفلس كثيراً من الناس، وذهب بعقل بعض منهم، حين خابوا في الحصول على الثروة والمال والتحكم في المعادن الخسيسة، تحكم علاء الدين في خاتمه أو في المصباح السحري المنسوب إليه.

والواقع إن اعتقاد القدماء أن في إمكان المتفرس بعلم الكيمياء التوصل إلى سر تحويل المعادن الخسيسة إلى معدن نفيس، هو الذي حمل أكثر الكيمياويين على دراسة هذه الصنعة والانصراف إليها، حتى في هذا العهد فاننا نجد بعض الناس يقبلون على مطالعة الكتب الكيمياوية القديمة، ويدرسونها ليل نهار، ويعملون بما يرد فيها من توجيهات للتوصل إلى ذلك السر: سر تحويل القصدير والمعادن الرخيصة إلى إكسير التبر.

وقد ذكر ابن النديم حكاية أخرى عن خالد، فقال: «كان خالد بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان، وكان فاضلاً في نفسه، وله همة ومحبة للعلوم، خطر بباله الصنعة فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر، وقد تفصح بالعربية وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي. وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة»[3].

فالذين نقلوا الكتب من اليونانية والقبطية إلى العربية، هم كما ذكر ابن النديم جماعة من الأجانب الأعاجم، ممن كانوا بمصر، كانوا قد أتقنوا العربية وتفصحوا فيها، كما كانوا قد أتقنوا الصنعة والعلوم الأخرى وتخصصوا فيها. ولم يذكر ابن

---

(١) الأغاني ١٦/ ٨٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الفهرست ص٣٣٨، نقل هذه الفقرات كاتب حلبي، صاحب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون دون أن يشير إلى الفهرست، راجع الجزء الثالث من طبعة «فلوكل» الصفحة ٩٥.

النديم اسم أحد من هؤلاء النقلة إلا اسم رجل واحد دعاه «اصطفن القديم». وقال فيه: إنه نقل له كتب الصنعة. ويعني بها كتب الكيمياء. وإذن يكون «اصطفن القديم» أقدم رجل ورد اسمه على وجه التأكيد وترجم الكتب العلمية من اللغات إلى اللسان العربي[١].

ولكن من هذا الفيلسوف اليوناني المتقن للعربية الفصيح بها «اصطفن القديم» ان علمنا بسيرته جد قليل. لم يرو ابن النديم من خبره ما يوضح سيرته وعمله. لم يذكر متى ولد ومتى توفي، ولم لقب بـ«القديم»، وأين عاش، وما آثاره ومؤلفاته إن كانت له آثار ومؤلفات وكيف كانت صلاته بخالد بن يزيد؟ لقد أشار ابن النديم في أثناء كلامه على «أسماء الفلاسفة الذين تكلموا في الصنعة» إلى رجل دعاه اصطفن، وقد ذكره بعد خالد بن يزيد في الترتيب، وقبل اسم رجل آخر دعاه «حربي»، وقد ورد اسم «حربي» هذا قبل اسم جابر بن حيان[٢]. فهل أراد ابن النديم بـ«اصطفن» هذا «اصطفن القديم»؟

وورود اسم اصطفن بعد اسم خالد بن يزيد، يدل بالطبع أنه كان من المعاصرين له، ولما كان هذا الرجل من أصحاب هذه الصنعة، فلا يستعبد أن يكون هو الذي دعاه ابن النديم بـ«اصطفن القديم». وقد ذكر ابن النديم بعد انتهائه من الكلام على خالد بن يزيد وفي أثناء حديثه عن «أسماء الكتب التي ألفها الحكماء» اسم كتاب في الصنعة دعاه «كتاب اصطفن»[٣]. لكنه لم يذكر شيئاً عن هذا الكتاب وموضوعاته وعنوانه الحقيقي. فهل يعد هذا الكتاب من صنعة اصطفن المعاصر لخالد بن يزيد؟ قد يجوز أن يكون من مؤلفاته أو من منقولاته، لكنني لا أستطيع أن أقول ذلك جازماً، فهنالك جملة مؤلفين عرفوا بـ«اصطفن» أو «اصطفان». ولهذا أرى التريث والتروي في إبداء رأي قاطع في نسبة هذا الكتاب.

وقد ورد في بعض رسائل الكيمياء المنسوبة إلى خالد بن يزيد أن خالداً راجع كثيراً من كتب الكيمياء كما راجع رجال الصنعة، ولكنه لم يتمكن من فهم الصنعة والوقوف على أسرار تلك الكتب، حتى اهتدى إلى رجل نصراني اسمه «استفانس الراهب»، فزاره، واتصل به، وكتم أمره عنه، ولم يبح له باسمه، إلى أن تعلم الصنعة منه، ونال

(١) الفهرست ص٤، أسماء النقلة من اللغات إلى اللسان العربي، كشف الظنون ٣/ ٩٧، طبعة فلوكل.
(٢) الفهرست ص٤٦٧.
(٣) الفهرست ص٤٩٨.

منه «معاني الفوز»، فكشف له عندئذ عن حقيقته(١). فمن هذا الراهب المشتغل بالصنعة والكيمياء؟.

لقد ذكر ابن النديم، في إثناء كلامه على علماء الصنعة والكيمياء، اسم رجل دعاه «اصطفن الراهب»، فقال انه «كان بالموصل في عمر يقال له ميخائيل، وكان يحكي عنه أنه عمل الكيمياء. فلما مات، ظهرت كتبه بالموصل، فرأيت منه شيئاً، وهي: كتاب الرشد، كتاب ما حدثناه، الباب الأعظم، كتاب الأدعية والقرابين التي تستعمل قبل صناعة الكيمياء، كتاب الاختيار النجومي للصناعة، كتاب التعليقات، كتاب الأوقات والأزمنة»(٢).

ولم يذكر ابن النديم الزمن الذي عاش فيه هذا الراهب، ولهذا فليس في وسعنا ان نزعم أنه هو الشخص الذي تعلم منه خالد صنعة الكيمياء. هذا، وذكر ابن النديم رجلاً آخر قال إنه «من الفلاسفة أهل الصناعة الذين شهروا بها، وألقوا فيها كتباً». وقد دعاه «اسطانوس الرومي». وذكر أنه كان من أهل الإسكندرية، وله من الكتب على ما ذكر في بعض رسائله ألف كتاب ورسالة، ولكل كتاب ورسالة اسم يسمى بها(٣). ولكنه أم يذكر أيضاً زمن هذا المؤلف الفيلسوف الكمياوي ولهذا فليس في استطاعتنا ان نتحدث عن وجود صلة له بخالد بن يزيد

وقد ذهب بعض المستشرقين إلى احتمال أن يكون «اسطانوس» أو «اصطفن الراهب» المذكور هو «استفانوس Stephanus» أحد الباحثين في الكمياء والطب في أيام القيصر «هرقل Heraklieios». وله بحوث في الموضوعين المذكورين وشروح للكتب المتقدمة التي وضعها علماء اليونان(٤). أما أنا فأرى صعوبة تصور ذلك، لفارق الزمن بين الاثنين، ووجوب تخيل عمر طويل للعالم اليوناني ليكون في الإمكان اتصال خالد بن يزيد به.

ويفهم مما ذكره ابن النديم عن خالد بن يزيد أن خالداً كان قد ألف عدة كتب ورسائل في الصنعة، وأنه كان قد نظم شعراً كثيراً في هذا المعنى. وقال إنه رأى منه

---

(١) H. E, Stapleton and ,R F.Azc, an alchemical Compilation of the thirteenth century, A,D, Memoirs, AS, Soc, Bengal, 1910. vol, iii, no, 2,p,56. Ruska, s,10.

(٢) الفهرست ص٥٠٦.

(٣) الفهرست ص٤٩٦.

(٤) Ruska, Arabische, alchemsten,s,50,ff.

نحو خمس مئة ورقة، وأنه رأى من كتبه: كتاب الحرارات، وكتاب الصحيفة الكبير، وكتاب الصحيفة الصغير، وكتاب وصيته إلى ابنه في الصنعة[١]. وذكر صاحب كتاب كشف الظنون كتاباً سماه «سر البديع في فك رمز المنيع في علم الكاف»، زعم أنه لخالد، ويظهر أنه وقف عليه كما يفهم ذلك من قوله: «أوله اعلم أيها الأخ الخ. . .»[٢] كما أنه ذكر له كتاباً آخر سماه «فردوس الحكمة في علم الكيمياء»، وقال في صفته: إنه «منظومة في قوافي مختلفة، وعدد أبياتها ألفان وثلاث مئة وخمسة عشر بيتاً، وان أوله:
الحمد لله الواحد الفرد الذي له الفخر والمجد. الخ:

يا طلب لصناعة الكيمياء منطقاً حقاً بغير خفاء[٣]

ويظهر أنه من هذا الكتاب كان نقل الأبيات التي نجدها في كتب الصنعة، وانه هو كتاب «الفردوس» الذي أشار إليه الجلدكي كما سنرى فيما بعد.

وقد نسب صاحب كشف الظنون له كتاباً آخر دعاه «كتاب الرحمة»، وصفه فقال إنه يشتمل على أربعة فصول في معرفة الحجر وفي الأوزان وفي التدبير وفي الخواص[٤].

وأشار صاحب كشف الظنون في باب الميم إلى مقالة خالد بن يزيد في الكيمياء، قال فيها انها رسالة عظيمة في هذا الشأن[٥]، ولم يذكر من أمرها شيئاً.

وقد ورد في بعض المؤلفات أن أحد وزراء مصر وجد سنة ٤٣٥ هـ في خزانة الكتب بالقاهرة كرة تمثل السماء مصنوعة من النحاس من عمل بطليموس، وقد كتب عليها: «حملت هذه الكرة من الأمير خالد بن يزيد بن معاوية»[٦].

وقد ذكر «الجلدكي»، عز الدين أيدمر بن علي بن أيدمر[٧]، في كتابه «غاية السرور

---

(١) الفهرست ص٤١٧ وما بعدها.
(٢) كشف الظنون ٣/ ٥٩٣.
(٣) كذا ورد كشف الظنون ١/ ٤١٥.
(٤) ولخالد بن يزيد كتاب الرحمة أيضاً، يشتمل على أربعة فصول في معرفة الحجر، في الأوزان ٣ في التدبير، في الخواص، كشف الظنون ٥/ ٨٧.
(٥) كشف الظنون ١/ ٥٣.
(٦) تاريخ الحكماء لابن القفطي ص٤٤٠ طبعة أورية، نالينو علم الفلك: تأريخه عند العرب في القرون الوسطى ١٣٧.
(٧) الجلدكي: علي بن محمد بن أيدمر الجلدكي، عز الدين، المتوفي بعد سنة ٧٤٢ للهجرة، الأعلام ٥/ ١٥٧، هدية العارفين ١/ ٢٢٤، الذريعة ١/ ٣٥٥، ٣/ ٦٩، ٨٩.
Brocklemann,ii,138, Suppl, 427, f,ii, 171. 1035 iii, 597.

في شرح ديوان الشذور» أن خالداً «كان مشتغلاً بالحكمة والفلسفة في حياة جده معاوية، واستمر على ذلك مدة أيام أبيه، وطلب للخلافة بعد موت أبيه، فامتنع وولي الخلافة أخوه معاوية وصحب خالد مسلمة بن عبد الملك بن مروان، وتجهز معه إلى بلاد الروم، وحضر حصار القسطنطينية إلى أن فتحت صلحاً، وظفر منها بكتب كثيرة من كتب اليونان. اشتغل في حداثة سنه على الراهب مريانس. كان في دير خارج دمشق وباشر عنده العمل بعد العلم مدة عشر سنين من خلافة جده معاوية. وتم وصوله واتصاله في خلافة أبيه يزيد».

وذكر أيضاً أن خالداً لما توفي، «كان سبباً لضعف شوكة بني أمية، وأخذ حالهم من بعده في النقص، مع أنه عمل بدمشق طلسمات كثيرة في الجامع الأموي وحول الجامع وفي سور دمشق وبعضها باق إلى الآن، تغمده الله بالرحمة والرضوان. وبسببه جلبت الكتب من بلاد الروم إلى الشام الجلبة الأولى في الفلسفة والحكمة والطب والهندسة والنجوم والحيل والأعمال وجر الأثقال وغير ذلك. وصنف هو كتباً كثيرة في عدم علوم، وأعلى كتبه في الصنعة: الفردوس، وهو كتاب نفيس»[١]. وذكر الجلدكي أن طلبة زمانه لا يعرفونه ولا يفهمونه إلا باللفظ والمطالعة للعيان. وأما يفهم المعاني، فهم في البعد الأبعد. ونقل منه أبياتاً في كتابه هذا، وفي كتابه أنوار الدرر في إيضاح الحجر[٢].

وفي العبارات المتقدمة عن فتح القسطنطينية خطأ تاريخي لا حاجة بي إلى بيانه، وقد وقع أيضاً في أخطاء تأريخية أخرى معروفة لا تهمنا هنا. أما استجلابه الكتب من القسطنطية، فلا يستعبد ذلك، فقد كان علماء النصارى يذهبون إلى القسطنطينية، ويتصلون برجال الدين الروم، فلا يستعبد أن يكون خالد كلفهم شراء الكتب منها، كما لا يستبعد شرائه بنفسه الكتب وهو في صحبة مسلمة بن عبد الملك. وقد ذكر أيضاً أنه كلف جماعة استجلاب كتب العلم إليه من مصر. وأنه هو نفسه اشتراها من مصر. وقد ثبت هذا المؤلف مكان «مريانس» فجعله في دير من الأديرة خارج دمشق. أما زعمه من أنه اشتغل في حداثة سنه على الراهب، وباشر عنده العمل بعد العلم مدة عشر سنين من خلافة جدّه، فأمرلا يحتاج إلى نظر، إذ يصعب تصور موافقة معاوية على إرسال حفيده وهو في هذا السن إلى راهب في دير خارج دمشق.

---

(١) A, Siggel, Kata, der, Arab, Alche, 1949, p,56.

(٢) راجع الصفحات ٢٣، ٢٤، ٣١، ٣٢، Siggel, s,84.

ونجد في بطون الكتب شيئاً كثيراً من الشعر منسوباً إلى خالد، وفي «كتاب العلم المكتسب في زراعة الذهب» لأبي القاسم محمد بن أحمد العراقي، أشعار عديدة منسوبة إليه. ولما كان هذا الكتاب في الصنعة والكيمياء، فانه لم يحو من شعر خالد إلا ما له علاقة بهذا الموضوع، وأول ما استشهد به من شعره هو في الفصل الثاني، في الاستشهاد على الكمية الأولى، وهو في قافية القاف، وأوله:

نحاسك بيضه بماء الزوابق تنل سعة في الرزق من فضل رازق

وزاوج لطيف الماء إن كنت عالماً بلين هواء كامن في المناطق(١)

وفي أثناء استشهاد «العراقي» بأقوال الحكماء في كيفية الابتداء، قبل تسمي العمل الأول وتسمى العمل الثاني، أورد بيتاً لخالد بن يزيد هو:

أول هذا العلم تكليس الحجر بحر نار دونها نار سقر(٢)

ثم أورد له شعراً في قافية الهمزة، ذكره في الفصل الرابع في الاستشهاد على كيفية الابتداء في القسم الأول من العمل الأول، وهذا مطلعه:

يا باحثاً عن صنعة البرباء ودقيق ما صنعوا من الأشياء

ميّز، فديتك، ما أقول، ولا تكن كالجاهل الجوال في عمياء(٣)

وأورد له اشعاراً أخرى في المواضع الباقية من الكتاب، كلها على هذا النسق من تعليم الصنعة وشرحها وفي كيفية العمل بها(٤).

وأورد «العراقي» نبذاً من أجوبة رجل من أصحاب الصنعة اسمه «مريانس» عن أسئلة وجهها خالد بن يزيد، يظهر منها أن مريانس كان مرجعاً في علم الكيمياء يرجع خالد إليه، وانه كان على صلة وثيقة بالأمير الأموي، وفي جملة ما أورده جوابه عن سؤال لخالد في موضوع «إكسير الحمرة» و«الإكسير الأحمر»، فقال: «وقد قال سائر الحكماء: إنه ينمو بلا نهاية، ويزيد في صبغة بلا نهاية، ولهذا قالوا: إن المثقال منه

(١) كتاب العلم المكتسب في زراعة الذهب ص٣٤، طبعة باريس ١٩٢٣.
(٢) المصدر نفسه ص٢٦.
(٣) كذلك ص٣٩ وما بعدها.
(٤) كذلك الصفحات ٤٠، ٤٣، وما بعدها، ٤٧، ٤٩، وما بعدها.

يملأ ما بين الخافقين، ولهذا قال مريانس الحكيم لخالد بن يزيد: إعلم، أيها الأمير، أنه يزيد بلا نهاية كمية وصبغاً»[١].

وفي الفصل الذي عقده «العراقي» على وحدة الماهية المتقوم منها صورة الاكسير وتعريفها، اقتبس أجوبة لهذا الحكيم عن أسئلة سألها خالد، فقال «وقال مريانس لخالد بن يزيد: أما ما سألت عنه من الأصل أمن شيء واحد أم من أشياء شتى؟ فإن ذلك شيء واحد وجوهر واحد ونوع واحد، ومنه وبه، لايزاد عليه ولا ينقص منه»[٢].

وأورد «العراقي» سؤالا لخالد في موضوع العلاج الثاني وجهه لأستاذه «مريانس»، وذلك في «الفصل الثاني: في الاستشهاد من أقوال الحكماء على القسم الثاني من العمل الثاني». وأورد معه جواب «مريانس» عليه[٣]. وهو آخر ما أورده هذا المؤلف من مقتبسات في الكيمياء لهذين الرجلين.

والأسئلة والأجوبة المذكورة تشير إلى وجود مراسلات وصلة بين خالد و«مريانس»، وتشير إلى أن خالداً كان يرجع إليه في هذا الموضوع، وانه كان في جملة من تعلم منهم علم هذه الصنعة. ونجد في كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان إشارة إليه في ترجمته لخالد بن يزيد. فقد ذكر المؤلف أن خالداً «أخذ الصنعة عن رجل من الرهبان يقال له مريانس الراهب الرومي، وله فيها ثلاث رسائل. تضمنت إحداهنّ ما جرى له مع «مريانس المذكور» وصورة تعلمه منه، والرموز التي أشار إليها»[٤]. فيظهر من إشارة ابن خلكان إلى هذا الرجل أنه كان من رجال الدين، وأنه كان راهبا وأنه كان من الروم.

وقد أشار كاتب جلبي إلى وقوفه على رسالة في الصنعة والكيمياء، قال أنها رسالة عظيمة في هذا الشأن، ودعاها «مقالة مريانس الراهب» في الكيمياء. ولم يتحدث بشيء عن مضامينها. وذكر بعدها أنه كان لخالد بن يزيد مقالة مماثلة في الكيمياء[٥].

وذكر في بعض الكتب رجل آخر قيل إن خالدا أخذ منه العلم، وذلك هو يحيى

---

(١) العلم المكتسب ص٢٢.
(٢) المصدر نفسه (ص٢٨ وما بعدها).
(٣) العلم المكتسب (ص٤٨ ومابعدها).
(٤) وفيات الأعيان (جـ٥/ ١٤٦ وما بعدها)، طبعة عيسى البابي الحلبي.
(٥) كشف الظنون (٦/ ٥٣).

النحوي المعروف بالبطريق، وكان من الدارسين للفلسفة والطب ومن المؤلفين. وقد ذكرت أن خالداً أخذ الطب منه[١].

ويحيى النحوي المعروف بـ «Joannes Grammaticus» عند الغربيين وبـ «Joannes Philoponus» كذلك هو من رجال القرن السادس للميلاد[٢]. وقد ألف وكتب باليونانية، ونقل بعض مؤلفاته إلى العربية. وقد ذكره ابن النديم في الفهرست وسمى مؤلفاته. وقد توفي خالد بن يزيد سنة ٨٥ للهجرة (٧٠٤)، فلا يمكن أن يكون ممن أخذ العلم عن «يحيى النحوي» وممن اتصل به. ولايمكن أن يكون «يحيى» ممن أدرك الفتح الإسلامي لمصر، وبلغ أيام عمرو بن العاص كما ذهبت إلى ذلك بعض الموارد العربية[٣]. وقد أخطأت هذه الموارد في تعيين الشخص، ولم تصب في اختيار الرجل الصحيح، وذهب الأب لويس شيخ وإلى أن هذا الرجل المقصود هو «يوحنا النقوي أو النخوي» أسقف «نخو»، وهو صاحب كتاب في التاريخ ألفه في اليونانية، ضاع أصله، وبقيت ترجمته بالحبشية. وقد تعرض فيه لوصف فتح العرب لمصر، وقد كان بمصر أيام عبد العزيز ابن مروان[٤]. وأن الأمر التبس على المؤلفين العرب، فظنوا أن «يحيى النخوي» هو «يحيى النحوي» المؤلف المشهور[٥]. ويحتمل في نظري أن يكون هو الشخص الذي أشار إليه «البيهقي» ويحتمل أن يكون غيره، كأن يكون شخصا آخر اشتهر في ذلك العهد باسم «يحيى» أي «يوحنا» وقد عرف ببحوثه في الطب والكيمياء. وظن الإخباريون خطأ أنه «يحيى النحوي»، وقد وقع أهل الأخبار في كثير من أمثال هذه الأغلاط من جراء التشابه في الأسماء.

وإذا استثنينا الإشعار والمقتبسات التي ذكرتها، المنسوبة إلى «خالد»، وبعض الرسائل المنشورة باللاتينية، فننا لا نملك حتى الآن أثراً مطبوعا في أي علم من العلوم

---

(١) كتاب تتمة صوان الحكمة، لاهور ١٣٥٧هـ (ص٢٤)، تاريخ حكماء الإسلام، لظهير الدين البيهقي (تحقيق :محمد كرد علي)، ص٤٠).

(٢) لويس شيخو اليسوعي: كتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانية، بيروت ١٩٢٤ (ص٣١٣)، المشرق: المجلد السادس عشر ١٩١٣٠) (ص٤٧ وما بعدها).

(٣) الفهرست « طبعة أوربة»، (ص٣٥٦) طبعة مصر، المشرق: المجلد السادس عشر (١٩١٣) (ص٤٧ وما بعدها)، ابن القفطي (ص٣٥٤)، تاريخ ابن العبري (ص١٧٥).

(٤) المشرق: المجلد ١٦ ١٩١٣٠) (ص٥٢ وما بعدها).

(٥) المصدر المذكور.

الثلاثة: الكيمياء والطب والنجوم التي اشتهرت وعرف بها. وكذلك لانملك اليوم ترجمة ما لكتاب من الكتب التي ذكر العلماء أن المترجمين كانوا قد ترجموها له تلبية لطلبه. ولو حصل العلماء على أحداها لكانت من اقدم الكتب المعربة في العلوم عند العرب ولا شك.

إن اشتغال خالد بطلب الكيمياء لم يقابل بالرضا في المجتمع في ذلك العهد. فلم يكن من المناسب في نظره اشتغال العربي الشريف بأمثال هذه الصنعة التي لا تليق إلا بالهجناء والعامة والموالي. ولذلك عيّر باشتغاله بها وعيب عليها كالذي ذكروه من أن محمد بن عمرو بن سعيد بن العاص اختصم يوما مع خالد، وذلك بسبب قول خالد له: «ما يقدم علينا أحد من أهل الحجاز إلا اختار المقام عندنا على المدينة». فظن محمد أنه يعرض به، فقال له: «وما يمنعهم من ذلك وقد قدم قوم من أهل المدينة على النواضح، فنكحوا أمك وسلبوك ملكك، وفرغوك لطلب الحديث وقراءة الكتب وعمل الكيمياء الذي لا تقدر عليه[1]». وكالذي ذكره «الأصبهاني» مؤلف الأغاني عنه قوله: «وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء، فافنى بذلك عمره، وأسقط نفسه[2]».

وقد شك ابن خلدون في اشتغال خالد بن يزيد بالكيمياء، وخطأ من يزعم إن خالد بن يزيد كان من رجال الكيمياء، بل ذهب إلى القول بوجود خالد آخر غيره، ليوفق بين راية هذا في نفي الصناعة عن خالد، والأخبار المتواترة عن اشتغاله في الكيمياء. وحجة ابن خلدون في النفي «خالداً من الجيل العربي والبداوة إليه اقرب، فهو بعيد عن العلوم والصنائع بالجملة. فكيف بصناعة غريبة المنحى، مبنية على معرفة طبائع المركبات وأمزجتها. وكتب الناظرين في ذلك من الطبيعيات والطب، لم تظهر بعد ولم تترجم. اللهم إلا إن يكون خالد بن يزيد؟ آخر من أهل المدارك الصناعية تشبه باسمه، فممكن»[3].

وحجة ابن خلدون هذه، لا تقوم على دليل تاريخي مقبول مقنع في نفي الكيمياء والعلوم الأخرى عن خالد، وقد قامت ورسخت لدى ابن خلدون من نظريته التي هيمنت

---

(١) الأغاني (١٦/ ٨٦).

(٢) المصدر نفسه (ص٨٤).

(٣) نص مقدمة ابن خلدون: ٤٤٥، طبعة بولاق.

عليه، من أن العرب كانوا قوما إعراباً، والإعرابي - حسب رأيه - بدائي بطبعه يكره العلم والصناعة. ولهذا لم يمل إليها عند ظهور دولة المسلمين إلا الأعاجم والموالي. أما العرب الخلص - حسب رأيه أيضاً - فقد انصرفوا بحكم طبيعتهم وغريزتهم إلى الملك والسلطان. وهي نظرية لا مجال لمناقشتها في هذا المكان: لاقوم بالطبع إلا على رأي لم ينبعث عن تتبع وتحليل للتأريخ، وإنما عن ملاحظات عامة صورت للمؤلف تلك الصورة. فحاول تفسير تأريخ العرب بموجبها، وبحسب هذا الرأي.

وبعد، فقد رأينا أن من الصعب التثبت من مقدار إحاطة خالد بالكيمياء ومنة هذا المنسوب إليه شعراً أو نثراً في هذه الصناعة[1]. ولكن شيئاً مهماً جداً يمكن استخراجه من هذا المروي عنه، وهو مهم بالنسبة لهذا اليوم، هو اشتغال خالد نفسه بصورة عملية. في صنعة الكيمياء وأجراؤه تجارب فيها، وتهيئته الأدوات والمواد اللازمة للاشتغال، على أمل تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة. وهذا العمل هو عمل مختبري، تجري فيه تجارب للتوصل إلى الغاية التي وضعها صاحب هذه التجارب في ذهنه عنها، وهو عمل يستحق عليه كل تقدير. ونحن نأسف، لأننا لا نملك شيئاً مدوناً يروي لنا بصورة تفصيلية أعمال خالد في الصنعة وكيفية اشتغاله للتوصل على رأيه إلى صناعة إكسير الذهب، وهو غاية خالد من كل هذه الصنعة.

ثم شيء آخر نستخلصه من ذلك، هو أن اميراً عربياً كان قد أمر بترجمة الكتب في العلوم وبنقلها من اليونانية إلى العربية قبل بدء الترجمة في عهد دولة بني العباس بأمد طويل.

وأن حركة التعريب والترجمة كانت قد بدأت في الواقع قبل أيام الدولة العباسية، ولكن الأيام لم تبق من المعربات شيئاً، كما أنها قضت على أكثر معالم التأريخ في عهد الأمويين، وقد يكون ذلك ببواعث سياسية. ومن هنا صار جهلنا بأكثر نواحي تأريخ تلك الأيام.

أما الرجل الثاني الذي يرد أسمه مقروناً بالكيمياء وبعلوم أخرى عديدة أكثرها في الكشف عن الأسرار والمغيبات، فهو جعفر الصادق الإمام السادس عند أكثر فرق

---

(١) راجع: كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، تعريب الدكتور عبدالحليم النجار، (١\٢٦٢ وما بعدها).

الشيعة المتوفى سنة «١٠٨» للهجرة. وهو ابن الإمام محمد الباقر المنسوب إليه كتاب في تفسير القرآن، ذكر ابن النديم أنه رواية أبي الجارود زياد بن المنذر رئيس الجارودية الزيدية[١].

وأسم الإمام الصادق من أشهر الأئمة الاثنى عشر وروداً في الكتب وفي الحركة العلمية في الإسلام. ورواية الحديث والفقه عند الشيعة إليه ترجع في الغالب وعنده تقف. وله عدد كبير من الرواة، تتلمذوا عليه، وأخذوا العلم منه، ولهم في الجدل والكلام شهرة، ولهم بحوث ومؤلفات في علوم أخرى. منهم جابر بن حيان الذي ذكر ابن خلكان أنه كان من تلامذة جعفر الصادق، وأن له كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق، وهي خمس مئة رسالة[٢].

وقد رجع أكثر المشتغلين (في صنعة الكيمياء والسيمياء والجفر والفأل والجفر وعلم الرمل وعلم الاختلاج[٣] وأمثالها من الصناعات القائمة على نظرية هتك الحجب والأستار وكشف المغيبات) وعلمهم بالصناعات المذكورة إلى الإمام الصادق. فنجدهم يشيرون في رسائلهم إليه، وينسبون وقوفه على تلك الأسرار. ونحن لانكاد نجد في ذلك شخصاً ينافس اسمه أسمه.

وقد وصلت إلينا أسماء رسائل وكتب منسوبة إلى جعفر الصادق لم يشر إليها ابن النديم ولا غيره من قدماء أهل التأريخ والأخبار. ومن بينها كتاب نشرة المستشرق «رسكا» «Julius ruska» بعنوان «كتاب رسالة جعفر الصادق في علم الصناعة والحجر المكرم»، نشره بطريقة «الحفر»، مشفوعاً بترجمته بالألمانية[٤]. وقد افتتحه بعد البسمله بقوله: «رسالة الوصايا والفصول لسيدنا الإمام جعفر الصادق لولده ﷺ »، مما يدل على أن عنوان الكتاب الأصلي هو هذا العنوان.

---

(١) الفهرست (ص٥١) «تسمية الكتب المصنفة في تفسير القرآن»، المعارف (١١٠) تأريخ كزيدة (٢٠٥)، روضة الأئمة (١٤٠)، سفينة الأولياء (٢٠)، تأريخ الأدب العربي لبروكلمان (١/ ٢٥٩).

(٢) وفيات الأعيان (٣/ ١٧٦ وما بعدها) «طبعة عيسى البابي».

(٣) «علم الاختلاج: وهو من فروع علم الفراسة قال المولى أبو الخير: هو علم باحث عن كيفية دلالة اختلاج أعضاء الإنسان من الرأس إلى القدم على الأحوال التي ستقع عليه وأحواله ونفعه والغرض منه ظاهر...»، كشف الظنون (١/ ١٩٣)، «اختلاج الأعضاء»، تأريخ الأدب العربي (٧/ ٢٦٠)، Diels. Zur Lit. des Gliederzuckens. 1908, s 58ff.

(٤) Julius ruska, Arabiche Alchemisten. Ga far alsadig der sechste imam.ii, Heidelberg 1924.

لكن لغة الكتاب وأسلوب إنشائه وطريقة عرضه تدل على أنه من الكتب المتأخرة، وأن صاحبه ممن عاشوا بعد الصادق بأمد طويل. وفي الكتاب نفسه دليل على تفنيد نسبته إلى الصادق، إذ ورد في الصفحة (١٦) من المخطوطة اسم ذي النون المصري، ونص ذلك: «وقد كان ذو النون رحمة الله وقف على هذا التدبير وعمله. لاشك في ذلك. وكان زاهداً عابداً. وكان له تلامذة كثيرة وأتباع من الزهاد والعباد غير قليل. وكان يقوت بأقواتهم ويجري عليهم مما أفاه الله عليه من هذا العلم»[١]. وكانت وفاة ذي النون في سنة ٢٤٦ للهجرة (٨٦١ م)، أي بعد وفاة الإمام جعفر الصادق بحوالي قرن[٢].

وذكر الحاج خليفة في كشف الظنون كتباً له،هي كتاب تقسيم الرؤيا[٣]، والجامعة في الجفر[٤] وكتاب في علم الحروف والأسماء دعاه خافية جعفر الصادق[٥]، وآخر في التفسير على طريقة أهل التصوف، استفاد منه بعض المفسرين مثل أبي العباس بن عطاء الذي قيل انه أخذه عن جعفر[٦]. ورسائل لم يذكر عنها شيئاً دعاها رسائل جعفر الصادق[٧].

وقد ذكر بروكلمن كتباً أخرى منسوبة إليه. مثل كتاب مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، وكتاب التفسير رواية ذي النون المصري، ورواية محمد بن إبراهيم بن جعفر النعمان المتوفي سنة ٣٢٨هـ من تلامذة الكليني. وكتاب هياكل النور وتوجد نسخة منه في المكتبة الأهلية بباريس، وكتاب منافع سور القرآن وتوجد نسخة منه في «كوتا» وأخرى في «الفاتيكان»، وكتاب بحر الأنساب[٨].

وذكر ابن النديم رسالة دعاها كتاب الهليلجة. وقال ابن بعض الناس ينسبونها إلى

---

(١) الصفحة (١٦ ومابعدها).

(٢) الفهرست (٥٠٣ ومابعدها)، تأريخ ابن عساكر (٥/ ٢٧١ وما بعدها). Brockelmann, I, 198, suppl, I, s, 355.

(٣) كشف الظنون (٢/ ٣٩١).

(٤) المصدر نفسه (٢/ ٦٠٤، ٥٨١)، «كتاب الجفر للأمام جعفر الصادق»، كشف الظنون (٥/ ٧٠).

(٥) «خافية في علم الحروف.. والإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر المتوفى سنة ١٤٨. ذكر البسطامي أنه جعل فيه الباب الكبير»، كشف الظنون (٣/ ٥٣،١٢٨).

(٦) كذلك(٣/ ٢٩)، (٦/ ١٤١).

(٧) كشف الظنون (٣/ ٤٥٩).

(٨) brocklemann, suppl, I,p,104. تأريخ الأدب العربي ١/ ٢٦٠.

الإمام الصادق، وهذا محال. وهي رسالة لا يعرف مؤلفها[1]. وهناك رسائل وكتب أخرى تنسب إليه، وهي لا يمكن أن تكون منه.

والحديث عن سيرة جعفر الصادق، وعن أسماء تلامذته، ومن أخذ منه، وعن المؤلفات والأحاديث المنسوبة إليه، يخرجنا عن صلب موضوعنا هذا، وهو البحث العلمي، عند العرب، ونحن لا نستطيع أن نتحدث عنه هنا إلا بالمقدار الذي تتسع له حدود هذا الموضوع. ولهذا أجتزئ بهذا القدر، وقد أبحث فيه في فرصة أخرى.

ولا بد لي هنا من أن أشير إلى إمام آخر من أئمة الشيعة الاثني عشر، قيل إن له مؤلفاً في العلوم، هو الأمام علي بن موسى الرضا، معاصر الخليفة المأمون، والمتوفي بخراسان من إيران المعروفة الآن باسم مشهد. فقد نسب له مؤلف في الطب أسمه الرسالة الذهبية في الطب، ومنه نسخة في خزانة كتب الأحمدية بتونس كما جاء ذلك في مجلة معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية[2].

وأما جابر بن حيان، فانه أبو موسى وأبو عبد الله كما في بعض المراجع جابر بن حيان بن عبد الله المعروف بالكوفي وبالصوفي. وهو من الشخصيات الغريبة التي تحدث الناس عنها كثيراً. وقد تحدث عنه ابن النديم فقال: «واختلف الناس في أمره، فقالت الشيعة إنه من كبارهم وأحد الأبواب، وزعموا أنه كان صاحب جعفر الصادق ﷺ، وكان من أهل الكوفة. وزعم قوم من الفلاسفة أنه كان منهم وله في المنطق والفلسفة مصنفات، وزعم أهل صناعة الذهب والفضة أن الرياسة انتهت إليه في عصره وأن أمره كان مكتوماً، وزعموا أنه دن ينتقل في البلدان لا يستقر به بلد خوفاً من السلطان على نفسه. وقيل إنه كان في جملة البرامكة ومنقطعاً إليها ومتحققاً بجعفر ابن يحيى، فمن زعم هذا قال إنه عنى بسيده جعفر هو البرمكي، وقالت الشيعة إنما عنى جعفر الصادق، وحدثني بعض الثقات ممن تعاطى الصنعة أنه كان ينزل في شارع باب الشام في درب يعرف بدرب الذهب، وقال لي هذا الرجل: إن جابراً كان أكثر مقامه بالكوفة، وبها كان يدبر الإكسير لصحة هوائها. ولما أصيب بالكوفة الأزج الذي وجد فيه هاون ذهب فيه نحو مئتي رطل، ذكر هذا الرطل أن الموضع الذي أصيب ذلك فيه كان دار جابر بن حيان، فانه لم يصب في ذلك الأزج غير الهاون فقط، وموضع قد بني

---

(١) الفهرست الصفحة ٤٤١، كتاب الاهليلجة، تأريخ الأدب العربي ١/ ٢٦٠، بحار الأنوار ٢/ ٤٢.

(٢) م٥ ج٢ ص٣١٦.

للحل والعقد هذا في أيام عز الدولة بن معز الدولة. وقال لي أبو السبكتكين دستاردار: انه هو الذي خرج ليتسلم ذلك، وقال جماعة من أهل العلم وأكابر الوراقين: إن هذا الرجل، يعني جابراً، لا أصل له ولا حقيقة.

وبعضهم قال إنه ما صنف وان كان له حقيقة إلا كتاب الرحمة، وإن هذه المصنفات صنفها الناس ونحلوه إياها، وأنا أقول إن رجلاً فاضلاً يجلس ويتعب فيصنف كتاباً يحتوي على ألفي ورقة، يتعب قريحته وفكره بإخراجه، ويتعب يده وجسمه بنسخه، ثم ينحله لغيره، إما موجوداً وإما معدوماً، ضرب من الجهل. وان ذلك لا يستمر على أحد، ولا يدخل تحت من تحل ساعة واحدة بالعلم. وأي فائدة في هذا، وأي عائدة؟ والرجل له حقيقة، وأمره أظهر وأشهر، وتصنيفاته أعظم وأكثر، ولهذا الرجل كتب في مذاهب الشيعة، أنا أوردها في مواضعها، وكتب في معان شتى من العلوم، وقد ذكرتها مواضعها من الكتاب. وقد قيل إن أصله من خراسان. والرازي يقول في كتبه المؤلفة في الصنعة: قال أستاذنا أبو موسى جابر بن حيان»[١].

وقد اختلف أهل الأخبار في نسبته، فنسبه بعضهم إلى الازد، ونسبه بعضهم إلى طوس، فقال عنه الطوسي، وجعله بعضهم من طرسوس، فقال الطرسوسي، وجعل أحدهم من حران فقال عنه الحراني، وجعل أصله من الصابئة، وذكر أنه كان صابئياً ثم ألسلم، وتزهد وتصوف، كما نسبه بعضهم إلى الكوفة، فقال عنه جابر بن حيان الكوفي[٢].

ولم يشر أحد إلى سنة ولادته. إما سنة وفاته، فموضع شك. وقد ذكر في بعض الروايات أنها كانت سنة مئتين للهجرة في بعض الموارد[٣]. وذكر في رواية أخرى أنها كانت قبلها، وإنها كانت سنة ١٦٠هـ[٤]، وذكر أنه أخذ العلم عن خالد بن يزيد وعن جعفر الصادق[٥].

---

(١) الفهرست ص٤٩٩، وما بعدها.

(٢) جابر بن حيان الطرطوسي، الطرطوسي، المتوفي سنة ١٦٠، كشف الظنون ٥/ ٣٤، كتاب الشذرات الذهبية في تراجم الأئمة لاثني عشر عند الإمامية، تأليف شمس الدين محمد بن طولون، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، طبع دار صادر بيروت ١٩٥٨ الصفحة ٨٥ .Ency, of Islam, I,p,987

(٣) الاعلام ٢/ ٩١.

(٤) كشف الظنون ٥/ ٣٤، ٧٩، ومواضع أخرى.

(٥) جابر بن حيان الصوفي من تلامذة خالد، كشف الظنون ٥/ ٢٨٠ .Ency, of Islam, I,p,987

وذكر ابن النديم نقلاً عن بعض الثقات ممن تعاطى الصنعة أن جابراً كان أكثر مقامه بالكوفة، وأنه كان ينزل في شارع باب الشام في درب يعرف بدرب الذهب، وبها كان يدبر الإكسير لصحة هواءها، ولما أصيب بالكوفة الأزج الذي وجد فيه هاون ذهب فيه نحو مئتي رطل، ذكر هذا الرجل أن الموضع الذي أصيب فيه ذلك كان دار جابر بن حيان، فانه لم يصب في ذلك الأزج غير الهاون فقط، وموضع قد بنى للحل والعقد، هذا في أيام عز الدولة بن معز الدولة. وقال لي أبو اسبكتكين دستاردار. أنه هو الذي خرج ليتسلم ذلك»[١].

ومعارفنا عن جابر جد قليلة ومشوشة. وليس هذا شأننا وحدنا في القرن العشرين، بل هو كذلك شأن من تقدم علينا بمئات من السنين. وقد أوردت لك نص ما كتبه ابن النديم عنه، وما ذكره من شك بعض المعاصرين لابن النديم، وبعض المتقدمين عليه في وجود جابر، وفي صحة نسبة تلك الرسائل والكتب إليه ما ذكره منها وما لم يذكره، وكيف أنه خالفهم في ذلك وصفه رأيهم في إنكار وجود ذلك الرجل. وإذا كان هذا حال الناس في أمر جابر في ذلك العهد، فكيف يكون حالنا ونحن اليوم في القرن العشرين.

أما التقاء جابر بخالد بن يزيد، فذلك أمر لا يمكن وقوعه، فقد كان جابر من المنقطعين للبرامكة ومن المتصلين بهم ولاسيما جعفر بن يحيى البرمكي، وقد ألف جملة مؤلفات لهم، رسمها باسهم، وقد توفي خالد بن يزيد حوالي سنة أربع وثمانين للهجرة في أكثر الروايات. وفي سنة تسعين للهجرة في أبعد الروايات[٢]. وقد اشتهر أمر البرامكة في أيام الرشيد، فلو فرضنا أن عمر جابر كان قد بلغ المئة عام، وانه أدرك أيام خالد بن يزيد بالفعل، فيجب أن يكون طفلاً عند ذاك، ولا يعقل لطفل أخذه العلم عن خالد وهو في هذا العمر.

وأما اتصاله بجعفر الصادق وأخذه العلم منه، ففي الكتب المنسوبة إلى جابر إشارات عديدة إلى ذلك، وقد ذكر ذلك أيضاً كثيراً من المؤرخين من الشيعة ومن غيرهم. وعدّ المشتغلون بالصنعة وهواة السيمياء والطلسمات والعلوم السرّية جابر الحلقة الموصلة بين رجال هذه العلوم وجعفر الصادق الذي يعدّ المرجع الأكبر والأهم

---

(١) الفهرست ص٤٩٩.
(٢) الأعلام ٢٤٢.

فيها. فإذا ذكروه قالوا عن جابر عن جعفر بن الصادق أو جابر تلميذ جعفر الصادق، وهو في هذه الشهرة أشهر تلميذ من التلاميذ المنسوبين إلى الإمام[١].

ومن أمثلة الإشارات إلى جعفر الصادق الواردة في الكتب المنسوبة إلى جابر، والتي تؤكد معاصرته له ولرجلين آخرين أخذ جابر العلم عنهما، هذه العبارات في «كتاب أسطقس الأس الثالث»، وهي «... ولكن لو كان يتفق له أن يكون في زمان مثل زماننا، فيخرج له من الفضلاء مثل من خرج في زماننا نحن مثل سيدي جعفر بن محمد ومثل معلمي حربي وإذن الحمار المنطقي...»[٢]. وهذه العبارة في: «كتاب الرحمة الصغير». قال جابر ابن حيان: قال لي سيدي جعفر: يا جابر: فقلت: لبيك يا سيدي. فقال: هذه الكتب التي صنفتها جميعها وذكرت فيها الصنعة وفصلتها فصولاً وذكرت فيها من المذاهب وآراء الناس، وذكرت الأبواب وخصصت كل كتاب منها بعمل...»[٣]. والعبارة الواردة في: «كتاب المقابلة والمماثلة»، وهي: «إني لما صنفت كتابنا المقابلة التي يكفي به؟ وفسرت فيه الكتابين وذكر الآخرة والأخبار؟ الأربعة الذين ذكرتهم فيه، عرضته على سيدي جعفر بن محمد عليه السلام، فقال له: إقرأه علي...»[٤]... وغير ذلك من مواضع.

وقد أفادتنا العبارات الواردة في «كتاب اسطقس الأس الثالث» فائدة كبيرة لذكرها اسمي «حربي» و«إذن الحمار المنطقي» في جملة الرجال الذين أخذ جابر العلم منهم. أما حربي فقد ورد اسمه في فهرست ابن النديم. ذكره مرّة في المقالة العاشرة المحتوية أسماء الكميائيين والصنعونيين من القدماء والمحدثين. ذكره بعد خالد بن يزيد واصطفن وقبل اسم جابر بن حيّان، وذكره مرة أخرى في تعداد أسماء مؤلفات جابر، وفي أثناء كلامه على المصححات التي ألفها جابر في تصحيح آراء ومقالات غيره من المتقدمين

---

(١) وله أي جعفر الصادق كلام في صناعة الكيمياء والزجر والعال. وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي، وقد صنف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق. وهي خمسة مئة رسالة، الشذرات الشهبية ص٨٥.

(٢) مصنفات في علم الكيمياء، للحكيم جابر بن حيان الصوفي باريس ١٩٢٨ ص١٠٠.

(٣) المصدر نفسه ص١٤٧.

(٤) A,Siggel, Katalog der Arabischen Alchemistischen Handschriften Deutshlands, Birlin, 1949, s,15.

وفي النص العربي المقتبس أغلاط كثيرة نحوية وصرفية وإملائية لا يمكن وقوعها من رجل معروف مثل جابر. ولا من أي مؤلف آخر عاش في ذلك العهد. وهي من أغلاط النساخ ولا شك.

عليه والمعاصرين له. فذكر أن الجابر تصحيحاً لآراء حربي سماه كتاب مصححات حربي[1].

وتفيدنا أسماء بعض المؤلفات التي عزاها ابن النديم لجابر وبعض الأسماء التي وردت في فهرس ابن النديم ولها علاقة بجابر فائدة كبيرة في تعيين الزمن الذي عاش فيه جابر، وفي تشخيص رسائله وتثبيت حقيقتها. والرسائل التي عزاها ابن النديم إليه وتفيدنا في هذا الباب، هي: كتاب إلى جمهور الفرنجي، وكتاب إلى علي بن يقطين، وكتاب إلى علي بن إسحاق البرمكي، وكتاب تليين الحجارة إلى منصور بن أحمد البرمكي، وكتاب أغراض الصنعة إلى جعفر بن يحيى البرمكي[2].

وأشهر هؤلاء المذكورين وأعرفهم، هو: جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي، وزير الرشيد الشهير، والمقتول بأمره سنة ١٨٧ للهجرة[3]. وقد كان جابر من المتصلين به والمنقطعين إليه، كما ذكر ذلك ابن النديم، قال: «كان في جملة البرامكة ومنقطعاً إليها ومتحققاً بجعفر بن يحيى، فمن زعم هذا قال إنه عنى بسيده جعفر هو البرمكي. وقالت الشيعة إنما عنى جعفر الصادق»[4].

وكان يحيى بن خالد البرمكي «١٩٠هـ»، والد جعفر نفسه من المشتغلين بالعلوم، كما كان من الأدباء أصحاب الأسلوب. وقد ذكره ابن النديم في جماعة الفلاسفة الذين تكلموا في الصنعة، وجعله في جملة المؤلفين، ولكن لم يورد له مؤلفاً. وقد أمر بتعريب عدد من المؤلفات المدونة بالهندية واليونانية والفارسية. وذكر ابن النديم بينها كتاب المجسطي، فقال: «وأول من عنى بتفسيره وإخراجه إلى العربية يحيى بن خالد بن برمك، ففسره له جماعة، فلم يتقنوه، ولم يرض بذلك، فندب لتفسيره أبا حسان وسلماً صاحب بيت الحكمة، فأتقناه واجتهدا في تصحيحه بعد أن أحضرا النقلة المجوّدين»[5]. وذكر ابن النديم كتاباً في العطر قال إنه ألف ليحيى بن خالد[6].

وأما علي بن يقطين، فكان من رجال الشيعة المنقطعين إلى الإمام جعفر الصادق،

---

(١) الفهرست ص٥٠٢.
(٢) الفهرست ص٥٠١.
(٣) الطبري حوادث السنة ١٨٧ ابن خلكان ١/ ١٠٥، البداية والنهاية ١٠/ ١٨٩، ١٩٤.
(٤) الفهرست ص٤٩٩.
(٥) الفهرست ص٣٧٤.
(٦) ص٤٤٠.

ومن المؤلفين والمتولين لبعض الوظائف في عهد المنصور والمهدي. وكان ممن يوالون جعفر الصادق ويؤيدونه ويحملون إليه الأموال، وهذا ما عرضه إلى غضب الدولة وإلى الشك في إخلاصه للعباسيين. وقد ولد سنة ١٢٤هـ وتوفي سنة ١٨٢هـ. وكان والده «يقطين» من وجوه الدعاة ضد الأمويين. وقد طلبه مروان فهرب، ولم يظهر إلا عند ظهور دولة بني العباس، فتوظف في دولتهم، ولكنه كان كابنه يرى الإمامة في آل أبي طالب، ويعتقد برأيهم، وقد توفي سنة ١٨٥هـ أي بعد وفاة ولده علي، وقد نسب ابن النديم لعلي بن يقطين كتابين: احدهما كتاب ما سأل عنه الصادق من أمور الملاحم، والآخر كتاب مناظرته للشاك بحضرة جعفر[١].

وأود، والكلام على صلة جابر بالبرامكة، أن أشير إلى شطحة بسيطة فيما أرى، ندّت من السيد إسماعيل مظهر في أثناء كلامه على جابر قد تورد من يقرأ مقاله في الخطأ، فأحببت تصحيحها، وهي قوله: «وكان صديقاً للبرامكة وزراء هارون الرشيد، وانه عاش ردحاً من الزمان في بلاط بغداد»[٢]، وقوله: «وانه اضطر إلى الإفضاء ببعض أسرار الصناعة (أي الكيمياء) إلى هارون الرشيد. . .»، وقوله: «وكل ما يهمنا في هذه الرواية أن المعروف على رواية ابن النديم أنه توفي سنة ١٦٠هـ»[٣]. وحاج خليفة أنه توفي سنة ١٦٠هـ، ٧٧٦ - ٧٧٧م، ولكن إذا صحت راوية الجلدكي، فلا بد من أن يكون جابر قد عاش بعد هذا العهد بزمان طويل»[٤].

وفي تعبير السيد إسماعيل مظهر: «وانه عاش ردحاً من الزمان في بلاط هارون الرشيد» وهم يفهم القارئ منه أن جابر بن حيان كان نازلاً في قصر هارون الرشيد وفي بلاطه، وانه كان على صلة وثيقة به، وأنه أعطاه سر الصنعة. وهو كلام لم يقله أحد، ولم يروه راو من المتقدمين. ثم إن كون جابر من المتعلقين بالبرامكة المراجعين لهم والمنقطعين إليهم، لا يحتم كونه من المراجعين لهارون الرشيد والمنقطعين إليه. فقد كان بعض الناس من المراجعين لهم، ولكنهم لم يكونوا من المنقطعين إلى الخليفة. ثم إنه رجل عالم، وقد كان العلماء يضطرون إلى الاتصال بأصحاب الجاه والنفوذ للحصول على مساعدتهم ومؤازرتهم ويؤلفون لهم ويذكرونهم في كتبهم رجاة مؤازرتهم

---

(١) الفهرست ص٣١٤.
(٢) تأريخ الفكر العربي، القاهرة ١٩٢٨، ص٧٢.
(٣) المصدر نفسه، ص٧٤.
(٤) كذلك، ص٧٤، وفي النص الجلدقي، والصحيح الجلدكي.

ومساعدتهم في هذه الحياة. وذلك لا يعني أنه عاش في قصر ذلك العظيم، وانه قضى ردحاً من الزمن فيه، وأنه علمه علمه، وأفضى إليه بسر الصنعة إن كان للصنعة سرّ.

ويظهر مما ذكره ابن النديم عن جابر من أن أكثر مقام جابر كان بالكوفة ومن نعت بعض من ترجمه له بالكوفي أن جابراً كان قد أقام أمداً في الكوفة، وانه اشتغل بها في الكيمياء ومارس حرفته بها، خاصة وأن ابن النديم قد نص على اسم المكان الذي اشتغل فيه جابر بالصنعة وأجرى تجاربه فيه بأجهزته ومعادنه لتحويل تلك المعادن إلى الإكسير. أما اختفاؤه وتنقله في البلدان خوفاً من السلطان على نفسه، كما ذكر ذلك ابن النديم، فنحن لا ندري سبب ذلك. ولم يشرح من كتب عنه من القدماء ذلك أيضاً، ولم يشيروا إلى اسم السلطان الذي كان يتعقبه وكان جابر يخشى منه، هل هو المنصور أو المهدي أو الهادي أو الرشيد؟ ولم كان ذلك؟ ألانه كان من الميالين إلى العلويين الداعين إلى إمامتهم؟ أم لأنه كان من الموالين للبرامكة فغضب عليه الرشيد وأمر بالقبض عليه، أم لأنه كان يدعي الصنعة والوقوف على أسرارها، وتمكنه من تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب، فهو لذلك خائف من السلطان. وقد كان الخلفاء وأصحاب الجاه يتعقبون أمثال هؤلاء، لما لذلك من أثر في السياسة العامة وفي عقول الخاصة والرأي العام.

وقد أشار ابن النديم إلى ثلاثة أشخاص ذكر أنهم كانوا من تلامذة جابر بن حيان، هم: الخرقي، وابن عياض المصري، والاخميمي. أما الخرقي، فكل ما ذكر عنه ابن النديم أنه ينسب إلى سكة الخرقي[١].

وأما ابن عياض المصري، فلم يذكر ابن النديم من خبره ومن مؤلفاته شيئاً[٢]. وقد أشار إليه في موضع آخر، في إثناء كلامه على أبي العباس أحمد بن محمد بن سليمان، من الرجال المشتغلين في صناعة الكيمياء كذلك. وقد ذكر له كتاب الإفصاح والإيضاح في برّانيات، وكتاب الجامع برّانيات، وكتاب الملاغم، وكتاب المعجونات، وكتاب التخمير. ثم قال: «ويقال إن كتاب الإفصاح والإيضاح لابن عياض المصري تلميذ جابر»[٣].

(١) الفهرست ص٥٠٠.
(٢) الفهرست (ص٥٠٠).
(٣) الفهرست (ص٥٠٦).

وأما الاخميمي، فانه عثمان بن سويد أبو حرى الاخميمي، من اخميم بمصر. وقد كان من المعروفين باشتغاله في صناعة الكيمياء، وكان من المعاصرين لابن وحشية، وله معه مناظرات ومكاتبات، وقد ذكر ابن النديم هذه الكتب له: كتاب الكبريت الأحمر، وكتاب الإبانة، وكتاب التصحيحات، وكتاب صرف التوهم عن ذي النون المصري، وكتاب آلات القدماء، وكتاب الحل والعقد، وكتاب التدبير، وكتاب التصعيد والتقطير، وكتاب الجحيم الأعظم، وكتاب مناظرات العلماء ومفاوضاتهم(١).

وهناك رجل آخر لم يشر إليه ابن النديم في جملة من أخذ العلم عن جابر، هو: يحيى بن أحمد بكر البرمكي. وقد ذكره بروكلمن استناداً إلى ما جاء في مقدمة كتابه المسمى: «سراج الظلمة والرحمة في معرفة جوهر وروح وموازين وتدابير؟»(٢).

وقد نشر المستشرق «الفريد سيكل Alfred Siggel» كتاباً من الكتب المنسوبة إلى جابر بن حيّان، عنوانه «كتاب السموم ودفع مضارها»، نشر نصه العربي بطريقة التصوير مشفوعة بترجمة ألمانية، ومقدمة مختصرة صغيرة في جابر بن حيان وفي النسخ العربية التي استفاد منها في ترجمته هذه ومظانها وأماكن وجودها(٣).

وهذا الكتاب في السموم وخواصها وأصنافها وكيفية استخراجها. وقد أخذ مؤلفه علمه بها من علم العلماء اليونان المتقدمين، أمثال «هبوقراط Hippokrates»، جالينوس «Galen» و«اندروماخس Andromachos» وبعض الفلاسفة أمثال أرسطو وأفلاطون، ومن موارد فارسية، بدليل ورود أسماء عقاقير عند الفرس ونباتات فارسية. والغريب انه أهمل اسم «ديسقوريدس Dioskurides» مع انه من اشهر علماء اليونان في الصيدلة وتركيب الأدوية والسموم، وهو نفسه صاحب مؤلف في السموم(٤).

وقد ذكر المؤلف بعض الأدوية وقال أنه أشار إليها في مؤلفين له هما: كتاب الطب الكبير، وكتاب في الأدوية المفردة(٥).

ولم ينص ابن النديم الذي ذكر أسماء أكثر كتب جابر بن حيان على هذين الكتابين

---

(١) الفهرست (ص٥٠٥).

(٢) Brockelmanñ suppl., II, S. 249.

(٣) راجع عنه، المجلد الخامس من الجزء الثاني من مجلة معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية (الصفحة ٢٨٦)؛ Brockelmann, suppl., I, S. ç.

(٤) Siggel, S. 5..

(٥) راجع (ص١٩٢ب).

بالاسم، ولكنه ذكر أنه ألف كتاباً عظيماً في الطب، وألف كتباً صغاراً وكباراً نحواً من خمس مئة كتاب في هذا الموضوع كذلك[١]. وقد سبق للمؤلف نفسه أن دعا كتابه في الصفحات الأولى المتقدمة بـ «الكتاب الكبير في الطب»[٢]، وهو يقصد ذلك الكتاب ولا شك.

وذكر مؤلف السموم اسم مؤلف آخر له سماه «كتاب المزاج» وأشار إلى انه له مؤلفات عديدة أخرى[٣]. ثم ذكر اسم كتابين آخرين له، هما: كتاب الفلسفة، وكتاب الخواص[٤]. كما ذكر كتاباً آخر اسمه كتاب الحيوان[٥]، وكتاباً آخر في النبات سماه كتاب النبات[٦]، وذكر أنه ألف كتاباً في الموازين ليرجع إليه الباحثون في تركيب الأدوية، وقد سماه «كتب الموازين»[٧]، وكتاباً آخر باسم كتاب الضمير[٨].

هذا وقد أشار في متن هذا الكتاب إلى كتب أخرى ذكر أنه ألفها، منها: كتاب النواميس، وكتاب الرد على أفلاطون، وكتب الموازين المئة والأربعة والأربعين[٩]، وكتب الحيل الحربية والمكايد[١٠]، وكتاب الحشائش وكتاب الحجارة[١١].

ويساعدنا فهرست ابن النديم مساعدة كبيرة في تعيين هذه الكتب، ففيه جريدة طويلة بأسماء كتب منسوبة إلى جابر بن حيان، وفي ضمنها أكثر الكتب المذكورة، مثل: كتاب الخواص، وكتاب الحيوان، وكتاب النبات[١٢]، أما الكتاب الذي سماه «كتب الموازين الأربعة والأربعين»، فلم يرد بهذا الاسم في الفهرست، لكننا نجد في

---

(١) الفهرست ص (٥٠٣).

(٢) (ص٩٩) من النص العربي وص١٧ من الترجمة الألمانية).

(٣) ص a ٧ من النص العربي والصفحات ١٥ و٨١ من الترجمة الألمانية.

(٤) صa ٥٥ من النص عربي ومن ٤٢ من الترجمة الألمانية.

(٥) وأوضحنا ذلك في كتاب الحيوان، ص a ٤٢ من النص العربي.

(٦) الصفحة b ٥٢ من النص العربي.

(٧) الصفحة a ٥٨ من النص العربي و٦٩ من الترجمة الألمانية.
الصفحة b

(٨) صb ١٣٤ من ١٥٢ من النص العربي و١٤٠ من الترجمة الألمانية.

(٩) صb ١٣٤ من النص العربي، ص١٤٢ من النص الألماني.

(١٠) صb ٥٤ من النص العربي، ص١٤٢ من النص الألماني.

(١١) صb ١١٥ و١١٥ من النص العربي، ص١٢٣ من الترجمة الألمانية.

(١٢) الفهرست ص٥٠٠ وما بعدها.

هذه الجريدة كتابين لهما علاقة به، هما: كتاب الميزان، وكتاب الموازين[1]. فلعلهما هذا الكتاب، أو لعل أحدهما هو الكتاب المذكور.

أما كتاب الحجارة، فلا نجد له ذكراً بهذا الاسم في «الفهرست»، لكننا نجد فيه أسمي كتابين ذكرهما، قد تكون لهما علاقة بهذا الموضوع، هما: كتاب الأحجار، وكتاب الأحجار الثاني، ثم نجد استطراداً ورد بعد ذلك، قد تكون له علاقة بهذا الكتاب، هذا نصه: «... ثم يتلو ذلك رسائل في الحجر: أولى، ثانية، ثالثة، رابعة، خامسة، سادسة، سابعة، ثامنة، تاسعة، عاشرة، ولا أسماء لها. وله بعد ذلك عشر رسائل في النبات: أولى إلى العاشرة، وله في الأحجار عشر رسائل على هذا المثال. فذلك سبعون رسالة»[2].

ويظهر من كلام صاحب الفهرست أن ما سماه بـ«رسائل في الحجر»، وهي عشر رسائل، هو الشيء الذي قال عنه نفسه بعد كلمات، قال: «وله في الأحجار عشر رسائل على هذا المثال»، وأن الشيئين المذكورين هما شيء واحد، وهو كتاب يتضمن عشر رسائل عن الأحجار، وأن هذه الرسائل هي قوام كتاب الحجارة المذكور في كتاب السموم.

وأما أسماء كتاب النواميس وكتاب الردّ على أفلاطون وكتاب الحيل الحربية والمكايد وكتاب الحشائش، فلم ترد في هذه الجريدة، ولست أستبعد وقوف «ابن النديم» عليها وذكره لها في هذه الجريدة، ولكن باسم آخر وبعنوان يختلف عن هذا العنوان الذي ذكره المؤلف في كتابه في السموم. ففي «الفهرست» اسم كتاب دعاه «كتاب مصححات أفلاطون»، في جملة كتب نسبها إلى المؤلف دعاها مصححات. هي: «كتاب مصححات فيثاغورس، كتاب مصححات سقراط، كتاب مصححات فلاطون، كتاب مصححات أرسطوطاليس، كتاب مصححات أرسنجانس، كتاب مصححات أركاغانيس، كتاب مصححات أمورس، كتاب مصححات ديمقراطيس، كتاب مصححات حربي، كتاب مصححاتنا نحن»[3]. ويقصد بذلك تصحيحات آراء وأفكار هي أوهام وأغلاط في نظر المؤلف. فلعله قصد بـ«كتاب مصححات فلاطون» هذا الكتاب الذي كره المؤلف نفسه وسماه «كتاب في الردّ على أفلاطون».

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الفهرست ص٥٠٢.

(٣) الفهرست (ص٥٠٧).

وقد أفادنا مؤلف كتاب السموم فائدة كبيرة بذكر أسماء هذه المؤلفات وبالنص عليها، كما أفادنا في تكوين رأي فيه وفي البحوث والموضوعات التي أشتغل بها وبحث فيها ويظهر من هذا المذكور أنه كان واسع الإطلاع ذا علم بالعلوم، وأنه على طريقة ذلك العهد وأسلوب الموسوعيين شَغلَ نفسه وألف في معظم بحوث المعرفة الإنسانية وأنه كان نشيطاً جداً كما يظهر ذلك من أسماء هذه الكتب ومن أسماء كتب أخرى منسوبة إليه.

ومما يلاحظ على هذا الكتاب أنه خلو من ذكر اسم الإمام جعفر الصادق وقد جرت عادة المؤلف ذكره في كتب الصنعة والكيمياء، كما جرت عادة المشتغلين بالصنعة وبالكيمياء ذكره أيضاً باعتباره من المؤسسين للموضوعين ومن الواقفين على السرّ فيهما، وأنه أخذ هذا السرّ من آبائه عن علي بن أبي طالب عن الرسول.

ولم يذكر ابن النديم اسم هذا الكتاب الذي أتحدث عنه: «كتاب السموم ودفع مضارها»، مع أنه ذكر في جريدته المذكورة أسماء أكثر كتب جابر بن حيّان. وقد أخذها كما يقول عن فهرست كبير، زعم أنه له، أي لجابر بن حيّان، دوّن فيه جميع ما لف في الصنعة وغيرها، وفهرست آخر صغير يحتوي على ما ألف في الصنعة فقط. ثم لم يكتف - كما يقول ابن النديم - بذلك، بل ذكر جملاً من كتبه رآها «وشاهدها الثقات فذكروها» له[1]. كما أورد بعض العبارات التي تدل على نقله من ذلك الفهرست كقوله: «قال محمد بن إسحاق، قال جابر في كتاب فهرسته: ألفت بعد هذه الكتب ثلاثين رسالة لا أسماء لها، ثم ألفت بعد ذلك أربع مقالات وهي...» وقوله: «قال أبو موسى: ألفت ثلاث مئة كتاب في الفلسفة....»[2].

ولم يشر ابن النديم إلى هذا الكتاب كذلك في أثناء كلامه على الكتب المؤلفة في السموم، مع أنه ذكر كتباً فيها مثل كتاب السمومات لابن البطريق، وكتاب السمومات للهند، وكتاب السمومات ودفع ضررها للكندي، وكتاب السمومات ودفع مضارها لقسطا بن لوقا، وقد ذكر كتاباً دعاه: كتاب السمومات وتركيبها وأصولها، لكنه لم يذكر اسم مؤلفه، وكل ما ذكره عنه أنه يقع في نحو خمسين ورقة[3].

---

(١) الفهرست ص٥٠٠.

(٢) الفهرست ص٥٠٢ وما بعدها.

(٣) الفهرست ص٤٤٠.

هذا ولا بد لي من التنويه هنا بأهمية الموازنة بين هذا الكتاب والكتب العربية الأخرى الواردة في السموم. ولكتب السموم منزلة كبيرة في البحوث العلمية عند العرب وعند القدماء عموماً. وقد ألف اليونان والهنود والفرس فيها كتباً، نقلت بعضها إلى العربية. وقد اعتنى بها رجال السياسة في ذلك العهد عناية خاصة، وكانوا يستدعون العلماء المشتغلين بالسموم إليهم، ويطلبون منهم التأليف فيها والبحث في إيجاد سموم جديدة وفي إبطال مفعول السموم، إذ كان السم في ذلك العهد من أهم الأسلحة الفتاكة التي تستعمل في القضاء على الخصوم والأعداء، وفي التخلص من المواقف المحرجة، كسلاح في أيدي عدو يعلم أنه سيقضى عليه حتماً، وسيمثل به شر تمثيل، ويتفنن في تعذيبه قبل أن يلحقه بالعالم الثاني، تشفياً منه، وتنفيذاً للعواطف اللئيمة التي تستولي على بعض النفوس وهناك آلاف من الضحايا السياسيين، قضي عليهم بدس السم لهم في طعامهم أو شرابهم من حيث لا يعلمون.

هذا وقد نشر أحد المستشرقين وهو «أر يحيى هولميارد Erig John Holmyard» في سنة ١٩٢٨م مجموعة من المصنفات المنسوبة إلى «جابر» في الكيمياء تحتوي على رسائل يقع بعضها في جملة أوراق، نشرت في كتاب واحد بهذه العناوين: كتاب البيان، وكتاب الحجر، وكتاب النور، وكتاب الإيضاح، وكتاب اسطقس الأس الأول على رأي الفلاسفة، وكتاب أسقطس الأس الثاني، وكتاب أسطقس الأس الثالث، وكتاب تفسير الأسطقس، وكتاب التجريد، وكتاب المنفعة، وكتاب الرحمة الصغير، وكتاب الملك[١].

وكتاب البيان، هو ثماني صفحات من صفحات هذا الكتاب الحاوي على الرسائل المذكورة. وقد ورد اسمه في فهرست ابن النديم[٢]. وكتاب الحجر ٢٨صفحة. وكتاب النور ثلاث صفحات، وكتاب الايضاح ثماني صفحات، وكتاب اسطقس الأس الاول، ست عشرة صفحة، وكتاب اسطقس الأس الثاني، ثماني عشرة صفحة. فأما كتاب أسطقس الأس الثالث، أربع عشرة صفحة، وكتاب الأسطقس عشر صفحات، وكتاب التجريد ست عشرة صفحة، وكتاب المنفعة صفحتان، وكتاب الرحمة الصغير إحدى عشر صفحة، وكتاب الملك اثنتا عشرة صفحة.

---

(١) طبعة بمدينة باريس بمطبعة Paul Geuthner

(٢) ص٥٠٠.

ونرى من هذا التعداد أن ما قيل له كتاب، هو في الواقع رسالة، وأن تلك الكتب هي رسائل بعضها رسائل صغيرة، لو أعيد طبعها لكانت في حدود صفحة واحدة ليس غير. وقد جمعا أر يحيى هولميارد هذا، وطبعها كلها في نحو ١٧٢ صفحة. وهي لو طبعت من غير فراغات لجاءت أقل من هذا العدد بكثير.

وقد ورد في هذه الرسائل أسماء مؤلفات أخرى للمؤلف أحال القارئ عليها، ويظهر أن من أسلوبه في مؤلفاته الإشارة إلى أسماء كتبه، ليحيل القارئ عليها عند بحثه في موضوع قد يصعب فهمه عليه. وقد أفادنا بالطبع في طريقته هذه، إذ أرشدنا إلى بعض مؤلفاته، ومكننا من الوقوف عليها ومن رجوعنا إلى فهرست ابن النديم لمقارنتها بأسماء الكتب الواردة في هذا الفهرست على أنها من كتب جابر بن حيان.

ومن هذه الكتب التي وردت أسماؤها في هذه الرسائل: كتاب الحيوان، وكتاب الحجر، وكتاب النباتات[1]، وكتاب الإمامة[2]، وكتاب السبعين[3]، وكتاب الباه وتولد الجنين[4]، وكتاب المئة وأربعة وأربعين[5]، وكتاب الرحمة[6]، وكتاب الذكر والأنثى[7]، وكتاب المني[8]، وكتاب الخمائر، وكتاب الكمال[9]، وكتاب التدابير في الخمائر[10]، وكتاب غرض الأغراض[11]، وكتاب النظم، وكتاب الملك من الخمس مئة، وكتاب صفة الكون[12]، وكتاب المفرد[13]، وكتاب الاثنين والثلاثين[14].

أما كتاب الحيوان، فقد ورد اسمه في كتاب السموم، وذكره ابن النديم كما قلت،

---

(١) هولميارد: مصنفات في علم الكيمياء ص١٧.
(٢) المصدر نفسه ص٢٢.
(٣) كذلك ص٢٤، ١٤٩.
(٤) كذلك ص٣٢.
(٥) كذلك ص٢٦.
(٦) المصدر نفسه ص٤٥.
(٧) كذلك ٨٤.
(٨) كذلك ص٨٥.
(٩) كذلك ص١٠٤.
(١٠) كذلك ص١٠٥.
(١١) كذلك ص١١٧.
(١٢) كذلك ص١٤٩.
(١٣) كذلك١٥٥.
(١٤) كذلك ص١٥٠.

وأما . كتاب الحجر، فيظهر أنه الكتاب الذي ورد ذكره في كتاب السموم باسم كتاب الحجارة الذي تحدثت عنه من قبل، وأما كتاب النبات، فقد تحدثت عنه كذلك، وقد ورد اسمه في كتاب السموم، وأما كتاب الإمامة، فلم يرد له ذكر في كتاب السموم ولا في فهرست ابن النديم، ولم يشر إليه «بروكلمن» كذلك[1]. وأما كتاب السبعين، فالظاهر أنه كان رسائل يبلغ عددها سبعين رسالة، أطلق على كل رسالة منها عنوان: كتاب، ويفهم ذلك صراحة من هذه الجمل الواردة في فهرست ابن النديم: «وله بعد ذلك سبعون كتاباً، منها: كتاب اللاهوت، كتاب الباب، كتاب الثلاثين كلمة، كتاب المني، كتاب الهدى، كتاب الصفات، كتاب العشرة، كتاب النعوت، كتاب العهد، كتاب السبعة، كتاب الحي، كتاب الحكومة، كتاب البلاغة، كتاب المشاكلة، كتاب خمسة عشر، كتاب الكفؤ، كتاب الإحاطة، كتاب الراوق، كتاب القبة، كتاب الضبط، كتاب الأشجار، كتاب المواهب، كتاب المخنقة، كتاب الإكليل، كتاب الخلاص، كتاب الوجيه، كتاب الرغبة، كتاب الخلقة، كتاب الهيأة، كتاب الروضة، كتاب الناصع، كتاب النقد، كتاب الطاهر، كتاب ليلة، كتاب المنافع، كتاب اللعبة، كتاب المصادر، كتاب الجمع. فهذه أربعون كتاباً من السبعين كتاباً. ثم يتلو ذلك رسائل في الحجر: أولى، ثانية، ثالثة، رابعة، خامسة، سادسة، سابعة، ثامنة، تاسعة، عاشرة، ولا أسماء لها. وله بعد ذلك عشر رسائل في النبات: أولى إلى العاشرة. وله في الأحجار عشر رسائل على هذا المثال. فذلك سبعون رسالة»[2]. وقد أشار الحاج خليفة في كشف الظنون إلى كتاب لجابر سماه «كتاب السبعين في الصنعة»[3]، والظاهر أنه يقصد هذه السبعين.

وأما كتاب «الباه وتولد الجنين»، فلم يرد له ذكر في فهرست ابن النديم ولا لدى «بروكلمن». وهو كما يظهر من عنوانه ومن ورود اسمه في موضوع طبي حياته في النطفة وفي تولد الجنين وفي الفرق بين الطبيعتين، طبيعة الرجل وطبيعة الأنثى[4].

وأما كتاب «المائة وأربعة وأربعين»، فالظاهر أنه على نمط كتاب

---

(١) Broklemann, suppl, I,s, 417, ff.

(٢) الفهرست ص٥٠١ وما بعدها.

(٣) كشف الظنون ٥/ ٩٣.

(٤) وتكلمنا في كتبنا الطبيعية والطبية وفي كتاب الباه وتولد الجنين. وقلنا: إن الانثي أرطب مزاجاً من الذكر، وإن الذكر أكثر نارية ويبساً من الأنثى. . . » ص٣٢ من هولميارد.

السبعين، مجموعة رسائل وأبواب دعيت كل رسالة بكتاب، يبلغ مجموعها ١٤٤ رسالة. ولكل عنوان قائم بذاته. وتكون كلها مجموعة تبحث في «الطعوم»، وذلك كما يظهر من عبارة المؤلف في «كتاب الحجر» حيث يقول: «وقد توسعنا في ذكرها في سائر كتبنا فخذ الألوان من السبعين، والأرايح من كتبنا في الكيفيات، والطعوم من كتبنا من المئة وأربعة وأربعين خاصة. فإنا قد استقصينا كلاً من ذلك بحسب طبقته في موضعه الخاص به من كتبنا»[١]. ولم أجد في الفهرست إشارة إلى هذا الكتاب،أو مجموعة تدعى المئة وأربعة وأربعين.

وأما كتاب المني، فقد ورد اسمه في فهرست ابن النديم[٢]، وأما كتاب الخمائر فلم يذكره ابن النديم بهذا العنوان، بل ذكر ثلاثة كتب في عنوانها لفظة واحدة زائد هذا العنوان. هي: كتاب الخمائر الكبير، وكتاب الخمائر الصغير، وكتاب فضلات الخمائر[٣]. فلا أدري أي كتاب من هذه الكتب الثلاثة قد يكون ذلك الكتاب المذكور ويفهم من فهرست ابن النديم أن صاحب كتاب الخمائر كان قد ألف كتاباً مطولاً في الخمائر، ثم عاد فاختصره وعنونه بـ «كتاب الخمائر الصغير»، ليكون مرجعاً قريباً من الراغبين في البحث في الخمائر. أما كتابه الآخر «فضلات الخمائر»، فيجوز أن يكون جزءاً استله من كتاب الخمائر الكبير، ويجوز أن يكون كتاباً مستقلاً وضعه في الفضلات المتولدة من الخمائر.

وقد أشار بروكلمن إلى كتاب آخر في هذا الموضوع دعاه «كتاب واحد الخمائر»[٤]. لا أدري أكان أحد هذه الكتب المذكورة، دخل على عنوانه بعض التحريف، أم كان كتاباً آخر ألفه في هذا الموضوع.

وأما كتاب التدابير في الخمائر، فلم يذكره ابن النديم. ولكنه ذكر كتابين قد يكون لأحدهما أو لكليهما صلة به، اسم أحدهما «كتاب التدابير الرائية»، واسم الآخر «كتاب التدابير». وقد وضع ابن النديم بعد اسم الكتاب الثاني كلمة «أخر»[٥] بمعنى أن هذا الكتاب الثاني، هو كتاب آخر يختلف في بحثه عن ذلك الكتاب. فلعل لأحد الكتابين

---

(١) هولميارد ص٢٦.
(٢) ص٥٠١.
(٣) ص٥٠٠ وما بعدها.
(٤) Brocklemann, suppl, s,418.
(٥) الفهرست ص٥٠٠.

المذكورين علاقة بكتاب التدابير في الخمائر. وقد أورد بروكلمن اسم كتاب دعاه: «كتاب التدابير»[١]. قد يكون هو هذا الكتاب الذي نبحث عنه، وقد يكون الكتاب الآخر الذي أشار إليه صاحب الفهرست، وذلك إذا كان كتاباً آخر لا علاقة له بذلك الكتاب.

وأما كتاب غرض الأغراض، فقد ورد اسمه في فهرست ابن النديم، لكن بهذه الصورة: «عرض الأعراض»[٢]. وهذا الفرق الذي نراه في العنوانين نشأ من تصحيف النساخ.

وأما كتاب النظم، فقد ورد اسمه في فهرست ابن النديم[٣]. وأما كتاب الميزان المفرد، فلم يرد بهذا العنوان في فهرست ابن النديم، وإنما ذكر ابن النديم كتاباً آخر سماه كتاب الميزان، قد تكون له صلة بهذا الكتاب[٤]. وأما كتاب صفة الكون فلم يذكره ابن النديم. ولم يذكر ابن النديم اسم كتاب الاثنين والثلاثين كذلك. والظاهر أن هذا ا لكتاب هو مجموعة رسائل على النمط الذي رأيناه، يبلغ عددها اثنين وثلاثين فأطلق عليها هذا العنوان.

وأما كتاب الخواص الكبير، فقد أشار إليه «الحاج خليفة»، في أثناء كلامه على كتاب السر الرباني في علم الميزان لعلي بيك الرومي، فقال إن هذا المؤلف قد استعان بكتاب الخواص الكبير لجابر، وإنه أراد إظهار هذا السرّ سرّ الميزان، الذي لم يشر إليه غير بليناس[٥]. وقال في موضع آخر إنه «إحدى وسبعون مقالة، أوله: الحمد لله كما هو أهله ومستحقه الكريم... الخ بحث فيه في خواص الأشياء المتعلقة بالكاف»[٦].

هذا، وقد نقل «سيكل Alfred Siggel» في فهرست المخطوطات الكيمياوية العربية المحفوظة في خزائن الكتب الألمانية، نتفاً من صفحات كتاب منسوب إلى جابر، اسمه كتاب المقابلة والمماثلة، وقد وردت فيها أسماء كتب أخرى للمؤلف، منها: كتاب السر المكنون، وكتاب الحاصل، وكتاب النظم. وفيها أيضاً قوله: «إني لما صنفت

---

(١) Brocklemann, suppl, I,s,418, Asaf, iii, 578.

(٢) ص٥٠١.

(٣) الفهرست ص٥٠١.

(٤) ص٥٠٢.

(٥) كشف الظنون ٣/ ٥٩٣.

(٦) المصدر نفسه ٥/ ٨٢.

كتابنا المقابلة التي يكفي به، وفسرت فيه الكتابين وذكر الآخرة والأخبار الأربعة الذين ذكرتهم فيه، عرضته على سيدي جعفر بن محمد عليه السلام، فقال له(؟): اقرأه علي فلما قرأته عليه، قال لي: ما ظننت بك يا جابر أن تسمح لنفسك بهذا؟ السماحة في كشف الحكمة المصونة والعلم الإلهي...»[١].

هذا، وقد ذكر بروكلمن كتاباً منسوباً إلى جابر سماه «كتاب في الطلسم ونحورات الكواكب للمماثلة والمقابلة»[٢]، قد تكون له علاقة بهذا الكتاب. فقد وردت في هذه النتف هذه العبارات: «انا قد وفينا بما وقد ودعنا في كتابنا الذي سميناه بكتاب المقابلة، وذلك أنا قد قلنا في غير موضع إن موضع الميزان والطلسمات واستخدام العلويات إنما هو على المقابلة والمماثلة... نظرت إلى ذلك من أي قسم أقسام الطبائع هي...»[٣]، ولهذه الكلمات بعض الصلة بالموضوع.

وقد أورد بروكلمن أسماء عدد من الكتب المنسوبة إلى جابر بن حيان، وسمى بعض خزائن الكتب التي قد توجد فيها[٤]. وبعض هذه الكتب مذكور في فهرست ابن النديم، وبعضه غير مذكور، ولهذا فان قائمة بروكلمن وأسماء الكتب التي فيها والواردة في ثنايا الكتب والرسائل المنسوبة إلى جابر بن حيان، تزيد في عدد الكتب التي ذكرها ابن النديم، وتزيد في علمنانحن بهذه الكتب العديدة والثروة العلمية القيمة المنسوبة إلى جابر ابن حيان.

وقد أشار أبو القاسم محمد بن أحمد العراقي السماوي، من رجال القرن السابع للهجرة على ما يظن[٥] ومن المشتغلين بالكيمياء أيضاً، إلى كتاب لجابر اسمه «كتاب الروضة»، وهو في الكيمياء على ما يظهر، لنقله منه فقرات في «باب التكليس»[٦]، وذكر كتاباً آخر اسمه «كتاب الإبدال من الخمس مئة»، ونقل منه أيضاً[٧]. والظاهر أن

---

(١) Alfred Siggel, Catalog der Arabischen Alchemistischen Handshriften Deutsclands, 1949, s, 15.

(٢) Broklemann, Suppl, I,s,249, num, 61.

(٣) ص١٥.

(٤) Brocklemamnn, suppl,I,s,416, ff.

(٥) Holmyard Kitab, AL - Alm - al - muktasb fi Ziraat adh - dhab p.5.

(٦) المصدر نفسه ص٢٦.

(٧) كذلك ص٤٦.

هذا الكتاب هو في الفلسفة، وفي أمور في الصناعة وفي غيرها مما لها علاقة بالفلسفة كما يتضح ذلك من الكتاب المنسوب إلى جابر المتضمن مؤلفاته، وقد ورد فيه: «ثم ألفت بعد ذلك خمس مئة كتاب، نقضاً على الفلاسفة»[١].

ووردت في «كتاب درة الغواص وكنز الاختصاص في علم الخواص» للجلدكي أسماء بعض كتب أفاد من النقل منها، نسبها إلى جابر، هي: الرسائل الجابرية في الخواص والموازين، وكتاب المقاصد، وكتاب التجميع، وكتاب روضة الفلاسفة[٢]. ونقل المؤلف في كتابه المسمى «كتاب أنوار الدرر في إيضاح الحجر» من كتاب آخر نسبه إلى جابر بن حيان، هو «كتاب الأطيان»[٣].

وقد استند أيدمر بن علي الجلدكي في كتابه البرهان في أسرار علم الميزان،وهو كتاب يقول فيه الحاج خليفة انه كتاب كبير يقع في أربعة أجزاء كبار، إلى «كتاب جابر في الأجساد»،وحل فيه غالب كتاب الموازين لجابر، كما استعان بكتاب «بليناس» في الأجساد الأربعة[٤]، وذكر له كتاباً آخر اسمه «روح الأرواح في الإكسير»[٥].

وقد وردت نقول في «كتاب الكنز في فك الرمز»، وهو من الكتب المحفوظة في خزانة الكتب البروسية في برلين من كتب جابر، وقد رجع مؤلفه، وهو مجهول عندنا لم يرد اسمه في الكتاب، إلى جملة كتب من كتب جابر، منها كتاب سماه «العلم المخزون والمعروف»[٦].

وورد في «كتاب الفتوحات الغيبية في تدبير الأرواح الحكمية»، لمؤلف مجهول يظن أنه عبد الكريم بن يحيى بن عثمان المراكشي، ذكر كتاب من كتب جابر اسمه: «كتاب الصافي من الخمس مئة»، ويظهر أنه من هذه المجموعة المعروفة بالخمس مئة كتاب التي أشرت إليها فيما سلف. وقد اقتبس منه في الفصول التي عقدها في «المركبات»[٧].

---

(١) الفهرست ص٥٠٣.

(٢) روضة الفلاسفة لجابر المذكور، التي صفنعة الكيمياء وعمل الإكسير.

A, Siggel, Kara, Arab, aich, s,74. ff.

(٣) ص٢٢، ٢٨، a, Siggel, s,84.

(٤) كشف الظنون ٢/ ٤٨.

(٥) المصدر نفسه، ٣/ ٤٨٢.

(٦) A, Siggel, Kat, S,95.

(٧) A, Sggel, Kat, S,100, F.

وورد في «كتاب الجوهر النضير في صناعة الإكسير» لمحمد بن عبد الله الطغرائي، ذكر لكتابين من الكتب المنسوبة إلى جابر، هما: كتاب المجردات، وكتاب الكشف[(١)].

وقد كانت لجابر بحوث في الفلك والإسطرلاب. ذكر محمد بن سعيد السرقسطي المعروف بابن المشاط الاسطرلابي الأندلسي «أنه رأي لجابر بن حيان بمدينة مصر تأليفاً في عمل الإسطرلاب يتضمن ألف مسألة لا نظير لها[(٢)]». وقد ذكر ابن النديم أسماء كتب له في علم الهيئة والفلك وفي شرح المجلسطي وغير ذلك من العلوم.

وذكر الحاج خليفة في كشف الظنون كتباً أخرى لجابر، هي كتاب علل المعادن، وقال إن أوله: «الحمد لله الذي خلق الأشياء عن قدره الخ...»، وكتاب العلم المخزون في الصنعة[(٣)]. وكتاب الإحراق، وقال: إن أوله «الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت...»[(٤)] و«كتاب الخالص في الكيمياء للشيخ جابر بن حيّان الطرسوسي، وقيل الطوسي إمام علم الكيمياء المتوفي سنة ١٦٠، ذكر فيه أسرار الصنعة»[(٥)].

وكتاب الشعر[(٦)]،

وقد ورد اسمه في فهرست ابن النديم[(٧)]، و«كتاب الصافي من الخمس مئة» وقال: أن أوله «الحمد لله المجازي بالإحسان المتفضل بالغفران»، وهو ورقة كما يقول الحاج خليفة[(٨)]، وهناك رسائل على هذا النحو يخال من أسمائها أنها كتب، وهي ورقة أو جملة أوراق.

وقد يكون كتاب العهد المبتدأ بهذه الجملة: «هذا كتاب العهد إليكم يا بني الأكارم...»، من هذا القبيل. فقد أشار الحاج خليفة إلى انه مختصر[(٩)]. وأما كتاب

---

(١) A, Siggel, Kat, S,144.

(٢) ابن القفطي: اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص١١١.

(٣) كشف الظنون ٤/ ٢٤٦ وما بعدها.

(٤) المصدر نفسه ٥/ ٣٤.

(٥) المصدر نفسه ٥/ ٧٩.

(٦) كتاب الشعر لجابر بن حيان الفيلسوف الطوسي المتوفي سنة ١٦٠، كشف الظنون ٥/ ١٠٤.

(٧) الفهرست ص٥٠٠.

(٨) كشف الظنون ٥/ ١٠٦.

(٩) كشف الظنون ٥/ ١٢٠.

القمر في الصنعة، فهو من جملة المئة والاثني عشر كتاباً، وقد أشار الحاج خليفة إليه كذلك[1]. وأما كتاب المعادن، فالظاهر أنه كتاب علل المعادن الذي مرّ ذكره، وذلك كما يفهم من إشارة الحاج خليفة إليه، وهو في علل المعادن وأسبابها[2].

ونسب الحاج الخليفة كتاباً آخر إلى جابر اسمه: كتاب النخب، وقال إنه في مجلدين[3]. وأما كتاب منافع الحجر، فهو من المختصرات، وقد ذكر الحاج خليفة أن جابراً قد أودع فيه أسراراً كثيرة من الصنعة[4]. وذكر له كتاباً آخر اسمه مهج النفوس، ولم يذكر شيئاً عنه[5]. وكتاباً آخر أيضاً اسمه نهاية الأدب[6].

ولتكوين رأي صحيح صادق في علم جابر ومصادره، وفي حقيقة هذه الكتب والرسائل المنسوبة إليه، لا بد من الرجوع إلى المتبقي منها من مخطوط أو مطبوع وإلى المقتبسات من كتبه في الكتب الأخرى، لدراستها دراسة علمية عميقة، وتحليلها تحليلاً يؤدي إلى معرفة العناصر التي كونت هذه الكتب والرسائل، والزمن الذي دونت فيه، وذلك يحتاج بالطبع إلى وقت طويل في استيعاب موضوعاتها ودرس أساليب التعبير عن الموضوعات العلمية في ذلك العهد وفي المصطلحات التي كانت شائعة أيام جابر. وفي مقارنات بالكتب المؤلفة في هذا الباب.

وبين هذه المؤلفات ما ورد اسمه في فهرست ابن النديم كما رأينا، أو في موارد قديمة أخرى، ولهذا لا نستطيع الشك في وجودها في أيام من أشار إليها أو في أيام سابقة لأيامهم. ويمكن التأكد منها أيضاً بمقابلتها أو بمقابلة نفق منها، إن كانت قد فقدت ولم يبق منها غير نتف، بالمقتبسات منها في مؤلفات آخرين، وسترينا هذه الطريقة بالطبع درجة التطابق والتوافق أو الاختلاف. وهي طريقة تساعدنا ولا شك في تعيين الأصل، وصحة النسبة إلى المؤلف، وستوصلنا إلى معرفة أقدم مورد أشار إلى الأثر، والزمن الذي تنتهي عنده أقوال الرواة.

ونظراً إلى ما في بعض هذه الكتب والرسائل من مصطلحات وتعابير تشعر أن

---

(١) المصدر نفسه ٥/ ١٣٧.
(٢) كذلك ٥/ ١٥٢.
(٣) كشف الظنون ٥/ ١٦٣.
(٤) المصدر نفسه ٦/ ١٤٠.
(٥) كذلك ٦/ ٢٣١.
(٦) كذلك ٦/ ٢٩٦.

صاحبها من المعتقدين بالإمامة، وأنه على رأي الإسماعيلية الباطنية، لاستعماله مصطلحاتهم وتعابير وآرائهم في بعض هذه الرسائل، لذلك وجب مطابقتها ومقارنتها بما ورد منها في رسائل اخوان الصفاء وفي كتب الباطنيين، والرجوع إلى تواريخ ابتداء ظهور تلك المصطلحات لنتوصل بذلك إلى أصل هذه المؤلفات المنسوبة إلى جابر. ولوقوف على مذهب جابر ان صح أنها له، أو وقت وضعها عليه ونسبتها إليه، ان ظهر أنها لا يمكن أن تكون من الأيام التي عاش فيها جابر، لوجود موانع تأريخية تمنعنا من الأخذ بنسبة هذه الآثار إليه.

ولا بد كذلك من الرجوع إلى الشروح التي وضعها العلماء ولاسيما المتقدمين منهم على كتب جابر، مثل شرح أبو قران النصيبيني على كتاب الرحمة. وأبو قران من أصحاب صناعة الكيمياء، وهو ممن يشير إليه أهل هذه الصناعة ويقدمونه ويفضلونه[١]، وشرح ابن أبي العزاقر، وهو أبو جعفر محمد بن علي الشلمغاني على كتاب الرحمة[٢]، والشلمغاني من الشخصيات المعروفة المشهورة في تأريخ الشيعة. وقد اتهم بالزندقة وبالاحتيال وبأمور أخرى يخرجنا سردها هنا من صلب هذا الموضوع.

وشرح «محمد بن منكيمشين» كتاب الرحمة في الكيمياء، شرحه ليسهل على طلابه الوقوف عليه وفهمه و«رحمة على الطلاب المخدوعين وتقرباً إلى الله تعالى به. وشرح منه أصول الصنعة التي لا غناء من الطالبين عنها»[٣].

والحديث في الكيمياء يجرنا إلى الحديث في موضوعات أخرى لها صلة شديدة بالكيمياء، بل هي في الواقع فروع من هذا العلم، مثل السموم وعمل الصيدنة «الصيدلة» وصنعة العطور وكتب الصنعة بصورة عامة.

وصناعة الكيمياء في نظر علماء ذلك العهد، هي صنعة الذهب والفضة من غير معادنها[٤]. ويقصدون بذلك صنع الذهب والفضة من معادن أخرى خسيسة ذات ثمن بخس، أبخس من ثمن المعدنين، وذلك بتحويل خصائص المعادن الخسيسة بالطرق الكيمياوية إلى خصائص الذهب أو الفضة، ومتى تغيرت هذه الخواص واكتسب المعدن

---

(١) الفهرست ص٥٠٥.
(٢) المصدر نفسه ص٥٠٧.
(٣) كشف الظنون ٥/ ٨٦.
(٤) الفهرست ص٤٩٣ وما بعدها.

الخسيس خواص جديدة هي خصائص معدن الذهب أو الفضة صار ذلك المعدن ذهباً أو فضة بحسب نوع التحويل.

والكيمياء في نظر أولئك العلماء،علم قديم جداً، ينسبه بعضهم إلى موسى وهارون فيذكرون أن الله أوحى بسر هذه الصناعة إليهما، فتعلماه منه. وذلك لما رأى الله أن قارون، وكان يتولى لهما، كبر وتجبر لما كثر عنده الذهب والفضة وكنز الكنوز، وسطا بما عنده من الأموال، فعاقبه الله بدعاء موسى. ويذكرون أيضاً أن هذه الصنعة كانت معروفة قبل «هرمس» بألوف سنين، وأن «هرمس» كان عند بعضهم أول من تكلم على علم الصنعة.

علم ابن النديم باليهودية والنصرانية[1]

حوى كتاب «الفهرست» لابن النديم شيئاً من المعلومات عن اليهودية والنصرانية، حصل عليها المؤلف من مراجعته بعض المصنفات التي وجدها في خزائن الكتب، يهودية ونصرانية، ومن بعض علماء اليهود والنصارى الذين التقى بهم وحادثهم وأخذ عنهم.

ويفيدنا هذا الذي دونه عن الديانتين فائدة كبيرة في الوقوف على مبلغ علم علماء المسلمين في زمن ابن النديم من العلم باليهودية والنصرانية وإحاطتهم بهما، ومعرفة أشهر رجال الديانتين ممن وردت أسماؤهم في هذا الكتاب.

وقد سطر ابن النديم علمه بالديانتين في الفصل الأول والفصل الثاني من كتابه، أي الفهرست. فتحدث في الفصل الأول عن «الفن الأول من المقالة الأولى»، «وصف لغات الأمم من العرب والعجم» ثم «نعوت أقلامها وأنواع خطوطها وأشكال كتاباتها»، وتكلم فيه على «القلم السرياني» و«القلم العبراني»، و«القلم الرومي» و«قلم لنكبرده ولساكسة» وقلم الفرنجة والأرمن، وتحدث في «الفن الثاني من المقالة الأولى» عن «أسماء كتب الشرائع المنزلة على مذهب المسلمين ومذاهب أهلها»[2]. وقد دون في هذا الفصل أسماء الموارد التي أخذ منها، من مصنفات ورجال.

وقد افتتح «ابن النديم» كلامه في «الفن الثاني من المقالة الأولى»، بقوله: «قال محمد بن إسحاق: قرأت في كتاب وقع اليّ، قديم النسخ، يشبه أن يكون من خزانة المأمون، ذكر ناقله فيه أسماء الصحف وعددها والكتب المنزلة ومبلغها، وأكثر الحشوية والعوام يصدقون به، ويعتقدونه. فذكرت منه ما تعلق بكتابي هذا. وهذه حكاية ما يحتاج إليه منه على لفظ الكتاب. قال أحمد بن عبد الله بن سلام مولى أمير المؤمنين

---

(١) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي على قسمين الأول في العدد ٨لسنة ١٩٦١، ص ٨٤-١١٣. أما الثاني فكان في العدد ١٠ لسنة ١٩٦٣. ص ١٥٦-١٨٣

(٢) الفهرست ٣٢ طبع المكتبة التجارية بالقاهرة.

هارون، أحسبه الرشيد، ترجمت هذا الكتاب من كتاب الحنفاء، وهم الصابئون الإبراهيمية الذين آمنوا بإبراهيم. . .». ثم قال: «قال أحمد بن عبد الله بن سلام: ترجمت صدر هذا الكتاب والصحف والتوراة والإنجيل وكتب الأنبياء والتلامذة من لغة العبرانية واليونانية والصابية، وهي لغة أهل كل كتاب، إلى اللغة العربية حرفاً حرفاً، ولم أبتغ في ذلك تحسين لفظ، ولا تزيينه، مخافة التحريف، ولم أزد على ما وجدته في الكتاب الذي نقلته، ولم أنقص، إلا أن يكون في بعض ذلك من الكلام ما هو متقدم بلغة أهل ذلك الكتاب، فلا يستقيم لفظه في النقل إلى العربية. إلا أن يؤخر ومنه ما هو مؤخر لا يستقيم إلا أن يقدم، ليتسقيم ذلك بالعربية. وهو مثل قول من يقول: ات مايم تان. ترجمته بالعربية: ماء هات. فأخرت «الماء»، وقدمت «هات». وكذلك اللغات فيما يستقيم إذا نقل إلى العربية»[1].

وفي هذه العبارات المنقولة عن الأصل المترجم، أي عبارات أحمد بن عبد الله بن سلام، ملاحظات قيمة ثمينة في قواعد الترجمة والنقل من لغة إلى لغة أخرى. وهي تبين طريقة من طرق الترجمة التي اتبعها التراجمة والنقلة في العصر العباسي من الألسنة الأعجمية إلى اللسان العربي. فقد تقيد المترجم في نقله الكتب الدينية، بالترجمة الحرفية، لم يحسن فيها، ولم يزين في جملها، ولم يزد على ماوجده في الكلام أو ينقص منه، إلا ما لا يستقيم مع قواعد اللغة المنقول الكلام إليها، فيقتضي عند ذاك التقيد بقواعد اللغة، ليستقيم ذلك في اللغة المنقول إليها. وقد تقيد في هذه الترجمة بصورة خاصة، لأن الكتب المترجمة، هي كتب مقدسة ولذلك يجب الحذر الشديد في نقلها من لغتها الأصلية إلى لغة أخرى، والمحافظة الشديدة على النص وعلى المعنى في الوقت نفسه.

وانتقل ابن النديم بعد ذلك إلى الكلام على التوراة التي في يد اليهود، وأسماء كتبهم، وأخبار علمائهم ومصنفيهم، فقال: «سألت رجلاً من أفاضلهم عن ذلك، فقال: أنزل الله، جل اسمه، على موسى التوراة، وهي خمسة أخماس، وينقسم كل خمس إلى سفرين، وينقسم السفر إلى عدة فراسات، ومعناها السورة. وتنقسم كل فراسة إلى عدة أبسوقات، ومعناها الآيات: قال: ولموسى كتاب يقال له: المشنا، ومنه يستخرج

(١) الفهرست ص٣٢ وما بعدها.

اليهود علم الفقه والشرائع والأحكام، وهو كتاب كبير، ولغته كسداني وعبراني. ومن كتب الأنبياء بعد ذلك، كتاب يهوسع، كتاب سفطي، كتاب شمويل، كتاب سفر اشعيا، كتاب سفر أرميا، كتاب سفر حزقيل، كتاب ملخي، وهو سفر داوود وأصحابه، ويعرف بتفسير ملخي الملوك، كتاب الأنبياء، وهو اثنا عشر سفراً صغاراً، ولهم كتب يقال لها بطارات مستخرجة من كتب الأنبياء الثمينة.

ومن كتبهم كتاب عزور، كتاب دانيال، كتاب أيوب، كتاب سير سيرين، كتاب أخا، كتاب روث، كتاب قوهلت، كتاب زبور داوود، كتاب أمثال سليمان، كتاب ديوان الأيام فيه سير الملوك وأخبارهم، كتاب حشوارش، ويسمى المجلة»[1].

وما أوردته هنا هو كل ما رواه ابن النديم عن اليهودية في هذا الكتاب، إلا ما أورده في الفصل الأول عن القلم العبراني. وهو كلام مقتضب، خلاصته: أن الكتابة العبرانية في أيامه، هي غير الكتابة العبرانية الأولى، حدثه بذلك كما يقول «رجل من أفاضل اليهود»، و«أن العبراني مشتق من السرياني»، وقد ذكر ذلك «تيادروس». «وإنما لقب بذلك حيث عبر إبراهيم الفرات يريد الشام هارباً من نمرود بن كوس بن كنعان». وقد ذكر «أن أول من كتب بالعبرانية عابر بن شالخ، وضع ذلك بين قومه، فكتبوا به»[2].

وقصد بلفظة «التوراة»، الأسفار المعروفة بـ«كتب موسى» وبـ«توراة الله» «Torah Elohim» وبـ«توراة يهوه Torah Yahwe» عند اليهود. وهي لفظة عبرانية، معناها «الشريعة» والتعليم والوصية[3]. وقد ذهب بعض علماء اللغة العرب إلى أن لفظة التوراة لفظة عربية، ورأى بعض آخر أنها عبرانية معربة[4]. وقد صارت عند بعض المسلمين مرادفة لمصطلح «العهد القديم» المستعمل عند النصارى في مقابل العهد الجديد، أي كتب موسى والكتب الأخرى المجموعة بين دفتي هذا العهد. ويشمل العهد القديم

(١) الفهرست ص٣٤.

(٢) الفهرست ص٢٢.

(٣) Hastings, Dictionary of the Bible, p,532.

(٤) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني ص٧٤، شرح القاموس ١٠/ ٣٨٩، مرمرجي، المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنة السامية، ص٧٢ وما بعدها، دائرة المعارف، للبستاني ٦/ ٢٦٤.

الكتب التسعة والثلاثين. أما العهد الجديد، المعروف بالإنجيل عند المسلمين، فيقع في سبعة وعشرين قسماً، تتناول الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل والرسائل[1].

ولكن محدث ابن النديم، كان صريحاً واضحاً في تخصيصه لفظة التوراة بالكتب الخمسة الأولى من العهد القديم. - ما ابن النديم، فانه حاك قاص لرأي محدثه اليهودي. وأما علماء المسلمين من المفسرين والمحدثين وعلماء اللغة، فقد خصصوا اللفظة بهذه الكتب، وعرفوها بانها الكتب التي نزلت على موسى[2]. وقد عرف بعضهم هذه الكتب. عرفوها باتصالهم ببعض علماء «أهل الكتاب»، أي اليهود والنصارى، ومن رجوعهم إلى ترجماتها وأخذهم منها؛ إذ نجد في المؤلفات العربية مقتبسات كثيرة، منقولة من التوراة بصورة خاصة، ومن بقية أقسام العهد القديم.

وقد اعتمد المسعودي في مؤلفاته على التوراة وكتب اليهود الأخرى في أثناء كلامه على تواريخ الأنبياء. فلما تحدث عن نوح مثلاً، قال: «ووجدت في التوراة أن نوحاً عاش بعد الطوفان ثلاث مئة وخمسين سنة، فجميع عمر نوح تسع مئة سنة وخمسون سنة»[3]. وهذه العبارة، ترجمة حرفية لما جاء في آخر الإصحاح التاسع من سفر التكوين، وهي: «وعاش نوح بعد الطوفان ثلاث مئة وخمسين سنة، فكانت كل أيام نوح تسع مئة وخمسين سنة، ومات»[4]. وتحدث عن التوراة بقوله: «وأنزل الله عزّ وجلّ، على موسى عشر صحف، فأستتم مئة صحيفة، ثم أنزل الله عليه التوراة بالعبرانية، وفيها الأمر والنهي والتحريم والتحليل والسنن والأحكام، وذلك في خمسة أسفار. والسفر يريدون به الصحيفة»[5]. ويريد المسعودي بالصحيفة، هنا السفر في الترجمة الحديثة. ويتألف كل سفر من أقسام، يقال لكل قسم «إصحاح» في الترجمات العربية الحديثة.

وأما قول ابن النديم، نقلاً عن محدثه اليهودي: «وهي خمسة أخماس، وينقسم كل خمس إلى سفرين»، فيريد به جملة «خميشة خمشه هتوراه Hamishah umshe

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ٢/ ١٢٢.

(٢) وهي التوراة التي أنزلت على موسى، وأنزل التوراة على موسى، تفسير الطبري ٣/ ١١١، ١٨٩، وهي الكتاب الذي أنزل على موسى صبح الأعشى ١٣/ ٣٥٣.

(٣) مروج الذهب ١/ ٣١ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد.

(٤) الترجمة البروتستانية الآية ٢٨ وما بعدها.

(٥) مروج ١/ ٢٩.

«hattorah» العبرانية، التي تعني «خمسة أخماس الشريعة»، ويعنون بها «التوراة»، ويطلقون عليها «مقرا Miqrii» أيضاً بمعنى القراءة[1]، وتقابل لفظة «بنتاتويخس» «Hexateuch» و«Pentateuchus» اليونانية، ويراد بها الكتب الخمسة الأولى من العهد القديم، أي ما يقول له العبرانيون «خمسة أخماس الشريعة» المذكورة[2]. ويظهر أن الرجل العبراني قد عرب له الجملة العبرانية، إلا أن ابن النديم نسي لفظة الشريعة، أو أن الرجل لم يذكرها له مكتفياً بتفسيره للتوراة بأنها خمسة أخماس. أي خمسة كتب، كل كتاب هو خمس التوراة، وأما اللفظة اليونانية «بنتاتويخس»، فانها مركبة من «penta» ومعناها خمسة و«Teuchus»، وتعني الغلاف أي الكيس الذي يوضع فيه الكتاب. وقد أرادوا بها تلك الكتب الخمسة المذكورة، ولم يقصدوا بها هذه الكتب، مضافاً إليها الكتب المقدسة الأخرى، أي العهد القديم[3].

ويقال لكل كتاب من كتب العهد القديم سفر، ويجمع على أسفار. واللفظة عبرانية من أصل «سيفر Sefr»، بمعنى كتاب، أي جزء كامل من التوراة، وهي تقابل لفظة كتاب التي استعملها ابن النديم. ومن العبرانية، أخذت السريانية لفظة « سيفرو Sefro»، وهي فيها أيضاً بمعنى سفر وكتاب. وقد وردت اللفظة في القرآن الكريم بصيغة الجمع، أسفار[4]. وذكرت في كتب اللغة بالمعنى المعروف من اللفظة عند السريانيين[5]. وتعني لفظة «سفر Sfar» في السريانية درس وكتب وتفقه وتعليم. وقد عرف علماء اللغة السفر بالكتاب الكبير، أو الجزء من أجزاء التوراة، و«سفر الكتاب» كتبه. والكرام السفرة هم الكتبة. وذكر بعضهم: أن الأسفار هي الكتب بالسريانية، وقال آخرون: هي الكتب بالنبطية. و«سفرو Sefro» بمعنى كاتب مسجل، فقيه، أستاذ، رئيس. ويجمع فيها على «سوفرا Sofra»[6].

---

(١) المعجمية العربية ٧٣.

(٢) Hastongs, p,546

(٣) المصدر نفسه. .ff 346

(٤) سورة الجمعة، الآية: ٥.

(٥) معجم ما استعجم ص٣٦٩، الاتقان ص١٢٨، ١٢٩، الأساس ١/ ٤٤٢، والسفر بالكسر الكتاب الذي يفسر عن الحقائق، وقيل الكتاب الكبير لأنه يبين الشيء ويوضحه و. . . . . أو السفر جزء من أجزاء التوراة. والجمع أسفار» شرح القاموس ٣/ ٢٧١.

(٦) الألفاظ السريانية في المعاجم العربية، دمشق ١٩٤٨ - ١٩٥١، ص٨٤ وما بعدها.

وينقسم كل كتاب، أي سفر، إلى إصحاح، وقد قسم العبرانيون الكتب إلى إصحاحات، للتسهيل على القراء. ويطلق على الاصحاح عندهم «براشا Parashaho»[(١)]. ومن هذه اللفظة جاءت كلمة «فراسات» التي ذكرها ابن النديم عنهم بمعنى السورة. وقد أدخل عليها ابن النديم أو محدثه بعض التعديل، فصارت على هذا النحو. أما لفظة إصحاح، المستعملة في الترجمات العربية الحديثة، فانها لفظة معربة عن السريانية، وهي فيها، بمعنى فصل من كتاب، ولم ترد إلا في الأسفار المقدسة[(٢)].

وأما قوله: «وتنقسم كل فراسة إلى أبسوقات، ومعناها الآيات»، فان الابسوقات عبرانية، واحدها «باسوق»، وقد فسرها بالآيات جمع آية.

و«المشنة» «المشنا. Mishna»، وتعني «التكرار» هي مجموع تقاليد اليهود المختلفة مع بعض الآيات من التوراة ومن الكتب المقدسة الأخرى، لشرحها وفسرها. جمعها أحبار وربانيون عاشوا من بعد موسى، واستمر عملهم إلى القرن الثاني بعد الميلاد، وانتهت كتابتها إلى الحاخام «يهودا هاناسى Yehudah ha - Nasi» المتوفي حوالي سنة ٢٢٠ للميلاد.

وتقسم «المشنا» ستة أقسام، تعرف بـ«سداريم Sedarim». وهي لفظة آرامية تعني «الأوامر Orders». ويتألف كل قسم «سدر Sedar» من جملة موضوعات وأبحاث مقسمة إلى فصول، ويتكون كل فصل من فقرات، ويعرف كل «سدر» بعنوان مأخوذ من الموضوعات التي يعالجها. وهذه العناوين الستة، هي: «زرعيم Zeraim» أي الزراعة والبذور «Seeds»، ويشتمل على أحد عشر بحثاً، و«موعيد» أي الأعياد، ويشتمل على اثنتي عشر بحثاً، و«ناشيم، نشيم Nashim»، ومعناها النساء «المرأة»، ويشتمل على سبعة بحوث، و«نزيكين Nezikin» ومعناه «الجروح»، ويشتمل على عشرة فصول، ويعرف كذلك بـ«يشأ أوث Yeshuoth»، و«قوادشيم Qodashim» ومعناه «المقدسات»، و«الأشياء المقدسة» والأمور المقدسة ويشتمل على أحد عشر قسماً، و«توهاروت Toharoth» ومعناها المطهرات، ويشتمل على اثني عشر بحثاً[(٣)] عن الطهارة والنجاسة وما يتعلق بهما.

---

(١) Hastongs, p,96.

(٢) برصوم، ص ٢٠.

(٣) المصدر نفسه ص٨٩٠.

ويرى اليهود أن «المشنا»، أنزل في الأصل على موسى، وقد حفظ عنه هارون واليعازر ويهوذا، ثم الأنبياء من بعدهم، ثم أعضاء المجمع المقدس الأعلى، ثم من جاء بعدهم، وهكذا إلى أيام الحاخام «يهوذا هاناسي»، المذكور الذي قام بتدوينه وجمعه، فنسب إليه. فالمشنا عند اليهود هو حديث موسى، حفظ وروي عنه إلى بعد الميلاد، حيث جمعه ذلك الحاخام. وهو عندهم بمنزلة حديث الرسول عند المسلمين. ولهذا عده محدث ابن النديم كتاب موسى، ونسب إليه، وهو مرجع لليهود في الأحكام[١].

والمشنا، كتاب ضخم يتألف من مجلدات كبيرة. وأما لغتها، فهي العبرانية الحديثة في اصطلاح علماء التوراة، أي العبرانية المتأثرة بالإرمية. ولهذا قال محدث ابن النديم لغة الكتاب كسداني وعبراني[٢]. وقد أطلق العرب لفظة الكسداني على النبطية في بعض الأحيان، وعلى الكلدانية أي لغة البابليين[٣] أحياناً أخرى، ويقصدون بها الارمية أحياناً أخرى. واللفظة عبرانية الأصل أخذت من «Kasdim» المرادفة للكلدانيين في التوراة[٤]. ولما كان قسم من المشنا قد كتب في بابل، وكانت الارمية هي لغة العلم في ذلك الحين، كتبت بعض فوصل المشنا بهذه اللغة، كما تأثر العبرانيون بها لهذا العهد، واستعملوها في تآليفهم بدلاً عن العبرانية القديمة.

وذكر ابن النديم بعد المشنا كتباً ذكر أنها من كتب الأنبياء، منها: كتاب يهوسع، وكتاب سفطي، وكتاب شمويل، وكتاب سفر أشعيا، وكتاب سفر أرميا، وكتاب سفر حزقيل، وكتاب ملحي وهو سفر داوود وأصحابه ويعرف بتفسير ملخي الملوك، كتاب الأنبياء وهو أثنا عشر سفراً صغاراً. ثم قال بعد ذلك: «ولهم كتب يقال لها بطارات، مستخرجة من كتب الأنبياء الثمينة. ومن كتبهم: كتاب عزور، وكتاب دانيال، وكتاب أيوب، وكتاب سير سيرين، كتاب أخا، كتاب روث، كتاب قوهلت، كتاب زبور داود، كتاب أمثال سليمان، كتاب ديوان الأيام فيه سير الملوك وأخبارهم، كتاب حشوارش ويسمى المجلة»[٥].

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ١/ ٢٩١.

(٢) ومعنى كسداني: نبطي، وهم سكان الأرض الأول، الفهرست ص٤٣٣.

(٣) ومعنى كسداني: نبطي، وهم سكان الأرض الأول، الفهرست ص٤٣٣.

(٤) .١٥، ١٢٠p, .

(٥) الفهرست ص٣٤.

أما كتاب «يهوسع»، فقد أراد به محدث ابن النديم سفر «يشوع»، المعروف بـ «يشوعا Joshua» الذي يلي التوراة في الترتيب. وهو في مقدمة الكتب المسماة عند العبرانيين بكتب الأنبياء. وهو يبحث في افتتاح الأرض المقدسة، أرض فلسطين، وفي تقسيمها وفي خطابي يشوع وموته ودفنه[١]. وقد دعي هذا السفر بسفر يشوع، نسبة إلى «يشوع بن نون». «Joshua bin Nun» ودعي بـ «هوشع Hoshea» و«يهوشوع» في التثنية وفي العدد[٢]. وهو من سبط افرايم، وقد ولد في مصر. وكان خادماً لموسى، ثم صار خليفة له. وهو الذي عبر الأردن، وقاد جماعة إسرائيل إلى فلسطين.

وقد ورد في سفر يشوع عن وقوف الشمس والقمر له[٣]. ويراد به يوشع بن نون، الذي يرد خبره في كتب التفاسير وقصص الأنبياء وكتب التواريخ والأخبار[٤]. والظاهر ان محدث ابن النديم، أو ابن النديم نفسه، لم يعرف أن المراد به يوشع عند المسلمين، فكتبه على النحو المذكور.

وأما «كتاب سفطي»، فهو «القضاة» «Judges». وهو يلي سفر «يشوع» في الترتيب. ويظهر أن المعربين للتوراة كانوا قد استعملوا اللفظة العبرانية، وهي: «شوفيتيم Shophetim» التي كانت تعني القضاة في العبرانية يومئذ، ولم يستعملوا مرادفها في العربية، ولهذا ذكر محدث ابن النديم اللفظة العبرانية، أو إن محدثه لم يكن يعرف معناها في العربية، فذكرها له بالعبرانية، أو أنه لم يشأ - لسبب ديني يراه - تغيير الأصل، فذكرها لابن النديم بأصلها العبراني، وقد ضبطها ابن النديم بالصورة المذكورة. ولعل النساخ حرفوا الأصل، لجهلهم به، حتى صار «سفطى». وقد كان الأصل «شوفيط» أو «شفطي» أو «شوفيطيم»، فصار «سفطي».

وكان على محدث ابن النديم ذكر سفر «راعوت» وهو «روث Ruth» بعد سفر «سفطي»، أي القضاة، لأنه يليه في الترتيب، لكنه أهمله، وذكر اسم سفر «شموئيل» بعده مباشرة. وهو «صموئيل» في الترجمات العربية الحديثة، تقليداً للترجمات

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ٢/ ٥١١، Hastings, pp, 498.

(٢) dr,32, 44, zun, 13,8.

(٣) يشوع ١٠/ الآية ١٢ وما بعدها.

(٤) الطبري ١/ ٤١٤ ومواضع أخرى، قصص الأنبياء ص١٥٥ وما بعدها Ency, of Islam, vol,j v,1177.

الانكليزية واللاتينية. وهذا السفر قسمان: صموئيل الأول، وصموئيل الثاني. وقد كان على محدث ابن النديم ذكر «الملوك» بعد «شموئيل»، لكنه لم يفعل ذلك، وانتقل إلى سفر «اشعيا»، ثم سفر أرميا، ثم سفر حزقيل، وهكذا. وهي أسفار تأتي بعد الملوك بعشرة أسفار في الترتيب. أما سفر «حزقيل»، فانه لا يلي سفر «أرميا» مباشرة، بل يأتي بعد «سفر مراثي أرميا» الذي يلي سفر «أرميا». ويعرف سفر «حزقيل» بـ«حزقيال» «Ezekiel» في الترجمات العربية الحديثة. أما «سفر مراثي أرميا»، فيعرف بـ«Lamentations» في الانكليزية، ولم يذكره ابن النديم.

أما قوله «كتاب ملخي، وهو سفر داوود وأصحابه، ويعرف بتفسير ملخي الملوك»[1]، ففيه اضطراب ولبس. وقد استعمل محدث ابن النديم اللفظة العبرانية «مليخ» أي «ملك»، فقال: «كتاب ملخي»، وعنى بذلك ما يقال له «سفر الملوك» في الترجمة العربية الحديثة. ويبتدأ هذا السفر بشيخوخة داوود ووعد الله لداوود وشر التحزب والانقسام، وينتهي سفر الملوك الثاني بسبي بابل وحريق الهيكل سنة ٥٨٦ قبل الميلاد، ثم إطلاق يهوياكين وموته وإحراق الهيكل[2]، ولذلك فعبارته: «وهو سفر داوود وأصحابه»، هي شرح وتفسير لما في «كتاب ملخي»، أي سفر الملوك. وقد عاد ففسر قوله مكرراً في جملة «ويعرف بتفسير ملخي الملوك». وكلمة تفسير، هي خطأ قد يكون مطبعياً، وقد يكون في أصل كتاب ابن النديم، والصحيح «سفر» ويجب كتابة العبارة بهذه الصورة: «ويعرف بسفر ملخي الملوك»، وتكون لفظة الملوك تعريب لملخي كما ذكرت.

أما كتاب عزور، فيقصد بـ«سفر عزرا»، ويقع بعد «أخبار الأيام الثاني» في الترتيب. وقد طفر محدث ابن النديم من هذا السفر إلى سفر «دانيال»، فدعاه كتاب دانيال، ثم رجع عدة خطوات إلى الوراء حتى بلغ «كتاب أيوب» المعروف بسفر أيوب في الترجمات العربية الحديثة.

أما «كتاب زبور داود»، فقصد به ما يسمى بـ«المزامير» وبـ«Psalums» في الترجمة الانكليزية. ولفظة «مزامير»، هي من أصل عبراني هو «مزمور Masmor» ويقابله مزمور (Mazmor) في السريانية. ولقد وردت في القرآن الكريم لفظة «الزبور» كما وردت فيه

---

(١) الفهرست ص٣٤.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ٢/ ٣٧٥.

«الزبر» كذلك. وورد في شعر لامريء القيس: «كخط زبور في مصاحف رهبان»(١). والظاهر أن اللفظة من أصل عربي جنوبي، ومعناها «الكتاب»(٢).

وقد صرح ابن النديم في مقدمته عن كتب اليهود، وقبل أسطر من كلامه على التوراة التي في أيدي اليهود، نقلاً من كتاب لأحمد بن عبد الله بن سلام: أن المزامير هي الزبور، وقد نزلت على داوود، وهي المعروفة التي في أيدي اليهود والنصارى. وعدتها مئة وخمسون مزموراً(٣). والمزامير هي كذلك بهذا العدد، لا اختلاف فيه كل الترجمات.

وقد وقف المسعودي على المزامير كذلك، فقال: «وأنزل الله، عز وجل عليه الزبور بالعبرانية خمسة ومئة سورة، وجعله ثلاثة أثلاث: فثلث ما يكون مع بخت نصر وما يكون من أمره في المستقبل، وثلث ما يلقون من أهل أنوار، وثلث موعظة وترغيب ومحبة وترهيب، ليس فيه أمر ولا نهي ولا تحليل ولا تحريم»(٤). ويظهر أن أحد اليهود تحدث إلى المسعودي عن مضمون هذه المزامير، من حيث المحتوى والمادة، فصنفها إلى هذه الأقسام الثلاثة. ففي القسم الأول تهديد وإنذار لليهود، بوجوب إطاعة أوامر إله إسرائيل، ففسره اليهودي له، أنه في موضوع «بخت نصر» وما يكون من أمره في المستقبل. فأيام بخت نصر بعيدة بالطبع عن أيام داوود. وفي القسم الثاني تهليل وتمجيد باسم الله، فدعاه «ثلث ما يلقون من أهل أنوار»، وأما القسم الثالث، فهو في الترانيم والمدائح وتمجيد أسم الله أيضاً. وأما ما أورده من ملاحظات عن المزامير، فهي صحيحة، وقد أخذها من محدث يهودي فيما أظن.

وقد عرف بعض العلماء الزبور بأنه «اسم الكتاب المقصور على الحكم العقلية دون الأحكام الشرعية، والكتاب لما يتضمن الأحكام والحكم. ويدل ذلك على أن زبور داوود عليه السلام، لا يتضمن شيئاً عن الأحكام»(٥). وقد أخذ هؤلاء العلماء هذا التفريق

---

(١) راجع ديوان امريء القيس.

(٢) Ency, of Islam, vol,iv,p,1184.

(٣) الفهرست ص٣١.

(٤) مروج الذهب ١/ ٤٥.

(٥) المفردات في غريب القرآن ص٢١٠، وقد غلب الزبور على كتاب داوود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام. . . . . قال أبو هريرة: «الزبور، ما أنزل على داوود. . . . وفي البصائر للمصنف: وسمي كتاب داوود زبوراً لأنه نزل من السماء مسطوراً»، شرح القاموس ٣/ ٢٣١.

الذي نراه بين معنى «الزبور» و«الكتاب» من المعنى المفهوم عند اليهود ولا شك.

وقد فسر بعض علماء اللغة «المزامير» بأنها ما يتغنى به من الزبور، وبما كان إليه المنتهى في حسن الصوت بالقراءة، وعرفها بعض آخر بأنها ضروب الدعاء، جمع مزمار ومزمور. وورد في الحديث: «لقد أعطيت مزماراً من مزامير آل داوود» شبه حسن صوته وحلاوة نغمته بصوت المزمار[١]: ويظهر أن الجاهليين كانوا قد وقفوا على أحوال أهل الكتاب في ترتيلهم المزامير في معابدهم بصوت حسن ونغم حلو عذب، فتوسعوا في المعنى على هذا النحو.

وقصد بـ«كتاب أمثال سليمان» ما يقال له «الأمثال» في الترجمة العربية الحديثة، و«Proverbs» في الانكليزية. اما «كتاب ديوان الأيام فيه سير الملوك وأخبارهم»، فقد قصد به ما يقال به «أخبار الأيام» في الترجمة العربية الحديثة، و«Chronicles» في الانكليزية. وجملة: «فيه سير الملوك وأخبارهم» هي شرح لمضمون الأسفار.

وأما قوله: «كتاب حشوارش، ويسمى المجلة»، فانه خطأ إذ ليس في العهد القديم سفر يسمى «سفر حشوارش»، أو سفر المجلة. بل نجد في العبرانية لفظة «Megilloth» ويراد بها اللفة والكراس وملف المخطوطات والكتاب. وقد أطلقت عندهم على الأسفار الخمسة «Canticles» و«روث «راعوت» Ruth والجامعة «Ecclesiastes» ومراثي أرميا «Lamentations» وأستير «Esther»[٢]. وترادف هذه اللفظة، أعني لفظة مجلة، لفظة «Megilloth التي تطلق على الكتب الخمسة المذكورة، وتقابل كلمة «Magaltho» في السريانية[٣].

وقد ذكرت في كتب الإخباريين «مجلة لقمان»، كما ذكرت «المجلة» في قول النابغة الذبياني:

مجلتهم ذات الإله، ودينهم قويم، فما يرجون غير العواقب وذكر بعض علماء اللغة أن المجلة هي الصحيفة يكتب فيها شيء من الحكمة[٤]. وقيل كل كتاب أو كراسة[٥].

---

(١) شرح القاموس ٣/ ٢٤٠.

(٢) Hastings, p,112.

(٣) برصوم ص١٦٣.

(٤) الاشتقاق ص١٩٢ ويروي محلتهم بالحاء (المهملة)، أي انهم يحجون فيحلون مواضع مقدسة، شرح القاموس ٧/ ٢٦١، برسوم ص١٦٣.

(٥) قال أبو عبيد: كل كتاب عند العرب مجلة، وقدم سويد بن الصامت ﵁، فتصدى له رسول الله ﷺ =

وقصد بـ«كتاب سير سيرين» السفر المعروف بسفر نشيد الإنشاد في الترجمة العربية الحديثة للعهد القديم، ويسمى بـ«Songs of Salamon» في الانكليزية. وهو أحد الاسفار الداخلة في قسم «الكتب Hagiographe Kethubim» ويعرف أيضاً بـ«Canticles»، وهو اختصار «Canticum Canticorum». وقد أخذ محدث ابن النديم تسميته المتقدمة من التسمية العبرانية، «شيرت شيريم Shirath Shirim»[١].

وأما «كتاب قوهلت»، فانه سفر «الجامعة» في الترجمة العربية الحديثة للعهد القديم، وهو يقابل «كوهيليت Koheleth» في العبرانية. وهو من مجموعة الأسفار التي تكون أحد أقسام العهد القديم الثلاثة، بحسب تقسيم العبرانيين، ويقال له: «الكتب Kethubbim»[٢]. وقد أطلق محدث ابن النديم على هذا السفر العنوان العبراني المعروف به عند اليهود.

وأما «كتاب أخا»، فأظن أنه قصد به سفر «حجى» في الترجمة العربية الحديثة، و«Haggai» في الترجمة الانكليزية. وقد سمي السفر بهذا الاسم نسبة إلى نبي عرف به[٣]، أو «كتاب ميخا» في الترجمة العربية الحديثة، و«Micah» في الترجمة الانكليزية. و«ميخا» اسم أحد الأنبياء الأربعة الذين عاشوا في القرن الثامن قبل الميلاد، ويعده العبرانيون في جملة الأنبياء الصغار[٤].

وقد أخذ ابن النديم علمه بالنصرانية من «يونس القس»، وقد مدحه وأثنى عليه. وقد حدثه أن النصاري يعتمدون على «الصورة»، وأن الصورة قسمان: الصورة العتيقة، والصورة الحديثة، وأن الصورة العتيقة هي السند القديم على مذهب اليهود، والحديثة على مذهب النصارى. و«والعتيقة تستند إلى عدة كتب أولها كتاب التوراة، وهي خمسة أسفار: كتاب محتوى، ويحتوي على عدة كتب، منها: كتاب يوسع بن نون، كتاب الأسباط وهو كتاب القضاة، كتاب شماويل، وقضية داوود، كتاب أخبار بني اسرائيل،

= فدعاه. فقال له سويد: لعل الذي معك مثل الذي معي قال: وما الذي معك؟ قال: مجلة لقمان... وكان ابن عباس، رضي الله تعالى عنهما، إذ نشد شعر أمية، قال: مجلة ابن أبي الصلت»، شرح القاموس ٧/ ٢٦١.

(١) 3.3.,p,870.
(٢) المصدر نفسه ص٢٠١.
(٣) المصدر نفسه ص٣٢٤.
(٤) المصدر نفسه ص٦١٤.

قضية رعوث، كتاب سليمان بن داوود في الحكم، كتاب قوهلت، كتاب سير سيرين، كتاب حكمة هو يسع بن سيري، كتاب الأنبياء ويحتوي على أربعة كتب، كتاب أشعياء النبي عليه السلام، كتاب أرميا النبي عليه السلام، كتاب الاثني عشر نبياً عليهم السلام، كتاب حزقيل»[١].

وقد قصد ابن النديم بالصورة ما يقابل لفظة. «Testament» في الإنكليزية. وهي ترجمة لكلمة «Diatheke» اليونانية التي هي ترجمة أيضاً للفظة «Berith» العبرانية، ومعناها «العهد Govenant»[٢].

وقوله: «وينقسم على قسمين: الصورة العتيقة والصورة الحديثة» هو تقسيم نصراني، حدث بعد النصرانية بالطبع. أما اليهود، فأنهم لا يعترفون بكتب النصارى، ولا يصدقون بالأناجيل وبكل ما هو وارد في العهد الجديد، ولذلك لا يعترفون بالصورة الحديثة.

وقد وقف المسعودي على مصطلح «الصورة» فقال: «والأربعة والعشرين كتاباً التي تجتمع اليهود والنصارى عليها وتسميها اليهود الكتب الجامعة، والنصارى كتب الصورة. والصورة القديمة اثنا عشر، منها صغار، واثنا عشر كبار. وتسمى أيضاً كتب الأنبياء. منها التوراة خمسة أسفار، وليس تقرأ النصارى في الكنائس من التوراة إلا السفر الأول وهو الخليقة»[٣].

ويقسم اليهود الكتاب المقدس، أي العهد القديم في اصطلاح النصارى، على ثلاثة أقسام، هي: الشريعة والناموس، وتسمى «التورا Torah «في العبرانية، أي التوراة كما ذكرت والأنبياء «Prophets»، ويسمى بـ«نبييم Nebiim» في العبرانية. والقسم الثالث «الكتب» «كيتوبيم Kethubim» في العبرانية. وبـ«Hagiographa» في اليونانية. ومعناها الكتب المقدسة[٤]. أما القسم الأول، أي التوراة، فيشمل الأسفار الخمسة، وهي: التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية، ويقال لها أسفار موسى، ولها عندهم حرمة خاصة وقدسية كبيرة، وهي الإسفار المقدسة الوحيدة عند السامريين[٥].

---

(١) الفهرست ص٣٤ وما بعدها.

(٢) Hastings, p,111.

(٣) التنبيه ص١٥٦.

(٤) قاموس الكتاب المقدس ٢/ ٢٤٥، Hastings,p, 95.

(٥) Hastings,p,95.

وأما الأنبياء، وهو القسم الثاني، فيشمل: أسفار يشوع والقضاة وصموئيل والملوك وأشعيا وأرميا وحزقيال، وأسفار الأنبياء الصغار «Minor Prophets»، وهي: هوشع، ويوئيل، وعاموس، وعوبديا، ويونان، وميخا، وناحوم، وحبقوق، وصفنيا، وحجى، وزكريا، وملاخى[١].

وأما الكتب «Kethubim»، أو الإسفار المقدسة في اصطلاح اليونان «Hagiographa»، فتشمل المزامير والأمثال وأيوب ونشيد الإنشاد وراعوت والمراثي والجامعة وأستير ودانيال وعزرا ونحميا والأيام الأول والثاني. أما النصارى، فقد قسموها إلى أسفار تاريخية وأسفار شعرية وأسفار نبوية[٢].

وقد ذكر ابن النديم بعد التوراة جملة: «كتاب محتوى. ويحتوي على عدة كتب، منها: كتاب يوسع بن نون، كتاب الأسباط وهو كتاب القضاة، كتاب شماويل وقضية داوود، كتاب أخبار بني اسرئيل، كتاب قضية رعوث، كتاب سليمان بن داوود. . . الخ»[٣]. ويدخل سفر يوسع بن نون، وسفر القضاة، وسفر شماويل، وسفر قضية داوود في كتب الأنبياء. أما الإسفار الأخرى، فتدخل في القسم الثالث، وهو الكتب ما ذكرت. ولم يكمل محدث ابن النديم، وهو «يونس القس»، سلسلة كتب الأنبياء ولم يربط بينها، كذلك لم يسر على وفق ترتيب الإسفار في العهد القديم، بل خلط بينها وقدم وآخر. قدم سفراً متأخراً، وأخر متقدماً، فاختلطت الإسفار من القسمين بعضها ببعض: أما سفر «يوسع بن نون»، فقصد به سفر «يشوع»، وهو «يشوع بن نون» خليفة موسى ومن سبط أفرايم كما ذكرت. وهو السفر الذي ذكره ابن النديم في أثناء كلامه على كتب اليهود باسم كتاب يهوسع[٤]، كما أشرت إليه. وأما «كتاب الأسباط، هو كتاب القضاة، فقد ذكره ابن النديم قبلاً باسم «كتاب سفطي»[٥]. وقد بينت أصل هذه الكلمة العبراني. وأما كتاب شماويل فانه سفر صموئيل، وقد ذكره ابن النديم أيضاً، وسماه كتاب شمويل، وقصد صموئيل الأول وصموئيل الثاني. وأما قوله: وقضية داوود، فأراد به سفر الملوك. وقد ذكره في أثناء كلامه على الكتب المقدسة عند اليهود

(١) قاموس الكتاب المقدس ٢/ ٢٤٥. Hastings, p,112.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) ص٣٥.
(٤) ص٣٤.
(٥) المصدر نفسه.

فقال عنه: «كتاب ملخي، وهو سفر داوود وأصحابه، ويعرف بتفسير ملخي»[1]. ويدخل في قسم كتب الأنبياء.

وقد كان على «يونس القس»، أو ابن النديم، إلحاق جملة: «كتاب الأنبياء، ويحتوي على أربعة كتب: كتاب أشعياء النبي عليه السلام، كتاب أرمياء النبي عليه السلام، كتاب الاثني عشر نبياً عليهم السلام، كتاب حزقيل» بالجملة المتقدمة الخاصة كتب الأنبياء، لا أن يذكرها هنا وبعد الكلام على قسم «الكتب». ثم كان عليه مراعاة التنظيم والترتيب بين الإسفار.

وأما قوله «كتاب أخبار بني إسرائيل، كتاب قضية رعوث، كتاب سليمان بن داوود في الحكم. كتاب قوهلت، كتاب سير سيرين، كتاب حكمة هويسع بن سيري»[2]، فقد أراد به القسم الثالث، أي «الكتب». وقد ترك بعض الإسفار، فلم يذكرها، وذكرتها فيما تقدم في أثناء كلامي على تقسيم الكتاب المقدس عند اليهود. وقد أراد بكتاب أخبار بني إسرائيل السفر المعروف بأخبار الأيام الأول والثاني، وأراد برعوث السفر المعروف بـ«راعوت»، وقصد بـ«كتاب سليمان بن داوود في الحكم»، السفر المعروف بـ«الأمثال» «Proverbs» وهو في الحكم، وأراد بـ«كتاب قوهلت» سفر الجامعة، وهو يلي سفر الأمثال في الترتيب. وأما «كتاب سير سيرين»، فقصد به نشيد الإنشاد كما شرحت ذلك فيماسبق. وهو يلي سفر الجامعة في الترتيب. وأما «كتاب حكمة هويسع بن سيرى»، فلا يعد من هذه الكتب، وإنما هو من «الابوكريفا» «Apocrypha»، أي من الكتب غير القانونية التي أضيفت إلى العهد القديم وبعض الأسفار الملحقة بالعهد الجديد[3].

وعدد كتب «أبو كريفا العهد القديم»، أربعة عشر كتاباً، هي: أسدراس الأول، وأسدراس الثاني، وطوبيت، ويهوديت، وبقية إصحاحات سفر أستير غير الموجودة في العبرانية وفي الكلدانية، وحكمة سليمان، وحكمة يشوع بن سيراخ، وباروخ، ونشيد الثلاثة الفتية المقدسين، وتتمة سفر دانيال، وتأريخ سوسنة، وتأريخ انقلاب بيل والتنين، وصلاة منسي ملك يهوذا، والمكابيين الأول والمكابيين الثاني.

وكتبت أكثر هذه الكتب باليونانية، وللعلماء النصارى رأي فيها، وقد أدخلت في بعض الترجمات للعهد القديم، فطبع أكثرها إلا كتاباً اسدارس وصلاة منسى بعد

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) صفحة ٣٥.

(٣) قاموس الكتاب المقدس ١/ ٢٦.

الكتاب المقدس، لقيمتها التأريخية، وحذفت كلها من الترجمات البروتستانتية لعدم اعتراف البروستات بها[1].

وكتاب «حكمة هويسع بن سيري»، هو كتاب «حكمة يشوع بن سيراخ» الذي ذكرته الآن في كتب «الابوكريفا». ويعرف بـ «The wisdom of jesus the Son of Sirach» في الانكليزية، وبـ«Ecclesistasicus» كذلك. وهو من الكتب المهمة في مجموعة كتب «الابوكريفا». وقد اقتبس هذا الكتاب من الأمثال والجامعة وأيوب. كتبه يهودي، اسمه «يشوع بن سيراخ»، في القرن الثالث قبل الميلاد في العبرانية في الأصل، وقد فقد الأصل العبراني، واعتمد على النص اليوناني المترجم عن العبرانية حوالي سنة ١٣٢ قبل الميلاد. وقد اكتشف نصف هذا الكتاب في مصر مدوناً بالعبرانية[2].

وقد يكون مراد ابن النديم أو محدثه يونس القس، بـ «كتاب سليمان بن داوود في الحكم»، السفر المعروف بـ «حكمة سليمان» في «الابوكريفا»، ويعرف بـ «Wisdom of Solomon»، في الانكليزية. وقد أخذ في الغالب من التوراة. وقد نسب إلى سليمان، غير أن صاحبه رجل يهودي من الإسكندرية، كتبه فيما بين سنة ١٥٠ وسنة ٥٠ قبل الميلاد. كتبه باليونانية، ويتغلب عليه الطابع الأدبي[3].

وتشتمل «الصورة الحديثة» أي العهد الجديد في اصطلاحنا على الأناجيل الأربعة، وهي: كتاب إنجيل متى، وكتاب إنجيل مرقس، وكتاب إنجيل لوقا، وكتاب إنجيل يوحنا، وكتاب الحواريين وقد ذكره باسم «فراكسيس» كذلك، وكتاب بولس السليح ويشتمل على أربعة وعشرين رسالة[4]. أما الأناجيل الأربعة، فمعروفة ولا تزال تسمى بالأسماء المذكورة. وأما «كتاب الحواريين»، فقصد به ما يقال له «أعمال الرسل» في الترجمة العربية الحديثة، وبـ«Acts» في الترجمة الانكليزية. وهو السفر الخامس من العهد الجديد. ويعرف بالأعمال أو بأعمال من غير تعريف. وهو في تأريخ الكنيسة من المسيح إلى سجن بولس في روما. وقد كتبه «لوقا» الانجيلي كاتب الإنجيل الثالث، ويرجح أنه كتبه في روما سنة ٦٣ بعد الميلاد[5].

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ١/ ٢٦.

(٢) Hastings,p,45.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الفهرست ص٣٥.

(٥) قاموس الكتاب المقدس ١/ ١١٥ وما بعدها.

وقصد بقوله «كتاب بولس السليح، أربعة وعشرون رسالة»،رسائل «بولس الرسول»، التي تلي أعمال الرسل. و«بولس» هو يهودي الأصل، اسمه في العبرانية «شاؤل». أما «بولس»، فهو اسمه بين الرومانيين، ومعناه «صغير». وقد كتب ثلاث عشرة رسالة أو أربع عشرة رسالة على رأي من عد الرسالة الموجه بها إلى العبرانيين، من عمل «بولس». وهو أمر لا يرجحه أكثر علماء العهد الجديد[١]. وقد جعل يونس القس أو ابن النديم رسائل بولس أربعاً وعشرين رسالة، وهو خطأ لعله من ابن النديم أو من النساخ ولعله كان قد كتب اربع عشرة على اعتبار أن رسالة إلى العبرانيين هي من رسائله، فصيرت أربعاً وعشرين.

وقصد ابن النديم بلفظة «السليح»، «الرسول» وقد أخذها من محدثه النصراني. وهي لفظة سريانية هي «شلحو Shilho»، من أصل «شلح Shlah»، بمعنى: أرسل، وبعث. وجمعها: «سليحون»[٢]. وقد وردت جملة «وكتاب السليح بولس» و«فلما توفي توما السليح» في كتاب «ليحيى بن عدي»[٣]. ووردت جمل مثل «بطرس السليح» و«سمعان السليح ورسائل السليح بولس»[٤] وغيرهما.

واستعملت اللفظة بمعنى «رسائل»، فورد «ويقرأ السليح والفراكسيس»، ويعني بذلك الرسائل وكتاب أعمال الرسل، وورد «وقرأ السليح أسقف النعمانية»، ووردت اللفظة في كتب المسلمين فذكرها البيروني، وفسرها بالحواري: «وهو شمعون الصفا رئيس السليحين، وهم الحواريون»، وقال: «ذكر أن توما السليح». وأشير في الكتب العربية الأخرى إلى «صوم السليحين»[٥].

ويلاحظ ابن النديم قد أهمل الإسفار الأخرى التي تلي رسائل بولس، وهي: رسالة يعقوب، ورسالتا بطرس، ورسائل يوحنا الثلاث، ورسالة يهوذا، ورؤيا يوحنا اللاهوتي، فلم يذكرها، مع أنها مدونة في الأناجيل[٦].

وقد ذكر ابن النديم أسماء بعض علماء النصارى، ممن عرفوا بالعلم والفقه، هم:

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ١/ ٢٦٠.
(٢) برصوم ص٨٩.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه ص ٩٠.
(٦) راجع مختلف الطبعات.

«ابن بهريز»، واسمه «عبد يسوع» وكان مطراناً على حران، ثم صار مطراناً على الموصل. وكان حكيماً، درس المنطق والفلسفة، وكان في حكمته قريباً من حكماء الإسلام كما يقول ابن النديم[1]. ومنهم: قينون وكان ناقلاً حسن العبارة واللفظ، وثيادورس، ويوشع بخت، وحزقيل، وطماثوس، ويوسع بن بد. وكل هؤلاء من النقلة والمفسرين. كما ذكر اسم «تاوما الرهاوي» وله رسالة إلى أخته فيما جرى بينه وبين المخالفين بالإسكندرية، و«اليا» مطران دمشق وله كتاب الدعاء، وأبو عزه وكان أسقف الملكية بحران وله كتاب «يطعن فيه على أسطورس الرئيس. وقد نقضه عليه جماعة»[2].

ويظهر من عبارة «قال أحمد بن عبد الله بن سلام: ترجمت صدر هذا الكتاب والصحف والتوراة والإنجيل والتلامذة من لغة العبرانية واليونانية والصابئة، التي نقلها ابن النديم من كتاب أحمد هذا، الذي رأى نسخته، أن هذا الكتاب كان قد شمل كتب اليهود والنصارى والصابئة، ونقولا عن بعض من أسلم من أهل الكتاب مثل: عبد الله ابن سلام، ويامين بن يامين، ووهب بن منبه، وكعب الأحبار، وابن التيهان، وبحيرا الراهب، مضافاً إليها بعض ما يعرفه عن هذه الديانات. وأظن أنه قصد بالصابئة لغة بني ارم، أي الإرمية، بدليل ذكر العبرانية واليونانية. والإرمية هي لغة الكنيسة الشرقية كما هو معلوم.

وإذا كان نقل أحمد هذا نقلاً حرفياً صحيحاً ليس فيه اقتضاب ولا اختصار كما ذكر ذلك في مقدمته له، فيجب أن يكون الكتاب إذن كتاباً ضخماً في مجلدات. ولكننا نجده يذكر في موضع آخر وفي أثناء كلامه على من أسماهم بالصابئة، هذه الجملة: «وهو كتاب فيه طول، إلا أني اختصرت منه ما لا بد منه، ليعرف به سبب ما ذكرت من اختلافهم وتفرقهم، وأدخلت فيه ما يحتاج إليه من الحجة في ذلك من القرآن والآثار التي جاءت عن الرسول»[3]. مما يدل أن الكتاب المذكور لم يكن ترجمة كلية لكل الكتب، وانما هو ترجمات وتوضيحات وردود وغير ذلك، فهو إذن كتاب مؤلف في الأديان، فيه نصوص وفيه نقول وتوضيحات وشروح، فهو مؤلف في الفرق والأديان، سها ابن النديم عن وصفه، فلم يذكر عدد أجزائه، فأضاع علينا بذلك فوائد كبيرة.

---

(١) الفهرست ص٣٥ وما بعدها، عيون الأنباء ١/ ٢٠٥.

Noldeke, Geschichte Der Perser und Araber,S,223,anm,2.

(٢) الفهرست ص٣٥ وما بعدها.

(٣) ص٣٣.

ومما يؤسفنا أيضاً سكوت ابن النديم عن الترجمات العربية القديمة لكتب اليهود والنصارى، والبحث في هذا الموضوع مهم جداً. فالذي نعرفه من الكتب العربية القديمة ومن النقول الواردة في كتب أهل الملل والنحل، أن العربية امتلكت ترجمات لهذه الكتب في العهد الأموي، وهناك إشارات تدل على وجود هذه الترجمات عند الجاهليين كذلك، لعل الأيام ترشدنا إليها.

وقد ذكر المسعودي في إثناء حديثه عن القيصر «ابطليموس الكصندرس» ترجمات عربية للتوراة، فقال: «وهو الذي نقلت له التوراة، نقلها اثنان وسبعون حبراً بالإسكندرية من بلاد مصر، من اللغة العبرانية إلى اليونانية، وقد ترجم هذه النسخة إلى العربي عدة ممن تقدم وتأخر، منهم حنين بن إسحاق، وهي أصح نسخ التوراة عند كثير من الناس.

فأما الإسرائيليون من الاشمعث، وهم الحشر والجمهور الأعظم، والعنانية وهم ممن يذهب إلى العدل والتوحيد، فيعتمدون في تفسير الكتب العبرانية: التوراة والأنبياء والزبور. وهي أربعة وعشرون كتاباً.

وترجمتها إلى العربية على عدة من الإسرائيليين المحمودين عندهم. قد شاهدنا أكثرهم، منهم: أبو كثير يحيى بن زكريا الكاتب الطبراني، اشمعثي المذهب، وكانت وفاته في حدود العشرين والثلاث مئة، ومنهم سعيد بن يعقوب الفيومي، اشمعثي المذهب أيضاً. وكان قد قرأ علي أبي كثير. وقد يفضل تفسيره كثير منهم... ومنهم داوود المعروف بالقومسبي، وكانت وفاته سنة ٣٣٤، وكان مقيما ببيت المقدس. وابراهيم البغدادي، ولم أشاهدهما»[1].

وبعض هذه الترجمات التي يذكرها المسعودي أو غيره، ليست ترجمات كاملة للتوراة في الواقع، بل هي تفسير وشروح لها أو مقتبسات أو ترجمات للأسفار الأخرى من الكتاب المقدس، وبعضه ترجمات عن «المشنا». وكتب الأحبار لها أهمية خاصة بالطبع عند اليهود، وقد نقلت إلى العربية، واستعملها أحبار اليهود في أحكامهم، فظن المسلمون أنها ترجمات حرفية للتوراة.

وقد تحدث المسعودي عن اليهود السامرة وعن اختلافهم عن بقية يهود، فقال: «وبين هذه السنين وما يوجبه حساب التوراة العبرانية تفاوت كثير. وكذلك نسخة التوراة

---

(١) التنبيه، ص٩٨ وما بعدها، ص١٨٢.

التي بأيدي السامرة، وهم الكوشان والدوستان من اليهود بأرض فلسطين والأردن، بينها وبين هاتين أيضاً تفاوت بعيد»[١].

وتحدث المسعودي عن السامرة في كتابه «مروج الذهب» فقال: «والأسامرة تزعم أن التوراة التي في يد اليهود ليست التوراة التي أورد موسى بن عمران عليه السلام، وأن تلك حرفت وبدلت وغيرت... وان التوراة الصحيحة هي في أيدي الأسامرة دون غيرهم»[٢].

وقد علم العلماء المسلمون أن السامريين يخالفون اليهود في بعض أحكامهم، ولكنهم لم يكونوا كما يظهر مما كتبوه عنهم أنهم كانوا على وقوف تام على وجوه ذلك الاختلاف.

وقد تحدث ابن حزم عن السامرة فذكر أنهم يزعمون أن التوراة التي في أيديهم هي توراة موسى، وأن توراة اليهود محرفة. وذكر أنه لم يتمكن من الوقوف على توراتهم هذه «لأنهم لا يستحلون الخروج عن فلسطين والأردن أصلاً»[٣]، أي بسبب عدم وقوفه عليهم وبعده عنهم. أما الشهرستاني، فقد ذكر أنهم «يسكنون بيت المقدس وقرايا من أعمال مصر، يتقشفون في الطهارة أكثر من تقشف سائر اليهود. اثبتوا نبوة موسى وهارون ويوشع بن نون عليهم السلام، وأنكروا نبوة من بعدهم رأساً، إلا نبياً واحدا. وقالوا: التوراة ما بشرت إلا بنبي واحد يأتي من بعد موسى، يصدق ما بين يديه من التوراة، ويحكم بحكمها، ولا يخالفها البتة».

وظهر في السامرة رجل يقال له الإلفان، ادعى النبوة، وزعم أنه هو الكوكب الذي ورد في التوراة أنه يضيء ضوء القمر. وكان ظهوره قبل المسيح عليه السلام بقريب من مئة سنة. وقد عرض القلقشندي وعلماء آخرون للسامرة وآرائهم وعقائدهم في التوراة وفي سنن يهود[٤].

وافترقت السامرة إلى دوستانية وهم الألفانية، وإلى كوسانية. والدوستانية معناها الفرقة المتفرقة الكاذبة. والكوسانية معناها الجماعة الصادقة. وهم يقرون بالآخرة

---

(١) التنبيه ص١٨٢.
(٢) المروج ١/ ٤٩.
(٣) الفصل في الملل والأهواء والنخل ١/ ١١٢ طبعة القاهرة ١٣١٧.
(٤) صبح الأعشى ١٣/ ٢٦٨ وما بعدها.

والثواب والعقاب فيها. والدوستانية تزعم أن الثواب والعقاب في الدنيا. وبين الفريقين أختلاف في الأحكام والشرائع.

وقبلة السامرة، جبل يقال له غريم، بين بيت المقدس ونابلس. قالوا: إن الله تعالى أمر داوود النبي، عليه السلام، أن يبنى بيت المقدس بجبل نابلس. وهو الطور الذي كلم الله عليه موسى، عليه السلام، فحول داوود إلى إيليا، وبنى البيت ثمة، وخالف الأمر، وظلم. والسامرة توجهوا إلى تلك القبلة دون سائر اليهود، ولغتهم غير لغة اليهود. وزعموا أن التوراة كانت بلسانهم، وهي قريبة من العبرانية، فنقلت إلى السريانية»[١].

وللسامرة لهجة خاصة اشتقت من الارمية، كتبوا بها، إلى جانب اليهودية. وهم لا يعترفون إلا بالتوراة، أي بإسفار موسى الخمسة المكتوبة بخطهم، وقد ترجموها بلغة عامية خاصة، نشأ منها «الترجوم السامري». وقد بقيت منهم بقية لا تزال تعيش في نابلس، على مقربة من خرائب مدينة السامرة القديمة، في سفح جبل جرزيم «Gerizim» مكان عبادتهم المقدس[٢]. وهم كالاسرائيليين ينتظرون مسيحاً، يسمونه في مؤلفاتهم الحديثة بـ«حاشا حيب» أو «حاطاحيب»، أي المرجع، ويعتقدون بالأرواح والملائكة وبخلود النفس وبالقيامة[٣].

وقصد المسعودي وأمثاله بالكوسانية والكوشانية لفظة «Kuthim» في العبرانية، التي أطلقت على السامرة، من أصل «كوته Cuthah» في أرض بابل بالعراق. وأما لفظة السامرة، فانها من «شامريم Shamerim» التي تطلقها السامرة على نفسها، ومعناها «الحراس» و«المراقبون» أي حراس الشريعة[٤].

وحنين بن إسحاق، هو عالم نصراني مشهور، ويعرف بأبي زيد العبادي، فهو من نصارى الحيرة، وهو من النساطرة ومن الأطباء. وله ترجمات لكتب يونانية في الطب وفي النبات وفي أمور فلسفية ودينية توفي سنة «٢٦٤هـ»، ٨٧٣ للميلاد[٥]. وقد بقيت من أعماله جملة مترجمات وبحوث. وقد ترجمه بعض العلماء المسلمين، وأثنى عليه

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل، حاشية على الفصل والملل ٢/ ٥٨.

(٢) شابو: اللغات الارامية وآدابها، القدس ١٩٣٠، ص٢٥، قاموس الكتاب المقدس ١/ ٥٣٤.

Hastings, Ency, of Relig, ana ethi, vol,11,p,the Universal Jewish Ency, Vol, 9,PP,336.

(٣) دائرة المعارف، للبستاني ٩/ ٤٠٧ وما بعدها.

(٤) The Universal Jewish, Ency, vol,9,pp, 335.

(٥) المخطوطات العربية لكتبة النصرانية ص٩٢.

ابن النديم فقال: «كان فاضلا في صناعة الطب، فصيحاً باللغة اليونانية والعربية. دار البلاد في جمع الكتب القديمة». وقد ذكر جملة من مؤلفاته، ولكنه لم يشر إلى ترجمة له للتوراة وللأناجيل. وله كتاب في تأريخ العالم والمبدأ والأنبياء والملوك والأمم والخلفاء، ابتدأ فيه بآدم ومن أتى من بعده، وذكر ملوك بني إسرائيل وملوك اليونان والرومان والمسلمين إلى أيامه في أيام الخليفة المتوكل»[(١)].

وقصد ابن النديم بـ «أسطورس الرئيس» نسطور رئيس النساطرة. واسقف «القسطنطنية» من سنة ٤٢٨ حتى سنة ٤٣١ للميلاد. ويقول النساطرة بوجود طبيعتين في المسيح. وقد عقدت عدة مجالس كنسية للبحث في هذه المسألة وفي مسائل أخرى سببت انقسام الكنيسة[(٢)]. وقد عاش النساطرة مع المسلمين، ومع ذلك لم يكن علمهم بهم عميقاً. وقد تحدث عنهم الشهرستاني فقال: «إنهم منسوبون إلى نسطور الحكيم، الذي ظهر في زمان المأمون، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه، وقال: ان الله واحد ذو أقانيم ثلاثة: الوجود، والعلم، والحياة. وان هذه الأقانيم، ليست بزائدة على الذات، ولا هي هي، وان الكلمة اتحدت بجسد المسيح، لا على طريق الامتزاج كما ذهبت إليه الملكانية، ولا على طريق الظهور كما قالته اليعقوبية»[(٣)].

وقد تحدث القلقشندي عن النساطرة مستمداً علمه من ابن العميد، المؤرخ النصراني، وله كتاب في التأريخ مطبوع، ومن الشهرستاني. وقد أخذ من ابن العميد إشارته إلى محاكمته بمدينة «أفسس» وتكفيره في المحاكمة التي جرت فيها. وذكر بعد ذلك أنه نفى إلى اخميم من صعيد مصر، ومات بها، فظهر مذهبه في نصارى المشرق من الجزيرة الفراتية والموصل والعراق وفارس[(٤)].

وأما العنانية، ففرقة من اليهود، تنسب إلى عنان بن داوود رئيس القرائين المتوفي بين سنتي ٧٩٠ و٨٠٠ للميلاد، وكان من مشاهير أحبار اليهود المشهور لهم بمعرفة التلمود. تنافس مع أخيه الأصغر حنانيا على رئاسة يهود في العراق، وذلك في حوالي سنة ٧٦٢ للميلاد، فحقد عليه أخوه، فوشى به عند الخليفة أبي جعفر المنصور، فقبض عليه وسجنه. وبقي مدة في السجن، حتى أفرج عنه بعد أن أظهر أنه رئيس مذهب، وأنه

---

(١) عيون الأنباء ١/ ٢٠٠.

(٢) Ency, of Reli, and Ethi, Vol, 9,PP,393.

(٣) صبح الاعشى ١٣/ ٢٨٠ وما بعدها.

(٤) المصدر نفسه.

يختلف في مذهبه عن بقية يهود. ويذكر أن الإمام أبا حنيفة التقى به أيام كان في السجن، فكلمه وسأله عن مذهبه، ولما عرف رأيه في اليهودية. أشار عليه ببيان مذهبه للخليفة، فلما وقف الخليفة عليه، أخرجه وأقره على رئاسة طائفته(١).

ولم يكن عنان مجتهداً أصيلاً في آرائه ومذهبه، بل كان مقتبساً ناقلاً في الغالب. أخذ من الصدوقيين «Sadduces»، ومن أتباع أبي عيسى الأصفهاني حوالي سنة ٦٩٠م، ومن «يدغان Yudghan» حوالي سنة ٧١٠م، ومن غيرهم. أخذ من الصدوقيين رأيهم في حرمة إشعال النار في أيام السبت، وفي الترجمة الحرفية للتوراة في جعل السبت في ليلة الأحد، وأخذ من العيسوية، أتباع أبي عيسى الأصفهاني، رأيها في صحة نزول الوحي على عيسى ومحمد وبنبوتهما بالنسبة للنصارى والمسلمين. وأخذ آراء أحبار آخرين في موضوع إضافة شهر آخر إلى السنة الكبيسة، بجعلها ثلاثة عشر شهراً، وهو شهر دعاه «شباط الثاني»، «شبات شيني Shebat Sheni»، وفي تثبيت صوم «Esther» باليوم الرابع عشر والخامس عشر من آذار(٢).

وقد تأثر عنان بالفقه الإسلامي، ومنه أخذ رأيه في الأخذ بالقياس في استنباط الأحكام. والقياس هو «هاكيش Hekesh» «هاكيش» و«ماه متزنو Mah Matzinu» في الفقه اليهودي(٣). ولعله أخذه من الإمام أبي حنيفة في أثناء اتصال به.

أما أبو عيسى الأصفهاني، فقد كان من يهود إيران. ادعى المهدوية، وأعلن نفسه المسيح الخامس والأخير، أرسله الله إلى بني إسرائيل، ليخلصهم من السبي، وليعيدهم إلى أرض إسرائيل، وقد ادعى أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، وأن ما ألفه وكتبه هو من الله أوحاه إليه. وقد حمله اعتقاده بأنه المسيح المنتظر والمخلص لإسرائيل، على الثورة على الخليفة أبي جعفر المنصور، فجمع جيشاً قوامه عشرة آلاف رجل، وثار به، ولكنه لم يتمكن من الصمود، فانهزم في معركة الري، وسقط في المعركة(٤).

ونجد في آراء أبي عيسى الأصفهاني آراء مأخوذة من «الصدوقية Sadducean»، كما نجد فيها بعض آراء منقولة عن النصرانية والإسلامية. وقد ذكر أنه تأثر بالأناجيل

---

(١) The Univer, Jewish Ency, vol,1, p 293.

(٢) The Univ, Jewish, Ency, Vol, 1P, 293.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) Univer,Jewish Ency, 5,P, 607.

وبالقرآن، واعتقد بصحة الديانتين النصرانية والإسلامية، وعدهما في حكم اليهودية من حيث الصحة، وعد الإنجيل والقرآن كتابين سماويين، لكنه اعتبر اليهودية هي الديانة الصحيحة اللازمة لليهود، وعلى اليهود أن يتمسكوا بها، لأنها ديانة خاصة بهم، نزلت فيهم. أما النصرانية والإسلامية، فلسائر الناس[١].

وقد رفض إتباع أبي عيسى خبر مقتله، واعتقدوا أنه حي لم يمت، وانه اختفى في كهف، وسيظهر حتماً ليتم أمر الله ورسالته إليه بإنقاذ إسرائيل وإعادتهم من المنفي، وقد بقيت منهم بقية في أصبهان ودمشق إلى القرن العاشر للميلاد، ثم انقرضت[٢].

ذلك هو مبلغ علم ابن النديم باليهودية والنصرانية والكتب المقدسة عند أصحاب الديانتين، وهو علم لا يتسم كما رأينا بالعمق، وفيه شيء من السطحية والاضطراب.

ولم يذكر ابن النديم من علماء يهود أحداً سوى «سعديا الفيومي»، وهو عالم يهودي شهير، قال: «ومن أفاضل اليهود وعلمائهم المتمكنين من اللغة العبرانية ويزعم اليهود أنها لم تر مثله، الفيومي. واسمه سعيد، ويقال سعديا، وكان قريب العهد. وقد أدركه جماعة في زماننا. وله من الكتب: كتاب المبادئ، كتاب الشرائع، كتاب تفسير أشعيا، كتاب تفسير التوراة نسقاً بلا شرح، كتاب الأمثال، وهو عشر مقالات، كتاب تفسير أحكام داوود، كتاب تفسير النكت، وهو تفسير زبور داوود عليه السلام، كتاب تفسير السفر الثالث من النصف الآخر من التوراة، مشروح، كتاب تفسير كتاب أيوب، كتاب إقامة الصلوات والشرائع، كتاب العبور وهو التأريخ»[٣].

ولم يذكر ابن النديم اسم محدثه عن الفيومي ولا بد أن يكون من اليهود الواقفين على أسماء مؤلفاته، وأخباره، والأغلب أن يكون من أتباعه المتشيعين له.

وسعديا، أو سعيد بن يوسف الفيومي، هو من أهل مصر في الأصل. ولد في «الفيوم» سنة ٨٩٢م في أغلب الروايات، أو سنة ٨٨٢م على رواية، ولهذا نسب إلى الفيوم[٤]. وقد غادر مصر إلى فلسطين فالعراق، فسكن في مدينة «سوراً» القريبة من

---

(١) The Univerm Jewish Ency, Vol,o, 604, Silver, A, History of Messianic Speculation, in Israel, 1924, p,p,Graeatz, History of the Jews, vol, 3,pp,124.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الفهرست ص٤٠ وما بعدها من الطبعة المصرية.

(٤) M.Aberbach, Saadia, Gaon, p,6.

«الحلة»، وكانت من أهم مراكز العلم والثقافة بالنسبة إلى اليهود في ذلك العهد، وتولى رئاسة يهود حتى سنة ٩٤٢م، ٣٣١هـ، فتوفي فيها، ودفن في قبر جعله اليهود مزاراً يقصدونه، من مختلف أنحاء العراق.

ولا نكاد نعرف من أخبار أسرته شيئاً يذكر، وذكر خصومه أن والده لم يكن يهودياً في الأصل، وإنما كان مصرياً متهوداً، فلما ولد «سعديا»، اتبع دين أبيه، ولكن أتباعه ومشايعيه يرون أنه من أصل يهودي قديم، وأن والده من نسل أحد أحبار يهود المعروفين. وقد كان والده عارفاً بديانة قومه، تولى بنفسه تثقيف ابنه سعديا وتعليمه، فعلمه أحكام دينه، فكان والده لذلك معلمه الأول.

كان «سعديا» محباً للتعلم والدرس مذ كان طفلاً، فدرس العلوم العربية بأنواعها، ودرس العبرانية والكتب الدينية اليهودية من توراة وتلمود ومشنا، وكتب دينية أخرى، وتعلم الإغريقية ومعارف اليونان. وأحاط بمعارف يومه من فلسفة ورياضيات وجغرافيا وتأريخ وموسيقى وشعر ولغة وهيئة وديانات، وانكب على تعلمها، حتى برع فيها، وحاز على شهرة كبيرة عند بني قومه يهود، وعند المسلمين كذلك.

ويقال: إنه، وهو في الثالثة والعشرين من عمره، اختلف مع قومه في بعض الآراء، وخاف على نفسه من هذا الاختلاف، لعدم تسامح مجتمعه في قضايا الاختلاف بالرأي، فهاجر إلى فلسطين وأقام أمداً في «طبرية» مركز العلم والثقافة عند اليهود في ذلك العهد. وقد اشتهرت بالعناية بدراسة التوراة والتلمود و«المدراشيم» وحديث يهود، وباللغة العبرانية، وبالمحافظة على التقاليد اليهودية القديمة، وبأخذها بظواهر النص وبالتمسك بالحرفية، وأخرجت جماعة من رجال العلم عندهم، اجتمع بهم وأخذ منهم، وزاد علمه بذلك باللغة العبرانية وبالعلوم اليهودية الدينية. وقد أفادته هذه الدراسة اللغوية فائدة كبيرة في الوقوف على اللغة وعلى التأليف فيها، فوضع معجماً لها، وألف في موضوعات نحوية ولغوية، ونشّط هذه الدراسة بعد أن كانت شبه ميته في ذلك الزمان.

ثم ترك «طبرية»، وسار إلى بلاد الشأم فالعراق، مركز العلم والثقافة في العالم يومئذ، واختار «سوراSura»، القريبة من «الحلة» مكاناً له. وكانت «سورا» مركزاً من مراكز العلم لليهود في العراق، لا ينافسها في ذلك إلا «فومبديثة Pumbedita» بجوار الأنبار، التي اشتهرت بمدارسها في دراسة التلمود وبعلمائها الذين ذاع صيتهم بين يهود العراق وفلسطين. وقد كانت مثل «سورا» من المستوطنات اليهودية القديمة التي سكن

فيها اليهود منذ أيام السبي، وتمتعت باستقلال في إدارة شؤونها وفق الشرع اليهودي.

وقد كان العراق في هذا العهد أعظم مكان في البلاد الإسلامية وفي العالم في دراسة العلوم الشرعية والعلوم العقلية، تنازعته آراء ومذاهب عديدة فلسفية وكلامية من دخول الآراء الفلسفية اليونانية إليه. ولم تكن هذه الآراء فلسفة يونانية خالصة، بل كانت مشوبة في الغالب بآراء غريبة نصرانية دخلت عليها، وآراء نبعت من الجهل بمفهوم الفلسفة اليونانية وبالنصوص اليونانية وباللغة الإغريقية. ثم إن أكثر المترجمات العربية، هي ترجمة مترجمات. فكثير من الذين ترجموا المؤلفات اليونانية إلى العربية، لم يكونوا يعرفون اللغة اليونانية، إنما ترجموها عن الترجمات السريانية. وقد كان بعضها شروحاً وتفاسير نصرانية، وضعها علماء نصارى من السريان على تلك المؤلفات، فاختلط الأصل بالشرح، وامتزجت الوثنية اليونانية بالنصرانية الشرقية، وجاء هذا الخليط شيئاً جديدا لم يكن من السهل على العلماء المسلمين، وجلّهم ممن ليكن يعرف اليونانية وفلسفتها بلسان أصحابها، من رجع تلك الفلسفة إلى عناصرها الأصلية النقية.

ولم يكن من الممكن بالنسبة إلى اليهود العراقيين عزل أنفسهم عزلاً تاماً عن غالبية السكان وهي إسلامية، ولا عن الأقليات النصرانية التي عاشت بين ظهرانيها، فتأثروا لذلك بالمؤثرات الفكرية التي سادت على هذا المحيط. وانجرف بعض علمائهم في هذه التيارات كما انجرف غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى، وظهرت بينهم الآراء التي اوجدت المعتزلة والأشعرية وأصحاب الظاهر وغيرهم من أصحاب المذاهب الكلامية والفقهية في الإسلام. وظهر بينهم جدل في المشكلات التي أثارت الجدل بين النصارى والمسلمين. وفي أمور أخرى مثل ظهور المسيح.

ونجد في كتب الملل والنحل والتواريخ أسماء رجال من اليهود قيل إنهم جاؤوا ببدع وآراء مناقضة لدين يهود، وأن نفراً منهم زعم أنه المسيح ا لموعود، ونسبوا أليهم أموراً تخالف شريعة موسى. ولكننا يجب أن نأخذ هذه الروايات على حذر، لأنها نقلت عن خصومهم وأعدائهم، والعادة في ذلك الزمن أن يسم المعارضون أعداءهم بتلك السمات دون مناقشة وجدل، وأن يتقدم رؤساء أهل الذمة إلى الخليفة أو من يقوم مقامه بتلك التهم ليأمر بتأديبهم ومعاقبتهم والقضاء على فتنتهم، لأنهم أهل ذمة وفي ذمة المسلمين، وان على الخليفة ومن يقوم مقامه لذلك حماية دينهم من أصحاب الفتن والشعوذة.

ومن هؤلاء رجل يقال له «إسحاق أبو عيسى بن يعقوب الاصبهاني» ذكر الشهرستاني في الملل والنحل أنه عرف عند قومه بـ «عوفيد الوهيم»، أي عابد الله، وسمي أتباعه: «العيسوية»، قال: إنه كان في زمن المنصور، وابتدأ دعوته في زمن آخر ملوك بني أمية مروان بن محمد، فاتبعه بشر كثير من اليهود. وكان يدعي أنه نبي، وأنه رسول المسيح المنتظر، وأنه زعم أن للمسيح خمسة من الرسل، يأتون قبله واحداً بعد واحد، وأن الله كلمه، وكلفه أن يخلص بني إسرائيل من أيدي الأمم العاصين والملوك الظالمين. وكان يوجب تصديق المسيح، ويعظم دعوة الداعي، ويدعى إن الداعي هو المسيح، وحرم الذبائح كلها، ونهى عن أكل كل ذي روح على الإطلاق طيراً كان أو بهيمة، وأوجب عشر صلوات، وأمر أصحابه بإقامتها وذكر أوقاتها، وخالف اليهود في كثير من أحكام الشريعة الكثيرة المذكورة في التوراة.

وذكر الشهرستاني أن أتباعه ادعوا له آيات ومعجزات، وأنه ذهب إلى يهود ما وراء النهر المرمل ليسمعهم كلامه، وأنه أوجد له أتباعاً، فلما اشتد أمره واشتط، وعصى الخليفة المنصور، حاربه أصحاب المنصور بالري، فقتل وقتل أصحابه[١].

وذكر الشهرستاني أيضاً اسم شيعة يهودية دعاها «العنانية»، نسبة إلى «عنان بن داوود» من يهود العراق في أيام الخليفة أبي جعفر المنصور، قال في أصحابها: إنهم يخالقون سائر اليهود في السبت والأعياد، وينهون عن أكل الطير والظباء والسمك والجراد، ويذبحون الحيوان على القفا، ويصدقون عيسى في مواعظه وإشاراته، ويقولون: إنه لم يخالف التوراة البتة، بل قررها، ودعا الناس إليها، وهو من بني إسرائيل المتعبدين بالتوراة ومن المستجيبين لموسى، إلا إنهم لا يقولون بنبوته.

وذكر أيضاً أن من هؤلاء من يقول: ان عيسى، لم يدع أنه نبي مرسل، وليس من بني إسرائيل، وليس هو صاحب شريعة ناسخة لشريعة موسى، بل هو من أولياء الله المخلصين العارفين بأحكام التوراة، وليس الإنجيل كتاباً أنزل عليه وحياً من الله، بل هو جمع أحواله من مبدئه إلى كماله، وإنما جمعه أربعة من أصحابه الحواريين، فكيف يكون كتاباً منزلاً؟ إلى أن قال: قالوا: واليهود ظلموه حيث كذبوه أولاً، ولم يعرفوا بعد دعواه، وقتلوه آخراً، ولم يعلموا بعد محله ومغزاه. وقد ورد في التوراة ذكر «المشيحا» في مواضع كثيرة، وذلك هو المسيح، ولكن لم ترد له النبوة ولا الشريعة الناسخة.

---

(١) الملل والنحل ص٥٠٦ طبعة القاهرة.

وورد «فارقليط»، وهو الرجل العالم، وكذلك ورد ذكره في الإنجيل، فوجب حمله على ما وجد. وعلى من ادعى غير ذلك تحقيقه وحده[1].

وقد أخذ الشهرستاني أخباره هذه عن العنانية، من موارد يهودية معارضة لهم على ما يظهر، ففيها إشارات أيضاً إلى ميل عنان إلى النصرانية، وهو طعن قصد منه غمزه ورميه بالأخذ من النصرانية وتأثره بها وبإبعاده لذلك عن يهود.

و«عنان بن داوود» هو ممن عاشوا في أيام الخليفة أبي جعفر المنصور أيضاً، فهو من رجال القرن الثامن الميلادي، ويقال: إنه توفي فيما بين ٧٩٠ و ٨٠٠ للميلاد، ويعرف أتباعه بـ«القرائين» وبـ«بني المقرا»، لاخذهم التوراة وحدها، ورفضهم «التلمود»، فانشقوا بذلك عن غالبية يهود التي تنظر إلى التلمود، نظرة المسلمين إلى الحديث، فالتلمود عندها أصل من أصول التشريع يلي التوراة في الحكم، ويذكر أنه اختلف مع قومه في ترشيحه لتولي منصب «رأس الجالوت»، و«ريش جالوتا» و«ريش كالوتا»، أي منصب عميد اليهود المتولي لأمورهم الذي يرجع إليه في إدارة أمور يهود الدنيوية وتنظيم شؤونهم، والممثل لهم عند الخليفة أو من يقوم مقامه. فلما لم يعينه قومه لهذا المنصب المهم، انشق عليهم، وخالف «الربانيين» وحمل عليهم[2].

ولم يكن من السهل على اليهود تحمل رأي القرائين في وجوب الأخذ بنص التوراة وحدها ونبذ التلمود، فأكثر أحكام اليهود مستمدة من التلمود والمشنا والكمارة، ومن فتاوى الأحبار والربانيين وأحكامهم، وهي مكملة ومتممة كلها للتوراة، ورفض هذه الموارد في نظرهم هو هدم لشريعة موسى وبقية الأنبياء. يضاف إلى ذلك ذهاب «عنان» وأتباعه مذهب أهل الاعتزال في الأصول وفي الفروع، وفي التوحيد والعدل والصفات، وفي الحسن والقبح، وفي الخلق والجبر والاختيار والمادة والهيولي وما شاكل ذلك من مشكلات أثارت جدلا حاداً بينهم وبين خصومهم اليهود، حتى ليصعب على المرء التفريق بين كتب المعتزلة وكتب القرائين في موضوعات علم الكلام.

وعلى الرغم مما عرف عن اليهود من التمسك بأحكام الشريعة على نحو ما وردت، وبالتعلق بالحديث وبأقوال علمائهم وفتاواهم، فقد لقيت آراء «عنان» رواجاً بين يهود العراق حمل «رأس الجالوت» على مراجعة الخليفة بشأن فتنته، متهما إياه

---

(١) الملل والنحل ص٥٠٣ طبعة القاهرة.

(٢) Aberbach,P,8.

بالكفر والابتداع والخروج على دين يهود، حتى أصدر الخليفة أمره بحبسه ويقال: إنه لقي، وهو في الحبس، أبا حنيفة النعمان بن ثابت، فقص عليه قصته، فأشار عليه أن يتقدم إلى الخليفة برأي، هو: أنه لم يكن مبتدعاً كافراً، وإنما هو صاحب رأي واجتهاد، له رأي في الدين، وبذلك ينجو من السجن، فنجا[1]، فأخرجه الخليفة، وذهب إلى فلسطين.

وقد وضع «عنان» كتابين: كتاب القرائض، وكتاب الفذلكة، ونشط وهو في القدس لنشر دعوته، ووجد له اتباعاً، نشروا دعوتهم في أماكن بعيدة أيضاً، مثل مصر وشمال افريقية والأندلس، حتى بلغوا روسية، ولكنهم تشتتوا فيما بعد، وتخالفوا، ومع ذلك بقيت لهم بقية حتى الآن[2].

وفي جملة الفئات المتناثر من القرائين، جماعة عرفت بالعكبرية، نسبة إلى إسماعيل العكبري، وموسويه العكبري، من معاصري الخليفة المعتصم بالله العباسي[3].

وفي جملة ما آخذ به الربانيون القرائين، أخذهم بالإهلال في تعيين الشهور وتثبيت الأعياد، أي بوجوب رؤية الهلال بالعين وثبوت ذلك بشهادة شهود عدول على نحو ما يفعل المسلمون. وقضية الإهلال هي من المسائل الفقهية التي أثارت جدلاً عند اليهود، فقد درج العبرانيون بعد جدل واختلاف على تثبيت التقويم العبراني، فصارت الأعياد بموجبه ثابتة معروفة. والإهلال يتعارض مع هذا التقويم، ويجعل أيام الأعياد متغيرة، وهذا مما يربك اليهود، ويجعل العيد اليهودي أعياداً.

وكان من بين من حارب القرائين وشدد النكير عليهم، «سعديا الفيومي»، حاربهم في المعابد، وردّ عليهم مبيناً فساد نحلتهم وآرائهم. رأى أن في معارضتهم للتلمود تمزيقاً لليهودية وقضاء عليها، فالتلمود هو جل تعاليم يهود، ورفض التلمود معناه رفض اليهودية وإبطال أحكامها وكيف يستطيع اليهودي فهم التوراة إذا أعرض عن التلمود وعن تفاسير الربانيين، وأخذ يلتمس مواطن الضعف في العنانية فيسدد السهام إليها؟ لقد

---

(١) ضحى الإسلام ٢/ ٣٤٦.

(٢) دائرة المعارف اليهودية مادة Karaite.

Martin Schreiner, Der Kalam in der Judischen Literature, Berlin, 1895.

(٣) رحلة بنيامين ص١٣٠.

عمد القراؤن إلى التفسير الحر في للتوراة، فدفعهم ذلك إلى الجمود، فتشددوا في حرمة السبت تشدداً صيرّه تزمتاً، فحبسوا أنفسهم في أيام السبت، ولم يتنقلوا، ولم يسمحوا بالإضاءة ولا باستدعاء الطبيب فيه أو احضاء الدواء وطبخ الطعام لمريض، وقضوا ليلة السبت في ظلام دامس، وتشددوا في أمور أخرى تساهل فيها الربانيون لوجود فتاوى في التلمود وفي الكتب الأخرى تبيح لليهودي القيام بمثل هذه الأعمال عند الضرورات[١].

وكان في جملة من عارض القرائين وردّ عليهم بعنف، «هارون بن مئير» رأس «مدراش» طبرية، ومن أحبار فلسطين الذين ذاع اسمهم في الخارج وانتشر حتى بلغ يهود العراق. وكان من معاصري «سعديا» ومن خصومه اللدّ وإن اتفقا في معاداتهما هذه للقرائين. فقد أصدر «هارون» أمراً بتعديل التقويم العبراني وبإجراء تعديل فيه أدى إلى تغيير مواعد الأعياد قليلاً، فتقدمت يومين على الأوقات المثبتة في التقاويم. وأدى هذا التغيير إلى وقوع خلاف بين أتباعه وبين اليهود الذين أبوا قبول ذلك التعديل وتمسكوا بالتقويم السابق. وإلى انقسام اليهود إلى طائفتين في الأعياد. وهذا مما أثار «سعديا» الذي كان يحارب الفرقة ويدعو إلى الوحدة[٢]. فردّ عليه ردّاً عنيفاً، وهاجمه في وعظه وفي تآليفه، وأرسل رسائل عديدة إلى «طبرية» وإلى مواضع أخرى من فلسطين في الرد عليه، حتى تمكن من التأثير فيمن اتبعوه، فتراجع أكثرهم عن تقويمه، وعادوا إلى استعمال التقويم القديم.

ولـ «سعديا» مؤلفات عديدة ألفها بالعربية، وقد سمي ابن النديم أغلبها، وله مؤلفات بالعبرانية كذلك، ومن مؤلفاته «كتاب التاج»، وهو ترجمة أسفار العهد القديم إلى اللغة العربية. وكتب في تفسير بعض أسفار التوراة مثل: كتاب تفسير أشعيا، وكتاب تفسير النكت وهو تفسير زبور داوود، وكتاب تفسير السفر الثالث من النصف الآخر من التوراة مشروح، كتاب تفسير كتاب أيوب، وكتاب تفسير التوراة نسقاً بلا شرح[٣].

وتعد ترجمة «سعديا» للتوراة من أقدم الترجمات المعروفة في العربية حتى أن

---

(١) Saadia Gaon,p,11.

(٢) Saadia Gaon ,pp,12.

(٣) الفهرست ص٤٠.

بعض علماء اليهود المحدثين ذكر أن ترجمته هذه كانت أول ترجمة عربية كاملة للتوراة(١).

وذكر ابن النديم أن أحمد بن عبد الله بن سلام كان قد ترجم التوراة أيضاً، وترجم كتباً دينية أخرى، يهودية ونصرانية وصابئية، ترجمها من العبرانية واليونانية والصابئية، ويريد بها لغة بني إرم ترجمها ترجمة حرفية كلمة كلمة مع محافظته على المعنى والنسق العربي. ترجمها «لأمير المؤمنين هارون»، وهو هارون الرشيد. وقد وقف عليها ابن النديم وقرأها ونقل منها، وكانت في كتاب قديم، يظهر أنه من خزانة كتب المأمون(٢).

ويظهر أن الشروح والتفاسير التي ذكرها «ابن النديم»، هي تفاسير لأسفار من التوراة. ألفها «سعديا» لتساعد اليهود وغيرهم على فهم الأسفار والوقوف على معانيها، كما فعل المسلمون في تفسير القرآن الكريم أو في تفسير سور منه، فسرّها استناداً إلى ما جاء في التلمود وفي الكتب الدينية الأخرى التي ألفها الأحبار، فساعد في تقريب التوراة والموارد الدينية الأخرى إلى عقول اليهود، وعمل على إحياء الدراسات العبرانية القديمة التي أصيبت قبل أيامه بخمول وإهمال.

وعلى رأس مؤلفات سعديا مؤلفه المعروف بـ«كتاب الأمانات والاعتقادات»، ألفه في بغداد سنة ٣٢١ - ٣٢٢ للهجرة ٩٣٣م باللغة العربية، ونقله «يهودا بن تبون» «Judah b Tibbon» إلى العبرانية وسماه «سفر امونوت وديعوت» «Sefer Emunot we - Deot»(٣). وقد طبع «لاندور Landauer» النص العربي في سنة ١٨٨٠م بمدينة «ليدن»، أما الترجمة العبرانية، فقد طبعت مراراً(٤).

ولسعديا «كتاب الخليقة»، «سفر يتسيره Sefer yetsirah»، وهو في التصوف وفي موضوعات من علم الكلام، ألفه في سنة ٩٣١م، وكان في أوج خصومه مع «داوود بن زكاي David ben Zaccai». وقد تطرق فيه إلى قضايا متعددة: كقضية الكون والخلق والقدم والله، وذهب فيه إلى أن الأرض كروية على عكس ما ذهب إليه معظم أصحابه في ذلك العهد، كما ذهب إلى وجود أثر للنجوم وللأعداد في حياة الإنسان(٥).

---

(١) Saadia Gaon, p, 27, Rodwells,the Koran ,p,11.

(٢) الفهرست ص٣٨ وما بعدها.

(٣) Oleary, Arabic Thought, P,258, Saadia Gaon,p, 29.

(٤) Isaac Husik, a Histort of mediaeval Jewish Philosophy,p.444.

(٥) Jacob Guttmann, Die Religionphilosophie des saadia Gottingen, 1882. =

ومن أقدم مؤلفاته التي وضعها في أول عهده بالتأليف معجمه العبراني المعروف بـ «سيفر هاجرون Sefer Hagron»، وهو معجم في اللغة العبرانية، باد ولم يبق منه إلا مقدمته العبرانية والعربية ونبذ قليلة. وقد أراد «سعديا» أن يحيي به اللغة العبرانية ويساعد طلابها في فهمها والوقوف عليها. وتحدث فيه أيضاً عن القواعد النحوية والصرفية الأساسية لهذه اللغة، كما وضع ترانيم دينية لتتلى في المعابد في أثناء الصلوات، عبرت عن معان دينية عميقة وعن حس ديني مرهف[١].

ويتبين من دراسة «كتاب الأمانات والاعتقادات»، إن «سعيداً الفيومي» كان قد سلك طريق المعتزلة في تأليفه، وتأثر بآرائهم في التوحيد والعدل والصفات، وفي البحث عن المادة والهيولي والمقولات العشر وبقية البحوث التي تعرض لها أهل الاعتزال، واستخدم براهينهم وحججهم، ولكنه إذ سلك طريقهم هذا وأخذ بأدلتهم في التوفيق ين العقل والنقل، فإنما فعل ذلك رغبة منه في التوفيق بين الشريعة الموسوية والآراء الفلسفية، لجلب اليقين إلى نفوس اليهود، ولترسيخ اليهودية فيهم، ولإثبات أن اليهودية، ولاسيما تعاليم التلمود منها، لا تتعارض مع العقل ولا تصطدم بالفلسفة وعلوم الطبيعة. وللسبب نفسه درس مؤلفات أرسطو العربية بصورها المختلفة، على طريقة أهل العراق في هذا الزمن، وحاول جهده التوفيق بين الفلسفة الارسطوطاليسية وشريعة يهود[٢]، فكان مثله في ذلك مثل الفلاسفة المسلمين كالكندي والفارابي وابن سينا وأمثالهم، ممن حاولوا جهده التوفيق بين الشريعة والفلسفة، وإثبات أنهما متوافقان ومتلائمان.

وفي جملة ما بحثه موضوع صفات الله الواردة في التوراة وفي التلمود والكتب الدينية الأخرى، وفي بعضها دلالة على التجسيم والتشبيه، مثل يد الله، وعرش الله، ورأس الله وعين الله، وفي بعض آخر دلالة على انفعالات لا تقع إلا للإنسان، مثل رضى الله وغضب الله وعظمة الله ورحمة الله وأمثالها، فذهب في ذلك مذهب المعتزلة. ذهب إلى أنها صفات ذوات معان مجازية، وإن دلّت على تجسيم وتشبيه وانفعالات. أنها أبعد ما تكون عن التجسيم والتشبيه والانفعالات. فالله واحد أحد، ليس له مثيل

= D, j, Engelkemper, Saadia Gaons Religionphilosophische Lehre uber die heilige Schrift, munster, 1903. Saadia gaon, pp, 28.

(١) Saadia Gaon, p,27.

(٢) Isaac Husik, A history of mediaeval Jewish philosophy,p, 26.

ولا شبيه، ولا يشبه الأشياء. وورود هذه الصفات على هذا لنحو، إنما هو نوع من أنواع البلاغة في التعبير[1].

وقد استعان «سعديا» بمقولات أرسطو العشر «The Ten Categoris»، لإثبات أن الله الخالق لا يشبه خلقه، وأن المخلوقات لا تشبه خالقها البتة، وأن كل ما في الكون مخلوق. وهو إما جوهر، وإما عرض، والجوهر هو أول المقولات العشر وأهمها، وأن الله هو السبب الأول للجوهر والعرض، لذلك لا يمكن أن يكون الجوهر أو العرض مثل الخالق. وهكذا سخر مقولات أرسطو، الذي لم يكن بالطبع موحداً ولا مؤمناً إيمان أهل الأديان السماوية، لنفي الشبه عن الله.

وفي جملة ما بحثه من موضوعات، موضوع «الروح». وهو موضوع شائك محير. فقد ذهب بعضهم إلى أن الروح عنصر مثل الهواء أو النار، حل في الجسم، يعرف من فعله. وذهب بعض آخر إلى أنها عرض من أعراض الجسم، مرتبط به، ووجودها بوجوده، فإذا هلك الجسم، هلكت روحه. وأنكر آخرون وجودها، ونسبوا ما يقال له الروح إلى فعل المادة التي هي الجسم. وقد ذهب «سعديا» إلى أن الروح جوهر يخلقه الله، في الوقت الذي يخلق فيه الجسم، فهو جوهر حادث، لم يكن له وجود قبل الأجسام، فخالف بذلك رأي «أفلاطون» القائل إن الأرواح أبدية، وقد خلقت منذ الأزل وقبل خلق الأجسام وذلك بسبب استحالة وقوع الأزلية بالنسبة إلى المخلوقات. ولما كانت الروح من خلق الله، فلا يمكن أن تكون أزلية منذ القدم إذن. وهي لم تدخل الأجسام من الخارج، وإنما خلقت معه وفيه. وهي ليست مادة بالمعنى المفهوم من المادة، وإنما هي جوهر لطيف، لا تمكن رؤيته، وإنما يدرك أثره، تحس بنفسها، والجسم هو الآلة التي تظهر فعل الروح. ولولا الروح لما دبّت الحياة فيه، ولا اكتسب العلم. ويتجلى فعل الروح في الجسم في العقل والنفس والإرادة. ولكنه لم يذهب مذهب أفلاطون في تقسيم الروح إلى أقسام عديدة، جعل لكل قسم منطقة معينة حلت فيها من الجسد، بل ذهب إلى أن تلك المظاهر الثلاثة للروح تعود كلها إلى الروح، ومركزها القلب. ومن القلب يكون الحس والإدراك.

وزعم أن اقتران الروح بالجسد، بسبب أن الروح لا يمكن أن تعمل إلا بجسد تكون فيه. ووجودها بغير جسد، هو هباء وعبث. ولولا الأجساد، لما صار للأرواح

---

(١) Isaac husik, a History, p,34.

فعل وعمل، ولما صارت لها قيمة وشأن، فالأجساد ضرورة للروح لازمة، واقتران الروح بها هو من رحمة الله للإنسان، وليس الجسد سجنا لها كما زعم أصحاب الأفلاطونية الحديثة، الذين رأوا أن خلاص الإنسان من سجن الدنيا، هو بخلاص الروح من الجسد، أي بانطلاقها منه؛ لان المادة، والأجساد نفسها مادة، هي شر ونجاسة، وقد ألقى الله على زعمها بالروح في الجسم عقاباً لها على الخطيئة ولن يكون الخلاص من هذه الخطيئة بخروج الروح من الجسد.

وقد ذهب في موضوع اللطف والحسن والقبح والأفعال والوحي والعقاب مذهب أهل الاعتزال أيضاً. وهكذا أدخل «سعيد» مذهب المعتزلة في علم الكلام إلى اليهودية، وغايته من ذلك معالجة تلك المشكلات التي جابهت اليهود في العراق وفي كل مكان فأثارت شكوكاً في نفوس كثير من اليهود في الشريعة الموسوية، وفي التئامها مع العقل، فحاول جهد إمكانه إثبات أن اليهودية لا تتعارض مع العقل، وأن العقل والإيمان هما توأمان متلازمان، وأنهما من منبع واحد. ولا يتعارضان[1].

لقد كان للعراق أثر كبير في توجيه «سعيد الفيومي» وفي طريقة تفكيره. فالعراق منذ زمن قبل الإسلام مكان في من أمكنة الجدل والمناقشة والنقد في الشرق الأوسط، وموضع من اشهر المواضع التي عرفت بظهور المذاهب فيه، وفي أيام وصول هذا العالم اليهودي إلى العراق قادماً من مصر، البلد الهادئ المؤمن، كان الجدل قد بلغ اوجه في الكوفة وبغداد والبصرة في موضوعات علم الكلام والفلسفة، بالإضافة إلى النزعات والاتجاهات التي حملها أناس متحللون، ونفر أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر به وبالأديان، وجماعة شكت في كل شيء، وادعت أنها لا تخضع إلا للعقل، فكان من الطبيعي أن يتأثر «الفيومي» بهذه البيأة الجديدة التي عاش فيها ومات فيها، وأن يظهر ذلك التأثر في الاتجاه الفلسفي الديني الذي سيطر عليه.

وهناك عالم يهودي اخر، تأثر بمذهب أهل الاعتزال وسار على نهجهم في علم الكلام، هو «داوود بن مروان» المعروف بالمقمص وبالرقي نسبة إلى الرقة وبالواسطي العاقولي، لم يقف ابن النديم على خبره، فلم يشر إليه. ولا نعرف من أمره إلا ما ذكره «يهودا بن برزلاي Judah ben barzilai» مفسر «سفر الخلق Sefer yezirah» فقد قال عنه: إنه كان معاصراً لسعيد الفيومي، وقد تعلم منه كثيراً.

(١) Saadia gaon,p,28.

وللمقمص كتاب باللغة العربية في علم الكلام، «عشرون فصلاً»، ضاعت خمسة فصول منه، وبقي خمسة عشر فصلاً منها، ظفر بها أحد المستشرقين الروس في سنة ١٨٩٨م(١).

وإذا أضفنا إلى هذين المتكلمين، عالماً يهودياً آخر اسمه «إسحاق بن سليمان الإسرائيلي» المتوفي قريباً من سنة ٣٢٠ للهجرة ومن مواليد مصر، الذين مارسوا الطب وانتقل إلى القيروان، واشتغل عند الفاطميين، نكون قد وقفنا على أقدم المتكلمين والفلاسفة عند اليهود في العصور الإسلامية. وكان قد درس الطب على إسحاق بن عمران الملقب بـ «سم ساعة» البغدادي الأصل ونزيل القيروان، وشيخ أطباء زمانه بالمغرب، وناشر الطب هناك، ولازمه حتى برز في هذا العلم. وألف كتباً شهيرة فيه، مثل كتابه «في البول»، «فإنه أشبع كتاب ألفه مؤلف، بذّ فيه جميع المتقدمين، وكتابه في الحميات، وكتابه في الغذاء والدواء». واشتغل مع ذلك بعلوم الفلسفة والمنطق، وألف فيها: «كتابه الذي سمّاه بستان الحكمة، وكتابه في الحدود وكتابه في المنطق، وكتابه في الترياق»(٢). وحصل بها على شهرة واسعة بين الفلاسفة اليهود.

وقد انتقلت شهرته إلى الغربيين بفضل ترجمة «قسطنطين افر» «Constantinus Afer» لمؤلفاته إلى اللغة اللاتينية بواسطة هذه الترجمات وقف علماء الغرب ومفكروه يومئذ مثل «البرتس مكنوس Alberteus Aagnus» و«Vincent of Beauvais» «وتوماس اكوينو Thomas Aquinos» وأضرابهما على آرائه وأنكاره. ويتبين من مؤلفاته التي وضعها بالعربية، وفقدت ولم يبق منها غير نتف وغير ترجماتها العبرانية واللاتينية، أنه كان طبيباً فيلسوفاً، حاول التوفيق بين الآراء الفلسفية الأسطورطاليسية والأفلاطونية الحديثة، وذلك على نحو ما فهمها ووقف عليها بثوبها العربي. أما مباحث علم الكلام، فقلما عني بها، فهو بذلك على عكس «سعيد الفيومي» و«المقمص». وإما الموضوعات اليهودية والشريعة اليهودية، فلم يبحث فيها، ولم يهمه أمرها، إذ كان طبيباً فيلسوفاً أولاً، ولم يهتم بالتوراة وبالشريعة إلا بقدر مالها من صلة بالفلسفة والطب(٣).

ويعد «يوسف بن إبراهيم البصير»، وهو من القرائين، من علماء الكلام الذين

---

(١) Isaac husik, pp, 17.

(٢) ابن جلجل ص٨٧، ابن أبي اصيبعة ٢/ ٣٧. Brocklemann, band,I,s, 235, suppl, I,s, 421.

(٣) I Isaac husik,p,16.

أدخلوا رأي أهل الاعتزال إلى اليهودية، بل كان أكثر تقيداً بآراء المعتزلة من «سعيد الفيومي». إذ كان الفيومي قد خالف بعض آراء المعتزلة، ولم يستعمل كل أدلتهم حججهم في إثبات آرائهم. أما «البصير»، فقد اعتمد على منطقهم كلية، وتأثر بآرائهم إلى حد كبير. وبتأثيره ولا شك غرف تلميذه «يوشع بن يهودا» المعروف بـ «أبي الفرج فرقان ابن أسد»، من معين الاعتزال أيضاً. وقد كان من وجوه القرائين البارزين في فلسطين ومن فقهائهم. ويظهر في فقهه أثر الفقه الإسلامي[1].

وشاء يهود الأندلس منافسة يهود العراق ومدارس العراق في باب الفلسفة والكلام والتوفيق بين العقل والنقل. فبعد أن كانت «سورا» و«فومبديثة» وبغداد، تمدّ يهود بلاد الشام وبلاد إفريقيا والأندلس الآراء الفلسفية وبينابيع الحكمة، وبالإحكام الدينية وتثبيت التقاويم، وتجيب عن الفتاوى والمسائل المتعلقة بالشريعة، تمكن رجال من يهود الأندلس وشمال إفريقيا من منافسة رجال العراق في زعامة الفكر اليهودي المتأثر بالفكر الإسلامي. فظهر في الأندلس مفكر يهودي اسمه «سليمان بن جبرول» «Solomon ibn gabirol» وجماعة آخرون ألفوا في هذه العلوم وتفوقوا فيها ولفتوا إليهم انتباه العالم اليهودي، وذلك بفضل أثر الثقافة الإسلامية فيهم، وبمساعدة الحكام المسلمين لهم.

والفضل في ظهور هذه النهضة يرجع إلى «الحكم بن عبد الرحمان الناصر لدين الله، أمير الأندلس» فقد كان هذا الأمير سمحاً متسامحاً، محبّاً للأدب والفلسفة مشجعاً للعلماء والباحثين. اختار له طبيباً من اليهود، اسمه «حسداي بن شفروط Hasdai ibn Shaprut» المتوفي سنة ٣٦٠ أو ٣٨٠ للهجرة، وكان «حسداي» مثل أميره وحاميه، محبّاً للعلوم والآداب مشجعاً للباحثين، فشجع أبناء دينه على الانصراف إلى دراسة العلوم اليهودية والحكمة والفلسفة والعلوم الزمانية، واستدرج العلماء إليه، ورفّه عنهم وأغدق عليهم، فساعد بذلك على جعل قرطبة مركزاً خطيراً من مراكز الحركة الفكرية عند المسلمين من في ذمتهم من يهود، فاستقل بذلك يهود الأندلس، ولم يعودوا يراجعون يهود بغداد في تعلم علمهم وفقههم وأحكام دينهم، وبعث الحركة الأدبية، وذلك بدراسة العبرية صرفاً ونحواً، وأخذ بيد «موسى بن أنوخ «اخنوخ» «Moses Ben Encoch»، وهو عالم يهودي من أهل العراق، اشتهر بعلمه بالتلمود، جاء إلى قرطبة،

---

(١) Isaac husik, p, 55, F,Frankl. Ein Mutazilitischer Kalam aus dem 10. Jahrhundert, Wien, 1872, Miska Klein, Juzuf A Basir AL Kitab, Al Muhtavi, Budapest, 1915.

فأقام بها، وأخذ يشرح ليهودها أحكام التلمود، وبذلك خلق هذه الدراسة في الأندلس. واتصل بابن «سعيد الفيومي»، وراسله ليساعده في حل مشكلات فلسفية وكلامية عبرانية، وأخذ بيد «مناحيم بن سروق» وهو أول من دوّن المعجم العبري، وعني بنحو العبرانية وصرفها، و«دوناش بن لبرط» الشاعر العبري الذي جدد الشعر العبري بإدخاله البحور العربية فيه، و«ابو كريا يحيى بن داوود بن حيوج» النحوي، وله مؤلفات في الصرف والنحو. و«أبو الوليد مروان ابن جناح» من علماء اليهود المعروفين وغيرهم. وصيرّ هؤلاء قرطبة مركزاً من مراكز الثقافة اليهودية في المغرب مدة قرون عدة، وصيرّ هؤلاء قرطبة مركزاً من مراكز الثقافة اليهودية في المغرب مدة قرون عدة، وينبوعاً غذى أوربة في القرون الوسطى بالثقافة الإسلامية بوساطة يهود قرطبة والأندلس، الذين كانوا على اتصال بإخوانهم يهود أوربة وبعلماء النصرانية في تلك الديار[١].

وكان من ثمرة هذه الحركة بروز «سليمان بن جبيرول Salomon Ibn Gabirol» المعروف أيضاً بـ «أبي أيوب سليمان بن يحيى بن جبيرول»، المتوفي في حدود سنة ٤٥٠ للهجرة، ١٠٥٨م[٢]، أو في حدود سنة ٤٦٢هـ ١٠٧٠م، على رواية أخرى[٣]، من فلاسفة الأندلس المعروفين الذين اشتهر اسمهم في أوربة خاصةً، ومن أوائل روّاد الفلسفة في الأندلس. وقد عرف بين الأوربيين وفي البيأت الفلسفية الغربية بـ «Avencebrol» «وبـ «Aviceborn» «وبـ «Avicembron»[٤].

وقد كان شاعراً معروفاً كذلك. رنم شعره في معابد اليهود «السيفاريد» «Sepharid» و«الأشقنيز Ashkenazie»، وعرف بكتابه «ينبوع الحياة» «The Fonntain of life»، الذي ألفه بالعربية، وعرف بـ «مقومر خايم» «Maqor chayim» في العبرانية، وترجم إلى اللاتينية بعنوان: «Fons Vita». ترجم في مدينة «طليطلة Toledo» بأمر من رئيس أساقفة طليطلة «ريموند» في أواسط القرن الثاني عشر. وقام بالترجمة «الدومينانكي جنديسالينوس Domiaicus Gundissalinus». بمساعدة طبيب يهودي متنصر اسمه «ابن

---

(١) موسى بن ميمون، لولفنسون ص٤، ابن أبي صبيعة ٢/ ٥٠، ابن جلجل ص٢٢.
Isaac husik pp, 59, Oleary, Arabic thought, p, 241, josefe ben zabara, new york, 1932, p,7.

(٢) Oleary.p.242.

(٣) Issac husik.p.60.

(٤) Issac husikp.69 F. Oleary.p.242.

داوود» «Avendehut» «Avendeath» الذي عرف بعد تنصره باسم «يوحنا الأسباني «johannes Huspanus» «Johannes Hispalensis»[(١)].

ولعدم استشهاد هذا الفيلسوف بأية آية من التوراة أو بأي قول من التلمود ومن الكتب الدينية اليهودية الأخرى، ولكون الكتاب فلسفياً، مكتوباً بالعربية في الأصل، ظن بعض علماء الغرب أنه من مؤلفات فيلسوف عربي، ولشهرته عند الدومينيكان وعند الفرنسيسكان، ولوجود كثير من الآراء الموافقة للآراء النصرانية فيه، رأى بعض آخر أنه من مؤلفات عالم نصراني، وظل العلماء في شك من أمره حتى منتصف القرن التاسع عشر، حيث عثر على ترجمة عبرانية للكتاب، تبين من مقدمتها أن مؤلفه «ابن جبيرول»، لم يكن نصرانياً ولا مسلماً، وإنما كان يهودياً فيلسوفاً على مذهب الأفلاطونية الحديثة في الفلسفة[(٢)]. ويظهر أنه لم يكن من المعنيين بالبحوث التوراتية والتلمودية، ولهذا لم يتطرق إليها في هذا الكتاب.

وقد تبين أن «ابن جبيرول»، هو من أوائل الفلاسفة الذين أدخلوا الأفلاطونية الحديثة إلى الأندلس وأشاعها هناك، كما أنه ساعد على نشرها في أوربة. غير أنه لم يكن من المتعلقين بالأفلاطونية الحديثة كل التعلق، فقد أخذ ببعض الآراء الارسطوطاليسية كذلك، والواقع أن أصحاب المذهب الأفلاطوني الحديث، وعلى رأسهم مؤسس المذهب «أفلوطين Piotinus»، كانوا قد أخذوا من فلسفة أرسطوطاليس، واقتبسوا منها، للتوفيق بينها وبين مذهبهم الجديد.

ولابن جبيرول مؤلف في الأخلاق ألفه باللغة العربية، ونقله شيخ المترجمين في زمانه «يهوذا بن تبون Judah Ibn Tobbon» من العربية إلى العربية. وقد عرف ذلك الكتاب بـ«تقويم النفس» «إصلاح النفس». وقد بقي الأصل العربي، وطبع في سنة ١٩٠١م بأصله العربي مع ترجمته الإنكليزية[(٣)]، كما بقيت الترجمة العبرية، وطبعت عدّة مرات[(٤)].

وانتشر هذا الكتاب بين اليهود انتشاراً واسعاً، فتداولته أيديهم بنصه العربي،

---

(١) Oleary .p, 242, Isaac husik, p, 60, baumer, Avencebrolis fons vitae, Mnnster, 1895.

(٢) موسى بن ميمون ص٥٩, Issac husik, pp,٦٥.

(٣) By Stephen ,s,wise.

(٤) Issac husik, p,71.

وبترجمته العبرية، على عكس كتابه الفلسفي «ينبوع الحياة»، مع أنه أهم منه، وأكثر عمقاً. والسبب في ذلك أن «تقويم النفس»، هو في الأخلاق وفي تهذيب النفس، وفيه مقتبسات من التوراة، خلعت عليه طابعاً يهودياً، كما حوى أمثلة وعظات نقلت من الكتّاب العرب المسلمين الذين لهم أسلوبهم الخاص في المواعظ وإصلاح النفس، وجعلته مستساغاً في أذواق القراء.

كما أن له مجموعة في الحكم، جمعت حكما لحكماء من اليونان والعرب، طبعت في سنة ١٨٤٤م بمدينة «هامبروك»(١).

ولم يكن «يحيى بن يوسف بن بقودة» من رجال القرن الحادي عشر للميلاد، ومؤلف كتاب «الهداية إلى فرائض القلوب» المؤلف بالعربية، من المتعمقين في الفلسفة الأفلاطونية الحديثة على نمط «ابن جبيرول»، إنما كان فيلسوفاً أخلاقياً، وكان «ديانا» على اليهود أي قاضياً(٢). نرى بعض آرائه الفلسفية والحكمية في الكتاب المذكور الذي نقل إلى العبرية، واتخذ من آداب التوراة وحكم القضاة اليهود أمثلة لليهود في الآداب. ويظهر عليه تأثره بآراء المتكلمين(٣).

وقد طبع في أوربة كتاب بعنوان «معاني النفس»، طبعة المستشرق «كولدتزهير Goldziher»، ونسبه إلى «يحيى»، كما نشرت ترجمته العبرية، غير أن اتجاه الكتاب وتأثر مؤلفه بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة، وعدم اتفاق بعض فصوله مع آراء علماء الكلام، كل ذلك يشير إلى أن الكتاب لمؤلف آخر، له رأي فلسفي يختلف عن رأي «يحيى»(٤).

وفي النصف الأول من القرن الثاني عشر قام «إبراهيم بن حيا Abraham bar Hiya» المعروف بالأمير وبـ«Abraham Savasorda»، أي «إبراهيم صاحب الشرطة»، بعمل ثقافي مهم، فنقل العلوم مثل الرياضيات والفلك وأصول ضبط التقاويم، من الشرق إلى الغرب، إذ نقل كتب العلوم العربية إلى اللاتينية، تلبية لرجاء أصدقائه في فرنسة وألمانية، وألف كتباً في الرياضيات وفي الفلك وفي فروع العلم الأخرى بالعبرية،

---

(١) Oleary, p,245.

(٢) Saac husik.pp.80.

(٣) D, Kaufmann, DieTheolegie des ibn Pakuda. Vol,II, Franfurt. 1910. J.H. Hertz, Bachgi, The Jewish Thomas A kempis. New york, 1898.

(٤) Isaac husik.pp.106.

استجابة لرغبة أصدقائه اليهود في فرنسة وفي ألمانية، الذين لم يكن في وسعهم أخذ هذه العلوم من المؤلفات العربية، فكان من أوائل من قاموا بتأليف كتب العلوم بالعبرية(١).

وأما «يوسف بن يعقوب بن صديق»، دّيان قرطبة أي قاضيها المتوفي سنة «١١٤٩م»، فقد كان من الآخذين بمذهب الأفلاطونية الحديثة، ومن المتأثرين بآراء «إخوان الصفاء». وقد كان عالما بأحكام التلمود، وذكر أنه كان شاعراً كذلك. وقد مدحه «موسى بن ميمون». وإما كتابه «العالم الأكبر» الذي ألفه بالعربية، فقد ضاع أصله، وبقيت ترجمته العبرية التي طبعت فيما بعد(٢).

وغرف الشاعر اليهودي الشهير «يهوذا اللاوي Judah Halevi» الطليطلي من معين الفلسفة الأرسطوطاليسية والأفلاطونية الحديثة. درس التلمود على «الفاسي»، وتراسل مع «مكش Migash» خليفة الفاسي، و«باروخ ألباليا Baruh albalia» الفيلسوف. وقد عبر في قصائده التي حازت على شهرة واسعة بين اليهود عن معان دينية ودنيوية عميقة, تدل على حس مرهف، ونفس جياشة، سالكا طريق «الغزالي» في تفكيره وفي تصوفه. وهذا ماحدا بـ « كوفمن David Kaufmann» على المقارنة بين الغزالي واللاوي، حتى توصل إلى أخذ الثاني من الاول, وجزم بتأثر اللاوي بآراء الغزالي(٣).

أما «أبو إسحاق إبراهيم بن مئير بن عزرا الطليطلي»، فقد كان من المتأثرين بآراء الأفلاطونيين المحدثين وبآراء إخوان الصفاء. وقد اطلع على الفلسفة العربية بقراءته لكتب الفلسفة، وكان عالماً بقواعد العبرية وبأحكام التوراة. فعد من علماء اللغة العبرية وآدابها، وكتب تفسيرا للتوراة، وألف في الرياضيات والفلك والتنجيم، وعرف بتطوافه في الشرق والغرب، إذ زار مصر وفلسطين وبلاد الشام والعراق، وردوس وايطالية وفرنسه وانكلترة، وأقام في لندن سنة ١١٥٧م، وتوفي في روما سنة ١١٦٧م(٤).

وقد أفاد أبناء قومه يهود في الغرب، بتعليمهم العبرية والفلسفة العربية وما تعلمه في بلاده الأندلس. ويظهر أنه كان يميل إلى التصوف(٥).

---

(١) Issac husik.114.

(٢) بن ميمون (ص٦٣) ١٢٥، isaac husik.

(٣) Isaac Husik,.pp.152

(٤) Isaac Husik.p.187.

(٥) Isaac Husik.p186.

كذلك كان الشاعر «موسى بن غزرا» المتوفى بعد سنة ١١٣٨م، من المتعلقين بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة. وكان قد وقف على كتاب «ينبوع الحياة «لأبن جبيرول وتأثر به، ويظهر أثره في النبذ التي اقتبسها من ذلك الكتاب[١].

وكان «إبراهيم بن داوود» الطليلي، من فلاسفة اليهود المتأثرين بفلسفة «أرسطوطاليس». وهو أول فيلسوف يهودي عرف هذه الفلسفة وحاول التوفيق بينها والشريعة الموسوية. ويرجع علمه بهذه الفلسفة إلى كتب الفارابي وابن سينا، التي قرأها بالعربية، لا إلى مؤلفات أرسطو الأصلية. وعلى هذا النحو كان علم سائر من اشتغل بالفلسفة، ومنهم الفيلسوف اليهودي المعروف موسى بن ميمون[٢]. وقد أدمج «ابن داوود» في كتابه «الاعتقاد الراقي» آراء أرسطو في أركان الشريعة الموسوية للتوفيق بين أرسطو والدين، أو بين العقل والنقل[٣].

غير أن «ابن داوود» لم يتمكن من فهم فلسفة أرسطو فهما واضحا، فلم ينجح في التوفيق بين آرائه وآراء الشريعة الموسوية في الخلق وفي العناية الإلهية وفي خلود الروح وفي حرية الإرادة. ويكتنف الغموض أبحاثه في هذه الموضوعات[٤].

وبلغت الفلسفة اليهودية في ظل المسلمين ذروتها في فلسفة «موسى بن ميمون»، المعروف بـ«أبي عمران عبيد الله موسى بن ميمون» في المؤلفات العربية[٥] أحد المعاصرين للفيلسوف ابن رشد، والمتأثرين به، والحاملين لفلسفته.

وكان موسى بن ميمون من قرطبة، وكان والده «ميمون» قد درس على «يوسف ابن ميكاش» وعلى «إسحاق الفاسي»، وتولى القضاء الديني بقرطبة. كما درس الفلسفة والعلوم على «يوسف بن صديق» وعلى علماء آخرين[٦]، وقد كان لهذه الدراسة أثر في تكوين ابنه موسى، الذي تعلم منه، وسلك طريقه في التتبع والبحث. ولما اضطر والده إلى ترك قرطبة، ونزل «المرية»، كان «ابن رشد» قد حلّ بها أيضاً، ولعل نزوله بها مكنه من الوقوف على فلسفة هذا الفيلسوف، ومن الاجتماع بابن أفلح الإشبيلي الطبيب

---

(١) Isaac Husik.p.197.

(٢) بن ميمون.

(٣) المصدر نفسه (ص٥٩).

(٤) ابن أبي أصيبعة (٢/١١٧).

(٥) ابن أبي صيبعة/ ١١٧.

(٦) موسى بن ميمون هي ٣.

الفيلسوف. وفي «المرية» اتصل بأحد تلامذة «أبي بكر بن الصائغ»، ودرس عليه علم الفلك[١]، واتصل بجماعة آخرين، كما تعلم الطب ومارسه، ولمع اسمه فيه.

وقد كانت غاية «موسى بن ميمون» من فلسفته التوفيق بين العقل والنقل بين الفلسفة والشريعة، والفلسفة المفضلة عنده هي فلسفة أرسطو. أما علم الكلام، فلم يجد له هوى في نفسه، على عكس فلاسفة اليهود الذين عاشوا في العراق، وتأثروا بآراء علماء الكلام هناك، وحاولوا إحلال علم الكلام محل فلسفة اليونان[٢]. وسبب ذلك في رأيه أن المعتزلة والأشاعرة، إنما بنو آراءهم على مقدمات ومسلمات أخذت من كتب اليونان والسريان النصارى الذين ظنوا أن النصرانية لا تتعارض مع الفلسفة، فأرادوا الردّ عليها ببراهين ومقدمات أخذوها من الفلسفة نفسها، وألبسوها مسوحاً نصرانية. فلما جاء الإسلام، ونقلت إليهم كتب الفلسفة، ونقلت إليهم تلك الردود على كتب الفلسفة، ووجدوا كلام يحيى النحوي وابن عدي، فعل المسلمون ما فعله النصارى قبلهم، فظهر المتكلمون، وظهرت بظهورهم آراء تحاول التوفيق بين آراء الفلاسفة والدين. وتطرق «ابن ميمون» إلى اختلاف آراء علماء الكلام فيما بينهم، وبحث في آرائهم، وأبدى في كتابه «دلالة الحائرين» الأسباب التي حملته على مخالفته لآرائهم ولجوئه إلى الفلسفة الخالصة، وقد قال في جماعته يهود العراق: «إن الذي نجد من الكلام في معاني التوحيد عند بعض علماء الدين من اليهود في العراق، من الربانيين والقرائين، إنما هو أمور أخذوها عن المتكلمين المسلمين. . . وأما الأندلسيون من أهل ملّتنا، فيستمسكون كلهم بأقاويل الفلاسفة، ويميلون لآرائهم، ولا يسلكون مسالك المتكلمين»[٣].

وقد نصح «ابن ميمون» «شموئيل بن تبون»، مترجم كتابه «دلالة الحائرين» من العربية العبرية، بالأيدرس مصنفات أرسطوطاليس إلا إذا كانت من شروح الإسكندر أوثامسطيوس أو ابن رشد: وأما المنطق، فيجب أن يدرس في كتب الفارابي، وبخاصة مؤلفه في مبادئ الموجودات، لأن الفارابي كان حكيماً فيلسوفاً كبيراً، ومصنفاته صحيحة ترشد إلى الحكمة، وقد فضلها على مصنفات ابن سينا. وأما الرازي، فانه في

---

(١) دلالة الحائرين لموسى بن ميمون ٢/ ٢٠، موسى بن ميمون ص٧.

(٢) موسى بن ميمون ص٦٦.

(٣) دلالة الجائرين ١/ فصل ٧١، موسى بن ميمون ص٨٣.

نظره كان طبيباً، ليس له علم بالفلسفة والحكمة. وقد كان له رأي ووقوف على آراء الغزالي وابن باجه وابن طفيل وثابت بن قرة والقبيعي وان أفلح الأشبيلي والرازي والفرغاني وابن سنان البناني الحرّاني والفارابي وابن وحشيّة وغيرهم، مما يدل على سعة علمه ومداركه بآراء مختلف العلماء والمسلمين وأصحاب المذاهب والنحل في الإسلام(١).

وقد خرّج «ابن ميمون» نخبة من طلاب العلم، منهم من اشتهر وبرز في الطب ومنهم من برز في الفلسفة والحكمة. وكان من أبرزهم وأحبهم إلى نفس «ابن ميمون» تلميذه «يوسف بن عقنين» المعروف بـ يوسف بن يحيى بن إسحاق السبتي المغربي أبي الحجاج» في بعض المؤلفات العربية. وكان قد هاجر من المغرب، والتحق بموسى بن ميمون بمصر. وقد تعاون معه في إصلاح كتاب الهيأة لابن أفلح، وكان قد حصل عليه بسبتة، ودرس عليه الطب، حتى صار من الأطباء المشهورين، وتنقل في الشرق حتى بلغ الهند، وزار العراق، واتصل بأطبائه وبالمشتغلين بالعلوم فيه، ووقف على كتاب الهيأة لابن الهيثم ببغداد، وألف نفسه كتباً بالعربية والعبرية. وله مراسلات مع أستاذه «ابن ميمون» فيها أمور مهمة عن فلسفته وأحواله، وأحوال اليهود والمسلمين في ذلك العهد(٢).

وهناك رسائل عديدة فيها أسئلة وردت على «موسى بن ميمون» أجاب عنها، فيها استفسارات عن فلسفته وآرائه وعن مشكلات عويصة وردود عليها. أجاب عن أكثرها بالعربية، وترجمت إلى العبرية، وقد طبعت ونشرت ترجماتها بالانكليزية وفي الفرنسية والألمانية. وفي جملة الرسائل التي وردت عليه، رسائل من جاليات يهودية كانت في فرنسة(٣).

وقد كان لموسى بن ميمون ولد اسمه «إبراهيم» اشتهر أيضاً بين اليهود، واشتغل بالطب، فصار طبيباً بارعاً، وتولى رئاسة طائفته وكان عالماً بأحكام الشريعة اليهودية، ألف كتاباً في الفقه اليهودي بالعربية، سماه «كفاية العابدين»، اشتهر بين اليهود، وعدَّ مرجعاً يرجع إليه. كما ألف في الرد على حسّاد والده والناقمين عليه ممن رأوا في

---

(١) راجع طبعة «مونك» لكتاب دلالة الحائرين، المنشورة مع الترجمة الفرنسية، وكذلك موسى بن ميمون ص٦٢ وما بعدها.

(٢) ابن القفطي ٢٢٩، ابن أبي أصيبعة ٢/ ٢١٣.

(٣) موسى بن ميمون ص٢٤. Sterinschneider, heber, biblio, bd, vi.s.150.

مقالاته مخالفة للشريعة الموسوية، فرد على «دانيال» تلميذ «شموئيل بن علي»، الرئيس الديني ليهود بغداد، وألف رسالة سماها «الكفاح في سبيل الله»، ردّ بها على من نادى بإحراق كتاب «دلالة الحائرين» من يهود فرنسة وغيرهم. وكان في جملة المعارضين لابن ميمون سليمان بن أدريت، وقد ألف رسالة في الرد عليه[١]. و«يونة بن إبراهيم الجرندي» المعروف بالمتقي، وقد أحرق كتب ابن ميمون[٢]. وإبراهيم بن داوود، الذي انتقده انتقاداً عنيفاً في كتاب خاص، وضعه في الرد على ابن ميمون[٣]. و«ماير» «مئير» أبو العافية» من رؤساء يهود فرنسة[٤].

وحجة الفاتين بإحراق «دلالة الحائرين» وبالنهي عن مطالعة مؤلفات «موسى بن ميمون» أن موسى قد رجح الفلسفة على الدين، وخالف الشريعة، وانتقد أحكامها، وذلك بسبب بحثه في أمور دينية عويصة أحجم الأحبار قبله عن البحث فيها، خوفاً من سواد الناس ومن إثارة الفتنة عليهم، وتهجمه على بعض العادات المخالفة للعقل مثل استعمال التعاويذ، وإقحامه الفلسفة في المدارس اليهودية الدينية لتدريسها مع العلوم الشرعية، فقرن الغزالي والفارابي وابن رشد وأرسطو وأفلاطون وجالينوس بالأحبار والربانيين علماء التوراة والتلمود والمشنا. وهذا مما لا يحتمله رجال الدين[٥].

وكان في جملة من نقل «دلالة الحائرين»، يوسف بن كوهن بن علي الإربللي، نقله بنص العربي سنة ٦٧٤[٦].

لقد أوجدت آراء «ابن ميمون» ردّ فعل عنيف في البيآت اليهودية في الشرق والغرب، قسم اليهود إلى جماعتين: جماعة مؤيدة للحركة التجددية التي بعثها «موسى»، وجماعة محافظة شعارها: القديم على قدمه والويل لمن يدعو إلى التغيير والتأويل، لأنه على زعمهم يدعو إلى هدم التراث الشرعي، الذي بفضله وببركته حافظ اليهود على كيانهم بين الأمم الغريبة عنهم. على أن هذه الحركة قد أفادت اليهودية كثيراً، إذ بعثت فيها نهضة فكرية كبيرة، وأوجدت بينهم ثورة، دفعتهم إلى دراسة

---

(١) رحلة بنيامين ص٥٠.
(٢) المصدر نفسه ص٥١.
(٣) موسى بن ميمون ص٥٠.
(٤) موسى بن ميمون ٥١.
(٥) موسى بن ميمون ص١٩ و١٢٣ وما بعدها.
(٦) الحوادث الجامعة ص٢٤٨، رحلة بنيامين ص١٢٧.

الفلسفة والعلوم، وإلى نقلها إلى العبرية، ثمّ إلى اللاتينية، وإلى تثقيف يهود أوربة الذين كانوا في جهل، وإلى بعث الشعور القومي فيهم بما وقفوا عليه على طريق الترجمة من أفكار وآراء.

كان «ابن ميمون» آخر كبار الفلاسفة والعلماء اليهود الذين صنفوا باللغة العربية، إذ اخذ الجيل الذي تلاه يصنف بالعبرية. ولعل للنكسات السياسية التي أصابت العالم العربي وللجمود الذي طرأ على ذهنيته منذ هذا الزمن أثراً في إعراض اليهود عن التأليف بالعربية، ومهما يكن من أمر، فقد تمكن من بحثنا عنهم، وتمكن غيرهم من الضليعين بالعلوم وبالعبرية [من أمثال: «منجم بن الفوال»، وهو من أهل «سرقسطة» ومن الأطباء المشتغلين بالفلسفة والمنطق، ومروان بن جناح، الطبيب، المنطقي العالم بالعربية والعبرية و«إسحاق بن قسطار» «المتوفي سنة ٤٤٨هـ»، الطبيب، المنطقي الفيلسوف والبارع في العبرانية وفي فقه اليهود، إذ كان حبراً من أحبارهم، و«أبي الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي» من «سرقسطة»، «ومن بيت يهودي معروف قديم[1]] من بعث العبرية، ومن إحيائها بالتأليف فيها وبالحث على تعلمها وبوضع المصطلحات العلمية والفلسفية بها، حتى صارت عندهم لغة للتأليف، وصارت واسطة لنقل تراث اليونان والعرب إلى الأوربيين.

ظهر في ايطاليا «هلال بن شموئيل»، ١٢٢٠ - ١٢٩٥م، من رواد الفلسفة الذين أثنوا على فلسفة ابن ميمون وتثأرُ بها، اشتغل في موضوع النفس، وألف باللاتينية، ونقل منها وظهر «ليفي بن كرسن» ١٢٨٨ - ١٣٤٤م، و«هارون بن ايليا» من «نيقوميديا»، «وحسداي بن إبراهيم كريطاس» ١٣٤٠ - ١٤١٠م في البرتغال، و«يوسف البو« ١٣٨٠ - ١٤٤٤م، وأمثالهم ممن ظهروا في أوربة، واشتغلوا بالفلسفة، ولكنهم جميعاً لم يبلغوا شأوّ «سعيد الفيومي» و«ابن ميمون» وغيرهما ممن ذكرنا. وقد أدى خروج العرب من الأندلس إلى إبعاد من اشتغل بالفلسفة من اليهود. عن الفلسفة الإسلامية، وإلى تركهم التأليف بالعربية، وبالاستعاضة عنها باللاتينية والعبرية.

وأستحسن أن أشير هنا إلى بعض من عاصر «ابن ميمون»، وكان له أثر في نقل التراث العربي إلى العبرية، ومنها إلى اللاتينية، من أمثال «جوزيف بن مئير زبارة» من أهل «برشلونة»، وهو طبيب وأديب، ومن المشتغلين بالفلسفة على المذهب

---

(١) ابن أبي أصيبعة ٢/ ٥٠.

الأرسطوطاليسي المعروف عند العرب، والشاعر والكاتب اليهودي «يهوذا بن سليمان الحريزي «١١٧٠ - ١٢٣٠م، أحد البارعين بالعبرية والعربية والمتأثرين بأسلوب «المقامة» العربية، وصاحب المقامات العبرية المعروفة باسم «مقامات الحريزي» التي ضاهى بها مقامات الحريري، ومترجم كتاب «دلالة الحائرين» لابن ميمون إلى العبرية. ولـ «زبارة» كتاب وضع أيضاً على نمط المقامات، وقد طبع ونشر، وترجم إلى الإنكليزية[1].

والحريزي من الرحالين أيضاً، رحل من بلاده إلى مصر وبلاد الشام والعراق. ولرحلته هذه ولرحلات الرحالين الآخرين مثل رحلة «بنيامين بن بونة التطيلي Benjamin of Tudela» شأن في الحصول على صورة للعالم العربي وبعض العالم الغربي في ذلك العهد. أما الذين قاموا بالنقل في أيام «ابن موين» وبعده من العربية إلى العبرية، أو من العربية إلى اللاتينية، أو من العبرية عن العربية إلى اللاتينية، فهم عديدون يحتاج البحث فيهم إلى إفراده بدراسة مستقلة.

---

(١) Joseph ben meir zabara,p,9.

لهجة القرآن الكريم(*)

نزل القرآن الكريم منجماً ﴿وَلَقَدْ لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[1]. ولكن العرب كانت ولا تزال تتكلم بلهجات، فبأية لهجة من لهجاتها نزل القرآن الكريم؟

أما القرآن الكريم، فلم يحدد اللهجة التي نزل بها، ولم يشر إليها. وكلمتا «عربي» و«عربياً» الواردتان في سورة «النحل» و«الشعراء» و«فصلت» و«يوسف» و«الرعد» و«طه» و«الزمر» و«الشورى» و«الزخرف» و«الأحقاف»[2] بحسب مواقع الكلمتين من الأعراب، هما كلمتان عامّتان لا تفيدان تخصيصاً ولا تعييناً للهجة واحدة معينة من اللهجات. ولذلك كان لا بد للمفسرين من التعرض للهجة التي اختص بنزولها الوحي، وإيراد ما ذهب إليه العلماء من آراء في هذا الباب، وسرد ما ورد في ذلك من أحاديث وأخبار وروايات.

وقد تطرق «الطبري» في مقدمة تفسيره[3] إلى هذا الموضوع بعد أن تعرض لرأي من زعم أن في القرآن كلماً أعجمياً، وأن فيه من كل لسان شيئاً، فقال: «قال أبو جعفر: قد دللنا على صحة القول بما فيه الكفاية لمن وفق لفهمه، على أن الله جل ثناؤه أنزل جميع القرآن بلسان العرب دون غيرها من ألسن سائر أجناس الأمم، وعلى فساد قول من زعم أنه منه ما ليس بلسان العرب ولغتها. فنقول الآن: إذا كان ذلك صحيحاً في الدلالة عليه، فبأي ألسن العرب أنزل؟ أبألسن جميعها أم بألسن بعضها؟ إذ كانت العرب وإن جمع جميعها اسم أنهم عرب، فهم مختلفوا الألسن بالبيان، متباينوا المنطق والكلام. وإذ كان ذلك كذلك، وكان الله جلّ ذكره قد أخبر عباده أنه قد جعل القرآن

(*) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي العدد ٣ لسنة ١٩٥٥، ص ٢٧٠-٢٩٤.

(١) وهذا لسان عربي مبين، النحل ١٦، ١٠٣، الشعراء ٢٦، ١٩٥، فصلت ٤١، ٤٤، يوسف ١٢، ٢، الرعد ١٣، ٣٧، طه ٢٠، ١١٣، الزمر، ٣٩، ٢٨، فصلت ٤١، ٣، الشورى ٤٢، ٧، الزخرف ٤٣، ٣، الأحقاف ٤٦، ١٢.

(٢) محمد فؤاد عبدالباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٤٥٦، القاهرة ١٣٦٤هـ.

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن: طبعة المطبعة الأميرية ببولاق. القاهرة ١٣٢٣هـ. وسيكون رمزه في الحواشي كلمة «جامع».

عربياً، وأنه أنزل بلسان عربي مبين، ثم كان ظاهره محتملاً خصوصاً وعموماً، لم يكن لنا السبيل إلى العلم بما عنى الله تعالى ذكره من خصوصه وعمومه إلاّ ببيان من جعل إليه بيان القرآن، وهو رسول الله ﷺ. فإذا كان ذلك كذلك، وكانت الأخبار قد تظاهرت عنه ﷺ بما حدثنا به خلاّد بن أسلم، قال: حدثنا أنس بن عياض عن أبي حازم عن أبي سلمة، قال: لا أعلمه إلاّ عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف، فالمراء في القرآن كفرّ، ثلاث مرات. فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردّوه إلى عالمه».

واستمر الطبري بعد ذلك في تعداد الطرق التي ورد فيها هذا الحديث: حديث «أنزل القرآن على سبعة أحرف»، ورواية بعض الأخبار الواردة في حدوث اختلاف بين الصحابة في حفظ بعض الآيات وقراءتها[١]. ثم خلص بعد هذا السرد إلى نتيجة، هي أن القرآن «نزل بألسن بعض العرب دون ألسن جميعها، وأن قراءة المسلمين اليوم ومصاحفهم التي بين أظهرهم هي ببعض الألسن التي نزل بها القرآن دون جميعها»[٢]، فلم يجزم بتعيين اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم.

وحديث «أنزل القرآن على سبعة أحرف»، حديث معروف مشهور، يرد في كتب التفاسير وفي كتب المصاحف والقراءات. وقد ورد بطرق متعددة، وبأوجه متعددة كذلك. وهذه الطرق والأوجه، وإن اختلفت في سرد متن الحديث وفي ضبط عباراته، قد اتفقت في الفكرة، وخلاصتها نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف. ويقصدون بالحرف وجهاً من أوجه الألسنة، أي لهجة من اللهجات[٣].

أما رجال سند هذا الحديث، فعديدون، وفي حال بعضهم كابن الكلبي وأبي صالح مغمز[٤]. وهم جميعاً يرجعون سندهم إلى جماعة من الصحابة، هم نهاية سلسلة السند، قالوا: إنهم سمعوا الحديث من الرسول، ويعنون بهم: عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وابن عباس، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وأنساً، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن أرقم، وسمرة بن جندب، وسلمان بن صرد، وعبد الرحمان بن

---

(١) جامع ١/ ٩ وما بعدها.
(٢) جامع ١/ ٢٥.
(٣) جامع ١/ ٩ وما بعدها.
(٤) جامع ١/ ٢٣.

عوف، وعمرو بن أبي سلمة، وعمرو بن العاص، ومعاذ بن جبل، وهشام بن حكيم، وأبا بكرة، وأبا جهم، وأبا سعيد الخدري، وأبا طلحة الأنصاري، وأبا هريرة، وأبا أيوب. وجملتهم واحد وعشرون صحابياً على بعض الروايات(١).

وقد ذكر الرواة عدة أسباب في تعليل الغرض الذي من أجله صدر هذا الحديث من الرسول، فهم يقولون: إن الرسول أدرك الصعوبة التي سيلاقيها الصحابة إن نزل القرآن بحرف واحد لما هم عليه من لهجات متعددة وألسنة متباينة، فرجا من الله التخفيف عليهم بإنزاله بلهجات تخفف عنهم ذلك العناء، فاستجاب الله له ذلك، وأمر بنزوله بسبعة أحرف. ويذكرون عدة أحاديث وردت في هذا المعنى، منها: حديث «إن ربي أرسل اليّ أن أقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن هون على أمتي، فأرسل إلى أنّ أقرأه على حرفين، فرددت إليه أن هون على أمتي، فأرسل اليّ أن أقرأه على سبعة أحرف»، وحديث «أقرأني جبريل على حرف، فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني، حتى انتهى إلى سبعة أحرف»(٢).

والذي نفهمه من هذين الحديثين ومن أحاديث أخرى في المعنى أن نزول القرآن لم يكن في الأصل بلهجة واحدة، وانما كان بعدة لهجات.

ثم هم يروون جملة حوادث ترى اختلاف الصحابة في الحفظ، كالذي ذكروه حكايةً على لسان زيد بن أرقم من أنه قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أقرأني عبد الله بن مسعود سورة أقرأنيها زيد وأقرأنيها أبي بن كعب، فاختلفت قراءتهم، فبقراءة أيهم آخذ؟ قال: فسكت رسول الله ﷺ. قال: وعلي إلى جنبه، فقال علي: ليقرأ كل إنسان كما علم، كل حسن جميل. وكالذي ذكروه على لسان عمر بن الخطّاب أنه قال: «سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ، فكدت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم. فلما سلم، لببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ. فقلت: كذبت، فو الله إنّ رسول الله ﷺ لهو أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها. فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، إني سمعت هذا يقرأ

---

(١) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ص٧٨.
(٢) الإتقان ١/ ٧٨.

سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، وأنت أقرأتني سورة الفرقان! قال: فقال رسول الله ﷺ: أرسله يا عمر. اقرأ يا هشام. فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرؤها. فقال رسول الله ﷺ: هكذا أنزلت. ثم قال رسول الله ﷺ: إقرأ يا عمر. فقرأت القراءة التي أقرأني رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: هكذا أنزلت. ثم قال رسول الله ﷺ: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأقرؤوا ما تيسر منها».

وهم يروون أحاديث أخرى بهذا المآل تظهر حدوث خلاف بين الصحابة في حفظ آي القرآن الكريم، وعلم الرسول بذلك، وتجويزه لكل واحد منهم قراءته على نحو ما سمعها منه[١].

والحديث، كما نرى، حديث عام مطلق، لم يحدد اللهجات المقصودة، ولم يحصرها. وقد أضيفت إليه في بعض الروايات زيادات هي في الواقع شرح له وتفسير، وزادت روايات أخرى في نهايته زيادات حددت الأحرف السبعة وعينتها، فصارت بهذه الزيادات معروفة معيّنة.

وورود هذا الحديث بطرق متعددة، وبهذا الشكل من العموم والإطلاق أو التقييد والتحديد، مما يلفت النظر إليه، ولا سيما أنه يتعارض مع ما ورد صراحة في بعض الأخبار والروايات من نزول القرآن بلهجة واحدة، هي لهجة قريش. ولهذا بحث فيه العلماء بحثاً مستفيضاً، وأبدوا آراءهم فيما جاء فيه، وفيما جاء في تلك الزيادات، لخصها (السيوطي) في نحو من أربعين رأياً[٢]، ليس لأكثرها صلة ما باللهجات. ولهذا لن أتعرض لها في هذا البحث، فالذي يهمنا منها فيه ما له صلة بلهجة القرآن الكريم، وبسائر ألسنة القبائل من غير قريش.

وتنتهي سلسلة سند الحديث الذي عين اللهجات وحصرها بأبن عبّاس في الغالب. أما رواتها، فهم: ابن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وقتادة عن ابن عباس[٣]. زعم أبو صالح أنه سمع ابن عباس يقول: نزل القرآن على سبعة أحرف[٤]، خمسة منها لعجز هوازن، واثنان منها لقريش وخزاعة[٥]. وزعم قتادة أنه سمع ابن عباس يقول:

---

(١) جامع ١/ ٩ وما بعدها.
(٢) الإتقان ص٧٨.
(٣) جامع ١/ ٢٣، الإتقان ١/ ٨١.
(٤) نزل القرآن على سبع لغات، الإتقان ١/ ٨١.
(٥) جامع ١/ ٢٣.

نزل القرآن بلسان قريش ولسان خزاعة، وذلك أن الدار واحدة. يعني أن خزاعة كانوا جيران قريش، فسهلت عليهم لغتهم[1].

وإلى هذه الأسانيد استند من قالوا بتحديد لهجات القرآن الكريم، قال هؤلاء: إن العرب ألسنة كثيرة، هي كلها عربية ما في ذلك شك، ولكنها لم تكن متكافئة كلها في الفصاحة والبلاغة.

ولما كان الرسول الذي نزل الوحي عليه من العرب، وكان كتاب الله عربياً معجزاً، وهذا الإعجاز لا يظهر إلا بنزوله بأفصح ما نطقت به العرب جميعاً، وبأسلس لسان وبأجمله وقعاً في الأفئدة، نزل القرآن بخير لهجات العرب لهجة، هي لهجات العجز من هوازن، وهي: سعد ابن بكر، وخيثم بن بكر، ونصر بن معاوية، وثقيف، وبلهجتي قريش وخزاعة[2]، وهي ستة بعد الجمع، لا سبعة كما يظهر من كلام الرواية، وجعلها بعض العلماء لهجات قريش وهذيل وتميم والأزد وربيعة وهوزان وسعد بن بكر، وجعلها آخرون لهجات هذيل وكنانة وقيس وضبة وتيم الرباب وأسد بن خزيمة وقريش[3].

والرواية عن ابن عباس من طريق أبي صالح وقتادة، رواية ضعيفة في نظر النقاد. وقد أطلق على سند ابن الكلبي[4] عن أبي صالح[5] عن ابن عباس «سلسلة الكذب»، وتحرّج كثير من العلماء من الاستشهاد بالأحاديث الواردة من هذا الطريق. وللعلماء، ولا سيما رجال الجرح والتعديل، كلام في ابن الكلبي وفي أبي صالح يخرجنا الدخول فيه من الاستمرار في موضوعنا، وهو في كتب الرجال. وقد تحدث عنه بالمناسبة في بحث «موارد تأريخ الطبري» المنشور في المجلدات السابقة من هذه المجلة.

أما «قتادة»، فذكر الطبري عنه أنه لم يلق ابن عباس، ولم يسمع منه[6]. فحديثه

---

(١) جامع ١/ ٢٣.

(٢) جامع ١/ ٢٣، الإتقان ١/ ٨١.

(٣) الإتقان ١/ ٨١.

(٤) قال أحمد بن حنبل: إنما كان صاحب سحر ونسب، ما ظننت أن أحداً يحدث عنه»، «وهشام لا يوثق به»، ميزان الاعتدال ٣/ ٢٥٦، لسان الميزان ٦/ ١٩٦.

(٥) أبو صالح باذام «باذان»، قال النسائي: باذام ليس بثقة. وقال إسماعيل بن أبي خالد: كان أبو صالح يكذب. فما سألته عن شيء، إلا فسره لي. . . وقال ابن معين: إذا روى عنه الكلبي، فليس بشيء». ميزان الاعتدال ١/ ١٣٧ وما بعدها.

(٦) جامع ١/ ٢٣.

عن ابن عباس إذن مما يجوز الأخذ به. فروايته «نزل القرآن بلسان قريش ولسان خزاعة»، رواية لا يعتمد عليها لهذا السبب. ولقتادة رواية أخرى بهذا المعنى نسبها إلى أبي الأسود الدؤلي، زعم أنه قال: «نزل القرآن بلسان الكعبين: كعب بن عمرو، وكعب بن لؤي». وقد علق «خالد بن سلمة» على هذا الكلام فقال: «ألا تعجب من هذا الأعمى يزعم أن القرآن نزل بلسان الكعبين؟ وإنما نزل بلسان قريش». قال ذلك مخاطباً به «سعد بن إبراهيم»[١]. وقد رمي قتادة بالتدليس وبالقول بالقدر[٢]. والقول بالقدر من الأمور التي تؤاخذ على الرواة في نظر علماء الرجال.

وخلاصة ما يتبين من مراجعة حديث «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأقرؤوا ما تيسر منه» بجميع طرقه، أنه ورد بطرق عديدة عن الصحابة الذين ذكرت أسماءهم، وأنه جاء عاماً وبهذا المعنى فقط. أما تعيين اللهجات والتفسيرات الأخرى، فهي - كما قلت - زيادات وشروح ليست من أصل المتن، وإنما وردت من بعض الصحابة، أو ممن روى عنهم، وأكثرها مما لا علاقة له باللهجات، وقد ذهبت مذاهب بعيدة لا علاقة لها البتة بما روي عن اختلاف الناس في قراءة القرآن[٣]. وقد ألحق بعضها بالمتن، فظهر كأنه منه، كما أدخل بعضهم في اللهجات المذكورة لهجة أهل اليمن[٤] دون أن يذكروا أية لهجة قصدوا، مع أن لأهل اليمن لهجات عدة.

ويتعارض هذا الحديث مع رواية نصّت على أن لغة القرآن هي لغة قريش، وأنه بلسان قريش نزل الوحي[٥]. فحددت هذه الرواية لهجة القرآن بلهجة واحدة معينة، كالذي يفهم من رواية الإخباريين عن كيفية جمع القرآن، ومن قول عثمان للرجال الذين أشرفوا على جمعه: «ما اختلفتم فيه أنتم وزيد، فاكتبوه بلسان قريش، فإنه بلسانهم نزل»[٦]، ومن قول بعض العلماء: «لم ينزل القرآن إلا بلغة قريش»[٧].

---

(١) جامع ١/ ٢٣.

(٢) ميزان الاعتدال ٢/ ٣٤٥.

(٣) الإتقان ١/ ٨١ وما بعدها، النشر في القراءات العشر، للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ١/ ١٩ وما بعدها.

(٤) النشر ١/ ٢٤.

(٥) جامع ١/ ٢٣.

(٦) النيسابوري: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، وقد طبع هامشاً على تفسير الطبري. جامع ١/ ٢٤ الهامش.

(٧) الإتقان ١/ ٨١.

ثم إنه يتعارض أيضاً مع صراحة آيات القرآن الكريم والأخبار الواردة عن كيفية نزول الوحي على الرسول وعن تلقين جبريل له الآيات حرفاً حرفاً وكلمة وكلمة، ثم إملائه ما حفظه على كتبة الوحي أو من يكون عنده من الصحابة حفظة القرآن الكريم[١].

ويتعارض أيضاً مع النظرية المعروفة بين المتكلمين في موضوع كلام الله وهل هو حادث أو قديم، وقضية خلق القرآن التي برزت خاصة في صدر الدولة العباسية وكانت من أهم القضايا الكلامية التي اختلف فيها المعتزلة عن الأشاعرة وعن غيرهم في علم الكلام، وكان لها شأن كبير في أيام المأمون.

وللتوفيق بين هذا الحديث المطلق وبين الأخبار التي جعلت لهجة القرآن لهجة قريش، توسّط قوم فقالوا: إنه نزل بلغة مضر خاصة، لقول عمر: «نزل القرآن بلغة مضر»، وعين بعضهم لهجات مضر التي نزل بها القرآن فجعلوها لهجات: هذيل وكنانة وقيس وضبة وتيم الرباب وأسد بن خزيمة وقريش، وقد استوعبت هذه سبع لغات[٢].

وقال آخرون: إنه نزل بلسان قريش خاصة، ولكن كان لقريش عدة لهجات، فنزل بلهجات منها، ولم ينزل بلهجة واحدة من لهجات قريش.

ورأى فريق آخر أنه نزل أول ما نزل بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء، ثم أبيح للعرب أن يقرؤوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم في الألفاظ والإعراب، ولم يكلف أحد منهم الانتقال من لغته إلى لغة أخرى للمشقة، ولما كان فيهم من الحميّة، ولطلب تسهيل فهم المراد[٣]. وهذا الرأي هو أيضاً من الآراء الموفقة بين الرأيين السابقين.

والواقع أننا إذا دققنا في مواضع الاختلاف وفي تنوع الروايات، لا نجد فيها ما يمكن أن ينطبق هذا التعليل عليه، فليس في أعقد مواضع الاختلاف ما يمكن أن يقال عنه إنه شاق لا يستطيع رجال القبائل أن يتلفظوا به أو يفهموه، حتى نقول إنه لهذا السبب أمر بالجواز.

---

(١) البروج ٨٥، ١٧٦ البقرة، ١١٠، هود ١١، كولد زهير: المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن، الترجمة العربية، تعريب علي حسن عبدالقادر القاهرة ١٩٤٤ ص٣ وما بعدها.

Neldeke. Geschichte des Korans, 2,uflage, I,teil

(٢) الإتقان ١/ ٨١.

(٣) الإتقان ١/ ٨١.

وسند القائلين إن القرآن الكريم هو بلهجة قريش، هو أن الرسول ﷺ من قريش، وهو من مكة. فلا بد من نزوله بلهجة قومه، ليكون حجة عليهم وإعجازاً لفصحائهم(١)، ويستشهدون على ذلك بالآية: «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم»(٢). ولما كان قوم الرسول هم قريش، كان نزول القرآن بلهجتهم، أي بلهجة قوم الرسول(٣).

ثم هم يذكرون أن قريشاً كانت أفصح القبائل، وأبلغها، وأصفاها لغة، لأنها كانت تسمع القبائل التي كانت تحضر الموسم في كل عام، فتنتقي منها أعذب الألفاظ، وتختار من كلامهم أجود الكلام وأصفاه، «فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب»(٤).

ثم إنها كانت بعيدة عن الأعاجم، فصان بعدها عنهم لسانها من الفساد، وحفظها من التأثر بأساليب العجم، حتى إن سائر العرب على نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغتهم في الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية(٥).

ثم هم يستشهدون بالإخبار الأخرى التي أشرت إليها، من نزوله بلسان قريش.

وينسب خبر اختيار قريش لأعذب الألفاظ إلى قتادة المتوفى سنة ١١٧هـ، قالوا: «وقال قتادة: كانت قريش تجتبي، أي تختار، أفضل لغات العرب حتى صار أفضل لغاتهم لغتهم، فنزل القرآن بها»(٦).

وقول الإخباريين هذا في صفاء لغة قريش وعذوبتها وفصاحتها مقبول، لو لم يذكر الإخباريون أنفسهم أشياء تناقض ماقالوه وتفنده، فقد قالوا: إن الخليفة عثمان بن عفان قال الرجال الذي تولوا كتابة القرآن: «اجعلوا المملي من هذيل، والكاتب من ثقيف»(٧)، وليست هذيل ولاثقيف كما نعلم من قريش. وقالوا: انه كانت غمغمة في

---

(١) مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن ص٦٣ وما بعدها طبعة مطبعة الاستقامة ١٩٥٢.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٤.
(٣) الإتقان ١/ ٨١.
(٤) الصاحبي: فقه اللغة ص٢٣، طبعة المؤيد سنة ١٩١٠، السيوطي: المزهر ١/ ٢١٠، غريب القرآن ١/ ١٠، الهلال، السنة السادسة والعشرون ١٩١٧ - ١٩١٨ ص٤٣.
(٥) مقدمة ابن خلدون، الفصل الثامن والثلاثون من القسم السادس، الهلال: السنة ٢٦، أكتوبر ١٩١٧ ١/ ٤٣.
(٦) لسان العرب (٢/ ٧٧).
(٧) الصاحبي في فقه اللغة (ص٢٨) .«طبعة المؤيد سنة ١٩١٠».

لهجة قريش، والغمغمة من المآخذ التي أخذها علماء اللغة أنفسهم على اللغات[1]. وقالوا باختلاف القرشيين أنفسهم في فهم كلم من القرآن، وبرجوعهم إلى غيرهم في فهمها[2]. فلو كان القرآن الكريم بلهجة قريش، لما تصور وقوع هذا الاختلاف في فهم الكلمات. وقالوا: إن العرب كانت تقر لقريش بالتقدم في كل شيء عليها ألا في الشعر، فإنها كانت لاتقر لها به، حتى كان عمر بن أبي ربيعة، فأقرت له الشعراء بالشعر أيضاً ولم تنازعها[3]. وقالوا: إن قريشاً كانت أقل العرب شعراً في الجاهلية، فاضطرها ذلك إلى أن تكون أكثر العرب انتحالاً للشعر في الإسلام[4]. ويؤيد هذا القول أننا نجد أكثر من ذكر الرواة أسماءهم وأشعارهم من الشعراء الجاهلين إنما هم من غير قريش.

وهناك اعتراض آخر على القائلين بأن لهجة القرآن الكريم هي لهجة قريش، صيغته: لو كان القرآن الكريم بلهجة قريش، فلم لجأ المفسرون، وفي مقدمتهم ابن عباس، إلى الاستشهاد بالشعر، وبكلام الأعراب في تفسير كلام الله، ولم يكن أولئك الأعراب أو أولئك الشعراء من رجال قريش؟ ولم أتعب علماء اللغة أنفسهم، فذهبوا إلى البوادي يتقصون اللغة، وإلى الأعراب يسألونهم عن الغريب والنادر وعن شعر الشعراء، ولم يأخذوا من رجال قريش ومن شعاب مكة، وأهل مكة أعلم بشعابها من غيرهم؟ ولم فضل علماء اللغة بعض اللهجات على سائر لهجات العرب في الفصاحة، فقال أبو عمرو بن العلاء مثلاً: أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم[5]، وليس هؤلاء من قريش؟ وفضل علماء آخرون لهجات هذيل وثقيف وجرم ونصر قعين على سائر اللهجات الأخرى في الفصاحة[6] وعدوا قبائل هوازن وتميم وأسد من أفصح القبائل، ولذلك قصدوها للأخذ منها، ومن هؤلاء: الخليل، والكسائي، والأزهري.

قال أبو عبيدة: وأحسب أفصح هؤلاء بني سعد بن بكر، وذلك لقول الرسول ﷺ: أنا أفصح العرب، بيد أني من قريش وأني نشأت في بني سعد بن بكر،

---

(١) تاج العروس (٩/ ٦).
(٢) جامع (١/ ٩ وما بعدها).
(٣) الأغاني (١/ ٣٥).
(٤) طبقات الشعراء (ص١٠)، طه حسين: في الأدب الجاهلي (ص١٣٢).
(٥) المزهر ١/ ٢١١، والاتقان ص١٠٩، الرافعي: تأريخ آداب اللغة العربية ١/ ١٢٨.
(٦) وسائل بعض العلماء: أي العرب أفصح؟ فقال: «نصر قعين»، اللسان ٧/ ٢٢٥.

وكان مسترضعاً فيهم، وهم أيضاً الذين يقول فيهم أبو عمرو بن العلاء: أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم[1]. ففضل بني سعد بن بكر على غيرهم في اللهجة، ولم يكن من ذكرنا ومن لم نذكر من القبائل التي قصدها العلماء للأخذ منها من قريش. لذلك أرى وجوب التحفظ كثيراً في الأخذ بروايات الإخباريين، وعدم التسليم بكل ما يروونه، ولاسيما في القضايا المهمة التي ترد فيها عدة روايات وفي المسائل التي تكون لها صلة بالعواطف والأهواء.

ثم إنّ ما رواه الإخباريون عن تخير قريش أحسن الكلم، وأصفاه، وعن فصاحتها وبلاغتها وحسن ذوقها وما شابه ذلك من كلام، يمكن أن يكون كلاماً مقبولاً لو كان ما قالوه مقروناً بحجة ودليل، ومشفوعاً بسند مكتوب أو إثبات لا يرتقي إليه الشك. ولكننا إذا راجعنا ما قالوه وفحصناه، نجده يفتقر إلى أهم شرط من شروط التسليم بصحة رأي، ألا وهو الدليل، فليس بين أيدي الرواة الذين تناقلوا تلك الأخبار أدلة وحجج تثبت ما قالوه.

نعم، إنّ العلماء رووا تلك الأخبار وتناقلوها منذ مئات السنين، وهي شائعة بينهم معروفة. هذه حقيقة ليس إلى نكرانها من سبيل، ولكن ليس كل شائع مشهور هو صدق وحق وكلام مسلم به. وقد أنكر نقده العلماء أخباراً عديدة مع أنها وردت بطرق متنوعة وبأسانيد متعددة، بعد ما تبين لهم أن في طرق سندها أو في الروايات نفسها أموراً تستوجب المؤاخذة والرفض، ولم يشفع لها عندهم أنها أخبار شائعة معروفة، وأنها وردت بطرق متسلسلة عديدة.

وهناك اعتراض آخر على القائلين بتخير قريش الكلام في مواسم الحج، صورته: لو كان ما ذكره أهل الأخبار حقاً، فمن كان يقوم بمهمة الاختيار؟ الخاصة من الناس، أم سوادهم كلهم؟ إن كان الخاصة، وهو ما يجب أن يكون، فمن منهم كان يقوم بهذه المهمة الصعبة: مهمة الانتقاء التي تتطلب أن يكون صاحبها أو أصحابها على مستوى عال في اللغة وفي العلم وفي الأدب وفي الذوق والحسّ؟ وإن كان السواد، فهل حدث في التأريخ أنْ قام السواد بمهمة تنقية اللغة وتصفيتها وتنميتها وتهذيبها؟ إن السواد على العكس في العادة، لا يتقيدون بقواعد اللغة ولا بأصولها، وإنما هم يحرفون فيها أو يضعون أو يأخذون من غير أبناء جنسهم، وهذا لا يعدّ تهذيباً للغة في نظر علماء

---

(١) الرافعي: تأريخ آداب اللغة العربية ١/ ١٢٨.

اللغات، ولا ترقية للذوق العام. ثم إن هذا شيء عام يشمل كل الناس في كل الأوقات، لم يختص به قوم دون قوم.

واعتراض آخر وارد عليهم كذلك، هو: لم أغفل الرواة الإشارة إلى من كان يقوم بالاختيار والتهذيب والتحكم في كلام الناس من رجال قريش، مع أنهم أشاروا إلى من كان يقوم بالتحكيم في عكاظ؟ وليست مهمة اختيار الكلم وانتقائها في مواسم الحج بأقل شأناً ومنزلة من مهمة التحكيم في سوق عكاظ. ثم إنهم قالوا إن المحكمين في عكاظ كانوا في العادة من تميم، فلم خصّوا تميماً بالتحكيم، ولم يخصوا قريشاً به، وهي أولى بذلك من تميم لما قالوه؟ أليس في تخصيص تميم بهذا التحكيم - إن صحت روايات الإخباريين - ما يفيد تفوق تميم أو بعض رجالها مثلاً على غيرها بصناعة الكلام؟ ثم إنّ لغة الخطابة والشعر عند الجاهليين هي اللغة التي نزل بها الوحي نفسها، وذلك كما يتبين من المحفوظ المروي والمدون في الإسلام. وحيث إن شعراء الجاهلية المنسوب هذا الشعر إليهم، والمتكلمين المنسوب ذلك الكلام إليهم، لم يكونوا كلهم من أهل مكة، بل كانوا من مواضع متعددة من الجزيرة، وقسم كبير منهم كان يعيش في العراق أو في بلاد الشام، استنتج من ذلك أن هذه اللغة لم تكن لغة محلية خاصة، إنما كانت لغة الشعر والخطابة في أكثر أنحاء الجزيرة وفي خارجها. وهذا الاستنتاج يضعنا أمام أسئلة، منها: هل كانت هذه اللغة لغة الوحي الكريم والشعر والخطابة لغة الأدب عند أكثر العرب قبل الإسلام وعند ظهوره؟ أو هل كانت لغة قريش، ومن قريش انتشرت في سائر أنحاء الجزيرة بسبب الحج والمواسم والتجارات وما أشبه ذلك من عوامل؟ ثم إن كانت هذه اللغة لغة قريش خاصة، ففي أي وقت خرجت من أسوار قريش حتى صارت لغة الأدب عند العرب أجمعين؟ وان كانت الأولى، أي أنها لغة الأدب عند العرب، فهل كانت لغة جماعة معينة، توسعت حتى صارت لغة الأدب لأكثر العرب؟ أو أنها لم تكن لهجة جماعة معينة، إنما كانت لهجة قديمة كالأم تطورت حتى بلغت الشكل الذي بلغته عند نزول الوحي؟

وأما احتجاجهم بكون الرسول من قريش، فلا بد أن يكون الوحي بلغة قريش، فإن العرب كلّهم قوم الرسول، ولم تخصص الآية القومية بالمعنى الضيق المحدود، بدليل وصف لسان القرآن بأنه عربي، واللسان العربي لسان عام يشمل لسان قريش ولسان غيرها من القبائل. ولو كان القرآن الكريم قد قصد بالقوم هنا قوم الرسول الذين بينهم

حسب، أي قريش وحدها، لنعت القرآن بأنه نزل بلسان قرشي، ليكون واضحاً مفهوماً عند الناس.

ويسوقنا البحث في موضوع لهجة القرآن الكريم إلى التفكير في موضوع آخر له صلة وثيقة بهذا الموضوع، بل هو في الواقع جزء منه، هو: لغة الأدب عند الجاهليين، وهل كانت للجاهليين لهجة خاصة يستعملونها في التعبير عن عواطفهم من شعر ونثر؟ وهل كانت فوق سائر لهجاتهم المحلية أو لهجات القبائل المتعددة؟ وإذا كانت هنالك لهجة خاصة، فلهجة من كانت تلك اللهجة؟ وبأي موطن ولدت؟ وهل كانت لهجة عامة مستعملة لدى جميع العرب، أو كانت لهجة خاصة بالعرب الشماليين، وأعني بذلك العرب الذين سكنوا خارج اليمن وحضرموت وعمان؟ والإجابة عن هذه الأسئلة تؤدي حتماً إلى الإجابة عن موضوع لهجة القرآن الكريم.

وقد عني عدد من المستشرقين بالإجابة عن أمثال هذه الأسئلة، فكتب «نولدكه»، في كتابه عن تأريخ القرآن، في موضوع القراءات واللهجات التي نزل بها القرآن الكريم[1]، كما تطرق في أثناء كلامه على الشعر الجاهلي إلى موضوع لغة الأدب عند الجاهليين، خلاصة رأيه أن الفروق بين اللهجات في الحجاز ونجد ومناطق البادية المتاخمة للفرات لم تكن كبيرة، وأن اللهجة الفصحى بنيت على جميع هذه اللهجات[2]. وذهب «غويدي» إلى إن اللغة الفصحى هي مزيج من لهجات تكلم بها أهل نجد والمناطق المجاورة لها، ولكنها لم تكن لهجة معينة[3]. ورأى «نيلنو» أن العربية الفصحى تولدت من إحدى اللهجات النجدية، وتهذبت في مملكة كندة وفي عصرها، فأصبحت اللغة الأدبية السائدة. وعزا سبب ذلك إلى وجود ملوك هذه المملكة وإغداقهم على الشعراء مما كان له وقع في نفوسهم، ثم إلى توسع رقعة هذه المملكة التي ضمّت أكثر قبائل معدّ، وكان لها فضل توحيد تلك القبائل وجمع شتاتها[4]، فشاعت هذه اللهجة على رأيه في منتصف القرن السادس للميلاد، وخرجت خارج نجد، وعمّت معظم أنحاء الجزيرة ولاسيما القسم الجنوبي من الحجاز الذي فيه يثرب ومكة والطائف، مع بقاء اللهجات العامية في منطق الناس المعتاد، وكان للعواصم

---

(١) Noldeke Geschichte des Korans, Zweite auflage, erste Teil, s,42.

(٢) Noldeke, Beitrage, S, 1 - 14. Semiti.

(٣) Guidi. Misc. Ling, Torino. 1901. p, 323.

(٤) الهلال: السنة السادسة والعشرون، أكتوبر ١٩١٧م ص٤٧.

المشهورة ولملوك الحيرة وغسان شأن لا ينكر في هذا الانتشار السريع العجيب[1].

وذهب «هارتمن Hartmann» و«فولرس Vollers» إلى أن العربية الفصحى هي لهجة أعراب نجد واليمامة، غير أن الشعراء أدخلوا عليها تغييرات متعددة[2]. وذهب «لندبرك Landborg» إلى أن الشعراء هم الذين وضعوا قواعد هذه اللهجة، وعلى قواعدهم سار المتأخرون، ومن شعرهم استخرجت القواعد، ومن قصائدهم تلك استنبط العلماء أصول النحو.

ولم يعين «فيشر Fiscer» اللهجة التي نبعت منها العربية الفصحى، غير أنه رأى أنها لهجة خاصة[3]. ولـ«بروكلمن Bbrocklemann» و«ويتزشتاين Wetzstein» آراء في نشوء هذه اللغة وفي تطورها، ولكنهما لم يتحدثا عن علاقتها ببقية اللهجات[4].

وقد استنبط المستشرقون آراءهم هذه من الروايات التي دوّنها العلماء عن الشعر واللغة واللهجات، وهي مع اعتمادها عليها غير كافية في نظري لإعطاء رأي علمي صحيح عن هذا الموضوع، فما رواه العلماء إنما دوّن في الإسلام، أي بعد استقرار اللغة وصيرورة لغة القرآن الكريم اللسان الرسمي لا للعرب وحدهم، بل اللسان الرسمي لجميع المسلمين. ثم إن ما رووه يخص هذا اللسان في الغالب. أما ما ذكروه عن الألسنة الأخرى، فأكثره مما يتعلق باستعمال القبائل للمفردات، كذكر المترادفات للكلمة الواحدة، والمترادفات هي في الغالب كلمات لمسمى واحد تعددت لاستعمال قبيلة أو عدة قبائل مصطلحاً أو تعبيراً يختلف عن مصطلح قبيلة أخرى أو تعبيرها، فحصل من هذا التعدد عدد من الكلمات لمسمى واحد لا غير. وأما الاختلاف في نطق الكلمة بالفتح أو بالضم أو بالإمالة وأمثال ذلك، أو في كيفية استعمال حروف الجر، فانه وان كان ذا أهمية غير انه لا تكفي مع ذلك لتكوين فكرة علمية صحيحة عن نشوء اللهجات وتطوّرها.

والطريقة المثلى لتكوين رأي علمي عن أمثال هذه الموضوعات، تكون في نظري بالرجوع إلى الكتابات الأصلية المدونة بمختلف اللهجات، لتستخرج منها الفروق والمطابقات وقواعد الألسنة، وليتمكن بواسطتها من الحكم على لغة التدوين في

---

(١) المصدر نفسه ص٤٨.

(٢) Vollers, Valkesprach, s,184.

(٣) Fischer, in, ZDNG, 662, note, Ç,Rabin, p,17.

(٤) Rabin, p,17.

المنطقة التي وجدت فيها والعصر الذي تنسب إليه، ثم بالرجوع إلى المؤلفات المدونة في قواعد اللهجات وضوابطها من نحو وصرف، المنقولة عنها ليتمكن بها من الوقوف على أساس تلك الألسنة ومن المقارنة بينها وبين اللغة الفصحى: لغة القرآن الكريم.

اما الكتابات الجاهلية التي هي الأصل في الاستشهاد، فهي آلاف في الزمن الحاضر، وفي عدة لهجات، هي: المعينية، والسبئية، والقتبانية، والحضرمية، والثمودية، والصفوية، واللحيانية، وفي لهجة أخرى قريبة من العربية الفصحى ولكنها متأثرة بالإرمية، وهي أقل اللهجات المذكورة عدداً، إذ لا تتجاوز جملتها ستة كتابات. وكل النصوص الجاهلية هي من العربية الغربية والجنوبية، خلا نصوص معدودة عثر عليها في العربية الشرقية. وليس مرّد تلك الكثرة وهذه القلة إلى علم أهل الغرب والجنوب بالكتابة وجهل أهل الشرق بها، إنما هو اختلاف طبيعة الأمكنة. ففي الغرب والجنوب حجارة صلدة مضيافة كريمة أمينة في حفظ ما سطر عليها، وفي الشرق رمال وأتربه تنفر طبيعتها من الكتابة ولا تميل إليها، لهذا لم يعثر فيها إلا على عدد قليل من الكتابات مدونة على أحجار مستوردة من أماكن بعيدة، صعب على الرمال لفظها إلى ظاهر الأرض، فبقيت فيها إلى أن استخرجها باحثو شركات النفط وبعض السائحين.

والذي يخص موضوعنا مباشرة من هذه الكتابات، هو القسم المدون منها في القرن السادس للميلاد، خاصة المدوّن منها قبيل ظهور الإسلام وحين نزول الوحي. أما القديم منها، فهو مهم ولا شك من حيث دراسة تطور اللهجات العربية قبل الإسلام وتأريخ هذا التطور. ولكنه لا يفيدنا فائدة مباشرة في معرفة اللهجة التي كانت سائدة بين أكثر العرب عند ظهور الإسلام وتشخيصها. والقسم القديم منه، وأعني به القسم المدون قبل القرن السادس للميلاد، هو القسم الغالب. أما القسم المدون منه في القرن السادس، فهو مما كتب قبل الإسلام بسنين، أي في النصف الأول من القرن السادس، وهو قليل معدود. وليس بين أيدينا حتى الآن نص مدون في السنين المتصلة بالإسلام، أو في أيام نزول الوحي، أي في الحقبة المهمة بالنسبة إلى موضوعنا، لنتمكن بها من معرفة اللهجة التي كانت سائدة في جزيرة العرب عند ظهور الإسلام.

ويؤسفنا أننا لا نملك حتى الآن مؤلفاً بالعربية كتب في نحو اللهجات العربية الجاهلية أو اللهجات التي كانت مستعملة وفي أدبها حين ظهور الإسلام وفي صدر

الإسلام. أما ما دوّنه بعض العلماء عن لهجات أهل اليمن، كالهمداني ونشوان بن سعيد الحميري وإضرابهما، أو من أخذا منهم وغرفا من مؤلفاتهم، فأكثره مما يخص المفردات، ثم إن غالبه هو من هذه اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم، تصرف فيه أهل اليمن بعض التصرف، فظن أولئك العلماء أنه من لغات اليمن القديمة. ولم أجد فيهم من تعرض لنحو تلك اللهجات وصرفها، ولا لخصائصها التي تميزها عن اللهجات الأخرى، وان كانوا قد تعرضوا للقلم المسند وأظهروا معرفة به[١]. وأما المتون الواردة في «الإكليل» للهمداني، وفي بعض المؤلفات الأخرى لنصوص عربية جاهلية ذكر أنها نقلت عن الأصل وأنها قراءات لها، فهي نصوص لا يسع الخبير باللهجات العربية قبل الإسلام، العارف بها، أن يقول إنها نصوص مدونة بتلك اللهجات، وإنها صور نقلت نقلاً صحيحاً عن الأصل، ولذلك ليس لها حكم النصوص الجاهلية المنتهيّة إلينا، وان كانت ذات فائدة من ناحية أخرى، من ناحية دراسة ما عرفه علماء التأريخ والآثار الإسلاميون عن تأريخ ما قبل الإسلام، ودراسة بعض الكلمات التي تمكن أولئك العلماء من قراءة حروفها قراءة صحيحة[٢].

وأقرب هذه النصوص إلى عربيتنا - وأعني بعربيتنا هذه العربية التي نكتب بها ونطلق عليها العربية الفصحى، وهي عربية القرآن الكريم - النصوص التي أشرت إليها، وأقدمها وأطولها نصّ حران الذي يعود عهده إلى سنة ٣٢٨م، وقد عثر عليها كلها في بلاد الشام. وقد يدل وجودها في هذه الأرضين على أن عربها كانوا يتكلمون أو يكتبون بلهجة قريبة من لهجة القرآن الكريم. ويلاحظ أن أقرب هذه الكتابات إلى أيام ظهور الإسلام، هي أقصرها. وهذا أمر مؤسف، فقد حرمنا معرفة صلة لهجة تلك النصوص باللهجة القرآنية، ومعرفة تطور تلك اللهجة منذ عثورنا على أول نص مدوّن بها إلى أيام ظهور الإسلام، ومعرفة خصائصها النحوية والصرفية وما تشترك فيه مع قواعد لهجة القرآن الكريم.

ويصعب في الزمن الحاضر إعطاء رأي علمي مقنع عن مدى علاقة هذه اللهجة بلهجتنا، ما لم تتوافر لدينا نصوص أخرى جديدة تزيد في معارفنا عنها، وما لم نتوسع في البحث عن كتابات نأمل أن تكون مطمورة في بلاد الشام وفي الحجاز وفي العراق،

---

(١) الإكليل ٨/ ١٢٢، الفهرست: في بحث الأقلام.

(٢) راجع النصوص المدونة في الإكليل، وهي تؤيد هذا الرأي ٨/ ٢١، ٤٢، ٤٩ ومواضع أخرى.

ولاسيما الحيرة إذ كانت المدرسة التي تعلم منها كتاب الحجاز القلم الذي دون به القرآن الكريم على ما يذكره أهل الأخبار[١]، ونبغ فيها عدد كبير من العلماء النصارى قبل الإسلام، وكانت في كنائسها ودياراتها وفي قصور ملوكها سجلات ودواوين فيها أخبار من ملك تلك المدينة وما قيل فيهم من شعر[٢].

والتنقيب في العراق وفي بادية الشام ونجد والحجاز، من الأمور الضرورية اللازمة لمعرفة الصلات التي تصل بين لهجات عرب هذه الأرضين قبيل الإسلام وخاصة في القرن السادس للميلاد، لأن حكمنا على لغتهم مستمد في الزمن الحاضر من الروايات والأخبار التي لا تستند إلى كتابات جاهلية. وهذه المستندات مع ما لها من قيمة علمية لا تنكر، ليست في درجة الوثائق المأخوذة من المنابع الأصلية، وهي الكتابات المدونة قبل الإسلام. ثم إن ما هو مدون إنما دون في الإسلام، وكانت لهجات هذه القبائل في عهده قد تأثرت بلهجة القرآن الكريم تأثراً كبيراً.

فلتكوين رأي علمي سليم عن اللهجات العربية قبل الإسلام وعند ظهوره، لا بد من دراسة الكتابات الجاهلية لاستنباط قواعدها وخصائصها وما تشترك وما تختلف فيه، وتقسيمها إلى مجموعات بحسب نتائج هذه الدراسات، وفي ضوء هذه الدراسات نتمكن من تكوين رأي علمي مقبول صحيح.

وينطبق هذا الرأي على تثبيت لهجة القرآن الكريم وتعيينها كذلك، فلا بد لمعرفة هذه اللهجة من معرفة لهجات القبائل العربية عند ظهور الإسلام، ومعرفة لهجة أهل الحجاز ولاسيما أهل المدينتين اللتين نزل فيهما وما بينهما الوحي. وليست لدينا نصوص مكتوبة بأيدي أناس عاشوا قبيل الإسلام أو عند ظهور الإسلام.

أما الحديث الذين عين لهجات القرآن الكريم وأثبتها، فقد أشرت إلى الطرق التي ورد فيها، وهي طرق غير مطمئنة لنقدة العلماء، ففي بعض رواتها مغمز، وفي بعض رجالها أقوال من جهة أنهم لم يلتقوا بابن عباس الذي ترفع رواية الحديث عن رسول

---

(١) نهاية الإرب ٧/ ٣، المزهر ٢/ ٣٤٣، الفهرست ٤، عيون الأخبار ١/ ٤٣، المعارف ٢٧٣، ابن خلدون ٢/ ٦٠ تأريخ العرب قبل الإسلام ١/ ١٤ وما بعدها.

(٢) كنت أستخرج أخبار العرب وأنسابهم وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من ولي منهم لآل كسرى وتأريخ نسبهم من كتبهم بالحيرة، الطبري ٢/ ٣٧، ابن جني: الخصائص ١/ ٣٩٣، تاج العروس ٢/ ٧٠، طبقات الشعراء ١٠، المزهر ٢/ ٤٧٤، تأريخ العرب قبل الإسلام ١/ ١٤.

الله إليه[1]. ثم لا بد لنا ولهم من معرفة تلك اللهجات لإبداء حكم عليها، ولم يذكر العلماء من مميزاتها غير النزر اليسير.

ويوحي حديث: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» إلى السامع أن القرآن الكريم كان قد أنزل على سبعة أوجه متباينات، وأن فيه اختلافاً كما توحي ذلك بعض الأخبار التي تهول الأمر وتوسعه، حتى تكاد توهمك أن الصحابة كانوا يحفظون ويقرؤون قراءين يختلف بعضها عن بعض. فقد ذكر أن رجلين اختصما في آية من القرآن، وكل يزعم أن النبي ﷺ أقرأه فتقارءا إلى أبي، فخالفهما أبي، فتقاروؤا إلى النبي ﷺ، فقال: يا نبي الله، اختلفنا في آية من القرآن، وكلنا يزعم أنك أقرأته. فقال لأحدهما: إقرأ. قال: فقرأ. فقال: أصبت. وقال للآخر: إقرأ. فقرأ خلاف ما قرأ صاحبه. فقال: أصبت. وقال لأبي: إقرأ. فقرأ، فخالفهما. فقال: أصبت. قال أبي: فدخلني من الشك في أمر رسول الله ﷺ ما دخل في من أمر الجاهلية. قال: فعرف رسول الله ﷺ الذي في وجهي، فرفع يده فضرب صدري، وقال: استعذ بالله من الشيطان الرجيم. قال: ففضت عرقاً، وكأني أنظر إلى الله فرقاً، وقال: إنه أتاني آت من ربي، فقال: إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد. فقلت: رب، خفف عن أمتي. قال: ثم جاء، فقال: إن ربك يامرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت: رب خفف عن أمتي. قال: ثم جاء الثالثة، فقال: إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد. فقلت: رب خفف عن أمتي. قال: ثم جاءني الرابعة، فقال: إن ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف، ولك بكل ردّة مسألة. . . . الخ[2].

وروي عن زيد بن وهب، قال: أتيت ابن مسعود استقرائه آية من كتاب الله، فأقرأنيها كذا وكذا. فقلت: إن عمر أقرأني كذا وكذا خلاف ما قرأها عبد الله. قال: فبكى حتى رأيت دموعه خلال الحصى، ثم قال: إقرأها كما أقرأك عمر، فو الله لهي أبين من طريق السليحين[3].

ففي هذين الخبرين وفي الأخبار الأخرى التي ذكرتها والأخبار المروية عن الأسباب التي حملت المسلمين بعد وفاة الرسول ومنذ عهد أبي بكر إلى عهد عثمان

---

(١) جامع ١/ ٢٣، ابن سعد ٥/ ١٠٠، ياقوت: إرشاد ٥/ ٦٣، ٦٥، المذاهب الإسلامية ٧٤.

(٢) جامع ١/ ١٤.

(٣) ابن سعد ١/ ٢٧٠. Noldeke, Geschichte des Qorans. I. s. 49.

على جمع القرآن وتدوينه ما يفيد وقوع اختلاف في القراءات على عهد الخلفاء حمل الخليفة عثمان على وضع حدّ له خشية الفرقة، فأمر بالقراءه على المصحف الذي تم الاتفاق عليه[١].

ومن هذه الوجهة ظهرت نظرية القراءات السبع، القراءات المعتبرة المعتمدة عند القراء، وهي ترجع إلى أئمة ارتبطت بأسمائهم، وعليها يقتصر في القراءات، وهي بالطبع نتيجة تطور سابق لقراء سبقوا هؤلاء الأئمة الذين اعتمد عليهم في القراءات[٢]، وعلى قراءاتهم يقرا من يستحق لقب «مقرئ» أو «قارئ»[٣] وان كانت هنالك روايات تزيد بعض الزيادات على هذه القراءات.

ولأجل تكوين فكرة علمية صحيحة عن هذه الأخبار وعن درجة سعة هذا الاختلاف ومقدارها وما يجب أن يقال فيها، لا بد من نقد كل ما ورد في هذا الباب من حديث وروايات، وغربلته غربلة دقيقة. وتكون أول هذه الغربلة في نظري بنقد سلسلة رجال السند، أي الرواة، لمعرفة الروابط التي كانت تربط بينهم وصلة بعضهم ببعض وملاقاتهم، وما قيل وورد فيهم، إذ نسبت أحاديث إلى أشخاص قيل إنهم رووها عن أناس ثقات، ثبت من النقد أن بعض رجال السند لم يلتقوا في حياتهم بمن حدثوا عنهم كما في حديث قتادة عن ابن عباس، أو أنهم رووا ما رووه تسرعاً وبدون سند أو إجازة[٤] لمجرد سماعهم برواية أولئك الأشخاص لتلك الروايات.

ثم إن هذا النقد لا يكفي وحده، بل لا بد من نقد متن الحديث من حيث لغته وأسلوبه ومضمونه وروحه، ومن حيث انطباق بعض الروايات على جوهر القرآن الكريم وما عرف عن الرسول. فبهذا النقد للمتن، نتمكن من الحكم على إمكان صدور الحديث عن الرسول أو عدمه.

وبعد كل ما تقدم، علينا حصر أمثلة الاختلاف التي ذكرها العلماء، وضبط كل ما ورد في الأخبار من هذا القبيل، لنتمكن من الحكم على مقدار ما اختلف فيه وسعته

---

(١) الإتقان ١/ ٩٨ وما بعدها، جامع ١/ ٢٠ وما بعدها، النشر ١/ ٥ وما بعدها، الرافعي: إعجاز القرآن ٣٠ وما بعدها.

(٢) ابن عبدالبر: جامع بيان العلم وفضله ١٢١، الحافظ الدمشقي: النشر في القراءات العشر ١/ ٣١ وما بعدها.

(٣) كولد زهير: المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن ص٣٧.

(٤) جامع ١/ ٢٣، ٢٥/ ٧٢، المذاهب الإسلامية ٨١ وما بعدها.

ودرجة موافقته لما جاء في ذلك الحديث وفي تلك الأخبار، ثم دراسة هذه الكلمات التي قيل إنها تمثل لهجات قبائل وإنها حرف من هذه الأحرف السبعة المذكورة في الحديث.

ونحن إذا تعمقنا في درس مواضع الاختلاف، وهي أهم ما يتصل بلهجة القرآن الكريم، وسجلناها تسجيلاً دقيقاً شاملاً، نجد أنها ليست في الواقع اختلافاً في أمور جوهرية تتعلق بالوحي ذاته، وإنما هي في الغالب مسائل ظهرت بعد نزول الوحي من خاصيّة القلم الذي دوّن به القرآن الكريم. فرسم أكثر حروف هذا القلم متشابهة، والمميز بينها هو النقط، وقد ظهر النقط بعد نزول الوحي بأمد. ثم إن هذا القلم كان خالياً في بادئ أمره من الحركات، وخلو الكلم من الحركات يحدث مشكلات عديدة في الضبط من حيث إخراج الكلمة، أي كيفية النطق بها، ومن حيث مواقع الكلام من الإعراب[1].

كل هذه الأمور وأمور أخرى تعرض لها العلماء، أحدثت في الغالب القسم الأعظم مما يعد اختلافاً في القراءات.

ويعود القسم الباقي من مواضع الاختلاف إلى سبب أراه لا يتعلق أيضاً بمتن النص، وإنما هو، كما يتبين من الإمعان في دراسته ومن تحليل الآيات المختلف فيها، زيادات وتعليقات من ذهن الحفاظ والكتاب على ما أتصور، لعدم وضوح المعنى لديهم، لعلها كانت تفسيراً أو شرحاً لبعض الكلم دونت مع الأصل، فظنت فيما بعد من الأصل. واثبات التفسير مع المتن، جائز على بعض الروايات[2].

ويعود قسم آخر منه إلى استعمال كلمات قد تكون مخالفة لكلمة من حيث شكلها، ولكنهم متفقة معها في معناها، وإلى استعمال كلمات متباينة في الشكل وفي المعنى. وهذا القسم هو، ولا شك، أهم أقسام الاختلاف، واليه يجب أن توجه الدراسة.

هذه الأمور المذكورة، تحصر جميع ما ورد من اختلاف في كلمات أو آيات من القرآن الكريم. أما ما ذكره العلماء من الأوجه التفسيرية للحديث حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف، ومن جعلها خمسة وثلاثين وجهاً أو سبعة أوجه أو أقل من ذلك أو

(١) الهمداني: الإكليل ٨/ ١٢٢، المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن ص٤ وما بعدها.
(٢) جواز اثبات بعض التفسير على المصحف، وان لم يعتقدوه قرآناً، المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن ١١ وما بعدها، الزرقاني على الموطأ ١/ ٢٥٥.

أكثر[1]، فإنها تفاسير متأخرة، وأوجه نظر قيلت لإيجاد مخارج مسوّغة لتفسير هذا الحدي.

ويصعب في هذا الموضع ذكر أمثلة لهذه الأمور، فهي عديدة كثيرة، ذكرت في كتب المصاحف وفي كتب التفسير، وأورد شواهد منها «كولدتزهير» في كتابه عن «المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن»، يمكن الاطلاع عليها في الصورة العربية له المطبوعة بمصر[2]. فمن أمثلة الاختلاف الحادث من الخط «تستكبرون» بالباء الموحدة و«تستكثرون» بالثاء المثلثة في الآية: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾[3]. و«بشراً» أو «نشراً» في الآية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦ﴾[4]. وكلمة «إياه «في الآية: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾، إذ وردت أيضاً «أباه» بالباء الموحدة[5]. وأمثال ذلك مما كان سببه النقط.

وبعد ملاحظة ما تقدم، وحصر كل ما ورد في المصاحف وما قرأه القراء من قراءات، نجد أن ما يختص منه باللهجات وباللغات قليل يمكن تعيينه، ومعظمه مترادفات في مثل: أرشدنا واهدنا، والعهن والصوف، وزقية وصيحة، وهلم وتعال وأقبل، وعجل وأسرع[6]، والظالم والفاجر، وعتى وحتى[7]، وأمثال ذلك. وهذه الأمثلة هي كلمات مختلفة لفظاً، ولكنها في معنى واحد. وهي كما ترى مفردات لا دخل لها في قواعد اللهجات.

وأما الاختلاف في الإظهار والإدغام والإشمام والتفخيم والترقيق والمد والقصر والإمالة والفتح والتحقيق والتسهيل والإبدال، فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه اللفظ والمعنى؛ لأن هذه الصفات المتنوعة في أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظاً

(١) النشر في القراءات العشر ١/ ٢١ وما بعدها، الإتقان ١/ ٧٨ وما بعدها، القرطبي ١/ ١٦، الأزرقي ٤٣٦. Noldeke, I, s, 49f.

(٢) إخراج علي حسن عبد القادر، مطبعة العلوم، القاهرة، ١٩٤٤م.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٤٨.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٥٧.

(٥) سورة التوبة، الآية: ١١٤.

(٦) النشر ١/ ٢٩ وما بعدها، القرطبي ١/ ١٦، إتقان ١/ ٧٩ وما بعدها.

(٧) مباني ٩، Noldeke, I. 51.

واحداً[1]، وليس هو من قبيل الاختلاف المؤثر في قواعد اللهجة، إنما هو اختلاف في الصور الظاهرة لمخارج حروف الكلمات، فلا يصح أن يعد فارقاً كبيراً يمكن أن يكون حداً يفصل بين اللهجات، بحيث يصيّرها لغة من اللغات، ثم إن بعضه يعود إلى الخط، وبعضه إلى التجويد[2] أي طريقة التلاوة والأداء.

وللحكم على أصل المترادفات، تجب مراجعة سلسلة السند للوصول إلى صحة تسلسل الأخبار من جهة، وإلى معرفة راوي الخبر والقبيلة التي هو منها لمعرفة القراءة التي قرأها، وهل هي من لهجة قبيلته، أم هي مجرد كلمة من اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم نفسها، تلقاها القاريء على الشكل الذي رواها في قراءته.

لقد أشار العلماء إلى أمثلة من كلمات غير قرشية وردت في القرآن الكريم، ذكروا أنها من لهجات أخرى، ومنها: الأرائك، ولا وزر، ويفتنكم، وأمثال ذلك رجع بعضهم أصولها إلى خمسين لهجة من لهجات القبائل، كما أشاروا إلى وجود كلمات معربة أخذت من لغات أعجمية مثل الرومية والفارسية والنبطية والحبشية والسريانية والعبرانية وأمثال ذلك[3]، وألفوا في ذلك كتباً، منها: كتاب لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي المتوفي سنة ٢٢٣هـ ٨٣٨م واسمه «رسالة في ما ورد في القرآن من لغات القبائل»[4]، وكتاب لغات القرآن لأبي زيد الأنصاري المتوفي سنة ٢١٤هـ ٨٢٩م[5]، وغيرهما. ولكن بحوث هؤلاء العلماء انحصرت في دراسة المفردات، أي الكلمات لا غير. ثم إن الذين تناولوها لم يكن لهم علم بأكثر اللغات التي رجعوا أصولها إليها، ولا سيما اللغات الأعجمية مثل الرومية والسريانية والنبطية والحبشية. غير أن من الجائز أن يكون هؤلاء قد سمعوا عنها من الأعاجم الذين دخلوا في الإسلام. ولكن طريقة السماع هذه لا تكفي لإعطاء حكم على أصل لغة، بل لا بد من وجود علم ومعرفة تلك اللغة وتأريخها وتطورها، والإحاطة بالعلاقات التأريخية بين العرب

---

(١) النشر ١/ ٢٦ وما بعدها.

(٢) راجع بعض الأمثلة في ص٧ من كتاب المصاحف: للسجستاني «طبعة آثر جفري»، القاهرة ١٩٣٦.

(٣) الإتقان ١/ ٢٢٩ وما بعدها.

(٤) طبع مع كتاب الديريني المسمى (التيسير في علم التفسير) في القاهرة سنة ١٣١٠هـ. ومع تفسير الجلالين المطبوع في القاهرة كذلك سنة ١٣٥٦هـ.

(٥) الفهرست ص٥٥.

وغيرهم قبل الإسلام لمعرفة كيفية دخول تلك الكلمات إلى العرب، وإيجاد وجه صحيح للمقارنة بين اللغتين، وهذا ما لم يحدث في تلك الأيام.

ولما كانت قراءة عبد الله بن مسعود من القراءات المشهورة المعروفة، وكان عبد الله بن مسعود من قبيلة هذيل[(١)]، وجب علينا البحث في لهجة هذيل ولمعرفة خصائصها مميزاتها وما انفردت به عن غيرها من اللهجات. وهذيل من القبائل التي عرفت بجودة لهجتها، في تدوين القرآن الكريم[(٢)]. ولذلك رأى الخليفة عثمان أن يكون المملي من هذيل والكاتب من ثقيف. وقد ذكرت لهجتها في جملة اللهجات التي نص عليها في الحديث المذكور على نحو ما أشرت إليه، كما أخرجت عدداً من الشعراء جمع بعض العلماء أشعارهم في ديوان، وقد طبع في القاهرة ديوان شعراء هذيل[(٣)]. ويفيدنا شعر هؤلاء الشعراء بالطبع في الوقوف على لهجة هذه القبيلة. ولكن هذا الشعر هو مثل شعر سائر الشعراء الجاهليين الآخرين، مصقول مهذب، هذب على وفق قواعد اللغة العربية التي ضبطت في الإسلام، ثم هو مضبوط برواية رواة هم في الأغلب من غير هذيل. ولهذا قلما نجد في شعر هؤلاء الشعراء وغيرهم ما يختلف عن قواعد اللهجة العربية، حتى أننا لا نستطيع في هذه الحالة أن ندعي أن هذا الشعر هو بلهجة هذيل. وقد حرمنا هذا الصقل الوقوف على لهجات القبائل التي أخرجت أولئك الشعراء ومعرفة مؤثراتها في شعر أولئك الشعراء.

ومن أهم الأمثلة التي أوردها العلماء في قراءة ابن عباس مما له علاقة باللهجات، قراءته كلمة «حتى» «عتى» بالعين في الآية: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ﴾[(٤)]. وقد ذكر المفسرون وعلماء اللغة أن هذه القراءة هي بلهجة هذيل[(٥)]، وأن «عتى» هي «حتى» عند هذه القبيلة، ذلك لأن هذه القبيلة تستعمل حرف العين بدلاً

---

(١) طبقات ابن سعد ١/ ١٥، ٣/ ١٠٥، عيون الأخبار ٣٧٣، «بروكلمن»، راجع ترجمته في دائرة المعارف الإسلامية، حيث تجد الإشارة إلى الموارد التي وردت فيها ترجمته. ٢/ ٤٠٣ من الطبعة الإنكليزية. Goldzher, Vorlesungem, s, 65.

(٢) ابن فارس: الصاحبي ٢٨ «وقال عمر: لا يملين في مصاحفنا الا غلمان قريش وثقيف. وقال عثمان: اجعلوا المملي من هذيل، والكاتب من ثقيف»، Rabin, p,79.

(٣) الخصائص ١/ ١٣٠، ديوان الهذليين: القاهرة ١٩٤٥، طبع مطبعة دار الكتب المصرية.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٣٥.

(٥) البيضاوي ١/ ٤٦٠، ابن مالك: التسهيل ٥٧.

من الحاء في لهجتها[١]. ولم يشر العلماء إلى مواضع أخرى استعمل ابن مسعود فيها كلمة «عتى» في موضع «حتى» الواردة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، كما أننا لم نجد في كتب اللغة المتقدمة إشارة إلى استبدال هذيل حرف العين بحرف الحاء. ونظرية «فحفحة هذيل»، رأي متأخر لم يقرن بأدلة وأمثلة، فهو رأي لا يمكن الأخذ به[٢].
وأظن أن هذه القراءة المنسوبة إلى ابن مسعود، هي من القراءات المتولدة من حدوث اشتباه في القراءة، من جراء عدم حصول التمييز بين «العين» و«الحاء» في «حتى». ووقوع الاشتباه بين الحرفين في ابتداء الكلمات، أمر ليس بصعب، وإلا فلم انفرد ابن مسعود في هذا الموضع فقط، باستعمال «عتى»، ولم يستعملها في المواضع الأخرى وهي كثيرة في القرآن الكريم؟

نعم، لقد ورد في روايات إن ابن مسعود قرأ «نحم» بدلاً من «نعم» في القرآن الكريم[٣]، وأنه قرأ «بحثر» عوضاً عن «بعثر»[٤]. وهذه الروايات تناقض الروايات السابقة التي تزعم أنه قرأ «عتى» في موضع «حتى» في الآية المذكورة، إذ نجده في هذه الروايات يقرأ «العين» حاء، أي عكس تلك القراءة المنسوبة إليه. ثم إن المفسرين وعلماء القراءات، لم يشيروا إلى قراءات أخرى له من هذا النوع قلب فيها حرف العين حاء مع تعدد ورود حرف العين في القرآن الكريم.

وهناك روايات تفيد أن أسداً وتميماً استعملوا حرف الحاء في موضع العين في بعض الحالات، فقالوا «محهم» بدلاً من «معهم» و«أأحهد» في موضع «أأعهد»[٥]. ولكنها لم تشر إلى أمثلة أخرى من هذا القبيل. وهذان المثالان لا يكفيان بالطبع لإعطاء حكم في هذا الإبطال عند القبيلتين. ولكن هنالك رواية متأخرة لا نعرف مرجعها تفيد ان هذا الإبدال واقع في لهجة سعد بن بكر، وهي قبيلة تقع مواطنها في شمال المدينة[٦]. ولكن ما صلة ابن مسعود بهذه القبيلة وهو من هذيل؟ هل نفترض انه

---

(١) المزهر ١/ ١٣٣. Rabin, p,84,f.
(٢) Rabin,p,85.
(٣) المغني ٢/ ٢٥.
(٤) «أفلا يعلم اذا بعثر ما في القبور»، العاديات ١٠٠، ٩ Rabin, p, 85,Beck in Orientalia, Vol, xv, 182.
(٥) Rabin, p,85.
(٦) المصدر نفسه.

أخذ قراءاته تلك من أفواه رجال هذه القبيلة؟ إذا أخذنا بهذا الظن، وجب علينا إثبات ذلك بدليل، وذكر أسماء الصحابة الذين أخذ ابن مسعود منهم قراءته، ويجب حينئذ رجع تلك القراءة إلى أولئك الصحابة لا إلى ابن مسعود. والواقع أننا لا نستطيع أبداً الإتيان بدليل ما يثبت استعمال هذيل حرف العين في كلامها في موضع الحاء وبالعكس.

ورأيي أن ما نسب إلى ابن مسعود في هذه القراءة أو القراءات الثلاثة، سببه وهم وقع فيه من نسب تلك القراءة إليه، وهو ناتج من كتابة المصحف المنسوب إليه. وإلا، فلا يعقل أن يقتصر ابن مسعود على هذه القراءة أو القراءات التي هي ليست من لهجة أهل مكة ولا أهل يثرب ولا هذيل، ثم يترك سائر المواضع. لا يعقل كذلك تلفظ الرسول بهذه اللهجة الشاذة التي لا نعرف من كان يستعملها على وجه ثابت، وقد نزل القرآن بأفصح اللهجات.

وإلى أمثال هذه القراءات الشواذ، التي يجب نقدها وتمحيصها بعناية، استند «كارل فولرس» في نظريته القائلة بحدوث تغيير في نص القرآن الكريم. وهي نظرية لم يقرها عليه بعض كبار المستشرقين. ولو فحصت ودققت، لتبين أنها بنيت على روايات لا تثبت أمام التمحيص، أخذها لمجرد ورودها في الكتب. ولكن ليس كل ما يرد في الكتب بأمر مسلم به. وسأتحدث عنها في الجزء الآتي من المجلة، مع بقية الموضوع.

عبد الله بن سبأ[*]

هذا رجل تقرأ خبره في كل كتاب من كتب العقائد والفرق، وفي أكثر كتب التأريخ والأخبار التي تحدثت عن الفتنة في أيام عثمان بن عفان، وعن مقتل الإمام علي بن أبي طالب، وعن الغلو والغلاة.

تقرأ خبره في الكتب القديمة كما تقرأ خبره في الكتب الحديثة، التي تعرضت للموضوعات المذكورة، حتى ليخل إليك أنه بطل من الأبطال، ورئيس من رؤساء الفتن في الإسلام. ومع ذلك - وهذا هو الغريب - فإنك إذا ما تعمقت في دراسة الروايات وقرأت كل ما ورد عنه، خرجت وأنت لا تعرف عن نسبه وأهله شيئاً، إنما كل ما تعرفه عنه أنه يهودي ابن يهودي، وأن أمه كانت سوداء ولذلك عرف بابن السوداء.

قالوا إنه: عبد الله بن سبأ، وإنه كان «يهودياً من أهل صنعاء، أمه سوداء»[1]. فهو يماني الأصل، يهودي الدين من جهة الأب وإفريقي من جهة الأم. أسلم كما جاء في تأريخ الطبري زمان عثمان[2].

وقالوا: إنه كان رأساً من رؤوس الفتنة والشغب والبدعة. تنقل في الأمصار داعياً فيها إلى الثورة. وكان من أبطال الفتنة التي قامت على عثمان، كما كان من رؤوس الدعوة التي أسست مذهب الغلو في علي بن أبي طالب والمبالغة في حبّه مبالغة انتهت إلى تأليهه.

وذكر بعض الإخباريين أنه أدرك وفاة عليّ بن أبي طالب، وأنه لقي في «المدائن» رجلاً أسمه «جرير بن قيس»، وكان جرير قد قدم حديثاً إليها، فسأله ابن السوداء: «ما الخبر؟».

فقال جرير: «ضرب أمير المؤمنين ضربة يموت الرجل من أيسر منها، ويعيش من أشد منها». وكان جوابه: «لو جئتمونا بدماغه في ألف صرة، لعلمنا أنه لا يموت حتى

(*) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي العدد ٦ لسنة ١٩٥٩. ص ٦٦-١٠٠.

(١) الطبري ٥/ ٩٨ طبعة المطبعة الحسينية.

(٢) الطبري ٥/ ٩٨.

يذودكم بعصاه»[١]. ومعنى ذلك أن ابن السوداء كان حياً حين ضرب علي بن أبي طالب في الكوفة، وأنه توفي بعد وفاة عليّ.

ومرجع هذه الرواية «الجاحظ»، وقد ذكرها في «كتاب العصا»، نقلاً عن «حباب ابن موسى عن مجالد عن الشعبي عن جرير بن قيس»[٢]. وقد دعته بـ «أبن السوداء»، ولم تسمه بـ «ابن سبأ» أو «عبد الله بن سبأ» كما سمته بقية الروايات.

وقد جعلت الرواية المتقدمة والد «ابن السوداء» رجلاً أسمه «حرب»، ففيها: «عن جرير بن قيس، قال: قدمت المدائن بعدما ضرب علي بن أبي طالب - كرّم الله وجهه - فلقيني ابن السوداء، وهو ابن حرب، فقال: ما الخبر؟ فقلت: ضرب أمير المؤمنين ضرب يموت الرجل من أيسر منها، ويعيش من أشد منها. قال: لو جئتمونا بدماغه في مئة صرة، لعلمنا أنه لا يموت حتى يذودكم بعصاه».

وهذه الرواية، هي أقدم رواية وردت عن ابن السوداء، لأن ناقلها «الجاحظ»، وهو من المتوفى سنة ٢٥٥هـ. وتعد روايات سواء متأخرة، لأنهم كانوا من المتوفى بعده، فهم متأخرون عنه، وتعد رواياتهم لذلك متأخرة عن رواية الجاحظ المذكورة من ناحية الترتيب الزمني، وإن كان من الجائز أن يكون بعضها أقدم عهداً من رواية الجاحظ، لأن راويها أخذ روايته عن مرجع متقدم على المرجع الذي نقل الجاحظ منه.

ويلي الجاحظ في ترتيب سني الوفاة ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ. وقد ذكر في كتابه «المعارف» ابن سبأ، فقال: «السبئية من الرافضة: ينسبون إلى عبد الله بن سبأ» وكان أول من كفر من الرافضة، وقال: علي رب العالمين، فأحرق علي أصحابه بالنار»[٣]. ثم «النوبختي: أبو محمد الحسن بن موسى»، وهو من رجال القرن الثالث للهجرة، ومن علماء الشيعة المشهورين وصاحب مؤلف في فرق الشيعة معروف ومطبوع متداول يقال له «فرق الشيعة». ثم أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المفسر والمؤرخ المشهور[٤]. ثم أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي المتوفى سنة ٣٢٨هـ[٥].

---

(١) البيان والتبيين ٣/ ٤٦.

(٢) البيان والتبيين ٣/ ٤٦ القاهرة ١٩٢٧، طبعة حسن الندوبي.

(٣) المعارف ص٢٦٧، طبعة القاهرة سنة ١٩٣٤، ص٣٠٠، طبعة أوربة.

(٤) استعنت بالطبعتين من كتابه: تأريخ الرسل والملوك، طبعة «لايدن»، والطبعة المصرية.

(٥) العقد الفريد ٢/ ٢٣٦ طبعة محمد سعيد العريان.

ونجد في كتاب رجل من رجال الشيعة أسمه «أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي» صاحب كتابي «معرفة أخبار الرجال»، أشياء عن «ابن سبأ» لم ترد في كتاب الجاحظ ولا في كتاب ابن «قتيبة»، وقد ذكر سندها على هذا النحو: ابن قولويه عن سعد بن عبد الله ابن أبي خلف القمي عن محمد بن عثمان العبدي عن يونس بن عبد الرحمن عن عبد الله بن سنان عن أبيه وينتهي السند بجعفر الصادق المتوفى سنة ١٤٨ للهجرة[1].

هؤلاء هم، في الواقع، السند والعمدة في أخبار «ابن سبأ». أما غيرهم من أمثال عبد القاهر بن طاهر البغدادي سنة ٤٢٩هـ صاحب كتاب «الفرق بين الفرق»، و«ابن حزم» المتوفى سنة ٤٥٦هـ، وأبي المظفر عماد الدين شاهقور طاهر بن محمد الاسفراييني، المتوفى سنة ٤٧١هـ، والشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨هـ صاحب «الملل والنحل»، والايجي المتوفى سنة ٧٥٦هـ، والمقريزي المتوفى سنة ٨٤٥هـ، وابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨هـ، والجرجاني المتوفى سنة ٨١٦هـ، وغيرهم، فقد بحثوا في «ابن سبأ» وفي السبئية، ولكنهم لم يأتوا إجمالاً بشيء جديد، يزيد على ما ذكره المتقدمون ممن ذكرت. وقد كان مرجعهم كتب أولئك المتقدمين عليهم في الغالب، أو الموارد التي رجع إليها أولئك المتقدمون عليهم. ولهذا فان مناقشتنا للموضوع ستكون الموارد المتقدمة بالدرجة الأولى مع الإشارة إلى الموارد الأخرى بالمناسبة.

وقد عرف الشخص الذي نتحدث عنه بـ«عبد الله بن سبأ»، في كثير من الكتب التي تحدثت عنه، ودعي: «ابن سبأ» أحياناً وبـ«ابن السوداء» أحياناً أخرى. وبـ«عبد الله ابن السوداء» كذلك. أما الطبري، فقد دعاه بالتسميتين: دعاه بـ«عبد الله بن سبأ» ودعاه بـ«ابن السوداء»[2]. وقد جعل «أحمد بن عبد ربه الأندلسي» من الرجل رجلين. فسمى أحدهما عبد الله بن سبأ، وسمى الآخر عبد الله بن السباب[3].

فأنت إذن أمام شخص عرف: «عبد الله بن سبأ»، وبـ«ابن سبأ» أحياناً وبـ«ابن السوداء» وبـ«عبد الله بن السوداء» أحياناً أخرى. كما دعي «عبد الله بن السباب» في بعض المراجع. أما من دعاه «عبد الله بن سبأ» و«ابن سبأ»، فقد جعل أباه رجلاً عرف

---

(١) راجع كتابه: معرفة أخبار الرجال.

(٢) الطبري ٥/ ٩٨ طبعة المطبعة الحسينية.

(٣) العقد الفريد ٢/ ٢٤١، ضحى الإسلام ١/ ٢٣٤.

بين الناس بـ «سبأ». وأما من سماه «ابن السوداء» أو «عبد الله بن السوداء»، فقد نسبه إلى امه، وكانت سوداء، فغلب صفتها عليها، وصارت كأنها اسم علم لها. إلا ما كان من «الجاحظ»، فقد ذكره بـ «ابن السوداء»، ثم استدرك، فقال: «وهو ابن حرب»[1]. فجعل أباه رجلاً عرف بـ «حرب».

أما موطن «ابن سبأ» ومنشؤه الذي نشأ فيه، فقد كاد ينصب إجماع الرواة على أنه «اليمن»، إلا ما كان من رواية منسوبة إلى «الشعبي» ورد فيها أنه كان يهودي الأصل، من أهل الحيرة[٢]. وقد نصت بعض الروايات على اسم المكان الذي ترعرع فيه من اليمن، فجعلته «صنعاء» وهي مدينة صار لها شأن كبير منذ أيام استيلاء الحبش والفرس على اليمن، وبقيت على هذه الأهمية في الإسلام إلى اليوم.

وقد نسبه بعض أهل الأخبار إلى «حمير»، فدعاه بـ «الحميري»، فهو من «حمير» على روايتهم هذه[٣]. ولكن هذه النسبة لا تعني أنه كان من حمير لحماً ودماً بالضرورة، فقد عرف «كعب الأحبار» بـ «الحميري»، ولم يكن «كعب» من صميم حمير، بل كان من يهود «حمير». ونسب «وهب بن منبه» إلى «حمير» كذلك، ولم يكن «وهب» حميرياً صريحاً، بدليل ما صرح به بعض أهل الأخبار من أنه كان «أبنوياً» فهو من الأبناء، أي من ذلك الجيل الذي تكون من اختلاط الفرس بأهل اليمن الأصليين بالزواج بعد دخول اليمن في منطقة نفوذ الساسانيين بعد طرد الحبش من اليمن وبقاء الحكم فيها في أيدي الفرس إلى ظهور الإسلام. فيجوز أن تكون حميرية ابن سبأ حميرية مكتسبة، أكتسبها بالولاء. ويجوز أن تكون قد وردت إليه من جهة شيوع قدومه من اليمن. وقد كانت لفظة حمير يومئذ ترادف اليمن، ولا سيما أنه نسب إلى أب هو «سبأ»، و«حمير» من «سبأ». ورأيي أن لفظة «سبأ» نفسها ليست اسم أبي «عبد الله»، بل هي اسم الشعب، وأنها صارت اسم أبيه من باب التغليب.

ما ذكرت هو كل ما ورد عن ابن سبأ وعن أبيه وأمه وعن وطنه. وهو مادة مقتضية ليس فيها عن الرجل إلا القليل. أما كيف وصل إلى العراق، أو بلاد الشام، أو أي مكان آخر دخله، فعلمه عند ربك. وأما نواحي حياته الأخرى، غير المبادئ التي زعم

---

(١) البيان والتبيين ٣/ ٤٦ طبعة السندوبي.

(٢) الفرق بين الفرق في بحث الشيعة والغلاة ص٢٣.

(٣) الرسالة: الجزء ٧٧٥، الاثنين ١٠ مايس ١٩٤٨.

أنه جاهر بها بين المسلمين، فلا نعلم من أمرها شيئاً. وإذن، فليس لنا هنا إلا التحدث عن الآراء المنسوبة إليه وعن العقائد التي يقال إنه زرعها بين الشيعة، وعن الفتن التي أضرم نيرانها في أيام عثمان.

وأبدأ قبل كل شيء بالحديث عن الفتنة التي أثارها على الخليفة عثمان. وهي فتنة تحدث عنها الطبري، وهو أقدم من أشار إليها من المؤرخين، ثم أعطف بعده بالكلام على آرائه الأخرى رأياً بعد رأي، وهي آراء تخص نوعاً خاصاً من العقائد، تتلخص في: الوصية، وفي الغلو في حق علي وفي الرجعة.

وترجع روايات الطبري عن «عبد الله بن سبأ» إلى سند هذه صورته: «ومما كتب به اليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعسي»[1]. أو «... في ذلك قصة كتب اليّ به السري يذكر أن شعيباً حدثه عن سيف، عن عطيّة، عن يزيد الفقعسي، قال...»[2]. أو «فيما كتب به إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعسي، قال...»[3]. فنرى من هذا السند أن الطبري قد أخذ كل ما ذكره عن عبد الله بن سبأ من مصدر واحد، هو «السري» عن «شعيب» عن «سيف» عن «عطية»، وتنتهي سلسلة سند «السري» بـ«يزيد الفقعسي».

وقبل أن أعرض لرجال هذا السند، أرى تسطير كل ما أورده الطبري عن «ابن سبأ» مبتدءاً بخبر وروده إلى البصرة قادماً من الحجاز[4]. ففي البصرة بدأت فتنته كما ذكر الطبري، ومن هذه المدينة انتقل إلى المدن الأخرى، معلناً نقمته على الخليفة عثمان، ودعوته في علي بن أبي طالب وفي الرجعة، وإقناعه أبا ذر الغفاري بأخذ رأيه في المال وفي تصرف معاوية في أموال «بيت المال».

وإليك ما كتبه الطبري عن مجيء ابن السوداء إلى البصرة، قال: «مما كتب به إلى السري، عن شعيب، عن سيف» عن عطيّة، عن يزيد الفقعسي، قال: لما مضى من إمارة ابن عامر ثلاث سنين بلغه أن في عبد القيس رجلاً نازلاً على حكيم بن جبلة،

---

(١) الطبري ٥/ ٩٠ ذكر الخبر عن تسيير عثمان من سير من أهل البصرة إلى الشام.

(٢) الطبري ٥/ ٦٦ أخبار أبي ذر رحمه الله تعالى.

(٣) المصدر نفسه ص٩٨ ذكر مسير من سار إلى ذي خشب من أهل مصر وسبب مسير من سار إلى ذي المروة من أهل العراق.

(٤) فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز ثم البصرة...»، الطبري ٥/ ٩٨.

وكان حكيم بن جبلة رجلاً لصّاً إذا قفل الجيوش خنس عنهم، فسعى في أرض فارس، فيغير على أهل الذمة، ويتنكر لهم، ويفسد في الأرض، ويصيب ما يشاء ثم يرجع، فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة إلى عثمان، فكتب إلى عبد الله بن عامر أن «أحبسه» ومن كان مثله، فلا يخرجنّ من البصرة حتى تأنسوا منه رشداً. فحبسه، فكان لا يستطيع أن يخرج منها. فلما قدم ابن السوداء، نزل عليه، واجتمع إليه نفر، فطرح لهم ابن السوداء، ولم يصرح، فقبلوا منه واستعظموه، وأرسل إليه ابن عامر، فسأله: ما أنت؟ فأخبره أنه رجل من أهل الكتاب رغب في الإسلام ورغب في جوارك، فقال: ما يبلغني ذلك؟ أخرج عني. فخرج حتى أتى الكوفة، فأخرج منها، فأستقر بمصر، وجعل يكاتبهم ويكاتبونه، ويختلف الرجال بينهم»[١].

ويفهم من هذا الخبر أن مجيء «ابن السوداء» إلى البصرة ونزوله على «حكيم بن جبلة» كان في السنة الثالثة من إمارة «عبد الله بن عامر» على البصرة، وبناء على ذلك تكون سنة مجيء «ابن السوداء» إلى البصرة سنة ٣٢هـ تقريباً أو سنة ٣٣هـ. فقد كان تعيين «عبد الله بن عامر» عاملاً على البصرة سنة تسع وعشرين، عينه عليها عثمان. وكان قد عزل أبا موسى الأشعري واليها قبله. وكان عبد الله بن عامر ابن خال عثمان بن عفان، وكان عمره خمساً وعشرين سنة يومئذ. وقد ذكر الطبري الخبر المذكور في جملة حوادث سنة ٣٣ للهجرة[٢].

وكان المحطة الثانية بعد البصرة مدينة «الكوفة»، ولم يذكر الطبري مدة مكوث «ابن السوداء» فيها، ولا المحل الذي نزل فيه. وإنما اقتصر على الإشارة إلى «خروجه منها، واستقراره بمصر». فكان خروج «ابن السوداء» من الكوفة خروجاً إجبارياً، لا رأي له فيه ولا اختيار، وقد أوصله إلى مصر، حيث استقر فيها، وزاول عمله في إثارة الفتنة على عثمان، وفي إعلان آرائه، كما اتخذ مصر قاعدة سريّة اتصل منها بالمشاغبين على عثمان وبدعاة الفتنة في البصرة وفي الكوفة: يرسل رسله سرّاً إليهم، ويتراسل معهم، حتى أثار المصرين، وجعلهما يشتركان مع مصر في الحملة على الخليفة، وفي مهاجمته في بيته بالمدينة.

ولم يشر «السري» في هذه الرواية إلى بلوغ «ابن السوداء» دمشق الشام، ونزوله

---

(١) الطبري ٥/ ٩٠.

(٢) الطبري ٥/ ٥٤ ثم دخلت سنة تسع وعشرين ذكر ما كان فيها من الأحداث المشهورة.

فيها أيام ولاية معاوية عليها. ولكن «الطبري» يذكر في موضع آخر من تأريخه وهو باب حوادث سنة ٣٠هـ أنه بلغ دمشق الشام، وأنه نزل بها، واتصل بأبي ذر الغفاري، وكان بها يومئذ، وأنه أغراه بمعاوية. وقد نقل كلامه هذا عن «السري»، بالسند نفسه المذكور في الخبر السابق، وفي أخباره الأخرى التي أوردها عن هذا الرجل. وهاك نص ما ذكر عنه:

«وفي هذه السنة، أعني سنة ٣٠هـ، كان ما ذكر من أمر أبي ذر ومعاوية وإشخاص معاوية إيّاه من الشام إلى المدينة وقد ذكر في سبب إشخاصه إيّاه منها إليها أمور كثيرة، كرهت ذكر أكثرها. فأما العاذرون معاوية في ذلك، فإنهم ذكروا في ذلك قصة كتب إليّ بها السري، يذكر أن شعيباً حدثه عن سيف عن عطية عن يزيد الفقعسي، قال: لما ورد ابن السوداء الشام، لقي أبا ذر، فقال: يا أبا ذر، ألا تعجب إلى معاوية يقول: المال ما الله ألا ان كل شيء لله؟ كأنه يريد أن يحتجنه دون المسلمين، ويمحو اسم المسلمين. فأتاه أبو ذر، فقال: ما يدعوك أن تسمي مال المسلمين مال الله؟ قال: يرحمك الله، يا أبا ذر، ألسنا عباد الله، والمال مال الله، والخلق خلقه، والأمر أمره؟ قال: فلا تقله، قال: فإني لا أقول إنه ليس لله، ولكن سأقول مال المسلمين، قال: وأتى ابن السوداء أبا الدرداء، فقال له: من أنت؟ أظنك، والله، يهودياً؟ فأتى عبادة بن الصامت، فتعلق به، فأتى به معاوية، فقال: هذا، والله، الذي بعث عليك أبا ذر. وقام أبو ذر بالشام، وجعل يقول: يا معشر الأغنياء، واسوا الفقراء، بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، فما زال، حتى ولع الفقراء بمثل ذلك، وأوجبوه على الأغنياء، وحتى شكا الأغنياء ما يلقون من الناس. فكتب معاوية إلى عثمان أن أبا ذر قد أعضل بي! وقد كان من أمره كيت وكيت. فكتب إليه عثمان: إن الفتنة قد أخرجت خطمها وعينيها، فلم يبق إلا أن تثب، فلا تنكأ القرح، وجهز أبا ذر الي، وأبعث معه دليلاً، وزوده، وأرفق به، وكفكف الناس ونفسك ما استطعت، فإنما تمسك ما استمسكت. فبعث بأبي ذر ومعه دليل. فلما قدم المدينة، ورأى المجالس في أصل سلع، قال: بشر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكار. ودخل على عثمان، فقال: يا أبا ذر، ما لأهل الشام يشكون ذربك؟ فأخبره أنه لا ينبغي أن يقال مال الله، ولا ينبغي للأغنياء أن يقتنوا مالاً. فقال: يا أباذر عليّ أن أقضي ما علي: وآخذ ما على الرعية، ولا أجبرهم على الزهد، وأن أدعوهم

إلى الاجتهاد والاقتصاد. قال: فتأذن لي في الخروج، فإن المدينة ليست لي بدار. فقال: أو تستبدل بها إلا شراً منها؟ قال: أمرني رسول الله، ﷺ، أن أخرج منها إذا بلغ البناء «سلماً». قال: فأنفذ لما أمرك به. قال: فخرج حتى نزل الربذة»[1].

فكان خروج أبي ذر من دمشق ووصوله إلى المدينة في سنة ثلاثين للهجرة. أما إقامته في المدينة، فكانت كما نرى من هذه الرواية قصيرة جداً، لعلها لم تكن إلا أياماً، ثم غادرها بعد ذلك إلى الربذة حيث أقام بها إلى سنة وفاته. وكانت في السنة الثامنة في ذي الحجة من إمارة عثمان، أي في سنة اثنتين وثلاثين للهجرة[2].

وبعد ان وقفنا على خبر مجيء «ابن السوداء» إلى البصرة، وخبر التقائه بأبي ذر في دمشق، وتلقينه رأيه في المال، وتعليمه التفريق بين مدلول: المال مال الله، وهو المدلول الذي كان يقول به معاوية، ومدلول: المال مال ا لمسلمين، وهو الرأي الذي نادى به أبو ذر منحولاً من ابن السوداء، نعود إلى موازنة الخبرين أحدهما بالآخر. فقد كان مجيء «ابن السوداء» إلى البصرة في السنة الثالثة من حكم العامل ابن عامر. وقد رأينا أنه كان في السنة اثنتين وثلاثين أو السنة الثالثة والثلاثين للهجرة، كما ذكر ذلك مؤرخنا الطبري وأدرجه في حوادث هذه السنة[3]. وكانت سنه إخراجه من البصرة إلى الكوفة، ومن الكوفة إلى دمشق في هذه السنة كذلك.

أما سنة إخراج أبي ذر من الشام، وترحيله إلى المدينة بناء على طلب عثمان، استجابة لشكوى معاوية من أبي ذر، فكانت سنة ثلاثين للهجرة. وأما سنة وفاته، فكانت السنة الثانية بعد الثلاثين من الهجرة، وكانت بالربذة، ومعنى هذا أن ذهاب أبي ذر إلى الشام، وخروجه منها، كان قبل مجيء ابن السوداء إلى البصرة، وأن سنة وفاته كانت قبل ذلك. ومعنى هذا أيضاً نفى التقاء ابن السوداء بأبي ذر في دمشق، ونفي أخذه نظريته في المال من ابن السوداء.

ثم إن من الصعب تصديق خبر أخذ أبي ذر من رجل مثل ابن السوداء، وهو رجل نكرة من أصل يهودي، يظهر فجأة بين المسلمين. وأبو ذر رجل شديد عنيف، من قدماء الصحابة، وله قدم راسخة في الإسلام، ليست به حاجة إلى الأخذ من يهودي دخل

---

(١) الطبري ٥/ ٦٦.

(٢) الطبري ٥/ ٨٠، ذكر الخبر عن وفاته في حوادث سنة اثنتين وثلاثين.

(٣) الطبري ٥/ ٩٠.

حديثاً في الإسلام، حتى وإن قلنا بجواز التقاء أبي ذر به. لقد كان أبو ذر معتداً برأيه، فقيهاً، عالماً بقواعد الإسلام، لا يأخذ من أحد إلا إذا وثق به، فكيف يتأثر برأي رجل طاريء مطارد، يرد دمشق وهو مغضوب عليه مطعون في دينه، ثم يتأثر به بهذه السرعة ويتحمس له ويأخذ بمقالته؟.

ذكر الطبري أن أبا ذر كان «يختلف من الربذة إلى المدينة مخافة الأعرابية، وكان يحب الوحدة والخلوة، فدخل على عثمان وعنده كعب الأحبار، فقال لعثمان: لا ترضوا من الناس بكف الأذى، حتى يبذلوا المعروف. وقد ينبغي للمؤدي للزكاة ألا يقتصر عليها، حتى يحسن إلى الجيران والإخوان، ويصل القرابات. فقال كعب: من أدى الفريضة، فقد قضى ما عليه. فرفع أبو ذر محجنه، فضربه فشجه، فاستوهبه عثمان، فوهبه له. وقال: يا أبا ذر، إتق الله، واكفف يدك ولسانك. وقد كان قال له: يا ابن اليهودية، ما أنت وما ههنا؟ والله لتسمعن مني، أو لا دخل عليك»[1].

ورجل يكون هذا جوابه مع رجل هو أقدم إسلاماً من ابن السوداء، وقد اشتهر بين المسلمين بالعلم وبالوقوف على الكتب القديمة، ويراد بها كتب يهود، حتى نعت عندهم بـ «كعب الأحبار»، وغطى نعته هذا اسمه، يتجاسر عليه ويضربه في حضرة خليفة، ويقول له: «يا ابن اليهودية» ما أنت وما ههنا؟ والله لتسمعن مني أو لأدخل عليك» أو «يا ابن اليهوديين أتعلمنا ديننا» برواية أخرى[2]. هل يعقل أخذه من رجل أسلم حديثاً، ولم يكن معروفاً، ولم يشتهر بعلم، ولا بأي شيء مميز آخر؟ وهل يعقل انجرافه ذلك الانجراف بدعايته، وتحمسه ذلك التحمس له؟. وهل في الإسلام نقص وفراغ في هذا الباب، حتى يأتي رجل فارغ منه لا ندري مقدار موضع قدمه في الإسلام، ليرشد أبا ذر إلى هذه الناحية التي كانت من أهم النواحي المهمة التي تعرض لها الإسلام؟

وقد جاء خبر سب أبي ذر لكعب الأحبار، في كتاب «أنساب الأشراف» للبلاذري بشكل آخر. ورد على هذه الصورة: «لما أعطى عثمان مروان بن الحكم ما أعطاه، وأعطى الحارث بن الحكم بن أبي العاص ثلاث مئة ألف درهم، وأعطى زيد بن ثابت الأنصاري مئة ألف درهم، جعل أبو ذر يقول: بشر الكافرين بعذاب أليم، ويتلو قول

---

(١) الطبري ٥/ ٦٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢/ ٢٤٠.

الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾[1] الآية. فرفع ذلك مروان بن الحكم إلى عثمان، فأرسل إلى أبي ذر «ناتلاً» مولاه: أن أنته عما يبلغني عنك. فقال: أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله وعيب من ترك أمر الله؟ فو الله لأن أرضى الله بسخط عثمان أحب إلى وخير لي من أن أسخط الله برضاه. فأغضب عثمان ذلك وأحفظه، فتصابر، وكف؟ وقال عثمان يوماً: أيجوز للإمام أن يأخذ من المال، فإذا أيسر قضى؟ فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك. فقال أبو ذر: ياابن اليهوديين، أتعلمنا ديننا؟ فقال عثمان: ما أكثر أذاك لي وأولعك بأصحابي؟ إلحق بمكتبك، وكان مكتبه بالشام، إلا أنه كان يقدم حاجاً، ويسأل عثمان الإذن له في مجاورة قبر رسول الله، ﷺ، فيأذن له في ذلك. وإنما صار مكتبة بالشام، لأنه قال لعثمان حين رأى البناء قد بلغ «سلعاً»: إني سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: إذا بلغ البناء «سلعاً»، فالهرب. فأذن لي آت الشام فأغزو هناك. فأذن له. وكان أبو ذر ينكر على[2] معاوية أشياء يفعلها. وبعث إليه معاوية بثلاث مئة دينار، فقال: إن كانت من عطائي الذي حرمتمونيه عامي هذا، قبلتها؛ وإن كانت صلة، فلا حاجة لي فيها. وبعث إليه حبيب بن مسلمة الفهري بمئتي دينار، فقال: أما وجدت أهون عليك مني حين تبعث إلى بمال؟ وردها. وبنى معاوية الخضراء بدمشق فقال: يا معاوية إن كانت هذه الدار من مال الله، فهي الخيانة. وإن كانت من مالك، فهذا الإسراف: فسكت معاوية.

وكان أبو ذر يقول: والله، لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ماهي في كتاب الله ولا سنة نبيه. والله إني لأرى حقاً يطفأ، وباطلاً يحيا، وصادقاً يكذب وأثرة بغير تقى، وصالحاً مستأثراً عليه. فقال حبيب بن مسلمة لمعاوية: إن أبا ذر مفسد عليك الشام، فتدارك أهله إن كانت لكم به حاجة، فكتب معاوية إلى عثمان فيه. فكتب عثمان إلى معاوية: أما بعد: فأحمل «جندباً» إلى علي أغلظ مركب وأوعره. فوجه معاوية من سار به الليل والنهار. فلما قدم أبو ذر المدينة، جعل يقول: تستعمل الصبيان، وتحمي الحمى، وتقرب أولاد الطلقاء! فبعث إليه عثمان: الحق بأي أرض شئت. فقال: بمكة. فقال: لا، قال: فبيت المقدس. قال: لا. قال: فبأحد المصرين. قال: لا، ولكني مسيرك إلى الربذة. فسيره إليها، فلم يزل بها حتى مات»[3].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٤.

(٢) أنساب الأشراف ٥/ ٥٢.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف ٥/ ٥٢ وما بعدها.

وكان أبو ذر كما جاء في الأخبار شديداً زاهداً جداً، يعنف أي شخص مهماً كانت منزلته إذا وجد أنه قد مال إلى الدنيا، وأنه قد تصرف تصرفاً يخالف ما كان في أيام الرسول. وقد عرف ذلك عن نفسه، فكان يقول: «ما ترك الحق لي صديقاً». أو «ما زال بي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لم يترك لي الحق صديقاً»[1].

فيفهم من هذا الخبر المتقدم ومن سائر الأخبار عن أبي ذر أن حملته هذه على المكتنزين للذهب والفضة، وعلى الجامعين للثراء، وعلى المبتعدين عن الزهد المقبلين على الدنيا، إنما بدأت قبل ذهابه إلى دمشق بأمد طويل، وأن خروجه من المدينة وذهابه إلى الشام كان ناشئاً من تذمره من الوضع الجديد، وتذمر المثرين منه والغالب أن ذهابه إليها لم يكن عن طيب خاطر، بل كان كرهاً وقسراً، تجنباً من وقوع فتنة في مدينة الرسول بسبب حملته العنيفة هذه، وتخلصاً منه، فأرسل إلى معاوية ليكون في سلطانه ونفوذه وتحت تأثيره، وهو رجل إداري سياسي، يعالج المعضلات والمشكلات باللين والحيلة والرفق، إلا إذا وجد عنفاً وشدة. وقد عمل معاوية كل ما أمكنه لتغيير رأي أبي ذر واقناعه بالتزام الصمت والسكوت، كما قام بامتحانه لمعرفة درجة صدقه وإخلاصه في دعوته، بإرسال الأموال المغرية إليه. فلما وجد منه الجدّ في الدعوة والصدق في القول، والإخلاص في العقيدة وأنه ماض في ذلك لا ينثني عنه، شديداً لا يلين ولا يخشى عقاباً، أدرك خطره، وعرف ما ستعمل دعوته هذه في دمشق، وكتب إلى الخليفة يلتمس منه إصدار الأمر بنقله منها إلى مكان آخر. وهكذا تخلص منه.

وقد ذكر البلاذري أخبار أبي ذر، وذكر رأيه في المال، ولم يشر إلى التقائه بابن السوداء أو بابن سبأ. وقد جاء البلاذري بروايات عن أبي ذر لم ترد في تأريخ الطبري، اغترفها من منابع لم يغترف الطبري منها. ولو كان قد التقى به، أو تلقن رأيه في المال منه، لأشار إليه، فقد أشار كما رأينا إلى رأي أبي ذر في المال وفي الغنى والأغنياء قبل ذهابه إلى الشام. ولو كان رأي أبي ذر مأخوذاً من أحد، لأشار البلاذري إليه ولا شك.

ولم يكن أبو ذر الشخص الوحيد الذي نادى بهذا الرأي وجاهر به، لقد شاركه فيه وقال به كثير من الصحابة غيره. وقد أخذ عمر بن الخطاب الصحابة بالشدة في اقتطاع الأرض وامتلاك الأملاك، وعنف العمال لابتنائهم البيوت بالجص والآجر واستخدامهم خشب الآبنوس في البناء. ثم لم يكتف بذلك، بل حصر قريشاً والصحابة في المدينة،

---

(١) البلاذري ٥/ ٥٤ وما بعدها.

ولم يسمح لهم بمغادرتها إلا بإذن خشية أن يذهبوا إلى الأمصار ويقيموا فيها ويمتلكوا الأملاك الواسعة، فيبطروا، ويبتعدوا عن جو بلادهم البسيط، وعن شظف العيش.

ونظرية أبي ذر في المال لا تدخل في موضوعنا هذا، والبحث فيها يشغلنا عن أصل بحثنا، فليس لنا إلا أن نتتبع ابن سبأ أو ابن السوداء. وقد أوصله بعض الأخباريين إلى دمشق، فزعموا أنه قابل أبا ذر وقابل نفراً غيره من الصحابة، ثم غادر دمشق إلى مصر. أما كيف غادرها، وكيف وصل إلى مصر، وكم مكث في دمشق، فتلك أسئلة لم يجب أهل الأخبار عنها، ولم يكلفوا أنفسهم عناء البحث فيها، فعلمنا عنها لذلك جهل، وإحاطتنا بأخباره في مدينة معاوية صفر.

أما في مصر، فقد أصاب ابن السوداء فيها نجاحاً كما يظهر من خبر «يزيد الفقعسي»، فتمكن من إقرار آرائه، ومن إثارة القوم على الخليفة، ومن مكاتبة أهل البصرة والكوفة في الثورة على عثمان وعلى عماله حتى أشعلها ناراً، وحتى نجح في تأليب الناس في تلك الأماكن، وهي مواضع حساسة جداً، فأقبلت على المدينة، وشاغبت فيها، وحاصرت الخليفة، ولم ترجع إلا بعد قتلها له، وإثارتها فتنة كانت آثارها في المسلمين عظيمة، فقسمتهم وشتت شملهم، وأهلكت عدداً كبيراً منهم في الحروب الأهلية التي وقعت فيما بعد.

وأما إقامة ابن السوداء بمصر، ومدة مكوثه فيها والمحل الذي نزل به، والأشخاص الذين حلّ عليهم، فهذه وأمثالها أمور لم يتحدث «الفقعسي» عنها ولم يشر إليها. لقد اكتفى بإيصاله إلى مصر، وبنسبة الفتنة له، ثم تركه هناك، دون أن يتطرق إلى الجزئيات والفروع والتفاصيل. ومن هنا كان كل ما نعرفه عنه هناك أنه وجد أرضاً خصبة زرع فيها الفتنة، ولكننا لا ندري أين زرعها؟ ومن ساعده على زرعها هناك؟

ويذكر الفقعسي أن عبد الله بن سبأ قال لأهل مصر: «لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمداً يرجع، وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[1]! فمحمد أحق بالرجوع من عيسى. فقبل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة، فتكلموا فيها. ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد. ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء، ثم قال بعد ذلك: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله، ﷺ، ووثب على وصي رسول

---

(١) سورة القصص، الآية: ٨٥.

الله، ﷺ، وتناول أمر الأمة؟ ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق. وهذا - يعني علياً - وصي رسول الله، ﷺ، فانهضوا في هذا الأمر، فحركوه، وابدؤوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تستميلوا الناس، وادعوهم إلى هذا الأمر.

فبث دعاته، وكاتب من كان استفسد في الأمصار، وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرؤوه أولئك في أمصارهم، وهؤلاء في أمصارهم، حتى تناولوا بذلك المدينة، وأوسعوا الأرض إزاغة، وهم يريدون غير ما يظهرون، ويسترون غير ما يبدون، فيقول أهل كل مصر إنا لفي عافية مما أبتلي به هؤلاء، إلا أهل المدينة، فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار. فقالوا: إنا لفي عافية مما فيه الناس... فأتوا عثمان، فقالوا: يا أمير المؤمنين، أيأتيك عن الناس الذي يأتينا؟ قال: لا، والله، ما جاءني إلا السلامة. قالوا: فإنا قد أتانا. وأخبروه بالذي أسقطوا إليهم. قال: فأنتم شركائي وشهود المؤمنين، فأشيروا عليّ. قالوا: نشير عليك ان تبعث رجالاً ممن تثق بهم إلى الأمصار، حتى يرجعوا إليك بأخبارهم، فدعا محمد بن مسلمة، فأرسله إلى الكوفة، وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة، وأرسل عمّار بن ياسر إلى مصر، وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام، وفرق رجالاً سواهم، فرجعوا جميعاً قبل عمار، فقالوا: أيها الناس، ما أنكرنا شيئاً، ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم، وقالوا جميعاً: الأمر أمر المسلمين، إلا أن أمراءهم يقسطون بينهم، ويقومون عليهم. واستبطأ الناس عمّاراً حتى ظنّوا أنه قد اغتيل، فلم يفجأهم إلاّ كتاب من عبد الله بن سعد بن أبي سرح، يخبرهم أن عماراً قد استماله قوم بمصر، وقد انقطعوا إليه، منهم: عبد الله ابن السوداء، وخالد بن ملجم، وسودان بن حمران، وكنانة بن بشر»[1].

وقد أيد البلاذري ما جاء في تأريخ الطبري من إرسال عثمان عمار بن ياسر إلى مصر «ليأتيه بصحة خبر ابن أبي حذيفة، وحق ما بلغه عنه من باطله، وأمره أن يقوم بعذره، ويضمن عنه العتبى لمن قدم عليه». ولكنه بدلاً من أن يهدئ الأحوال، ويسكت ابن أبي حذيفة، «حرض الناس على عثمان، ودعاهم إلى خلعه، وأشعلها عليه، وقوى

---

(١) الطبري ٥/ ٩٨ وما بعدها.

رأي ابن أبي حذيفة وابن أبي بكر، وشجعهما على المسير إلى المدينة»[1]. ثم رجع مع من جاء من المصريين الناقمين إلى المدينة، واتصل بهم هناك، وكان من المحرضين على الخليفة.

ولكنه لم يشر إلى عبد الله بن سبأ أو ابن السوداء، ولم يذكره كما ذكره الطبري. وقد ذكر الطبري أن ابن السوداء كان في جملة المصريين الناقمين على عثمان، الذين جاؤوا إلى المدينة فأثاروا الفتنة فيها، الفتنة التي انتهت بمقتل الخليفة، وسنده في ذلك: «السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان»[2].

أما إرسال عثمان عمار بن ياسر إلى مصر، فمسألة فيها نظر، وإن نص عليها بعض الإخباريين، نقد كان عمار مخاصماً لعثمان، منتقداً له. وقد جادله مراراً، واصطدم به مراراً اصطداماً عنيفاً. وكان متحاملاً عليه، فليس من المعقول تكليفه القيام بهذه المهمة الخطيرة، مهمة إشاعة الأمن والطمأنينة بين أهل مصر، وهو نفسه من الناقمين عليه، خاصة كانت إشارة من نصح عثمان بإرسال الرجال إلى الأمصار ليرجعوا إليه بالأخبار الصحيحة عن الوضع، بأن يكون أولئك الموفدين ممن يثق بهم الخليفة ويعتمد عليهم[3]. ولم يكن عمار بإجماع الأخبار ممن تنطبق عليه جملة «ممن تثق بهم».

ولذلك لا يعقل اختيار عثمان لعمار من دون الناس لهذه المهمة، وان فرضنا أنه إنما فعل ذلك لعلم عثمان بأثر عمار في أهل مصر وبمكانته عندهم، وأنه أراد بذلك أيضاً مصالحته واستدراجه إليه. فان عماراً لم يكن من أولئك الذين يستدرجون في سهولة ويصالحون في يسر. وقد خرج غاضباً وعاد غاضباً على عثمان.

وقد ذكر البلاذري أن عماراً بحسب رواية بعض الإخباريين كان في جملة من خرج مع علي بن أبي طالب، لتهدئة روع المصريين وإسكاتهم بعد أن طلب عثمان من علي أن يفعل ذلك[4]، وهذا يدل على أنه كان في المدينة حين قدوم الوفد. ويفهم من بعض روايات الطبري أن عماراً كان في المدينة حين وصل المصريون إليها، وأنه اتصل بهم، وجاء إليهم من المدينة.

---

(١) البلاذري ٥/ ٥١.

(٢) الطبري ٥/ ١٠٣ وما بعدها.

(٣) قالوا نشير عليك أن تبعث رجالاً ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم. الطبري ٥/ ٩٩.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف ٥/ ٦١.

أولد مقتل الخليفة حالة من الفوضى وعدم الاستقرار، خنس معظم أهل المدينة في بيوتهم، دفاعاً من أنفسهم وعن أموالهم، وانتهز الأعراب والمعدمون هذه الفرصة فالتفوا حول الثائرين، وهرب الموالي من سادتهم ولم يعودوا يطيعونهم وكان موقف الخليفة الجديد صعباً بين الآراء المتضاربة والفتن المتعددة التي ظهرت منذ أيام عمر: كان عليه إرجاع الأمن وإسكات الشغب، وإجابة مطالب الأغلبية، وإصلاح بيت المال، وكان عليه التهيؤ لمقاومة الجماعة المناوئة له، وهي جماعة قوية، تعتمد على الدهاء والمكر السياسي، وعلى المال تنفقه من غير حساب في اكتساب ذوي الرأي والنفوذ، وإبعادهم عن الخليفة الجديد.

ولم تكن حركة وثوب الأعراب والموالي على سادتهم حركة خاصة في المدينة، بل كانت وبدأت في العراق ثم انشترت إلى مصر وبلاد الشام وسائر الأماكن، ومنها انتقلت إلى «المدينة» عاصمة الخلافة. لقد كانت أسبابها ودوافعها قديمة، ترجع إلى ما قبل الإسلام، وقد ثارت الآن لمجيء وقود جديد إليها، فظهرت في شكل هذه الثورة المؤسفة والثورات المتوالية التي شغلت علياً وبني أمية، حتى انتهت بسقوط دولتهم، وذهاب ملكهم، ولو انتبه المسؤولون إلى عواملها الأصلية، لسلموا، وارتاحوا، وعاشوا في أمن وراحة وسلام.

لقد عرفت جرثومة دعاة الحركة المناوئة لعثمان بـ«السبئية» في تأريخ الطبري. ونحن لا يعنينا في هذا المكان إلا هؤلاء. ويظهر من روايات هذا المؤرخ، وكلها من «سيف»، أن هذه الجماعة كانت بمصر، وأنها وردت المدينة منها، وأنها صارت جماعة ذات أثر خطير في تلك الأيام، وإن لم تكن تضم أناساً من المشاهير المعروفين، فلم يكن فيها من أبناء الأسر، أسر قريش المعروفة، ولم يكن من بينها من كان من الصحابة، بل كان جلهم من الشبان أو الكهول الناقمين على الوضع العام، وعلى الإسراف في بيت مال المسلمين يذهب إلى «أولاد الطلقاء» وإلى نسل من حارب النبي في جانب قريش. هذه كانت بعض دعواهم فيما أذاعوه على الناس[1].

وقد تكرر ورود لفظة «السبئية» في تأريخ الطبري عن أيام الفتن التي وقعت في أيام عثمان وفي أثناء تولي علي الخلافة. وقد كانوا قوة لها أهمية في معركة جمل، ترمي بالنشاب، وتحرك المعركة كما يذكر الرواة بحسب رأيها وخططها. وكان لها رأي

---

(١) الطبري ٥/ ١٠٢.

مسموع في خلافة علي، لامتلاكها ناصية الدعاية والتأثير في السواد وتوجيه الرأي العام. ومع ذلك لم يثر أصحاب الأخبار إلى أصل التسمية، هل جاءت من نسبتها إلى عبد الله بن سبأ، أو من انتسابها إلى «سبأ» أي إلى يمن، فهم جماعة يمانون وذلك على نحو ورود لفظة «مضرية» من نسبتها إلى مضر، وقد كان لها أيضاً أثر خطير في معركة الجمل.

والظاهر أنها كانت كتلة من أكثر الكتل السياسية التي ظهرت في أيام عثمان نظاماً. كانت بارعة في توجيه دعايتها ونشر أغراضها، نشيطة في تكوين الفروع السرية لها، متمكنة من معرفة أسباب التذمر، عارفة بالمواضع الحساسة من الحياة وبما يشتكى منه الناس. وقد تسترت في دعوتها، وجاهرت بها بحسب الظروف والأحوال، وكانت تتراسل من عرفت منه التذمر والتشكي من سوء الوضع، وتتقصى أخبار الولاة وأخبار المخالفات التي يقومون بها، ولا سيما أخبار التجاوز والتطاول على بيت المال،فتذيعها بين الناس، للإشهار والإعلان، تذيع أخبار الأمصار في مصر، وأخبار مصر في الأمصار، وهكذا كان الناقمون على علم بما يجري في سائر بلاد الإسلام.

وكانت الكوفة والبصرة من أكثر المواضع حساسية في العالم الإسلامي، وهما في ذلك أشد خطراً من مصر. فرأى «أهل مصر» مكاتبة زعماء المصرين والاتصال بهم، لتوحيد الخطط، وتكوين قيادة ثورية واحدة، تقوم بعمل واحد، وتنتهج في عملها نهجاً واحداً. وقد وردت جملة «أهل مصر» في مواضع من تأريخ الطبري كناية عن الثائرين. وهي تؤدي معنى «السبئية» أي الثوار المصريين الذين كانوا ينقمون على عثمان. وكان من زعمائهم: عبد الرحمن ابن عديس البلوي، وكنانة بن بشر الليثي، وسودان بن حمران السكوني، وقتيرة السكوني، والغافقي بن حرب العكّي، وابن السوداء.

ويذكر «سيف» أن الناقمين على الخليفة في الأماكن الثلاثة المذكورة اتفقوا أولاً وبعد أن تمت خططهم على «أن يثوروا خلاف أمرائهم واتعدوا يوماً»، ثم أجلوا الثورة إلى وقت مناسب آخر[1]. ورأت «السبئية» وضع خطة أخرى محكمة فـ«كاتبوا أشياعهم من أهل الأمصار أن يتوافوا بالمدينة لينظروا فيما يريدون، وأظهروا أنهم يأمرون بالمعروف، ويسألون عثمان من أشياء لتطير في الناس ولتحقق عليه. فتوافوا بالمدينة. وأرسل عثمان رجلين مخزومياً وزهرياً، فقال: أنظر ماذا يريدون، وأعلما علمهم، وكنا

---

(١) الطبري ٥/ ١٠١ ومابعدها.

ممن قد ناله من عثمان أدب. فأصطبرا للحق، ولم يضطغنا، فلما رأوهما، باثوهما، وأخبروهما بما يريدون، فقالا: من معكم على هذا من أهل المدينة؟ قالوا: ثلاثة نفر. فقالا: هل إلا قالوا لا قالا: فكيف تريدون أن تصنعوا؟ قالوا: نريد أن نذكر له أشياء قد زرعناها في قلوب الناس، ثم نرجع إليهم فنزعم لهم أنا قررناه بها، فلم يخرج منها، ولم يتب، ثم نخرج كأنا حجاج حتى نقدم فنحيط به فنخلعه، فإن أبي قتلناه وكانت إياها»[1].

وتكاتب أولئك الناقمون، وقالوا: موعدكم ضواحي المدينة في شوال، على أن يأتوا بهيئة الحجاج، وذلك من سنة خمس وثلاثين.

وفي الأجل المضروب الذي تكاتبوا عليه، خرج الناقمون من أهل البصرة والكوفة في زي الحجاج قاصدين الحجاز. وقد قسم أهل كل مصر من هذه الأمصار الثلاثة جماعتهم إلى أربعة أقسام، عرفت كل جماعة من هذه الجماعات بـ«الرفاق» جمع «رفيق»، وعلى رأس «الرفاق» رؤساء يتولون شؤون الرفاق. فكان على راس «رفاق» البصرة الأربعة أربعة رؤساء وعلى رأس «رفاق» الكوفة الأربعة أربعة رؤساء وعلى رأس «رفاق «مصر الأربعة أربعة رؤساء كذلك، ومجموعهم اثنا عشر رئيساً أو «رفيقاً» يدير شؤون الرفاق.

وجعلوا على كل قوم من الأقوام الثلاثة، أي على كل أربعة «رفاق»، رئيساً أعلى يشرف على القوم. فكان الغافقي بن حرب العكي على «قوم» مصر، وكان عمرو بن الأصم على قوم الكوفة، وكان حرقوص بن زهير السعدي على قوم البصرة، وقد نعت رئيس القوم بـ«الأمير». وكان «ابن السوداء» في جملة رجال رفاق مصر، ولكن «السري» صاحب هذا الخبر، لم يذكره في جملة الرؤساء أو الأمراء[2].

كان اتجاه هذه الحركة التي ظهرت ضد عثمان اتجاهاً اجتماعياً في الدرجة الأولى إذن. وأما ما لابسها من تحزب وتشيع لعلي، فلم يكن أثر له في البدء، كان هوى الناقمين على الخليفة من أهل الكوفة في الزبير، وكان هوى أهل البصرة في طلحة، وكل من هؤلاء يدعو إلى صاحبه، ويسعى إليه. ولما ورد وفدهما ضواحي المدينة على الميعاد المتفق عليه، راجع كل «رفاق» من الرفاقين صاحبه، إلا «رفاق مصر»، فقد

---

(١) الطبري ٥/ ١٠١ وما بعدها.

(٢) الطبري ٥/ ١٠٣ وما بعدها.

راجعوا علي بن أبي طالب، وكان هواهم فيه. ويذكر «الطبري» نقلاً عن «السري» أن هذه الحركة بدأت في السنة الأولى من إمارة عثمان، وبدأت على أثر اتخاذ رجال من قريش أموالاً في الأمصار، وانقطاع أناس إليهم، وامتلاكهم آلاف الرقيق، ثبتوا على ذلك سنين. ثم إن ابن السوداء اسلم، وتكلم، فوجدت دعوته رواجاً بين الناس. وكان عمر «قد حجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج في البلدان، إلا بإذن وأجل، فشكوه، فبلغه، فقام فقال: ألا إني قد سننت الإسلام من البعير، يبدأ فيكون جذعاً ثم ثنياً ثم رباعياً ثم سديساً ثم بازلاً، ألا فهل ينتظر بالبازل إلا النقصان؟ إلا فإن الإسلام قد بزل، إلا وإن قريشاً يريدون أن يتخذوا مال الله، معونات دون عباده، ألا فأما وابن الخطاب حي فلا، إني قائم دون شعب الحرة، آخذ بحلاقيم قريش وحجزها أن يتهافتوا في النار»[1].

فلما مات عمر، تنفس هؤلاء الرجال من قريش، وتنفست أموالهم، وكثرت أملاكهم كثرة لا يفكر فيها إلاّ من كان محروماً معدماً. فامتلكوا الأرضين الواسعة في العراق، واقتطعوا خيرة الإقطاعيات الخصبة، واستغلوا الألوف من أصحاب الأرض الأصليين من الموالي، ومن هنا نبتت الشكاوى وارتفعت، وظهرت معها نظرية «السواد بستان قريش».

يقول السري: فلما ولي عثمان، لم يأخذهم بالذي كان يأخذهم به عمر، فانساحوا في البلاد. فلما رأوها، رأوا الدنيا، ورآهم الناس، انقطع من لم يكن له طول ولا مزية في الإسلام، فكان مغموماً في الناس وصاروا أوزاعاً إليهم، وأملوهم، وتقدموا في ذلك، فقالوا: يملكون، فنكون قد عرفناهم، وتقدمنا في التقرب والانقطاع إليهم. فكان ذاك أول وهن دخل على الإسلام، وأول فتنة كانت في العامة، ليس إلا ذلك»[2]. وذكر أيضاً «لم يمت عمر رضي الله عنه، حتى ملته قريش. وقد كان حصرهم بالمدينة، فامتنع عليهم. وقال: إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم في البلاد، فان كان الرجل ليستأذنه في الغزو، وهو ممن حبس بالمدينة من المهاجرين، ولم يكن فعل ذلك بغيرهم من أهل مكة، فيقول قد كان لك في غزوك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما يبلغك، وخير لك من الغزو اليوم: ألا ترى الدنيا ولا تراك. فلما ولي

---

(١) الطبري ٥/ ١٣٤.
(٢) الطبري ٤/ ١٣٤.

عثمان، خلى عنهم، فاضطربوا في البلاد، وانقطع إليهم الناس، فكان أحب إليهم من عمر»(١).

وقد كان عمر شديداً في هذا الباب، يرى التقشف في الحياة، ويطبق ذلك على نفسه وعلى أهله أولاً. كان لا يلبس إلا الملابس الخشنة، ولا يأكل إلا الأكل البسيط الذي يكون في متناول الطبقات الفقيرة. لم يرض بنخل الدقيق، ولم يستعمل اللحم إلا القليل، أسوة بالفقراء والمعوزين. وهذا مما غاظ الطبقات الغنية من قريش التي كسبت وحصلت على مالها في الإسلام. وقد أكل بعض الناس مع عمر، وأكلوا مع عثمان، وهاك ما قاله بعض هؤلاء:

قال عمرو بن أمية الضمري: كنت أتعشى مع عثمان خزيراً من طبخ من أجود ما رأيت قط: فيها بطون الغنم وأدمها اللبن والسمن. فقال عثمان: كيف ترى هذا الطعام؟ فقلت: هذا أطيب ما أكلت قط. فقال: يرحم الله ابن الخطاب، أكلت معه هذه الخزيرة قط؟ قلت: نعم، فكادت اللقمة تفرث في يدي حين أهوى بها إلى فمي وليس فيها لحم، وكان أدمها السمن، ولا لبن فيها. فقال عثمان: صدقت، ان عمر ﷺ، أتعب والله من تبع أثره، وإنه كان يطلب بثنيه عن هذه الأمور ظلفا» وقال عبد الله بن عامر: «كنت أفطر مع عثمان في شهر رمضان، فكان يأتينا بطعام هو ألين من طعام عمر. قد رأيت على مائدة عثمان الدرمك الجيد، وصغار الضأن كل ليلة، وما رأيت عمر قط أكل من الدقيق منخولاً، ولا أكل من الغنم إلا مسانها، فقلت لعثمان في ذلك، فقال: يرحم الله عمر، ومن يطيق ما كان عمر يطيق»(٢).

وهناك قصص من هذا النوع يمثل التغير الذي طرأ في أيام عثمان على حياة بعض أسر قريش والتطور الكبير الذي طرأ عليهم بالقياس إلى أيام عمر: تطور ظهر في الثروة الكبيرة التي انهالت عليهم، وفيما يعقب الثروات الضخمة في العادة من ولوج حياة البطر والرفاهية والترف في الحياة، ومن ميل إلى زيادة الربح وتضخيم الثروة دون نظر إلى مستوى الآخرين. وهذا مما ولد السخط لا في نفوس الموالي والأرقاء وحدهم، بل في نفوس كثير من قريش والأنصار. رأوا أن الحياة الجديدة قد أنشأت ظروفاً تتعارض مع دعوة النبوة وأحكام الإسلام، وأنها جعلت ممن حاربوا الإسلام في أيام

(١) الطبري ٥/ ١٣٤.
(٢) الطبري ٥/ ١٣٦.

النبي، ولم يسلموا إلا في أيام نصره، أو من نسلهم طبقة سادة متنفذة مكتنزة للمال، تأخذه من بيت مال المسلمين، ولا تدفع إليه إلا النزر اليسير. أما من حارب وجاهد في سبيل الإسلام، فقد حرم ذلك، أو قتر عليه، أو حيل بينه وبين الأرض، مع أنه قديم عهد بالإسلام. ومن هنا نشأ التذمر، وارتفعت الأصوات بظهور مخالفات وتصرفات شخصية وكيفية لم تعرف في أيام الرسول ولا في أيام الشيخين[1].

وإذا كانت حركة التذمر هذه قد ظهرت في المدينة، وإذا كان عمر قد تكهن بها وشخصها وعرف نتائجها وهو خليفة، فان شعور أهل المدينة بها لم يكن بدرجة شعور أهل البلاد المفتوحة ولا سيما أهل العراق. فقد مني العراق بالإقطاع في العهد الساساني السابق للإسلام، فكان في ذلك العهد سادة وإتباع: سادة هم الأسرة المالكة الساسانية والوزراء والمرازبة والدهاقين ورجال الدين، ولكل منهم أرضين واسعة تستغل لحسابهم وحدهم، وإتباع كانوا يشتغلون إما لغيرهم، وإما لحسابهم، ولكن بكسب ضئيل لا يكفي إلا لسد الرمق في الغالب وهذا ما جعل السكان وهم أنماط من الناس وخليط من أجناس وأديان، ينقمون على الحكومة ويشعرون أنها هيأة غريبة عنهم، لا تعرفهم إلا عند حاجتها إلى المال. فلما جاء المسلمون، فرحوا بهم، ورأوى في قدومهم الخلاص والفرج بعد الشدة، وسهلوا للفاتحين سبل الفتح، ودخلوا في الإسلام أفواجاً أفواجاً، ولكنهم سرعان ما شعروا أن مشكلاتهم الأصلية، المتعلقة بمعاشهم وبحياتهم لم تحل، فانتقلت الأرض إلى ملاك جدد، لم يكونوا من أصحاب الإقطاع في السابق، ولا علم لهم بإدارة الأملاك، استأثروا بخيرات الأرض دونهم، مع مساواة الإسلام بين الجميع في الحقوق، ورأوا أن الدهاقين القدماء المستغلين قد استعانوا بالسادة الجدد وهم من رجال قريش، فتقربوا إليهم، مستغلين نفوذهم وسلطانهم وصاروا كالسابق يتحكمون فيهم. فالوضع الجديد إذن هو استمرار الوضع القديم مع فارق واحد، هو ذهاب سادة قدماء ومجيء سادة جدد أخذوا مواضع الماضين.

وقد كان الناقمون على الخليفة ألواناً، لا تجمع بينهم جامعة، لتعدد دوافع النقمة. وكان «السبئيون» في جملة هؤلاء، ولما كان موضوعنا خاصاً بهم، وليست له صلة مباشرة بموضوع الفتنة على عثمان، فستنصر الكلام عليهم وعلى بقية دعوتهم في أيام عثمان وعلي.

---

(١) راجع أجوبة الخليفة عثمان على اعتراضات منتقديه.

وقد وردت لفظة: «سبئي» في بعض الروايات مرادفة لمنتقم لخصم، مدفوعاً على خصومته هذه بعامل النقمة، كالذي ورد عن «عمير بن ضابئ البرجمي» وكان أبوه قد مات في الحبس، عزره عثمان وحبسه لعمل ارتكبه، فصار ابنه من أشد الناس على الخليفة. ولما تحدث «السري» عن سبب الخصومة، تعرض لحال أبيه، ثم قال: «فلذلك صار عمير بن ضابئ سبئياً»[1].

والغريب أن هذا الدور الذي ينسبه «السري» إلى «ابن السوداء» وإلى السبئيين لا نجد له ذكراً في الجزء الخاص من تأريخ «البلاذري» المطبوع، وفي هذا الجزء خبر خلافة عثمان وتفاصيل مقتله ومن اشترك فيه. ثم من الغريب أيضاً أننا لا نجد في مراثي عثمان الواردة في تأريخ الطبري أو في «انساب الاشراف» أو في أي مكان آخر إشارة إلى دور هذا اليهودي المسلم، ودور السبئيين في التحريض على الخليفة وفي إثارة الفتن عليه. والإشارة إلى دور هؤلاء مهمة جداً، ولا سيما أن مثيرها كما يذكر «السري» رجل من أصل يهودي. فالإشارة إليهم خير مطعن وأحسن مثلبة توجه إلى خصوم عثمان والمتجاسرين عليه. لقد طعنوا في علي فاتهموه بأن له يداً في قتل عثمان[2]، وأشاروا إلى قتله، فلم لم يشروا إلى ابن السوداء وإلى السبئيين ان كان للسبئيين يد في قتل عثمان؟

والسبئية كما رأيناها في روايات «السري» حركة اجتماعية ذات اتجاه اشتراكي متطرف تدعو إلى الثورة على الأغنياء وعلى الأثرياء الجدد وعلى السادة الجدد الذين امتلكوا أرضين واسعة في المناطق الخصبة من العراق، وقد تحاملت على عثمان لأنه تساهل على زعمها مع أقربائه ومع بني أمية، فتركهم يعبثون في بيت المال، أخذوا منه مالا يستحقونه، فأثروا، وامتلكوا، واكتنزوا، وتحكموا في شؤون الفقراء. فماذا كان رأيها بعد مقتل عثمان؟ وماذا كان موقفها من الخليفة علي؟ هل كانت معه أم عليه؟

---

(١) الطبري ٥/ ١٣٧، البلاذري: أنساب ٥/ ٨٤.

(٢) قال حسان بن ثابت:

يا ليت شعري، وليت الطير تخبرني — ما كان شأن علي وابن عفانا

وقال الوليد بن عقبة بن أبي معيط:

بني هاشم، ردوا سلاح ابن أختكم — ولا تنهبوه، لا تحل مناهبه

هم قتلوه كي يكونوا مكانه — كما غدرت يوماً بكسرى مرازبه

وكيف يرج،ون البراءة عندنا — وعند علي سيفه ونجائبه

البلاذري ٥/ ١٠٤.

و«السري» - بعد - موردنا وسندنا الأول والأخير في هذا البحث أيضاً. وهو يتحدث عنهم في أثناء كلامه على خلافة علي، فيرينا إياهم أناساً ظنوا أن الأمر سيكون في أيديهم، وأن الحكم سيكون لهم في أيام علي، وأنه سينفذ رغباتهم، وإذا به يخالفهم في الرأي، ويجادلهم في مذهبهم ولا يقرهم على ما ذهبوا إليه. وقد أزعجهم رأي علي هذا وغاضهم، ولكنهم لم يجرؤوا على الثورة عليه علناً، وإنما سكتوا وصبروا عملوا ضده سراً، وذلك ببث دعايتهم بين جماعته وأنصاره وإشاعة الفرقة بين حزبه، وقد أضر عملهم هذا بعلي، كما ألحق الضرر بهم، وساعدوا من حيث لا يدرون بتقوية جبهة معاوية، وبإضعاف جبهة علي وإضعاف علي معناه إضعافهم هم من حيث لا يدرون. فمعاوية خصم كما هو معروف للجانبين.

بويع علي بالخلافة، وكانت الحالة فوضى، والآراء متضاربة، ودعاة الفتن نشيطون في كل مكان. وجاء إليه طلحة والزبير في عدة من الصحابة يقولون: «ياعلي، انا قد اشترطنا إقامة الحدود، وإن هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم هذا الرجل، وأحلوا بأنفسهم. فقال لهم: يا أخوتاه اني لست أجهل ما تعلمون، ولكني كيف أصنع بقوم يملكونا ولا نملكهم؟ ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم، وثابت إليهم أعرابكم وهم حلالكم يسومونكم ما شاؤوا، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون؟ قالوا: لا. قال: فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه إن شاء الله»[1]. ثم ان تأثر من مقالة بعض الناس فيه، فقام في قريش «فحمد الله، وأثنى عليه، وذكر فضلهم، وحاجته إليهم، ونظره لهم، وقيامه دونهم، وأنه ليس له من سلطانهم إلا ذلك والأجر من الله عز وجل. ونادى: برئت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه. فتذامرت السبئية والأعراب، وقالوا: لنا غداً مثلها، ولا نستطيع نحتج فيهم بشيء»[2].

وذكر «السري» أيضاً أن علياً خرج في اليوم الثالث على الناس، «فقال: يا أيها الناس، أخرجوا عنكم الإعراب. وقال: يا معشر الإعراب الحقوا بمياهكم، فأبت السبئية، وأطاعهم الإعراب، ودخل علي بيته»[3].

وهكذا نرى السبئية والموالي والإعراب جبهة متحدة ضد أصحاب الأرض

---

(١) الطبري ٥/ ١٥٨.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) الطبري ٥/ ١٩٥.

والمثرين من قريش. لا يرون الرجوع إلى عملهم إلا بشروط، وألا بإصلاح حالهم وإنصافهم وإعطائهم حقهم في العمل والإنتاج. أما سادتهم من قريش، فهم يأبون عليهم ذلك، ويرون في قولهم هذا تحدياً وفتنة، وتطاولاً عليهم، وخروجاً على القانون والنظام. وعمت المدينة، المقر الذي قتل فيه الخليفة وبويع فيه الخليفة الجديد، حالة من الفزع والاضطراب.

وحار علي في الأمر، وخرج معظم الصحابة عنها، فكان الكثير منهم قد تركها يوم وصول «المصريين إليها»، وعلمهم بانفلات الأمر من يدي عثمان، وصار الناس القادمين من المدينة يجيبون حين يسألون عن الوضع: «قتل عثمان، واجتمع الناس على علي، والأمر أمر الغوغاء»[1].

وقد عزا من خرج من المدينة مهاجراً أو فاراً من هذا الوضع سوء الحال إلى «الغوغاء من أهل الأمصار ونزاع القبائل»، وإلى مظاهرة الإعراب والعبيد لهم[2]. وكل هؤلاء هم من الطبقات المتذمرة الفقيرة المعدمة، التي يرجع تذمرها إلى عهد بعيد قبل الإسلام، وهم الأكثرية الغالبة، لهذا غلبوا على المدينة، وتحكموا فيها في هذا العهد.

وقد أولدت هذه الحالة مشكلة خطيرة لعلي، أدركتها السبئية منذ أول يوم استخلف فيه، فقالت له:

خذها إليك وأحذرن أبا حسن ... انا نمر الأمر امرار الرسن

صولة أقواما كأسداد السفن ... بمشرفيات كغدران اللبن

ونطعن الملك بلين كالشطن ... حتى يمرن على غير عنن[3]

وعرفها عليّ أيضاً وشخصها في اليوم الأول من توليه الخلافة، وعرفها كل من كان واقفاً على واقع الحال وعلى الأسباب التي أدت إلى حدوث تلك المشكلات.

فلم يكن السبئيون على ما يبدو واضحاً جلياً من رواية «السري» عنهم، من خاصة جماعة علي، ولا من أتباعه المخلصين له، بل كانوا أصحاب رأي ومقالة وفكرة

---

(١) الطبري ٥/ ١٦٦.

(٢) الغوغاء من الأمصار ونزاع القبائل وظاهرهم الأعراب والعبيد، ان الغوغاء من أهل الأمصار ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله ﷺ، أحدثوا فيه الأحداث، وآووا فيه المحدثين....، الطبري ٥/ ١٧٣ وما بعدها.

(٣) الطبري ٥/ ١٥٨.

اجتماعية، انحازوا إلى علي ومالوا إليه، لمكانته ومنزلته، ولتقشفه وشدة زهده، ثم هو على خلاف من ثاروا عليهم في المال وفي اكتناز الأرض والثروات. ولو وجدوا رجلاً آخر له المكانة التي كانت لعلي والمنزلة التي تمتع بها علي بين المسلمين، وكان له رأي كرأيهم وهوى كهواهم، لمالوا إليه حتماً، ولساعدوه وأيدوه، ولكنهم لم يجدوه، ولم يجدوا أمامهم إلا علي بن أبي طالب، فاندسوا بين جماعته، وساعدوه على حذر، وعلى أمل التغلب عليه وتوجيهه الوجه التي يريدونها، وألا اشتغلوا ضده وانقلبوا عليه، ان كان ذلك في الإمكان فعله، وانتخبوا غيره ممن يطاوعهم في تلك الآراء.

ولما خطب علي في مسيره إلى البصرة لملاقاة طلحة والزبير، طالبٌ إلا يرتحلن معه «أحد، أعان على عثمان، ﷺ، بشيء في شيء من أمور الناس»، «اجتمع نفر، منهم: علباء ابن الهيثم، وعدي بن حاتم، وسالم بن ثعلبة العبسي، وشريح بن أوفى بن ضبيعة، والأشتر، في عدة ممن سار إلى عثمان، ورضي بسير من سار. وجاء معهم المصريون: ابن السوداء، وخالد ابن ملجم، وتشاوروا، فقالوا: ما الرأي؟ وهذا، والله، علي، وهو أبصر الناس بكتاب الله ممن يطلب قتلة عثمان، وأقربهم إلى العمل بذلك، وهو يقول ما يقول، ولم ينفر إله إلا هم والقليل من غيرهم، فكيف به إذا شام القوم وشاموه، وإذا رأوا قلتنا في كثرتهم؟ أنتم، والله، ترادون وما انتم بأنجيمن شيء». وكانت مداولة ومشاورة، كان لابن السوداء فيها رأي مسموع وصوت عال. ثم اتفقوا على يبالوا بكلام علي وعلى ان يسيروا إلى

البصرة ويشتركوا في القتال ولو بغير إذن وقد نفذوا ما اتفقوا على فكانوا في جملة من ساهم في معركة الجمل، وأشعل نارها وابتدأ بها، مع رغبة علي في عدم البدء بالهجوم، وتجنب القتال بالمفاوضات والسلم[1]. وقد قام السبئيون في هذه المعركة برمي النشاب[2]. وكان ابن السوداء قد أوصاهم وأصدر وصاياه إليهم بقوله: «يا قوم ان عزكم في خلطة الناس فصانعوهم، وإذا التقى الناس غداً فأنشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر، فإذا من أنتم معه لا يجدوا بدأ من أن يمتنع، ويشغل الله علياً وطلحة والزبير، ومن رأى رأيهم عما تكرهون، فأبصروا الرأي، وتفرقوا عليه، والناس لا يبصرون»[3].

(١) الطبري ٥/ ١٩٤ وما بعدها.
(٢) المصدر نفسه ص٢٠٣.
(٣) الطبري ٥/ ١٩٥.

وساهمت السبئية في القتال، لم تبال برأي علي، واشتركت فيه إلى جانب علي. وكان واجبها وعملها إشغال نيران الحرب حرب الجمل كلما وجدت فتوراً في وقودها. تذهب إلى الإمام حين تشعر بفتور القوم في القتال فتهاجم، حتى إذا ما رأيت النيران وقد ارتفعت سرت، وقد حاول علي زيغهم مراراً ومنعهم من القتال، ولكنهم كانوا يأبون إلا اقداماً، مضوا في ذلك إلى النهاية: نهاية حرب الجمل[1].

وانتهت حرب الجمل بانتصار علي، ونظر علي في بيت مال البصرة، فإذا به «ست مئة ألف وزيادة»، فأمر بقسمته على من شهد معه الحرب. وقال: «لكم إن أظفركم الله عَزَّوَجَلَّ بالشام مثلها إلى أعطياتكم. وخاض في ذلك السبئية، وطعنوا على علي من وراء وراء»[2]. طعنوا عليه لتوزيعه هذه الأموال على ما يظهر، ولهم هم رأي خاض في «بيت المال»، وفي التصرف في أموال المسلمين. وهكذا نجد السبئية مع علي في الظاهر، ولكنها لم تكن معه، إلا اعتقاداً منها بأنها ستستغله وتستفيد منه في تحقيق وجهة نظرها في مذهبها المعروف.

ولم تر السبئية البقاء في البصرة طويلاً بعد انتهاء حرب الجمل، فأعجلت علياً عن المقام، كما يقول «الطبري» ثم ارتحلت بغير إذنه، فادرك علي غرضهم، ومخالفتهم له، فارتحل في آثارهم، ليقطع عليهم أمراً ان كانوا أرادوه»[3]. ولم تذكر الروية الجهة التي قصدتها والمكان الذي أرادته، والظاهر أنها قصدت الكوفة، لتعمل علمها فيها بين مختلف الآراء والاتجاهات فيه، وهو موضع كان سكانه من أشد الناس نقمة على المتنفذين أصحاب الأملاك من قريش. وقد ساهموا هم أنفسهم كما رأينا مع المصريين والبصريين في الثورة على عثمان.

فالسبئية التي خاصمت عثمان وحاربته، وأغرت العبيد والموالي والأعراب بسادتهم، وبأصحاب الثراء والأملاك، ونادت علناً بالخروج عليهم والاستيلاء عنوة على كل ما يملكون، لم ترض عن علي أيضاً، ولم تؤيده إلا اعتقاداً منها أنه سيستجيب لها، أو أنها ستتغلب عليه. فلما وجدت أنه لا يقرها على ما ذهبت إليه، ولا يوافقها على رأيها في انتزاع الأرضين والأملاك من الملاك والمثرين عنوة، وأنه على العكس طالب الأعراب والعبيد والموالي بالرجوع إلى مواضعها وإلى سادتها، نفرت منه،

---

(١) الطبري ٥/ ٢٠٧.
(٢) الطبري ٥/ ٢٢٣، بيعة أهل البصرة علياً وقسمة ما في بيت المال عليهم.
(٣) المصدر نفسه.

وأخذت تعمل من وراء راء للتخلص منه، ثم تركته وسابته. والظاهر أنها اعتزلته، فلم تشارك في حروبه مع معاوية وجماته أهل الشام، ولا في قتال الخوارج خصوم معاوية وعلي.

أما عملها ومجال نشاطها في بث دعوتها هذه، منذ هذا اليوم، فقد سكت «السري» عنه، فلم يحدثنا بشيء عن ذلك، ولم ينبئنا بنشاطها في هذا الميدان في الكوفة أو البصرة. كذلك لم يذكر أهل الأخبار اسمها بين أسماء الداعين إلى الثورات الاشتراكية المتطرفة العنيفة في العهدين الأموي والعباسي. ولم يكن من السهل عليها بالطبع رفع رأسها بعد تغلب معاوية على العراق، والمجاهرة بدعوتها أو التجاسر على نشرها بين الناس، وهي متهمة بتهمتين: تهمة المشاركة في الفتنة التي قامت على الخليفة عثمان التي أدت إلى مقتله، وتهمة الدعوة إلى تأليب العبيد والموالي والأعراب والفلاحين على ساداتهم وعلى حكامهم، وهي دعوى أخطر في نظر الخليفة الجديد من التهمة الأولى. وفي كلتا الحالتين لا هوادة فيهما ولا مجاملة ولا رفق في المعاملة. ولذلك لم تطمع السبئية في عفو أو رأفة من معاوية أو من الولاة الذين عينهم على المصرين في العراق أو في مصر.

ما ذكرته هو آخر ما ذكره الطبري عن نشاط السبئية وعلمها في هذا الباب. أما رأي «ابن سبأ»، في الرجعة وفي الوصية وفي الغلو في علي بن أبي طالب، فقد ذكره الطبري في أخبار سنة ٣٥هـ، أي في أيام عثمان وفي أثناء إقامة «ابن سبأ» بمصر.

ويتلخص هذا الرأي فيما يأتي:

١ - **الرجعة**: قال ابن سبأ للمصريين: لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمداً يرجع، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[1] فمحمد أحق بالرجوع من عيسى. فقبلوا ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة، فتكلموا فيها».

٢ - **الوصية**: وقال ابن سبأ للمصريين أيضاً: (انه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد. ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء).

٣ - **الطعن في الخلفاء**: «ثم قال بعد ذلك: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله، ﷺ، ووثب على علي وصي رسول الله، ﷺ، وتناول أمر الأمة، ثم قال بعد

---

(١) سورة القصص، الآية: ٨٥.

ذلك: ان عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله، ﷺ، فانهضوا في هذا الأمر، فحرّكوه، وابدؤوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرؤه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم، حتى تناولوا بذلك المدينة، وأوسعوا الأرض إزاغة، وهم يريدون غير ما يظهرون».

أما الرجعة، رجعة النبي محمد إلى العالم بعد وفاته، فلا نجد لها اثراً في فرق الشيعة، أو الفرق الأخرى، نعم، لقد تشكك عمر في وفاة النبي، حين فوجي بخبر وفاته ولم يصدقه، ولكنه عاد فصدقه. والرجعة التي نادى بها ابن سبأ تختلف عن الرجعة التي ذهب إليها عمر.

والرجعة إلى الحياة بعد الموت، من الآراء المعروفة عند كثير من الشعوب، ومنهم أهل مصر القدماء. أما البت في صحة ما نسبه السري إلى ابن سبأ من القول بالرجعة، فأمر غير ممكن في الزمن الحاضر، ولا يمكن البت فيها، ما لم تتوفر لدينا موارد أخرى جديدة تزيد في علمنا بآراء هذا الإنسان.

والذي يظهر من روايات أهل الأخبار عن الرجعة عند ابن سبأ أنه كان يقول برجعة علي ابن أبي طالب، وقد ذكر أنه لما بلغه خبر مقتله قال للذي نعاه له: «كذبت لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة، وأقمت على قتله سبعين عدلاً، لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض»[1].

وأما الوصية، فإنها من عقائد الشيعة الأساسية، وعلي في نظر الشيعة هو وصي رسول الله، وهو خاتم الأوصياء، كما أن محمداً هو خاتم الرسل والأنبياء، وهو الإمام أيضاً، ومنه انتقلت الإمامة إلى ولديه الحسن فالحسين ثم الحفدة. وفي الحفدة تختلف فرق الشيعة في إمامتهم.

ويذكر النوبختي أن عبد الله بن سبأ وإلى علياً، وأنه قال ان علياً من الرسول بمنزلة يوشع ابن نون بعد موسى، وأنه أول من شهر القول بفرض إمامة علي، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه. ثم قال «فمن هنا قال المخالفون أن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية»[2].

---

(١) فرق الشيعة ص٢٢.

(٢) فرق الشيعة ص٢٢.

ويذكر الرواة ان ابن سبأ غالى بعد ذلك علي بن أبي طالب، وأن غلوه هذا ورأيه في الوصية دفعاه إلى الطعن في الخلفاء الثلاثة والصحابة الذين لم يوافقوا علياً، وتبرأ منهم، وأنه تطاول عليهم وأخذ يسبهم، ولما سئل عن ذلك، قال: «إن علياً عليه السلام، أمره بذلك. فأخذه عليه، فسأله عن قوله هذا، فأقر به، فأمر بقتله. فصاح الناس إليه: يا أمير المؤمنين، أتقتل رجلاً يدعوا إلى حبكم أهل البيت، وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك؟ فصيره إلى المدائن»[1].

ونجد في بعض الكتب إشارة إلى فرقة دعوها بـ«السبابية»، عرفت بسب الخلفاء المذكورين وبعض الصحابة ممن لم يكن من مؤيدي علي، وقد قصد بها «السبئية» وصرح بذلك. البغدادي[2] وابن حزم[3] والاسفراييني وآخرون[4].

وقد قال البغدادي عند كلامه على «السبابية»: «السبابية أتباع عبد الله بن سبأ»[5]، وذكر ابن عبد ربه رواية للشعبي عن الرافضة ورد فيها: «وقد حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بالنار، ونفاهم إلى المدائن، منهم: عبد الله بن سبأ، نفاه إلى ساباط، وعبد الله ابن السباب، نفاه إلى الحاذر» وابن كروس»[6]. و«عبد الله بن السباب» هو عبد الله ابن سبأ، ولا شك، وقد أخطأ راوي الخبر، فجعل من الرجل الواحد رجلين: اسم أحدهما عبد الله بن سبأ، واسم الآخر عبد الله بن السباب.

والسبئية هم «سبابية» إذن، أي من الجماعة التي عرفت بالتطاول على الخلفاء وعلى بعض الصحابة، واشتهرت بسبهم، والسب هو لون من ألوان التعبير عن العواطف، حيث تغلب العاطفة على العقل، وهو نوع من الإفراج عن النفس. وقد سب الأمويون علي بن أبي طالب، في مقابل هؤلاء للأمويين، كما طعن الخوارج في عثمان وعلي وفي الأمويين.

---

(١) النوبختي: فرق الشيعة ص٢٢.
(٢) الرسالة: العدد ٧٧٦، تاريخ ١٧ مايس ١٩٤٨ ص٥٥١.
(٣) الفصل: بحث فرق الشيعة.
(٤) وفيات الاعيان ١/ ٤١٥، فوات الوفيات ١/ ٢٩٨، طبعة مصر، السبكي: طبقات الشافعية، ١/ ٢٢٨ و٣/ ٢٣٨.
(٥) الفرق بين الفرق ٢٢٣.
(٦) العقد ١/ ٢٦٧.

وذكر بعض أهل الأخبار والفرق أن السبئية غالت في علي، وأنه «كان يدعي النبوة، ويزعم أن أمير المؤمنين عليه السلام، هو الله، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام، فدعاه وسأله، فأقر بذلك، قال: نعم أنت هو، وقد كان ألقي في روعي أنك أنت الله، وأني نبي، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام، ويلك، لقد سخر منك الشيطان، فارجع عن هذا ثكلتك أمك، وتب. فأبى، فحبسه، واستتابه ثلاثة أيام، فلم يتب، فأحرقه بالنار، وقال: ان الشيطان استهواه، فكان يأتيه ويلقي في روعه ذلك».

وروى أن الإمام جعفراً الصادق ذكر عبد الله بن سبأ فقال: «لعن الله عبد الله بن سبأ إنه أدعى الربوبية في أميرا لمؤمنين عليه السلام، وكان والله أمير المؤمنين، عليه السلام، عبد الله طائعاً، الويل لمن كذب علينا، وأن قوماً يقولون فينا مالا نقوله في أنفسنا نبرأ إلى الله منهم، نبرأ إلى الله منهم!».

وفي هذا الغلو يقول السيد الحميري:

قوم غلوا في علي، لا أبا لهم وأجشموا أنفساً في حبه تعبا
قالوا: هو ابن الإله جل خالقنا من أن يكون له ابن أو يكون أبا[1]

وروى أيضاً أن علياً لما رأى إصرارهم على الغلو فيه، وقولهم له: أنت أنت، أي أنت الإله، أمر بإحراقهم في النار: أمر بحفر أخدود لهم وضع فيه ناراً، وأحرقهم فيها، وأنهم كانوا يقولون، وهم يشاهدون النار: الآن ثبت لنا أنك أنت، لأنه لا يحرق في النار إلا الله. وأن علياً قال في ذلك شعراً منه:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناراً ودعوت قنبرا

وزعم أن أتباع عبد الله بن سبأ، وتسميهم بعض الكتب السبئية وتسميهم كتب أخرى السبابية، قالوا إن علياً حي لم يمت «وهو الذي يجيء في السحاب، والرعد صوته، والبرق سوطه، وأنه سينزل إلى الأرض بعد ذلك فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً»[2].

ويظهر من موازنة ما جاء في تاريخ الطبري وفي كتب الملل والنحل بما جاء في كتاب فرق الشيعة للنوبختي والرجال للكشي، أن كتب الشيعة قد غالت في دم ابن سبأ

---

(١) العقد الفريد ٢/ ٢٢٦ طبعة محمد سعيد العريان.

(٢) الشهرستاني ١/ ٣٦٥ وما بعدها، تحقيق محمد بن فتح الله بدران.

وفي التنصل منه والتبرؤ من آرائه، وزادت في نسبة الغلو إليه. وهذه ملاحظة تستحق الدرس.

عرفنا السبئية في روايات السري، وهي في الأصل حركة اشتراكية تذمرية، دفعتها عوامل متعددة، وانتهت بقتلها الخليفة عثمان، وبتولية علي بن أبي طالب، وعرفنا أنها لم تكن تؤيد علياً إلا طمعاً في تغيير الأوضاع وقلب الأحوال. فلما وجدت أن ليس على ما تريد، تذمرت منه، وأخذت تعمل للتخلص منه، فكيف انقلبت إلى فرقة تغالي في حبه، وتبالغ في تقديسه، حتى جعلته إلهاً، وشبه إله. وهل يعقل وقوع ذلك من هذه الفرقة؟

هذه أسئلة مهمة، تحتاج الإجابة عنها إلى غربلة جميع ما ورد في هذه الروايات، ونقد سلسلة سند السري، وسيكون ذلك عملنا في الجزء التالي من المجلة إن شاء الله.

توينبي

امتاز توينبي عن نظرائه من مؤرخي التاريخ الحضاري العالمي بميزتين: بسعة علمه بمفردات تاريخ العالم، وبقوله الحق ودفاعه عنه فيما يثبت عنده أنه الحق.

وتتجلى الميزة الأولى في هذا السبيل المدون في متن كتابه[١] وفي حواشي صفحاته بالاستشهاد بالحوادث وبالنقول التي اقتبسها من موارد لا يعرفها عادة إلا أصحاب الاختصاص، وبإلمامه بالقضايا الفرعية والجزئية الدقيقة من تواريخ شعوب العالم واستخدامه إياها في دراسته المقارنة للحضارات وفي مقابلاته بينها، مقابلة لا أعرف لها مثيلاً في كتب غيره من المؤرخين المستغلين بدراسات الحضارات وبنائها (Klturmorphologie´ Culturemorphology) فأنت إذا قرأت كتاب «أفول الغرب» (Der Untergang des abendlandes)[٢] للمزرخ الفيلسوف (آوسوالع شبنُلر) (Oswald Spengler) وهو في بنيات الحضارات وفي أدوار حياتها وتركيبها وقارنته بكتاب توينبي وهو في هذا الموضوع وفي تأثيره في الناس تجد البون بينهما شاسعا جداً في قضية المادة التي عرضها توينبي لتأييد رأيه، وفي وقوفه على كنه ما أورده من أمثلة واقتباسات وأسماء تجدها منثورة في المتن وفي حاشية كل صفحة، بصورة مذهلة أثارت دهشة جميع قراء الكتاب، بما فيهم نقاده[٣]، وأقر الجميع بسعة علمه المدهش بتاريخ العالم.

أما ميزته الثانية، فتظهر لك في نزعته الإنسانية وفي أخلاقيته المتجلية من الإنسان على أخيه الإنسان منذ أقدم الأيام إلى يومنا هذا، وفي سخريته من هذا الغرور الذي حمل الإنسان على تسخير أبدع وأسمى ما أعطي وهو عقله في خدمة حماقاته بالعمل منذ نشوئه على توسيع وتعقيد أجهزة الحرب التي خلقها بيده، لتدمير ما خلقه الله وما خلقه الإنسان بنفسه، بدلاً من ان يستخدمه في خدمة الإنسانية وفي تطويرها نحو حياة

---

(١) صدر في إثني عشر جزء، طبع الجزء الأول منه سنة ١٩٣٤م.

(٢) صدر الجزء الأول منه سنة ١٩١٨م. The Decline of the West, Vols., Londom, 1926 - 1938.

(٣) Y.J.Renier, History its Purpose and Method ,P.216, R.G Collingwood,The Idea of History ,pp.181. 223, 225, 246.

أفضل، وفي العمل على نشر مبادئ المحبة والتعاون بين الناس والترويج لمبادئ الحياة المسالمة والأخوة المؤدية إلى تكوين عالمية تزيل عن بني الإنسان الأفكار الغرورية التي تولدت عنده من تقدمه التقني الهائل، ومن صرفه هذه البلايين من الدولارات التي يجمعها من مجهود البشر، على قنابل يهدد بها ضعفاء الناس، بدلا من أن يصرفها على المحتاجين من الناس لرفع مستواهم وعلى مساعدة الشعوب الضعيفة لرفع مستواها معاشياً وعلمياً وتقنياً.

ولما نشر «برتراند رسل» كتابه (Has Man a Future) أي «هل للإنسان مستقبل؟» علقه عليه توينبي في جريدته (Sanday Observer)[1] تعليقاً وصف فيه جيلنا هذا بـ (الجيل المجرم) وقال فيه ان رغبتنا في القتال ترسبت من العصور لخالية حين كان الإنسان يقاتل الوحوش حتى يكسب لنفسه البقاء، ولما أصبح سيد هذه الوحوش أخذ يشبع عادة القتال في حرب يحارب فيها الأخ أخاه، انها عادة قديمة وشريرة، بيد أن من الممكن تغيير العادة إذا صمم الإنسان على بذل المجهود الأخلاقي المطلوب، ان جيلنا يدرك أن علينا في عصر الذرة أن نعالج غرورنا من عادة شن الحر ب إذا أردنا بقاء الإنسان، ولكننا لازلنا منذ انتهى إلقاء قنبلة هيروشيما نقول بويلات الحرب الذرية، ثم لا نزال نقتر على المواطنين لندخر المال في سبيل اكتشاف قنابل تكون أشد فتكا بالإنسان من تلك القنبلة.

ومن حماقات هذا الإنسان وبربريته تصوره انه على منازل ودرجات، وان الله قد خلقه متفاوتا في القابليات وفي العقل، وهي حماقات قديمة، لا تزال تعيش وقد حمل عليها توينبي وعدها بربرية وثنية، تعيد الإنسان إلى همجيته الأولى، فسخف رأي (كوبينو) (Count de Cobineau) القائل بتفوق الإنسان (الآري) ولاسيما (النوردي) أي الشمالي منه على بقية الشعوب[2]، وبعدم تكافؤ الأجناس البشرية وسخر من رأي (هوستن ستيوارت تشمبرلن) Hau الإنكليزي المتجرمن الذي أخذ برأي «كوبينو» في كتابه: «أسس القرن التاسع عشر» وجعل الحضارات حاصل عمل (الرس) (Res)، والرس درجات، أعلاها الجرمان، (الجنس المختار)، والجنس النوردي خالق

---

(١) عدد الأحد يوم ٢٦ تشرين الثاني من سنة ١٩٦١م، وقد عرب الكتاب: عربه سمير عبده ونشره سنة ١٩٦١.

(٢) Toynbee, Astudy of History, vol,7,p.49, 8 p. 81,p. 429, 437, Abridgement by Somervell Vol., I, pp. 216. Schmidt,S. 83.

الحضارات الأصيلة[1] ومهد بذلك للنازية مثلها (Weltamschaung) التي تجسمت في شهادة إيمانها التي يجب أن يعمل بها كل نازي وهي شهادة الـ(Blut und Boden) أي الاعتقاد بشرف (الدم والأرض) والدم هو الرس، الجرماني والأرض تربة الوطن، أرض الجرمان وهي فلسفة أقرها «هتلر» في أنجيله (Mein Kampf) «كفاحي» كتاب النازية المقدس، وعمل فيلسوفه: «الفريد رونبرك» (Alfred Rosenberg) على نشرها بين الألمان في كتابه (Dcr Mythus des ٢٠ Jahrhunderts) «أسطورة القرن العشرين» وفي مؤلفاته الأخرى التي نادى فيها بتقديس الرس وإحياء تراثه وإبقائه صافيا نقيا ونادى مع من نادى قبله بفصل العنصر الجرماني عن العناصر الأخرى حتى تم ذلك بإصدار قوانين الفصل العنصري المعروف بقوانين نورنبرك لحماية الدم الألماني وشرف الدم المقدس، وبجمع شمله من كل مكان بضمه إلى أرضه، التي فيها مجال حياته وبضم كل ما يعده الألمان أرضا ألمانية (Anschluss) اليهم والتوجه نحو الجبهة الشرقية بصورة خاصة: (Drang nach dem osten).

وبين هذه الديانة التي تدين بالعنصرية[2]، وبوثنية القرن العشرين، وبالبربرية الجديدة كما نعتها المؤرخ «توينبي»[3] وبالإجرامية لقتلها اليهود[4] وبالفصل العنصري المتجلي في قانون نورنبرك، وبأعمدة العقيدة الأخرى التي حرمها الحلفاء بعد الحرب العالمية الثانية، وبين الصهيونية المتحكمة اليوم في السياسة الدولية ونسب وصلة بل هي في الواقع «نازية» اليهودية، نتقول بالرس، وبالدين والتربة وبالفصل العنصري، والتوسع لإحياء الـ(Lebens Raum) التي هي «إسرائيل الكبرى» «من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات»[5]، عرضا، ومن الجنوب إلى مدخل حماة وجميع لبنان جهة مشرق الشمس من بعل جاد تحت جبل حرمون إلى مدخل حماة[6]، مع طرد كل الساكنين بهذه

---

(١) Schmidt philisophes Worterbuch, S., 95

(٢) A study, Vol., 8, pp, 288, 576, 604, Vol. 9, 437.

(٣) A study, Vol.,8.pp.13.81, Vol., 450.

(٤) A study, Vol.,8, pp. 288.

(٥) التكوين، الإصحاح الثالث عشر، الآية ١٤، ا لا صحاح ٢٨، الآية ١٣، الإصحاح الخامس عشر، الآية ١٨، الإصحاح الثاني عشر، الآية ٢٧، الا صحاح ٢٥، الآية ١٠ وما بعدها، الخروج، الإصحاح السادس الآية ٢ وما بعدها الإصحاح السابع عشر، الآية ١ وما بعدها.

(٦) التثنية، الإصحاح الأول، الآية ٦ وما بعدها.

الأرضين لأن الرب قال: «سأطردهم من وجه بني إسرائيل، وأنت تقسمها بالقرعة لإسرائيل ميراثاً كما أمرت»[١].

يتحدث الصهاينة في الوقت الحاضر عن حدود آمنة، هي حدود لا حد لها في المستقبل، مادامت إسرائيل هي دولة فوق الدول، تسير أميركا حسب مشيئتها، فيقول «بن كوريون» في مقدمته عام ١٩٤٥ لكتاب: تاريخ الهاكناه: «في الوقت الحالي نتحدث عن الاستيطان،عن الاستيطان وحده، لكننا سنقول للعرب، ابتعدوا، فليس في بلادنا مكان إلا لليهود، فإذا لم يوافقوا فسنبعدهم بالقوة»، وفي آب سنة ١٩٦٧، صرح موشي دايان، إننا إذا كنا نمتلك الكتاب المقدس، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب الكتاب المقدس، فإن علينا بالمثل أن نمتلك أرض الكتاب المقدس[٢] فلابد إذن من التوسع التدريجي كما فعل هتلر من قبل، ولابد من خلق إسرائيل الكبرى، ولابد من التوسع ومن التدخل في شؤونا لدول الأخرى لحملها على إخراج يهودها للنزوح إلى إسرائيل.

ونرى «ليفي اشكول» رئيس وزراء إسرائيل السابق، يقرر إن كل يهود العالم في «الشتات» أي خارج إسرائيل هم مواطنون إسرائيليون، وتحت رعاية وحماية إسرائيل وهذا مما أسار ثائرة اليهود الأمريكان الذين يعيشون في الولايات عيشة يحسدها عليهم الإسرائيليون[٣]،وجعل وزراء الخارجية الأميركية توضح موقفها من هذا القرار الذي يعرض إخلاص اليهود في العالم لأوطانهم إلى الامتحان، ويهدد العرب في أرضهم.

ولهذه العقيدة المشتركة، عدها قوم من اليهود من صنيع النازية[٤]، فالعوامل التي خلقت النازية هي نفسها العوامل التي عملت على خلق الصهيونية، وعلى رأسها الشعور بالقومية المتطرفة، وبالجنس الخاص المختار[٥]، فنادت بعربة اليهود عن الأقوام التي يعيشون بينها، وشجعت على ظهور اللاسامية وعلى إثارتها، لحمل اليهود على مغادرة أرض الشتاب (Diaspora) إلى أرض فلسطين[٦]، واشتركت وتعاونت مع النازيين في إخراج اليهود من ألمانيا وهذا ما كان يريده الألمان، للتخلص منهم، ولإخراج

---

(١) سفر يشوع، الإصحاح الثالث عشر، الآية الأولى، وما بعدها، سفر القضاة، الإصحاح الثالث آية ٣ وما بعدها.

(٢) روجيه جارودي، «عن الذرائع الدينية والتاريخية للصهيونية»، بحث ألقاه ببغداد.

(٣) Levi Eshkol, Israel& the diaspora, Issuse, winter, 1965 - 66, p. 13.

(٤) Emery Neef, The poetry of History, P., 11.

(٥) The Zionist Wish& the Nami Deed, by Benyamin Matovo, in Issues, Winter 1966 - 1967, p., 1.

(٦) A study, Vol. 7, pp. 530, 579, vol. 8, 274, vol. 9, 24.

البريطانيين بذلك، أصحاب الانتداب على فلسطين، بل اتهم بعضهم مثل «كستنر» (Kastner) وغيرهم بمعاونة النازيين في قتل اليهود[١] وقد اتضح بعد الحرب العالمية الثانية ومن الوثائق السرية ان جماعة من يهود ألمانية كانت تتعاون مع (هملر) رئيس الـ(SS) «أس أس» في أمور اليهود وفي خلق جو مرعب من اللاسامية يدفع اليهود على ترك ألمانيا إلى فلسطين،ولن يسمح لي الوقت لدخول إلى تفاصيل ذلك[٢]، وهكذا ساهم الصهاينة أنفسهم بخلق اللاسامية لتحقيق هدفهم في خلق اسرائيل جديدة على نمط دنيوي لا يتفق مع تعاليم التوراة، وقد عارض «اكودات يسرئيل» (Agudath Israel) وغيرهم من المتدينين الصهيونية، لأن ممكلة الله لا تكون بأعمال الإنسان بل بإرادة الله[٣] وبالمسيح الموعود من نسل داود، فلما ظهر المسيح المخلص زال الوعد المعطى في التوراة بظهوره، وبعدم إيمان اليهودية به، كما جاء في الأناجيل[٤]؛ لأن الإيمان به أبطل العهد بالختان، وجعله في المحبة وفي القلب، ختان القلب[٥]، وعقيدة الشعب المختار عقيدة تذكرنا بنشيد النازية الذي حرم الحلفاء مطلعه وهو (Deutschland Deutschland ueberales) «ألمانيا ألمانيا فوق كل شيء في العالم» لما فيه من نزعة القومية المتطرفة، وهي عند توينبي من حاصل الأنانية ويقول: «أما لا أؤمن بأن إلها، هو في نفس الوقت محب وقادر على كل شيء يفضل بعض أبنائه على بعض تفضيلاً يثير في نفوسهم الحسد والبغضاء، ان هذا التمييز لم يصنعه الله وإنما يعود إلى خطيئا عبادة الذات أي الأنانية، والقومية وهو خطأ أخلاقي مثلما هو خطأ علمي، و«أنا لا أعتقد بان اليهود أو الإسرائيليين البريطانيين هم شعب الله المختار، وأنا لا أؤمن بالأحرى بأن إعادة إسكان اليهود في فلسطين هو الكمال الذي دأب على انجازه جميع التاريخ البشري منذ العقد الثاني من القرن السادس قبل الميلاد»[٦] وقد دأبت الكنيسة متأثرة بالتوراة على ان كل شيء في هذا العالم قد صنع من أجل الأمة اليهودية، كما قال ذلك

---

(١) Issuse, Winter, 1966 - 1967, p. 1.

(٢) Heimy Hohn, The Order of the Deaths Head, pp. 205, 318k Helmut Krausnick, Martin Brosmat, Anatomy of the SS stste, p, 335.

(٣) Study, Vol. 8 pp. 300, 600.

(٤) رسالة القديس بولس إلى أهل غلاطية، الاصحاح الثالث، أعمال الرسل، الاصحاح الثالث عشر، الآية ١٣، وما بعدها، ٣٢، وما بعدها.

(٥) التثنية، الاصحاح العاشر، الآية١٦أرميا، الإصحاح الرابع الآية ٤.

(٦) آفاق عربية، العدد ٧ آذار ١٩٧٦م (ص ٢٤) نقل الاستاذ محمد توفيق حسين من كتاب تجارب (ص ١٣٥ وما بعدها).

«فولتير» في رده على الأسقف «بوسيه» في تاريخه عن العالم[1]، وهذه العقيدة هي سر تكتل اليهود واستعلائهم عن الغرباء الأرجاس، ونفور الغرباء منهم، النفور المعروف باللاسامية.

وكما عارض توينبي النازية لعقيدتها البربرية، عارض الصهيونية لسبب نفسه، فإنها بعقيدتها هذه صارت وريثة للتراث النازي، فقد أجرمت كما أجرم النازيون حين فصلوا اليهود عن المجتمع الألماني لعرقهم، وساقوهم إلى غرفة الغاز أما الصهيونية، فقد شردت أكثرية أهل فلسطين أهل هذه الأرض من قبل مجيء اليهود مشردين إلى فلسطين فيما قبل الميلاد، وشتتت شملهم تشتيتا (Diaspora) فكأنها أرادت بذلك تمثيل دور الذين شتتوهم قبل الميلاد وبدلاً من أن تحاكي الصهيونية فعل معلمتها النازية بإدخال أهل فلسطين غرف الغاز استعملت البنادق والرشاشات في قتل الفلاحين العزل حين عودتهم إلى بيوتهم بدير ياسين وبغير هذا المكان[2]وشتت شمل عوائلهم فأثبتت بما فعلته مع أهل فلسطين وبمباغتتها للدول العربية المجاورة لفلسطين انها ليست أقل شرورا من النازية في تصرفاتها وفي سلوكها، وقد أثبتت عصابة (آركون)[3] (Argun) و(الهكانا)، و(شتيرن)[4]، إن سادتها قد أجادوا دروسهم التي تعلموها من (أس أس) (SS) فرقة (هملر) رئيس (الكستابو) بارتكابهم أعمالاً فضيعة مع الفلسطينيين استبشعها عدد من اليهود مثل الفيلسوف الفيزيائي (البرت انشتاين) وجماعة من كبار علماء اليهود وبينهم حملة جائزة نوبل، فلما جاء نبأ قدوم (مناحيم بيكن) (Manahim Begin) رئيس وزراء إسرائيل الحالي إلى الولايات المتحدة عام ١٩٤٨، احتج هؤلاء العلماء على مجيئه ونشروا احتجاجهم في جريدة نيويورك تايمس في اليوم الرابع من كانون الأول من سنة ١٩٤٨، لأنه ارهابي وفاشي ونازي وله حزب سياسي يشبه في تنظيمه وأساليبه وفلسفته السياسية وتكوينه الاجتماعي الأحزاب النازية والفاشية ويتكون الحزب من أعضاء ومناصري ايركون زواي ليومي، هي منظمة إرهابية يمينية متعصبة قوميا، وقد مزج في الأوساط اليهودية مزيجا من التعصب القومي وأفكار التفوق العنصري، والمثال على تصرف هذا الحزب ما جرى في قرية دير ياسين من تقتيل، ومن السير بالفلسطينيين

(١) Emery Neef, The poetry of History, P., 11.

(٢) A study, Vol., 8, p. 290.

(٣) A study, Vol., 8, p. 290.

(٤) فلسطين، جريمة ودفاع، ص ٩٠.

أسرى في شوارع القدس، لإرهاب العرب وحملهم على ترك فلسطين والهجرة إلى الخارج.

و«بيكن» هذا الإرهابي (Terrorist) الذي خجل أولئك العلماء الكبار من مجيئه إلى الولايات المتحدة الأمريكية لأنه سفاك، وهو نفس (بيكن) الذي دخل القصر الأبيض، باستقبال مهيب عاطفي من رئيس الحكومة الأمريكية السيد كارتر)، وقابل زعماء المجلسين، مع انه لازال إرهابياً مصمم على اعتبار الضفة الغربية من أرض إسرائيل التاريخية وعلى إحياء مملكة إسرائيل الكبرى وعلى منع الفلسطينيين من استرداد وطنهم، والمجيء إلى ديارهم، وهم أهل البلاد قبل اليهود، يجري كل ذلك بينما تصر الولايات المتحدة على اعتبار رئيس منظمة التحرير الفلسطينية والمنظمة من الإرهابيين وهي الآن تسمح لنفسها بمصافحة الإرهابيين، وذلك لان لليهود كما هو معلوم نفوذ قوي في الولايات المتحدة الأمريكية، وعدد يزيد على عدد يهود فلسطين بأكثر من الضعف، ولهم نفوذ قوي هناك، تحدث عنه توينبي في مواضع متعددة من كتابه[١].

كان تشكيل الوطن القومي لليهود للتخلص من الشتات ومن خطر اللاسامية أعظم حجة تمسكت بها الصهيونية في ادعائه بالوطن القومي، ولما صدر ما يسمى بوعد بلفور لم يهاجر إلى فلسطين ما كان يتصوره الصهاينة، فأخذوا يستعينون بالوسائل المختلفة وفيها الوسائل السرية، مثل الهجوم على معابد اليهود والحملة عليهم، لحملهم على الهجرة، والاتفاق مع النازيين وعلى رأسهم (هملر) على تهجيرهم إلى فلسطين ومع ذلك فقد بقي عدد كبير منهم في ألمانيا، وبعد تأسيس الكيان الصهيوني بتدخل شركة (فايرستون) بقي أكثر اليهود مع ذلك في الشتات ولم يتجنس منهم بالجنسية اليهودية إلا الأقلية منهم، تماما كما وقع في أيام (عزرا) يوم أمره ملك فارس بإخراج قومه من سبي بابل إلى فلسطين، فلم يخرج منه معه إلى القلة وبقيت الكثرة في بابل وفي بقية الشتات[٢].

وتجاه هذا الوضع البغيض للصهيونية، ستسعى الصهيونية العالمية بكل وسائلها وامكانياتها كما نوه بذلك توينبي أيضاً في مقال نشره في (Issues) لصيف عام ١٩٦٠،

---

(١) The new York Times. 4 December 1984. وقد استعن بالنص العربي المنشور في صفحة ١١ من مجلة ألف باء العدد ٤٦٠ من السنة العاشرة ١٣ تموز ١٩٧٧.

(٢) راجع أسفار عزرا، ونحميا .Issues, Summer 1960

إلى خلق لا سامية جديدة تدبرها هي بنفسها، وتؤجر عليها رجالاً من المرتزقة لإثارة الرعب بين اليهود لحملهم إلى الهجرة، وجمع شتاتهم في فلسطين، لتتمكن من إحياء أرض الجنس المختار[١]، فإن من الإجرام ترك ما يزيد على ثلاثة ملايين يهودي في مدينة نيويورك مع غنائهم الهائل، وفلسطين في حاجة إليهم وهذا ما قاله (اخدهام) أحد زعماء الصهيونية في سنة ١٩٢١م[٢].

وتجاه مناقشة توينبي الصهيونية في موضوع الجنس المختار والزرع المقدس، وإرجاعه هذه العقيدة إلى خطيئة عبادة الذات، لأن الخالق لا يفضل بعض أبنائه على بعض تفضيلاً يثير في نفوسهم الحسد والبغضاء[٣]، وتجاه قوله بتحجر اليهودية بوقوفها حيث وقفت[٤] وبقوله بانتهاء وعد الرب لإبراهيم بظهور المسيح، يسوع الناصري[٥] وبما ذكرته من أمور رمى باللاسامية وبمعاداة اليهودية[٦]، وبعدم الفهم[٧]ونست الصهيونية أن توينبي هو من أعدى أعداء اللاسامية بكل أشكالها من قديمه ومن حديثه، حتى انه انتقد النصرانية لما ظهر منها من عداء نحو اليهود، ولقولها بخطيئة اليهود في قتلهم السيد المسيح، وحمل على الأوربيين وغيرهم لتعصبهم على اليهود[٨]، نست كل ذلك وغسلته لأنها ترى ان الناس أحرار في مدح الصهيونية ولكن لا حق لأحد منهم حتى ان كان يهودياً في التعرض لها بالنقد، لأن نقد الصهيونية هو عمل نازي، معاد للسامية ومعاداة السامية جريمة حرمها القانون الدولي، وأدخلت عدداً من مفكري اليهود الأحرار في عداد اللاساميين[٩]، وحكمت على (المجلس الأمريكي لليهودية) (The American Council for Judaism) ومقره نيويورك بمعاداة اليهود لأنه لا يقرأ الآراء الفلسفية القائمة على فلسفة القول بالرس وبالقومية وبالشتات وبعودة اليهود إلى

---

(١) راجع مقالة في .Issues, Summer 1960 نشرة يصدرها المجلس الأمريكي لليهودية

(٢) Judisch Rundschua, 1921, Nr:83 < Alfred Rosenberg, der Staatsfeioliche Zionismus, 1938, S, 69.

(٣) توينبي .Experiences, pp. 125

(٤) أرنولد توينبي، فلسطين، جريمة ودفاع (ص ١٥١ وما بعدها).

(٥) A study, Vol.,12, pp., 125.

(٦) Jewish Chronicle, 13 Oct. 1975.

(٧) Rahinowicy, o. k. Arnold Yoynbee On Judaism& Zionism, 1974.

(٨) A study, Vol., 8, p., 281.

(٩) Zionist & Anti - Semite, Issues, Spring, 1936, p. 20.

إسرائيل[١]، فليس اليهود رسا بالمعنى العلمي الأنثروبولوجي[٢].

وقد اتهمه (ياماكوف هرتزوك) سفير الكيان الإسرائيلي في كندا بتحامله على الصهيونية، وذلك بحواره معه في مدينة (مونتريال) وحاول السفير إظهار أن توينبي من المتحاملين على الإسرائيليين ومن المتعاطفين مع العرب، وجرى في هذا الحوار كل المواضع التي أخذتها الصهيونية عليه، وحاول بأسلوب الدبلوماسية إفحامه أمام الناس، فكان جوابه عليه جواب العالم الهادي الرصين[٣].

والواقع ان توينبي كان كما قلت من أشد الناس عداوة للمعادين لليهود كما كان من أشد الناس كرها للظلم، ولهذا ندد بمهاجمة بلاده لمصر مع فرنسا وإسرائيل سنة ١٩٥٦م، وعاب على قومه سيرتهم الاستعمارية، وانتقد الولايات المتحدة لسياستها الامبريالية مع انها كانت من المستعمرات في الأصل وكان من اللازم عليها مساعدة الشعوب المستعبدة ودافع عن حقوق السود في الولايات المتحدة الأمريكية وعن الأفارقة وأدان تدخل الولايات المتحدة بفيتنام وبالمواضع الأخرى من جنوب شرقي آسيا، فهو رجل أنساني العقيدة، يدين بالسلم ولا يقبل صدور الظلم من أحد.

ومن هذه العقيدة الإنسانية دافع عن الفلسطينيين لا عن عداوة للصهيونية وعن حب للعرب وأنا متأكد من قولي هذا ا عتمادا على اتصالي به ومجالساتي معه في لندن، وفي بغداد وفي الولايات المتحدة، وما كان في طبع توينبي النفاق والدجل فقد كان صريحاً يجاهر بما يعتقده ولا يبالي بأحد وقد كلمته في مخاصمة الصهيونية لاسيما بعد ظهور الجزء السابع والأجزاء التالية له من الكتاب فلم أجد منه ما يشير إلى حنقه على الصهاينة أو ما يشير إلى حقده عليهم، فقد كان جوابه لي جواب المؤمن الصادق في لهجته: لقد كتبت ما كتبت لا لأجل إثارة حقيقة، أو عن كره وعداء، أو عن طمع في مال أكسبه من رواج الكتاب، والذي هاجم النازية مثلي وهاجم قومه وهاجم فرنسا وغيرها لا يصدر منه كره لليهودية ولا يمكن أن يعاديها، ولكن الصهيونية نازية في ثوب يهودي انها عبادة جديدة تؤمن بالمثل التي أوجدت الديانة النازية وهي كما قال عنها بعد

---

(١) The Challenges of Freedom, In Issues, Summer 1936, p. 34.

(٢) Are Jews A Race? Issues.winter 1961, p. 34.

(٣) وقد نقلت هذه المحاورة إلى العربية بعنوان: فلسطين جريمة ودفاع، تعريب: عمر الديراوي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٦م.

ذلك في كتابه (تجارب استعمار إسرائيلي وجريمة بالإضافة إلى كونه مفارقة أخلاقية تنافي مفاهيم عصرنا)[١].

من هذه الروح الإنسانية الواضحة تظهر عظمة توينبي، نصير الشعوب المظلومة، لقد كان لدفاعه أثر مهم في الرأي العام العالمي لعلمه ولمكانته ولشهرته، دافع تطوعاً، فلم يذكر أعداؤه عنه انه هاجم الصهيونية لأن العرب شروه بالمال ولو علموا ذلك لما سكتوا وإنما الذي أغراه على الدفاع عن أهل فلسطين هو شعوره بأن المؤرخ يجب أن يكون في خدمة الحقيقة والحق.

---

(١) مقتبس من مقال الأستاذ محمد توفيق حسين، المنشور في مجلة آفاق عربية العدد (٧) السنة ١٩٧٦، ص ٣٠.

ثالثاً

محور دراسة الكتب ونقدها

جمهرة النسب لابن الكلبي(*)(*)

بين المؤلفات المئة والواحد والأربعين المنسوبة إلى هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ أو ٢٠٦ للهجرة(١)، مؤلف مهم في علم النسب يقال له «جمهرة النسب» أو «جمهرة الأنساب» أو «الجمهرة في النسب» أو «النسب الكبير»(٢)، هو على ما يعلم أول كتاب وضع بهذا الاسم(٣). وقد اعتمد عليه النسابون، فأخذوا منه، واقتبس منه من جاء بعد مؤلفه. ومع ذلك فقد عدا الدهر عليه، وحجب نسخة الأصلية عن أعين المتشوقين بلهفة شديدة إليه، وظل رهن الغيب حتى الآن.

وقد بذل المستشرقون مجهوداً يقدر للبحث عنه، ومازالوا يجدون في الحصول على الرواية الأصلية للكتاب، لنشره وإتحاف القراء به. وما كان اشد فرح العلماء حين أعلن بعض العلماء نبأ العثور على نسخة منه، غير أنه تبين بعد ذلك أن الإعلان بذلك كان سابقاً لأوانه، وأن نسخة ابن الكلبي لا تزال في طي الخفاء.

وفي المتحف البريطاني مخطوطة في النسب يقال لها «جمهرة النسب» رقمها في

(*) نظمت مفردات هذا المحور حسب تاريخ نشرها وصدورها من الأقدم إلى الأحدث.

(*) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي العدد ١ لسنة ١٩٥٠، ص ٣٧٧-٣٤٨.

(١) ترجمته وأسماء كتبه في كتاب «تأريخ آداب اللغة العربية» للمستشرق «بروكلمن» ١/ ١٣٩، وفي ملحقه ١/ ٢١١ وما يليها، وفي دائرة المعارف الإسلامية في مادة «ابن الكلبي».

(٢) Brockelmanñ suppl. Vol1 1p,211

(٣) جمهرة أنساب العرب لابن حزم من مقدمة المستشرق «ليفي بروفنسال» ص٥، طبعة دار المعارف بالقاهرة.

سجله «add . ٢٣٢٩٧». ظن أنها جمهرة ابن الكلبي، كتبت بخط جميل واضح شبيه بخط ياقوت المستعصمي، ونسخ أخرى وصفها «بروكلمن» في دائرة المعارف الإسلامية بأنها سقيمة لا أهمية كبيرة لها، ويعتقد أنها منقولة عن مخطوطة باريس[١]، وأنها الجزء الثاني، ولكنها ناقصة لا تفي بالحاجة، وان كان لابد من الاستعانة بها عند الشروع في نشر الكتاب. وفي خزانة كتب الاسكوريال بمدريد نسخة ثالثة رقمها في سجلها «az، ١٦٩٨»، جاء في مطلعها: «قال هشام بن محمد الكلبي: ولد ربيعة بن نزار ابن معد بن عدنان أسداً . . .» وفي آخرها: «وهو آخر الكتاب نسب معد واليمن الكبير». وتاريخ الكتابة سنة ٦٢٦هـ «١٢٢٩م»، وهي أقدم من مخطوطة المتحف البريطاني ذات الرقم «add . ٢٣٢٩٧» بربع قرن تقريباً، وتقع في ٢٦٥ ورقة، وفي كل صفحة ١٧ سطراً[٢]. وهي كما يرى من مطلعها جزء متمم لمخطوطة المتحف البريطاني، ولذلك كانت لها أهمية خاصة؛ لأنها الجزء الثاني المفقود من الكتاب.

فأما مخطوطة باريس التي اشرنا إليها، فهي من رقوق، طول الرق الواحد منها ٢٢ سنتيمتراً وعرضه ٢٩ سنتيمتراً ونصف، وفي كل رق منها ١٣ إلى ١٥ سطراً، وتتألف من ١٣ ورقة محفوظة في دار الكتب الأهلية بمدينة باريس بخط كوفي مشابه لما كان شائعاً في أواخر القرن الثاني من الهجرة[٣] ورقم هذه القطعة هو «٢٠٤٧» كما جاء في الجزء الثاني من فهارس المخطوطات العربية المحفوظة في دار الكتب الأهلية، تنظيم البارون دي سلان «Baron de Slane».

وليس في استطاعتي أن أتحدث عن نسخة باريس، لإيجاز «البارون دي سلان» الكلام عليها، ولأنها ليس لها صورة فوتغرافية عندي، حتى أتمكن من دراستها والبت في أمرها، فلعلها جزء من نسخة ابن الكلبي الأصلية، أو من نسخة السكري، أو جزء من كتاب «الجمهرة في النسب» لأبي الفرج الأصبهاني[٤] صاحب كتاب الأغاني. فأما ما ذهب إليه «بروكلمن» في «دائرة المعارف الإسلامية»[٥] من أن نسخة باريس نسخة

---

(١) Codd. Mss. Brit. Pars. ii, no. 915.

(٢) راجع الوصف في ٣/ ٢١٥ من فهارس المخطوطات العربية بالأسكوريال سنة ١٩٢٩ رقم ١٦٩٨ Cassiri, bibl. Arabicohispana, No. 193

(٣) كتاب الأصنام، مقدمة أحمد زكي باشا «ص٢٠».

(٤) راجع إرشاد الأريب ١/ ٦٠، و٥/ ١٥٢، والذريعة إلى تصانيف الشيعة ٥/ ١٤٧.

(٥) Ency, of islam vol, 2 p, 689.

مركزة يعود تأريخها إلى سنة ٤٦٥ وأنها رواية السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الكلبي غير أن فيها زيادات أخذت من كتب ابن الأعرابي ومن مصادر أخرى[1]، فهو رأى لا أستطيع أن أثبته، ولا أن أنفيه؛ لما تقدم من أسباب. ولكن يظهر من إشارة «بروكلمن» إلى الرقم ٢٠٤٧ وهو رقم الأوراق التي تحدثت عنها، أنه إياها عنى. ولما كان البارون المذكور قدر أن ظهورها كان في أواخر القرن الثاني للهجرة، مستدلاً بشكل الخط الذي يعود إلى هذا العهد، وجب أن تكون هذه النسخة قد كتبت في حياة ابن الكلبي مؤلف «جمهرة النسب»، وهذا يخالف رأي «بروكلمن»، اللهم إلا إذا كان قد عنى مخطوطة أخرى في دار الكتب الأهلية بباريس، لها غير هذا الرقم، أو كان البارون قد أساء التقدير، فان «بروكلمن» قد وجد عليها أو في إثنائها تأريخ الكتابة، وهو سنة ٤٦٥هـ وقرأها بإنعام نظر، وتتبع أمرها فوجد أنها رواية السكري مع زيادات قليلة. وكنت آمل أن يتطرق ليفي بروفنسال»، أستاذ اللغة والحضارة العربية في السربون ومدير معهد الدراسات الإسلامية في جامعة باريس، إلى هذه النسخة في مقدمته لكتاب «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦هـ، الذي نشره في العام الماضي بالقاهرة بعناية «دار المعارف» بالقاهرة، وذلك لولعه بجمهرة ابن الكلبي، ولقربه منه، ولحثه العلماء على طبع تلك الجمهرة، ولأن في إقدامه على طبع «جمهرة» ابن حزم ما يحفزه إلى البحث في مخطوطة باريس وتعيين حقيقتها، ولكنه خيب - يا أسفا! - أملى. والذي يقرأ قوله: «وقد وصل لنا مخطوطان من جمهرة ابن الكلبي، أحدهما حسن محفوظ بالمتحف البريطاني تحت عدد «ADD، ٢٣٢٩٧»، والثاني دون المتوسط محفوظ بمكتبة الأسكوريال بإسبانيا «عدد AZ، ١٦٩٨»، يفهم منه أن الأستاذ لم يطلع على مخطوط باريس ذات الرقم «٢٠٤٧»، والا أشار إليها، ولعل العجلة قد أنسته تلك المخطوطة فلم يشر إليها. وأيا كان الأمر، فالمهم في نظري تعيين حقيقتها والكتابة في وصفها، إذ لم يتيسر لي الحصول على نسخة فوتغرافية منها.

وقد طلب (المجمع العلمي العراقي) من إدارة دار الكتب الأهلية بباريس أن تصور

---

(١) ابن الأعرابي: أبو عبدالله محمد بن زياد الأعرابي، كان له مجلس يحضره زهاء مئة إنسان، ويقرأ عليه فيه فيجيب من غير كتاب. لازمه ثعلب. ومات بسر من رأى سنة ٢٣١. أملي على الناس ما يحمل على جمال. الفهرست ص١٠٢، تأريخ بغداد للخطيب ٥/ ٢٨٢_٢٨٥. إرشاد الأديب ٧/ ٥ وما يليها. مرآة الجنان لليافعي ٢/ ١٠٦ البغية للسيوطي ص٤٢. وتجد عناوين الكتب المنسوبة إليه في كتاب «تأريخ آداب اللغة العربية» لبروكلمن ١/ ١٩، ٤١، ٥٦، ١١٦، ١٣٩، وملحقه ١/ ١٧٩.

له نسخة منها فوتغرافية، فلم تحقق له هذه الرغبة. فقد وضع جماعة من رجال الإدارة فيها عوائق كبيرة دون تصوير المخطوطات العربية، لأسباب لا نعرفها ويعرفها أولئك الرجال، ولكنها لا تتفق على كل حال مع الواجب العلمي الذي أنشئت من أجله دار الكتب هذه وأمثالها. وذلك يدعونا في هذا الموقف إلى الموازنة بين هذه المعاملة والتسهيلات الكبيرة، والخدمات العلمية الجليلة التي تقوم بها إدارة المتحف البريطاني بلندن عند تقديم مثل هذه الطلبات إليها.

وقد اهتم المستشرقون بأمر كتاب «جمهرة النسب» لأن الكلبي، فلما طرق سمع المستشرق «بيكر» «C,H, Becker» وجود نسخة منه بإسبانيا بخزانة الأسكوريال، ذهب إلى هناك، ليتوفر بنفسه على نسخها، وليهتم بطبعها بما تستحقه من العناية، ولكنه تحقق، بعد دراسة عميقة، أن الكتاب ليس لابن الكلبي، وانما هو خلاصة وجيزة له، وانه فوق ذلك مبتور ومشحون بالغلط الذي يرتكبه النساخون، وأنه لا يصلح للطبع على هذا الشكل[١].

وكتب المستشرق «فريتس كرنكو» «F, Kreernkow» في المجلة الآسيوية تعليقاً على ما نشره «بولس ساباط» في جريدة المقطم عن الجمهرة، ذهب فيه إلى أن الكتاب ليس بالنسخة الأصلية للجمهرة. وإنما هو من رواية محمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٥ وعمله[٢]. وكان رواية ابن الكلبي والمقرب إليه، إلا أنه استند إلى جمهرة ابن الكلبي - كما هو معروف.

وفي سنة ١٩٣١م أوضح المستشرق الايطالي «ليفي دلافيدا» لأعضاء مؤتمر المستشرقين الأممي الثامن عشر رغبته في نشر «جمهرة الأنساب» لابن الكلبي، وأعلن أنه بعد إنعام النظر وجد أن نسخة لندن ونسخة الأسكوريال تكمل أحداهما الأخرى، وأنهما ليستا رواية موجزة للأصل كما يظن، بل هما تنقلان الرواية التامة المعزوة إلى الأديب الشهير محمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٥هـ[٣]، وذهب إلى هذا الرأي نفسه «ليفي بروفنسال» في مقدمته التي وضعها لكتاب «جمهرة أنساب العرب»، لابن حزم.

ويخيل إلى أن المستشرقين لم يقرأوا هذه المخطوطات بتدقيق نظر، ولم

---

(١) كتاب الأصنام، المقدمة ص٢٠ - Becker, ZDGM, 1902, P, 796 - 799.٢١ .

(٢) المقطم تأريخ ٧ - ٤ - ١٩٢٥م. Krenkow, JRAS, 1925 P,507 Brocklkmann, Suppl, 1P,212.

(٣) مقدمة ليفي بروفنسال على جمهرة ابن حزم ص٦.

يتصفحوها ولا تأثروا سطورها سطراً سطراً. وقد قرأت الصورة الفوتغرافية لمخطوطة المتحف البريطاني التي استجلبها (المجمع العلمي العراقي)، وتقع في ٢٦٠ ورقة، في كل ورقة منها صفحتان متقابلتان، فوجدت مخطوطة المتحف البريطاني ليست بالنسخة الأصلية لرواية محمد بن حبيب، وإنما هي رواية راويته وتلميذه أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري المتوفى سنة ٢٧٥ للهجرة. وكان من مشاهير علماء اللغة والنحو والأخبار والأدب، ومن الجماعين للكتب الحريصين على استنساخها. وهذه الصفحات هي الجزء الأول من الكتاب. فأما الأجزاء الأخرى، فناقصة، ولم يستطع المتحف البريطاني العثور عليها حتى الآن[١].

واستهلت الصفحة الأولى من مخطوطة المتحف البريطاني بهذه المقدمة:

«بسم الله الرحمن الرحيم وبه التوفيق»

أخبرنا محمد بن حبيب، عن هشام بن محمد بن السائب، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا انتهى في النسب إلى معد بن عدنان أمسك، ثم قال: كذب النسابون. قال الله جل ثناؤه (وقرونا بين ذلك كثيراً). قال ابن عباس: ولو شاء رسول الله، ﷺ، أن يعلمه لعلمه. وقال: «بين معد بن عدنان وإسماعيل ثلاثون أبا»[٢].

وكانت خاتمة الصفحة الأخيرة هذه الجمل:

آخر الجزء الأول من الجمهرة في النسب، ويتلوه في أول الجزء الثاني بعون الله: وولد الخزرج بن حارثة الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا النبي وآله الطيبين الطاهرين وسلم، فرغ منه علي بن حسن بن معالي المعروف والده بابن الباقلاوي[٣] الحلي النحوي في رجب من سنة ثلاث وخمسين وست مئة».

فالمخطوطة من خط «علي بن حسن بن معالي الباقلاوي «فرغ منها كاتبها في شهر رجب من سنة ٦٥٣هـ، والكاتب عالم أديب، ابن عالم أديب. ولد سنة ٦٠١هـ، وتوفي سنة ٦٨٢، أو ٦٨٣ للهجرة. وكان كأبيه من علماء النحو واللغة، ومن الشعراء المعروفين، وله شعر كثير، وكان أيضاً من المولعين بنسخ الكتب، فاستنسخ بخط يده

---

(١) راجع الصفحة الأخيرة من المخطوطة.

(٢) مخطوطة لندن، الورقة الأولى.

(٣) وورد «ابن الباقلاني».

كثيراً من المخطوطات. ذكره ابن الفوطي في كتابه «معجم الألقاب»[(١)] وقد قام بتحقيق الجزء الرابع منه صديقي الفاضل الدكتور مصطفى جواد، وهيأه للطبع، وكان قد نشر الجزء الخامس منه الفاضل «مولوي عبد القدوس» في مجلة» اورينتل كولج مكزين» «مجلة الكلية الشرقية»، التي تصدر في جامعة عليكرة بلاهور. وأثنى عليه ابن الفوطي، وقال: «إنه رآه، وكتب له من إشعاره كراسة، وانه كتب شعره في كتابه «نظم الدرر الناصعة، في شعراء المئة السابعة». ونوه به شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ للهجرة في كتابه «تأريخ الإسلام» في حوادث سنة ٦٨٣. وقد أعطاني ما ورد في «حسن بن علي الباقلاني»في مجمع الالقاب و«تأريخ الاسلام» صديقي الدكتور المذكور..

أما والده، فهو الحسن بن معالي بن مسعود بن الحسين الباقلاني الحلي المولود سنة ٥٦٨ المتوفى سنة ٦٣٧ للهجرة. وكان من علماء زمانه بالنحو اللغة. قال عنه السيوطي: إنه كان «شيخ العربية في وقته ببغداد»[(٢)]، قرأ النحو على كبار العلماء في وقته، مثل: أبي البقاء العكبري[(٣)]؛ ومصدق الواسطي[(٤)]، وأبي الحسن بابويه[(٥)]. وأخذ اللغة من أبي محمد بن المأمون[(٦)]، والفقه عن يوسف بن إسماعيل الدامغاني، وقرأ الحكمة والفلسفة على نصير الدين الطوسي الحنفي[(٧)]، والحديث على أبي الفرج بن كليب، حتى صار من كبار علماء بغداد في النحو وعلم الكلام، وكان حريصا على استنساخ المخطوطات، فخط بيده عدداً كبيراً منها، وقد لقيه ياقوت الحموي سنة ٦٠٣ ببغداد[(٨)]، وعز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني الشهير بابن أبي الحديد

---

(١) الجزء الرابع بحسب تقسيم المؤلف. «تلخيص مجمع الآداب، المرتب على معجم الأسماء والألقاب» وقد قرر المجمع العلمي العراقي طبع تحقيق الدكتور مصطفى جواد بنفقته.

(٢) بغية الوعاة ص٢٣٠.

(٣) محب الدين أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري. ولد سنة ٥٣٨، وتوفي سنة ٦١٦ للهجرة (راجع نكت الهميان ١٧٨. والبغية ص٢٨١. والشذرات ٥/ ٦٧، والملحق لبروكلمن ١/ ٤٩٦).

(٤) مصدق بن شبيب ولد سنة ٥٣٥هـ وتوفي سنة ٦٠٥هـ «البغية ٣٩١».

(٥) البغية ٢٣٠.

(٦) احمد بن علي بن هبة الله بن الحسن المعروف بابن المأمون، ولد سنة ٥٠٩ وتوفي سنة ٥٨٠ البغية ١٥١، ٢٣٠.

(٧) البغية ٢٣٠.

(٨) البغية ٢٣٠، إرشاد الاريب ٤/ ٣، أعطاني الدكتور ترجمته من كتاب الحوادث الجامعة لابن الفوطي،=

المتوفى سنة ٦٥٦ للهجرة في دار صفي الدين محمد بن معد العلوي ببغداد[١]. وترجمه القفطي[٢].

فالمخطوطة إذن مخطوطة ثمينة كتبها رجل عالم بما يكتب ومتخصص بعلم الأنساب، كان من الهاوين لكتابة الكتب، كتبها عن نسخة أخرى بعد وفاة والده بسنين. ولهذه الاعتبارات أهمية كبيرة كما هو بين.

لقد تبين لي من مطالعة مخطوطة المتحف البريطاني أنها ليست جمهرة ابن الكلبي رواية محمد بن حبيب كما ذهب إلى ذلك المستشرقان «ليفي ديلافيدا» و«ليفي بروفنسال»، بل هي جمهرة ابن الكلبي مضافاً إليها أشياء لم ترد في الجمهرة، وقد ذكر ذلك جامع المخطوطة في مواضع متعددة منها، جاء في الورقة ٧٥ب «الربائع من غير كتاب الكلبي»، وجاء في السطر الأول من الورقة ٩٣ب «هكذا قال الكلبي...»، وجاء في آخر هذه الورقة: «ليس هذا عن الكلبي»، ثم عاد في الورقة التالية لتلك أي ورقة ٩٤ فقال: «رجع إلى الكلبي» وجاء في السطر السادس من الورقة ٢١٨ «لم يعرفهما ابن الكلبي، قال ابن وجعفر: وقال مرة أخرى وقد صح»، وورد في الورقة ٢٥٢ب «فدخل فيهم ابن أحيحة في قول ابن الكلبي. وأما ولده، فقالوا...». وتدل كل هذه المواضع ومواضع أخرى على أن هذه المخطوطة ليست النسخة الأصلية للجمهرة، وإنما هي الجمهرة مضافاً إليها شروح وزيادات لم ترد في الجمهرة وأن الجامع لها رجل آخر غير ابن الكلبي.

أما راوي الكتاب، فهو أحد رواة محمد بن حبيب، لا محمد بن حبيب نفسه كما ذهب إليه المستشرقون «كرنكو»، و«ليفي ديلافيدا»، و«ليفي بروفنسال». وقد نص على ذلك بوضوح في مواضع كثيرة من الكتاب: جاء في الورقة الأولى «أخبرنا محمد بن حبيب، عن هشام بن محمد...»، وجاء في الورقة «١٩٣»: «حدثنا محمد بن حبيب، قال: أخبرنا هشام بن الكلبي..»، وقد تكرر ورود هاتين الجملتين في مواضع كثيرة من

= ولم يكن لدى، جاء ذكره في ص١٣٧ من حوادث سنة ٦٣٧هـ. وذكر لي أنه مترجم في طبقات الحنفية الموسوم بالجواهر المضية لمحيى الدين القرشي ج١ ص٢٠٥ وذلك يدل على انه كان حنفياً. واشار القرشي إلى أنه نقل ترجمته من تاريخ بغداد لابن النجار البغدادي.

(١) شرح نهج البلاغة ٣/ ١٩٢، أشار إلى ذلك الدكتور مصطفى جواد محقق الحوادث الجامعة، وكذلك السيد محسن الأمين في كتابه أعيان الشيعة ٢٣/ ٣٠٤.

(٢) أعيان الشيعة ٣٢/ ٣٠٤.

الكتاب. ولو كان الكتاب رواية محمد بن حبيب ما استعملت صيغة «أخبرنا» و«حدثنا» التي تنبئ أن المتحدث رجل آخر روى عن ابن حبيب. وجاء في الورقة ١١٨ب بالسطر ١١: «هؤلاء المغتربات من بنات هاشم، من كتاب محمد بن حبيب عن الكلبي»، وفي الورقة ١١٩ ب سطر ١٤: «جمهرة نسب قيس عيلان بن مضر، عن ابن الكلبي، عن كتاب ابن حبيب». ويفهم من هذين الموضعين أيضاً أن راوي الكتاب هو رجل أخر من كتاب ابن حبيب. فمن يكون هذا الرجل الذي روى عن محمد بن حبيب؟

هذا الرجل هو أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري المتوفى سنة ٢٧٥ للهجرة[1]. كان من مشاهير علماء اللغة والنحو والأدب والأنساب، كما كان من المشهورين بجمع الكتب، ومن النساخين المعدودين، وقد مدحه السيوطي فقال فيه انه «كان ثقة صدوقاً يقرأ القرآن وانتشر عنه من كتب الأدب ما لم ينتشر عن أحد من نظائره، وكان إذا جمع جمعا فهو الغاية في الاستيعاب والكثرة، وصنف:

١ - النقائض.

٢ - النبات.

٣ - المناهل والقرى.

٤ - الوحوش.

٥ - الأبيات السائرة.

٦ - السيرة.

٧ - كتاب الشعراء المعروفين بأمهاتهم. وقد أشار إليه أبو القاسم الحسن ابن بشر الآمدي المتوفى سنة ٣٩٠ في كتابه المؤتلف والمختلف[2].

٨ - جامع شعر النعمان بن بشير.

٩ - كتاب من قال بيتا فلقب به.

١٠ - كتاب اللصوص.

١١ - كتاب أشعار هذيل.

---

(١) ولد سنة ٢١٢ للهجرة. وقيل: توفي سنة ٢٩٠ للهجرة. راجع تأريخ بغداد للخطيب ٧/ ٢٩٦، والإرشاد لياقوت ٣/ ٦٢والبغية ٢٠٨، والفهرست ١١٧. والآمدي: المؤتلف ١٤٨، بروكلمن: الملحق ١/ ١٦٨.

(٢) المؤتلف والمختلف طبع بتحقيق «كرنكو» القاهرة سنة ١٣٥٤ راجع ص١٤٨، ١٤٩ ومواضع أخرى.

وجمع شعر جماعة من الشعراء منهم امرؤ القيس، والنابغة الذبياني، والقطامي، والجعدي، وزهير، ولبيد. وعمل من أشعار القبائل شعر بني هذيل، وبني شيبان، وبني يربوع، وبني ضبة والأزد، وبني نهشل وتغلب، وغيرهم[١].

كان السكري من مشاهير رجال المدرسة البصرية، وكان من رواة محمد بن حبيب، روى عنه أكثر كتبه، ومنها هذا الكتاب الذي نتحدث عنه، وروى عن المؤرخ البصري الشهير عمر بن شبة النميري المتوفى سنة ٢٦٢ للهجرة[٢] من علماء البصرة بالنحو والأخبار والأدب، وهو صاحب مؤلفات كثيرة، وكان من مشايخ الطبري، وقد استعان بمؤلفاته في تاريخه ولا سيما في أخبار مدينة البصرة، أخذها من كتابه «أخبار البصرة».

وأخذ عنه محمد بن عبد الملك التأريخي كما سمع نفرا آخرين من العلماء، منهم: يحيى بن معين، وأبو حاتم السجستاني، وأبو الفضل العباس بن فرج الرياشي المتوفى سنة ٢٥٧ للهجرة.

وقد ورد اسم السكري صراحة في مواضع من الكتاب، جاء في حاشية الورقة ٢٤٢: «قال السكري: قال ابن حبيب: حفظي حمصان»، وهو تعليق على أبيات ورد فيها اسم «بنو حمضان». وجاء في السطر السابع من الورقة ٢٤٦: «هؤلاء بنو أياد بن نزار بن معد. كان في النسخة التي نقلت مها آخر الجزء الخامس من أجزاء أبي سعيد السكري التي بخطه وتصحيحه»، وذكر اسمه في الورقة ٢٤٧ جاء فيها: «آخر المجلد الخامس وبخطه على ظهر السادس من المجلدات أعنى أبا سعيد السكري»، توفي محمد بن حبيب يوم الخميس لسبع بقين من ذي الحجة سنة خمس وأربعين ومئتين بسر من رأى. توفي يعقوب بن السكيت يوم الأحد في رجب سنة ثلاث وأربعين ومايتين، توفي المازني سنة ثمان وأربعين ومئتين، توفي الزيادي سنة تسع وأربعين ومئتين. وبخطه علي بن نصر بن صهبان بن. . .«يظهر من هذه المواضع ومن أماكن أخرى أن راوي الجمهرة هو أبو سعيد السكري، وأن النسخة التي نتحدث عنها قد نقلت إما عن هذه النسخة نفسها وأما عن نسخة أخرى مستنسخة عن نسخة السكري، ويظهر أيضاً أن الكتاب يتألف من عدة أجزاء، وأن السكري كان قد علق عليها تعليقات مختلفة لا

---

(١) ياقوت: الإرشاد ٣/ ٦٤، الفهرست ١١٧.

(٢) وقيل: ٢٦٤ للهجرة. راجع: البغية ٣٦١، ابن حجر: التهذيب ٧/ ٤٦٠، ياقوت: الإرشاد ٦/ ٤٨١.

علاقة لها بالمتن، غير ان الناسخ أدخلها في الأصل فأصبحت غريبة نابية يمكن استخراجها من الأصل، مثل ما جاء في السطر السابع من الورقة ٢٤٦: «هؤلاء بنو أياد بن نزار بن معد»، فنحن بإزاء تعليقات مختلفة يظهر أنها خطرت على بال السكري فدونها في آخر الجزء الخامس وعلى ظهر الجزء السادس فأدخلت في متن الجمهرة. اننا نجد نسب أحمد بن أبي داود، ويليه أسماء مساجد أولها مسجد بني غبر بن غنم، ثم ننقل فجأة في الورقة ٢٤٦ ب إلى التحدث عن حروف المسند وأشكالها منقولة من كتاب ابن خرداذبه. ظهرت هذه التعليقات في القسم الأخير من الكتاب. فأما القسم الأعظم منه، وهو الصفحات المتقدمة على الورقة ٢٤٠، فانه مستقيم، وللتعليقات والشروح مكان فيه، كما أنه لم يتطرق فيه إلى ذكر الأقسام، كأن يقال «آخر الجزء الأول»، أو «آخر الجزء الثاني» وهكذا، بل تذكر فيه الأنساب جمهرة جمهرة بانتظام، وأظن أن هذه التعليقات التي أدخلت على آخر الكتاب إنما أضيفت على سبيل الاستذكار فأصبحت كأنها من الأصل.

وإذ كانت الصفحة الأخيرة من الكتاب قد أشارت إلى أن هذا القسم هو الجزء الأول منه، ثم يليه الجزء الثاني، نرى أن الكتاب كان يتألف من عدة أجزاء، وقد أخبرتني إدارة المتحف البريطاني أنه كان يتألف من خمسة أجزاء، والظاهر أنه كان يتألف من ستة أجزاء كما أشير إليه في تضاعيف الكتاب.

وتقابل نهاية هذا الجزء الذي نتحدث عنه، وقلنا: إن راوية هو السكري، لا محمد بن حبيب، الصفحة ٦٧ من مخطوطة ذات أهمية كبيرة بالنسبة لكتابنا، وهي في الأنساب كذلك، أعني بها «المقتضب من كتاب جمهرة النسب» لياقوت الحموي، فهي اختصار لأصل «جمهرة النسب لأبن الكلبي». وتوجد للمقتضب نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية[١] وقد أخذنا عنها صورة فوتغرافية (للمجمع العلمي العراقي) فحفظت في خزانته برقم ٦٣/م، وهي النسخة التي اعتمدت عليها في مقالي هذا، وتقع في ١١٧ ورقة. وعلى هذا تكون عدة الأوراق البالغة ٢٦٠ ورقة التي تؤلف مخطوطة المتحف البريطاني نصف مادة النسب الواردة في «المقتضب من كتاب جمهرة النسب». وأما النصف الباقي، وهو في نسب القحطانيين ولم يعثر على نسخ أخرى منه حتى الآن، فهو

---

(١) وهي محفوظة تحت رقم ٧٥٣٥ عمومية، وتحت رقم ١٠٥م تاريخ. فهرست الكتب العربية التي بدار الكتب المصرية ص٣٥٥ حـ ٥ رقم ٢٧٨٥. ١٠٥م.

غير النسخة المحفوظة بالأسكوريال التي يظن أنها الجزء الثاني من الكتاب، وإنما يجب أن يكون أوسع حجما من الجزء الأول، لكونه خاصاً بالقحطانيين الذي ينتمي إليهم ابن الكلبي، ولما عرف عنه من التوسع في أخبارهم والإفاضة في ذكر حوادثهم ولو أداه ذلك إلى الأفتعال والوضع وتهويل الحوادث عصبية منه لليمانيين.

وتتألف مخطوطة «المقتضب من كتاب جمهرة النسب» من جزءين ينتهي الجزء الأول منهما بالورقة ٤٥، وآخره «ولد كليب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة». ويبتدئ الجزء الثاني منه بولد هلال بن عامر بن صعصعة، وينتهي بنسب «الهان بن مالك أخي همدان». وبهذا النسب ينهي ياقوت نسب آل قحطان.

وذكر أحمد زكي باشا رحمه الله، في مقدمته لكتاب الأصنام أن المستشرق الألماني «بيكر» «Becker» المعروف، صاحب كتاب «دراسات إسلامية»[(١)]، يظن أن مخطوطة «المقتضب من كتاب جمهرة النسب» لياقوت الحموي ليست هي المقتضب، لأن الترتيب فيها مخالف للذي في كتاب الفهرست وللوارد في النسخة التي رآها في الأندلس وشرح أحوالها[(٢)]. ولست في وضع أستطيع معه أبداء رأي فيما كتبه المستشرق، لأن المجلة التي نشر فيها رأيه، وهي «مجلة الجمعية الألمانية الشرقية» «ZDMG»، لا توجد في العراق في الوقت الحاضر، غير أني أستطيع أن أقول: إنه ان كان هذا الرأي هو رأي المستشرق بيكر فهو رأي لا يستند إلى أساس أبداً بالنسبة لمخطوطة المتحف البريطاني، فقد أخذت المخطوطتين: مخطوطة المتحف البريطاني، ومخطوطة «المقتضب» لياقوت، وقابلت بينهما من أول صفحة إلى آخر صفحة، فوجدت إتفاقاً تاماً في الترتيب والتبويب وزيادات وتعليقات في المخطوطة البريطانية ليست من صلب المتن، أدخلها السكري من كتب ابن حبيب ومن كتب أخرى، وحواشي تعرف بسرعة أن صاحبها السكري نفسه، وذلك مما يدل على أن «المقتضب» هو اقتضاب في الواقع للمتن الأصلي «لجمهرة النسب» لابن الكلبي، وليست فيه مخالفة في الترتيب والتبويب لجمهرة ابن الكلبي. وقد سبق أن قلت ان مخطوطة المتحف البريطاني هي متن مخطوطة «جمهرة النسب» لابن الكلبي مضافاً إليها زيادات وحواش كثيرة دون إحداث تغيير في المتن.

---

(١) Islam Studien, 2, vol.

(٢) مقدمة أحمد زكي باشا لكتاب الأصنام ص٢١ حاشية ٢.

فـ «المقتضب في جمهرة النسب» هو إذن جمهرة ابن الكلبي بصورة موجزة، وقد اقتصر ياقوت على أصول الأنساب، وترك الفروع والتفاصيل والشروح، ولذلك لا نجد بدا من الاستعانة بهذا الموجز على إحياء كتاب «جمهرة ابن الكلبي» الذي أصبح من الممكن إحياؤه في زماننا بالمقابلة بين النسخ المختلفة ومقتضب ياقوت وكتب الأنساب والأخبار التي نقلت كثيراً من جمهرة ابن الكلبي.

ولا بد لإحياء جمهرة ابن الكلبي من الاستعانة بكتب أخرى نقلت من النسخة الأصلية للجمهرة، مثل: «كتاب الاشتقاق، لابن دريد المتوفى ٣٢١ للهجرة، وهو في الأنساب وقد طبعه المستشرق «وستنفلد»[١]، و«كتاب الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلاني، و«شرح نهج البلاغة» لعز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني الشهير بابن أبي الحديد[٢]، ومؤلفات أخرى.

ومن المفيد الاستعانة بكتب الأنساب المعروفة، مثل كتاب «جمهرة أنساب قريش» أو «الجمهرة في نسب قريش» لأبي عبد الله مصعب بن عبد الله بن ثابت بن عبد الله بن الزبير الزبيري المتوفى سنة ٢٣٣ للهجرة، ومنه نسخة مخطوطة في المتحف البريطاني رقمها «or، ١١٣٣٦»، حصل (المجمع العلمي العراقي) على صورة فوتغرافية منها حفظت في خزانته برقم ٦٨/ م. وقد اعتمد عليه ابن أبي الحديد كثيراً في شرحه لنهج البلاغة، وهو يتألف من ١٢ جزءاً تضمنت نسب فريش؛ وبكتاب «جمهرة أنساب العرب» لأبي محمد علي ابن سعيد بن حزم الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦ وقد طبعه المستشرق «ليفي بروفنسال» بعناية دار المعارف بالقاهرة، ولقد وجدت في الطبعة غلطات لا تغتفر، مثل قوله في ص٤١٠ آخر ملوك بني جعفر، والصواب أن هذه الدولة هي دولة «آل يعفر»، ويقال لها الدولة اليعفرية لا الدولة الجعفرية، فيجب أن يقال «آخر ملوك بني يعفر». وقال «محمد بن علي الصلحي»، وكان عليه أن يكتبه الصليحي، وقد ترجمه ابن خلكان في الوفيات[٣]. وجاء في ص٤٤٥: قبيلا همدان: حاشد وبكيل ابنا جشم بن خيوان بن نوفل بن همدان، وهذا خطأ وصوابه، ابن نوف، ومواضع أخرى ربما أذكرها في جزء آخر من المجلة.

---

(١) بمدينة كوتنكن (Gottingen) سنة ١٨٥٤م.

(٢) ١/ ٢٦٤، ٢/ ٥٢٩، ٣/ ٤٦٢، ٤٧٠.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان ١/ ٤٦٥.

وقد ذكر لي الأستاذ الفاضل السيد حمد الجاسر مفتش معارف الظهران بالمملكة العربية السعودية أنه تتبع الكتاب فوجد فيه غلطات ونقصانا عن مخطوطة لقاهرة، وأراني نموذجاً من ذلك كان لديه، فقد ورد في مخطوطة القاهرة أسواق العرب في الجاهلية في الورقة ١٩٩ ولم يذكره «ليفي بروفنسال» في طبعته لابن حزم، وذلك مما يدل واضح الدلالة على أن المستشرق لم يكن دقيق النظر في النشر، وأنه لم يقابل النسخ مقابلة تامة[١].

ونجد نماذج من كتاب جمهرة النسب لابن الكلبي وردت في أثناء «ديوان المفضليات» لأبي العباس المفضل بن محمد الضبي، شرح أبي محمد القاسم بن محمد ابن بشار الأنباري الذي اقتبس كثيراً من كتب هشام بن الكلبي[٢] في الأنساب وفي الأيام مثل «يوم الرقم» فقد أخذ رواية هشام[٣]. ويوم الكلاب الأول[٤]، وفي تشعب القبائل وأخبارها[٥]، وغير ذلك، ويمكن أن نقول: إن قسماً من كتاب ابن الكلبي قد نشر في شرح المفضليات. ونجد في هذا الكتاب زيادة على ذلك نماذج من رواية ابن حبيب في النسب تساعد من يريد تحقيق جمهرة ابن الكلبي وإخراجها.

---

(١) نشر الفاضل السيد حمد الجاسر فقد لتحقيق الأستاذ ليفني بروفنسال جمهرة أنساب العرب بعنوان «نظرة في كتاب جمهرة أنساب العرب في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق. المجلد الخامس والعشرين، الجزء الثاني، نيسان ١٩٥٠، ص٢٤٧ فما بعدها.

(٢) ديوان المفضليات، طبعة مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت سنة ١٩٢٠، بعناية، كارلوس لايل، ص١، ١٠٠، ١٠١، ١٠٩، ١١٣، ١١٥.

(٣) ص٣٠ - ٣٤.

(٤) ص٤٢٧ فما بعدها.

(٥) ص١١٤.

الاختيار والجبر في صدر الإسلام(*)

Free will and Predestination in early Islam(**)

من مطبوعات مكتبة «لوزاك» للمشرقيات بلندن سنة ١٩٤٨ . وهو كتاب قدمه «مونتكومري وت» سنة ١٩٤٤م إلى جامعة أدنبرة ليظفر «بالدكتوراه»، فمنحته الجامعة هذا اللقب، ثم جعل محاضراً في العلوم العربية في الجامعة نفسها. وشاء المؤلف فنشر كتابه سنة ١٩٤٨م في (١٨١) صفحة متوسطة الحجم، منها (٥) صفحات للفهرست و(٣) صفحات للمراجع.

وقد حصر المؤلف بحثه في المدة الواقعة بين سنة ٨٠ وسنة ٣٣٠ للهجرة[١]، فتكلم على الرجال الذين كان لهم رأي خاص في الاختيار أو الجبر، وعلى المذاهب التي بحثت في القضاء والقدر، فابتدأ بالخوارج، وعني من آرائهم برأي ميمون وشعيب، ثم انتقل إلى تطور الفكرة المذهبية عند الخوارج وانتقالها من نزعة سياسية إلى عقيدة دينية، ثم تحدث عن فرق الخوارج التي ظهرت فيما بعد.

ثم انتقل إلى غيلان، فالمرجئة، ثم إلى القدرية فبحث في تسميتها، وشايع «نلينو» في ذلك وتحدث عن قدمائهم. ثم انتقل إلى معبد الجهني، ثم إلى المعتزلة وفروعها في بغداد والبصرة، ثم تحدث عن أشهر رجال المعتزلة، ثم انتقل إلى مثبتة القدر فتحدث عن أبي حنيفة، ثم انتقل إلى الجهمية والجبر والمجبرة. ثم المثبتة، ومنهم ضرار والنجار وبرغوث، ثم تحدث عن هشام بن الحكم وخشيش والخراز. وأخيراً أداه المطاف إلى البحث عن مذهب الأشعري والأشعريين، فخاتمة الكتاب.

وقد وضع في نهاية الكتاب ثبتاً بالمراجع التي اعتمد عليها في تأليف كتابه، وقسمها إلى قسمين: مراجع عربية ومراجع استشراقية هي من وضع المستشرقين. وقد لاحظت أن المؤلف قد اعتمد على مراجع القسم الثاني أكثر مما اعتمد على مراجع

(*) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي العدد السنة ١٩٥٠، ص ٣٦٨-٣٧٠.

(**) تأليف: «مونتكومري وت» W, Montgomery Watt.

(١) راجع ص٢.

القسم الأول، ولاحظت أيضاً أن المراجع العربية التي اعتمد عليها قليلة، وقد يذكر المرجع مرتين أو ثلاث مرات: يذكره مرة، ثم يذكر ترجمته، ثم يذكر مختصرة مثل كتاب «الفرق بين الفرق» للبغدادي و«الملل والنحل» للشهرستاني و«كتاب الإبانة عن أصول الديانة» للأشعري. وتبينت انه لم يعتمد على المراجع التي ألفها أصحاب المذاهب أنفسهم أو رجال من أتباعهم، وهذا نقص في الكتاب كبير، إذ كيف يمكن تصوير صورة صادقة لمذهب من المذاهب بالاعتماد على كتب المخالفين له وحدها بغض النظر عن الكتب والوثائق التي ألفها رجاله؟ فلم أجد من الكتب التي ألفها علماء المعتزلة غير كتاب واحد هو «كتاب الانتصار في الرد على ابن الراوندي الملحد» للخياط، وكنت آمل أن أرى تفسير «الكشاف» للزمخشري في جملة المراجع التي يعتمد عليها في بحث آراء المعتزلة.

فأما الخوارج، فلم أجد لهم مؤلفاً بين المؤلفات التي رجع إليها المؤلف، ومعنى هذا أخذ ماقاله في مذهب الخوارج من كتب المخالفين لهم. وهذا شيء غير صحيح.

وقد لاحظت أنه لم يتعرض لرأي الشيعة في الجبر والاختيار، واعتقد أنه لم يعرف من أمرهم شيئاً؛ لأنه لم يذكر لهم مرجعاً غير «كتاب فرق الشيعة» للنوبختي، ولو تعرض لهم لوجد لمشكلة الجبر والاختيار مكانه كبيرة في علم الكلام عندهم، ولوجد أن المتأخرين منهم قد عاجلوا الموضوع معالجة المعتزلة له، وأن مؤلفاتهم في هذا الباب تكاد تكون صورة طبق الأصل لمؤلفات المعتزلة، في الاختيار وفي نظرية الأصلح واللطف، وما إلى ذلك من آراء مدونة في كتب الكلام. ثم أن ماذكره عن «هشام ابن الحكم» مناقض لما ورد في كتب الشيعة من آرائه وأحاديثه. وهنالك رجال عدة عاشوا في أيام «هشام بن الحكم» وكانوا مثله في الدرجة وفي الجدل مع رجال الفرق الأخرى، لم يذكرهم المؤلف ولم يشر إليهم، وقد كانت لهم مجالس في الجبر والاختيار.

وقد رأيت أيضاً أن المؤلف اكتفى بسرد الآراء في الجبر والاختيار، ولم يبحث في الأسباب التي أدت إلى ظهور مشكلة الجبر والاختيار، وأهمها عوامل سياسية كان لها أثر كبير في ظهور مذهب «القدرية»، ولم يشر إلى موقف حكومة الأمويين الرسمي من «القدر»، ولا إلى مقاومة رجال الحكومة للقدرية من حيث أن هذه الفكرة كانت لاتلائم نظرية الدولة التي أعلنت مرمراً أن حكم «أمير المؤمنين» حكم أراده الله لخير الأمة فلا يجور اعتراض الناس عليه. ولما كان الكتاب قد قدمه مؤلفه إلى جامعة كبيرة للظفر

بأكبر درجة علمية وهي «الدكتوراه»، كنت آمل أن أرى رأي المؤلف واضحاً مستقيماً فيها، وأن أقرأ نقده ومحاكمته، وأطلع على موازنته بين الآراء، ولكنني لم أجد شيئاً من هذا، بل وجدت في الحقيقة آراء الرجال مترجمة إلى الانليزية كما جاءت في الكتب الإسلامية، ومع ذلك أرى أن المؤلف بذل جهداً كبيراً في جمع هذه الآراء وعرضها، لشرح مسألة خطيرة في سيرة المسلمين الاجتماعية والدينية، هي مسألة الجبر والاختيار.

بريطانية والدول العربية

Britain and the Arab States(*)

هذا الكتاب هو تذكرة في الروابط البريطانية العربية منذ سنة ١٩٢٠ حتى ١٩٤٨م. يقع في ٣٣٠ صفحة من الحجم الوسط. وقد طبع في مطابع «Burleigh» بمدينة «بريستول» «Bristol» بأنلترة، بعناية مكتبة «لوزاك» «Luzac» من مكتبات انلترة المعروفة في عالم المشرقيات.

ومؤلفة الكتاب سيدة استرالية مثقفة ثقافة تأريخية وسياسية، درست التأريخ وعلم السياسة، واشتغلت بالآثار، وزارت بلاد العرب عدة مرات قبل الحرب العالمية الأخيرة مع البعثات الأثرية التي قامت بالتنقيب عن الحضارات القديمة في بلاد الشرق الأدنى، واختلطت بمختلف الطبقات في البلاد العربية، ثم اشتغلت في أثناء الحرب العالمية الأخيرة بوزارة الاستعلامات البريطانية في قسم الشرق الأوسط منها، واتصلت، بحكم وظيفتها، بكثير من الرجال المسؤولين من الجانبين: العربي والبريطاني، واطلعت على وثائق مهمة ساعدتها على وضع كتابها «بريطانية والدول العربية».

تتألف فصول الكتاب من مقدمة عامة هي المدخل إلى كل الفصول، يليها فصل في ظهور الفكرة القومية عند العرب، ثم فصول في العراق، ومصر والسودان، وسورية، ولبنان، وفلسطين، وشرقي الأردن، والمملكة العربية السعودية، واليمن، وأمارات الخليج الفارسي، وختمت هذه الفصول بفصل في الجامعة العربية.

وفي الكتاب ملحق خصص بالوثائق الرسمية، وبالمعاهدات والاتفاقيات التي عقدت بين الدول العربية، أو بين الحكومات العربية والدول الأجنبية، وثبت بالمراجع التي اعتمدت عليها المؤلفة في تأليف الكتاب، وفهرست أبجدي بالأعلام التي ورد ذكرها في المتن، وأربع «خرائط».

(*) تأليف: ستن ويليمس M. W. Seton. Williams

والكتاب مفيد، مافي ذلك شك. مفيد؛ لأنه على صغر حجمه يحاول أن يقدم كل مايمكن تقديمه للناس عن الروابط العربية الانكليزية، ولا سيما أولئك الذين يريدون الحصول على نظرة عامة على هذه العلاقات وموقف الحكومة البريطانية من العالم العربي وسياستها إزاء الإمارات العربية والمحميات، وقليل من الناس من يعرف عن هذه الأمور شيئاً، وفي هذا المختصر كفاية.

ومع ذلك يمكننا أن نذكر ملاحظات على هذا الكتاب. فمن ذلك أن المقدمة التي وضعت لتكون مدخلاً له مقدمة موجزة لم تتعرض لكثير من الأمور المهمة التي كان يجب ذكرها. وقد بدأت بعمل التجار الانكليز في الشرق الأوسط في الأستانة وفي حلب، وزحف «الشركة الشرقية» نحو الجنوب والجنوب الشرقي متبعة طريق الفرات وطريق دجلة إلى الخليج، باحثة عن طريق بري يوصلها إلى الهند، بعد إن أصبح البحر في حكم البرتغال. وقد استطاع أحد التجار، وهو «رالف فيتج» «Ralph Fitch»، أن يصل إلى «هرمز» «Oramus» ثم إلى مدينة «كوا» «Goa» في الهند سنة ١٥٨٣ - ١٥٩١. واستمرت هذه المقدمة حتى بلغت بالعالم العربي ما بعد الحرب العالمية الأخيرة. وقد كتبت المؤلفة كل هذه الحوادث، وهي حوادث أربعة قرون في تسع صفحات متوسطة الحجم.

أما القسم الخاص بالمعاهدات والاتفاقيات فقد أهملت فيه وثائق مهمة لم يكن يد من إثباتها، مثل معاهدة بريطانية والعراق لسنة ١٩٢٢م، وتقرير اللورد ملنر عن مصر لسنة ١٩٢٠م، واتفاقية النيل ١٩٤٦م، والكتاب الأبيض للحكومة البريطانية عن فلسطين في مايس سنة ١٩٣٩م، وقرار التقسيم الذي اتخذته هيئة الأمم المتحدة في نوفنبر سنة ١٩٤٧م، وإعلان الجنرال كاترو عهده باستقلال سورية ولبنان سنة ١٩٤١م، ثم الرسائل التي تبادلها المستر «لتل تن» والجنرال ديغول.

وقد أوجزت في أمور كان لزاماً عليها أن تفصل فيها القول، فمن ذلك إيجازها في الاتجاهات والموجات الفكرية التي تعم الشرق الأدنى في الوقت الحاضر، أو التي تحاول أن تجد لها مكاناً فيه مثل حركة جمعية الإخوان المسلمين؛ فقد أوجزت فيها كثيراً، وجاء التعليق المذكور في الحاشية رقم ٣٠٠ ص٨٨ مختصرا جداً، وكذلك الآراء السياسية في البلاد العربية. وأهملت كثيراً من المسائل الحيوية التي لم يكن لها بد من التعرض لذكرها، كالأحزاب السياسية في البلاد العربية بمبادئها وآرائها ووجهة

نظرها بالنسبة للحكومة البريطانية السياسية، ومشروع سورية الكبرى والمشروعات السياسية الأخرى.

وقد اقتصر الكتاب في الواقع على الأحداث السياسية فقط، فعنى بتغير الوزارات وتبدل الحكومات، وبالمعاهدات والاتفاقيات، ولذلك جاءت صفحاته مكتظة بالأرقام والأسماء فأما النواحي الفكرية والاتجاهات الروحية والحزبية والمشكلات الاجتماعية والثقافية، فقلما عنيت بها المؤلفة، حتى المسائل التي لها مسيس بالسياسة البريطانية لا تجد لها موضعاً في الكتاب، كالشيوعية مثلاً؛ فأنها لم تتعرض قط لذكرها، كما أنها لم تذكر الأحزاب أيضاً، فقد تعرضت مراراً عدة لذكر النحاس باشا مثلاً، ولكنها لم تبحث عن الوفد المصري والأحزاب الأخرى مع ما لهذه الأحزاب من أثر في علاقة بريطانية بالبلاد العربية، ويصدق هذا القول على الوضع في العراق وفي الأقطار العربية الأخرى.

والحق أننا إذا أردنا نقد الكتاب من هذه الناحية، فأننا سنجد فيه نواقص كثيرة، ولكننا إذا نظرنا إليه نظرتنا إلى كتاب أخباري موجز، غايته سرد الحوادث والعلاقات البريطانية العراقية سردا زمنياً، ألفيناه كتاباً أقرب ما يكون إلى كتب المذكرات، فهو لذلك يفيد متتبع الوقائع والمراجع، كما يفيد القارئ الذي يحب العرض السريع على طريقة «جرائد الأخبار المصورة» التي تعرض للأخبار في دور السينما. ولكننا لا نجد فيه رأياً شخصيا لمؤلفة الكتاب، ولا نقداً للأوضاع السياسية أو الاجتماعية في بلاد الشرق الأدنى، ولا أحكاماً اجتهادية في السياسة البريطانية وفي أعمال الرجال البريطانيين في بلاد العرب، ولا نستطيع أن نعرف منه مدى تأثير السياسة البريطانية في أوضاع البلاد وفي المشكلات القائمة وهو بهذا يختلف عن الكتب التي ألفها مؤلفون بريطانيون أو أمريكيون في هذا الباب. ولا بد من الإشارة أيضاً إلى أن الأعلام الواردة في الكتاب غير مضبوطة وفيها كثير من التحريف.

سناد الإسلام

The Background of Islam[*]

عدة أوراقه ١٥٢ ورقة، وفهارسه في ٧ ورقات. طبع بمطبعة «وايت هيد مورس» «Whithead Morris» بالإسكندرية بمصر ١٩٤٧م.

تختلف طبيعة هذا الكتاب عن كتب «فلبي» الأخرى، فهو كتاب تأريخي بحت، تناول فيه تأريخ العرب قبل الإسلام من حيث هو الأساس الذي قامت عليه دعائم الإسلام، فلم يضمنه شيئاً من مخاطراته ورحلاته واستكشافاته، وهو من أكثر المستعربين خبرة بهذه الأمور، وإنما قصره على تأريخ العرب «القحطانيين» ولم يتعرض لتأريخ القسم الثاني من العرب الذين ظهر الإسلام في ديارهم، وهم «العرب العدنانيون» إلا بقدر ما لهم من اتصال بالقحطانيين، مع ما لهؤلاء من أهمية في نشوء الإسلام.

وقد عرض للقحطانيين الذين عاشوا في الأقسام الجنوبية من جزيرة العرب أعنى اليمن وحضرموت وعمان، فبحث في الدول العربية القديمة، وهي: معين، وقتبان، وسبأ، وحضرموت، وأوسان، وفي الخلافات التي كان بين «حاشد» و«بقيل» ومملكة «سبأ وذي ريدان»، ثم حملة الرومان على اليمن بقيادة «أوليوس غاليوس»، وبحث في غزو الأحباش الأول لليمن، ثم ظهور مملكة «ذي نواس» التي اتبعت سياسة عدائية للنصارى فنكلت بالنجرانيين وبنصارى اليمن عامة، واستشهد في ذلك عدد كبير من مؤمنيهم، حتى أدى الأمر إلى تدخل الاحباش واحتلالهم اليمن مرة ثانية، ثم اخراجهم منها واحتلال الفرس لليمن إلى ظهور الإسلام الذي طهر بلاد العرب من رجس الأعداء.

ولم يتعرض للحكومات التي تأسست خارج اليمن، تلك التي رجح النسابون نسبتها إلى قحطان، مثل: مملكة الغساسنة ومملكة المناذرة، ويثرب القاعدة الكبرى

(*) تأليف المستر فلبي.

للقحطانية في الحجاز التي لها أهمية بالنسبة لظهور الإسلام. وأستطيع أن أقول: انه قصر بحثه على حضرموت واليمن. وقد دفعته إلى ذلك النظرية التي تأثر بها، وهي أن اليمن وما جاورها الموطن الأصلي للشعوب السامية، منها خرجت تلك الشعوب وتوجهت إلى الشمال، وهي عكس النظرية الشائعة بين جماعة المستشرقين المتأثرين بنظرية التوراة.

فهذا الكتاب هو في الواقع تأريخ لليمن من أول مملكة عرفت فيها إلى ظهور الإسلام، ولذلك لا ينطبق عنوان الكتاب على ما جاء فيه. وقد كان على المؤلف أن يدرس نواحي أخرى أهم من هذه لمعرفة الأسس التي قام عليها الإسلام، وكان حرى أن يدعو كتابه بتأريخ اليمن القديم، أو «تاريخ القحطانيين في اليمن»، أو ما شاكل ذلك من عناوين لها صلة بمادة الكتاب وبنظرية المؤلف التي تحاول لفت النظر إلى البلاد العربية الجنوبية على اعتبار أنها الموطن الأصلي للشعوب السامية.

ويدل الكتاب في الحقيقة على أن المؤلف قد بذل مجهوداً كبيراً في استقصاء تأريخ اليمن القديم وفي تنسيق المعلومات المتناثرة التي لم تنظم تنظيماً علمياً حتى الآن، وعلى رجوعه إلى مراجع كثيرة تكونت منها مادة هذا الكتاب. ولكنني هذا كنت أطمع أن أرى هذا المؤلف في صورة أخرى: كنت أطمع أن أراه كتاباً حياً تجري في عروقه دماء غزيرة، ويعرب عن خبرة «فلبي» الطويلة التي اكتسبها في بلاد العرب منذ الحرب العالمية الأولى حتى الآن، كنت أطمع أن أرى تجارب فلبي ونتائج مباحثه وتحقيقاته التأريخية مائلة في هذا الكتاب، وأن أقرأ تصحيحاته لغلطات المتقدمين، وأن أجد شروحاً جديدة لما جاء موجزاً في كتب الذين سبقوه ممن عنوا بتأريخ اليمن القديم، فلقد اتسع له من الوقت وتسنى له من الأحوال ما لم يتسن لأحد غيره، وزار أماكن تاريخية ذات قيمة يصعب على غيره من الأوربيين والشرقيين المعنيين بتأريخ العرب القديم الوصول إليها. ولكن طمعى هذا لم يتحقق إذ خرجت من الكتاب بخلاصة آراء المتقدمين، لا بوجهات نظر «فلبي» الذي كنت أود أن أراه مجتهدا في تأريخ العرب القديم، له رأي خاص وثيق يمثل رأي المؤلف الذي عرف بصلابة رأيه في أثناء اشتغاله في الوظائف السياسية، ينقل إلى الباحثين الذين لم يسعدهم الحظ بزيارة تلك الأماكن رأي «فلبي» واستكشافاته الخاصة في تلك الأرضين المجهولة، في قالب علمي جدي تاريخ خارج عن أسلوب كتب السياحات.

وقد وردت في الكتاب نظريات تكلم فيها المستعربون، ولكنهم لم يتوصلوا إلى

نتائج ايجابية حتى الآن مثل نظرية الأبجدية وعلاقة الخط المسند بالأبجدية الفنيقية، أو بالعكس. وكانت هذه المسألة لا تزال موضع جدلا بين العلماء الذين يرون قدم دولة معين وقدم خطها تبعا لذلك، ثم ما يترتب على هذا من نظريات. وهنالك نظرية أخرى هي نظرية «إبراهيم» وموطن إبراهيم ونظرية العرب القدامي فيه، وهل كان أهل اليمن يعدونه جداً لهم في العصور السابقة للإسلام وفي العصور التي سبقت ميلاد المسيح، وهل كان «إبراهيم» جداً للساميين، وماذا كان يقال له عندهم، وهو موضوع وضعت فيه مؤلفات ومباحث؟

وقد لاحظت أن المؤلف مغرم بتحديد أيام الملوك ومدد حكمهم، فوضع لهم وقتاً زعم أنهم حكموا فيه، وعصراً رأى أنهم عاشوا فيه. وهذا في نظري أمر غير ممكن في الوقت الحاضر، فان كان المتخصصون لم يتفقوا حتى الآن في مبدأ قيام هذه الدول وسقوطها، وفي عمر الكتابات وإن كانت الكتابات إغفالاً من التاريخ سوى عدد أرخ بتأريخ لا يزال في حكم المجهول، كأن يقال إنه كتب في شهر كذا من حكم الملك الفلاني، وإن كان الملك نفسه مجهولاً عندنا - فكيف نستطيع أن نستخرج من ذلك تاريخاً ولو تقريبا للملوك؟ ذلك في نظري أمر غير ممكن في زمننا، وقد يسوقنا إلى غلطات شنيعة قد تولد أتعاباً كثيرة عند إصلاحها في المستقبل من الزمان.

ولاحظت أيضاً أن المؤلف لم يذكر أرقام الكتابات ولا النصوص والنقوش التي أخذ منها مادته، مع أن ذكر ذلك من الأمور الضرورية في الكتب العلمية وللباحث الجاد الذي يكتب كتبه لأصحاب العلم. ولم يشر أيضاً إلى المراجع التي أخذ منها، بل اكتفى بالإشارة إلى آراء جماعة من المستشرقين مثل «هومل» وغيره، ولكن لهؤلاء كتباً ومباحث ومقالات في مئات مجلات، فمن أي كتاب أو بحث أو مقالة نقل (فلبي) هذا الرأي؟ نضيف إلى ذلك أن في ذكر المصادر فائدة للقارئ أقلها إرشاده إلى مراجع جديدة لم يكن، يعرفها فتزيد معلوماته في ذك الموضوع.

ولم أجد في الكتابي «خريطة» ولا صورة للاماكن الأثرية والآثار الفريدة التي لا تزال في مواضعها، ولو كان المؤلف إنساناً آخر غير «فلبي » لما طالبته بخريطة أو صورة، إما والمؤلف هو الرحالة المعروف الخبير بشؤون بلاد العرب، وعنده، ولا شك، صورة ومعرفة بجغرافية بلاد العرب الجنوبية لا توجد عند غيره، فذلك يحملنا على إبداء هذه الملاحظة. ولعل عذر المؤلف في ذلك أنه كتب كتابه هذا للخاصة، وجعله هدية لعدد محدود من الناس، فقد كتب في صدر الكتاب أنه طبع بعدد محدود

لم يتجاوز «٥٠٠» نسخة، تحمل كل نسخة رقماً، وعليها إمضاء المؤلف. ويظهر أنه اتبع في ذلك خطة «لورنس» وطائفة من المؤلفين في طبع كتب لهم بنسخ محدودة توزع بين طبقة مختارة من الناس.

ولا بد لي من الإشارة إلى كتابه الأعلام في الكتاب، فان المؤلف لم يتقيد بالطريقة الاستشراقية في تدوين الأعلام، وتلك أمور حساسة بالنسبة للكتب العلمية، فان تهاونا يسيرا قد يوقع القارئ في هفوات من حيث كيفية النطق بأسماء الرجال أو القبائل أو الأماكن، فلا بد من السير على الطريقة العلمية في كتابة بعض الحروف مثل: ح وخ وص وط وظ وع وأ، وكتابة المدة، وقد تساهل المؤلف في ذلك، وسار على الطريقة المألوفة في كتب السياحات أو الكتب التي لا تحمل الطابع العلمي في التأليف.

إن هذه الملاحظات اليسيرة لن تؤثر حقاً في قيمة الكتاب ومجهود المؤلف القيم، وأتعابه التي لا يقدرها إلا من اشتغل بهذا القسم من التأريخ الذي لم تكتب فيه إلا كتب قليلة. وأعترف بأني قد استفدت من قراءة هذا الكتاب فوائدة كثيرة.

رسائل في الموسيقى (*)

من الرسائل المخطوطة التي تمكن «المجمع العلمي العراقي» من الظفر بصورة فتوفغرافية لها رسالة النغم ليحيى بن علي بن يحيى المنجم المعروف بالنديم المتوفى سنة ٣٠٠ للهجرة، وهي ضمن مجموعة رسائل موسيقية كتبت وجمعت لأحد أمراء الهند وهو شاه قباد بن عبد الجليل الحارثي البدخشي المعروف بديانت خان المتوفى سنة ١٠٨٣ للهجرة، وقد نسخت بين سنتي ١٠٧٣ - ١٠٧٥ للهجرة (١٦٦٢ - ١٦٦٤م) بمدينة «شاهجهان آباد» «دلهي». وهذه المجموعة هي الآن في المتحف البريطاني برقم (٨٢٣ موسيقى) Music في ملحق فهارس المخطوطات العربية في المتحف البريطاني، تنظيم «شارلس ريو» Charles Rieu»[١] وترتيبه وشرحه.

وتحتوي هذه المجموعة الموسيقية على الرسائل الآتية:

١ - رسالة فارسية في آراء الفقهاء والمتصوفة في سماع الموسيقى، لمحمد بن جلال رضوى، عملها سنة ١٠٢٨ للهجرة.

٢ - رسالة فارسية في جواز «السماع» لعبد الجليل بن عبد الرحمن مقدمة لنواب مسيح الزمان.

٣ - رسالة في (١٥) فصلاً، اسمها «الأدوار في الموسيقى» لم يذكر عليها اسم مؤلفها، وقد دعيت في الفهارس الأخرى «بكتاب الأدوار»، ودعاها بروكلمن «Brocklemann» بـ«كتاب الأدوار والإيقاع»[٢].

وهي لصفي الدين أبي المفاخر عبد المؤمن بن يوسف بن فاخر الأرموي البغدادي المتوفي سنة ٩٦٣ للهجرة، كان خازن كتب أمير المؤمنين المستعصم بالله آخر خلفاء

(*) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي العدد ١ لسنة ١٩٥٠، ص ١٠٤-١١٢.

(١) Supplement to the catalogue of the Arabic manuscriots in the British museum by Charles Reiu, London 1849, p 558.

(٢) Brocklemann Suppl, Bd, 1, P, 907, Arabic Catalogue, P, 740, b.
رسالة الأدوار، كشف الظنون ٣ - ٣٦٣.

بني العباس، وكاتباً في «ديوان الإنشاء» في وزارة شمس الدين محمد بن محمد الجويني وزير «هولاكو» ومربياً لأبناء هذا الوزير. وصفى الدين الأرموي عالم من علماء الموسيقى، وله مؤلفات أخرى في الموسيقى، منها: «الرسالة الشرفية في النسب التأليفية» أو كتاب الموسيقى، وقد وضعها «لشرف الدين هارون» ابن الوزير شمس الدين الجويني المذكور، وكتاب في علوم العروض والقوافي والبديع وكتاب الكافي من الشافي، ومن هذه المؤلفات نسخ في مختلف خزائن الكتب، ذكر أسماءها «بروكلمن» في كتابه «تاريخ الآداب العربية»[١]. وبحث عنها عدد من المستشرقين المعنيين بتاريخ الموسيقى عند العرب، مثل «فارمر»[٢]، «والبارون دير لنكر» الذي نشر ترجمة طائفة من الكتب الموسيقية العربية، منها «الرسالة الشرفية» و«كتاب الأدوار»[٣]، «وكارادى فو» «Carra de vaux»[٤].

٤ - رسالة اسمها، «شرح الأدوار، وهي في شرح الرسالة المتقدم ذكرها، لم يذكر فيها اسم مؤلفها».

٥ - رسالة في شرح كتاب الأدوار كتب عليها «شرح مولانا مباركشاه برأدوار» وهي مقدمة لجلال الدين أبي الفوارس شاه شجاع الذي حكم من سنة ٧٦٠ إلى سنة ٧٨٦ للهجرة.

٦ - رسالة في شرح «رسالة الأدوار» لفخر الملة والدين الخجندي محمد بن محمد أبي نصر الخجندي، وهو صاحب مؤلفات في الطب والموسيقى، كتبت سنة ١٠٧٥ للهجرة، أظن أنها «رسالة في نسبة التأليف» وتوجد منها نسخة في خزانة كتب رامبور ١ - ٤١٤.

٧ - رسالة فارسية في الموسيقى اسمها «موسيقى حكمت علائي»، وقد كتب عليها

---

(١) حبيب السير ٣ - ١٦. Brocklemann, Supp l, bd, P, 906.

(٢) الرسالة الشرفية، فينا، رقم ١٥١٥.

Bodleian, Catalogu, 601, Kiesewetter, Die mudik der Araber, p, IX, Paris, Catalogu, no, 2479, Vaenni Catalogu, No 1516.

H, G, Framer, the Arabic musical manuscripts in the Bodleian Library, JRAS, 1925,639\ 54, A History of Irabian music to the XIIIth Century, London, 1929.

(٣) Baron Rodolphe D Erlanger, La musique Arabe, Tome Troiseme, Safiyu - D- Din Al ûurmawi, Paris 1938.

(٤) Carra de vaux, in journal Asiatique, 1891. II, PP, 279 - 355.

في موضع آخر «موسيقى كتاب دانش نامه ئى علائي»، وهي جزء من كتاب ناقص للحكيم ابن سينا أتمه بعده تلميذه أوب عبيد الجوزجاني[1].

٨ - رسالة يعقوب بن إسحاق الكندي في خبر تأليف الألحان[2] (رسالة في خبر تأليف الالحان) ويظن (ريو) أنها رسالة الكندي التي سماها ابن النديم «رسالة في خبر صناعة التأليف» وأظن أنها الرسالة التي طبعت في مدينة «لابيزك» بألمانية عام ١٩٣١، وطبعها وشرحها «الخمن» «Lachmann» و«محمود الحنفي» بعنوان «رسالة في خبر تأليف الألحان»، وقد ذكرها «بروكلمن» في ملحقه ١/ ٣٧٤[3].

٩ - مؤلف في الموسيقى لم يذكر اسمه ولا اسم مؤلفه، قدم إلى السلطان محمود ابن مراد العثماني (٨٤٧ - ٨٤٩) هـ، وقد ضمن اقتباسات من كتب قديمة مثل كتاب الشفاء لابن سينا، والأدوار، والشرفية للأرموي، وكتاب مقاصد الألحان للخواجه عبد القادر بن غيبي الحافظ المراغي[4].

١٠ - كتاب الكافي الموسيقى، وهو لأبي منصور الحسين بن محمد بن عمر ابن زيلة المتوفي سنة ٤٤٠ للهجرة، ويتألف من فصول ثلاثة: النغم، والإيقاع، وتأليف اللحون[5]. وهو شارح «رسالة حي بن يقظان»، وله مختصر لكتاب الشفاء وتعاليق عن شيخه ابن سينا (ابن أبي أصيبعة جـ ٢ ص١٩). ومنه نسخة في خزانة رامبور بالهند[6].

---

(١) دانش نامه علائي حكمتي علائي.
Brocklmann, Suppl, B d, 1 S, 812 LEIDEN 1780. 1, Br, Mus - Brocklemann, Suppl, bd, I, p, 374. Casiri, vol, 1, p, 358.

(٢) عيـون الأنبـاء في طبقات ١ - ٢١٠، الفهرست ص٣٥٩ Bodl, I 980., ind, off 1.79, the,2, 123, Asaf. 1, 334.
ومواضع أخرى ذكر أسماءها بروكلمن. ترجمته في تاريخ الحكماء للبيهقي ص١٠٠ وترجمة الجوزجاني في نزهة الأرواح، وروضة الأفراح لشمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري الذي يحققه الآن الأستاذ محمد بهجة الأثري نائب رئيس المجمع العلمي العراقي الثاني ويتولى المجمع نشره قريباً.

(٣) Br, Mus - Suppl, 823. viii, R, Lachmann, and mahmud al - hifni, Leipzig, 1931.

(٤) كشف الظنون ج٢ ص١٩٠٣ طبعة أستانبول.

(٥) Zeitschrift fur die kunde des morgenlandes vol, V, A, 149.

(٦) Brocklemann, , g, a, l, vol, 1, p, 455, 458 Brocklemann, Suppl, 1.p 829. وهـو مـن تـلامـذة الرئيس ابن سينا، وقد شرح بعض كتب أستاذه، كما كانت بينهما مراسلات.

١١ - رسالة يحيى بن علي بن يحيى المنجم، وهي الرسالة التي نصفها، وهي تكملة لرسالة وضعها المؤلف قبل هذا في «المغنى وما يجب أن يكون عليه» فإما هذه الرسالة فتبحث عن «أمر النغمو عددها، وما يأتلف منها ويختلف، ومواقع إصبع إصبع من وتر وتر، وموضع كل نغمة من كل دستان».

١٢ - جزء من «كتاب المدخل في الموسيقى لأبي نصر الفارابي، وقد بحث عنه جماعة من المستشرقين مثل «كوسكارتن» «Kosegarten»[١] و«همر» «Hammer» وغيرهما.

١٣ - رسالة بالفارسية بعنوان: «كشف الأوتار» لقاسم بن دوست على البخاري مقدمة إلى الانبراطور «جلال الدين أكبر».

١٤ - رسالة بالفارسية اسمها «رسالة كنز التحف در موسيقى»، لم يذكر فيها اسم مؤلفها، تتألف من مقدمة وأربع مقالات. وعليها أبيات مقدمة إلى السيد غياث الدولة والدين الحسيني، ويظهر أنها ألفت سنة ٧٤٦ للهجرة.

(٢) أما يحيى بن علي بن يحيى المنجم المعروف بالنديم، فأديب متفنن صاحب مجلس، بارع في التحديث، لبق في الكلام، متمكن من الغناء والموسيقى وقول الشعر، أوصله أدبه وفنه إلى منادمة «الموفق» ثم أمير المؤمنين «المكتفى» خاصة، وعلت مرتبته عنده وتقدم على خواصه وجلساته.

وهو من أسرة كانت لها قدم راسخة في الأدب والفن، وينتهي نسبها إلى الفرس، وقد ألف في ذلك أبو الحسن أحمد (وهو ابن يحيى الذي نتحدث عنه) كتاباً في إخبار أهله ونسبهم إلى الفرس[٢]. وكان جدهم الأعلى «أبو منصور» من المجوس، حافظ على دينه، واتصل بالخليفة فجعله منجّماً له. وكان الخليفة من المولعين بعلم النجوم، فجمع حوله من اشتهر بهذا العلم. وانتقل هذا الأرث إلى ابنه (يحيى بن أبي منصور)، فاتصل بذي الرياستين الفضل بن سهل، وأصبح منجماً له يعمل برأيه في إحكام النجوم إلى إن حلت الكائنة به، فانتقل إلى خدمة الخليفة المأمون فأصبح منجما ونديما، وهو مع ذلك على عقيدته في المجوسية، ثم أسلم على يدي المأمون فصار بذلك مولاه

---

(١) Hammer Kiesewetter, musik der araber, s, 8, 88.
المدخل في الموسيقى عيون الأنباء ٢/ ١٣٤ فما بعد.

(٢) الوفيات ٢/ ٢١١.

ورافقه في حله وترحاله إلى أن توفي بحلب في ركاب الخليفة إلى طرطوس، فدفن بها في مقابر قريش[(١)].

واتصل ابنه (علي بن يحيى بن أبي منصور) المتوفي سنة ٢٧٥ بالخليفة المتوكل على الله، فأصبح من خواصه وجلسائه، ثم بالخلفاء من بعده، وتقرب لديهم حتى صار يجلس بين يدي أسرتهم، يفضون إليه بأسرارهم ويأمنونه على أخبارهم، كما كان صديقاً للفتح بن خاقان، وقد عمل له خزانة كتب أكثرها حكمة، واستكتب له شيئاً عظيماً يزيد على ما كان في خزانته أضعافا مضاعفة مما لا تشتمل عليه خزانته. وكان شاعراً راوية للشعر، أديباً متفقناً بطبعه، حاذقا في صنعة الغناء خبيراً به. أخذ الغناء عن علم من أعلامه في الدولة العباسية، هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي، وجالسه، وألف كتاباً في أخباره، كما ألف في الشعراء كتاباً دعاه كتاب الشعراء القدماء والإسلاميين[(٢)]. ولم يفته فن الطبخ، وهو فن من الفنون يحتاج إلى ذوق ومزاج، فألف فيه كتاباً.

ترك على بن يحيى أبناء ورثوا من أبيهم القابلية الفنية والمذاهب الاجتماعية، فاشهروا بالشعر والأدب والموسيقى، وباللباقة في الظهور في المجالس والأندية والمجتمعات، ولذلك حافظوا على صلاتهم القوية بالبلاط وبالخلفاء والوزراء، وكان منهم أبو عبد الله هارون (٢٥١ - ٢٨٨هـ) صاحب كتاب البارع في أخبار الشعراء المولدين جمع فيه مئة وواحدا وستين شاعراً، افتتحه بذكر بشار بن برد وختمه بمحمد بن عبد الملك بن صالح، وقد قال في مقدمته: «إني لما عملت كتابي في أخبار شعراء المولدين ذكرت ما اخترته من أشعارهم وتحريت في ذلك الاختيار أقصى ما بلغته معرفتي وانتهى إليه علمي والعلماء يقولون: «دل على عاقل اختياره»، وقالوا: «اختيار الرجل من وفور عقله»، وقال بعضهم: «شعر الرجل قطعة من كلامه، وظنه قطعة من عقله، واختياره قطعة من علمه»[(٣)]. وذكر أن هذا الكتاب مختصر من كتاب ألفه قبل هذا في هذا الفن، وأنه كان مطولاً فحذف منه أشياء، واقتصر على هذا القدر. وقد مدحه ابن خلكان فقال: «وبالجملة فانه من الكتب النفيسة فانه يغنى عن دواوين

---

(١) الوفيات ٢/ ٢٥٧. الفهرست لابن النديم ص٢٠٥، والغاني ٧/ ١٩٨، ١٩٩، ٢٢١، ٢١٥.

(٢) الوفيات ١ - ٤٤٩، كتاب الشعراء القدماء والإسلامية، روى فيه عن محمد ابن سلام ومحمد بن عمر «الجرجاني» الفهرست ص٢٠٥.

(٣) الوفيات ٢/ ٢٥٧، الفهرست ص٢٠٦، نقل من كتبه أبو الفرج الأصفهاني الأغاني ٤ - ٢٧، ٥٢، ٦٦، ٣، ٢١٣، ٢١٥، إرشاد الأريب ٧/ ٢٣٤.

الجماعة الذين ذكرهم، فانه اختصر إشعارهم، وأثبت منها زبدتها، وترك زبدتها، وهذا الكتاب هو الذي ذكرته في ترجمة العماد الكاتب الأصبهاني، وقلت: «إن كتاب الخريدة وكتاب الخطيري والباخرزي والثعالبي فروع عليه وهو الأصل الذي نسجوا على منواله. . .»[١]. وله كتاب آخر هو «كتاب النساء وما جاء فيهن من الخبر ومحاسن ما قيل فيهن من الشعر والكلام الحسن». وكان له ولد اسمه علي بن هارون»[٢]، أبو الحسن، كان شاعراً وأديباً، له مركز عند الوزير أبي محمد المهلبي والصاحب ابن عباد الذي كتب عنه في كتابه المعروف (بالروزنامجه) نقل منه الثعالبي المتوفي سنة ٤٢٩ للهجرة في كتابه يتيمة الدهر[٣].

فأما أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور ٢٤١ - ٣٠٠هـ فقد كان نديماً للموفق مختصاً به، ثم نادم المكتفى بالله بن المعتضد، وتقدم على خواصه وجلسائه، أديباً شاعراً متفنناً كما هو شأن أفراد هذه الأسرة. وكان بارعا في الكلام على مذهب المعتزلة، ألف فيه كتباً كثيرة، ومحباً للبحث والمناظرة والجدل، ولذلك كان له مجلس يحضره جماعة من المتكلمين، وقد أثر ذلك في الخليفة المكتفى فصار يرأس هذا المجلس ويعقد بحضرته[٤]، ولم يمنعه اشتغاله بالكلام والذب عن مذهب أهل الاعتزال من الاشتغال بالغناء والتأليف فيه. فلقد كان ذلك فيه كطبيعة، على كون المعرفه بالغناء والشعر وآداب المجلس من مستلزمات المنادمة، فألف في النغم، وفي النسب النغمية، والموسيقى والنسب الموسيقية، وفي الشعر والشعراء، ومليح الشعر وجيده.

وأشهر كتبه التي ذكرها المؤرخون:

١ - رسالة في الموسيقى وهي الرسالة التي نتكلم عليها، ولعلها جزء من «كتاب النغم» الذي أشار إليه أبو الفرج الأصبهاني[٥]. والظاهر أنه أخذ هذا العنوان من عنوان كتاب لإسحاق الموصلي أستاذ ابن المنجم وصديقه[٦].

---

(١) الوفيات ٢/ ٢٥٧.

(٢) المرزباني: معجم الشعراء ص٢٩٦، ٤٨٥، الفهرست ص٢٠٦.

(٣) يتيمة الدهر ٣ - ١٠١، ٣٥٨ القاهرة ١٩٣٤، الإرشاد ٢ - ٢١٩، ٣٢٣، الصفدي ٢ - ٣٢.

(٤) الوفيات ٢ - ٢١١، إرشاد الأريب ٧ - ٨٢٧، الكامل لابن الأثير ٨ - ٥٧، الوافي ٣٦٨، مرآة الجنان ١ - ٥٥ المسعودي، المروج ٧ - ٣٠٩ المرزباني: معجم الشعراء ص٥٠٢.

(٥) الأغاني ٨ - ٣٧٤ كتاب النغم كتاب النغم والإيقاع، الإرشاد ٢ - ٢٢٣.

(٦) الفهرست ص٢٠٦. Brocklemann, Suppl, bd, I, s, 225.

٢ - رسالة إلى قسطا بن لوقا وحنين بن إسحاق.

٣ - الباهر في إخبار الشعراء المولدين.

٤ - الباهر في أخبار شعراء مخضرمي الدولتين. ابتدأ فيه ببشار بن برد، وانتهى بمروان بن أبي حفصه ولم يتمه واتمه ابنه أبو الحسن أحمد بن يحيى وعزم على أن يضيف إلى كتاب أبيه سائر الشعراء المحدثين وقد اعتمد المرزباني على الكتابين ونقل منهما في كتابه الموشح[١].

٥ - كتاب في إخبار إسحاق بن إبراهيم الموصلي وقد ذكره أبو الفرج الأصبهاني وهو ممن اخذ عن يحيى بن علي ونقل منه جملا في سيرة إسحاق[٢].

وكان يحيى بن علي مرجعاً لأهل التاريخ والإخبار، نقل من كتبه أبو الفرج الأصبهاني أخبار الشعراء والمغنيين[٣]، والمسعودي أخبار الخلفاء الذين نادمهم[٤]، وكذلك أخذ من كتب ابنه أبي الحسن أحمد بن يحيى بن المنجم، فقد كان كأبيه في الشهرة والعلم والتأليف. وقد ذكر له ابن النديم كتباً، وعده في جملة أصحاب محمد ابن جرير الطبري المتوفي سنة ٣١٠ للهجرة صاحب التاريخ والتفسير[٥]، مع أنه كان من أصحاب مذهب الاعتزال.

وكان يحيى بن علي بن يحيى من المقدرين لفن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، والمتوددين إليه، وكان يراه في رأس أصحاب الغناء، لا يتفوق عليه أحد «كان إسحاق اعلم أهل زمانه بالغناء وأنفذهم في جميع فنونه، وأضربهم بالعود وبأكثر آلات الغناء، وأجودهم صنعة، وقد تشبه بالقديم وزاد في بعض ما صنعه عليه، وعارض ابن سريج ومعبدا فانتصف منهما، وكان إبراهيم بن المهدي ينازعه في هذه الصناعة ولم يبلغه فيها، ولم يكن بعد إسحاق مثله[٦]، وقد دفعه هذا التقدير، وهو متفنن قدير، إلى

---

(١) الأغاني ٥ - ٣٧٦.

(٢) الأغاني ٦ - ١٠٢ ومواضع أخرى.

(٣) مروج الذهب ٤ - ١٨٤، ٢١٠، ٢١٣.

(٤) الفهرست ص١٤٣ من كتبه: كتاب أخبار أهله ونسبهم في الفرس. الإجماع في الفقه على مذهب الطبري، كتاب المدخل إلى مذهب الطبري ونصرة مذهبه. كتاب الأوقات. وقد نسب ياقوت الكتب الأخيرة الثلاثة إلى يحيى بن علي (إرشاد الأريب ٧ - ٢٨٨).

(٥) الأغاني ٨ - ٣٧٤.

(٦) الأغاني ٥/ ٣٧٦، وقد نقلت من كتاب يحيى بن علي في سيرة إسحاق بن إبراهيم.

التأليف في حياة إسحاق، فكان كتابه من خيرة الكتب التي ألفت في سيرة ذلك المغني الراوية، الأديب العالم[١].

وكان كتاب النغم لإسحاق الموصلي من جملة الموارد، التي استقى منها يحيى ابن علي في تأليف كتابه الذي سماه باسم كتاب الموصلي. وتجد في هذه الرسالة التي يبحثها الأستاذ الأثري جملاً طويلة اقتطفت من ذلك الكتاب، يظهر منها أنه كان قد اتخذه أساساً لبناء هيكل مؤلفه. وقد أورد أبو الفرج الأصبهاني مقتطفات أخذها من كتاب النغم ليحى بن علي[٢] تساعد، ولا شك، في تحقيق نسبة هذا المؤلف القيم، وأظن أن هذه الرسالة، هي فصل من كتاب ألفه يحيى في الموسيقى، وهو «كتاب النغم»، وكان مؤلفاً من فصول، كان فصل في فن من فنون الغناء، فكان الفصل الذي سبق هذه الرسالة في صفة المغنى وما يجب أن يكون عليه، وتناول هذا الفصل النغم العشر[٣]. وهكذا خصص كل فصل بمادة من مواد الغناء.

وقد أنجبت أسرة (المنجم) عدداً آخر من الأدباء والشعراء منهم علي بن هارون ابن علي أبو الحسن المتوفي سنة ٣٥٢هـ[٤].

وكان راوية للشعر، شاعراً أديباً ظريفاً متكلماً نادم جماعة من الخلفاء، وله مع الصاحب بن عباد مجالس، وقد ذكر له ابن النديم أسماء عدد من المؤلفات، منها: رسالة في الفرق بين إبراهيم بن المهدي وإسحاق الموصلي في الغناء، وكتاب اللفظ المحيط بنقض ما لفظ به اللقيط، وهو معارضة لكتاب أبي الفرج الأصفهاني[٥]. الذي سماه الفرق والمعيار بين الأوغاد والأحرار[٦].

ومنهم أبو عيسى أحمد بن علي بن يحيى، وله من الكتب كتاب تأريخ سنى العالم[٧].

---

(١) راجع ترجمته في كتاب الأغاني حيث يورد اخباره بشيء من التفصيل.
(٢) الأغاني ٨ - ٣٧٤.
(٣) الأغاني ٨ - ٣٧٤.
(٤) الفهرست ص٢٠٦.
(٥) الفهرست ص٢٠٦.
(٦) الوفيات ١ - ٤٥٠.
(٧) الفهرست ص٢٠٧، الإرشاد ١ - ٢٢٩، الإرشاد ٢ - ٢٧٧.

وأبو عبد الله هارون بن علي بن هارون، وكان شاعراً أديباً عارفاً بالغناء، وله كتاب مختار في الأغاني[١].

وغيرهم ممن لا علاقة لهم مباشرة بموضوعي هذا.

وبعد، فقد رأى المجمع العلمي العراقي، نشر رسالة يحيى بن علي بن يحيى المنجم في الموسيقى كما سماها «بروكلمن»[٢]، وهي رسالة على صغرها، وقصرها، ذات فائدة بليغة، فانتدب لها الأستاذ الفاضل السيد محمد بهجة الأثري، نائب رئيس المجمع العلمي العراقي الثاني، فحققها، وعلق عليها، وعنى بتصحيحها فأزال كثيراً من تحريفات الناسخ حتى استطاع أن يحررها ويجعلها قريبة من الأصل، وبذلك ظفرت، المكتبة العربية بتحفة فنية جديدة كانت في زوايا الإهمال.

---

(١) الفهرست ص٢٠٧.

(٢) Brocklemann, suppl, I, p, 225.

العالم العربي(*)

The Arab world(*)

مؤلفة هذا الكتاب أديبه لبنانية تقيم ألان في أمريكا وهي معينه بإلقاء محاضرات فيها عن العالم العربي وبالتأليف في هذا الموضوع وقد تحدثت في كتابها هذا عن ماضي العالم العربي وحاضره ومستقبله باختصار وتركيز وقسمته إلى مقدمة وثمانية عشر فصل تحدثت فيها عن نواحي متعددة من التاريخ العربي وعرضت في الفصل الثاني للتراث الثقافي ولكنها كتبت فيه عن الثقافة كما هي المصطلح العلمي الشائع المعروف وعن أمور لاتدخل في مصطلح الثقافة وإنما تدخل تحت كلمة مدينة أو في أمور أخرى وخصصت الفصل الثالث بصلات العرب بالغرب في القرون الوسطى والفصل السابع وما بعده بالعالم العربي بعد اليقظة إلى نهاية الحرب العالمية الأخيرة وخصصت بعض الفصول بالأقطار العربية البارزة كما خصصت بالمغرب فصلاً خاص وفصلاً اخر بالمرأة واخر بالاتحاد العربي وكتاب في جملة سرد عام لتاريخ العلم العربي فهو من هذه الناحية لا يمكن عده من كتب المراجع ولم تذكر المؤلفة فيه الموارد استقت منها مادتها إلا في مواضع قليلة على أسلوب الصحافة فيه وضح وبعد عن لغة الاختصاص والتركيز ثم لا تكاد تنتهي من قراءته حتى تكون من عشاق هذه اللذة: لذة الخرائب وما تحدثة في نفسك من نشوة ولهفة وشوق.

وليس هذا الكتاب وصف سياحة أو معالجة موضوع آثاري معين، إنما هو كتاب في اللذة التي تنشأ عند الأفراد أو الجماعات من زيارة الخرائب، حرصت المؤلفة على أن تظهرها في هذا المؤلف، فجمعت ما أمكنها جمعه من انطباعات القدماء وكبار المعاصرين عن الآثار من نثر أو شعر، فأرسلته بين انطباعاتها، وتعرضت لها بالشرح والتفصيل وبيان ما فيها من سحر وبيان. وقد اقتضى ذلك بالطبع أن يكون مع ترتيب الأماكن التي زارتها ومنسجماً مع مقتضى الحال. فهو كتاب أدب وكتاب سياحة وكتاب آثار، وإن شئت قلت انه كتاب جامع بين هذه الأمور.

(*) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي العدد ٣ لسنة ١٩٥٤، ص ١٩٧.

(**) تأليف الدكتورة نجلاء عز الدين، صفحة ٤١٢ من الحجم المتوسط، مطابع شركة "Henry Rejnery Compiny".

دراسات في تاريخ قفقاسية(*)

Studies in Caucasin History

يقع هذا الكتاب المطبوع في سنة ١٩٥٣ في ١٧٨ صفحة مع الفهارس، خلا ١٨ صفحة ألحقت بالصفحات المذكورة هي فصل من «كتاب جامع الدول» لأحمد بن لطف الله الملقب بمنجم باشي، عنوانه «باب الشدادية» المؤلف بالعربية.

وقد أخرج هذا الفصل وشرحه ونقله إلى الإنكليزية المستشرق ولاديمير مينورسكي الأستاذ في جامعة لندن، وأضاف إليه فصولاً نافعة في أصل الأسرة الشدادية وفروعها، وفي تأريخ صلاح الدين فبحث في أصله وفي روايات الصليبيين وأقوال الغربيين فيه. وتكلم في الملحق على الأكراد في عهد الأيوبيين، أما الملحق B فقد خصصه بفتوحات الأيوبيين، كما تحدث بعد ذلك عن بني رواد «الروادية» وعن بني سالار. وألحق بالكتاب ثبتاً بالأعلام الواردة فيه.

وولاديمير مينورسكي من المستشرقين المتخصصين بهذه البحوث، وله تتبعات واسعة في تأريخ الايرانيين والأكراد، أما النص العربي، فهو مورد مهم لمعرفة تأريخ القوقاز وارمينية وشمال غربي إيران والأقسام الشمالية من العراق، جاءت فيه أمور مهمة عن تأريخ بني شداد ما بين سنة ٣٤٠ وسنة ٤٦٨ للهجرة، وقد استند المؤلف أحمد بن لطف الله المتوفى بمكة سنة ١١١٣ للهجرة إلى موارد عديدة، منها: تأريخ الباب وشروان، وهو في تأريخ باب الأبواب وشروان وأران، وقد انتهى منه مؤلفه في سنة ٥٠٠ للهجرة، والكتاب وثيقة مهمة وضعها هذا المستشرق بين أيدي المؤرخين.

(*) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي العدد ٣ لسنة ١٩٥٤، ص ١٩٨ - ١٩٩.

Arabica(*)

هذا عنوان مجلة جديدة أصدرها في شهر كانون الثاني ١٩٥٤ باللغة الفرنسية المستشرق ليفي بروفنسال E Levy Provencal مدير معهد الدراسات الإسلامية في باريس وعضو الموسوعة الإسلامية Encyclopipia Of Ialsm المعروف ببحوثه في تأريخ العرب في الأندلس، وتولت مؤسسة بريل E, J, Brill بمدينة ليدن Leiden طبعها ونشرها.

وقد أسهم في تحريرها المستشرقون الفرنسيون: ماسنيون، وبلاشير، وبلا، وأفرد فيها باب لنقد الكتب، وآخر لأخبار المؤسسات العلمية المشتغلة بالعربيات. وقد أشارت المجلة في الصفحة ١١٩ إلى كتابنا تأريخ العرب قبل الإسلام من مطبوعات هذا المجمع.

تذكارات جان سوفاجيه(**)

Memorial Jean Sauvaget

أخرجه المعهد الفرنسي بدمشق، عدد صفحاته ٣١٢ صفحة من الحجم المتوسط يتألف هذا الكتاب من جملة أجزاء، هذا هو الجزء الأول منها، حوى الإشارة إلى مؤلفات المستشرق «سوفاجية» وبحوثه، والمظان التي نشرت فيها، كما جمع بين دفتيه بعض المقالات التي نشرت في حياته.

والغاية من نشر هذا المؤلف أن يكون أثراً يخلد ذكرى هذا العالم. وقد جرت عادة الغربيين بأن يقوم أصدقاء المرء الذي يراد تخليد اسمه بنشر مقالات تطبع في كتاب باسمه، أو أن تجمع مقالاته المبعثرة في كتاب، أو جملة مؤلفات، أو أن ينشر أثر واحد كبير أو جملة آثار من آثاره تقديراً له، وهي عادة حسنة طيبة تدل على نبل وحسن خلق، حري بنا أن نقتفي أثرها؛ لأنها تجعل الميت حيا، وتفيد الآخرين، وهي أنفع من أقوال تقال ومن شعر ينظم، ومن توجع للراحل يظهره الناس، ثم يذهب كل ذلك مع الذاهبين.

(*) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي العدد ٣ لسنة ١٩٥٤، ص١٩٨.

(**) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي العدد ٣ لسنة ١٩٥٤، ص١٩٩.

فهرس المخطوطات المصورة(*)

أخرج معهد إحياء المخطوطات العربية، وهو من مؤسسات الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، الجزء الأول من فهرس المخطوطات العربية التي قامت الإدارة الثقافية بتصويرها من بعض خزائن الكتب في البلدان العربية وغيرها، وقد سبق للمعهد أن أخرج فهرساً أولياً طبع على آلة «الرونيو» للمخطوطات التي تمكن من تصويرها، وذلك قبل أمد، ووزع المطبوع على الدول العربية وعلى الأشخاص المعنيين بموضوع المخطوطات، ثم قام بطبع فهرس - يقع في أجزاء - للمخطوطات التي تجمعت لديه بواسطة آلات الطباعة المألوفة، فخرج الجزء الأول منه من دار الرياض للطبع والنشر بالقاهرة، وذلك في سنة ١٩٥٤م.

ومخرج هذا الجزء ومصنفه هو السيد فؤاد سيد، أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية. وكانت الإدارة الثقافية قد عهدت بهذا العمل إلى السيد محمد بن تاويت الطنجي. ولكن تعيينه أستاذاً بجامعة أنقرة حال بينه وبين إتمامه، فتركه بعد أن أنجز الملازم الخمس والعشرين الأولى من الكتاب، فعهد المعهد بانجازه وإكماله إلى السيد فؤاد سيد. فتابع المنهج الذي وضعه الطنجي، وهو المنهج المألوف من توزيع الكتب على العلوم والآداب والفنون، كل موضوع في باب، مرتباً أسماء الكتب على حروف المعجم، مقرونة بأسماء المؤلفين إن كانت معروفة، ثم بتعريف موجز للكتاب مع بيان أجزائه إن كان في أجزائه إن كان في اجزاء، وتأريخ الخط إن كان مدوناً، وما شابه ذلك من ملاحظات.

وقد حرض مصنفه على ألا يهمل بعض ملاحظات أخذها هو على نفسه، وأراد أن ينبه القارئ عليها، فقال: «وهذا الجزء الأول من الفهرست، رغم ما بذل في إخراجه وإعداده من جهد، إلا أنه مع ذلك لا يخلو من أن يكون فيه بعض الهنات والأخطاء. فقد كان كل الاعتماد في إخراجه على البطاقات التي أعدها المفهرسون لمحتوياته من الكتب. ولم يكن لديهم الوقت الكافي لدراسة المخطوطات دراسة دقيقة مفصلة، فضلا

(*) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي العدد ٣ لسنة ١٩٥٥، ص٤٤١ - ٤٤٤.

عن أن أكثر الفهارس التي كانت بين أيديهم لهذه المكتبات موجزة إيجازاً شديداً، لا يساعد على تقديم بيانات وافية، وفي أكثر الأحيان تكون أسماء الكتب والمؤلفين مخالفة للحقيقة والواقع». وهي ملاحظات يشكر المصنف على إشارته إليها.

ويقع هذا الجزء في ٥٦٧ صفحة من القطع الكبير، تقع كل صفحة في عمودين اثنين. أما موضوعاته، فهي: الكتب السماوية، والقراءات والتجويد، والتفسير، وعلوم القرآن، والحديث، والمصطلح، والتوحيد، والملل والنحل، والتصوف، والآداب الشرعية، والفلسفة، والمنطق، وأصول الفقه على المذاهب الأربعة، وفقه الأمامية والزيدية، واختلاف الفقهاء، وعلم الفرائض. ثم اللغة، والنحو، والصرف، والبلاغة، والعروض والقوافي، والأدب، والسياسة، والاجتماع، والجغرافيا والبلدان.

ويلاحظ أن المصنف قد خالف أصحاب الفهارس والمصنفين للكتب في تصنيفهم المألوف، فجعل التوحيد والملل والنحل والتصوف والآداب الشرعية والفلسفة والمنطق بعد الحديث والمصطلح وقبل أصول الفقه، مع أن العادة الجارية أن يكون ذكرها بعد الحديث. وهي عادة مستمدة من أصول دراسة الشريعة ومراتب الأهمية في استنباط الإحكام. ثم إن باب الفلسفة والمنطق من الأبواب التي يضعها العلماء بعد العلوم الشرعية وفنون العربية لا قبلها، وإلى ذلك ذهب أيضاً المستشرقون، كما كان من اللازم ذكر فصل فقه المذاهب الأخرى بعد فصل الفقه الحنبلي، مراعاة لوحدة الموضوع. وأظن أن الذي حمل المصنف على ذكر الجغرافيا والبلدان بعد فصل السياسة والاجتماع، وتأخير فصل التأريخ إلى الأجزاء المقبلة، هو سعة موضوع التأريخ وكثرة المصنف فيه، مما صعب على المصنف وضعه في هذا الجزء، فآثر ذكره في الجزء التالي من الكتاب.

وكنت أطمع أن يكون الفهرس أكثر سعة وتفصيلاً، كأن تذكر أوصاف كل مخطوطة وتدون جملة أسطر من أولها وجملة أسطر من آخرها، وأن يشار إلى ما عليها من تعليقات وتوقيعات وأسماء المشترين لها ومن دخلت في حوزتهم إن وجدت وتواريخ دخولها، ثم ملاحظات المصنف عن تنوع القلم الذي استعمل في كتابة المخطوطة إن كان متنوعاً، وأمثال هذا مما يفيد في تعريف هوية الكتاب، كما كنت أطمع أن يشار إلى أسماء خزائن الكتب العامة والخاصة التي يوجد فيها المخطوط أو أجزاء منه إن كانت له نسخ أو أجزاء، لتعم بذلك الفائدة، وليكون في وسع الطالب الراغب الحصول على نسخ أخرى من المخطوط في حالة عزمه على نشره وبعثه، أو

إكمال ما في نسخته من نقص أو خطأ، أو لأسباب علمية أخرى. وشيء آخر كنت أطمع أن أراه في الفهرس هو الإشارة إلى مواضع طبع المخطوط والسنة التي طبع فيها في حالة كونه من الكتب المطبوعة. ففي هذه الإشارات أهمية كبيرة للمراجعين ولا سيما الراغبين في نشر المخطوطات. وكنت أطمع في شيء آخر، هو الإشارة إلى فهارس الكتب مثل فهرس «بروكلمن» وأمثاله في حالة تعرض هذه الفهارس للمطبوعات المشار إليها، والإشارة إلى عدم ورود أسمائها فيها في حالة عدم ذكرها، لأن هذه الفهارس هي المرجع المعوّل عليه في تتبع المخطوطات.

وقد حملني على ذكر هذه الملاحظات أن المصنف من منشورات معهد متخصص بالمخطوطات العربية، وأنه صدر باسم اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية، ومؤلف هذا شأنه وتلك منزلته يجب أن يكون فوق مستوى المصنفات التي تخرجها خزائن الكتب في العالم، وأن يكون وافياً شافياً، فيه إيضاحات واسعة لا نجدها في أمثاله من المصنفات، أما ضيق الوقت، والرغبة في إخراج الفهرس بسرعة ليقف عليه القراء وما شابه ذلك من أعذار، فليست في نظري أعذاراً مقنعة، لأن من طبيعة العمل العلمي البطء والتأني، فالتمحيص والتعمق والإحاطة تؤدي إلى التأخير. وقد كان في إمكان الأمانة تأخير إصدار الكتاب أشهراً ليكون شاملاً جامعاً لما قلت. ومع ذلك، فقد سدّ الكتاب نقصاً، وأفاد الباحثين، والكمال غاية صعبة المنال، فللمعهد وللمصنف الشكر.

The Suft Path of Love (*)

للأوربيين ولع خاص بالتصوف، ولهم فيه طرق، خاصة في ألمانيا حيث ظهر من بينهم رجال لهم مقام وآراء فيه، فلا غربة إذا رأينا المستشرقين يعنون عناية خاصة بالتصوف عند المسلمين، وبنشر مؤلفات كبار الصوفية. والعنوان المتقدم هو اسم كتاب معناه طريق المتصوفة في الحب، لمؤلفة انكليزية اسمها «مرغويت سمث» يتألف من ستة فصول في طبيعة التصوف وأصوله، وفي الله ووحدة الوجود، وفي الله والجمال، وفي الله والإنسان، وفي النفس والإنسانية، وفي الغنوسية، وموضوعات أخرى من موضوعات التصوف، وهو من منشورات مكتبة «لوزاك» في انكلترة.

(*) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي العدد ٣ لسنة ١٩٥٥، ص٤٤٤.

أمثال قرآن(*)

هذا عنوان كتاب يقع في ٣٥٣ صفحة في الآيات القرآنية المستعملة مثلاً أو تشبيها في اللغة الفارسية، من تأليف السيد علي أصغر حكمت من وزراء إيران السابقين وعضو المجمع العلمي الإيراني والمجمع العلمي العراقي. وقد طبع في طهران سنة ١٣٣٣ من التقويم الإيراني الشمسي. ويقع في خمسة فصول.

افتتح الكتاب بمقدمة في الأمثال والأساطير الإيرانية، وفي تدوين الأمثال السائرة في الفارسية، ثم في الآيات القرآنية الكريمة التي استخدمت مثلاً في الفارسية في الماضي وفي الحاضر، وفي الأمثال الفارسية المقتبسة من الآيات.

أما الفصل الأول، فقد خصص بالأساطير «Fables» وبالأمثال المأخوذة عنها مثل الأساطير الهندية والفارسية والعربية القديمة، وخاصة ما ورد منها على لسان لقمان وسليمان. وخصص الفصل الثاني بالأمثال «Proverbs».

أما الفصل الثالث، فقد خصص بالتمثيلات والتشبيهات المقولة في الأغراض المختلفة. تعرض فيه للتمثيلات والتشبيهات عند الهنود وعند اليونان والرومان وعند الفرس وعند المتصوفة وعند الأقوام السامية. ويقصد بالتمثيلات الحكايات التي تروى لأغراض تعليمية أخلاقية، وهي التي يقال لها «Paraboles» في اللغة الفرنسية.

وأما الفصل الرابع، فقد خصص بالمثل عامة، ثم بورود المثل في القرآن الكريم، وما ألف في المثل في القرآن الكريم.

وأما الفصل الخامس، فهو تفصيل للقصص والتشبيهات المستخدمة في الفارسية والمستمدة من القرآن الكريم، يشير إلى الآية ثم يذكر الأمثلة التي استخدمت فيها الفارسية أو اقتبست منها، ثم يتطرق إلى رأي المفسرين فيها ثم إلى ما كتب عنها في الأدب الفارسي.

وقد تعرض المؤلف في كتابة لآراء الغربيين في المثل في التشبيهات، كما تطرق

(*) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي العدد ٣ لسنة ١٩٥٥، ص٤٤٤ - ٤٤٥.

إلى أثر التوراة والإنجيل في الأمثلة والتشبيهات في الأدب العربي القديم. واستعان في تأليف هذا بموارد كثيرة أعجمية وعربية، وألحق بالكتاب فهرساً مفصلاً لما ورد فيه من أعلام ومواد.

والسيد علي أصغر حكمت أديب في الفارسية كبير، له مؤلفات عديدة، من جملتها مؤلف في الفارسية الصرفة، أورد فيه مقالات استخدمت فيها الفارسية وحدها. وهو من الساعين في رفع مستوى الأدب الفارسي، وله علم واسع بالعربية، فكتابه الذي نتحدث عنه كتاب علم وأدب يشكر عليه.

كتاب الترياق(*)

أهدى المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة هذا الكتاب إلى خزانة كتب المجمع العلمي العراقي، وهو من مؤلفات الدكتور بشر فارس صاحب البحوث القيمة في تأريخ الفن الإسلامي وفي المصطلحات العربية المستخدمة في فن التصوير.

وهذا الكتاب هو في العربية والفرنسية في تعريف كتاب في الطب مصور، عثر عليه الدكتور في خزانة كتب باريس الأهلية، وهو منسوب لجالينوس وليحيى النحوي الإسكندراني، فيه صور جميلة وفن راق في التصوير، وإبداع في فن «المنمنمات»، شرحه وكتب فيه بالفرنسية، وعرف بالواحة، وتعرض لمدارس الرسم في الإسلام، والمؤلف خبير بهذا الموضوع، عارف به. وقد عرضه على المعهد الفرنسي، فوافق على نشره، وجود طبعه. وللمعهد عناية حسنة بإتقان الطبع وانتقاء الكتب، تتجلى في العدد العديد من المطبوعات التي أخرجها في موضوعات متعددة من نواحي الاستشراق.

(*) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي العدد ٣ لسنة ١٩٥٥، ص٤٤٥ - ٤٤٦.

المحيط(*)
في تشكيلات الشرطة العراقية وادارتها وتنظيمها وواجباتها وخدماتها منهجاً وتطبيقاً

هذا عنوان كتاب ظهر منه جزءان طبعا ببغداد سنة ١٩٥٤ و١٩٥٥م لمؤلفه: السيد وجيه يونس مدير الشرطة العام، والسيد إسماعيل الراشد نائب أحكام الشرطة العراقية، تناولا فيه مسلك الشرطة في العراق فتحدثا عن جميع الأمور المتعلقة به من تأسيسات وتنظيم وتهيئة وواجبات، ثم ألحقا بهذه البحوث الفنية المسلكية بحوثا أخرى لها علاقة بالشرطة وبحياة كل مواطن من حيث كونها تنظم حياة الأفراد والمجتمع، فهي تخص الشرطة كما تخص الفرد والمجتمع، فلا بد لكل مواطن من الوقوف عليها والإحاطة بها باعتباره مواطناً له حقوق وعليه واجبات. ومما لا شك فيه أن المؤلفين الفاضلين قد أنفقا وقتاً طويلا في جمع هذه المعلومات القيمة عن هذا المسلك، وصرفاً مجهوداً كبيراً في التنسيق والتبويب والتصنيف، حتى أنتجا من ذلك هذا السفر المفيد في الشؤون العلمية والفنية للشرطة في العراق. وأنا أرجو أن ينصرف كبار موظفي الدولة إلى الكتابة والتأليف في نواحي اختصاصهم أسوة بمؤلفي هذا الكتاب، وكما يفعل كبار الموظفين في الدول الأخرى، وبذلك تتوفر للناس ولأصحاب المسلك ثروة قيمة تساعد في رفع المستوى والتثقيف.

حركة إحياء التراث القديم
إعادة طبع تفسير الطبري

ظهرت في العام الماضي وفي هذه السنة حركة طيبة في عالم النشر ترمي إلى إحياء التراث القديم، وبعثه، وإعادة طبع ما نفد من كتب قديمة مطبوعة لتكون في متناول أيدي طلاب العلم. فشرع في إعادة طبع شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد، وكتاب الأغاني للأصبهاني، ولسان العرب لابن منظور في أجزاء صغيرة، ليكون من الميسور لأصحاب الدخل الصغير اقتناؤها.

(*) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي العدد ٣ لسنة ١٩٥٥، ص٤٤٦.

وقد استعد في هذه السنة لإعادة طبع تفسير الطبري للمؤرخ المعروف الشهير ابن جرير المتوفي سنة ٣١٠هـ، استعد له الأستاذ المحقق المعروف السيد محمود محمد شاكر، وتعهدت دار المعارف بمصر بنشر الجزء الأول منه في هذا الشهر، في مجموعتها المسماة «تراث الإسلام». وأنا أرجو أن أرى للتفسير مقدمة وافية في الطبري، وفي تفسيره، وفي الموارد التي اعتمد عليها في تدوين هذا التفسير، وفي نقده، تتناسب وأهمية الكتاب، وأن أرى نسخاً أخرى جديدة للتفسير يعتمد عليها المحقق في إخراجه له، فقد اعتمد في الطبعة الأولى على نسخة واحدة. ولا بد من الاستناد في هذه المرة إلى نسخ أخرى جديدة، ومقارنتها بالنسخة القديمة المطبوعة، فالمقارنة بين النسخ في حد ذاتها فصل من فصول العلم.

وكل ما أرجوه في نشر أمثال هذه الكتب القيمة (التي لا يمكن الإقدام على طبعها بسهولة وفي كل وقت، لما يتطلب إخراجها من جهد علمي، وتكاليف باهظة في الإخراج) أن يكون رائد المشرفين على نشرها خدمة العلم والتراث الإنساني، فينفقوا عليها بكرم وسخاء، وأن يسعوا في إخراجها في أبهى حلة فنية خالية من الغلطات المطبعية والفنية والنبو في الذوق، فليست الغاية من نشر التراث الحصول على ربح سهل، ومن النقيصة أن تقدم مطبعة على نشر امثال هذه المؤلفات القيمة، ثم لا تهتم بالإشارة ولا بالتحقيق والتدقيق، ولا بكتابة مقدمة وافية ولا صنع فهرس للإعلام والمواد. وقد أقدم بعض الناشرين سابقاً على نشر مؤلفات قام المستشرقون بطبعها في أوربة، فأخرجوها ممسوخة تشكو من كثرة ما أصابها من غلط وتصحيف، فكانت دعاية سيئة للناشر وللطابع، وإن جاءت له بدريهمات فقد جلبت له السمعة السيئة وعدم الثقة والاطمئنان إلى ما ينشره هذا الناشر من هذا الطراز من النشر وما زال الناس يفتشون عن طبعات أوربة، ويشترونها بأعلى الأثمان، مفضلين إياها على المطبوعات المماثلة المنشورة بطريقة سهلة رخيصة، مع أن تلك المطبوعات لا تخلو أيضاً من الهنات.

دراسات في قراطيس عربية(*)

Studies in Arabic Literary Papyri(*)

عالجت الدكتورة نبيهة عبود الأستاذة بمعهد الدراسات الشرقية بجامعة «شيكاغو»، في هذا الكتاب، ثماني وثائق تأريخية من القراطيس «papyri» محفوظة في خزانة كتب المعهد المذكور، بعضها معروف الأصل وقد نشر، وبعضها مفقود الأصل ولكنه معروف النسب، وبعضها غير معروف النسب لعدم وجود إشارة في تلك الوثائق تدل على صاحبها، فهو مما ينشر لأول مرة إذن، ولعل نشره هذا سيساعد الباحثين على معرفة صاحبه والتوصل إلى نسخة كاملة للأصل المستل منه.

وقد قدمت المؤلفة بين يدي هذه الوثائق بحوثاً قيمة، سردت فيها ما لا بد من سرده، فكتبت بحثا قيما في الكتابة في الإسلام، وفي تدوين التاريخ عند المسلمين وأقدم من اشتغل بذلك، ثم انتقلت إلى أصل العمل وهو تدوين نصوص هذه القراطيس، وقد ألحقت بكل كتابة منها ترجمة لها إلى الانكليزية وملاحظات ثمينة عليها تنم على جلد وصبر وعلم.

وقد افتتحت تلك الوثائق بوثيقة في قصة كيفية الخلق، وهي مما يرجع إلى الإسرائيليات وإلى قصص وهب بن منبه خاصة، وألحقت بها الكتابة الثانية في قصة آدم وحواء. أما الكتابة الثالثة، فهي في الإسرائيليات أيضاً، والرابعة منتزعة من سيرة ابن هشام، وهي مما يرجع عهده إلى النصف الأول من القرن الثالث للهجرة. وترى المؤلفة احتمال كون أصل الكتابة الخامسة قطعة من كتاب في المغازي لمعمر بن راشد. أما الكتابة السادسة، فانها قطعة من كتاب ذكر الخلفاء لابن إسحاق، وهي في قتل الخليفة عمر وفي الشورى. والسابعة قطعة من كتاب ذكر النبي لابن عقدة، وهو مؤرخ زيدي. وأما الثامنة، فيحتمل أنها من كتاب السلاح للفرغاني، وهي في وصف معركة من المعارك التي وقعت في عهد الخليفة المقتدر. وأنهت المؤلفة هذه النصوص والترجمة

(*) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي العدد ٤ لسنة ١٩٥٦، ص٧٢٧-٧٢٨.

(*) تأليف الدكتورة نبيهة عبود من منشورات جامعة شيكاغو ١٢٣ صفحة.

والملاحظات بفهرست يقع في سبع صفحات وبثمانية ألواح حفرت حفراً جيداً عن القراطيس الأصول، تمثل لك أصلها، وتتحدث إليك عن الصعوبات التي جابتها المؤلفة في قراءتها وفي ضبطها واستخراجها من هذه الأوراق المكونة من ورق البردي، وهي صعوبات لا يقدرها إلا من كابد هذا الهوى الشاق، هوى قراءة المخطوطات. ويقع الكتاب كله المتن والفهرست في ١٢٦ صفحة طبعت طبعاً متقناً في مطابع جامعة شيكاغو. وقد دونت الحروف العربية بحروف لاتينية على طريقة المستشرقين، وذلك في المتون الإنكليزية. أما في المتون العربية، فقد طبعت النصوص العربية بحروف عربية، كما طبعت كلمات عربية في المتن الإنكليزي اقتضتها الضرورة واستدعى وجودها مقتضى الحال.

وبعد، فإني معجب بصبر الأستاذة نبيهة عبود، وجلدها. فقد جاءت بشروح وبإيضاحات تتم على علم عميق بهذا الموضوع. وأحب أن أنوع بكتاب لها آخر في الخط العربي الشمالي، منشئه وأصله وكيفية تطوره، وفي الخط القرآني وتطور الخط في صدر الإسلام وفي العهد الأموي والعباسي إلى بلوغه حد الكمال. وهو كتاب جليل، يدل أيضاً على فضل وعلم يفتخر المرء بهما، وقد نشره المعهد المذكور أيضاً.

تأريخ الأدب العربي(*)(**)

تأريخ الأدب العربي لكارل بروكلمن[1]، مرجع مهم لكل باحث في تأريخ الحركة الفكرية عند العرب منذ صدر الإسلام إلى أيامنا الحاضرة، ضم وجيزاً مركزاً لسير العلماء والأدباء، وحوى أسماء أكثر المؤلفات المطبوعة والمخطوطة وأسماء مظانها وأماكن وجودها إذا كانت مخطوطة.

وقد كان من لا يحسن الألمانية من الباحثين والمطالعين يودون لو نقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية، ويلحفون في ذلك ألحافاً، إلى أن بان لهم بريق الأمل بظهور جزء من أجزاء ستكون عديدة كثيرة ولا شك، للكتاب الأصل المؤلف في جزءين ولملاحقه

(*) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي العدد ٧ لسنة ١٩٦٠، ص٣٣٢ - ٣٥٤.

(**) لكارل بروكلمن.

(١) Calr Brocklemann, Geschichte der Arabischen Litteratur.

العديدة التي تزيد على الأصل عدة أضعاف. ويقع هذا الجزء المترجم في ٢٢٠ (صفحة) من الحجم الوسط، وقد طبع على مطابع «دار المعارف» بمصر طبعاً أنيقاً فنياً مغرياً يدفع الإنسان إلى مطالعته والتهامه، بنفقة الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية.
أما معرب الكتاب، وناقله، فالدكتور عبد الحليم النجار، من خريجي الجامعات الألمانية وهو زميل لي، عشت معه زمناً في «برلين»، ودرسنا معاً في معهد واحد اللغة الألمانية هناك، وهو من الأساتذة الأزهريين الفضلاء المتعمقين في الدراسات الإسلامية، وقد سبق له أن نقل كتاباً للمستشرق «اكناتس كولد تسهير» في «مذاهب التفسير الإسلامي»، وله بحوث ودراسات، لذلك سررت جداً بشروعه في ترجمة هذا الكتاب وبادرت لاقتناء الجزء الذي أصدره منه، فراجعته مراجعة عابرة لضيق الوقت عن مطالعته كله من ألفه إلى يائه ومقابلته على الأصل، فتجمعت لدي من هذه المراجعة ملاحظات سريعة عاجلة رغبت في عرضها على السيد الدكتور لعلها تفيده يوم يشرع في تقديم الأجزاء الباقية إلى المطبعة، وعلى القراء لعلها تفيدهم في تصحيح ما سأذكره من هذه المراجعات إن أصبت فيها شاكلة الصواب.

سار المترجم في كتابة الأعلام الأجنبية على الطريقة المصرية في النطق بالحروف، فكتب: اسم أوگست (August) «أوجست»، وگايگر «Geiger» «جايجر» وفرايتاگ «Freiting» «فرايتاج»، وهكذا. وهذه كلها أسماء ألمانية، ينطقها الألمان بالكاف لا بالجيم، وقد كان على الدكتور كتابة الأعلام بطريقة النطق المألوفة في اللغة الأصلية التي ينتمي إليها الشخص، ووفقاً للطريقة الشائعة في العربية، فليس كل العرب كالمصريين ينطقون الجيم افا، ثم إن حرف الكاف في العربية قريب من الـ «g» المستخدم في هذه الأسماء الألمانية أو في اللغات الأجنبية الأخرى. ولما كانت لغة الكتاب لغة عربية فصيحة كتبت للعالم العربي كله، لا لقطر واحد منه، كان على المترجم تذكر ذلك وكتابة الحرف وفقاً لأبجدية القرآن الكريم، أي بالكاف، وقد أوقع كثير من الكتاب المصريين إخوانهم في البلاد العربية في أغلاط من ناحية التلفظ بأسماء المستشرقين التي يرد فيها هذا الحرف، فقرؤوه ونطقوا به «جيماً» دون إن يفطنوا إلى أن المصريين أرادوا بالجيم حرف «الگاف» «الكاف»، على طريقة نطقهم، ومن هذا القبيل اسم «وته» الشاعر الألماني المعروف، انقلب إلى «جوته»، وصار ينطق به كذلك حتى المثقفون، مع أنه بال‌اف لا الجيم، وانك لو لفظته (جوته)، أمام ألماني، فانه لن يعرفه من دون شك، للتحريف الداخل عليه.

ومن هذا النمط تسمية المترجم الكتاب المشهور المعروف عند الفرس بـ «تأريخي زيده» تاريخ جزيده، ذلك لأنه ورد على هذه الصورة «Tarich Guzida» في النص الألماني، مع أنه من الكتب التأريخية الفارسية المعروفة المطبوعة بالأبجدية العربية المستعملة عند الفرس، وهو بحرف «الگاف» فيجب إبقاؤه كما هو ولو بحرف الكاف بدلاً من حرف «الگاف» الفارسي. ثم إن الدكتور كتبه على هذا النحو: «تاريخ جزيدة» بينما كان عليه أن يكتبه «تاريخي كزيده» كما هو في الفارسية، وكما هو مضبوط في النص الألماني أيضاً[1]، إذ لا يجوز التصرف بالإعلام. وقد وقع الدكتور في هفوات أخرى على هذا النحو، منها تدوينه اسم «عليكرة» عليكره، على هذه الصورة «عليجرة»[2]، مع أن هذا الاسم مضبوط على النحو الذي كتبته وبالحروف العربية. فلا يمكن تبديله وفقاً للنطق المصري، والظاهر أن اعتماد الدكتور على الاسم مكتوباً بالحروف اللاتينية، هو الذي دفعه إلى الوقوع في هذا الوهم. ولو راجع أحداً من الواقفين على أسماء شبه جزيرة الهند وعلى فهارست المخطوطات لهداه إلى ذلك في الحال. لأن الاسم شائع معروف.

ومن هذه الهفوات تسرعه في النقل، فقد جعل كتاب «روضات الأئمة»، «روضة الأئمة»، وإنما هو بالجمع أي «روضات» لا «روضة»، وكذلك ورد مضبوطاً في الأصل الألماني[3]. والكتاب معروف، ومطبوع بالحروف العربية، فلا عذر لإدخال أي تغيير عليه، كذلك سمى كتاب «روضات الجنات» روضة الجنات، أي بإفراد روضة في كل مكان ورد ذكره فيه، وهو خطأ بالطبع، مع وروده في شكل مضبوط صحيح في الأصل الألماني[4].

وكتاب (روضات الجنات) هذا كتاب مهم من كتب التراجم المعروفة المشهورة، يقع في أربعة مجلدات، وقد اعتمد «بروكلمن» عليه في مواضع عديدة من كتابه، وتحدث عن مؤلفه (محمد باقر محمد نقي الموسوي الخونساري) المتوفي سنة ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م، في الصفحة ٨٢٨ من الملحق الثاني المطبوع سنة ١٩٣٨م.

---

(١) راجع النص العربي (ص ٢٥٩)، وقارنه بالنص الألماني الوارد في (ص ١٠٤) من الملحق: Suppl. I. s 104

(٢) الصفحة ٢٣ وكل الصفحات الأخرى التي ورد فيها هذا الاسم من الكتاب.

(٣) راجع النص المعرب ص٢٥٩، وقابله بالنص الألماني الوارد في: Suppl, I, s, 104.

(٤) مطبوع في إيران على الحجر، راجع الصفحة ١٧٥، ٢٦٠، ٢٩٧، من التعريب، وقابلها بالصفحة ١٠٥ من النص الألماني: Suppl, I, s, 105.

والخونساري من علماء الشيعة المعروفين، ومن الغريب أن الدكتور المترجم نسب كتابه هذا إلى اليافعي، وذلك في ص٢٩٧ من الفهارست، حيث كتب «روضات الجنات لليافعي: ١٧٩، ٢٠٦». ولا أدري كيف نسبه إلى اليافعي، ومن أين جاء بهذه النسبة، وليست بين الرجلين نسبة وعلاقة، مع وجود ترجمة المؤلف الخونساري في النص الألماني كما ذكرت. وإشارته إلى الصفحات التي رجع إليها في روضات الجنات، وهي صفحات مدونة في النسخة المطبوعة طبعاً حجرياً بإيران وعليها اسم المؤلف[١].

وفي الرقم ٢٠٦ المذكور في الفهارست خطأ مطبعي، كان على المترجم أن ينتبه إليه ويتلافاه، فانه ٢٦٠ في النص المترجم.

وقد تصرف الدكتور بعض التصرف في تدوين الأعلام. فصير من «الأب أنطون الصالحاني اليسوعي»، وهو من الآباء اللبنانيين المعروفين، رجلاً مسلماً، إذ سماه «أحمد الصالحاني»[٢] وهو ناشر ديوان الأخطل. وقد أوقعه في هذا الخطأ استعجاله، إذ وجد النص الألماني مدوناً على هذه الصورة:

Le - diwan al - ahtal, ed, par, p, a, salhani[3]

فظن أن «A»، وهو الحرف الأول من «أنطون» هو «ألف»، وأنه الحرف الأول من «أحمد»، وقد كان على الدكتور أن ينتبه إلى حرف «P» الذي ورد قبل «A». وتعنى الأب وأن يسأل المطلعين على الأدب، فديوان الأخطل معروف، وقد دون عليه «انطون الصالحاني اليسوعي»، ناشره في بيروت، والصالحاني بحاثة نصراني معروف[٤] ومن الآباء. وقد نشر أيضاً تأريخ بن العبري، المؤرخ النصراني الشهير.

ومن هذا القبيل، جعله والد «يوحنا»، المعروف بـأسعد الصعبي، رجلاً مسلماً اسمه «أحمد الصعبي»[٥]. فصيره على هذا النحو: «يوحنا بن أحمد الصعبي»، مع أن المؤلف قد ذكر الاسم كاملاً بالضبط لا بالرمز[٦]. ثم إن العرف الجاري لا يقبل مثل هذه التسمية: «يوحنا بن أحمد»، فهي تلفت النظر، والواقع أن هذا الشذوذ في التسمية

---

(١) وتجد ترجمته في كتاب أحسن الوديعة ص١٢٦ وما بعدها، والذريعة ١/ ٣٨٨، والأعلام ٦/ ٢٧٣.

(٢) الصفحة ٢٠٨، ونشر أحمد الصالحاني، نسخة من الديوان تصويراً بالحجر.

(٣) راجع النص الألماني.

(٤) عني بطبعة لأول مرة وعلق حواشية الأب أنطون صالحاني اليسوعي، بيروت: المطبعة الكاثوليكية.

(٥) راجع الصفحة ٢٨٨.

(٦) الصفحة ٣٥ من الملحق الأول.

هو الذي دفعني إلى الملاحقة حتى الاهتداء إلى الحقيقة. وقد أشار المترجم إلى (الصفحة ٧١) من الترجمة، فراجعت هذه الصفحة فلم أجد الاسم فيها، ولم أصل إليه إلا بعد رجوعي إلى الفصل والموضوع فوجدته في الصفحة ٧٠، ووجدت الاسم مضبوطاً هناك ضبطاً صحيحاً، ومعنى هذا أن المترجم قد أخطأ في الفهرست خطأين، خطأ تحويل أسعد إلى أحمد، وخطأ جعل الـ(٧٠) (٧١).

وضبط الدكتور المترجم نسبة أحد محدثي الشيعة الاثني عشرية البارزين - وهو محمد ابن يعقوب بن إسحاق الكليني المتوفي سنة ٣٢٨ أو ٣٢٩ للهجرة - على هذه الصورة «الكوليني»[1]. وهو تصرف خاطيء وقع فيه من جراء وهمه أن حرف الـ(u) الوارد في النص الألماني «Kulyny» هو «و»، بينما هو ضم، وقد كان في إمكانه الرجوع إلى كتابه «الكافي في علم الدين» وهو من أشهر كتب الحديث الصحاح عند الشيعة، كما كان في إمكانه الاستفسار من كثير من علماء مصر عنه، والرجوع إلى كتب الرجال عند الشيعة وتجد فيها ترجمته[2].

وضبط الدكتور عنوان «فهرست مدرسة سپهسالار»، بطهران على هذه الصورة: «طهران: دانشكده معقول ومنقول فهرست كتبخانه مدرسة عالي سپهسالار، جلد أول كتب خطي فارسي وعربي تأليف ابن يوسف شيرازي، طهران از سال ١٣١٣ تا ١٣١٥ «مطبعة مجلس بنجاب رسيدن»[3]، وفي هذا الضبط أغلاط عديدة، كان من الممكن تلافيها لو تفضل فراجع النص الألماني مراجعة دقيقة وراجع عنوان فهرست المكتبة المذكورة المدون بحروف عربية على هذه الصورة: «تهران: دانشكده معقول ومنقول. فهرست كتابخانه مدرسة عالي سپهسالار، جلد أوّل كتب خطي فارسي وعربي، تأليف ابن يوسف شيرازي، طهران، از سال ١٣١٣ تا ١٣١٥ در مطبعة مجلس بجاپرسيد»[4]، وهذا النص يختلف في الضبط عن النص المدون في ترجمة الدكتور النجار ومرد هذا الاختلاف إلى قلة تدقيق الدكتور في نقله العنوان من النص الألماني إلى اللغة العربية، وإلى عدم وقوفه على الفارسية، وقد وقع كذلك في الخطأ في كل موضع ورد فيه اسم

---

(١) ص٢٦١.

(٢) الكليني، بضم الكاف وأما اللام، بضم أوله وكسر اللام، اللباب ٣/ ٤٩، فهرست الطوسي ١٣٥، أحسن الوديعة ٢/ ٢٢٦، الأعلام ٨/ ١٧، السمعاني ٢٨٦، النجاشي ٢٦٦، Suppl, I, S, 520.

(٣) الصفحة ٢٢ من النص المعرب.

(٤) راجع النص الفارسي.

المكتبة حيث ذكره على هذه الصورة: «سبه سلار»[1]، أي بشكل يختلف عن ضبطه للاسم لأول مرة حيث ذكره «سپهسلار» وعن الضبط الصحيح وهو «سپهسالار»، وقد كان في إمكانه تجنب ذلك كله لو راجع النص الفارسي وهو كثير الوجود في مكاتب القاهرة ولا شك، وراجع النص الألماني ونقل منه بتدقيق وإمعان وعناية.

ومن هذه الأخطاء ما ورد في ص٢٦٤ من النص المترجم: «وقيل إن ما سرجيس أو ما سرجويه اليهودي ترجم كتاب القس هارون في الطب لمروان، وقيل لعمر بن عبد العزيز»، أما النص الألماني، فهو على هذه الصورة:

Fur Marwan in a fur o, b, Abdal Aziz Ubersantzte der Jude? Masergis masergoya das Madizinache Buch des Presbyters Quss aharon ins Arabische?[2]

وترجمته: «ولمروان أو لعمر بن عبد العزيز، ترجم اليهودي؟ ماسرجيس ماسرجويه، كتاب القس أهرن في الطب)، فصير اسم القس «أهرن» هارونا، مع أن هذا الشخص من المعروفين المشهورين وقد تحدث عنه ابن النديم في الفن الثالث من المقالة السابعة) وورد اسمه في كتب أخرى، ولا أدري كيف صيره المعرب هارون.

ولاحظت أن الدكتور قد تصرف في بعض العناوين العربية أيضاً، مثل قوله في ص٢٥٢: وهناك كتاب منحول في حديث ذي الكفل، وينسب إلى كعب الأحبار، وطبع في بولاق ١٢٨٣هـ، أما النص الألماني فهو:

Ein Apokrybhes Hadth Dli - Kifi an ka b - al-Ahbarist Buliq 1285 Gedruckt.

ويجب أن تكون ترجمته: (من المنحولات حديث ذي الكفل من كعب الأحبار المطبوع ببولاق ١٢٨٣هـ)، وجملة حديث ذي الكفل عن كعب الأحبار، هي عنوان الأثر المطبوع ولا يجوز التصرف في العناوين والأسماء.

ومن هذا القبيل أيضاً ما ورد في (ص٢٥٣) من النص المعرب عن دغفل بن حنظلة السدوسي النسابة البكري، (دغفل بن حنظلةالسدوسي النسابة البكري، أدرك النبي ﷺ) ولم يسمع منه ووفد على معاوية، وقتلته الازارقة، ويقول ابن النديم: لا كتاب له، ولكن روى عنه كتاب التحفة البهية (طبع استانبول ١٣٠٢ ص٣٨) خطبة

---

(١) الصفحات ١٨٢ وما بعدها.

(٢) Suupl, I, s, ١٠٦، راجياً العفو من تقصير المطبعة في عدم إظهار الحروف الألمانية بالشكل العلمي الموجود في الأصل الألماني، في هذا المكان وفي الأماكن الأخرى لعدم وجودها لدينا.

للنابغة الذبياني من كتاب له بعنوان: التظافر والتناصر، وهو يشتمل على مجالس له عند معاوية». وهذه الترجمة تختلف عن النص الألماني الوارد في ص١٠١ من الملحق رقم (١). وهو فيه على هذه الصورة:

I, D, Dem Dagfal b, Hanzala as s- Sudusi an - Nassiab al - Bekri (Fihrist) 89) wird ein k at - Tazafur wattansur wahwa Magalis inda Mo awiya Zugeshirabeñ aus dem in at - Tuhfa al - bahiya (Stanbul 1502) s 58, ein rede an - Nabiga ad - Dubyanis Zitirt Wird.

والذي يعرف الألمانية يرى أن بين النصين بوناً واختلافاً، وان الترجمة يجب أن تكون على هذا الشكل: (ونسب إلى دغفل بن حنظلة السدوسي النساب البكري الفهرست ٨٩ كتاب التظافر والتناصر، وهو مجالس عند معاوية، وفي التحفة البهية (استانبول) ١٣٠٢ ص٣٨، خطبة النابغة الذبياني نقلت منه) أي من الكتاب المذكور. ونجد بين النصين تفاوتاً بسبب إدخال جمل أخذت من الفهرست لم ترد في النص الألماني، لاكتفاء المؤلف الألماني بالإشارة إلى المورد وهو الفهرست ص٨٩، «وتصرفاً في عنوان الكتاب مخلاً، ما كان على المترجم التصرف فيه، لأنه عنوان، ونجد تساهلاً في الترجمة ابتعدت بالمترجم عن الأصل، وقد راجعت الفهرست فوجدته يختلف أيضاً عن الذي ذكره المترجم، إذ ورد في الفهرست على هذا النحو: «دغفل بن حنظلة السدوسي، أدرك النبي ﷺ، ولم يسمع منه، ووفد على معاوية. فأتاه قدامة بن ضرار القريعي، فنسبه دغفل، حتى بلغ أباه الذي ولده، فقال: وولد ضرار رجلين، أما أحدهم فناسك، وأما الآخر فشاعر، فأيهما أنت؟ فقال: أنا الكناني السفيه، وقد أصبت في نسبي وكل أمري، فأخبرني متى أموت؟ قال: ليس ذاك عندي، وقتلت دغفل الشراة، ولا مصنف له» ونرى مما تقدم أن المترجم، نقل من الفهرست إلى كلمة معاوية، وأهمل الباقي. إلى آخر خبر قدامة. ثم عاد فنقل من الفهرست خبر مقتله وعدم وجود مصنف له، فنقل خطأ إذ قال: قتلته الأزارقة، إما ابن النديم، فقال: وقتلت ذغفل الشراة، وكان عليه التقيد بنص الفهرست ما دام قد نقل منه، كما كان عليه أثبات جملة: «ولا مصنف له» ثم الإشارة بعد ذلك إلى المورد كما هو في الأصل الألماني. لا أن يقول: «ويقول ابن النديم: لا كتاب له». وفي العبارة خروج واضح عن النص الألماني، وخروج عن الأسلوب العربي البليغ في التعبير. وقد استعمل لفظة «كتاب» بدلاً من «المصنف» وهي لفظة لم يستعملها ابن النديم، وهي تختلف عند العلماء عن لفظة مصنف الواردة في الفهرست.

وقد لاحظت أن الدكتور لم يتقيد بالنص الألماني تقيداً تاماً، فحذف جملاً، وزاد كلمات أو جملاً على النص بقصد الإيضاح، كما أنه حذف أرقاماً تدل على الصفحات أو أجزاء الكتاب، وهو عمل مخالف لأصول الترجمة. وقد كان عليه التقيد بالنص، والمحافظة على الأصل الألماني محافظة تامة، وعدم إضافة شيء إليه أو إخراجه منه، وقد يكون عذر المعرب عدم فائدة ذكر العناوين باللاتينية أو بغيرها لقارئ عربي لا يعرف غير هذه اللغة، ولكن هذا غير مقبول في نظري، فالعناوين أو الجمل المحذوفة هي جزء من نص، وليس يجوز إجراء أي تغيير مهماً كان بسيطاً في النص، وإذا وجد المعرب نقصاً أو خللاً فيه أو غلطاً أو حاجة إلى إيضاح، فيمكنه القيام بذلك مشكوراً في الحواشي، مع الإشارة إلى أنها منه، أو في استدراكات يضعها في آخر كل فصل، أو في آخر الكتاب.

ومن هذا القبيل ما ورد في الصفحة ٢٥٧ من التعريب عن الحسن البصري، ففيه زيادات لم ترد في النص الألماني، كما أنه نسي فيه ذكر بعض الموارد التي ذكرها «بروكلمن» في النص، مثل الحاشية رقم ١ المذكورة في الصفحة ١٠٢ من النص الألماني للملحق الأول[١]، ومثل إهماله نحو سطرين مدونين في هذا الملحق بعد جملة: «وقبره مشهور بها الآن»[٢]، وهما مهمان، وهذا نصهما بالألمانية:

S, Niebuhr, Reiseber, I I, 222, Zitiert Socin, Diwan aus Centrala- Rabien nõ 68, 16, fihr, 185, Shahrastinī ed, Cureton 52.[(3)]

ومثل إهماله جملة «ابن الجوزي» الواردة بعد «الحلية» لأبي نعيم، وعدم تقيده بالنص كما في (ابن العماد: شذرات الذهب ١ : ١٣٨)[٤]، إذ وضعه على هذه الصورة: «شذرات ابن العماد ١ : ١٣٨»[٥]، وهذا الوضع وإن كان صحيحاً، مخالف للنص الألماني، وفيه تصرف، ولا يجوز قطعاً التصرف في نص ما.

وقد أهمل في الصفحة (١٨٠) جملة تتألف من نحو ثلاثة أسطر، تجب إضافتها بعد فقرة «وخطبة الشيخ للرئيس»، حذفها كلها مع أنها في شرح العنوان ومدونة في

---

(١) Suppl, I, S102, anm, I.

(٢) النص المعرب ص١٠٢.

(٣) Suppl, I, s, 105.

(٤) Suppl. I, s. 102.

(٥) النص المعرب ص٢٥٧.

الأصل الألماني بعد العنوان العربي، وتعدّ جزءاً من الكتاب[1]، وعوض عنها بهذه العبارة: «طبع ليدن، باتافيا ١٦٢٩» وهذا الحذف تصرف لا يجوز وقوعه، ما دام مذكوراً في النص.

وأضاف في الصفحة (١٧٩) كلمة «مجلة» قبل كلمة المشرق، فصارت على هذا النحو: «مجلة المشرق». وهذه الزيادة وإن كانت غير مخلة بعنوان المجلّة، أي المورد المذكور في النص الألماني، مخلة بطريقة الترجمة التي يجب أن يحافظ فيها على النص محافظة تامة.

ففي النص الألماني كلمة (مشرق)[2] فقط. فكان عليه أن يطبعها بهذه الصورة محافظة على الأصل، وليست الكلمة بعيدة عن قرّاء هذا الكتاب.

وقد نسي المعرب في مواضع كثيرة من الكتاب الإشارة إلى الأجزاء والصفحات المذكورة في النص الألماني للموارد فاكتفى بالصفحة ٢٦١ مثلاً بذكر اسم المورد وهو «بحار الأنوار»، دون أن يشير إلى الجزء من وإلى الصفحة مع إنهما مذكوران في النص الألماني. حيث ورد: «بحار الأنوار ٢/١٨». أي الجزء الثاني، الصفحة ١٨، ويقع الكتاب كما هو معروف في أجزاء عديدة، ولا يمكن العثور عليه إلا بالرجوع إلى الصفحة والجزء.

ومن هذا القبيل إهماله الإشارة إلى الصفحة التي يجب الرجوع إليها في «كتاب المعارف لابن قتيبة»، مع أنها مذكورة في النص الألماني ورقمها (١٥٨)[3].

ومن هذه الأوهام ما أورده في الصفحة (٢٣٢) من ترجمته: إذ جاء فيها: (وقيل إن هناك قطعة من ديوانه بالموصل مكتبة داود ٤، ٩٩)، وقد ورد في النص الألماني «٤، ٩٩، da ud». وقصد «بروكلمن» بذلك: «كتاب مخطوطات الموصل» المطبوع ببغداد سنة ١٩٢٧ للدكتور داوود الجلبي، لا مكتبة تسمى «مكتبة داوود» كما توهم ذلك الدكتور. وتجد أشارة إلى ذلك في الصفحة (٩) من الملحق الأول للنص الألماني وفي الصفحة ٢٩ من الترجمة.

وقصد (بروكلمن) بالرقم ٩٩/٤ رقم الديوان في كتاب مخطوطات الموصل.

---

(١) Suppl, I, s, 75.

(٢) Suppl, I, s, 75.

(٣) راجع النص المعرب ص٢٥١، وقابله بالنص الألماني: Suppl, I, s, 101.

والرقم ٤ هو رقم الإشارة إلى الكتاب، وهو على هذه الصورة: «٤ ديوان ناقص الأول والآخر، قد كتب عليه ديوان الجعدي». وأما الرقم ٩٩، فهو رقم الصفحة من كتاب مخطوطات الموصل. والديوان المشار إليه هو من جملة المخطوطات المحفوظة في «مدرسة الحجيات» بالموصل.

وقد وقعت في الكتاب غلطات مطبعية، فجعلت سنة وفاة الحسن البصري سنة ٧٣٨ للميلاد[١]، وصوابها سنة ٧٢٨ للميلاد في الأصل الألماني المقابلة لسنة ١١٠ للهجرة[٢]. وصير المرجع (فاتيكان) ١٢٤٢، ١١ الوارد في الأصل الألماني[٣]. على هذا النحو (فاتيكان ثالث ١١ و١٢٤٢)[٤]. وقد كان عليه أن يطبعه أما (٥) أي رقماً كما هو في الأصل وإما «خامس» كما يجب أن يكون، والمراد بالرقم المجلد الذي يجب الرجوع إليه، وقد طبع هكذا (v) وفقاً للطريقة اللاتينية في الأصل الألماني.

وقد وجدت أن الدكتور المترجم قد سها في مواضع أخرى في فهم الأرقام اللاتينية، فجعل الرقم (v) الوارد في الصفحة ٧٤ من الملحق الأول الألماني ثلاثة[٥]. بينما هو (٥) كما هو معروف. وقد سها في مواضع عديدة أخرى في نقله هذه الأرقام إلى أرقام عربية.

وقد لاحظت أن المترجم لم يتقيد بما ذكره في مقدمته من أنه سلك في «ترجمة هذا الكتاب طريقة المزج والتأليف بين الكتاب الأصلي وملاحقه، مع ملاحظة الطبعتين الأولى والثانية للكتاب الأصلي، بحيث يتحصل من كل ذلك كتاب موحد النسق، متصل الموضوعات، وهذه هي الطريقة التي ارتضاها بروكلمن نفسه، ووضع هو خطتها لترجمة الكتاب بعد أن استشارته في ذلك الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية، وحصلت على موافقته وإذنه في الترجمة سنة ١٩٤٨»[٦]. إذ وجدته، يعتمد على الطبعة الثانية للأصل المطبوعة سنة ١٩٤٣ بالدرجة الأولى، ويهمل الطبعة الأولى، في أكثر الأحيان مع أن في الطبعة الأولى أموراً لم ترد في الطبعة الثانية. والطبعة الثانية هي

---

(١) راجع الصفحة ٢٥٧ من النص المعرب.
(٢) راجع النص الألماني. Suppl, I, s, 105.
(٣) Suppl, I, s, 45.
(٤) راجع الصفحة ١٨٠ من النص المعرب.
(٥) الصفحة ١٧٦.
(٦) الصفحة ١٥.

والملاحق التي صدرت قبلها أو بعدها جزء مكمل للأصل الأول القديم، فكان على المعرب الانتباه لذلك، واعتبار الكتاب كله: الأصل القديم والطبعة الثانية والملاحق، أصلاً واحداً لا يجوز التصرف فيه ولو بكلمة واحدة، لأنه كما قلت سابقاً كتاب واحد وأصل يرجع إليه، ولا يجوز التصرف في نصوص الأصول.

كما لاحظت أيضاً إن الدكتور لم يتقيد بنص الطبعة الثانية تقيداً حرفياً، فأهمل بعض الأشياء، حين اعتمد على الطبعة الأولى أو على الملاحق. والظاهر أن اعتماده على هذا الأصل القديم في بعض الأحيان أو على الملاحق كان ينسيه الرجوع إلى الطبعة الثانية التي عدّها الأصل الأم، أو إلى الأجزاء الأخرى الأصل أو الملاحق، فأضاع بهذا السهو جملاً وعبارات وألفاظاً هي من صميم المادة ومن أصل الكتاب. وما على القاريء المتقن للألمانية إلا أن يقابل بين النص المعرب والنصوص الألمانية، وسيرى بعينيه أمثلة عديدة على ما أقول.

وقد كان على المترجم أن يراعي أسلوب المؤلف في التعبير ويتقيد به أيضاً، وفاء لأصول الترجمة، وأداء للأمانة. فكان عليه إن يعبر عن التعجب بالتعجب، وبالسؤال إن كان الأصل الألماني سؤالاً، وبالماضي إن كان الأصل بالماضي، وهكذا. وإلا أخرج الترجمة عن نطاق الترجمة، وأساء إلى الأصل وإلى بلاغته وأسلوبه في التعبير. خذ مثلاً ما جاء في الصفحة ٢٥٠ من النص العربي، وهو ٣١ «زياد بن أبيه أخو معاوية من أبي سفيان. قيل: إنه أول من صنف كتاباً في المثالب، ودفعه إلى ولده قائلاً لهم: استظهروا به على العرب، فإنهم يكفون عنكم» وقابله بالأصل الألماني في الصفحة ٦٣ من الطبعة الثانية، وهو:

"Ia Ob Ziyad, der Halbbruder und Statthalter des - Mawiya, Wirklich ein Buch uber Verdachtige Familingeschichten Verfasst hat, das seine sohnen als Waffe gegen die stichelani aufihre abstamung dienen solltedarf man bezwefeln".

ترى بين هذين النصين بوناً شاسعاً في أسلوب التعبير وفي النصين أيضاً. فالنص العربي على قصره يختلف عن هذا النص القصير الذي اقتبسته على سبيل المثال.

وهاك مثالاً صغيراً آخر ورد في الصفحة ٢٥١ من النص المعرب هو: «وفي هذه الأخبار أشعار كثيرة على مذاهب أيام العرب». وهي على رأي الدكتور ترجمة لجملة:

"Die erzahlung ist nach dem Muster der Aiyann al - Arab mit Gedichten reichlich durchsetzt".

الوارد في الصفحة ١٠٠ من الملحق الألماني الأول. فهل ترى بين الجملتين على قصرهما توافقا؟

لقد كان على الدكتور أن يعبر عن هذا النص الألماني بهذه العبارة: «والقص على طريقة أيام العرب، فيه أشعار كثيرة»، ويقصد المؤلف بذلك طريقة كتاب: أخبار عبيد ابن شرية الجرهمي، المطبوع.

وضبط المترجم لفظة «التلاميذ» الواردة في نسب الشنقيطي «محمد محمود بن التلاميذ» على هذا النحو «التلاميد». أي بالدال[1]. ضبطها على نحو ما اشتهر بها وعرف[2]، أما المؤلف بروكلمن فقد ضبطها بـ«التلاميذ»، ولما كان الكتاب ترجمة، فقد كان على المترجم ضبط اللفظة على نحو ورودها في الأصل المترجم عنه. وعليه إبداء رأيه في ذيل الصفحة، مع الإشارة إلى ذلك، ليميز القاريء رأي المترجم من رأي المؤلف.

وقد وجدت الدكتور يتوسع في العبارات، في مواضع لا تحتاج إلى هذا التوسع، فيورد جملاً وكلمات للتعبير عن عبارة ألمانية كان في وسعه التعبير عنها بإيجاز واختصار، وبألفاظ لا تزيد على النص الألماني. وقد وقع في ذلك، بسبب عدم جلاء الفكرة ووضوحها للمترجم على ما أظن، وبغموض في التعبير وقع لديه، فجاء يستجليه بعبارات مطولة، كما يفعل كثير من المترجمين حينما يجدون أنفسهم في مثل هذه المواقف. وقد يقع أيضاً بسبب التسرع والعجلة، وعدم هضم الفكرة، والرغبة في تقديم العمل بسرعة. وكلها أمور يجب ألا تقع، ولا سيما في كتاب علمي وأصل من الأصول مثل هذا الكتاب يرجع إليه. وفي الإمكان تلافيها بإعادة النظر في الأصل مراراً لفهمه فهماً صحيحاً ومراجعة آخرين لاستشارتهم في مضمونه ومعناه، ثم سبكه بأسلوب عربي مشرق يراعي فيه الإيجاز على طريقة العرب في البلاغة. مع أداء للمعنى مطابق له كل المطابقة.

ولاحظت أن المعرب يتوسع أحياناً باقتباس جمل وعبارات من المورد العربي الذي استند إليه المؤلف، مثل الفهرست وغيره، يضيفها إلى المتن أي الأصل، مع أنها غير موجودة فيه، وغايته من ذلك الإيضاح توضيح النص للقاريء على ما أظن. ذلك

---

(١) الصفحة ١٠٨ و٢٨٩.

(٢) اشتهر والده بالتلاميد تصحيف التلاميد فعرف بابن التلاميد، الأعلام ٧/ ٣١١.

لأن المؤلف قد اكتفى بالإشارة إلى المورد وبرمز في بعض الأحيان. فرجع المترجم إلى ذلك المورد لتوضيح ذلك النص، وقد يكون لتوضيحه بالنسبة إليه ليسهل له التعبير عنه. وعمل مثل هذا غير جائز في نظري، لسبب بسيط هو إبعاد النص المترجم عن النص الأصل.

ولاحظت أيضاً أن المترجم لا يتقيد بما وضعه المؤلف من رموز واختصارات للموارد المتكررة. تجنباً للتكرار والحشو وتضخم حجم الكتاب، فذكر مثلاً «فهرست ابن النديم» بينما هو فهرست في الأصل الألماني[١] ويقصد المؤلف به فهرست ابن النديم، كما أشار إلى ذلك في موضعه، وذكر فهرست كتاب الأغاني، بينما هو على هذه الصورة في النص الألماني (ag - index)[٢]. اغا فهرست، أي أغاني: فهرست، فهرست الأغاني، وذكر الشعر والشعراء لابن قتيبة[٣]، بينما هو في الأصل الألماني «ابن قتيبة: الشعر» حتى إن المؤلف اختصر لفظة «ابن» بـ«b»، وذلك تجنباً لتضخم حجم الكتاب، وذكر «إرشاد الأريب لياقوت»[٤] بينما هو «ياقوت: إرشاد» في الأصل الألماني[٥]. وكتب «لايل في شرح المفضليات ٢: ٨» (المقدمة)، بينما هو على هذه الصورة في الأصل الألماني:

Laylla Mfddl, Ii, xlll[6]

وتفسيره (لايل) مفضليات ٢ و١٣، ويلاحظ أن المترجم قد أخطأ في فهم الرقم (xlll) الروماني، فظنه ثمانية، بينما هو ١٣، وذلك لأن (x) هو اختصار عشرة لا خمسة كما توهم ذلك، فالمجموع هم ٣ + ١٠ أي ١٣ أما الخمسة فيرمز إليها بـ(v).

وهنالك أمثلة عديدة من هذا القبيل يخرجنا سردها من صلب هذا الموضوع. وقد أشرت إلى ما ذكرت، لأن طريقة المعرب هذه ستزيد في حجم الكتاب ضخامة. وهذه الزيادة وان كانت كلمة أو كلمتين، تكون في الواقع جملة صفحات في الأخير، وهي

---

(١) الصفحة ٥٣ من النص المترجم، قابلها بالصفحة ١٠١ من نص الملحق الأول، وفي الصفحة ٢٥١ وفي أكثر المواضع التي يرد فيها اسم هذا المورد.

(٢) الصفحة ٢٦٢ من النص المترجم، وصفحة ١٠٥ من النص الألماني في الملحق الأول.

(٣) الصفحة ٢٤٥ وفي مواضع عديدة أخرى.

(٤) الصفحة ٢٤٦.

(٥) الملحق الأول ص٩٨.

(٦) الملحق الأول ص٩٨.

زيادة لا حاجة إليها، لأن قراء هذا الكتاب من الاختصاصين أو المتقدمين في الثقافة، فليست بهم حاجة إلى مثل هذه الزيادات، ثم إن المترجم لم يتقيد بطريقة واحدة، بل نراه يجاري المؤلف في أسلوبه في مواضع أخرى في الأخذ برموزه، مما يدل على أنه لم يسر على خطة واحدة وطريقة معينة في الإشارة إلى الموارد، وكان عليه كما قلت التقيد بقيود المؤلف، لأنه جاء هنا ترجماناً للمؤلف، وعلى الترجمان أن يلتزم التدقيق ويتجنب التصرف، ولا يسلك الطريق الذي يهديه فهمه للترجمة.

وقد لاحظت أن المترجم لم يتقيد باستعمال المصطلحات العربية المتعارفة في أيام العباسيين وقبلهم في مقابل المصطلحات الألمانية، فترجم لفظة: «Anhanger» الواردة في جملة: «Senim Anhanger» «Al-Mufabbil» «بلفظة تلميذ فكتب: «وروبت بعض مصنفات لتلميذ جعفر الصادق: المفضل بن عمر... الخ»[1]، بينما يريد المؤلف بهذه اللفظة مصطلح «أصحاب» المستعملة في كتب الرجال. فانك إذا قرأت كتب الفرق وكتب الرجال عند الشيعة، تجد فيها: «أصحاب الصادق». وجملة «ومن أصحاب الصادق». فكان على المترجم أن يقول: «ومن أصحابه»، أو أن يستعمل ألفاظاً عربية أخرى قريبة منها على الأقل، مثل «من أشياعه» و«من أتباعه» أو «من مواليه»، وهذا الاصطلاح مستعمل في كتب الشيعة إذ نجد فيها: «ومن موالي الصادق»، أي الموالين له. أما استعمال «تلميذ» في مقابل تلك اللفظة الألمانية، فاستعمال خطأ بالطبع، فان للفظة تعبيراً آخر في الألمانية هو: «Shuler»، وتطلق على تلامذة المدارس ممن هم دون مستوى الجامعة في الغالب. ولو أراد المؤلف هذه الكلمة، لاستعملها في كتابه، وبين اللفظتين فرق كبير[٢].

ولاحظت أنه لم يحسن تعريب الموضع المذكور، فكتب: «وروبت بعض مصنفات لتلميذ جعفر الصادق: المفضل بن عمر الجعفي، الكوفي، الذي انقطع بعده إلى أبي الخطاب محمد بن أبي زينب مقلاص، الأجدع الأسدي الكوفي، رأس الغلاة الخطابية، وقتل معه في الكوفة سنة ١٤٥\ ٧٦٥، وكان عليه ان يعبر عن النص الألماني

---

(١) راجع الصفحة ١٦٥.

(٢) عده الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الصادق، فهرست الطوسي ص١٦٩، طبعة النجف، في تسمية الفقهاء من أصحاب أبي جعفر، معرفة أخبار الرجال للكشي ص١٥٥، وراجع أيضاً الصفحة ٢٠٦ وما بعدها، عن: المفضل.

بمثل هذه العبارة: «وذكرت لصاحبه المفضل بن عمر الجعفي الكوفي الذي انقطع فيما بعد لأبي الخطاب محمد بن أبي زينب مقلاص، الأجدع. . .»، وقد وقع خطأ في سنة وفاة: «المفضل» الميلادية إذ جعلها المعرب ٧٦٥، وهي ٧٦٢ في النص الألماني[1]. كما أنه أهمل ذكر الجزء والصفحة من كتاب بحار الأنوار للمجلسي، فلم يذكرهما، وهما في المستدرك الملحق وعلى الصفحة ٩٣٩.

وهناك أمثلة عديدة من هذا القبيل ترد في كتب الفلسفة والرجال والفرق، لم يلتفت إليها السيد المترجم، بل استعمل لها ألفاظاً، من مثل الاستعمال المتقدم، هي، وأن أدت المعنى، لا تعبر عن مصطلح العلماء العرب، ولا عن رأي المؤلف الذي أخذ مصطلحات من مصطلحات أولئك العلماء.

هذا ولا بد لي من تنبيه الدكتور النجار على وجود أخطاء في الأصل الألماني، فاتت المؤلف الكبير «بروكلمن»، يجب على الدكتور المترجم التنبيه عليها والتنبه لها، يتعلق بعضها بأسماء المؤلفين، وبعضها بعناوين الكتب، وبعضها بالتواريخ، فحبذا لو تفضل الدكتور بالتنبيه عليها.

هذا ولا بد لي من تنبيهه أيضاً إلى ضرورة ترويه في تصحيح تجارب الطبع، وتأنيه في قراءتها. ذلك لأن هذا الكتاب لا يشبه الكتب الأخرى. انه مرجع ومتن، وكل خطأ مطبعي يقع فيه يحاسب المعرب عليه. فغلطة مثل «اشعار المتلس» الواردة في الصفحة ٢٩٠ من فهرسته وان كانت ظاهرة واضحة - قصد المترجم بلفظة «المتلس» المتلمس - لكنها غلطة على كل حال من الممكن تلافيها بالصبر والتأني وفي مطالعة تجارب الطبع، وغلطة مثل «غرر الحكم ودر الكلم» الواردة في الصفحة ٣٠٢ من هذا الفهرست، وان كانت ظاهرة تدرك بالرجوع إلى الصفحتين ١٧٩ و١٨٠، حيث نجد«غرر الحكم ودرر الكلم»، لكنها غلطة أيضاً، ومن الطريف أن المترجم قد وقع في غلط مطبعي في رقم الصفحة، إذ ذكر الرقم ٧٩ بدلاً من ١٧٩ وهو الرقم الصحيح. فعندما طلبت المقصود في الصفحة ذات الرقم ٧٩ لم أجده وبقيت أفكر فيه حتى انتبهت إلى الصفحة ١٧٩ فعثرت عليه فيها. وهناك أغلاط عديدة من هذا القبيل وقعت في المتن وفي الفهارس. وقد نبهت إلى بعضها فيما سبق. وفي الأمثلة المذكورة كفاية للتنبيه، فلا حاجة بي إلى المزيد.

---

(١) الملحق الأول الصفحة ١٠٤.

والأخطاء المطبعية الواردة في الكتاب المترجم مزعجة حقاً. وجدت لفظة (النوبختي) في الفهرست الذي رتبه المترجم ووجدت أمامها الرقم ٢٢٦ أي رقم الصفحة الواردة فيها هذا الاسم من النص[١]. فلما رجعت إلى الصفحة المشار إليها وجدتها تتحدث عن الرجز ولا علاقة لها بأي موضوع هو من اختصاص النوبختي، صاحب كتاب الآراء وديانات الشيعة. وبعد مطالعتي للكتاب ورجوعي إلى اسم الكتاب في الفهرست ص٢٨٩ وجدت أنه في حاشية الصفحة ٢٦٠. وان الرقم ٢٢٦ هو خطأ مطبعي.

وقد كان من الواجب على المترجم وقد اتعب نفسه في وضع فهرست مفصل للكتاب المترجم إحصاء كل ما ورد في الكتاب من أسماء كتب وأسماء مؤلفين حتى يكون فهرسته كاملاً تام الفائدة، ولكني وجدته نسي ويا للأسف أسماءاً عديدة. كنت أطالع الصفحة ١٧٦، فوجدته يشير إلى كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة، لمحمد حسن جـ ٢ ص٤٣١٤، وقد لفت نظري الرقم ٤٣١٤ لضخامته. ورجعت إلى فهرست المترجم الدكتور النجار، فلم أجده في الصفحة ٢٨٤ وفيها محمد، ثم رجعت إلى حرف الذال في فهرست أسماء الكتب، فلم أجده فيه، واضطررت عندئذ إلى مراجعة مكتبة المجمع للرجوع إلى أصل كتاب الذريعة، فوجدت المترجم قد أخطأ في تثبيت رقم الجزء إذ دونه ٢ بينما هو ٣ وقد نص عليه بالحروف حيث جاء (الجزء الثالث) وهو في الكتب التي يبدأ اسمها بحرف الباء والتاء، ثم وجدته قد أخطأ في الإشارة إلى الصفحة إذ هي ٢٠٥. وكان الواجب عليه الإشارة إلى رقم الكتاب في هذه الصفحة وهو ٧٥٨. ولا أدري من أين جاء المترجم الدكتور عفى الله عنه بهذا الرقم الضخم ٤٣١٤. كما وجدته وضع لفظة «الحيدري» بدلاً من «الكيدري»، التي هي نسبة إلى قطب الدين أبو الحسن محمد بن الحسن البيهقي النيسابوري. كما هو مثبت في كتاب الذريعة[٢].

وقد تبين لي بعد بحث، أن هذا الرقم الضخم هو حاصل غلط مطبعي، نتج عن إضافة رقم ٤ خطأ على يمين الرقم الصحيح الوارد في الجزء الثالث من كتاب الذريعة وهو في ترجمة الكيدري، فتولد من هذا الغلط هذا الرقم الكبير.

---

(١) الصفحة ٢٨٦.

(٢) الجزء الثاني الصفحة ٤٣١.

هذا بعض ما وجدته في النص المترجم في أثناء مراجعاتي السريعة له. وهي ملاحظات أرى من الإنصاف أن أقول أنها، لا بد أن يقع فيها كل إنسان ولا سيما إذا قام بمثل هذا العمل المضني بصورة منفردة ومن غير مشاركة أحد.

وبعد، فاني اقترح على الدكتور النجار أن يتفضل بإشراك جماعة من الاختصاصيين معه في العمل ممن يطمئن إليهم، لأن الكتاب ضخم كبير، وهو يتناول موضوعات متعددة، ليس من السهل على رجل واحد الإحاطة بها، ليقابل معهم ما يعربه بالنص الألماني، فيضبط بذلك الأسماء والعناوين والأرقام ضبطاً صحيحاً، ويستعين بمن يعرف منهم اللغة الفارسية والتركية في ضبط العناوين المدونة بهاتين اللغتين والتي ترد في النص الألماني، كما عليه الاستعانة بخبراء المخطوطات في ضبط العناوين والأسماء والرجوع إلى فهارس المخطوطات في إثناء وقوعهم في مشكل، ليكون العمل متقناً كاملاً معبراً عن الأصل كل التعبير.

فالكتاب، مرجع من المراجع الأمهات، يرجع إليه للضبط والاسترشاد، وهو ليس مثل الكتب الأخرى يعبر عن فكرة ورأي، فيجوز التساهل فيه بعض الشيء. وكل هفوة فيه وان كانت بسيطة، توقع المراجع من حيث لا يدري في خطأ. ولهذا وجب بذل الاعتناء كله في تدقيقه وفي المحافظة على الأصل من حيث الأداء والتعبير عن المعنى بأبين وجه، وبأسلوب عربي متين ولا سيما أنه من منشورات جامعة الدول العربية، وقد طبع بنفقة الإدارة الثقافية، وجامعة الدول العربية، أسمى هيأة دولية عربية، فلا يجوز إخراج شيء باسمها إلا بعد التأكد من جودته وإتقانه، وألا صار مأخذاً يأخذه عليها العلماء.

وإني أرجو من الدكتور الاستمرار في العمل والانصراف إلى نشر الكتاب كله: أصله وهو في جزئين، وملحقاته الضخمة، كما أرجو من جامعة الدول العربية مساعدته بتمكينه من نشره بالسرعة الممكنة وتفضيل عمله على غيره من حيث الأهمية في النشر، بعد ملاحظة المسائل المذكورة وهفوات أخرى، لم يسمح لي الوقت بالتطرق إليها، وملاحظات آخرين من أصحاب الخبرة والدراية، وهو عمل سيحتاج إلى سنين ولا شك، لصعوبته وضخامته وتشعبه. وألا ضاع الجهد، وبقيت الحاجة إلى الكتاب، باقية كما هي وبقيت كل نفس متعلقة به. ولست أظن أن الجامعة ستهمل الكتاب وتتركه بعد أن بلغ هذه المرحلة.

الجزء الثاني من كتاب ملحق فهرست المطبوعات العربية المحفوظة في المتحف البريطاني ٢٠٦٣[*] ط. سنة ١٩٥٩م

أصدر مجلس أمناء المتحف البريطاني الجزء الثاني من هذا الكتاب:

Second Supplementary Cataloge of Arabic Printed Books in the Britisch Museum.

وهو في ١١١٣ صفحة من القطع الكبير. صنفه خازن كتب المتحف «السيد إسكندر فلتن» «Mexander S, Fulton» والمساعد السيد «مارتين لنكس» «Martin Langs»، وضمنه كل الآثار العربية المطبوعة التي دخلت خزانة المتحف البريطاني من سنة ١٩٢٦ إلى ١٩٥٧م. ورتبه على الحروف الهجائية لأسماء أصحاب الآثار المطبوعة. كما رتبه على أسماء الآثار، ليساعد في معرفة أسماء أصحابها إذا كان المراجع على جهل به. وقد جعل المصنف أمام كل أثر اسم صاحبه، وعدد صفحاته، وسنة طبعه، وحجم الأثر، وعدد أجزائه، وموضع طبعه، ورقمه الذي وضع له في المتحف البريطاني، وأضاف قسماً ثالثاً بالموضوعات. فإذا كان الأثر في الفرق، رجعت إلى هذا القسم، وإذا كان في التأريخ رجعت إلى القسم المعنون تأريخ، وإذا كان في الأدب رجعت إلى موضوع «الأدب»، وهكذا، وذلك ليساعدك على الوقوف عليه بسرعة ان قصدت خزانة كتب المتحف وأردت الحصول على أثر من هذه الآثار.

وقد جعل المصنف كل صفحة من صفحات فهرسته الكبيرة الحجم عمودين، وطبع كتابه طبعاً متقناً، ووضع عناوينه بحروف لاتينية على طريقة المستشرقين المقررة، وبحروف عربية في أكثر الأحيان، ومع صعوبة تنضيد مثل هذا الكتاب، المحتوى على عناوين وأسماء يجب أن تكون مضبوطة ضبطاً صحيحاً، ومع أن المنضدين هم بريطانيون لا يفقهون شيئاً لا من العربية ولا من الموضوع الذي ينضدون كتابته، فإنهم قد أجادوا إجادة كبيرة في الطبع وفي الإتقان وفي الضبط والدقة، وفي فن الطباعة، فخرج الكتاب نظيفاً خالياً من الخطأ المطبعي، مجلداً تجليداً أنيقاً، وقد جعل سعره ١٣ جنيهاً إنكليزياً. وهو بالطبع مرجع مهم لهواة الكتب، وسجل سيكون سنداً للباحثين يرجعون إليه في المتحف وفي خارجه للوقوف على الحركة الفكرية للعالم العربي في النصف الأول من القرن العشرين.

(*) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي العدد ٧ لسنة ١٩٦٠، ص٣٥٢ - ٣٥٣.

حضرت عمركي سركارى خطوط(*)

هذا كتاب من منشورات «ندوة المصنفين»، ومن مؤلفات السيد «خورشيد أحمد فاروق» أستاذ الأدب العربي في جامعة «دلهي» «دهلي يونيورسطى». وقد طبع سنة ١٩٥٩ في ٦٥٤ صفحة من القطع الوسط. وهو جمع وحصر لأوامر الخليفة عمر ابن الخطاب وكتبه إلى ولاته وعماله، وقد ترجمها وشرحها الأستاذ باللغة الاوردية، ليقف عليها المتتبعون للدراسات الإسلامية في الهند.

وقد قدم الجامع لهذه الأوامر والكتب إلى أصحاب الدراسات الإسلامية خدمة كبيرة، يجمع كل شتاتها ومتفرقاتها في مؤلف واحد، وضبطها في مكان محدود، إذ هي كما يعرف القراء مبعثرة منثورة في كتب عديدة، يصعب على الراغب في الوقوف عليها الإلمام بها، والإحاطة بها جملة، للاستفادة منها في الوقوف على آراء الخليفة وأحكامه في عهد خلافته. ولهذا، فقد أفاد الأستاذ «خورشيد» طلاب الدراسات الإسلامية فائدة كبيرة بجمعه لهذه الأوامر من موارد مختلفة ومتعددة أشار إليها في ذيل الكتاب، وحصرها في مجلد واحد، كما أفاد القراء بشروحه الثمينة وبتعليقاته النفيسة عليها.

والكتاب وان كان باللغة الاوردية مرجع مهم أيضاً للذين لا يعرفون هذه اللغة، ففي استطاعة القارىء العربي، الاستفادة منه بالرجوع إلى هذه الرسائل والأوامر، لتكوين رأي في حكم عمر وآرائه، لأنها مطبوعة بأصولها العربية، وهي مجموعة كلها في هذا الكتاب.

وقد زين المؤلف كتابه بخارطات للمواضع التي تتعلق بها الرسائل والأوامر، وشفعها بشروح وإيضاحات لتلك الأماكن وتأريخ فتحها، كما كتب سير الأشخاص الذين عنونت الرسائل إليهم، وسير رواتها، وكل ما يتعلق بها، فالمؤلف مورد ثمين للباحثين عن هذا العهد الخطير من تأريخ صدر الإسلام.

(*) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي العدد ٧ لسنة ١٩٦٠، ص٣٥٣ - ٣٥٤.

في عالم الكتب والاستشراق(*)

لجأت بعض الجامعات ودور النشر إلى إصدار مجلات ونشرات خاصة بالمؤلفات في الأمور الفكرية، المطبوعة والمخطوطة. وذلك لغرض التعريف بالنتاج العقلي لقطر معين أو لمنطقة معينة ذات تراث مشترك ولغة واحدة. ومنها ما هو عام، يتعرض لكل ما هو جيد ومفيد من تراث إنساني.

والنشرات المذكورة هي في لغات مختلفة، منها ما هو بلغة إنكليزية وهو الغالب، لسعة انتشار هذه اللغة وكثرة من يفهما من غير الإنكليز، ومنها ما هو بلغة فرنسية أو ألمانية أو روسية أو إيطالية أو إسبانية. وقد اهتمت بعض دور النشر والمكتبات الأهلية في البلاد العربية بإصدار نشرات أو مجلات بالتعريف بالمطبوعات العربية. ولكنها قليلة، وقد مات أكثرها في مهده، لعدم تمكن ناشريها من سد نفقات النشر وعدم استفادتهم مادياً منها في الدعاية والإعلان. ولمعهد المخطوطات في الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية مجلة خصصت للبحث في المخطوطات.

ومن المنشورات الخاصة بالآثار الأدبية والفكرية بوجه عام، الصادر باللغة الانكليزية مجلة بعنوان: «Books Abroad»، وتصدرها «جامعة اوكلهوما» «Oklahoma Univeristy» أربع مرات في السنة. وهي عامة لا تخص قطراً بعينه. بل تبحث عن ثمار الفكر في كل مكان: في أميركا وأوربا وآسيا وأفريقيا واستراليا. ولهذا تجد في إعدادها موضوعات متعددة عن الأدب والتأليف في أميركا وإنكلترا وألمانيا وفرنسا وروسية وغير ذلك من الأماكن. كما تجد فيها أبحاثاً في حياة أديب معين معاصر أو ميت مشهور أو نقداً لبعض المؤلفات أو تقريضها.

وغالب موضوعاتها عن الأدب الإنكليزي أو الألماني أو الفرنسي أو الايطالي أو الاسباني، وذلك لان الكتاب في هذه اللغات يجيدون اللغة الانكليزية لغة هذه المجلة. وقد تجد فيها بحوثاً عن الأدب العربي المعاصر أو الأدب الفارسي أو الأدب التركي،

(*) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي العدد ٧ لسنة ١٩٦٠، ص٣٥٥-٣٦٥.

بقلم كتاب إنكليز أو أميركان، وذلك لعدم إقبال الكتاب العرب ويا للأسف على كتابة مقالات بلغات أجنبية عن الحياة الفكرية في بلادهم، خصوصاً في الأيام الحاضرة، لعوامل عديدة لا مجال لتفصيلها في هذا المكان.

أما نشرة «Books to Come»، فتصدر ست مرات في السنة بمدينة «نيويورك»، وتحتوي على أسماء الكتب والنشرات التي تصدر في الولايات المتحدة في كل الموضوعات، حتى الرياضة البدنية والسينما وأمثالهما. وهي متسلسلة على حسب الموضوعات وفقاً للغة الإنكليزية، ومرتبة وفقاً للأبجدية اللاتينية. وبحسب ظهور المؤلف بالنسبة إلى الشهور، فتجد فيها أسماء آلاف من الكتب والنشرات التي ظهرت في الولايات المتحدة مرتبة حسب تأريخ ظهورها في الأسواق. ويحتوي كل عدد على مسردين «فهرسين». مسرد لأسماء المؤلفين ومسرد للعناوين.

وهناك نشرة شهرية للكتب التي تطبع في الولايات المتحدة وعنوانها: «Books from the U, S, A» تصدرها دار «Frederic G, Melcher» للنشر. في مدينة «نيويورك». تضم الكتب التي تنشر في أميركا. كما تنقد بعض الكتب المهمة على اختلاف فروعها وأنواعها، وتحتوي أيضاً على خلاصة لأحدث ما يطرأ على الفكر الأميركي الطريف أو التليد، من تحول أو ابتكار أو تحوير، وقد يقرن ذلك بالصور وبالنماذج المصورة لزيادة الإيضاح.

وتساعدك نشرة «Cleaver Hume Press ١٩٦٠»، التي تصدرها دار النشر المعروفة بهذا الاسم في لندن مساعدة كبيرة في الوقوف على ما يطبع فيها أو في غيرها من كتب في كل فروع المعرفة الإنسانية. وفيها فصول خاصة بأسماء الكتب المطبوعة في العلوم. وأسماء المجلات العلمية المتعلقة بالعلوم عامة أو بنوع واحد منها. كما تجد فيها أسماء المجلات والمؤلفات الروسية العلمية المنقولة إلى اللغة الانكليزية.

وتؤدي دار النشر المعروفة بـ«E, J, Brill» بمدينة «لايدن» في هولندة خدمة كبيرة إلى الاستشراق بإصدارها نشرات دورية عديدة في التعريف بالكتب المتعلقة بشؤون آسيا وإفريقيا، فلها نشرات أسبوعية وشهرية بالمؤلفات التي تظهر في كل مكان من العالم عن تينك القارتين، بمختلف اللغات، بما في ذلك المؤلفات المطبوعة في آسيا وفي إفريقيا بلغات أممها وشعوبها. وفيها تعريف مختصر بالمؤلف بعدد صفحاته واسم مؤلفه وناشره ومكان طبعه وسعره. سواء كان المؤلف من مطبوعات هذه الدار المعروفة أم دار أخرى. وتصدر هذه النشرات بالانكليزية والألمانية ولغات أخرى.

هذا بالإضافة إلى النشرات التي تصدرها الدار والمعروفة بعنوان «Brills Catalogue». وقد صدر منها مئات الإعداد، فان لها نشرات بعنوان «Brills News». تحتوي على إخبار كل ما هو جديد في عالم الكتب. بشيء من النقد والتفصيل. وهي نشرة مهمة جداً لمن يريد توسيع معارفه وزيادة علمه بأحوال الشرق.

ولهذه الدار فضل كبير على الشرق من ناحية أخرى: من ناحية نشرها المؤلفات المخطوطة القديمة والمؤلفات العلمية العميقة عن الشرق. وتعد مطبوعات «بريل» العربية اليوم من أهم المطبوعات من حيث الدقة والصحة، وهي نادرة، ولا تزال الدار دائبة على عملها العلمي الخيري هذا، وهي تساهم مساهمة كبيرة في نشر الموسوعة المعروفة باسم: «دائرة المعارف الإسلامية»، التي تصدر بثلاث لغات: الانكليزية والألمانية والفرنسية.

وتعد نشرات مكتبة «لوزاك Luzac بلندن من أهم النشرات المفيد في موضوع الاستشراق. وتصدر هذه المكتبة جملة نشرات أهمها بالنسبة للباحث في العربيات والإسلاميات النشرة المعروفة بـ «Luzac Oriental List and Book Review»، وهي منظمة ومرتبة ترتيباً وفق الموضوعات وعلى حسب حروف الهجاء لأسماء المؤلفين، وهي مورد مساعد كبير يساعد الطالب والاستاذ على زيادة معارفه في العلوم العربية والإسلاميات.

وتفيد مسارد (فهارس) الكتب التي تصدرها مكتبة «Ge Nabrink»، بامستردام بهولندة بعنوان: «Orintalia»، عشاق الكتب في العالم العربي فائدة كبير في إرشادهم إلى الكتب القديمة والحديثة المطبوعة عن القارات الثلاثة: آسيا واستراليا وإفريقيا. وهي منسقة على أساس الأبجدية المرتبة على أسماء المؤلفين والتوزيع الجغرافي، فإذا أردت كتاباً عن العرب مثلاً أو عن العراق رجعت إلى المسرد «الفهرس» العام، وهناك تجد أرقام الصفحات الباحثة في هذا الموضوع، وتقف عندئذ على أسماء ما نشر وما يوجد لدى هذه المكتبة من مطبوعات. وهي من المنشورات المطبوعة باللغة الانكليزية.

ولمكتبة «Routledge and Kegan Paul»، نشرة دورية بالكتب التي تطبعها، وهي في مختلف الفروع والموضوعات، مثل الرياضيات والطبيعيات والدين والعلوم الصناعية والتربية، وفي جملتها موضوعات الاستشراق. كما تقوم بتعريف الكتاب التي تطبع في أماكن أخرى في انكلترة وفي خارجها. ولهذا فهي مفيدة للراغبين في الوقوف على ما

يطبع عن البلاد الشرقية في اللغات الأجنبية وعن الموضوعات الأخرى ولا سيما الأدب والفن.

وتعنى دار النشر «Stevens and Sons» الانكليزية، بنشر نشرات دورية عن القضايا الأممية مثل السياسية العالمية والقانون الدولي والشؤون العسكرية والعلوم السياسية ما شابه ذلك من موضوعات، ولذلك فهي تفيد الباحثين في هذه الأمور.

وهناك نشرة شهريةٌ اسمها «Spanish Cultural Index»، تصدر بالإنكليزية، فيها أسماء ما ينشر في إسبانيا في مختلف فروع المعرفة: علمية وأدبية وفنية، مرتبة حسب الموضوعات، تصدرها «دائرة العلاقات الثقافية في الحكومة الإسبانية». وتجد فيها كذلك أخباراً لها صلة بالشؤون الثقافية مثل إقامة المعارض الثقافية الخاصة باللغة الاسبانية وتطور الكتاب الاسباني، وما ينشر عن هذه اللغة في العالم الخارجي، وهذه النشرة هي ترجمة لنشرة تصدر في اللغة الاسبانية عنوانها: «Indece Cultural Espanol».
ومن المجلات المعنية بالبحث عن الآثار الفكرية الإيطالية مجلة:

«Italian Books and Peridicals»، وتصدر باللغة الإنكليزية، تتضمن مقالات مركزة في موضوعات عن الفكر الايطالي، ونقوداً لبعض الكتب تعقبها فهارس للآثار التي تطبع في إيطالية في خلال الفترة التي تقع بين عدد وعدد آخر من المجلة، ترتب حسب الموضوعات والعلوم، وحسب الحروف الهجائية، والمجلة مرجع مهم لاغنى عنه لمن يريد الوقوف على الحركة الفكرية في ايطالية، ومرجع يستغنى به من يعرف اللغة الإيطالية، ويريد مورداً ايطالياً يستعين به في فرعه واختصاصه.

وتصدر في الهند نشرة إخبارية عن الشؤون الثقافية بعنوان:

«Cutalia News fron India»، يصدرها «المجلس الهندي للعلاقات الثقافية»، تتضمن البحث عن الأمور الثقافية في الهند، وتعريفاً بأهم الكتب والآثار الفكرية القيمة التي تطبع فيها، وأخبار الجامعات ودور النشر. وهي تصدر مرة واحدة في كل شهرين.

أما نشرة «Cutral News From Genmany»، فانها نشرة اخبارية تصدرها دائرة العلاقات الثقافية في ألمانيا الاتحادية بمدينة «بون» العاصمة. تتضمن كل ما يدخل في مصطلح «ثقافة» من أخبار. ففيها أخبار عن الكتب والنشرات الألمانية وفيها أخبار عن الموسيقى والمعارض والفن والجامعات وغير ذلك مما يهم القاريء الوقوف عليه عن أحوال الثقافة في ألمانيا الاتحادية.

أما نشرة:

«Monastberichte der Deutschen Akademie der Wissens haften zu Berlin» فـانـهـا نشرة إخبارية يصدرها «المجمع العلمي الألماني ببرلين» بالمطبوعات العلمية التي يصدرها هذا المجمع والتي تطبع في مطبعته أو في المطابع الأخرى. وتشتمل على مطبوعات في الرياضيات والفلك والفيزياء الفلكية والفيزياء والعلوم الصناعية والكيمياء وعلم الأحياء وعلم طبقات الأرض والتعدين وعلم البحث عن المعادن والطب العملي والطب النظري وتأريخ الطب وغير ذلك من العلوم.

وللمجمع العلمي «الشيكوسلوفاكي» نشرة يصدرها باللغة الشيكية وباللغة الألمانية في المطبوعات العلمية والفنية والصناعية والأدبية التي ينشرها هذا المجمع بمختلف اللغات. وهي تفيد الباحثن ولا شك في الوقوف على ما ينشره هذا المجمع هناك. كما أن للمجمع العلمي البولوني نشرة تصدر بالبولونية وبالألمانية تتضمن تعريفاً بالمطبوعات التي ينشرها هذا المجمع في كل فروع المعرفة الإنسانية وتطبع في برلين.

وعلى شاكلة وطراز نشرة المجمع العلمي الشيكوسلوفاكي والبولوني والألماني، يصدر المجمع العلمي الروماني والمجمع العلمي الهنغاري نشرات تعريف بالمطبوعات التي تنشر باسم المجمعين.

وتصدر باللغة الألمانية نشرة أربعة مرات في السنة من برلين بعنوان «Ankundigungen»، تبحث عن الكتاب الألماني وما ينشر في الألمانيتين من آثار، في كل أنواع المعرفة الإنسانية. من علوم وأدب وصناعة، وفيها تعريف بالكتب الألمانية، وعرض عام لكل كتاب مهم، وترسل مجاناً لكل ناشر وصاحب مكتبة لتساعده في الوقوف على ما ينشر من الكتب والنشرات باللغة الألمانية الاتحادية وألمانية الشرقية. وهي عون بالطبع للواقفين على اللغة الألمانية يساعدهم في الحصول على آخر ما ينتجه العقل الألماني من حديث أو قديم في صنوف العلوم والآداب والمعرفة.

ويجد الواقفون على اللغة الألمانية في مجلة: «Die Bucher Kommentara»، وهي مجلة في حجم الجرائد العادية تصدر أربع مرات في السنة، مادة دسمه عن الكتب عامة. وفيها أبواب خاصة بنقد المؤلفات ذات المستوى العالمي العالي. وتصدر في مدينة «Stuttgart» بألمانيا الغربية. يساهم في تحريرها نخبة من مشاهير الكتاب الألمان. وفيها نقد وتعريف لأهم ما يطبع في اللغات الأجنبية وما ينقل إلى اللغة الألمانية من تراث فكري أجنبي.

وتصدر جمعية أصحاب المكتبات بألمانية ومقرها مدينة «فرانكفورت على نهر المابن»، نشرة تصدر ست مرات في السنة، بأسماء الكتب المختارة التي تصدر بالألمانية وعنوانها : «Dautsche Bibliographie: das Deutsche Buch». وتجد أمام كل كتاب نبذة عن محتواه وعن قيمته وشخصية مؤلفه، ونقداً مركزاً عنه. بقلم أساتذة من أصحاب الاختصاص. ولذلك فالنشرة مرجع مهم للواقفين على اللغة الألمانية. وهي تتناول كل نواحي المعرفة الإنسانية من علم وفن وأدب.

ولمكتبة «Fl, Tulkens» بمدينة «بروكسل» «Bruxelles» نشرة مهمة، تنشر باللغة الفرنسية تحتوي على أسماء المؤلفات الصادرة عن الشرق. وعن المطبوعات القديمة الموجودة لديها للبيع. وأمام كل مطبوع وصف مختصر له. وضع على طريقة أصحاب المكتبات في الغرب في التعريف بالكتاب مع بيان سعره ليستفيد منه القارئ.

من منشورات المستشرقين: طبع في مدينة «لايدن» الجزء الخامس والعشرون من «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي»، وذلك في سنة ١٩٥٩. وظهر القسم السابع عشر من الموسوعة الإسلامية «Ency of islam» في اللغة الانكليزية وسيتم طبع الجزء الثامن عشر قريباً.

وطبع في السنة الماضية كتاب باللغة الانكليزية بعنوان:

«Islam Law in The Modern World»، لمؤلفه الأستاذ «Anderson»، أستاذ الشريعة الإسلامية في جامعة لندن. وهو عن الفقه والقوانين المطبقة حديثاً في مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

وطبع معهد العلاقات الدولية والقانون المقارن «البريطاني:

«The Britisch Instetuta of Internitional and Comparative law»، كتاباً بالوثائق المتعلقة بمشكلة قناة السويس وكيفية حلها. وقد طبع في هذه السنة وعنوانه: «The seuz Cancl Settlament»، لجامعة «Lautepacht»، كما طبع كتاب عن نظريات وآراء ابن سينا بعنوان:

«Avicenna and the Visionary Recital»، لمؤلفه: «Henry Corbin» أستاذ الإسلاميات في جامعة السوربون. وقد استعان المؤلف ببعض مخطوطات ابن سينا التي عثر عليها في إيران.

وقد ظهر المجلد الثاني من مجلة:

«The Annual of Leads University Oriental Society»، وقد ساهم فيه أساتذة القسم

الشرقي في جامعة «ليدز» بانكلترة وفيه بحث قيم عن الكتب الموسيقية التي وردت أسماؤها في كتاب الفهرست لابن النديم. للأستاذ «فارمر» المشهور المعروف في بحوثه عن الموسيقى عند العرب.

وظهر الجزء الثالث من مجلة:

«Journak of the Economic and Social History of the Orient». وهي مجلة مهمة تعني بالدراسة الاقتصادية والاجتماعية للبلدان الشرقية، إما مجلة: «Review of the Electrical Communication Laboratory». فأنها من المجلات الدورية الاختصاصية في موضوعات العلوم الكهربائية وبحوثها في اليابان. وفيها بحوث قيمة كتبها اختصاصيون في الموضوعات المذكورة.

وقد ظهر المجلد السادس من نشرة «Japan Science Review». وهو في العلوم الاقتصادية «Economic Sconces»، وقد أصدره الاتحاد الياباني للعلوم الاقتصادية، ويقع في ٢٤٢ صفحة تضمنت أسماء علماء الاقتصاد في اليابان وأشهر مؤلفاتهم ونقداً علمياً لأشهر المؤلفات والنشرات والبحوث التي ظهرت في سنة ١٩٦٠ في تلك البلاد. وهو لذلك مرجع مهم لمن يريد الوقوف على الدراسات العلمية الاقتصادية في اليابان.

وقد وصل الجزء الثاني من المجلد الأول من مجلة «Folia Orintala» التي يصدرها المجمع العلمي البولوني في مدينة «كراكو Krakow»، وقد تضمن بحوثاً قيمة كتبت بالبولونية والروسية والألمانية والانكليزية والفرنسية في موضوعات استشراقية عديدة. جمعتها ٣٧٣ صفحة. وفيها نص خاص بنقد الكتب التي تظهر في مختلف أنحاء العالم عن الشرق. وفي جملة ما جاء نيه من بحوث قيمة بحث عن المراجع الواردة عن مجيء الإباضيين إلى جبل نفوسه. كتبه «Tadeusz Lewicki». وبحث عن نصوص عربية في السودان لـ «Aundrzei Czapkieicz»، وبحث قيم عن الإعلام الجغرافية الواردة في نزهة المشتاق للإدريسي ومقابلتها بالأصل الأوربي لتلك الإعلام. كتبه المستشرق «Wladylaw Kudiak». وبحث عن النقود الإسلامية الموجودة في بولونيا. وبحوث أخرى عن التصوف واللغة والتأريخ وغير ذلك. ولا سيما في الموضوعات المتعلقة بالشعوب الإسلامية الخاضعة الآن للاتحاد السوفيتي.

جامعة ملبورن: قرر قسم الدراسات السامية: «Department of Somatic Studies» في جامعة ملبورن باسترالية بالاشتراك مع الجمعية الأسيوية الإفريقية في جامعة ملبورن

إصدار مجلة دورية باسم «Abar - Naharam» تخصص بالدراسات السامية: العربية والسريانية والعبرانية. وستقوم بنشر البحوث التي يقوم بها أساتذة المعهد والأساتذة الأجانب المتخصصون بالساميات. وقد قرر القسم أن يعتنى بالدراسات الإسلامية خاصة. لما للعالم الإسلامي من أهمية في هذا الوقت. وسينشر بعض المخطوطات العربية النادرة المحفوظة في خزانة كتب قسم الدراسات السامية في هذه الجامعة.

مؤتمر المستشرقين: انعقد مؤتمر المستشرقين الخامس والعشرون في مدينة موسكو بين اليومين: التاسع والسادس عشر من آب هذه السنة. وهو استمرار لمؤتمر المستشرقين الذي جرى العادة في عقده منذ سنة ١٨٧٣، إذ عقد فيها أول مؤتمر للمستشرقين. وكان آخر مؤتمر لهم قد عقد في سنة ١٩٥٧ في مدينة «مونيخ» بألمانيا الغربية.

وحضر هذا المؤتمر ٩٤٧ عالم من علماء الاستشراق. من مجموع ثلاثة آلاف دعوة وجهت إلى أشخاص وهيئات علمية في مختلف أنحاء العالم. وقد اشترك فيه ٤٩٥ باحث من الاتحاد السوفيتي. و١٣٣ من بريطانيا و٣٢٧ من الولايات المتحدة و٩٩ من فرنسا و٥٤ من اليابان و٥١ من ألمانيا الغربية و٨٥ من ألمانيا الشرقية. أما الدول العربية فقد مثلها كلها ما يقارب أربعين عالماً. وأرسل الصهاينة خمسة عشر رجلاً، هذا، فضلاً عن آخرين اشتركوا في هذا المؤتمر باسم دولهم التي ينتمون إليها، وقد قرر المؤتمر أن يكون اجتماعه المقبل سنة ١٩٦٣ في الهند.

وقد انقسم المؤتمر إلى لجان اختصاص، توزع الأعضاء فيها حسب اختصاصهم. وألقيت فيه ٧٦٧ محاضرة وبحث من أهمها بالنسبة للمطالع العربي محاضرة الاستاذ «فيبي» الدانماركي عن الحفريات الدانماركية في جزيرة فيلكة في الكويت. وتقرير للأستاذ المستشرق الالماني يوسف شاخت عن الطبعة الجديدة للموسوعة الإسلامية، «Ency of Islam» ومحاضرة للمستشرق الياباني عن السمات البارزة لتأريخ الشرق الأوسط ومحاضرة للويس ماسنيون عن بناء المدن العربية وبحث للمستشرق الفرنسي كلودكاين عن نشوء الوقف وأصله. وبحث للمستشرق «غرابار» الإنكليزي عن تصاوير المقامات. وآخر للمستشرق الكندي جورج ميشل ويكنز عما كتبه نصير الدين الطوسي عن سقوط بغداد. كما ألقي المستشرق الألماني «جورج كرامر» بحثاً عن كتاب غير معروف لابن دريد، والمستشرق «جورج سكاتلون» عن مصادر تأريخ الفنون الحربية الإسلامية في القرون الوسطى، والمشترق (ورنركاسل) عن معنى علم الأنساب عند

العرب. والقي المستشرق الكندي ويلفرت سمث بحث بعنون مدلول الشريعة في علم الكلام، إما المستشرق ولتر فيشر فألقى بحثاً بعنوان طريقة ابن خلدون في الاستفادة من المصادر التاريخية.

وهناك بحوث عديدة أخرى ألقيت عن نواح معينة خاصة من الدراسات العربية والإسلامية. وقد ساهم في هذا المؤتمر بإلقاء بحوث ومحاضرات علماء من العالم العربي والإسلامي.

نشر كتاب: وألقت المستشرقة الايطالية فاكليري بحثاً في مؤتمر المستشرقين عن خطة الجهات الاستشراقية في إيطالية في نشر الكتاب الجغرافي المهم نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. وقد اتصلت تلك الجهات بمختلف المكتبات في العالم للحصول على نسخ مصورة من هذا الكتاب للاعتماد عليها في نشره.

معارض كتب دولة: أخذت الدول في مختلف إنحاء العالم تعنى بمعارض الكتب والتراث الفكري. ومن هذه المعارض ما هو دولي أو ذو طابع إقليمي. وقد صارت هذه المعارض من جملة وسائل الدعاية والتفاخر، وهذا ما جعل الدول تنفق عليها بسخاء من المخصصات التي ترصدها في ميزانيتها للدعاية. وعلى كل، ومهما كان الغرض، فان لهذه المعارض فائدة كبيرة في جعل الوقوف على التراث العقلي في متناول الناس.

نقد كتاب

المعجم السبئي(*)

بالانجليزية والفرنسية والعربية، من منشورات جامعة صنعاء، ومن نشر دار نشريات بيترز لوفان الجديدة ومكتبة لبنان بيروت، سنة ١٩٨٢.

وتعود فكرة نشره وإخراجه إلى أيّام انعقاد الندوة العالمية للحضارة اليمنية في عدن عام ١٩٧٥م، حيث قررت الندوة بعد بحث ومداولات تكليف الأساتذة السادة: «ا. ف. ل بيسترن» وهو من بريطانية، ومن المشتغلين بالعربيات الجنوبية، و«جاك ريكمانز» وهو من علماء بلجيكة بالعربيات الجنوبية، وله بحوث وآراء فيها، و«الدكتور محمود الغول»، أستاذ البحوث السامية في جامعة اليرموك» و«والتر مولر»، وهو من علماء ألمانية، وله بحوث في العربيات الجنوبية، وضع معجم سبئي بهذه اللغات المذكورة ليكون مرجعاً للباحثين يساعدهم في دراسة نصوص المسند. التي عثر عليها حتى الآن، وفي إدراك معانيها بصورة صحيحة، تساهم في الكشف عن تأريخ الحضارة العربية قبل الإسلام، وتمكن الباحثين في علم اللغات من الوقوف على خصائص لهجات المسند، وعلى مدى اختلاف بعضها عن بعض.

وكانت أدلة اللجنة «عند اعتبار نقش من النقوش سبئياً مبنية جزئياً على اعتبارات لغوية، ومبنية جزئياً كذلك على المكان الذي نعرف أن النقش جاء منه أو وجد فيه، وعلى نوع الخط وطرازه، وغير ذلك. ولم تعتبر من السبئية النقوش التي تستعمل فيها س في سفعل بدل هـ في هفعل السبئية، وكذلك تستعمل فيها س في الضمائر بدل هـ. أما نقوش الإحساء وقرية الفاو والنقوش المتقدمة زمناً من أثيوبيا فتبدو أنها بلغات لا يمكن تصنيفها سبئية. وأدخلنا بعض النقوش من نجران والمناطق المجاورة على اعتبار أن هذه النصوص (مهما كانت لغة القوم المحلية) قد تقوم شاهداً على استعمال السبئية لغة للكتابة الرسمية أو الرفيعة الشأن. كما كانت الآرامية تستعمل عند الأنباط».

(*) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي العدد ٣٨ لسنة ١٩٨٧، ص٣٨٥ -٣٩٧.

واستمرت هيأة تأليف المعجم في بيان السنن التي سارت عليها في طبع المعجم، وشرح الرموز والإشارات التي اتخذتها للموارد التي أخذت منها، اختزالاً للمكان وللزمان. ولتقليل كلف الطباعة الغالية التي تجعل الكتاب اليوم غالى الثمن، فتحدد من بيعه، وتحول بذلك بينه وبين شراء المثقفين له بسبب ضعف أحوالهم المالية.

وشرحت اللجنة الطريقة التي سادت عليها في إقرار الألفاظ السبئية وفي نقل معناها أو معانيها إلى الفرنسية والانجليزية والعربية، وقالت فيما يخص العربية:

«أما في اختيار الألفاظ العربية التي استعملت في تحديد معاني الكلمات السبئية وبيان الزيادات الإيضاحية. فقد جرى العمل بما يلي:

١ - التزمت الألفاظ العربية الأساسية الشائعة الاستعمال اليوم في مختلف الأقطار العربية، قدر ما يستطيع الإنسان أن يحكم على ذلك.

٢ - استعملت بعض الألفاظ الفصحى المهجورة أو شبه المهجورة وكذلك بعض الألفاظ اليمنية الدارجة اليوم إذا كانت اللفظة الفصحى أو اليمنية العامة هي عين الكلمة السبئية اشتقاقاً أو لفظاً وكان ذلك يعين في تحديد معنى الكلمة السبئية تحديداً واضحاً يزيل وهماً أو غموضاً سابقاً في معنى اللفظة. أما مقارنة جميع الألفاظ الفصحى، شائعة كانت أو غير شائعة، وكذلك مقارنة جميع الألفاظ اليمنية العامة فليس موضعه هنا، فهذه الألفاظ ولاسيما اليمنية العامية، يجب جمعها وحصرها ويجب الاطمئنان إلى معانيها بالمشاهدة والخبرة، وقديماً قال الأزهري صاحب تهذيب اللغة تعليقاً على وهم وهمه الليث صاحب الخليل بن أحمد: غلط الليث... إنما يعرف هذا من شاهده وثقافته، فأما من يعتبر الألفاظ ولا مشاهدة له فإنه يخطى من حيث لا يعلم، وانا لنرجو أن يتسع الاهتمام بهذه الألفاظ اليمنية العامية لا سيما على يد النبهاء من علماء اليمن الذين يستطيعون ضبط المعاني بالنشأة والخبرة والمشاهدة، ويحسنون بعد ذلك المقارنة والمطابقة[1].

وقد اقتصرت اللجنة في عملها هذا على اللهجة السبئية، وتشددت في اختيار الألفاظ وفي صحة النسبة إلى السبئية، لأنها ترى أن «النقوش المعنية هي التي حظيت بأكبر قدر من التحقيق والتصديق، ولأنها أيسر تفسيراً من النصوص المعينية والقتبانية، أو من النصوص الحضرمية القليلة، ونظراً لأن مجال نقوش جنوب شبه الجزيرة العربية

---

(١) المقدمة ص١١.

مطرد الأتساع، ولأن المواد الجديدة قلّما خضعت لفحص دقيق أو لتبادل وجهات النظر حولها، فلم يكن ثمة مناص من اعتبار المعاني التي أخذ بها مؤقتة أو حتى غامضة في بعض الأحيان لاسيما حيث يكون النص ضعيفاً أو مشتت الأجزاء»[١].

ولما كان القلم العربي الجنوبي مثل سائر الأقلام التي يطلق علماء الأجناس على أصحابها بـ«الساميين»، اصطلاحاً، لا تخصيصاً بجنس معين، من حيث إهمالها لعلامات الحركة، وعدم إدخالها في صلب الألفاظ، صار من الصعب على قارئ النصوص فهم معانيها بسهولة، ولا سيما فهم النصوص القديمة منها، المدوّنة بتصاريف غير معروفة في لهجتنا العربية، ومن هنا اختلف قراء النصوص في تفسير النص الواحد، وذهبوا في ذلك مذاهب، وتجد هذا الاختلاف في هذا المعجم السبئي، إذ نراه يباين التفاسير التي توصل إليها علماء النصوص أحياناً، ويذكر تفسيراً لا ينسجم مع سياق الحديث في النص. خذ ما ذكره في الصفحة ٧٢ مثلاً عن اللفظة: «حشرو»، الواردة في المسند الموسوم بـ«١، ٣٥١، Res»، من أنها: «N, P»، أي اسم علم، بينما هي في شرح النص «Steurenimehmer» أي: «الحشارون»، جمع: «حاشر»، وفي الحديث: «شرّ الناس العشارون الحشارون»[٢] وهو تفسير صحيح، ينسجم مع سياق الحديث، أما اسم العلم فلا يلتئم مع الكلام.

وفسر، لفظة: «احشر» بـ«فقراء الناس»، مستنداً في تفسيره على النص الموسم بـ«٢، ٨١٦، JA، بينما فسرها «جامه « بـ«احشران»، أي اسم علم، لوجود لفظة: «كبر» قبلها، أي: «كبير»، يعني لبئس وورود «اقين» بعدها، على هذا النحو، «كبر احشرن واقينم»، بمعنى: «كبير احشران واقيان»[٣] ويدل السياق على انها اسم علم لموضع.

وفسر «المعجم» لفظة: «انحرم»، الواردة في النص: «١٥، ٥٧٦ JA، بـ«اسم علم» وبـ«حصان قتال مدرب»[٤]، أما في «جامه» فهي اسم موضع[٥].

ونجد: «المعجم» يفسر اللفظة: «حصق»، بـ«قافلة عتاد جيش»[٦]، بينما يفسرها:

---

(١) مجلة يدان الجزء الأول، السنة الأولى ١٩٧٩م، ص٥٨، بيستون: مشروع قاموس النقوش العربية الجنوبية اليمنية.

(٢) الاحكام السلطانية، للماوردي ص٢٠٨.

(٣) Jamm, Sabeanen Hnscriptians, P, 241.

(٤) الصفحة ٩٥.

(٥) Sab, P, 70.

(٦) ص٧٣.

«جامه» بـ«Prison - Keperes»[١]، أي «سجانون»، «حراس»، واللفظة كما يظهر من النصوص التي وردت فيها من المصطلحات العسكرية التي ترد في حملات الجيش وفي تنظيماته، وقد ذكرت بعد كل التنظيمات وقدم ذكر البهائم عليها، مما يشير إلى أنها المؤخرة، مؤخرة الجيش، أي القوة الخلفية التي يعتمد عليها في الدفاع عن الجيش عند مهاجمته من خلفه، و«المؤخرة» مناسبة تماماً لتفسير اللفظة، وعندها تحفظ الغنائم والعوائل، وحفظة الأسرى.

ورد في النص الموسم بـ«١٥، ٥٧٧» JA»: «وحمدم بذت هوشع المقه ثهون يعل اوم عبدهو الشرح يحضب ملك سبا وذريدن ستاولن هوا واقولهو وخمسهو وافرسهو وركبهو وحصقهمو بن كل هنت صباين»، معناه: «وحمد لأن المقه ثهوان بعل اوام ساعد عبده الشرح يحضب ملك سبأ وذي ريدان بارجاعه هو واقياله «أقوله» وجيشه وفرسانه وركبانه ومؤخرته من كل تلك المعارك»[٢].

وقد لاحظت أن اللجنة لم تتكل في وضعها المقابل العربي على المعجمات العربية في اختيار المقابل منها لألفاظ المسند، وإنما أخذت بالشرح والتفسير أو بوضع مقابل آخر، فكلمة «مدر»، وجمعها: «أمدر» الواردة في النص: «٥، ٤٢٣١ RES»[٣]، هي «أرض» «Yround» في المعجم، بينما هي «مدر» في عربيتنا، فكان من اللازم وضعها في مقابلها في السبئية، لأنها اللفظة عينها في تلك اللهجة.

و«المدر» في «كتاب العين»: «قطع طين يابس، الواحد مدرة، والمدر: تطيينك وجه الحوض بالطين الحر لئلا ينشف الماء، والممندرة: موضع فيه طين حر يستعد لذلك، ومذرت الحوض أمدره»[٤].

لاحظت إن المعجم ذكر لفظة: «دعت» الواردة في السطر الثاني عشر من النص: «RES ٤١٧٦»، وفسرها بـ«إعلان»، وإعلام[٥]، وهو تفسير غريب في هذا المقام لا ينسجم مع المعنى، وقد فسرها مترجم النص إلى الألمانية، بـ«Belaubt silh Din Myu Deponieende Betnug Ain Schadenesatnyes»[٦].

---

(١) Ja 577, 15, JA586,22 - 23, JA 644, 20 - 21, Sabeanen, P, 436.

(٢) راجع الفقرة ١٥ من النص.

(٣) ص٨٣.

(٤) الصفحة ٣٨، ٨٥.

(٥) ص ٣٥.

(٦) راجع .RES 4176

وهو قريب من معنى: «دعت»، التي هي «وديعة» وجمعها ودائع، وهي أمانات تودع إلى حين وقوع الموادعة. «والموادعة شبه المصالحة، وكذلك التوادع، والوديعة: ما تستودعه غيرك ليحفظه، وإذا قلت: أودع فلان فلاناً شيئاً، فمعناه: تحويل الوديعة إلى غيره. وفي الحديث: وما تقول في رجل استودع وديعة فأودعها غيره، قال: عليه الضمان»[1].

وترجم «المعجم» لفظة: «خرج» الواردة في النص: «JA ٦٤٦،٧،٩» بـ «رفع دعوى على أحد إلى القاضي»، «رافع أحداً إلى القاضي»، وترجم» خرجت« الواردة في النص: «٧، JA٧١٢ بـ «دعوى قضائية»[2]،وهي ترجمة لا تنسجم مع معنى النصين، وفي لفظة «خرج» معنى الخروج والإثارة، و«خرجت»، بمعنى: «خرجات»، أي خرجات على العصاة والثائرين[3]، وهو معنى بعيد عن المعنى الذي ذكر في المعجم.

ولجأت لجنة «المعجم إلى الشرح في الغالب عند ظهور مصطلح أمامها، فلفظة «قرض»، الواردة في النص: «١، RES ٤١٨٣»، فسرت بـ «لقب صاحب منصب»[4]، ولم تذكر نوع المنصب واختصاصه، كما أنها أخطأت في الإشارة إلى النص الذي أخذت منه، فهذا الرقم المذكور لا صلة له باللفظة بتاتاً، وهو نص قصير كل كلماته خمس كلمات، بعضها ناقصة والسطر الأول منه الذي أشارت إليه اللجنة هذا نصه: «وبنس أف. . .»، أي: «وابنه أف. . .».

وفسرت لفظة: «رشو»، بـ«لقب صاحب منصب ديني»[5]، وقد كان في إمكانها الإشارة إلى أنها في مقابل: «شوع» في المعينية، و«افكل» في المسند، و«كاهن» أو «سادن» في العربية الشمالية.

وجاء تفسير لفظة: «تابه» على هذا النحو: «نصب، عيّن أحداً في منصب»[6]، وقد وردت في النص: «٣، JA ٥٥١» على هذه الصورة: «ويوم تابهو قين مريب»، أي: «ويوم عينه قينا على مأرب»[7]، فهي بمعنى عين، التي لا تزال تستعمل في أكثر البلاد

---

(١) كتاب العين ٢/ ٢٢٤، ودع.

(٢) المعجم ص٦٢، .JA 665, 49

(٣) معجم ص٦٢، .JA 646, 7, 9, Sabeanen, P, 148

(٤) المعجم ص١٠٦.

(٥) المعجم ص١١٦.

(٦) الصفحة الأولى.

(٧) Sabeanen, P, 19.

العربية، بهذا المعنى فلا حاجة إلى استعمال: «نصب، عين أحدا في منصب»، والوظيفة معينة في هذا النص، وهي «قين» على مأرب.

وفسر «المعجم» لفظة: «شوع»، بـ«تابع. نصير، شخص قائم بخدمة» مستنداً في تفسيره هذا على المرجعين: «١٤، JA ٦٣١» و«٤ RES ٣٩٥١»[١] قد راجعت السطر الرابع عشر من النص «He And All Thein Tarin»[٢]، فوجدته على هذا النحو: «هو وكل شوعهمو»، ومعناه: «هو وكل أشياعهم»، وترجمها «جامه» «هو وكل قافلتهم»، وفي القرآن الكريم: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾[٣]، فالأشياع بمعنى: «شوع».

وشوع في المعينية بمعنى: كاهن[٤]، ولم يشر «المعجم» إلى ذلك، مع أن التنبيه إلى ذلك مهم.

وفي المعجم: أبدت، متطوعة جند شذاذ، جند غير نظامي»[٥]، وأشار إلى النص: «٧، JA ،٦٣٣» على أنه مرجعه، وقد راجعت النص فوجدته يقول: «أحمرن بابدت ذي كونو بين خمسنهن»[٦] ومعناه: «الأحامرة المقيمون بين الجيشين»، الأحمر الآبدون بين الجيشين»، وذلك أن ابد بمعنى البقاء والديمومة والأبدية، والقدم كما في «من عهد أبد»[٧]، والأوابد: الوحش، وتابد فلان، طالت غربته»[٨]، وفسر «جامه» الجملة المذكورة بـ«الحميريين المقيمين في أماكن ثابتة»، الحميريون الآبدون، وليس بين هذا التفسير وتفسير «المعجم» لقاء.

ولفظة: «جزف»[٩]، هي بمعنى: «جزاف» في العربية العالية، و«بيع الجزاف» من البيوع الجاهلية التي حرمها الإسلام، وفي كتاب العين: «الجزاف في الشراء والبيع

---

(١) الصفحة ١٣٦.
(٢) Sabeanen, P, 132.
(٣) سورة سبأ، الآية: ٥٤.
(٤) خليل يحيى ناى، نقوش خربة معين، ص٣، ٥، النقش رقم ٤، ورقم ٥.
(٥) ص١.
(٦) السطر السابع من النص.
(٧) Naldiki, Belegwaterluh, Beirin, 1952 S, 1.
(٨) كتاب العين ٨/ ٥٨، ابد.
(٩) المعجم ص٥٢.

دخيل، وهو بالحدس بلا كيل ولا وزن، تقول: بعته واشتريته بالجزافة والجزاف، والقياس: جزاف»[١].

وفسر المعجم لفظة: «نحل» الواردة في النص الموسم بـ «٧٥، JA ٦٦٥»[٢]، بـ «جند مرتزقة»، وراجعت الموضع المشار إليه من النص فوجدته على هذا النحو: «نحل اقولم ومراس حضرموت»، أي: «نحل اقيال وأمراء حضرموت»، ولا تعني لفظة: «نحل»، «جند مرتزقة»، وإنما قد تعني أتباع، وأشياع.

ونقرأ في الصفحة ١٦٥، لفظة وتف بمعنى «قيد دون، منحة لاسيما أرض، وثيقة منحة، وثيقة تنازل»، والأصح أنها تعني ما نقوله: «وقفيه» في وقتنا الحاضر، أي سند وقف، وما نقول له: «سند عقاري»، كذلك، فهي على الأكثر في نصوص ملك ووقف[٣]. وفي نصوص تملك وتمليك.

وذكر المعجم للفظة: «شعب» الواردة في المسند المعاني الآتية: «شعب، قبيلة من الحضر، بلدة، ناحية، (ى :عزلة)، مجموعة من فئات»[٤]، وسبأ هم شعب سبا، وكذلك بقية دول العربية الجنوبية هي: «شعب» مثل: شعب قتبن، بمعنى شعب قتبان، وهي في مرادف قبيلة عند العرب الشماليين، ولكن القبيلة قائمة على النسب، أي أساس الدم والقرابة الدموية، أما هذا المعنى، فهو غير موجود في لغة المساند، فلا نجد فيها هذه الأنساب التي يذكرها علماء النسب والأخبار، وإنما القبيلة في العربية الجنوبية هي قوم جمعت بين إفراده مصالح مشتركة أو عقيدة واحدة، أو حرفة من الحرف، فكل فئة هي شعب، وسكنة موضع مثل مأرب «مريب» وان اختلفوا في الأصل لكنهم جميعاً: «شعب مريب»، وبذلك حلوا لهم مشاكل الأصل والطائفية، باعتبار أنهم أحرار وعبيد، ملاك و«أكرة»، كلهم من سبأ، أو من قتبان، أو من حضرموت.

ولفظة: «قبلت»، بمعنى: «ثورة، عصيان»، في المعجم السبئي، استناداً إلى النص: «٦، JA ٦٤٤» [٥]. أما جامه، ففسرها بـ «Fight»، في الإنكليزية، وتقابل:

---

(١) ٦/ ٧١، جزف.

(٢) ص٩٥، Sabeanen , P, 170.

(٣) Fe Mustan, Lxv, 3 - 4, 1952, PP, 271.

(٤) الصفحة ١٣٠.

(٥) الصفحة ١٠٠ من المعجم.

«Kamph»، في الألمانية[١]، و«القبل» في عربيتنا من إقبالك على الشيء، تقول قد أقبلت قبلك، كأنك لا تريد غيره»، والقبل: الطاقة تقول: لا قبل لهم، أي طاقة[٢].

وجاء في الصفحة الخامسة من المعجم: «الهن»، عبدائي منقول[٣]، والله، الإله، ولفظة «إله»، ليست بعبرانية خالصة، وإنما هي سامية عرباوية وردت في جميع اللهجات السامية، وفي نصوص هي أقدم عهداً من نصوص العبرانيين.

وجاء في الصفحة السادسة من المعجم: «انم»، «أنام، أناس، حاكة «تعبيراً عن الطبقة الدنيا للتحقير»، واعتقد أن هذا الشرح المحصور بين القوسين لا محل له في هذا النص الذي اعتمد عليه، وقد ذكر الحاكة في جملة ممن وقعت عليه ويلات الحرب، ولم يذكرهم على سبيل الازدراء والتحقير، ويتبين من الفقرةمن النص: «٣٩٤٥ RES»، أن عددهم كان كبيراً، وان الحاكة «Weaiuers» في اليمن كان لهم نفوذ في اقتصادها، حتى أنها كانت تصدر المنسوجات اليمنية إلى الخارج، وفيها وما هو من منسوجات الدرجة الأولى.

وكان الملوك قد اتخذوا بيوتاً للنسيج عينوا بها حاكة ينسجون أنسجة الملك وأهله وما يحتاج القصر إليه ليقدمه الملك الطافاً على النابهين من قصاد القصر، ويباع الباقي في الأسواق.

أما أنهم أطلقوا حاكة «تعبيراً عن الطبقة الدنيا للتحقير»، فان هذا التعبير إنما كان قليلاً عند أهل اليمن، وإنما هو تعبير عربي شمالي، وكانوا يزدرون من يشتغل بالفلاحة، وسبب هذا الازدراء، هو عدم توفر الأرض الخصبة والماء عند العرب الشماليين، فلما توفرت، تثقفوا فيها حتى صاروا ينافسون من كان أقدم زراعة منهم على الزرع.

وفسر «المعجم» لفظة: «شفع» بـ«مؤامرة»[٤]، مستنداً في تسيره هذا على النص الموسم بـ«٥٣، ٦٥١، JA» وفسرها «جامعة» بـ«Jnuasion»[٥]، وما في عربيتنا فإن

---

(١) Sabaean, P, 146.

(٢) كتاب العين ٥/ ١٦٦، قبل.

(٣) المعجم ص٥.

(٤) الصفحة ١٣١.

(٥) Sabean, P, 156.

الشافع المعين، يقال: فلان يشفع لي بالعداوة، أي يعين علي ويضادني»[١]، وهذا المعنى قريب من معنى لغة النص المذكور، أكثر من التفسيرين المذكورين.

وفسر جملة: «هعذب معشرت سبا»[٢] بـ«نظم مجلس القبيلة»، وهو بعيد بعض البعد عن المعنى الصحيح، والتفسير الذي يجب أن يكون هو «واصلح منتدى سبأ»، «وجدد مجلس معاشر سبأ»، لأن «معشرت» هي بمعنى: «منتدى»، مجلس لسبأ ولغيرهم، ولفظة «هعذب»، بمعنى: أصلح وقوم، كما تؤدى معنى: «جزاء»، عقوبة، مجازاة[٣].

وذكر المعجم أن «عنت»، «غم»، «شدة كرب»[٤]، وفسرها جامه بـ: Help، أي «عون «مساعدة»، وبـ«Awxilasg Troops»، «Tsoops Of Rein Forcement»[٥]، أما كتب اللغة، فذكرت: «العنت: إدخال المشقة على إنسان، عنت فلان، أي: لقي مشقة، والعنت: الإثم أيضاً»[٦].

لاحظت أنه يذكر رقم نص يكون سنده في استنباط معنى لفظة، ولما رجعت إلى النص وإلى السطر الذي تكون فيه الكلمة لم أجد لها وجوداً فيه، فالظاهر إن خطأ وقع في الطبع أو في النقل، سبب إلى وقوع هذا الخطأ فمثلا ذكر إن لفظة: «حرم» بمعنى: «مسكن ملك، دار ملك وأشار إلى النص: «١٨، JA ٥٧٧» فرجعت إلى المرجع فلم أجد فيه هذه الكلمة، وحدث لي مثل هذا في مواقع أخرى.

وبعد، فهذا المعجم هو عمل تجريبي سيكون أوسع منه في المستقبل بعد العثور على كتابات جديدة تستخرج من باطن الأرض، أو يعثر عليها على ظاهرها ولكنها هي هاربة من أيدي العلماء في هذا اليوم، ولا يمكن عمل مثل هذا أن ينجو من هنات ما دامت الموارد التي اعتمد عليها في تأليف هذا المعجم قلقة غير مستقرة، ومتباينة في ضبط النص، ومتغايرة في التفسير، ولاسيما أن علماء التفسير للنصوص لازالوا يسلكون الجادة القديمة في تفسير الألفاظ الصعبة بما يقابلها بالعبرانية أو الآرامية،

(١) كتاب العين ١/ ٤٣٧، شفع.
(٢) الصفحة ١٧، RES 3945, I.
(٣) Katab, II, 5, F.
(٤) الصفحة ١٧، JA, II, RES 4969, 51, JA 570, 6.
(٥) Sabean, P, 445.
(٦) كتاب العين ٢/ ٧٢، عنت.

ويضعون معانيها بلغاتهم، مع أن لهجات المسند لهجات عربية، وهي واردة في العربية بصورة واضحة بينة، وفي كتب اللغة والأدب تفسير لها، كما أن العامية الدارجة جثث تلك الألفاظ، ومن الممكن بعث الحياة إليها وتكليمها بتدوين معانيها في العامية ومقارنة هذه المعاني مع صافي الألفاظ المدونة في المساند، وهي مهمة أرجو أن يقوم بها علماؤنا منذ هذا اليوم.

وبعد فأرجو أن يوفق علم حضارة العرب قبل الإسلام إلى دراسة تأريخها دراسة علمية مقارنة، ولا شك أن المعاجم من الموارد التي تمد الباحث فيها بفيض من المصطلحات.

رابعاً

تاريخ المجمع العلمي العراقي

خلاصة الاعمال

معجم المصطلحات العلمية

المجمع والمصطلحات(*)

قلت في المجلد الثاني الصادر في عام ١٩٥٢ م من هذه المجلة، إن من أعمال المجمع بذله الرعاية للمصلحات والعناية بها، وتوجيه جهوده ونشاطه إلى توسيع أفقها وتثبيتها ونشرها بالنقل والتعريب والاشتقاق، فحاجة الناس إلى المصطلحات اليوم شديدة، وطّلابها كثير.

وقد شرحت بإيجاز أعمال المجمع في هذا الباب، وأشرت إلى اللجان التي ألفت لدراسة المصطلحات، وإلى الدوائر التي أرسلت إليه ما لديها من مصطلحات علمية لوضع ما يقابلها في العربية، وإلى الجلسات التي عقدها مجلس المجمع لدرس المصطلحات التي بلغت عدتها ١٧٣٣ مصطلحاً.

وطريقة المجمع في دراسة المصطلحات وإقرارها أو وضعها، هي أن يدرس المصطلح المعروض عليه في لغة الاختصاص، كأن يستعرض حدّه وتعريفه عند المتخصصين أو في الكتب الخاصة ويتعرف أصله ونشأته، ثم يرجع إلى رأي المتخصصين فيما اختاروه من كلمات عربية مناسبة له، ثم يستعرض ما ورد في الكتب العربية قديمها وحديثها لغوية كانت أو اختصاصية من كلمات موافقة له، فإذا وقع على

(*) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي العدد ٣ لسنة ١٩٥٤ ص ٢١١-٢٢١.

كلمة صالحة مؤدية للمعنى الاصطلاحي، وآنس فيها الرشاقة والسلاسة، عقد رأيه وبت في الأمر. على أن من عادة المجمع ألا يتخذ قراراً حاسماً في مصطلح ما، إلا بعد الوقوف على آراء البلاد العربية الأخرى فيه، فلعل لها اجتهاداً فيه أصوب من اجتهاده وأقوم، أو لعل لها كلمة أصح وأحكم. ثم هو حريص كل الحرص على ألا ينفرد برأي، ولا يقر قراراً قد يخرجه عن الإجماع والوحدة وصفاق العلماء من أبناء هذه الأمة، لتكون هذه المصطلحات سبباً من أسباب جمع الشمل والتوحيد، وهو لذلك يعمد إلى محاضر المجمع اللغوي في القاهرة ومجلته، وإلى مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، وإلى الكتب والمجلات التي تعني بالمصطلحات، للوقوف على رأيها في كل مصطلح قبل اتخاذ قرار ما، لكيلا تتعدد القرارات فتنتفي الفائدة من وضعها. وللزيادة في الاحتياط والأخذ بالتأتي والتأني، قرر: ألا يثبت مصطلحاً إلا بعد مرور ستة أشهر على نشره ليتسنى له دراسة الآراء التي تبدى في شأنه، وفي ضوئها يقرر ما يراه صالحاً للاستعمال.

فقرارات المجمع إذن، في الزمن الحاضر، قرارات ترجيح، ولن تكون نهائية إلاّ بعد مضي المدّة التي حددها للوقوف على ما يرد عليه في أثنائها. وهو لذلك يرجو من المعنيين بالمصطلحات في العراق وفي البلاد العربية ومن المستشرقين التعاون معه في هذا الباب، بإرسال آرائهم فيما ينشره في مجلته من مصطلحات وبإرسال ما عندهم من علم عن مصطلحات جديدة غير منشورة يراد وضع حد لها ومقابل. وهو على ما أعلم حريص كل الحرص على نشر كل ما يرد عليه من تعليق ورأي ونقد في موضعه ومكانه. فالعلم نتيجة تعاون واجتهاد. وليس في الكون عالم لا يحتاج إلى علم غيره، وفوق كل ذي علم عليم.

وبعد، فهذه قائمة جديدة بمصطلحات درسها المجمع وفرغ منها، منذ أقرها في جلسته الثالثة المنعقدة في ٢٥/ ١٠ /١٩٥٢، فما بعدها، استخرجتها من محاضر جلساته، ورتبتها على الأبجدية «اللاطينية»، لا على تواريخ الإقرار، ليكون من السهل الرجوع إليها.

Activity	فاعلية	Absoulte Alchol	كحول مطلق
Adhesive	لاصوق	Absorption	امتصاص
Aeration	تهوية	Acid	حامض
Afflux	مدى الطمو	Active	فَعال
Agreement	اتفاق	Active Charcoal	فحم فعّال
Air control	رقابة الجوّ	Activa	إفعال
Airials	هوائيات	Activated Carcoal	فحم مفعل
Arch	عقد	Airorthiness	الجدارة الجوّية
Archdam	سد مقوّس	Airlock	دسام الهواء
Arid lands	أرض جزر	Airsealed	مختوم الهواء
Artesin well	بئر ارتوازية	Air vent	مصرف الهواء
Atmosbheric Bresure	ضغط جوي	Albuminoim	كالزلال
Automaticgate	رتاج متحرك	Alcholysis	كحولة
A nuto patrroller	مدرجة متحركة	Alcoholyse	كحول
Average Veloctity	جرية	Alisyclic	سلحقية
Backwetercurve	منحنى الارتداد	Aligningof Track	تقويم الخط
Baket	سطل	Alignment	اتجاه
Pank	ضفة، أو سدة (بحسب مواقع الاستعمال)	Alignment of traclk	اتجاه الخط
		Alignment of wheel	اتجاه العجلات
Bank dressing	تسوية السدّة	Aliphatic compounds	مركبات سلسلية
Barge	جنبية	Alkali	القلوي
Barrage	مصنعة	Alkabinisatoin	الإقلاء
Bascule bridge	رفعة الجسر	Alkaloid	كالقالي
Basin irigation	الري الحوضي	Alluvial	غريني
Batch mixer	خلاطة مكركرة	Alpga iron	الحديد الألفي
Bed	قعر	Angle dozer	مقلعة متذئبة
Bed load	حميل القعر	Angle of friction	زاوية الاحتكاك
Bifurcation	مقسم	Angle of repose	زاوية الاستقرار
Bin	جونة	Apron	مجثم، أو إزار

Blow off	مصراف		أقر استعمال المجثم لهذا المصطلح في الطيران، وإزار في مصطلحات الري
Bull dozer	مقلعة		
Casino	قيطون	Approach control	رقابة الدنو
Cargo	حمل	Aqueduct	عبارة
Fire foan	رغوة الإطفاء	Coffer dam	سد الإنضاب
st master˘	الربان الأول	Compartment	قصارة وحجيرة
st class master˘	ربان من الصنف الأول		(الأولى لاستعمالها في دوائر سكك الحديد والبواخر، والثانية لاستعمالها في دوائر الأشغال
Flasching Beacon	منار مومض		
Flight plan	خطة الطيران		
Floodlight	نور مفاض	Conduots	ميصال
Floodlighting	افاضة النور	Continuous mixer	خلاطة ديومة
Fercasting	تنوء	Convention	ميثاق
Grader	مدرجة	Coxawain	سكاني
Hanger	مركن		(أقرأ المجمع في جلسته الثامنة المنعقدة في ٣٠/ ١٢/ ١٩٥٢ استعمال السكاني لهذا المصطلح، ولـ«succany» كذلك، وذلك على نحو ما ذهبت مديرية الملاحة العامة إليه).
Hatch	أنبار		
Herm	حريم		
Hopper	مشعب		

Hydration	إماهة	Crusher	ساحقة
Jet aircraft	طائرة نفاثة	culverts	قناطر
Low water	صيهود	downriver	انحدار
Measurement	ذرع	Draft	غاطس
Melding	لحم	Drag line	حفارة ناعورية
Mixer	خلاطة	drover	سائق
Motor launch	زورق آلي	Drayer	مجففة
Navigation lights	أضواء الملاحة	Drilling	نقب
Obstruction lights	أضواء موانع	Elevating grader	مدرجة ناقلة
Paddle type mixer	خلاطة مجدافية	Examination	امتحان
Panching	ثقب	Examiner	ممتحن
Pick up	لمامة	Felder	مدغمة
pitch	حنو	Finisher	مكملة
Shutterings	محابس	Plant	معمل
Signal sqluare	مربع الإشارة	Pneumatic roller	مسلفة مهواة
Sprayer	دثاثة	Pontoon	جسرية
Spreader	فارشة	Pressure	ضغط
Sprocket	سن	Propeller	دفاعة
Spurinkler	رشاشة	Pugmilll type mixe	خلاطة صاكة
Succany	سكاني	Pyrotechnical	اطلاقة نارية إو انارية
Surface heater	لواحة		
Survey	مسح أو كشف	Radio beacon	مرشد لاسلكي
Surveyer	مساح أو كاشف	Redio sonde	مسبار راداري
Taxing	زيفان	Redio valve	صمام الراديو
Test	اختبار	Railing	حاجر
Threshold Lights	اضواء المداخل	Rike	مدمة
Thunderstorm	إعصار راعد	Regulator abutment	كرسي الناظم
Tractor	ساحبة	Retractableundercar-rige	حوامل منضمة

Treaty	معاهدة	Riuer stomer	باخرة نهرية
Tripper	قلابة	Roller	مسلفة
Undercarriage	حمالة الطائرة	Scarifier	منبشة
Upriver	إصعاد	Scraper	كاشطة
Valves	صمم	Screen	غربال
Vibrater	هزازة	nd master	ربان ثان
Visibility	مدى الرؤية	nd class master	ربان من الدرجة الثانية
Wind sealave	الدليل الريحي	Serang	اشتيام
	(وضع المجمع «الدليل الريحي» لهذا المصطلح، ولمصطلح آخر هو: «wind sock»Á	Shup foot Rloler	مسلفة مظلفة
		Shoring	مسند
		Shower	شؤبوب

خلاصة عن أعمال المجمع العلمي العراقي(*)

هذه تذكرة لما قام به المجمع في غضون المدة التي انصرمت بين آخر مجلد صدر من هذه المجلة، وهذا الجزء الذي يقدم إلى القرّاء، روعي فيها أن تكون خلاصة موجزة لأعمال المجمع في هذه المدة، وقسمت إلى جمل وفقرات بحسب الأعمال والموضوعات.

الميزانية: لم ترتفع موازنة المجمع السنوية في كل من السنتين الخاليتين عن مبلغ (١٠٠٠٠) دينار، وهو مبلغ يسير جداً بالقياس إلى حاجات المجمع ومطالبه، تدخل فيه جميع نفقات المجمع: من كراء، وبناء، وابتياع أدوات تكميلية للمطبعة وللشعبة الفنية وكتب مطبوعة ومخطوطات لخزانة كتبه، وجوائز مالية للمتسابقين في المباريات، ومساعدات للمتقدمين بطلب العون المالي لطبع كتبهم، وبدلات التملك، ومخصصات الأعضاء، ورواتب الموظفين والمستخدمين، ونفقات التأليف والمجلة، ولذلك راعى جانب الاقتصاد التام بتقديم الأهم على المهم.

(*) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي العدد ٣ لسنة ١٩٥٥ ص ٤٦٣-٤٦٦.

المطبعة: شرعت مطبعة المجمع، ولله الحمد، في أعمالها، فأخرجت هذا الجزء من المجلة، وأكملت طبع الجزء الأول من القسم العراقي من كتاب خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصبهاني، الذي شرحه وضبطه وحققه الأستاذ محمد بهجة الأثري، وشاركه في إخراجه الدكتور جميل سعيد بعد ان تعثر طبعه زمنا في المطابع الأهلية وتقوم الآن بطبع بقية مطبوعاته. وقد تخلص بإنشاء هذه المطبعة من أهم عقبة كانت تحول بينه وبين الطباعة الفنية المضبوطة الدقيقة، والإخراج المتقن، كما تخلص من تحكم المطابع الأهلية، ومن تسويفها في طبع مطبوعاته التي كانت تحال عليها بالمناقصة على يد مطبعة الحكومة، والمناقصة جائزة في كل شيء إلا في الطبع. ولا يعلم إلا القليل من الناس مقدار ما عاناه في طبع مطبوعاته، وفي إخراجها في المدد التي قدرها ورآها، والتي كانت تطول وتدور مع الشكليات «الروتينيات» المعروفة.

وقوام مطبعة المجمع، في الوقت الحاضر، مطبعة كبيرة لطبع الكتب، ومطبعة صغيرة قرر شراءها، وستصل قريباً، لطبع الأغلفة والبطاقات والأمور الطباعية الصغيرة، وحروف عربية بإحجام مختلفة، وبرسوم متعددة، ثم حروف «لاطينية»، وقد قرر ابتياع حروف «لاطينية» لضبط الإعلام على وفق الطريقة الرسمية المقررة عند المحققين من علماء العربية والاستشراق، كما قرر شراء «مخيطة»، ومقص ورق، وما تحتاجه شعبة التجليد من أدوات.

أما ملاك المطبعة، فملاحظ فني قرر المجمع تعيينه في هذه السنة، وطباع واحد، وثلاثة مرتبين، والمجمع على حداثة عهده، أول مجمع عربي تمكن من التخلص من تحكم المطابع الأهلية فيه، بإنشاء مطبعة خاصة به، ابتاعها من ميزانيته الخاصة الضئيلة، من غير معاونة من موازنة المعارف أو الجهات الرسمية الأخرى.

أعماله العلمية: واصل المجمع عمله في دراسة المصطلحات العلمية التي قدمتها إليه الدوائر الحكومية، ونشر قسم منها في المجلد الثاني من هذه المجلة، كما بحث في المصطلحات «الكيمياوية» التي أرسلها مجمع اللغة العربية بالقاهرة إليه لإبداء رأيه فيها في ضمن خطته المتبعة في الاستئناس بآراء الدوائر المختصة، فدرسها وأبدى رأيه فيها، وستنشر هذه المصطلحات في الجزء الآتي من المجلة.

وقد عقد المجمع في خلال هذه المدة ٥٨ جلسة مجمعية، عقدت في أمسيات كل سبت من أيام الدوام الرسمي، وأكثر من هذا العدد جلسات فرعية، تتألف من أعضاء اللجان التي اقترح المجمع تأليفها لدراسة موضوع معين، وبحث طارئ.

وأجاب عن أسئلة عديدة تواردت عليه من أنحاء متعددة من العراق والخارج، ومن الدوائر أيضاً، في موضوعات شتى. منها في النحو، ومنها في اللغة، ومنها في الفيزياء، حتى شجرة إبراهيم، وهي شجرة كان لها مقام في القرنة، يقصدها الانكليز والأمريكان حين يذهبون إلى تلك المدينة، فيزورونها، ويقدم سكان القرية الشموع والنذور إليها ظانين أنها شجرة قديمة هي شجرة إبراهيم، ثم جفت وماتت قبل سنين وبقي أصلها، أقول قد سأل المجمع عن هذه الشجرة بريطاني اسمه «سيدرك دوفر» من أعضاء جمعية الإنسان والشجرة بلندن.

وواصل - على سنته - إلقاء المحاضرات في قاعته، ويقوم في العادة بإلقائها أعضاؤه العاملون، أو محاضرون زائرون من العلماء الذين يفدون إلى العراق، وقد تضمنت الخلاصتان السالفتان عناوين المحاضرات التي ألقيت من قبل مع أسماء أصحابها، وعقبتها المحاضرات الآتية على الترتيب التأريخي:

١ - الربط البغدادية وأثرها في الثقافة: للدكتور مصطفى جواد، في ١٤ / ١١ / ١٩٥٣.

٢ - أسس التعليم في الطب اليوناني: للدكتور هاشم الوتري، في ١٢ / ١٢ / ١٩٥٣.

٣ - أسس التعليم في الطب العربي: للدكتور هاشم الوتري، في ٢ / ١ / ١٩٥٤.

٤ - الحرية والسلام والحكم في الإسلام: للأستاذ منير القاضي في ٢٨ / ٢ / ١٩٥٤.

٥ - عناصر القوة القومية في الأمة العربية: للدكتور محمد عبد الله العربي، في ٢٧ / ٣ / ١٩٥٤.

الكتب والآثار: عرض في المجلد الأخير من مجلة المجمع للكتب والآثار التي طبعها المجمع. وتشير في هذا المجلد إلى ما تم طبعه، وإلى ما قدم إلى المطبعة حديثاً، وإلى الآثار التي تقرر تقديم مساعدات مالية لأصحابها معاونة منه في نشرها.

لقد أنجز قبل أشهر طبع الجزء الثالث من كتاب (تاريخ العرب قبل الإسلام) ووضع بين أيدي القراء، وأنجز طبع الجزء الأول من القسم العراقي من كتاب (خريدة القصر) للعماد الأصبهاني، وسيكون في متناول أيدي المتشوقين إليه بعد أيام قلائل،

وقد طبع القسم الأكبر منه في مطبعة المجمع. ويكاد ينتهي أيضاً طبع الجزء الأول عن (ابن الفوطي) ويتضمن هذا الجزء مقدمة في تأريخ الدولة العباسية بقلم الأستاذ محمد رضا الشبيبي، وأنجز طبع كتاب (أرض الخلافة) تأليف لسترنج وترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، وسيكون في أيدي القراء قريباً، وشرعت مطبعة المجمع في طبع الجزء الرابع من (تأريخ العرب قبل الإسلام). وسنقدم إلى المطبعة بعد أيام مسودات كتاب (الخطاط البغدادي ابن البواب) تأليف الدكتور سهيل أنور من علماء الأتراك، وترجمة: الأستاذ محمد بهجة الأثري نائب رئيس المجمع العلمي العراقي الأول، والأستاذ عزيز سامي.

هذا وقد أنجز في خلال هذه المدة طبع (كتاب الديارات) للشابشتي: بتحقيق السيد كوركيس عواد، و(كتاب شرفنامه) في تأريخ الإمارات الكردية: تأليف الأمير البدليسي وترجمة السيد جميل بندي الروزبياني، وهما من الكتب التي ساعد المجمع في إحيائها مساعدة مالية، وسيطبع في أثناء هذا الصيف بمساعدة المجمع كتاب (الدستور وحقوق الإنسان) لمؤلفه السيد عطا بكري، وذلك جرياً على سنته في تشجيع المتعاطين للتأليف والترجمة، غير مبالغ في التشديد، ليكون ذلك أدعى إلى انبعاثهم للعمل وتجويده بالمرانة والاستمرار.

الجوائز: واستمر المجمع على طريقته في تشجيع المؤلفين والمترجمين بإقامة المباريات بينهم، وقد اجتهد في هذه المرة أن تكون موضوعات التأليف مكتوبة غير مطبوعة، وأن تكون معينة، يعينها المجمع نفسه. وجوّز اشتراك أكثر من مؤلف واحد في تأليف الكتاب، وراعى التنويع في الموضوعات المقترحة حتى تكون أعم نفعاً وأكثر فائدة، تمثل مختلف جهات التخصص والمشارب والأذواق، وراعى في موضوعات الترجمة ما راعاه في التأليف من التنويع، والفائدة، وجعل الترجمة مطلقة غير مقيدة، فلم يخصصها بلغة واحدة، بل طلب أن تكون من جميع اللغات الأوربية الحية إلى اللغة العربية.

ووفقاً للبيان الذي أذاعه بخصوص مباريات الترجمة، درس في جلسته السابعة والعشرين المنعقدة في ٥ / ٦ / ١٩٥٤م الطلبات المقدمة إليه دراسة دقيقة شاملة، فوجد ما قدم إليه لا يلائم ما عناه وما رمى إليه من غايات، ودون المستوى الذي يطلبه.

أما بشأن المباريات فلا يزال المجال مفتوحاً أمام الراغبين في التأليف في

الموضوعات التي اقترحها على الباحثين على نحو ما يراها القاريء في البيان المنشور بعد هذه الخلاصة من أعمال المجمع.

العناية بالتراث العراقي: ومن أعماله العلمية رعايته للتراث العراقي، وقد عني به عناية خاصة، لحفظه من تعدي الزمان عليه، ولتقريبه إلى أيدي الباحثين، فكتب إلى الوزارات كافة يطلب منها موافاته بما عندها من وثائق وسندات ذات قيمة تأريخية لتصويرها، وابتاع ما ظفر به من الجرائد والمجلات العراقية التي صدرت في العهد العثماني وفي عهد الاحتلال والاستقلال، كما صور بعض الوثائق المهمة التي تتعلق بالثورة العراقية والعهود الوطنية الأخرى، وهو جاد في توسيعها بقدر الطاقة.

واتصل - بواسطة السفارة العراقية في أنقرة - بالسلطات التركية، لتصوير بعض الوثائق التركية المتعلقة بتأريخ العراق، فحصل على «أفلام» لها، حفظت في خزانة كتبه، ووضعت تحت تصرف المراجعين.

كما عني بجمع ما طبعته المطابع العراقية الأولى من كتب وآثار، ليكون سجلاً لتطور الطباعة في العراق، ومرجعاً يرجع إليه أصحاب الطلب.

ولم يغفل المجمع عن الحصول على نماذج من خطوط البارزين من العراقيين، وقد كتب إلى جماعة من البيوتات لتزويدها بما عندها من ذلك، هبةً أو بيعاً.

تصوير المخطوطات: وفي جملة ما قرره المجمع، المحافظة على البقية الباقية من المخطوطات في العراق، بتصويرها، وحفظ صورها في خزانة كتبه، وقد سافر من أجل ذلك الأستاذ السيد محمد بهجة الأثري نائب رئيس المجلس العلمي الأول إلى البصرة في مارت سنة ١٩٥٣م، وصحب معه مصور الشعبة الفنية بالمجمع لتصوير طائفة من المخطوطات النفيسة في مكتبة آل باش أعيان، كما اختارت لجنة المخطوطات المؤلفة من الأستاذ الأثري ومن الدكتور مصطفى جواد جملة أخرى من مخطوطات خزانة كتب الأوقاف العامة، فصورتها الشعبة المذكورة، كما صورت مخطوطات من مكتبات الموصل حفظت في خزانة كتب المجمع، وتدور الآن مراسلات بين المجمع ومديرية الأوقاف العامة لتصوير ما في خزانة كتب الروضة الحيدرية في النجف من نفائس المخطوطات.

ومما صوره الأستاذ الأثري للمجمع من خزانة كتب آل باش أعيان: كتاب الإيضاح في الوقف والابتداء لأبي بكر الأنباري، ومجلد من تفسير الإمام الماوردي،

وواقعة العجم وهي جزء من كتاب مطالع السعود في أخبار داوود لعثمان بن سند البصري بخط يده، وكتاب الصارم القرضاب، ورسالة الطيف، وكلاهما لابن سند أيضاً، وأدب القضاة لشرف الدين القرشي، والنصرة في تأريخ البصرة لأحمد نور الأنصاري قاضي البصرة، وشرح مقصورة ابن دريد لابن خالويه، وطبقات الأسنوي، وملخص كتاب الاعتقاد في الفرق بين الظاء والضاد لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، وعنوان المجد في تأريخ بغداد والبصرة ونجد لإبراهيم فصيح الحيدري، وخبايا الزوايا لشهاب الدين أحمد الخفاجي، وكتاب أخبار بغداد وما جاورها من البلاد للعلامة السيد محمود شكري الألوسي، وقصيدة للشاعر العراقي المشهور السيد عبد الغفار الأخرس بخط يده، وهي غير منشورة في ديوانه.

ومما صوره المجمع من خزانة كتب الأوقاف، شرح لامية العرب للشاوي، وشرح لامية العرب للسويدي، وقطعة صغيرة من ديوان أحمد عزت باشا العمري، ومجموعة صالح أفندي الموصلي[1]، وشهي النغم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم لأبي الثناء محمود الألوسي، وبناء المقالة العلوية في نقض الرسالة العثمانية لجمال الدين أحمد بن موسى بن جعفر المشهور بابن طاووس، وسر الصناعة لأبي الفتح عثمان بن جني النحوي، وعمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب لأبي القاسم يوسف بن عبد الله الزجاجي.

وفي خزانة كتبه من المصورات التي سعى للحصول عليها: ديوان أبي الفتح بن أبي حصينة السلمي، وهي نسخة رقمت برقم **١٦٢** مخطوطات صورت بـ«الفوطغرافيا» عن «فلم» أرسل إليه من «مدريد»، والمغني في الطب لابن النفيس، ونيل مصر للشيخ محمد البكري، والجزء الثالث من مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي، وكتاب ابن أبارة، وسرّ الأنساب العلوية لأبي نصر سهل البخاري النسابة، والفتحية في الموسيقى لمحمد بن عبد الحميد اللاذقي، وديوان الشيخ حسين العشاري بخطه وقد صوره من خزانة كتب الأستاذ السيد هاشم الألوسي، وشرح الأسطرلاب للموصلي، ومجالس أبي مسلم محمد بن أحمد الكاتب المعروف بكاتب حنظلة، ومخطوطة تأريخ الجزري، وتأريخ الغياثي، وأنموذج القتال في لعب الشطرنج لابن أبي حجلة، والمقتضب من جمرة النسب، والمستفاد من ذيل تأريخ بغداد لابن النجار، والجمهرة في نسب قريش للزبيري.

---

(١) اقرأ موجز ترجمته في مقالة الأستاذ الأثري في هذا الجزء ص١٨٧.

هذا وفي عزم المجمع وضع فهرست لهذه المخطوطات والمصورات يصفها فيه، ويذكر معالمها، ويضمنها نبذاً من سير أصحابها على نمط ما تفعله كبريات خزائن الكتب.

خزانة كتبه: لم تكن للمجمع - يوم أنشئ - خزانة كتب، أما الآن فقد توفر له ولله الحمد ما ينيف على ثمانية آلاف كتاب مطبوع وبضع مئات من مخطوطات ومن صور مخطوطات، ولولا الظروف القاهرة التي ليس للمجمع يد فيها، ولا قدرة لها على قهرها، مثل القيود المالية التي لا تسمح له بشراء ما يزيد على خمسة دنانير من الكتب في كل مرة، وضيق ميزانيته وبنايته، وعدم تمكنه من تعيين خبير متخصص بالكتب لتصنيفها وتبويبها وطبع فهرست ثابت لها، لكانت خزانة كتب بالشكل الذي يرضاه، ويود أن تكون عليه. على أنه لم ين يوماً ما في تذليل أمثال هذه الصعاب التي تقف في سبيله، وسيبلغ غايته بإذن الله. وانه لفخور بأن تكون خزانة كتبه غنية جداً بما تحويه من مؤلفات عن تأريخ العرب في الغابر والحاضر، وهو جاد في تكملة ما يعوزه في هذا الباب. وقد حصل على مؤلفات نادرة لا يمكن الحصول عليها في خزانات كتب الشرق الأدنى التي يزيد عمرها على عمر خزانة كتبه عشرات السنين.

الشعبة الفنية: قامت الشعبة الفنية - المكونة من قسم «الفوتستات» و«المايكروفلم» والتصوير بـ«الفوطغراف» - بتصوير عدد من المخطوطات ارتأى المجمع الحصول على نسخ لها لحفظها في خزانة كتبه، كما صور مخطوطات وكتباً نادرة ووثائق مهمة وخوارط لدوائر رسمية متعددة، منها: وزارة الخارجية، ومديرية الآثار القديمة العامة، وكليات الطب والصيدلة والعلوم والآداب.

ووردت عليه طلبات تصمير عديدة من الخارج، من مديرية معهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية في القاهرة، ومن مديرية معارف الكويت، ومن المجمع العلمي العربي بدمشق، ومن معهد الدراسات الشرقية الإفريقية بجامعة لندن، ومن جامعة واشنطن بالولايات الأمريكية، ومن جامعة استنبول في تركية، ومن الملحق الثقافي للسفارة الإيرانية ببغداد، وقد أنجزها كلها وأرسلها إليها، كما صور بعض المخطوطات المحفوظة في الموصل وفي مكتبات بغداد لبعض المستشرقين، منهم: ما سنيون، ووليم مارسيه، والدكتور هونرباخ.

هذا ولم تقتصر أعمال هذه الشعبة على تلبية طلبات المؤسسات الرسمية والأجنبية، بل أجابت طلبات الأهلين، فصورت لهم ما طلبوا تصويره من مخطوطات

ومن وثائق، كما كبرت لهم بعض «أفلام المايكرو» المرسلة إليهم من الخارج بأجور زهيدة، لا تزيد على الكلفة.

وقد أقامت هذه الشعبة اثنتي عشرة حفلة «سينمائية» عرض في خلالها ما يزيد على ثلاثين شريطاً ثقافياً، تدخل في جملة مشروعات المجمع للثقافة العامة.

الزائرون الأجانب: وقصد المجمع عدد من المستشرقين والزائرين لبغداد من البلاد الإسلامية والشرقية، فقدم إليهم ما أمكنه تقديمه من مساعدات في باب التصوير وفي الموارد للاستفادة منها في كتابة الدراسات.

المجلة: تقوم الأوضاع الرسمية حائلاً بين المجمع وبين إصدار المجلة في أوقات معينة، وقليل من الناس يعلمون ما كابدت لجنة المجلة من جهد في طبعها بالمطابع الأهلية. فقد طبع المجلد الأول في مطبعتين ومع ذلك لم تنجزاه إلا في مدة طويلة استغرقت ستة عشر شهراً، وطبع المجلّد الثاني في مطبعتين كذلك وفي مدة ثمانية عشر شهراً، وكنا ننقل الورق المطبوع من مطبعة إلى أخرى. أما الآن، وقد وفق المجمع لإنشاء مطبعة خاصة به، فقد قرر إصدار جزئين منها في هذه السنة، وثلاثة أجزاء في السنة المجمعية المقبلة بزيادة ملحوظة في عدد الصفحات.

ديوان الرئاسة وانتخاب أعضاء مراسلين جدد: تحتم المادة التاسعة من نظام المجمع تجديد انتخاب الرئيس ونائبه في مفتتح كل عام مجمعي، وقد عقدت الجلسة الأولى لسنة ١٩٥٣ - ١٩٥٤م في الأسبوع الأول من تشرين الأول لتنفيذ هذه المادة، فانتخب بالاقتراع السري الدكتور ناجي الأصيل رئيساً، والأستاذ محمد بهجة الأثري نائب الرئيس الأول، والدكتور مصطفى جواد نائب الرئيس الثاني.

ثم تداول المجلس الرأي في انتخاب أعضاء مراسلين جدد توسيعاً لنطاق المجمع، فقرر انتخاب الدكتور مصطفى نظيف وكيل جامعة (القاهرة)، والدكتورة سلوى نصار رئيسة دائرة الفيزياء في الجامعة الأمريكية (بيروت) عضوين مراسلين في المجمع. وفي جلسته السابعة عشرة المنعقدة في ٦ / ٢ / ١٩٥٤ نظر في انتخاب أعضاء آخرين من علماء العراق والأقطار العربية والأوربية، ودرس قائمة المرشحين لهذه العضوية، فانتخب تسعة منهم، وهم حضرات السادة: الأستاذ محمد الخال (السليمانية)، والأستاذ محمد بهجة البيطار (دمشق)، والأستاذ حمد الجاسر (الرياض)، والأستاذ عادل زعيتر، عمان، والأستاذ أحمد حسن الزيات، والدكتور

أحمد زكي، والدكتور إبراهيم بيومي مدكور (القاهرة) والأستاذ مكس ملون أستاذ الآثار الشرقية بجامعة لندن (إنكلترة)، والأستاذ اميليو كارسيا كومس الأستاذ بجامعة مدريد (أسبانيا).

ولقد فجع المجمع خلال سنة ١٩٥٣ و١٩٥٤ بفقد ثلاثة علماء من أعضائه، فكانت فجيعته بهم عظيمة عنده، وهم بحسب ترتيب وفياتهم: الأستاذ العلامة محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق، والدكتور شريف عسيران عضو المجمع العامل والأستاذ بدار المعلمين العالية ببغداد، والأستاذ أحمد أمين العالم المصري المشهور، رحمهم الله ونفع بآثارهم.

بناية المجمع: لا يزال المجمع في بناية ضيقة، لا تفي بحاجاته ولا أغراضه، بعيداً عن بناية مطبعته. وقد تشبث بمختلف الوسائل الممكنة للحصول على المال اللازم لبناء دار له على الأرض التي خصصت له، وأقيمت مطبعته عليها في حي الوزيرية، ومساحتها زهاء ستة آلاف متر مربع، ولكنه كان يجابه في كل مرة بصعوبات وعقوبات. وقد أنجز وضع الخطط اللازم للبناية، وقدمه إلى مديرية الأشغال العامة لإقراره ولتقدير كلفته، فجوبه بكارثة الفيضان، وأجّل المشروع إلى حين نرجو ألا يكون أمده طويلاً.

دور الاستقرار: هذا ولا يزال المجمع في عهد تكوين وإنشاء، والمجامع العلمية لا تشبه في طبيعتها المؤسسات الأخرى، فمن طبيعتها العمل بأناة في جوّ هادىء مستقر بعيد عن التدخلات والتعقيدات التي تقيد حرية عمله، وهو يرجو لذلك من الله أن يسدد خطاه، وان ييسر أمره، وأن يبعد عنه التدخلات والتغيير والتبديل، ليتمكن من إنجاز الأعمال المنوط به تحقيقها لخدمة الثقافة والحضارة والنهوض باللغة العربية التي هي لسان العلم الرسمي للبلاد.

ج. ع.

خلاصة عن أعمال المجمع العلمي العراقي(*)

هذا بيان موجز لأعمال المجمع في غضون المدة التي انصرمت بين صدور الجزء الأول من هذا المجلد الثالث، وهذا الجزء الذي يقدم إلى القراء، وهي مدة قصيرة لا يتجاوز أمدها أشهراً.

(*) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي العدد ٤ لسنة ١٩٥٦ ص ٣٤٥ - ٣٥١.

الميزانية: كانت ميزانية المجمع في سنة ١٩٥٣ - ١٩٥٤م المالية ١٢٥٠٠ دينار، وقد زيد هذا المبلغ في هذه السنة ١٩٥٤ - ١٩٥٥م خمس مئة دينار. ويشمل هذا المبلغ جميع نفقات المجمع: من رواتب، وبدل كراء الدار، ونفقات بناء أجنحة جديدة للمطبعة، وابتياع أدوات تكميلية للمطبعة وللشعبة الفنية، وكتب مطبوعة ومخطوطة لخزانة كتبه، وجوائز مالية للمتسابقين في المباريات، ومساعدات لمن يطلبون العون المالي لطبع كتبهم، وبدلات تملك حقوق التأليف والتحقيق والترجمة، ونفقات التأليف والمجلة، وما يستجد في خلال السنة من أمور ضرورية لا بدّ من الإنفاق عليها.

المطبعة: وصلت في خلال هذه المدة إلى مجمع مطبعة صغيرة ابتاعها من ألمانيا، لطبع الأغلفة والبطاقات والأمور الطباعية الصغيرة، وقد تمّ نصبها وتشغيلها. واشتريت أدوات أخرى تمشياً مع خطة التوسع التدريجي التي يسير المجمع عليها مع مقتضيات المصلحة وسعة الميزانية. أما ملاك المطبعة، فلم يطرأ عليه تغيير، وهو يتألف من طباع واحد وثلاثة مرتبين. وسيعين ملاحظ فني للمطبعة عند وصول مفردات ميزانية ١٩٥٥ المالية.

مطبوعاته: أنجز في خلال هذه المدة طبع هذا الجزء من المجلة، والمجلد الأول من خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصبهاني، والجزء الأول من كتاب مؤرخ العراق ابن الفوطي للأستاذ محمد رضا الشبيبي، وكتاب بلدان الخلافة تأليف لسترنج، والجزء الرابع من تأريخ العرب قبل الإسلام، وشرع في طبع الجزء الخامس منه وهو في الحالة الدينية للعرب قبل الإسلام، وطبع ترجمة كتاب منازع الفكر الحديث للفيلسوف جود.

وقد قرر المجمع في خلال هذه المدة ترجمة كتاب أصول الشريعة الإسلامية «The Origins Muhammadan Juisprudence» للمستشرق يوسف شاخت، كما قرر ترجمة كتاب الفرات الأوسط تأليف المستشرق ألويس موسل، وقرر تقديمه إلى المطبعة. وقد رغب - بهذه المناسبة - في تنشيط الباحثين والاستفادة من أصحاب الاختصاص والكفايات، فقرر الكتابة إلى المعاهد العلمية العالية، لترشيح من ترى عندهم رغبة في ترجمة هذا الكتاب، ليختار المجمع من بينهم الأشخاص الذين يكل إليهم ترجمته. وقرر كذلك تقديم كتاب (الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور) لنصر الله ابن الأثير إلى المطبعة.

أعماله العلمية: واصل المجمع عمله في دراسة المصطلحات العلمية التي قدمتها

إليه الدوائر الحكومية، وهو مستمر الآن في دراسة مصطلحات البناء التي أرسلتها إليه مديرية الإشغال العامة. وفي هذا الجزء طائفة من المصطلحات التي أقرها المجمع في خلال هذه المدة ورأى نشرها لوقوف القراء عليها. وهو حريص على نشر كل رأي يراه القارئ في هذه المصطلحات، وعلى دراسته للاستفادة منه.

ديوان الرئاسة: يتكون ديوان الرئاسة في هذه السنة من الرئيس الأستاذ السيد منير القاضي، ونائب الرئيس الأول الأستاذ السيد محمد بهجة الأثري، ونائبه الثاني الدكتور مصطفى جواد، والسكرتير الدكتور جواد علي. وواجبه النظر في المسائل الإدارية والمالية للمجمع، واتخاذ قرارات بشأنها لتيسير أعماله وللاقتصاد في الوقت، وليتسنى لمجلس المجمع الانصراف التام إلى واجباته العلمية المعينة في نظامه.

لجنة المجلة: تتولى الإشراف على المجلة لجنة مؤلفة من السادة: الأستاذ محمد بهجة الأثري، والأستاذ محيي الدين يوسف، والدكتور مصطفى جواد، والدكتور جواد علي، والأستاذ محمد بهجة الأثري هو المشرف على الطبع والإخراج وتدقيق المقالات، ولا ينشر مقال ما في المجلة إلا بعد موافقة اللجنة عليه.

المحاضرات: ألقى الأستاذ المستشرق «هايدل» من دائرة المشرقيات في جامعة شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية محاضرة عن (ملحمة كلكامش - قصة البحث عن الحياة الأبدية)، كما ألقى الدكتور مصطفى جواد عضو المجمع محاضرة أخرى بعنوان (جاوان القبيلة الكردية المنسية ومشاهير الجاوانيين).

تصوير المخطوطات: قامت الشعبة الفنية في المجمع بتصوير طائفة من المخطوطات لخزانة كتبه، وصورت مخطوطات عديدة لأناس طلبوا من المجمع تصويرها لهم بالأجور المقررة. ومن هذه المخطوطات التي صورت للراغبين: جزء في تأريخ الدولة العباسية محفوظ في خزانة كتب مديرية الأوقاف العامة برقم ١٠٢٠٤، ومخطوطة جديدة من نزهة الأرواح وروضة الأفراح للشهرزوري، صورت لمديرية الآثار القديمة العامة لحفظها في خزانة كتبها، وقد حقق الأستاذ السيد محمد بهجة الأثري هذا الكتاب، وقدمه المجمع إلى المطبعة. وصورت خوارط ورسوم منحنيات تل النبي يونس في الموصل لمديرية الآثار القديمة العامة، وأنجزت تصوير وثائق عديدة في تأريخ العراق لبعض الباحثين.

هذا وقد كلفت لجنة انتقاء المخطوطات الشعبة الفنية تصوير ثلاثين مخطوطة

محفوظة في خزانة كتب مديرية الأوقاف العامة، وتصوير جملة مخطوطات في الطب في خزانات كتب بعض الجوامع في مدينة الموصل لحفظها في خزانة كتبه. وقد أنجزت الشعبة تصوير أكثر من هذه المخطوطات. وسننشر أسماءها في الجزء التالي من المجلة.

أعمال الترجمة: وقرر المجمع إضافة عضو جديد إلى لجنة ترجمة كتاب قاموس الرياضيات، هو الدكتور محمد واصل الطاهر الأستاذ في كلية الآداب والعلوم؛ وتأليف لجنة من السادة: شيث نعمان والدكتور أحمد سوسة والدكتور مصطفى جواد، لبيان رأيهم في كتاب الرياضيات وأثرها في الحضارة الغربية لترجمته.

إهداء مطبوعات المجمع: من خطة المجمع أن يهدي مطبوعاته إلى دور الكتب العامة في العراق وخارجه بناء على طلب يقدم إليه، ويرى في إجابته خدمة للمصلحة العامة متحققة، فكان من جملة ما قرره في هذا الباب إهداء مطبوعاته إلى المكتبة العامة والمعهد الخلدوني وخزانة كتب جامع الزيتونة بتونس، وإلى خزانة كتب كلية الخرطوم في السودان، وإلى خزانة كتب المجمع العلمي الأمريكي للبحوث الآسيوية بمدينة سان فرنسيسكو بالولايات المتحدة الأمريكية.

واتبع طريقة مبادلة المطبوعات مع دائرة الطبع والنشر بجامعة كولمبيا بمدينة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية، ومع مكتبة «الكونكرس» بواشنطن.

بناية المجمع: لا يزال المجمع في داره الضيقة في شارع الزهاوي، بعيداً عن مطبعته. وقد أنجز المخططات والرسوم للبناية التي اقترح إنشاءها في الأرض التي خصصت به والتي تقوم مطبعته عليها. والمرجو أن تقوم وزارة المعارف بإدخال مشروع البناء في جملة الأعمال المخصصة بهذه السنة أسوة بما قامت به تجاه المعاهد العالية والمدارس الأخرى، فإن حاجة المجمع إلى بناء له لا تقل عن حاجة تلك المعاهد إليها، والمجمع مركز من مراكز العلم مقصود يروده الزائرون والباحثون من عراقيين وأجانب في كل حين.

أنباء وآراء

خلاصة لأعمال المجمع العلمي العراقي(*)

هذه خلاصة لأعمال المجمع في غضون المدة التي انصرمت بين صدور الجزء الأول من المجلد الرابع وصنوه هذا، تحوي الأمور التي قد تفيد من يريد الإطلاع على أعماله وتطوره.

مؤتمر المجامع العلمية العربية - كان المجمع العلمي العراقي من أوائل الداعين، ان لم يكن أولهم، إلى إقامة اتحاد علمي بين المجامع العلمية في البلاد العربية ينسق أعمالها ويعمل على تنفيذ مقرراتها، لئلا تذهب مجهوداتها سدى، وتبقى مقرراتها معطلة.

وقد بدأ دعوته إلى ذلك في ١٦/ ١٢/ ١٩٥٠، إذ وجه كتابين إلى المجمع العلمي العربي بدمشق ومجمع اللغة العربية بالقاهرة مع مذكرة لسكرتيرة الدكتور جواد علي في هذا الصدد يطلب فيها من المجمع دعوة المجمعين المذكورين لعقد مؤتمر يدرس الوسائل إلى هذا التعاون فيما بينها.

فأجاب المجمع العلمي العربي بدمشق عن كتاب المجمع العراقي بهذا الكتاب: «إن المجمع العلمي العربي يرحب بمشروع التعاون بين المجامع العلمية في البلاد العربية، ويرجو أن يكون بعد المفاوضة بشأنه محرراً مفصلاً يضمن الانسجام بين أعمال المجامع وزيادة إنتاجها»[١]. وأجاب مجمع اللغة العربية بالقاهرة أنه عرض الكتاب على هيأة المجمع، وبعد مناقشة في وسائل التعاون بين المجامع الثلاثة وطرقه، وافق المجلس على القرار الآتي:

«يرسل إلى المجمع العلمي العراقي نسخة من مطبوعات المجمع جميها، ومنهاج عمله، ومحاضر جلساته في سنة ١٩٥١»[٢].

(*) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي العدد ٤ لسنة ١٩٥٦ ص ٧٢٩ - ٧٥١.

(١) من كتاب المجمع العلمي العربي بدمشق رقم ٥١٤/ ١٨٧ وتأريخ ٢٣/ ١٢/ ١٩٥٠.

(٢) النص من مجلة مجمع اللغة العربية الجزء الثاني سنة ١٩٥٥ (ص٢٤٧، العمود الثاني).

ثم عاد مجمعنا فأغتنم فرصة سفر نائب رئيسه الأول الأستاذ محمد بهجة الأثري إلى مؤتمر الدراسات العربية الأول في الجامعة الأمريكية ببيروت، فعهد إليه مفاوضة المجمع العلمي العربي بدمشق في أمر هذا التعاون، وأنفذ إلى رئيس المجمع كتاباً (رقمه ٣٤٢ وتاريخه ١٦ / ٤ / ١٩٥١) ذكر فيه: «أن من خطط المجمع العلمي العراقي التعاون مع المجامع العلمية في البلاد العربية، لتوحيد المساعي وتوجيهها وجهة واحدة تضمن لها تحقيق مطالب العصر وحاجات النهضة، ولذلك قرر ندب الأستاذ السيد محمد بهجة الأثري نائب رئيس المجمع، ليتداول مع مجمعكم الكريم الرأي في هذا الشأن، ويتفق معه على الوسائل التي يتم بها التعاون. . . ونحن نرجو لمهمته المأمول منكم»(١).

وأهتبل المجتمع كل فرصة سنحت له، للاتصال بالمجامع العلمية وبأعضائها الذين يحضرون العراق ومفاوضتهم في تحقيق هذه الأهداف السامية، كما كلف كل عضو من أعضائه أن يكون لسانه وسفيره، ينطق باسمه مع كل عضو من أعضاء المجامع في هذا الشأن.

لذلك كان سروره عظيماً بما تؤدى إليه من قرار اللجنة الثقافية الدائمة بالجامعة العربية، في دورتها التاسعة التي عقدت في كانون الثاني من سنة ١٩٥٥ بمدينة جدة، بعقد مؤتمرات دورية للمجامع العربية لتبادل الرأي في نشاط كل مجمع والتقريب بين نتائج ذلك النشاط، وتأييد مجلس الجامعة العربية هذا القرار في دورته العادية الثالثة والعشرين المنعقدة في آذار سنة ١٩٥٥.

وتنفيذاً لقرار الجامعة العربية، وجهت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية دعوة إلى المجامع العلمية العربية الثلاثة لإيفاد ثلاثة أعضاء من كل مجمع إلى مدينة دمشق أول بلد في البلاد العربية أسس فيه مجمع عربي، لعقد أول مؤتمر للمجامع في ٢٩ / ٩ / ١٩٥٦، ودعت الدول العربية الأعضاء في الجامعة التي لا مجمع فيها لإرسال مراقب واحد عنها إلى هذا المؤتمر.

فرشح المجمع العلمي العراقي لتمثيله فيه الأستاذ محمد بهجة الأُري، والدكتور مصطفى جواد، والدكتور جواد علي، وأيدت وزارة المعارف هذا الترشيح، ووافق عليه مجلس الوزراء في جلسته السابعة والثلاثين المنعقدة في ٧ / ٥ / ١٩٥٦، وسافر الوفد في الوقت المحدد إلى دمشق.

---

(١) من أصل الكتاب المشار إليه.

ومثل المجمع العلمي العراقي في هذا المؤتمر أعضاؤه العاملون: الأستاذ خليل مردم بك، والأمير مصطفى الشهابي، والأمير جعفر الحسني، والدكتور مرشد خاطر، والدكتور منير العجلاني، والأستاذ عارف النكدي، والدكتور أسعد الحكيم، والأستاذ محمد بهجة البيطار، والدكتور حسني سبح، والدكتور جميل صليبا، والأستاذ عز الدين التنوخي، والدكتور حكمة هاشم.

أما مجمع اللغة العربية بالقاهرة، فقد مثله الدكتور منصور فهمي، والأستاذ أحمد حسن الزيات، والأستاذ إبراهيم مصطفى.

ومثل الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية الدكتور طه حسين رئيس اللجنة الثقافية الدائمة بجامعة الدول العربية، والدكتور رئيف أبو اللمع الأمين العام المساعد للشؤون الثقافية، والدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد المخطوطات، والدكتور ناصر الدين الأسد مندوب الإدارة الثقافية والسكرتير الفني للمؤتمر.

وأرسلت كل دولة من الدول العربية الأعضاء في الجامعة، التي ليس فيها مجمع علمي، مراقباً، فمثل المملكة العربية السعودية الأستاذ خير الدين الزركلي، ومثل لبنان الشيخ عبد إله العلايلي، ومثل المملكة الأردنية الأستاذ قدري حافظ طوقان، ومثل المملكة الليبية المتحدة الأستاذ نور الدين الشللي، ومثل المملكة التونسية الأستاذ أحمد عبد السلام. وأوفدت منظمة اليونسكو السيد شفيق الشماس لحضور المؤتمر ممثلا عنها.

وكان يوم السبت ٢٩ / ٩ / ١٩٥٦ هو اليوم الأول من أيام المؤتمر: وقد بدأ في الساعة العاشرة من صباحه باجتماعه تعارف عقد في دار المجمع العلمي العربي، ثم أعقبه زيارة القصر الجمهوري لتسجيل الأسماء، وقد تفضل فخامة الرئيس فاستقبل الوافدين وتمنى لهم كل خير في عملهم العلمي الجليل، ثم أعقبتها زيارة رئيس المجلس النيابي فطاف الأعضاء ببناية المجلس التي هي معجزة من معجزات الفن اليدوي أبدع فيها الفنان الدمشقي إبداعاً جعله من مفاخر الفن في هذا العصر، ثم زار بعد ذلك رئيس مجلس الوزراء فوزير المعارف، وبذلك انتهى عمل الأعضاء الرسمي التقليدي في الصباح.

وكان الاحتفال الرسمي بالمؤتمر مساءً بحضور فخامة رئيس الجمهورية السيد شكري القوتلي ورعايته، وقد ألقى فخامته كلمة حيا فيها الحاضرين ورجا فيها النجاح

للمؤتمر في تحقيق الأغراض التي اجتمع من أجلها والتي يرجو تحقيقها كل مواطن عربي، ثم خطب كل من صاحب المعالي الدكتور عبد الوهاب حومد وزير المعارف السوري، فمثل اللجنة الثقافية في جامعة الدول العربية الدكتور طه حسين، فمثل مجمع اللغة العربية في مصر الدكتور منصور فهمي، فالأستاذ السيد محمد بهجة الأثري نائب رئيس المجمع العلمي العراقي الأول وقد نقلت هذه الخطب إلى العالم بالأثير.

وهذا نص خطبة الأستاذ محمد بهجة الأثري:

«صاحب الفخامة رئيس الجمهورية

إنني... ياصاحب الفخامة، وأنا أنوب عن وفد العراق في مؤتمر المجامع اللغوية العلمية لتحتكم وتحية هذه الهالة المحيطة بكم من علية الشام وصيابة العرب... لأجدني في قرارة نفسي سعيداً أي سعيد أن أمثل العراق في هذا المؤتمر العتيد، وأن أمثل بين يديكم - في مناسبتين قوسيتين خطيرتين[1] - في طرفي أسبوع واحد، لأشكر لكم رعايتكم البالغة، لهذه المراسم القومية المتصلة، الحالة بالجمال، الحافلة بالجلال... في هذه البلدة الطيبة، المتوهجة، الفاتنة الخلوب... هذه البلدة العربية النجار، الكريمة، الحبيبة إلى قلب كل عربي: سليلة بردى وقاسيون، وبنت النسبين: السيف والقلم، والمجدين: الطارف والتالد (دمشق). دمشق التي أشبلت على العزوبة منذ أزل الآباد، وعلى الإسلام منذ تلقته في عنفوان شبابه بصدرها الرحب راضية به مطمئنة إليه، فكانت ثانية عواصم الدولة في عصرها الزاهر الزاهي، كما كانت اليوم قلب العروبة النابض بالحياة والفتوة والوثوب والطماح، ومصدراً من مصادر عزتها في هذا العصر.

وهل من غرابة أن تحتشد في دمشق اليوم كل مظاهر هذه الحياة والفتوة والوثوب والطماح؟ وأن تلتقي على صعيدها الطيب أعلام هذه الشعوب العربية، ما بين ذراعي المشرق والمغرب، في السياسة والجهاد، وفي الأدب والحياة، وفي اللغة والفكر... ليدفعوا - جميعاً ت هذه الفورات الجياشة من الرغبات القومية المتحفزة إلى الذروات، إلى جبهة الفلك، وإلى المربأ الأشم الذي يعده الله للمجاهدين الصابرين، ويورثه عباده الصالحين؟

لقد انتصرت العروبة الإيجابية البانية في المؤتمر الشعبي السياسي في دمشق، بما

---

(١) الموقف الأول في حفلة افتتاح مؤتمر الأدباء العرب الثاني.

صدر عن المؤتمرين فيه: من وحدة الشعور، ووحدة الرأي، ووحدة الدعوة، ووحدة التصميم على المضي إلى النهاية من النهج اللاحب من آمال الأمة العربية المتفتحة ما بين الأطلسي وتخوم إيران، في إنشاء الدولة العربية الكبرى، وهي كائنة لا ريب فيها؛ لأننا نريدها، والله مع وراء إرادتنا.

وأنتصرت العروبة الإيجابية البانية - ثانية - في مؤتمر الادباء العرب الثاني، في (بلودان)، بما ظهر واضحاً جلياً غير متكلف ولا مصنوع من اتفاق الادباء العرب على وجوب تجنيد أقلامهم وأفكارهم في سبيل تحقيق هذا الطماح القومي إلى تكوين الدولة العربية الكبرى، لتكون هذه الملايين التي تحيا - تحت رايتها - قوة ايجابية بانية مع القومى التي تعمل على تجديد شباب الحضارة المشتركة ما بين مطلع الشمس ومغيبها من آفاق الدنيا.

وستنتصر هذه العروبة - ثالثة - من غير شك، في هذا المؤتمر: مؤتمر المجامع اللغوية العلمية العربية. . . .

وفي يقيني أن ستبلغ هذه المجامع غايتها مما تنادت إليه من أمر هذا المؤتمر؛ لأن كل أسباب التوفيق موفورة في نفوسنا وعزائمنا، وموفورة في وسائلنا وفي تأييد الدولة بما تسمح به من حرية العمل وبما توفره من وسائل الإنتاج، وإن كنا نطمع منها في أكثر من هذا، ونطمع أن تسير معنا قدماً إلى غاية ابعد ومدى أنأى.

ولقد سعينا جاهدين لإدراك هذا كله، فوجدنا الاستجابة إليه من حكوماتنا ومن جامعة الدول العربية فيما سعينا له وابتغيناه.

ولقد نسب إلى هذه الحكومات التقصير في مؤازرة الأدب والعلم واللغة والفكر، فاستطاعت ثلاث حكومات منها أن تنفي عن نفسها التهمة حين استجابت - إلى حد ما - لمطالب العلماء، وهيأت لهم هذه المجامع اللغوية العلمية. . . وإنه ليرجى أن يتهيأ للحكومات الأخرى من أسباب الإنشاء وبواعثه ما تستطيع به إقامة مجامع مماثلة في ديارها.

ثم نسب إلى هذه المجامع شيء غير قليل من مزاعم التخلف والإبطاء، وما بها شيء من ذلك، ولكنه الطماح. . . طماح الأمة العربية وشبابها إلى الذروة. . . من طبيعته أن يطلب الكثير، ولا يقنع بما يقدم إليه بالغاً ما بلغ من الكثرة والقوة، وقد يطلب أن يعد له في اللحظات القصار لا يمكن أن يتكون ويتكامل إلا في السنين الطوال.

وأنا أحب أن اسمع الكثير الكيثر من هذا، ليكون ذلك حافزاً في جملة الحوافز للانبعاث أكثر وأكثر.

على أن ما يعتلج في نفوس العلماء القائمين على هذه المجامع من حب الارتقاء السريع وارادته، هو أكبر مما يعتلج من الرغبات الكريمة في نفوس البعيدين عن ممارسة مثل أعمالهم وعن معرفة طبيعة العلم وما يتطلبه الإنتاج العلمي السليم من الأناة والتثبت والاطمئنان. . . ومن هنا نشأت - فيما أحسب - فكرة عقد هذا المؤتمر عندهم، وأيدت الحكومات العربية - مشكورة - عقده في عاصمة الشام.

ولا خلاف في أن التقاء رغبات علماء اللغة الحكومات العربية عند هذا المطلب القومي الخطير، واشتراكها جميعاً في تقدير أثر اللغة وخطورتها في ازدهار النهضة، مظهر عظيم لارتقاء الفكر العربي وتطور المفاهيم عنده في هذه الأيام، يبشر بالخير العميم والنفع العظيم من غير شك.

لقد استجابت هذه اللغة العبقرية العلوية - ابان نهضة العرب العظمى - للمطالب الإنسانية، ومطالب الحضارة وغاياتها كما ينبغي لمثلها أن يستجيب، فوسعت كتاب الله - وهو المعجزة الخالدة - لفظاً وغاية، وأرضت الأحاسيس المرهفة عند الشعراء والأدباء، كما أرضت مطالب العلم والفلسفة والفن والسياسة والاجتماع والعمران، كما أرضت الشرائع والقوانين، ونهضت بكل ما تطلبته مقومات الحضارة من النقل عن اليونان والفرس والهند وغيرهم من الأمم.

وستستجيب لهذه النهضة العتيدة المباركة كما استجابت لاختها من قبل، حين نصدق العزم في النهوض. وانا لصادقون من غير شك، وانا لجادون من غير شك. . . ففي ضمائرنا الصدق والجد والإخلاص، وفي نفوسنا القدرة والإرادة والعزم، ومن إرادتنا تجديد شباب هذه الأمة العظيمة، ومن وراء إرادتنا إرادة الله وتأييده.

أعمال المؤتمر ولجانه - وبدأ المؤتمر أعماله صباح الأحد ٩/٣٠/ ١٩٥٦، في دار المجمع العلمي العربي، فاستعرض المؤتمرون منهاج العمل، وبدؤوا بانتخاب ديوان الرئاسة فانتخبوا الدكتور عبد الوهاب حومد وزير المعارف السورية رئيساً، والدكتور طه حسين والاستاذ خليل مردم بك والدكتور منصور فهمي والأستاذ محمد بهجة الاثري نائبين له، ثم الفوا لجنة أخرى من الأستاذ محمد بهجة الأثري والأستاذ أحمد حسن الزيات والدكتور جميل صليبا والدكتور صلاح الدين المنجد لصياغة

المقترحات وتنسيقها ليكون في الإمكان عرضها في لائحة منسقة مبوبة في الاجتماع الأخير العام، ثم استقر رأيهم على أن توزع أعمال المؤتمر على لجان خمسة، هي:

١ - لجنة تنظيم الاتصال وتنسيق الأعمال بين المجامع العلمية العربية، وينحصر عملها في الأمور التالية:

أ - الوسائل التي يجب الأخذ بها لتنظيم أعمال الاتصال وتنسيق الأعمال.

ب - تأسيس اتحاد للمجامع العلمية العربية تكون له اجتماعات دورية.

ج - علاقة المجامع العلمية بوزارات المعارف.

د - علاقة المجامع العلمية بالإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية.

هـ - تخصص المجامع العلمية فالعربية في بعض الموضوعات دون بعض.

وقد تألفت هذه اللجنة من: الدكتور طه حسين، والدكتور منصور فهمي، والأستاذ محمد بهجة الأثري، والأستاذ خليل مردم بك، وأختير الدكتور رئيف أبو اللمع مقرراً لها.

٢ - لجنة دراسة الوسائل الرامية إلى رقية اللغة العربية، وقد حدد عملها بما يأتي:

أ - بحث ما وصلت إليه المجامع العلمية الثلاثة من دراسة وسائل ترقية اللغة العربية.

ب - تبسيط قواعد اللغة العربية.

ج - الخط العربي.

د - تيسير كتابة اللغة العربية.

هـ - الفصحى والعامية.

سو - ما عمل وزارات المعارف والمجامع العلمية في تحقيق ذلك؟

ز - إصلاح لغة الدواوين (اقتراح قدمه المجمع العلمي العراقي).

وقد تألفت هذه اللجنة من: الدكتور عبد الوهاب حومد، والدكتور طه حسين، والاستاد أحمد حسن الزيات، والأستاذ محمد بهجة الأثري، والدكتور مصطفى جواد، والاستاد عارف النكدي، والشيخ محمد بهجة البيطار، والاستاذ عز الدين التنوخي، والاستاذ علي حسن عودة، والشيخ عبد الله العلايلي، والأستاذ نور الدين الشللي، والاستاذ أحمد عبد السلام، وانتخب الأستاذ إبراهيم مصطفى مقرراً لها.

٣ - لجنة التأليف والترجمة، وقد حددت أعمالها بالنظر في:

أ - الترجمة من العربية وإليها.

ب - تشجيع التأليف والترجمة في الموضوعات العلمية.

جـ - تشجيع المؤلفين بمنح جوائز دورية.

د - حركة الترجمة في البلاد العربية والدوائر الحكومية والمؤسسات الخاصة المعنية بذلك.

هـ - تنسيق الأعمال بين البلاد العربية في ميدان الترجمة، في سبيل التعاون المثمر، وأنقاء تعدد الترجمات للأصل الواحد.

وأعضاء هذه اللجنة: الدكتور طه حسين، والدكتور رئيف أبو اللمع، والدكتور منير العجلاني، والدكتور جميل صليبا، والدكتور حكمة هاشم، والأستاذ خير الدين الزركلي، والأستاذ أحمد عبد السلام، واختير الدكتور جواد علي مقرراً لها.

٤ - لجنة المصطلحات العلمية، وواجبها النظر في:

أ - طرائق وضع المصطلحات العلمية، وضبطها، وكيفية توحيدها.

ب - وسائل نشر ما يقرر من المصطلحات العلمية.

جـ - وضع معجم أعجمي - عربي للمصطلحات العلمية.

وأعضاء هذه اللجنة: الدكتور رئيف أبو اللمع، والدكتور جواد علي، والدكتور مرشد خاطر، والدكتور أسعد الحكيم، والدكتور حسني سبح، والدكتور جميل صليبا، والأستاذ قدري حافظ طوقان، والشيخ عبد الله العلايلي، وشفيق شماس، وأختير الأمير مصطفى الشهابي مقرراً لها.

٥ - لجنة تحقيق المخطوطات ونشرها، وتنحصر أعمالها فيما يأتي:

أ - احصاء عام بالمخطوطات العربية التي لم تنشر بعد.

ب - وسائل نشر أفضل المخطوطات العربية.

جـ - طرائق تحقيق المخطوطات العربية.

د - معهد المخطوطات العربية.

وأعضاؤها: الأستاذ إبراهيم مصطفى، والأستاذ محمد بهجة الأثري، والدكتور مصطفى جواد، والأستاذ خليل مردم بك، والأمير جعفر الحسني، والأستاذ خير الدين الزركلي، وأنتخب الدكتور صلاح الدين المنجد مقرراً لها.

وفي هذه اللجان والأعمال ما لا دخل له، بحسب رأيي، في موضوع المجامع العلمية وواجبات المجامع، بل هو من اختصاص دوائر ثقافية أخرى. ولكنها على كل حال من القضايا التي يجب أن يعنى بها، وأن تكون موضع دراسة الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، لأنها من القضايا العربية الثقافية العامة التي تخص العالم العربي اجمعه.

وقد قامت اللجان المذكورة بإعمالها على الوجه المرسوم لها المحدد في نطاق عملها، ثم قدمت توصياتها إلى مكتب المؤتمر لتنسيقها وعرض لائحتها في الجلسة العامة. وبعد أن فرغت لجنة الصياغة منها، عرضها على المؤتمر في جلسته العامة الختامية التي عقدت يوم الخميس ٤/١٠/١٩٥٦، وبعد مناقشتها والإحاطة بكل ما ورد فيها، قرر نشر التوصيات الآتية:

توصيات المؤتمر الأول للمجامع العلمية العربية

يعلن مؤتمر المجامع اللغوية العلمية المنعقد في دمشق من ٢٩ سبتمبر (أيلول) إلى ٤ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٥٦ أنه حين تنادت المجامع اللغوية العلمية لعقد هذا المؤتمر، كانت ترمى إلى تحقيق نهضة لغوية شاملة تمكن الأمة العربية من مسايرة ركب الحضارة الإنسانية العالمية في تطورها في مختلف جوانب الحياة. وكان لا بد لذلك من تفاهمٍ تام بين المجامع اللغوية العلمية في شؤون اللغة، ورسم مناهج العمل في هذا الشأن الخطير، حتى تستعيد اللغة العربية سيرتها الأولى التي وسعت الشرائع والعلوم والحضارات القديمة، وتتجارى في العصر الحاضر مع اللغات العالمية المماثلة.

وقد درس المؤتمر جملة من المشكلات التي عرضت عليه، ورأى فيها ما يلي:

أولاً - تاسيس اتحاد للمجامع اللغوية العلمية:

أ - يوصي المؤتمر بتأسيس اتحاد للمجامع اللغوية العلمية، ينظم الاتصال بين المجامع العربية، وينسق أعمالها.

ب - يتألف الاتحاد من ثلاثة مندوبين عن كل مجمع، تختارهم المجامع لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد، ويضاف إليهم عضو عن كل دولة من دول الجامعة العربية ليس فيها مجمع، تعينه حكومته، ويتمتع بما يتمتع به أعضاء الاتحاد.

ج - تدعو الأمانة العامة لجامعة الدول العربية الاتحاد إلى الاجتماع في أوقات دورية، وتقوم بدفع نفقات أعضائه وإقامتهم واجتماعاتهم.

د - يضع الاتحاد في دورته الأولى نظامه الداخلي، ويعرضه على المجامع اللغوية العلمية وعلى مجلس الجامعة.

هـ - ينظم الاتحاد الصلات بين المجامع العربية ووزارات المعارف والإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية.

ثانياً - وسائل ترقية اللغة العربية:

١ -

أ - يرى المؤتمر أن تلزم وزارات المعارف أساتذة المدارس، على تنوع اختصاصهم، إلقاء الدور باللغة العربية الفصحى، في مراحل التعليم كله، وفي معاهد المعلمين خاصة.

ب - وأن تلتزم الإذاعات العربية اللغة الصحيحة فيما تذيع من أحاديث وفي معظم التمثيليات والأغاني.

ج - وأن تكون الترجمات للروايات السينمائية باللغة الصحيحة.

د - وأن يكثر استعمال اللغة الصحيحة في الروايات المسرحية.

هـ - وأن يلتزم الشكل الكامل في الكتب المدرسية الابتدائية حتى يعتاد الطلاب سماع اللفظ الصحيح وقراءته، ويخفف منه في مرحلة التدريس الثانوي حتى يقتصر فيه على ضبط ما يشكل.

٢ - نظر المؤتمر في مقترحات تيسير النحو التي أعدتها وزارة التربية والتعليم في مصر، فوجد بعد دراستها أنها تحتاج إلى زيادة في البحث والتمحيص، وقرر تأجيل النظر فيها إلى مؤتمر آخر.

٣ -

أ - يقرر المؤتمر أن تقرب العامية من الفصحى.

ب - يعنى كل مجمع بجمع الألفاظ الدالة على الأشياء والمعاني الجارية بين الناس، فاذا كان اللفظ العامي عربي الأصل - وقد حرف أو صحف - صح واستعمل. وإذا لم يكن عربي الأصل، نظر في لفظ غيره، أو أقر استعماله، ثم تتخذ الوسائل لنشر ما أقر وإذاعته.

٤ - يوصي المؤتمر بان تتعاون المجامع على إعداد جزازات لمفردات اللغة قديمها ومستحدثها، مضافاً إلى ذلك ما تتفق عليه المجامع الثلاثة من المصطلحات العصرية، تمهيداً لتأليف معجم واسع شامل.

ثالثاً - التاليف والترجمة:

١ - يوصي المؤتمر لتشجيع التأليف وحمايته:

أ - ان تمنح المجامع المؤلفين جوائز، أو أن تنوه بتواليفهم.

ب - وأن تجري مباريات في موضوعات تعينها كل سنة، وتجيز أحسن المتبارين.

ج - وأن تهتم وزارات المعارف في البلاد العربية بأتخاذ الوسائل النى تضمن ملكية التأليف بين البلاد العربية.

د - يطلب المؤتمر إلى الحكومات العربية ازالة الموانع والقيود التي تحول دون انتشار الكتب، واعتبار البلاد العربية وحدة ثقافية، وإلغاء المكومس والضرائب التي تفرض على المطبوعات.

هـ - وأن تصدر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية نشرات دورية للتعريف بالمطبوعات العربية.

٢ - وفي الترجمة يوصي المؤتمر:

أ - بأن تعمل المجامع على ترجمة الروائع ذات القيمة الأدبية أو العلمية من اللغات الأجنبية، وأن تضع قوائم بأمهات الكتب الجديرة بالترجمة.

ب - وأن تصدر الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية نشرة دورية، تبين فيها ما ترجم، أو ما أخذ في ترجمته، أو ما تقررت ترجمته إلى اللغة العربية.

ج - وأن تنوه المجامع بأحسن الكتب المترجمة، أو تضع جوائز لها.

رابعاً - المصطلحات العلمية:

أ - يوصي المؤتمر بتعاون المجامع والجامعات وسائر المؤسسات العلمية على وضع المصطلحات أو تحقيقها.

ب - يرى المؤتمر أن يكون اتحاد المجامع المرجع الذي يوحد المصطلحات التي تضعها المجامع والمؤسسات العلمية والعلمية.

ج - ويوصي بجمع القواعد والشروح التي وضعها مجمع اللغة العربية في التعريب وقياسية بعض الأوزان والجموع في كتاب تطبعه الجامعة العربية، ليكون دستوراً للمجامع فيما تضع أو تحقق من مصطلحات.

د - يوصي المؤتمر الأمانة العامة لدول العربية بأن تكمل ما قامت به من جمع المصطلحات العلمية في كتب التعليم الابتدائي والثانوي في البلاد العربية، وأن تطبعها في كتاب بعد أن يقرها اتحاد المجامع.

هـ - يوصي المؤتمر بوضع معجم انكليزي فرنسي عربي شامل للمهم من المصطلحات العربية والمعربة، على أن تعرف الألفاظ فيه بالعربية تعريفاً موجزاً، وتقوم الأمانة العامة بالتعاون مع اتحاد المجامع بإخراج هذا المعجم.

و - يوصي المؤتمر باتخاذ الوسائل لتكون اللغة العربية لتدريس في الجامعات.

خامساً - تحقيق المخطوطات ونشرها:

أ - يوصي المؤتمر بأن تتخذ الحكومات العربية التدابير الوقائية الفنية لحفظ المخطوطات من التلف والضياع، وأن تصور مخطوطات كل مكتبة، وتزود كل مكتبة بآلات تصوير المخطوطات وقراءتها.

ب - يوصي المؤتمر بأن يعاد طبع عيون الكتب التي نشرها المستشرقون طبعاً علمياً، على أن تعارض على نسخ مخطوطة أخرى إذا أمكن، ويوصي بإكمال السلسلات التي بدأها المستشرقون كالمكتبة الجغرافية وغيرها.

ج - يوصي المؤتمر بأن تعنى المجامع ودور الكتب ومعهد المخطوطات بنشر المعاجم وما في بابها، والكتب الكبيرة، وأن تعمل المؤسسات العلمية في كل قطر على نشر الكتب المتعلقة بقطرهم.

د - يوصي المؤتمر بأن ينسق العمل بين المجامع ومعهد المخطوطات على الوجه الآتي:

١ - التقريب بين طرائق نشر المخطوطات في البلاد العربية.

٢ - يرسل معهد المخطوطات قوائم دورية بأسماء الكتب التي صورها إلى المجامع.

٣ - تتبادل المجامع ومعهد المخطوطات قوائم بأسماء ما يحقق من المخطوطات، أو ما هو تحت الطبع.

٤ - يوصي المؤتمر أن تشجع المجامع ومعهد المخطوطات تحقيق الكتب القديمة بطبع ما تراه جديراً بالنشر وبمكافأة المجيدين من المحققين.

وقد عرضت هذه التوصيات على مجلس جامعة الدول العربية في جلسته الخامسة من دور انعقاده العادي السادس والعشرين في ٢٥ / ١٠ / ١٩٥٦، فوافق عليها، وتولت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية تنفيذ ما ورد فيها. مؤتمر اتحاد المجامع العلمية

تنفيذاً لموافقة مجلس الجامعة العربية في اجتماعه السادس والعشرين المنعقد في ٢٥ / ١٠ / ١٩٥٦ على التوصيات المذكورة، دعت الإدارة الثقافية المجامع العلمية العربية إلى اجتماع تعقده بالقاهرة في ٢٣/ ٣ / ١٩٥٧، فأوفد مجمعنا للنظر في لائحة نظام اتحاد المجامع ثلاثة من أعضائه، هم: الاستاذ محيي الدين يوسف والدكتور مصطفى جواد والدكتور علي. وقد مثل المجمع العلمي العربي الأمير مصطفى الشهابي وشفيق جبرى والدكتور جميل صليبا، ومثل مجمع اللغة العربية الأستاذ أحمد حسن الزيات وإبراهيم مصطفى، وحضر مراقبون عن الدول الأعضاء في الجامعة التي ليس في بلادها مجمع علمي لغوي.

فدرس المؤتمرون لائحة النظام الأساسي لاتحاد المجامع، ثم درستها اللجنة القانونية من الناحية القانونية واعادتها إلى المؤتمر لإقرارها، وأعلنها الأمين العام لجامعة الدول العربية في اجتماع عام عقده في ٣٨ / ٣ حضره نخبة من رجال العلم والادب والصحابة في الجمهورية المصرية، ثم أحيل النظام على مجلس الجامعة العربية لإقراره باسم الدول العربية الأعضاء، فوافق المجلس عليه في جلسته الخامة من دور انعقاده العادي السابع والعشرين في ٣٠ / ٣ / ١٩٥٧، وبذلك أكتسب النظام الشكل القانوني النهائي.

وفوض المؤتمر الدكتور طه حسين - رئيس اللجنة الدائمة بجامعة الدول العربية وعضو مجلس اتحاد المجامع - أن يشرف على تأسيس مكتب الاتحاد في القاهرة وعلى اتخاذ الخطوات التمهيدية لاجتماع مجلس الاتحاد في دورته الاعتيادية، على أن يكون موعد الاجتماع المقبل لمجلس الاتحاد في النصف الأول من كانون الأول بمدينة القاهرة.

وهذا نص النظام المذكور:

النظام الأساسي

لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية

(المادة الأولى) ينشأ للمجاميع اللغوية العلمية العربية اتحاد يكون مقره مدينة القاهرة.

(المادة الثانية) يتألف الاتحاد من:

أ - المجمع العلمي العربي في دمشق.

ب - المجمع العلمي العراقي في بغداد.

ج - مجمع اللغة العربية في القاهرة.

د - كل مجمع لغوي علمي تنشئه دولة عربية مستقلة، ويوافق مجلس الاتحاد على قبوله.

هـ - متخصصين بشؤون اللغة العربية، تختارهم حكومات الدول العربية التي ليس فيها مجامع لغوية علمية.

(المادة الثالثة) أهداف الاتحاد:

أ - تحقيق نهضة لغوية شاملة، تيسر اللغة العربية لاستيعاب العلوم الحديثة والتعبير الصحيح عن حاجات المدنية الحاضرة.

ب - تنظيم الاتصال بين المجامع اللغوية العلمية العربية، وتنسيق جهودها في الأمور المتصلة باللغة العربية وبتراثها اللغوي العلمي.

ج - العمل على توحيد المصطلحات العلمية العربية، ونشرها.

(المادة الرابعة) يدير أعمال الاتحاد مجلس يسمى «مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية» تكون له شخصية معنوية، ويؤلف على الصورة الآتية:

أ - ثلاثة أعضاء عن كل مجمع لغوي علمي، يختارهم المجمع لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد.

ب - رئيس اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية.

ج - مدير الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية.

د - مندوب متخصص عن كل دولة عربية ليس فيها مجمع لغوي علمي، تعينه حكومته.

(المادة الخامسة) - يتناوب أعضاء المجامع في مجلس الاتحاد رئاسته كل سنة بحسب الحروف الهجائية لبلادهم.

(المادة السادسة) ينتخب أعضاء مجلس الاتحاد أميناً للاتحاد من أعضائه المجمعيين المقيمين في مقره، يكون انتخابه لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد.

(المادة السابعة) - يجتمع مجلس الاتحاد مرة على الأقل كل سنة في دورة عادية، ويحدد مكان الاجتماع وزمانه بقرار من المجلس، ويجوز أن يجتمع المجلس بدعوة من أمين الاتحاد بناء على طلب مجمعين على الأقل في دورة غير عادية عند الضرورة.

(المادة الثامنة) تعتبر اجتماعات مجلس الاتحاد صحيحة بحضور الأغلبية المطلقة للأعضاء، وتصدر القرارات بالأغلبية المطلقة للحاضرين، وفي حالة تساوى الأصوات يرجح الجانب الذي ينضم إليه الرئيس.

(المادة التاسعة) اختصاص المجلس:

أ - النظر في الأعمال السنوية لمكتب الاتحاد، وإقرارها.

ب - النظر في ميزانية مجلس الاتحاد السنوية، وإقرارها.

جـ - تنظم وسائل الاتصال بين المجامع اللغوية العلمية العربية، وتنسيق جهودها.

د - وضع الأنظمة الداخلية السير العمل.

هـ - وضع المشروعات التي تحقق أهدافه، والإشراف على أعمال مكتب الاتحاد بشأن الخطوات التنفيذية.

و - دراسة المصطلحات الحديثة التي ترد من المجامع، واقتراح توحيد المختلف عليه منها، وإحالته على مكتب الاتحاد لعرضه على المجامع بغية اقراره.

ز - النظر في الاقتراحات المتصلة بأهدافه التي تقدمها الأمانة العامة للجامعة والحكومات العربية والمجامع والجامعات والاتحادات العلمية والجماعات والأفراد، وإقرار ما يرى فائدة في تنفيذه منها.

ح - تنظيم عقد مؤتمرات دورية للدراسات العربية والإسلامية، يشترك فيها أعضاء المجامع والعلماء المتخصصون، وتسهم في نفقاتها الحكومات العربية.

(المادة العاشرة) ينشأ في مقر الاتحاد مكتب يديره أمين الاتحاد، ويستعين بموظفين تنتدبهم له الأمانة العامة لجامعة الدول العربية.

(المادة الحادية عشر) اختصاص مكتب الاتحاد:

أ - تنفيذ قرارات مجلس الاتحاد، ومتابعتها، وتصريف الأمور الادارية والمالية.

ب - تقديم تقرير سنوي عن أعماله إلى مجلس الاتحاد.

جـ - إعداد جدول الأعمال لاجتماعات المجلس مع تحديد مدة انعقاده.

د - تحضير ميزانية المجلس وعرضها عليه، وتسلم الواردات، وتصفية النفقات في حدود الميزانية المقررة.

(المادة الثانية عشرة) تتكون مالية الاتحاد من الموارد الآتية:

أ - الإعانة المالية السنوية التي تقدمها الأمانة العامة لجامعة الدول العربية.

ب - الهبات التي تقدمها الجماعات والأفراد، وتوافق على قبولها الأمانة العامة للجامعة العربية.

(المادة الثالثة عشرة) النفقات:

أ - مكافأة أمين الاتحاد.

ب - نفقات السفر لأعضاء مجلس الاتحاد ذهاباً واياباً، ونفقات إقامتهم في أثناء الاجتماع السنوي للمجلس.

جـ - نفقات تنفيذ المشروعات التي يقرها مجلس الاتحاد.

(المادة الرابعة عشرة) يجوز لمجلس الاتحاد أن يعدل هذا النظام بموافقة ثلثي أعضائه، على أن يدرج مشروع التعديل في الدعوة الموجهة للاجتماع، يشرط أن يقر مجلس الجامعة هذا التعديل.

(المادة الخامسة عشرة) يعمل بهذا النظام اعتباراً من تاريخ موافقة مجلس جامعة الدول العربية عليه.

الموازنة - قرر المجمع في جلسته الثانية المنعقدة في ١٣ / ١٠ / ١٩٥٦ أن تكون موازنته لسنة ١٩٥٧ المالية كالموازنة التي اقرها لسنة ١٩٥٦ المالية، ثلاثة عشر ألف دينار، يخصص منها (٧٥٠ و٧) ديناراً بطبع الكتب، وتملك حقوق التأليف والترجمة والتحقيق، وشراء كتب مطبوعة ومخطوطة لخزانة كتب المجمع، وإمداد الشعبة الفنية بما تحتاج إليه من لوازم لتصوير المخطوطات أو طبع «افلام» أو تكبيرها له وللهيأة الرسمية والباحثين، وشراء ما تحتاج المطبعة إليه من حروف وأدوات وورق وحفر

رواسم (كلايش)، ومخصصات شهرية للأعضاء العاملين، ونفقات بناء غرف جديدة تضاف إلى الغرف المنشأة في الأرض التي تملكها بالوزيرية، وغير ذلك من نفقات يراعى في إنفاقها الاقتصاد جهد الطاقة.

أما بقية المبلغ وهو «٥٢٥٠» ديناراً فرواتب ومخصصات للموظفين والمستخدمين.

مطبوعاته - أنجز المجمع خلال هذه المدة طبع هذا الجزء من المجلة، والجزء السادس من كتاب تأريخ العرب قبل الإسلام في الحياة الدينية للعرب قبل الإسلام، وشرع في طبع الجزء السابع منه. وأنجز كذلك طبع كتاب الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور لنصر الله ابن الأثير، وطبع تاب منازع الفكر الحديث تأليف وجود وترجمة الأستاذ عباس فضلي خماس ﷺ، وأشرفت مطبعته على انجاز كتاب إكمال الكمال لابن الصابوني.

وقد قدمت إليه خلال المدة طلبات عدة للمساعدة أو لشراء حقوق التملك، فأحالها على لجان فرعية اختصاصية لدرسها، منها: كتاب رسائل ضياء الدين بن الأثير بتحقيق الأستاذ أنيس الخوري المقدسي، وقد قرر إعطاءه منحة مالية تمكنه من نشره، ومنها: كتاب التنبيهات على أغاليط الرواة في الكتب والمصنفات لأبي حمزة البصري بتحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمنى الراجكوتي، وقد قرر المجمع طبعه على حسابه ومنح محققه ثلث ما يطبعه من النسخ.

وقرر في جلسته الخامسة عشرة في ٢١ / ١ / ١٩٥٦ نشر كتاب الأوائل لأبي الهلال العسكري، وعهد تحقيقه إلى الأستاذ محمد بهجة الأثري والدكتور مصطفى جواد بعد أن ييسر لهما أصح نسخ الكتاب، وقرر أيضاً ترجمة كتاب ألف بالانكليزية عن الخطاط العراقي علي بن هلال المعروف بابن البواب، وعهد بذلك إلى السيد كوركيس عواد.

والمجمع حريص على مساعدة كل مؤلف أو مترجم أو محقق، من غير تفريق أو تمييز بين عراقي وغير عراقي، عربي أو غير عربي، متى وجد في عمله الدقة والعلم والجهد.

المصطلحات العلمية - استمر المجمع في بحث مصطلحات معهد الإحصاء الدولي لتعليم الإحصاء في بيروت حتى بلغ المصطلح الـ ٥٩٤ من مصطلحات القائمة التي تبلغ «٦١٩» مصطلحاً، وهو يأمل أن ينتهي منها قبل عطلته التي ستبدأ في أول تموز.

وقد كتب في أثناء هذه الدورة إلى وزارة الاقتصاد طالباً منها التوسط لدى شركات النفط لإرسال ما عندها من مصطلحات فنية مشروحة شروحاً فنية موجزة، ليضع لها ألفاظاً عربية، فوجهت الوزارة كتاباً بذلك إلى الشركات العاملة في العراق، ولما تصل أجوبتها إليه.

المحاضرات - استهل موسم محاضرات المجمع لهذه السنة في مساء ٢٧ / ١٢ / ١٩٥٦ بمحاضرة للدكتور ناجي الأصيل في «النشاط الآثاري في العراق وأثره في تفهم الحضارة البشرية»، وكانت المحاضرة الثانية في ٢٩ / ١ / ١٩٥٧ للدكتور هاشم الوتري في «الدماغ والذاكرة من ناحيتي الفلسفة والطب»، والثالثة في ١ / ٦ / ١٩٥٧ للدكتور مصطفى جواد في «الفتوة وتطورها».

أعمال الشعبة الفنية - صورت الشعبة الفنية طائفة من المخطوطات لخزانة تمهيداً لتحقيقها أو للمحافظة عليها من التلف لما لها من خطورة الشأن. ومن هذه المصورات كتاب الأوائل لابي هلال العسكري، وقد قرر المجمع نشره كما قدمت، وكتاب النكت الظريفة على قصيدة عبد الباقي العمري في مدح الإمام أبي حنيفة، وشرح رسالة الآداب الحنفية، ومنتخب الجمان من نكت الهميان للصفدي، والروضة الفيحاء في تأريخ العلماء، وجامع المتفرقات، ومقدمة ديوان أحمد فارس افندي، ومجموع الامير منحك باشا، وحاشية على مقامات الحرير، والتعرف في الاصلين والتصوف لشهاب الدين أحمد بن حجر المكي، وبناء المقالة العلوية، والفتاوى العطائية، وكتاب الشفاء في الموسيقى، وكتاب المرصع في الاباء والأمهات والبنين والبنات والإذواء والذوات لابن الاثير، وكتاب المجموع من أبحاث الحافظ أبي طاهر السلفي.

وقد أمر المجمع بتصوير الصفحات الأولى والأخيرة منها لحفظها في خزانة كتبه، لأهميتها من ناحية الخط، لأنها مكتوبة بأيدي المؤلفين، أو بأيدي كبار العلماء العراقيين، أو لوجود ملاحظات وتواقيع عليها لمشاهير العلماء.

كذلك قامت الشعبة بمساعدة العلماء والباحثين من عراقيين وغيرهم في تصوير المخطوطات، أو تكبير «الأفلام» المرسلة من الخارج اليهم.

واتصل بمديرية الأوقاف العامة ببغداد لإعارته عدداً من المخطوطات المحفوظة في خزانة كتب مديرية الأوقاف العامة ببغداد وكتب بعض المساجد العراقية لتصويرها لخزانته أو للعلماء والباحثين العراقيين وغيرهم، فلبته مشكورة، وأرسلت إليه ما طلب

من مخطوطات، فصورها بعناية ودقة، ثم أعاد اليها الأصول شاكراً، كما أخذ على عاتقه تسليم النسخ المصورة إلى طالبيها مسجلة بالبريد أو بواسطة بريد وزارة الخارجية، وبين طالبي تصوير المخطوطات مؤسسات رسمية علمية، منها: المعهد الشرقي بجامعة لايدن الهولندية، ومعهد المخطوطات العربية بالإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية، وقد صور لها قسم الموسيقى من كتاب الشفاء ونسخة خطية لتأريخ الجبرتي، ومنها الجامعة الاميركية ببيروت، ومعهد الفنون الجميلة ببغداد.

وأرسل المجمع صوراً من خطوط مشاهير العلماء العراقيين طلبها الاستاذ السيد خير الدين الزركلي الوزير السعودي المفوض في الجامعة العربية لنشرها في طبعته الجديدة لكتابه (الأعلام)، وقد قدمها المجمع هدية إليه.

المهاداة – وقد وردت خلال هذه المدة على المجمع طلبات عديدة من الجامعات العربية والأجنبية ودور الكتب العامة تستهديه مطبوعاته، فأهدى منشورات إلى خزانة كتب بلدية حلب العامة، وخزانة كتب معهد المخطوطات العربية بالجامعة العربية، وخزانة كتب جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية بلبنان، وخزانة كتب المعهد الشرقي بجامعة هارفرد الامريكية بمدينة كمبردج ببوستن، وخزانة كتب جامعة «مكيل» بتورنتو بكندا، والمكتبة العمومية بالرباط، والمكتبة القروية بفاس، والمكتبة اليوسفية بمراكش، والمكتبة الوجدية بوجدة، والمكتبة المكانيسة بمكناس، ودار الكتب الوطنية بتونس، والمكتبة الزيتونية بجامع الزيتونة بتونس، وكتب المكتبة الخلدونية بتونس، وخزانة كتب معهد الدراسات العليا بتونس، والمكتبة العتيقة بالقيروان، وخزانة كتب الأوقاف بطرابلس.

كما قرر اهداءها إلى أصحاب الدلالة والفخامة ملوك الدول العربية ورؤسائها ورؤساء وزاراتها.

هذا، وقد أرسلت بعض دور النشر الادنبية مطبوعاتها هدية منها إلى المجمع، وفي جملتها مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر بالقاهرة، والمعهد الفرنسي بدمشق. وتفضل عدد من افاضل المؤلفين من العراقيين وغيرهم بأهداء ما نشروه إليه.

بناية المجمع – فرغ المجمع من بناء خمس غرف جديدة قرر اضافتها إلى ما انشأه من قبل في الأرض التي تملكها بالوزيرية حيث أنشأ مطبعته، وشرع في نقل مقره إليها من دار الكراء بشارع الزهاوي، وهو يأمل أن تحقق له وزارة المعارف احياء مشروعه

القديم، وهو انشاء بناية تليق به وبكرامة العراق، فالبناية الجديدة انما هي اجنحة بسيطة بنيت بصورة مؤقتة انتظاراً لإدخال الوزارة مشروع بناية المجمع في جدول أعمالها البنائية، وقد كلفت الوزارة قديماً الجهات الفنية وضع المخططات اللازمة للبناء. ولكن العمل لسبب ما توقف، الداعية إلى انشاء دار حديثة للمجمع شديدة بعد أن أثبت المجمع وجوده، وصار حقيقة من حقائق العراق الحديث ومثابة للعلماء يفد اليها كل مستشرق أو عالم أو باحث عربي أو أجنبي يؤم بغداد.

المطبعة - لم يتمكن المجمع خلال السنة الماضية وخلال هذه السنة من التوسع في المطبعة، ولا في شراء شيء لها. وكان قد قرر شراء آلة «لاينوتايب» عربية وافرنجية لتقوم بتنفيذ حاجاته المتزايدة في الطبع، غير أنه اضطر إلى إرجاء تنفيذ هذا القرار لقلة المال لديه، واكتفى بالاستمرار على الوضع القائم والسير على مستواه الحالي في الطباعة إلى السنة المالية المقبلة، انتظاراً لزيادة مخصصاته زيادة تمكنه من شراء ما يحتاج إليه من آلات وأدوات يرفع بها مستوى الطباعة في هذا البلد.

جوائز المجمع - لم يتمكن المجمع بسبب أحواله المالية من الاستمرار على وضع جوائز مالية للمؤلفين والناشرين والمترجمين كما كان يفعل في السابق، وهو آسف بالطبع على ذلك، غير أنه ما زال مستمراً في رصد جوائزه التي تمنح للأوائل من طلاب الكليات العراقية في كل عام.

ديوان الرئاسة - يتألف ديوان الدئاسة في هذه السنة من الرئيس الأستاذ منير القاضي، ونائب الرئيس الأول الاستاذ محمد بهجة الاثري، ونائبه الثاني الدكتور مصطفى جواد، و«السكرتير» الدكتور جواد علي. وواجبه النظر في المسائل الإدارية والمالية للمجمع، واتخاذ قرارات بشأنها، لتيسير أعماله، وليتسنى لمجلس المجمع الانصراف التام إلى واجباته العلمية المعينة في نظامه.

لجنة المجلة - وتتولى الاشراف على مقالات المجلة، التي يقدمها إلى المجمع كتاب من غير أعضائه، لجنة قوامها: الأستاذ محمد بهجة الأثري، والأستاذ محيي الدين يوسف، والدكتور مصطفى جواد، والدكتور جواد علي.

والأستاذ محمد بهجة الأثري هو المشرف على تحرير لغة هذه المقالات وعلى الإخراج والطبع.

خلاصة أعمال المجمع العلمي العراقي(*)

في سنة ١٩٥٩ - ١٩٦٠

هذه تذكرة لما قام به المجمع في غضون المدة التي انصرمت بين آخر مجلد صدر من هذه المجلة، وهذا الجزء الذي يقدم إلى القراء، التزمت فيها، وضمنتها الأمور التي تفيد من يريد الوقوف على سيرة المجمع وتطوره:

ديوان الرئاسة: تحتم المادة التاسعة من نظام المجمع تجديد انتخاب الرئيس ونائبيه في مفتتح كل عام مجمعي. وقد عقدت الجلسة الأولى لسنة ١٩٦٠ - ١٩٦١ مساء الثلاثاء الرابع من تشرين الأول لتنفيذ حكم هذه المادة. فانتخب بالاقتراع السري الأستاذ السيد منير القاضي رئيساً والأستاذ السيد محمد بهجة الأثري نائباً أول للرئيس، والدكتور مصطفى جواد نائباً ثانياً، ومن حضرات الأساتذة المذكورين مضافاً إليهم العضو العامل الدكتور جواد علي سكرتير المجمع، تكون ديوان الرئاسة لسنة ١٩٦٠ - ١٩٦١.

مؤتمرات: وجه مؤتمر المستشرقين الذي انعقد في موسكو في شهر آب من هذه السنة دعوة إلى المجمع العلمي العراقي لإرسال مندوب عنه لحضوره. وقد اختار المجمع الدكتور مصطفى جواد العضو العامل لتمثيله هناك، ولكن ظروفاً شخصية مفاجئة حالت دون حضوره، كما ن ان العضو العامل الدكتور ناجي الأصيل لم يتيسر له الحضور، لفوات موعد المؤتمر وهو في جنيف ينتظر ورود معلومات كان قد طلبها. وسافر الأستاذ محمد بهجة الأثري نائب رئيس المجمع الأول وكذلك الأستاذ محمد رضا الشبيبي عضو المجمع الفخري إلى فاس، بدعوة وجهتها إليهما الحكومة المغربية للاشتراك في الاحتفال بجامعة القرويين وهي أقدم جامعة إسلامية أسست هناك.

وقد حضر الدكتور ناجي الأصيل عضو المجمع العامل مؤتمر المستشرقين الآثاريين في جنيف بدعوة من المؤتمر.

وفاة أعضاء: فجع المجمع خلال هذه المدة بوفاة المرحوم الدكتور داوود الجلبي عضو المجمع المراسل، رحمه الله وعوض الآداب العربية عنه خيراً.

الميزانية: بقيت موازنة المجمع على ما هي عليه، دون أن يضاف إليها شيء ما. أما مشروع البناية المقررة للمجمع، فقد توقف في هذه السنة، بانتظار النتائج التي

(*) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي العدد ٧ لسنة ١٩٦٠ ص ٣٦٦ - ٣٧٠.

سيسفر عنها فحص التربة، وقد وضعت مديرية الأشغال العامة مناقصة فحص التربة في الإعلان، وسيشرع بالفحص غب انتهائها.

المطبعة: نظراً لضيق ميزانية المجمع، لم يتمكن من شراء شيء جديد يضيفه إلى مقتنيات المطبعة للنهوض بمستواها. وكان المجمع قد تقدم إلى الوزارة في أثناء إعداده ميزانيته برجاء الموافقة في تخصيص مبلغ عشرة آلاف دينار لابتياع آلة تنضيد، ومبلغ ألف وخمسمائة دينار لابتياع أدوات تجليد، ولكنه لم يوفق للحصول على شيء من ذلك.

مطبوعاته: نجز طبع الجزء الثامن من كتاب تأريخ العرب قبل الإسلام، وستباشر المطبعة بطبع الكتب التي قرر المجمع طبعها حسب الترتيب. كما نجز طبع النشرة السادسة من نشرات المجمع في المصطلحات العلمية.

المصطلحات: أنجز المجمع مصطلحات علم التربة، وهي حوالي ثلاثمائة مصطلح. وسيباشر بدراسة المصطلحات الأخرى الواردة إليه من مختلف الدوائر والجهات. وقد باشر فعلاً بدراسة مصطلحات التربية البدنية. وهي مصطلحات تقع في جملة قوائم أرسلتها إليه اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية. وسيباشر بعد الانتهاء منها النظر في مصطلحات مصلحة نقل الركاب.

الهدايا: تسلم المجمع جملة هدايا من المؤلفين ومن الناشرين، فأودعها خزانة كتبه، ودون في سجل الكتب أسماء مهديها، ومن الناشرين الذين اعتادوا إرسال مطبوعاتهم إلى المجمع: مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، والمجمع العلمي العربي بدمشق، والمعهد العلمي الفرنسي بدمشق. ومكتبة لنينغراد.

الشعبة الفنية: وافق المجمع على إيفاد ملاحظة الشعبة الفنية إلى جيكوسلوفاكيا لمدة سنة واحدة، لاستزادة معلوماته في أمور التصوير وقواعده وما يتعلق بذلك. وقد صورت الشعبة مخطوطة تأريخ الغياثي لأحد طلاب العلم في جامعة برنستن للاستعانة بها في بحث يعده لنيل شهادة الدكتوراه. كما قامت بتصوير جملة مخطوطات ووثائق لمديرية الآثار القديمة العامة ولخزانة كتب المجمع.

اجتماعاته: عقد المجمع ٢٥ اجتماعاً في السنة ١٩٥٩ - ١٩٦٠ المجمعية، أنهى فيها دراسة مصطلحات علم التربة، ومختلف الموضوعات العلمية والقضايا الإدارية والاستفتاءات اللغوية والعلمية التي عرضت عليه.

زيارات الأجانب: ولقد قصد المجمع عدد من الزوار الأجانب الذين زاروا العراق، من بينهم رئيس الجالية الإسلامية بيوغوسلافيا، ومدير التعليم العالي العام بـ «جيكوسلوفاكيا» والدكتور نيبرك المستشرق المعروف، عضو المجمع العلمي السويدي، والأستاذ في جامعة «اوبسالا»، وقد انتخبه المجمع اثر ذلك عضواً مراسلاً له. والدكتور مورالي، المدير العام للعلاقات الثقافية في وزارة الخارجية الاسبانية، كما قصده نفر من مختلف الجنسيات لشراء مطبوعاته.

لجنة المجلة: تتألف لجنة المجلة في الوقت الحاضر من الأساتذة السادة: محمد بهجة الأثري وشيث نعمان والدكتور مصطفى جواد والدكتور جواد علي. ووظيفتها النظر في البحوث التي يرسلها كتابتها إلى المجمع لنشرها في مجلته. وتقبل اللجنة ما يرد إليها من الكتاب سواء أكانوا من أعضاء المجمع أم من غيرهم إذا كان منسجماً مع خطة المجمع، غزيراً في مادته. وهي إذ تجيز نشر ما يرد إليها من مقالات وبحوث فإنها تنشرها على مسؤولية أصحابها، فلا تتعرض لها بتصحيح لا في الموضوع ولا في اللغة والأسلوب.

ومجلة المجمع مجلةكل طالب علم، ليست خاصة بأعضاء المجمع - لا يكتب فيها غيرهم، ولا تفسح صدرها لكتاب دون آخرين، بل هي مجلة تنشر ما لأعضاء المجمع وما لغيرهم. وما بعض المقالات التي يجدها القارئ في هذا الجزء، وهي لغير أعضاء المجمع، إلا برهان على فساد ما قد يذهب إليه بعض الناس من القول ان المجمع قصر مجلته على نشر نتاج أعضائه.

أجزاء المجلة وبدل الاشتراك: مجلة المجمع مثل المجلات المجمعية الأخرى، لا تتقيد بشهر أو بفصل، فليست المجامع دور نشر فتتقيد بقيود مواعيد الإصدار، وقاعدتها في النشر التمسك بالمجلدات، وقد يكون المجلد جزءاً واحداً واسعاً كما كان المجلد السابق، وقد يكون جملة أجزاء. ولهذا لا يتقيد المجمع بتعيين مبلغ خاص بالاشتراك، بل يتقيد ببيع المجلة على أساس ثمن الجزء الصادر إلى السوق وهو ٢٠٠ فلس للجزء الواحد، مأخوذاً من إدارة المجمع. مضافاً إليه أجرة البريد، إذا كان مطلوباً في البريد.

نشر كتاب: قرر المجمع في جلسته الخامسة لهذه السنة الجمعية، نشر تأريخ الغياثي، وقد أحيل أمر تحقيقه على لجنة مكونة من السادة الأساتذة: عباس العزاوي والدكتور مصطفى جواد والدكتور حسين علي محفوظ.

اشتراك في معارض كتب: وقرر الاشتراك في معرض الكتاب السادس المنوي عقده في بيروت في أواخر الشهر، وفي معرض الكتب الدولي المنوي عقده في نهاية الشهر القادم في لاهور بالباكستان. وقد أرسل مطبوعاته إلى السفارة العراقية ببيروت والسفارة العراقية بكراجي لعرضها في المعرضين.

إعادة طبع كتاب: نظراً لنفاد الجزئين الأول والثاني منذ مدة طويلة من كتاب تأريخ العرب قبل الإسلام، فقد قرر المجمع إعادة طبع الجزء الأول منه، وسيباشر بطبعه قريباً.

خلاصة إعمال المجمع العلمي العراقي(*)

في سنة ١٩٦٠ - ١٩٦١

هذه تذكرة لما قام به المجمع في غضون المدة التي انصرمت بين آخر مجلد صدر من هذه المجلة، وهذا الجزء الذي يقدم إلى القراء، التزمت فيها، وضمنتها الأمور التي تفيد من يريد الوقوف على سيرة المجمع وتطوره.

ديوان الرئاسة: تحتم المادة التاسعة من نظام المجمع تجديد انتخاب الرئيس ونائبيه في مفتتح كل عام مجمعي. وبناءاً على ذلك فسيجتمع المجمع في الأسبوع الأول من شهر تشرين الأول القادم لتنفيذ ما جاء فيها.

وفاة عضو عامل: فجع المجمع خلال هذه المدة بوفاة المرحوم الدكتور هاشم الوتري عضو المجمع العامل. انتقل إلى رحمة ربه، صباح يوم الأربعاء الثامن عشر من شهر كانون الثاني لسنة ١٩٦١.

وفاة عضو فخري: وفجع المجمع. بوفاة عضوه الفخري المرحوم العميد الركن طه الهاشمي. الذي انتقل إلى رحمة ربه أثر عملية جراحية أجريت له خارج العراق.

وفاة عضو مراسل: وفجع المجمع بوفاة المطران سليمان الصائغ، عضو المجمع المراسل، انتقل إلى رحمة ربه يوم الاثنين ١٨ / ٩ / ١٩٦١ ببغداد.

أعضاء مراسلون: انتخب المجمع في جلسته الحادية عشرة المنعقدة بتأريخ ٢٤ / ١٢ / ١٩٦١ السادسة الأساتذة: خير الدين الزركلي والدكتور حسين مؤنس والدكتور

(*) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العراقي العدد ٨ لسنة ١٩٦١ ص ٤٣٧-٤٤٢.

شوقي ضيف والأستاذ عزيز اباضة والدكتور صلاح الدين المنجد والأستاذ علي طنطاوي والدكتور محمد سامي الدهان والأستاذ سعيد الأفغاني والأستاذ عز الدين التنوخي والدكتور إسحاق موسى الحسيني والأستاذ محمد الفاسي والدكتور مصطفى زيادة اعضاءاً مراسلين للمجمع.

الميزانية: جعلت ميزانية المجمع لهذه السنة المالية مبلغ ١٧٤٠٠ دينار. أي بإضافة مبلغ ١٩٠٠ دينار على ميزانية السنة المنصرمة. أما مشروع البناية المقررة لمجمع، فقد انتهت مديرية الأشغال والمباني العامة من المرحلة الأولى من المشروع. مرحلة فحص التربة. والمأمول أن تشرع بالمرحلة الثانية، وهي مرحلة أسس البناية.

مطبوعاته: نجز طبع كتاب: النقد الأدبي في العراق للعضو العامل الأستاذ السيد عباس العزاوي. كما نجز طبع نشرة مصطلحات التربية البدنية. ورسالة «تأريخ الإمارة الافراسيابية».

المصطلحات: أنجز المجمع وضع مصطلحات التربية البدنية، وهي نحو من ألف مصطلح، أرسلت اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية إليه أصولها باللغة الانكليزية والفرنسية فوضع مقابلها مصطلحات عربية. وسيباشر النظر في مصطلحات أرسلتها إليه مديرية السكك الحديد العامة ومصطلحات أرسلتها إليه مصلحة نقل الركاب.

هذا، ولا بد من الإشارة إلى أن المجمع، سبق له أن أنجز لمديرية السكك، قائمة مصطلحات أخرى قبل حوالي أربع سنوات. وقد طبعت ونشرت في عداد سلسلة كراسات المصطلحات.

الهدايا: تسلم المجمع جملة هدايا من بعض فضلاء المؤلفين والناشرين، فحفظها في خزانة كتبه، ودون في سجل الكتب أسماء مهديها.

تبادل المطبوعات: يرسل المجمع مطبوعاته إلى المجامع العلمية ودور النشر والكتب العامة على أساس مبدأ التبادل. كما يقوم بإهداء مطبوعاته إلى الجامعات والمؤسسات العامة نشراً للثقافة والعلم، وتوثيقاً للاتصال بين المؤسسات العلمية وفي جملتها الجامعات والمؤسسات العامة الخيرية في عدد من الأقطار الإفريقية والآسيوية.

الشعبة الفنية: صورت الشعبة الفنية جملة مخطوطات لمديرية الآثار القديمة العامة لحفظها في خزانة كتبها أو لإرسالها إلى بعض العلماء وطلاب الجامعات الذين كتبوا إليها طالبين منها مساعدتهم بالحصول على صور تلك المخطوطات. كما قام المجمع

نفسه بتصوير مخطوطات إلى بعض طلاب العلم في جامعات الولايات المتحدة وبريطانية ويوغوسلافية. وقد قدم بعضها دون عوض خدمة للمعاونة العلمية والثقافية.

اجتماعاته: عقد المجمع ٣١ اجتماعاً في السنة ١٩٦٠ - ١٩٦١ المجمعية، أنهى فيها دراسة مصطلحات التربية البدنية، ومختلف الموضوعات العلمية والقضايا الإدارية والاستفتاءات اللغوية والعلمية التي عرضت عليه.

زيارات الأجانب: ولقد قصد المجمع عدد من ا لزوار الأجانب الذين زاروا العراق، من بينهم أحد أساتذة المعهد الشرقي بجامعة «وارشو» بالجمهورية البولونية، وذلك بتوصية من وزارة المعارف. وقد أهديت له بعض مطبوعات المجمع، بناءاً على طلب من الوزارة.

الاشتراك في معرض الكتاب العربي: قرر المجمع الاشتراك في معرض الكتاب العربي السنوي السابع المنوي عقده في الجامعة الأميركية ببيروت. وذلك خلال شهر تشرين الثاني سنة ١٩٦١. وقد كتب إلى وزارة المعارف بقراره هذا. وأرسل إليه ما لديه من مطبوعات.

كما وافق على الاشتراك في المعرض الدولي للكتب المنوي عقده في لاهور بالباكستان. وفي معرض آخر سيقام في الهند.

معهد الدراسات الإسلامية العليا في بيرو: وقرر المجمع إهداء مطبوعاته إلى معهد الدراسات الإسلامية العليا في ليما بجمهورية بيرو. وذلك بناءاً على طلبه. كما كتب إليه مبدياً استعداداه لتقديم كل معاونة ممكنة إليه.

كما قرر إرسال مطبوعاته إلى معهد الدراسات الإسلامية بطوكيو. وإخباره باستعداده لتقديم كل معونة علمية ممكنة إليه.

الاشتراك في مؤتمر: قرر المجمع في جلسته الثامنة المنعقدة بتأريخ ٢٦ / ١١ / ١٩٦٠، الاشتراك في مؤتمر القيم الثقافية بين الشرق والغرب المنوي عقده في «كلكتا» في شهر تشرين الأول من هذه السنة بالهند. وقد رشح لتمثيله العضوين العاملين: الدكتور جواد علي والدكتور أحمد سوسة ووافق مجلس الوزراء على القرار

إبداء الآراء استطلت وزارة المعارف رأي المجمع في بعض الاتفاقيات الثقافية المنوي عقدها بين الجمهورية العراقية والدول الأجنبية فألف المجمع لجنة فرعية قوامها الأستاذ شيث نعمان والدكتور جواد علي لتقديم رأيها في هذه الاتفاقيات

كما أبدى المجمع رأيه لوزارة المعارف في طلب «دار النشر السويسرية»، مساعدتها بإصدار مؤلف عن العالم العربي باللغات الانكليزية والفرنسية والألمانية في مذكرة ضافية أرسلها إليها بناءاً على قراره المتخذ في الجلسة الحادية والعشرين المنعقدة بتأريخ ١/ ٤/ ١٩٦١.

وألف المجمع لجنة فرعية قوامها الأساتذة السادة: منير القاضي والدكتور ناجي الأصيل والدكتور أحمد سوسة وذلك بموجب قراره المتخذ في جلسته التاسعة والعشرين المنعقدة بتأريخ ٣/ ٦/ ١٩٦١ لتقديم رأي المجمع في مسودة قانون الإيداع لسنة ١٩٦١ وقد قدم المجمع رأيه فيه بصورة مفصلة عن ذلك القانون.

نتائج المباريات: تلي تقرير اللجنة الفرعية المؤلفة بموجب قرار المجمع في جلسته الثانية عشرة المنعقدة في ٣١/ ١٢/ ١٩٦٠ لتقديم رأيها في مسودة كتاب: المخترعات المبنية على التطبيقات الالكترونية، وهو الكتاب الوحيد الذي قدم إلى المجمع بناءاً على بيانه الذي نشره في أمر المباريات لسنة ١٩٦٠. فوافق في جلسته الثانية والعشرين المنعقدة بتأريخ ٨/ ٤/ ١٩٦١ على ماجاء فيه وقرر إبلاغه إلى المترجمين للعمل بالتوصيات الواردة فيه.

ونظر المجمع في جلسته الثامنة والعشرين المنعقدة بتأريخ ٢/ ٥/ ١٩٦١ في تقريري اللجنة الفرعية التي ألفها المجمع لتقديم رأيها في مسودة كتابي: التصنيع ووسائله وأثره في تطور الحياة الاقتصادية المقدمين إلى المجمع، للاشتراك في المباراة. فقرر أن الكتابين غير جامعين لشروط المباراة، وأن يفهم كل من المؤلفين بإمكانه أن يطلب من المجمع مساعدته في طبع كتابه إذا قام بالتعديلات المدونة في القرار. رغبة من المجمع في ألا يكون موقفه سلبياً من مساعدة الباحثين في ا لبحث والتأليف.

إهداء مطبوعات: قرر المجمع في جلسته السابقة والعشرين المنعقدة بتأريخ ١٣/ ٥/ ٦١ إهداء مطبوعات إلى دار الكتب الظاهرية بدمشق. وقد سبق له أن اتخذ قراراً بإهداء مطبوعاته إلى المكتبات العامة في المغرب وتونس وليبيا وأكرا بغانا إلى أحد الطلاب التونسيين الذي يشتغل في الجامعة اللبنانية ببيروت لوضع مؤلف عن المجامع العلمية في البلاد العربية.

معهد للدراسات الشرقية والآسيوية: قرر المجمع في جلسته الثامنة والعشرين المنعقدة بتأريخ ٢/ ٥/ ١٩٦١ الايصاء بقيام جامعة بغداد والجامعات العربية بتأسيس

معهد عال للدراسات الشرقية والإفريقية، وذلك لما في تأسيسه من فائدة في خدمة العلم والثقافة.

مساعدة مؤلف: قرر المجمع في جلسته الثلاثين المنعقدة بتأريخ ٢٥/٦/١٩٦١ وبناءاً على توصية لجنة فرعية قوامها الأستاذة السادة: الدكتور ناجي الأصيل وعباس العزاوي والدكتور مصطفى جواد مساعدة كتاب: البحرين درة الخليج العربي. بمبلغ ٢٠٠ دينار. والكتاب من مؤلفات الزعيم الركن المتقاعد محمود بهجة سنان.

مجلة المجمع: مجلة المجمع مثل المجلات المجمعية الأخرى، لا تتقيد بشهر أو بفصل، فليست المجامع دور نشر فتتقيد بقيود مواعيد الإصدار، ولا بعدد الصفحات. وقاعدتها في النشر التمسك بالمجلدات. وقد يكون المجلد جزءاً واحداً واسعاً، وقد يكون جملة أجزاء. ولهذا لا يتقيد المجمع بتعيين مبلغ خاص بالاشتراك، بل يتقيد ببيع المجلة على أساس ثمن الجزء الصادر إلى السوق وهو ٢٠٠ فلس للجزء الواحد مأخوذاً من إدارة المجمع، مضافاً إليه أجرة البريد، إذا كان مطلوباً في البريد.

وهذا الثمن أقل من الكلفة بكثير، وقد وافقت وزارة المالية على هذا التخفيض البليغ رغبة في نشر الثقافة العربية ونتاج المجمع العلمي العراقي، كما وافقت على مثل هذا التخفيض في إثمان جميع مطبوعات المجمع ومنشوراته للغرض عينه.